*(فهرسة الجزء التاسع
من فتح البيان)*

(فهرسة الجزء التاسع من فتح البيان)

(تمت)

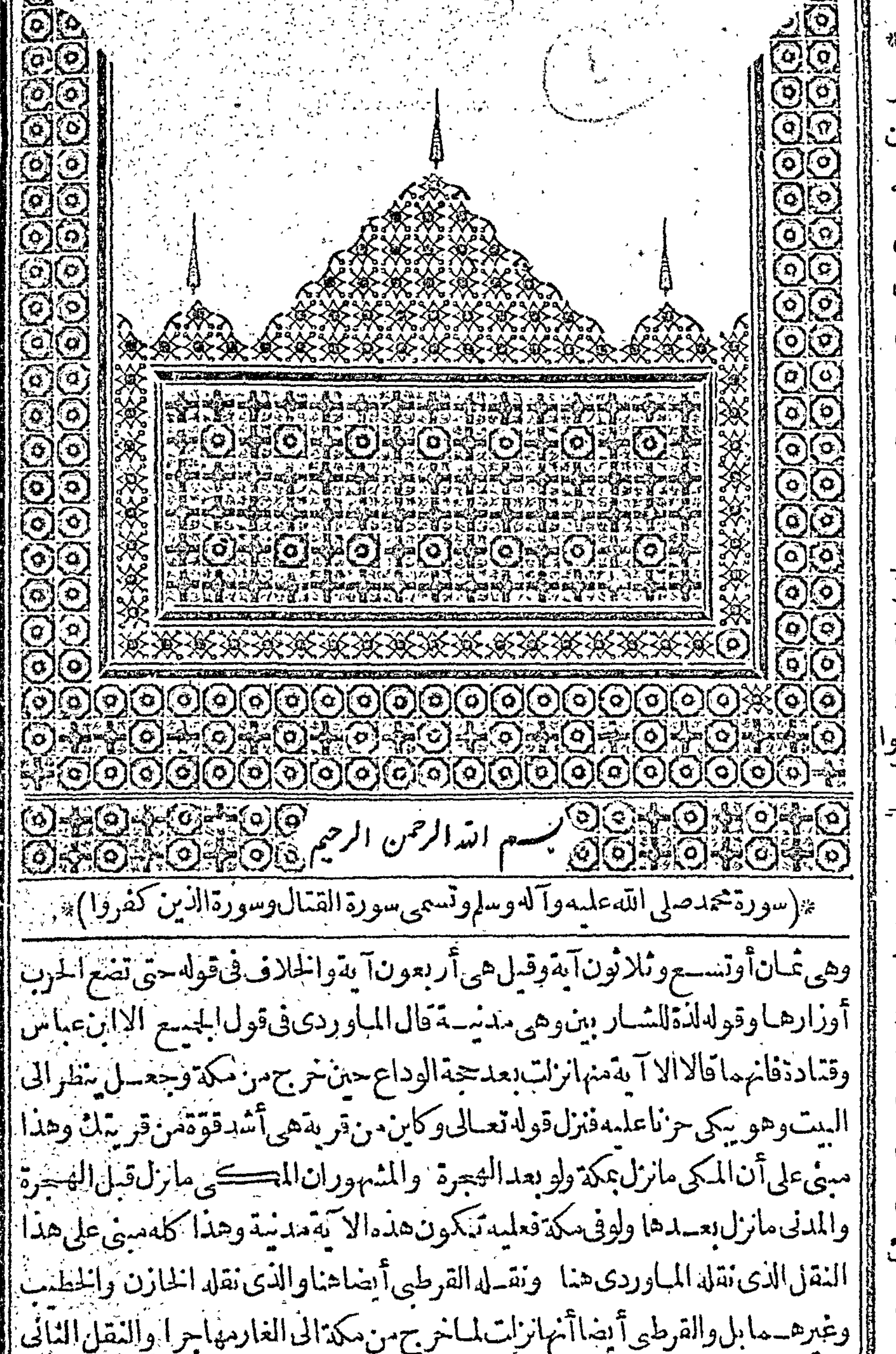
(فهرسة الجزء التاسع من تفسير ابن كثير)

(تمت)

(الجزء التاسع)
من التفسير المسمى فتح البيان
فى مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولاه القدير البارى أبى الطيب
صديق بن حسن القنوجى البخارى ملك
مدينة بهو بال حالا بالاقطار الهندية
لازالت كواكب فضله
فى الآفاق زاهرة
مضيه آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسمعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المولود سنة سبعمائة وعشر المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وسبعين وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اه من كشف الظنون

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)
سنة ١٣٠١ هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتسمى سورة القتال وسورة الذين كفروا)

وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية وقيل هي أربعون آية والخلاف في قوله حتى تضع الحرب أوزارها وقوله لذة للشاربين وهي مدنية قال الماوردي في قول الجميع الا ابن عباس وقتادة فانهما قالا الا آية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزل قوله تعالى وكاين من قرية هي أشد قوة من قريتك وهذا مبني على أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمشهور ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولو في مكة فعليه تكون هذه الآية مدنية وهذا كله مبني على هذا النقل الذي نقله الماوردي هنا ونقله القرطبي أيضا هنا والذي نقله الخازن والخطيب وغيرهما بل والقرطبي أيضا أنها نزلت لما خرج من مكة الى الغار مهاجرا والنقل الثاني هو الصحيح لانه هو الذي يناسبه التوعد بقوله وكاين من قرية وأما على النقل الاول فلا يظهر هذا الوعيد لانه في حجة الوداع فارقها مختارا بعد ما صارت دار اسلام وأسلم جميع أهلها وبدئ فتحها في السنة الثامنة وقال الثعلبي انها مكية وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهو غلط من القول فالسورة مدنية كما لا يخفى قال ابن عباس نزلت سورة القتال بالمدينة وعن ابن الزبير نزلت بالمدينة سورة الذين كفروا وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بهم في المغرب الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله

اخرجه

(تفسير سورة الزمر وهي مكية)

قال النسائي حدثنا محمد بن النضر ابن مساور حدثنا حماد عن مروان ابن لبابة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد ان يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد ان يصوم وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر

(بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) يخبر تعالى ان تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وقال تبارك وتعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال جل وعلا ههنا تنزيل الكتاب من الله العزيز أي

المنيع الجناب الحكيم أى فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين أى فاعبد الله وحده لاشريك له وادع الخلق الى ذلك وأعلمهم انه لاتصلح العبادة الا له وحده وانه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ولهذا قال تعالى الا لله الدين الخالص اى لا يقبل من العمل الا ما أخلص فيه العامل لله وحده لاشريك له وقال قتادة فى قوله تبارك وتعالى الا لله الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله ثم أخبر عز وجل عن عباد الاصنام من المشركين انهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أى انما يحملهم على عبادتهم لهم انهم عمدوا الى أصنام اتخذوها (٢) على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى فى نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فاما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد الا ليقربونا الى الله زلفى أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم اذا حجوا فى جاهليتهم لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها والدعوة الى افراد العبادة لله وحده لاشريك له وان هذا شئ اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وأخبر ان الملائكة التى فى السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالامراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير اذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه فلا تضربوا لله الامثال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل ان الله يحكم بينهم أى يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون أى سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزى كل عامل بعمله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون وقوله عز وجل ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار أى لا يرشد الى الهداية من قصد الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر

أخرجه الطبرانى فى الاوسط

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا) هم كفار قريش كفروا بالله (وصدوا) أنفسهم وغيرهم (عن سبيل الله) وهو دين الاسلام بنهيهم عن الدخول فيه كذا قال مجاهد والسدى وابن عباس وقال الضحاك معنى سبيل الله بيت الله بمنع قاصديه وقيل هم أهل الكتاب أو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أى أبطلها الله وأحبطها وجعلها ضائعة قال الضحاك المعنى أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وجعل الدائرة عليهم فى كفرهم وقيل أبطل ما عملوه فى الكفر مما كانوا يسمونه مكارم الاخلاق من صلة الارحام وفك الاسارى واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام واجارة المستجير وقرى الاضياف ونحو ذلك وهذه وان كانت باطلة من أصلها لكن المعنى انه سبحانه حكم ببطلانها فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا ويجزون بها فى الدنيا من فضله تعالى وقال ابن عباس كانت لهم أعمال فاضلة لا يقبل الله مع الكفر عملا ولما ذكر سبحانه فريق الكافرين اتبعهم بذكر فريق المؤمنين فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد) ظاهر هذا العموم فيدخل تحته كل مؤمن من المؤمنين الذين يعملون الصالحات ولا يمنع من ذلك خصوص سببها فقد قيل انها نزلت فى الانصار قاله ابن عباس وقيل فى ناس من قريش وقيل فى مؤمنى أهل الكتاب ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب العامة على بناء نزل للمفعول مشددا وقرئ مبنيا للفاعل وهو الله وقرئ أنزل بالهمزة ونزل ثلاثيا والمراد به القرآن وهذا من عطف الخاص على العام ولاشك أن الايمان بالقرآن المنزل على محمد من جملة افراد ما يجب الايمان به وخص سبحانه وتعالى الايمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالذكر مع اندراجه تحت مطلق الايمان المذكور قبله تنبيها على شرفه وعلو مكانه واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذا أكده بقوله (وهو الحق من ربهم) ومعنى كونه الحق انه الناسخ لما قبله ولا ينسخ والجملة اعتراضية (كفر عنهم سيآتهم) التى عملوها فيما مضى فانه غفرها لهم بالايمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أى شأنهم قاله مجاهد وقال قتادة حالهم وقيل أمرهم والمعانى متقاربة قال المبرد البال الحال ههنا

بآياته وحججه وبراهينه ثم بين تعالى انه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين فى الملائكة والمعاندون من اليهود والنصارى فى العزير وعيسى فقال تبارك وتعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لكان الامر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وانما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عزوجل لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين كل هذا من باب الشرط و يجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم وقوله تعالى سبحانه هو الله الواحد (٤) القهار أى تعالى وتنزه وتقدس عن ان يكون له ولد فانه الواحد الاحد الفرد الصمد الذى كل شئ عبد لديه فقير اليه وهو الغنى عما سواه الذى قد قهر الاشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون) يخبر تعالى انه الخالق لما فى السموات والارض وما بين ذلك من الاشياء وبانه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل أى سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا كقوله تبارك وتعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا هذا معنى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدى وغيرهم وقوله عزوجل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى أى الى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضى يوم القيامة الا هو العزيز الغفار أى مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب اليه وقوله جلت عظمته خلقكم من نفس واحدة أى خلقكم مع اختلاف أجناسكم واصنافكم والسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام ثم جعل منها زوجها وهى حواء عليها السلام كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام

وقيل القلب وهو كالمصدر ولا يعرف منه فعل ولا تجمعه العرب الا فى ضرورة الشعر قال الجوهرى والبال أيضا رخاء العيش يقال فلان رخى البال والبال الحوت العظيم من حيتان البحر وليس بعربى والبالة القارورة والجراب ووعاء الطيب وموضع بالحجاز وقيل والمعنى انه عصمهم عن المعاصى فى حياتهم وأرشدهم الى أعمال الخير وليس المراد اصلاح حال دنياهم من اعطائهم المال ونحو ذلك وقال النقاش ان المعنى أصلح نياتهم (ذلك) أى ما مر مما أوعد به الكفار ووعد به المؤمنين أو الامر ذلك (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) فالباطل الشرك والكفر والحق التوحيد والايمان والمعنى ان ذلك الاضلال لاعمال الكافرين بسبب اتباعهم الباطل من الشرك بالله والعمل بمعاصيه وذلك التكفير لسيئات المؤمنين واصلاح بالهم بسبب اتباعهم للحق الذى أمر الله باتباعه من التوحيد والايمان وعمل الطاعات (كذلك) أى مثل ذلك البيان (يضرب) يبين (الله للناس أمثالهم) أى أحوال الفريقين الجارية مجرى الامثال فى الغرابة قال الزجاج كذلك يضرب لهم أمثال حسنات المؤمنين واضلال أعمال الكافرين يعنى ان من كان كافرا أضل الله عمله ومن كان مؤمنا كفر الله سيآته أو جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار ولما بين سبحانه حال الفريقين أمر بجهاد الكفار فقال (فاذا لقيتم) الفاء لترتيب ما فى حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام أى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتم فى المحاربة (الذين كفروا) أى المشركين ومن لم يكن صاحب عهد من أهل الكتاب (فضرب الرقاب) قال الزجاج أى فاضربوا الرقاب ضربا وقيل هو منصوب على الاغراء قال أبو عبيدة هو كقولهم يا نفس صبرا وقيل التقدير اقصدوا ضرب الرقاب وخص الرقاب بالذكر لان القتل أكثر ما يكون بقطعها الا ان الواجب ضرب الرقبة خاصة لان هذا لا يكاد يتأتى حالة الحرب وانما يتأتى القتل فى أى موضع كان من الاعضاء وقيل لان فى التعبير عنه من الغلظة والشدة ما ليس فى نفس القتل وهى حز العنق واطارة العضو الذى هو رأس البدن وعلوه وأحسن أعضائه (حتى اذا أثخنتموهم) غاية للامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل وهو مأخوذ من الشئ الثخين أى الغليظ وفى المصباح أثخن فى

ثمانية أزواج أى وخلق لكم من ظهور الانعام ثمانية أزواج وهى المذكورة فى سورة الانعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وقوله عزوجل يخلقكم فى بطون امهاتكم أى قدركم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين وقوله جل وعلا فى ظلمات ثلاث يعنى فى ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التى هى كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد (٥) وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد وقوله جل جلاله ذلكم الله ربكم أى هذا الذى خلق السموات والارض ومابينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف فى جميع ذلك لا اله الا هو أى الذى لاتنبغى العبادة الا له وحده لاشريك له فانى تصرفون أى فكيف تعبدون معه غيره أين يذهب بعقولكم (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولاتزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) يقول تعالى مخبرا عن نفسه تبارك وتعالى انه الغنى عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد وفى صحيح مسلم ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم مانقص ذلك من ملكى شيأ وقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أى لايحبه ولا يأمر به وان تشكروا يرضه لكم أى يحبه لكم ويزدكم من فضله ولاتزر وازرة وزر أخرى أى لاتحمل نفس عن نفس شيأ بل كل مطالب بأمر نفسه ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور أى فلا يخفى عليه خافية وقوله عزوجل واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه أى عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لاشريك له كما قال تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا ولهذا قال

الارض اثخانا سار الى العدو وأوسعهم قتلا وأثخنته أوهنته بالجراحة وأضعفته وقد مضى تحقيق معناه فى الانفال والمعنى اذا أثقلتموهم وقهرتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) بالفتح القيد والحبل ويجىء بالكسر اسم الشئ الذى يوثق به كالرباط قال الجوهرى وأوثقه فى الوثاق بكسر الواو لغة فيه والجمع وثق مثل رباط وربط وعناق وعنق قرأ الجمهور فشدوا بضم الشين وقرئ بكسرها وانما أمر سبحانه بشد الوثاق لئلا يفوتوا وينفلتوا والمعنى اذا بالغتم فى قتلهم وأكثرتم القتل فيهم فامسكوا عنهم وأسروهم واحفظوهم بالوثاق (فامامنا بعد واما فداء) قرأ الجمهور بالمد وقرئ بالقصر أى فاما ان تمنوا عليهم بعد الاسر وشد الوثاق منا أو تفدوا فداء والمن الاطلاق بغير عوض والفداء ما يفدى به الاسير نفسه من الاسر ولم يذكر القتل هنا اكتفاء بما تقدم وانما قدم المن على الفداء لانه من مكارم الاخلاق ولهذا كانت العرب تفتخر به كما قال شاعرهم

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

قال ابن عباس فى الآية جعل الله النبى والمؤمنين بالخيار فى الاسارى ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وعنه أيضا قال هذا منسوخ نسختها فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وعن الحسن قال أتى الحجاج باسارى فدفع الى ابن عمر رجلا يقتله فقال ابن عمر ليس بهذا أمرنا انما قال الله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فامامنا بعد واما فداء وعن ليث قال قلت لمجاهد بلغنى ان ابن عباس قال لايحل قتل الاسارى لان الله قال فامامنا بعد واما فداء فقال مجاهد لاتعبأ بهذا شيأ أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلهم ينكر هذا ويقول هذه منسوخة انما كانت فى الهدنة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين المشركين فاما اليوم فلا يقول الله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فان كان مشركو العرب لم يقبل منهم الا الاسلام فان لم يسلموا فالقتل وأما من سواهم فانهم اذا أسروا فالمسلمون فيهم بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استحيوهم وان شاؤا فادوهم اذا لم يتحولوا عن دينهم فان أظهروا الاسلام لم يفادوا ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل الصغير والمرأة والشيخ الفانى ثم ذكر سبحانه الغاية لذلك فقال (حتى تضع الحرب أوزارها) أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لاتقوم الابها من السلاح

تبارك وتعالى ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل اى فى حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل
جلاله واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وقوله تعالى
وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله أى فى حال العافية يشرك بالله ويجعل له أندادا قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار أى قل
لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار
وقوله تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (٦) أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة
ربه قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لايعلمون انما يتذكر أولو
الالباب يقول عز وجل أمن
هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل
له أندادا لايستوون عند الله كما
قال تعالى ليسوا سواء من أهل
الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله
آناء الليل وهم يسجدون وقال
تبارك وتعالى ههنا أمن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما أى
فى حال سجوده وفى حال قيامه
ولهذا استدل بهذه الآية من
ذهب الى أن القنوت هو الخشوع
فى الصلاة ليس هو القيام وحده
كما ذهب اليه آخرون قال الثورى
عن فراس عن الشعبى عن
مسروق عن ابن مسعود رضى الله
عنه انه قال القانت المطيع لله
عز وجل ولرسوله صلى الله عليه
وسلم وقال ابن عباس رضى الله
عنهما والحسن والسدى وابن
زيد آناء الليل جوف الليل وقال
الثورى عن منصور بلغنا ان ذلك
بين المغرب والعشاء وقال الحسن
وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه
وآخره وقوله تعالى يحذر الآخرة
ويرجو رحمة ربه أى فى حال عبادته خائف راج ولابد فى العبادة من هذا وهذا وان يكون
للمن
الخوف فى مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فاذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو
الغالب عليه كما قال الامام عبد بن حميد فى مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس
رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو وأخاف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله عز وجل الذى يرجو وأمنه الذى يخافه

والكراع أسند الوضع اليها وهو لاهلها على طريق المجاز والمعنى ان المسلمين مخيرون بين
تلك الامور الاربعة الى غاية هى أن لاتكون حرب مع الكفار بان لاتبقى لهم شوكة قال
مجاهد المعنى حتى لايكون دين غير دين الاسلام وبه قال الحسن والكلبى قال الكسائى
حتى يسلم الخلق وقال الفراء حتى يؤمنوا ويذهب الكفر أى لايبقى الامسلم أو مسالم
وقيل المعنى حتى يضع الاعداء المحاربون أوزارهم وهو سلاحهم بالهزيمة او الموادعة
وروى عن الحسن وعطاء انهما قالا فى الآية تقديم وتأخير والمعنى فضرب الرقاب حتى
تضع الحرب أوزارها فاذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق وقد اختلف العلماء فى هذه الآية
هل هى محكمة أو منسوخة فقيل انها منسوخة فى أهل الاوثان وانه لايجوز ان يفادوا
ولايمن عليهم والناسخ لها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم فى
الحرب فشرد بهم من خلفهم وقوله وقاتلوا المشركين كافة وبهذا قال قتادة والضحاك
والسدى وابن جريج وكثير من الكوفيين قالوا والمائدة آخر ما نزل فوجب ان يقتل كل
مشرك الا من قامت الدلالة على تركه كالنساء والصبيان ومن تؤخذ منه الجزية وهذا هو
المشهور من مذهب أبى حنيفة وقيل ان هذه الآية ناسخة لقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم روى ذلك عن عطاء وغيره وقال كثير من العلماء ان الآية محكمة وان الامام
مخير بين القتل والاسر وبعد الاسر مخير بين المن والفداء وبه قال مالك والشافعى
والثورى والاوزاعى وأبو عبيد وغيرهم وهذا هو الراجح لان النبى صلى الله عليه وآله وسلم
والخلفاء الراشدين من بعده فعلوا ذلك وقال سعيد بن جبير لايكون فداء ولا أسر الا بعد
الاثخان والقتل بالسيف لقوله ما كان للنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض فاذا
أسر بعد ذلك فللامام أن يحكم بما رآه من قتل أو غيره وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وآله وسلم قال يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى بن مريم اماما مهديا وحكما عدلا
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها رواه عبد بن حميد
وابن أبى حاتم وابن مردويه وعن سلمة بن نفيل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حديث
قال ولاتضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج رواه ابن مردويه وابن سعد
وأحمد والنسائى والبغوى والطبرانى والحاصل ان حتى غاية لاحد الامور الاربعة
أو للمجموع عند الشافعى وأما عند أبى حنيفة فان حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية

ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذي غريب وقد رواه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن أبي شيبة عن عبيدة العنبري حدثنا أبو خلف بن عبد الله بن عيسى الخراز حدثنا يحيى البكاء انه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قال ابن عمر ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه وانما قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى انه ربما قرأ القرآن في (٧) ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله تعالى عنه وقال الشاعر

ضحوا باشمط عنوان السجود به
يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال الامام أحمد كتبت الى الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير بن مرة عن تميم الداري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن ابراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به وقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله انما يتذكر أولو الالباب أي انما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل والله أعلم (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قل اني أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم وقوله وأرض الله واسعة قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الاوثان وقال شريك عن منصور عن عطاء في قوله تبارك وتعالى وأرض الله واسعة قال اذا دعيتم الى معصية فاهربوا ثم قرأ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال الاوزاعي ليس يوزن لهم ولا يكال لهم انما يغرف لهم غرفا وقال ابن جريج بلغني انه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط

للمن والفداء وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمراد بالوضع ترك القتال ولو كان الشخص متقلدا بآلته (ذلك) أي الامر ذلك وقيل ذلك حكم الكفار وقيل افعلوا ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعني ان الله قادر على الانتصار منهم بالانتقام منهم واهلاكهم وتعذيبهم بما شاء من أنواع العذاب كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك بغير قتال (ولكن) أمركم بحربهم (ليبلو بعضكم ببعض) أي ليختبر فيعلم المجاهدين في سبيله والصابرين على ابتلائه ويجزل ثوابهم ويعذب الكفار بأيديهم (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) قرأ الجمهور قاتلوا مبنيا للفاعل وقرئ قتلوا مخففا ومشددا مبنيا للمفعول وقرئ قتلوا على البناء للفاعل مع التخفيف من غير ألف والمعنى على الاولى والرابعة ان المجاهدين في سبيل الله ثوابهم غير ضائع وعلى الثانية والثالثة أن المقتولين في سبيل الله كذلك لا يضيع الله سبحانه أجرهم قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت في يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل ثم ذكر سبحانه ما لهم من جزيل الثواب عنده فقال (سيهديهم) الله سبحانه الى الرشد في الدنيا وهو العمل الصالح والاخلاص فيه ويعطيهم الثواب في الآخرة قال أبو العالية قد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المؤمنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها وقال ابن زياد يهديهم الى محاجة منكر ونكير في القبر (ويصلح بالهم) أي حالهم وشأنهم وأمرهم وقيل يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) الجملة مستأنفة أو حالية بتقدير قد أو بدون تقديرها قاله السمين أي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال وذلك انهم اذا دخلوا الجنة تفرقوا الى منازلهم قال الواحدي هذا قول عامة المفسرين وقال الحسن وصف الله لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف أي عرف طرقها ومساكنها وبيوتها وقيل هذا التعريف بدليل يدلهم عليها وهو الملك الموكل بالعبد يسير بين يديه حتى يدخله منزله كذا قال مقاتل ويرده حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا رواه البخاري وهذا يدل على صحة القول الاول وقيل عرفها لهم أي طيبها بانواع الملاذ مأخوذ من العرف وهو الرائحة أو المعنى حددها لهم

ولكن يرادون على ذلك وقال السدى انما وفى الصابرون أجرهم بغير حساب يعنى فى الجنة وقوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين أى انما أمرت باخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وأمرت لأن أكون أول المسلمين قال السدى يعنى من أمته صلى الله عليه وسلم (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون) يقول تعالى (٨) قل يا محمد وأنت رسول الله انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الاولى والاحرى قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا أيضا تهديد وتبرؤ منهم قل ان الخاسرين اى انما الخاسرون كل الخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة أى تفارقوا فلا التقاء لهم ابدا وسواء ذهب أهلوهم الى الجنة وقد ذهبوا هم الى النار أو ان الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور الا ذلك هو الخسران المبين أى هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم فى النار فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل كما قال عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين وقال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله جل جلاله ذلك يخوف الله به عباده أى انما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم وقوله تعالى يا عباد فاتقون أى اخشوا بأسى وسطوتى وعذابى ونقمتى (والذين اجتنبوا امر الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها نزلت فى زيد بن عمرو بن نفيل وأبى ذر وسلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهم والصحيح انها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الاوثان وأناب الى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم قال عز وجل فبشر عبادى الذين يستمعون القول

بحيث يكون لكل واحد جنة مفرزة وقيل عرف أهل السماء انها لهم وقيل عرفها لهم اظهارا لكرامتهم فيها وقيل عرف المطيعين أعمالهم والاول أولى ثم وعدهم سبحانه على نصر دينه بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دينه (ينصركم) على الكفار وعلى عدوكم ويفتح لكم ومثله قوله ولينصرن الله من ينصره قال قطرب ان تنصروا نبى الله ينصركم (ويثبت أقدامكم) أى يثبتكم فى المعترك عند القتال فالمراد بالاقدام الذوات بتمامها وعبر بالقدم لان الثبات والتزلزل يظهران فيها او تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة فى مواطن الحرب وقيل على الاسلام وقيل على الصراط (والذين كفروا) من أهل مكة وغيرهم (فتعسا لهم) منتصب على المصدر للفعل المقدر قال الفراء مثل سقيا لهم ورعيا وأصل التعس الانحطاط والعثار قال ابن السكيت التعس أن يجر على وجهه والنكس أن يجر على رأسه قال والتعس أيضا الهلاك قال الجوهرى وأصله الكب وهو ضد الانتعاش قال المبرد أى فكروها لهم وقال ابن جريج بعدا لهم وقال السدى خزيا لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقال الحسن شتما لهم وقال ثعلب هلاكا لهم وقال الضحاك وابن زياد خيبة لهم وقيل قبحا لهم حكاه النقاش وقال الضحاك أيضا رغما لهم وقال ثعلب أيضا شرا لهم وقال أبو العالية شقوة لهم وعنه سقوطا لهم قيل والتعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه واللام فى لهم للبيان كما فى قوله هيت لك (وأضل أعمالهم) معطوف على ما قبله داخل معه فى خبرية الموصول أى أبطلها لانها كانت فى طاعة الشيطان والاشارة بقوله (ذلك) الى ما تقدم مما ذكره الله من التعس والاضلال أى الامر ذلك أو ذلك الامر (بانهم كرهوا ما أنزل الله) على رسوله من القرآن المشتمل على التكاليف وذلك لانهم قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فلما جاء القرآن بترك ذلك كرهوه أو ما أنزل على رسله من كتبه لاشتمالها على ما فى القرآن من التوحيد والبعث (فأحبط الله أعمالهم) بذلك السبب والمراد بالاعمال ما كانوا عملوا من أعمال الخير فى الصورة وان كانت باطلة من الاصل لان عمل الكافر لا يقبل قبل اسلامه ثم خوف سبحانه الكفار وأرشدهم الى الاعتبار بحال من قبلهم فقال (أفلم يسيروا فى الارض) أى فى أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى آخر

فيتبعون أحسنه أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أولئك الذين هداهم الله أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة وأولئك هم أولو الالباب أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) يقول تعالى أفمن كتب الله انه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك أي لا يهديه أحد من بعد الله لانه من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء ان لهم غرف في الجنة وهي القصور أي الشاهقة من فوقها غرف مبنية طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا عباد بن يعقوب الاسدي ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها فقال أعرابي لمن هي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن ابن اسحق وقال حسن غريب وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق أو أبي معانق عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الاشعري عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه به وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول كما تراءون الكوكب الذي في الافق الشرقي أو الغربي أخرجاه في

أمر الكافرين قبلهم فان آثار العذاب في ديارهم باقية ثم بين سبحانه ما صنع بمن قبلهم فقال (دمر الله عليهم) التدمير الاهلاك أي أهلكهم واستأصلهم يقال دمره ودمر عليه بمعنى والثاني أبلغ لما فيه من العموم أي أهلك ما يختص به من المال والنفس ونحوها والاتيان بعلى لتضمينه معنى أطبق عليهم أي أوقعه عليهم محيطا بهم والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر ثم توعد مشركي مكة فقال (وللكافرين) أي السائرين بسيرة من قبلهم من الكفار (أمثالها) قال ابن عباس يعني لكفار قومك يا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما دمرت به القرى فاهلكوا بالسيف قال الزجاج وابن جرير الضمير راجع الى عاقبة الذين من قبلهم من الامم الكافرة وانما جمع لان العواقب متعددة بحسب تعدد الامم المعذبة وقيل أمثال العقوبة أو الهلكة أو التدميرة والاول أولى لرجوع الضمير الى ما هو مذكور قبله مع صحة معناه (ذلك) أي ما ذكر من ان للكافرين أمثالها (بان) أي بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) أي ناصرهم ووليهم (وان الكافرين لا مولى لهم) أي لا ناصر يدفع عنهم كما يؤخذ من مقابله وهذا لا يخالف قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك لا بمعنى الناصر قال قتادة نزلت يوم أحد وقرأ ابن مسعود ولي الذين (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) قد تقدم تفسير الآية في غير موضع وتقدم كيفية جري الانهار من تحت الجنات والجملة مسوقة لبيان ولاية الله للمؤمنين وثمرتها الاخروية (والذين كفروا يتمتعون) بمتاع الدنيا أياما قلائل وينتفعون به غير متفكرين في العاقبة (ويأكلون كما تأكل الانعام) في معالفها ومسارحها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والمعنى كأنهم أنعام ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ساهون عن العاقبة لاهون بما هم فيه لا يلتفتون الى الآخرة (والنار مثوى لهم) أي مقام يقيمون به ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه ومصير يصيرون اليه والجملة في محل نصب على الحال أو مستأنفة ثم خوف الله سبحانه الكفار بانه قد أهلك من هو أشد منهم فقال (وكأين من قرية) قد قدمنا ان كأين مركبة من الكاف وأي وأنها بمعنى كم الخبرية أي وكم من قرية والمعنى كم من أهل قرية كذبت رسلها (هي) أي هم (أشد قوة من) أهل (قريتك التي أخرجتك) أي أخرجوك منها (أهلكناهم) فكذلك

الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجاه أيضا في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليمان عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدرى الغارب في الافق الطالع في تفاضل أهل الدرجات فقالوا يارسول الله أولئك النبيون فقال صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل

ورواه الترمذي عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا ثنا زهير ثنا سعد الطائي ثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين رضي الله عنها انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قلنا يارسول الله انا اذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فاذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والاولاد قال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال صلى الله عليه وسلم لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين وروى الترمذي وابن ماجه بعضه من حديث سعد ابن أبي مجاهد الطائي وكان ثقة عن أبي المدله وكان ثقة به وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار أي تسلك الانهار بين خلال ذلك كما يشاؤا وأين أرادوا وعدالله أي هذا الذي ذكرناه وعدوعده الله عباده المؤمنين ان الله لا يخلف الميعاد (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) يخبر تعالى ان أصل الماء في الارض من السماء كما قال عز وجل وأنزلنا من

نفعل بأهل قريتك فاصبر كما صبر رسل أهل هؤلاء القرى قال مقاتل أي أهلكناهم بالعذاب حين كذبوا رسلهم (فلا ناصر لهم) فبالاولى من هو أضعف منهم وهم قريش الذين هم أهل قرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي مكة فالكلام على حذف المضاف كما في قوله واسأل القرية والجملة بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء للترتيب ذكرما بالغير على عدم مابالذات وهو حكاية حال ماضية اذ كان الظاهر ان يقال فلم ينصرهم ناصر لان هذا اخبار عما مضى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله الى ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج فأعتى الاعداء من عتا على الله في حرمه أو قتل غير قاتله أو قتل (١) بذحول الجاهلية فأنزل الله وكأين من قرية الآية ثم ذكر سبحانه الفرق بين حال المؤمنين وحال الكافرين فقال (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله) الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر كنظائره والمعنى انه لا يستوي من كان على يقين من ربه وحجة وبرهان من عنده ولا يكون كمن زين له سوء عمله وهو عبادة الاوثان والاشراك بالله والعمل بمعاصي الله أي لا مماثلة بينهما (واتبعوا أهواءهم) في عبادتها وانهمكوا في أنواع الضلالات بلا شبهة توجب الشك فضلا عن حجة نيرة روعي في هذين الضميرين معنى من كما روعي فيما قبلهما لفظها ثم لما بين سبحانه الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بين مرجعهما ومآلهما فقال (مثل) أي صفة (الجنة التي وعد المتقون) مستأنفة لشرح محاسن الجنة الموعود بها المؤمنين وبيان ما فيها وفيه أوجه أحدها انه مبتدأ وخبره مقدر فقدره النضر بن شميل ما تسمعون وقوله (فيها أنهار) مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها أيضا مفسرة للمثل الثاني ان مثل زائدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار الثالث ان مثل الجنة مبتدأ والخبر قوله فيها أنهار وفيه نظر الرابع ان مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية أمثل أهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الانكار ومضافا فالمصحح وقدره الزمخشري كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله فيها انهار على هذا فيها ثلاثة أوجه أحدها هي حال من الجنة أي مستقرة فيها انهار

(١) الذحل الحقد والعداوة يقال طلب بذحله أي بثاره والجمع ذحول اه صحاح

السماء ماء طهورا فاذا أنزل الماء من السماء كن في الارض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الارض كما يشاء وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة اليها ولهذا قال تبارك وتعالى فسلكه ينابيع في الارض قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا عمرو بن علي ثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض قال ليس في الارض ماء الا نزل من السماء ولكن عروق في الارض تغيره فذلك قوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض فمن سره أن يعود الملح عذبا فليصعده وكذا قال سعيد بن جبير وعامر (١١) الشعبي ان كل ماء في الارض فأصله من السماء

وقال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعني ان الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها وقوله تعالى ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الارض زرعا مختلفا ألوانه أي أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه ثم يهيج أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفرا قد خالطه اليبس ثم يجعله حطاما أي ثم يعود يابسا يتحطم ان في ذلك لذكرى لأولي الالباب أي الذين يتذكرون فيعتبرون الى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزا شوهاء والشاب يعود شيخا هرما كبيرا ضعيفا وبعد ذلك كله الموت فالسعيد من كان حاله بعده الى خير وكثيرا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعا وثمارا ثم يكون بعد ذلك حطاما كما قال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا وقوله تبارك وتعالى

أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ولهذا قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم أولئك في ضلال مبين (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها

أنهار الثاني انه خبر لمبتدا مضمر أي هي فيها أنهار كأن قائلا قال ما مثلها فقيل فيها أنهار الثالث أن يكون تكرير الصلة لانها في حكمها ألا ترى انه يصح قولك التي فيها أنهار وانما عرى من حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصوير المكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار أفاده السمين (من ماء غير آسن) بالمد والقصر سبعيتان ولغتان وقال الاخفش ان الممدود يراد به الاستقبال والمقصور يراد به الحال يقال أسن الماء يأسن أسونا اذا تغيرت رائحته ومثله الآجن وزنا ومعنى قال ابن عباس غير متغير يعني بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أي لم يحمض كما تتغير ألبان الدنيا لانها لم تخرج من ضروع الابل والغنم والبقر فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) أي لذيذة لهم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب يقال شراب لذ ولذيذ وفيه لذة بمعنى ومثل هذه الآية قوله بيضاء لذة للشاربين والمعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا غضاضة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس في شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار ولا آفة من آفات الخمر بل هي لمجرد الالتذاذ وتفريح الطبع فقط تعويضا بخمور الدنيا كقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (وأنهار من عسل مصفى) مما يخالطه من الشمع والقذاء والعكر والكدر نقلوا في العسل التذكير والتأنيث وجاء القرآن على التذكير وفي المصباح يذكر ويؤنث وهو الاكثر ويصغر على عسيلة على لغة التأنيث ذهابا الى انها قطعة من الجنس وطائفة منه وشذوه وفي المختار وزاد والعاسل الذي يأخذ العسل من بيت النحل والنحلة عسالة عن معاوية بن حيدة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد أخرجه أحمد والترمذي وصححه وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث وعن كعب قال نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة ونهر سيحان نهر الماء في الجنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم قال النووي هما غير سيحون وجيحون واللذان هما من الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر أردنة

مثاني قال مجاهد يعني القرآن كله متشابه مثاني وقال قتادة الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن ثنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الاخرى آية تشبهها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والانبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مثاني قال القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان (١٢) بن عيينة معنى قوله تعالى متشابها مثاني ان سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذا من المتشابه وتارة تكون بذكر الشئ وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وكقوله عز وجل كلا ان كتاب الفجار لفي سجين الى ان قال كلا ان كتاب الابرار لفي عليين هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب الى ان قال هذا وان للطاغين لشر مآب ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين وأما اذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضا فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ذاك معنى آخر وقوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي هذه صفة الابرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه أحدها أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الابيات من أصوات القينات الثاني انهم اذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم وقال تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين اليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهذا انما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن

وجيحان نهر المصيصة وسيحان نهر أذنة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر بعد هذا كلاما طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة (ولهم فيها من كل الثمرات) أي لاهل الجنة في الجنة مع ما ذكر من الاشربة من كل صنف من أصناف الثمرات ومن زائدة للتوكيد وفي ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى أن مأكول أهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) لذنوبهم قبل دخولهم اليها والواو لمطلق الجمع وتنكير مغفرة للتعظيم أي ولهم مغفرة عظيمة كائنة من ربهم برفع التكاليف عنهم (كمن هو خالد في النار) هو خبر لمبتدإ محذوف أي أمن هو في نعيم الجنة على هذه الصفة خالدا فيها كمن هو خالد في النار أو خبر لقوله مثل الجنة ورجح الاول الفراء فقال أراد أمن كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار وقدره الكواشي أمثل هذا الجزاء الموصوف كمثل جزاء من هو خالد وهو مأخوذ من اللفظ فهو أحسن وقال الزجاج أي أفمن كان على بينة من ربه وأعطى هذه الاشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وقال ابن كيسان ليس مثل الجنة التي فيها الثمار والانهار كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم وليس مثل أهل الجنة في النعيم كمثل أهل النار في العذاب الاليم وقيل غير ذلك (وسقوا ماء حميما) الحميم الماء الحار الشديد الحرارة والغليان فاذا شربوه قطع أمعاءهم وهو معنى قوله (فقطع أمعاءهم) أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم لفرط حرارته والامعاء جمع معى بالقصر وألفه مبدل عن ياء لقولهم معيان وهو ما في البطون من الحوايا (ومنهم) أي من هؤلاء الكفار الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام (من يستمع اليك) وهم المنافقون أفرد الضمير باعتبار لفظة من وجمع في قوله (حتى اذا خرجوا من عندك) باعتبار معناها والمعنى ان المنافقين كانوا يحضرون مواقف وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواطن خطبه التي يمليها على المسلمين يوم الجمعة وحينئذ تكون هذه الآية مدنية بل وكذا ما بعدها من الآيات الآتية فتكون مستثناة من القول بان السورة مكية والمعنى حتى اذا خرجوا من عنده (قالوا للذين أوتوا العلم) وهم علماء الصحابة وقيل عبد الله بن عباس وقيل عبد الله بن مسعود وقيل أبو الدرداء والاول أولى أي سألوا أهل العلم فقالوا لهم على طريقة الاستهزاء (ماذا)

(ماذا) أى أى شئ (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (آنفا) بالمد والقصر أى الساعة وبها فسره الزمخشرى وقال انه ظرف حالى كالآن وقال ابن عطية والمفسرون معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى والمعنى انا لم نلتفت الى قوله ولم نرجع اليه ومنه أمر أنف أى مستأنف وروضة أنف أى لم يرعها أحد وانتصابه على الظرفية أى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير فى قال قال الزجاج هو من استأنفت الشئ اذا ابتدأته وأصله مأخوذ من أنف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة قال ابن عباس كنت فيمن يسئل وعنه قال أنا منهم وفى هذا منقبة لابن عباس جليلة لانه كان اذ ذاك صبيا فان النبى صلى الله عليه وسلم مات وهو فى سن البلوغ فسؤال الناس له عن معانى القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ووصف الله سبحانه للمسؤلين بانهم الذين أوتوا العلم وهو منهم من أعظم الادلة على سعة علمه ومزيد فقهه فى كتاب الله وسنة رسوله مع كون أترابه وأهل سنه اذ ذاك يلعبون مع الصبيان وعن عكرمة قال كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا خرجوا من عنده قالوا لابن عباس ماذا قال آنفا فيقول كذا وكذا وكان ابن عباس أصغر القوم فأنزل الله الآية فكان ابن عباس من الذين أوتوا العلم وعن ابن بريدة قال هو ابن مسعود وعن ابن عباس قال هو ابن مسعود والاشارة بقوله (أولئك) الى المذكورين من المنافقين وهو مبتدأ وخبره (الذين طبع الله على قلوبهم) أى بالكفر فلم يؤمنوا ولا توجهت قلوبهم الى شئ من الخير (واتبعوا أهواءهم) فى الكفر والعناد ثم ذكر حال اضدادهم فقال (والذين اهتدوا) الى طريق الخير فآمنوا بالله وعملوا بما أمرهم به (زادهم هدى) بالتوفيق وقيل زادهم النبى صلى الله عليه وسلم وقيل زادهم القرآن وقال الفراء زادهم اعراض المنافقين واستهزاؤهم هدى وقيل زادهم نزول الناسخ هدى وعلى كل تقدير فالمراد أنه زادهم ايمانا وعلما وبصيرة فى الدين قال ابن عباس فى الآية لما أنزل القرآن آمنوا به وكان هدى فلما تبين الناسخ من المنسوخ زادهم هدى (وآتاهم تقواهم) أى ألهمهم اياها وأعانهم عليها بمعنى خلق التقوى فيهم أو أعطاهم ثواب تقواهم وجزاءها والاول أولى وأوفق لتأليف النظم لما سبق ان أغلب آيات هذه السورة الكريمة روعى فيها التقابل فقوبل الطبع بزيادة الهدى لان الطبع يحصل من تزايد الرين وترادف ما يزيد فى الكفر وقوبل اتباع الهوى بايتاء

جهل ومتابعة لغيرهم الثالث انهم يلزمون الادب عند سماعها كما كان الصحابة رضى الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم الى ذكر الله لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون بما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والادب والخشية مالا يلحقهم أحد فى ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الاعلى فى الدنيا والآخرة قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال تلا قتادة رحمه الله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله قال هذا نعت أولياء الله نعتهم الله عز وجل بأن تقشعر جلودهم وتبكى أعينهم وتطمئن قلوبهم الى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما هذا فى أهل البدع وهذا من الشيطان وقال السدى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أى الى وعد الله وقوله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده أى هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله ومن يضلل الله فماله من هاد (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) يقول تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ويقرع فيقال له ولأمثاله من الظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كمن يأتى آمنا يوم القيامة كما قال عز وجل أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم وقال جل وعلا يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وقال تبارك وتعالى أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة واكتفى فى هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر كقول الشاعر

فما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى

يعنى الخير أو الشر وقوله جلت عظمته كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يعنى القرون الماضية المكذبة للرسل أهلكهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق وقوله جل وعلا فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا أى بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفى المؤمنين منهم فليحذر المخاطبون من ذلك فانهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم والذى أعده الله جل جلاله لهم فى الآخرة من العذاب الشديد

أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال عز وجل ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يقول تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي بينا للناس فيه بضرب الامثال لعلهم يتذكرون فان المثل يقرب المعنى الى الاذهان كما قال تبارك وتعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم أي تعلمونه من أنفسكم وقال عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله جل وعلا قرآنا عربيا غير ذي عوج أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان وانما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك لعلهم يتقون أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد ثم قال ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون أي يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ورجلا سلما أي سالما لرجل أي خالصا لا يملكه أحد غيره هل يستويان مثلا أي لا يستوي هذا وهذا كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد الا الله وحده لا شريك له فاين هذا من هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ولما كان هذا المثل ظاهرا بينا جليا قال الحمد لله أي على اقامة الحجة عليهم بل أكثرهم لا يعلمون أي فلهذا يشركون بالله وقوله تبارك وتعالى انك ميت وانهم ميتون هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين ومعنى هذه الآية انكم ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين ثم ان هذه الآية وان

التقوى فيحمل على كمال التقوى وهو أن يتنزه العارف عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقى الحقيقي المعنى بقوله اتقوا الله حق تقاته فان المزيد على مزيد الهدى مزيد لا مزيد عليه وقال الربيع التقوى هي الخشية وقال السدي هي ثواب الآخرة وقال مقاتل هي التوفيق للعمل بما يرضاه وقيل العمل بالناسخ وترك المنسوخ وقيل ترك الرخص والاخذ بالعزائم (فهل ينظرون) أي ما ينتظر كفار مكة (الا الساعة) أي القيامة (أن تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة أي ليس الامر الا ان تأتيهم (بغتة) أي فجأة وفي هذا وعيد للكفار شديد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذي وحسنه (فقد جاء أشراطها) تعليل لمفاجأتها أو لاتيانها من حيث هو أو هذا كالعلة للفعل باعتبار تعلقه بالبدل لان ظهور أشراط الشيء موجب لانتظاره ومعنى أشراطها أماراتها وعلاماتها وكانوا قد قرؤا في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء فبعثته من أشراطها قاله الحسن والضحاك والاشراط جمع شرط بسكون الراء وفتحها وهو العلامة وقيل المراد باشراطها هنا أسبابها التي هي دون معظمها وقيل أراد بعلامات الساعة انشقاق القمر والدخان كذا قال الحسن وقال الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام قلت كما يشاهد الآن وفي هذا الزمان والله المستعان قال ابن عباس في الآية أول الساعات وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالوسطى والسبابة ومثله عند البخاري من حديث سهل بن سعد وفي الباب أحاديث كثيرة فيها بيان اشراط الساعة وبيان ما قد وقع منها وما لم يكن قد وقع وهي تأتي في مصنف مستقل فلا نطيل بذكرها في هذا الباب كتاب الاشاعة لاشراط الساعة وهو نفيس جدا (فأنى لهم اذا جاءتهم) الساعة بغتة (ذكراهم) أي فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة والخلاص كقوله يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى (فاعلم أنه لا اله الا الله) أي اذا علمت ان مدار الخير هو التوحيد والطاعة ومدار الشر هو الشرك والعمل بمعاصي الله فاعلم انه لا اله غيره ولا رب سواه والمعنى اثبت على ذلك واستمر

عليه

كان سياقها فى المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم فى الدار الآخرة فانها شاملة لكل متنازعين فى الدنيا فانه تعاد عليهم الخصومة فى الدار الآخرة قال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى ثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبى حاطب يعنى يحيى بن عبد الرحمن عن ابن الزبير رضى الله عنهما قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير رضى الله عنه أتكرر علينا الخصومة قال صلى الله عليه وسلم نعم قال رضى الله عنه ان الامر اذن لشديد وكذا رواه الامام أحمد عن سفيان وعنده زيادة ولما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير رضى الله عنه أى رسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما نعيمنا الأسودان التمر والماء قال صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك سيكون وقد روى هذه الزيادة الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذى حسن وقال أحمد أيضا حدثنا ابن نمير ثنا محمد يعنى ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال لما نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير رضى الله عنه أى رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب قال صلى الله عليه وسلم نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى الى كل ذى حق حقه قال الزبير رضى الله عنه والله ان الامر لشديد رواه الترمذى من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة ابن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبى عباش عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول خصمين يوم القيامة جاران تفرد به أحمد وقال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا تفرد به أحمد رحمه الله وفى المسند عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال أتدرى فيم ينتطحان يا أبا ذر قلت لا قال صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى يدرى وسيحكم بينهما وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد ثنا حيان بن أغلب ثنا أبى ثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالامام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية

عليه ودم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة لانه صلى الله عليه وسلم قد كان عالما بانه لا اله الا الله قبل هذا ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة رواه مسلم وقيل ما علمته استدلالا فاعلمه خبرا يقينيا وقيل المعنى فاذكر انه لا اله الا الله فعبر عن الذكر بالعلم قيل الفاآت فى هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (واستغفر لذنبك) أى استغفر الله ان يقع منك ذنب أو استغفر الله ليعصمك أو استغفره مما ربما يصدر منك من ترك الاولى قال القاضى عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذى كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وقيل يحتمل أن يكون استغفاره شكرا ويأباه قوله لذنبك وقيل استغفر لذنوب أهل بيتك وهذا تكلف بلا موجب وقيل لتستن به أمته وليقتدوا به فى ذلك وقيل الخطاب له والمراد الامة ويأبى هذا قوله (وللمؤمنين والمؤمنات) فان المراد به استغفاره لذنوب أمته بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ان شاء الله تعالى عن ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الاستغفار ثم قرأ فاعلم انه لا اله الا الله الآية رواه الطبرانى وابن مردويه والديلمى وعن أبى هريرة فى قوله واستغفر لذنبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذى وصححه وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وأصله فى البخارى وفى رواية أكثر من سبعين وعن عبد الله بن سرجس قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأكلت معه من طعام فقلت غفر الله لك يا رسول الله قال ولك فقيل استغفر لك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ولكم وقرأ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات أخرجه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وروى مسلم عن الاغر المزنى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم مائة مرة وللعلماء فى هذا الغين كلام طويل لا يسعه هذا الموضع وقد وردت أحاديث فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لنفسه ولامته وترغيبه فى الاستغفار (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فى أعمالكم ومعايشكم ومتاجركم (ومثواكم)

فيقولون عليه فقال له سدر كامن أركان جهنم ثم قال الاغلب بن تميم ليس بالحافظ وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدى الضال والضعيف المستكبر وقد روى ابن منده فى كتاب الروح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث الله تعالى ملكا يفصل بينهما فيقول لهما ان مثلكما كمثل رجل مقعد بصير (١٦) وآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير انى أرى ههنا ثمارا ولكن لا أصل اليها فقال له الضرير اركبنى فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدى فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فانكما قد حكمتما على أنفسكما يعنى ان الجسد للروح كالمطية وهو راكبه وقال ابن أبى حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة ثنا ضرار ثنا أبو سلمة الخزاعى ثنا منصور بن مسلمة ثنا القمى يعنى يعقوب بن عبد الله عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآية وما نعلم فى أى شئ نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال قلنا من نخاصم ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضى الله عنهما هذا الذى وعدنا ربنا عز وجل نختصم فيه ورواه النسائى عن محمد بن عامر عن منصور بن مسلمة به وقال أبو العالية فى قوله تبارك وتعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال يعنى أهل القبلة وقال ابن زيد يعنى أهل الاسلام وأهل الكفر وقد قدمنا ان الصحيح العموم والله سبحانه أعلم (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) يقول عز وجل مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا ان الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولدا تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ومع هذا كذبوا بالحق اذ جاءهم على ألسنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عز وجل فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه

فى الدار الآخرة قاله ابن عباس وقيل متقلبكم فى أعمالكم نهارا ومثواكم فى ليلكم نياما وقيل متقلبكم فى أصلاب آبائكم الى أرحام أمهاتكم ومثواكم فى الارض أى مقامكم فيها قال ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن فى الدنيا ومثواكم فى القبور وقيل منصرفكم فى أعمالكم ومثواكم أى مصيركم الى الجنة أو النار والمعنى انه عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسأل المؤمنون ربهم عز وجل ان ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم سورة يأمرهم فيها بقتال الكفار حرصا منهم على الجهاد ونيل ما أعده الله للمجاهدين من جزيل الثواب فحكى الله عنهم ذلك بقوله (ويقول الذين آمنوا) من هنا الى آخر السورة لا يظهر الا كونه مدنيا اذ القتال لم يشرع الا بالمدينة وكذلك النفاق لم يظهر الا بها فيحمل القول فيما تقدم بانها مكية على أغلبها وأكثرها وكذا يحمل القول بانها مدنية على البعض منها (لولا) هلا (نزلت سورة) فيها ذكر القتال والامر بالجهاد والتحريض عليه (فاذا أنزلت سورة) فى معنى الجهاد (محكمة) أى غير منسوخة (وذكر فيها القتال) أى فرض الجهاد وطلبه قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقرأ ابن مسعود فاذا أنزلت سورة محدثة أى محدثة النزول وقرأ الجمهور أنزلت وذكر على بناء الفعلين للمفعول وقرئ نزلت وذكر على بنائهما للفاعل ونصب القتال (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى شك وهم المنافقون أو ضعف فى الدين وأصل المرض الفتور فمرض القلوب فتورها عن قبول الحق والاول هو الاظهر الموافق لسياق النظم الكريم (ينظرون اليك) يعنى شزرا وكراهية منهم (نظر المغشى عليه من الموت) أى نظرا مثل نظر من شخص نظره وبصره عند الموت لجبنهم عن القتال وميلهم الى الكفار كدأب من أصابته غشية الموت وقال ابن قتيبة والزجاج يريد أنهم يشخصون نحوك بابصارهم وينظرون اليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص بصره عند الموت (فأولى لهم) قال الجوهرى قولهم أولى لك تهديد ووعيد وكذا قال مقاتل والكلبى وقتادة قال الاصمعى معنى قولهم فى التهديد أولى لك أى وليك وقاربك ما تكره وهو فعل ماض قال ثعلب ولم يقل فى أولى أحسن مما قاله الاصمعى وقال المبرد يقال لمن هم بالغضب ثم أفلت أولى لك

أى

أى لا أحد أظلم من هذا لانه جمع بين طرفى الباطل كذب على الله وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلت عظمته متوعدا لهم أليس فى جهنم مثوى للكافرين وهم الجاحدون المكذبون ثم قال جل وعلا والذى جاء بالصدق وصدق به قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد الذى جاء بالصدق هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقال السدى هو جبريل عليه السلام وصدق به يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما والذى جاء بالصدق قال من جاء بلا اله الا الله وصدق به يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٧) وقرأ الربيع بن أنس والذين جاؤا بالصدق يعنى الانبياء وصدقوا به يعنى الاتباع وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد والذى جاء بالصدق وصدق به قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيؤن يوم القيامة فيقولون هذا ما اعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فان المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول فى هذه الآية على هذا التفسير فانه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم والذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به المسلمون أولئك هم المتقون قال ابن عباس رضى الله عنهما اتقوا الشرك لهم ما يشاؤن عند ربهم يعنى فى الجنة مهما طلبوا وجدوا ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم احسن الذى كانوا يعملون كما قال عز وجل فى الآية الاخرى أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) يقول تعالى أليس الله بكاف عبده وقرأ بعضهم عباده يعنى انه تعالى يكفى من

أى قاربت الغضب وقال الجرجانى هو مأخوذ من الويل أى فويل لهم وكذا قال فى الكشاف قال قتادة أيضا كأنه قال العقاب أولى لهم وعلى هذا يكون اسما لا فعلا وعليه الاكثر وفى اعرابه أوجه ذكرها السمين (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لكم قال الخليل وسيبويه ان التقدير طاعة وقول معروف أحسن وأمثل بكم من غيرهما وقدره مكى منا طاعة فقدره مقدما وقيل ان طاعة خبر أولى أى الاولى بهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن الخالى عن الاذية وقيل ان طاعة صفة لسورة أى فاذا أنزلت سورة محكمة طاعة أى ذات طاعة أو مطاعة ذكره مكى وأبو البقاء وفيه بعد لكثرة الفواصل وقيل ان لهم خبر مقدم وطاعة مبتدأ مؤخر والاول أولى (فاذا عزم الامر) عزم الامر جد الامر أى جد القتال ووجب وفرض وأسند الامر الى العزم وهو لاصحابه مجازا وجواب اذا قيل هو قوله الآتى فلو صدقوا الله وقيل محذوف تقديره كرهوه قال المفسرون معناه اذا جد الامر ولزم فرض القتال خالفوا وتخلفوا فلو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم) من المعصية والمخالفة (فهل عسيتم) يقال عسيت أن أفعل كذا وعسيت بالفتح والكسر لغتان ذكره الجوهرى وهما سبعيتان وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع أى فهل يتوقع منكم (ان توليتم) أى أعرضتم عن الايمان الذى تلبستم به ظاهرا (أن تفسدوا فى الارض) بأنواع الفساد قال الكلبى فهل عسيتم ان توليتم أمر الامة أن تفسدوا فيها بالظلم وقال كعب ان يقتل بعضكم بعضا وقال قتادة ان توليتم عن طاعة كتاب الله عز وجل ان تفسدوا فيها بسفك الدماء وقال ابن جريج ان توليتم عن الطاعة ان تفسدوا فى الارض بالمعاصى وقيل أعرضتم عن القتال وفارقتم أحكامه فتعودوا الى جاهليتكم أو توليتم الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا فى الارض بأخذ الرشا قرأ الجمهور توليتم مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول ومعناها فهل عسيتم ان ولى عليكم ولاة جائرون أن يخرجوا عليكم فى الفتنة وتحاربوهم (وتقطعوا أرحامكم) بالبغى والظلم والقتل قرأ الجمهور تقطعوا بالتشديد على التكثير وقرئ بالتخفيف من القطع عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من

تحيده وتوكل عليه وقال ابن أبي حاتم ههنا حدثنا أبو عبد الله بن أخي ابن وهب ثنا عمي ثنا أبو هانئ عن أبي علي عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد الانصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افلح من هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به ورواه الترمذي والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني به وقال الترمذي صحيح ويخوفونك بالذين من دونه يعني المشركين يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتوعدونه باصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال عزوجل ومن (١٨) يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام أي منيع الجناب لا يضام من استند الى جنابه ولجأ الى بابه فانه العزيز الذي لا أعز منه ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله يعني المشركين كانوا يعترفون بان الله عزوجل هو الخالق للاشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولهذا قال تبارك وتعالى قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته أي لا تستطيع شيأ من الامر وذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله تعالى عليك لم يضروك ولو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك جفت الصحف ورفعت الاقلام واعمل لله بالشكر في اليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قل حسبي الله أي الله كافي عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصاري ثنا عبد الله بن بكر السهمي ثنا محمد بن حاتم

القاطعة قال نعم أما ترضين ان أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم الآية أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما والاحاديث في صلة الرحم كثيرة (أولئك) المفسدون يدل عليه ما تقدم وفي الاشارة التفات للايذان بان ذكر جناياتهم أوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم (الذين لعنهم الله) أي أبعدهم من رحمته وطردهم عنها (فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى أبصارهم) أي عن مشاهدة ما يستدلون به على التوحيد والبعث وحقية سائر ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل فاصم آذانهم كما قال وأعمى أبصارهم ولم يقل وأعماهم لانه لا يلزم من ذهاب الاذن ذهاب السماع فلم يتعرض لها والاعين يلزم من ذهابها ذهاب الابصار (أفلا يتدبرون القرآن) أصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء وما يؤل اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية قاله الخازن والاستفهام للانكار والمعنى أفلا يتفهمونه فيعلمون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة الباهرة التي تكفي من له فهم وعقل وتزجره عن الكفر بالله والاشراك به والعمل بمعاصيه وقيل المراد به التأسي وقيل هذه الآية محققة للآية المتقدمة ومهيجة لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على أصرارهم على الكفر (أم) هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة التي للانتقال من توبيخ الى توبيخ أي بل أ(على قلوب أقفالها) فهم لا يفهمون ولا يعقلون قال مقاتل يعني الطبع على القلوب والتنكير اما لتهويل حالها أو تفظيع شأنها كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها واما لان المراد بها قلوب بعضهم وهم المنافقون والاقفال استعارة لانغلاق القلب عن معرفة الحق واضافة الاقفال الى القلوب للتنبيه على ان المراد بها ما هو للقلوب بمنزلة الاقفال للابواب أو انها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها ومعنى الآية انه لا يدخل في قلوبهم الايمان ولا يخرج منها الكفر والشرك لان الله سبحانه قد طبع عليها وقرئ أقفالها بالجمع واقفالها بكسر الهمزة على أنه مصدر كالاقبال والآية بعمومها تشمل كل من لا يتدبر القرآن ولا يأتي به ويدخل فيه من نزلت فيه دخولا أوليا وأما المقلدة التاركة للتدبر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله

عليه

عن أبي المقدام مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظي ثنا ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عزوجل أوثق منه بما في يديه ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله عزوجل وقوله تعالى قل ياقوم اعملوا على مكانتكم أي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد اني عامل أي على طريقتي ومنهجي فسوف تعلمون أي ستعلمون غب ذلك ووباله من يأتيه عذاب يخزيه أي في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم أي دائم مستمر لا محيد له عنه وذلك (١٩) يوم القيامة أعاذنا الله منها (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس بالحق أي لجميع الخلق من الانس والجن لينذرهم به فمن اهتدى فلنفسه أي فانما يعود نفع ذلك الى نفسه ومن ضل فانما يضل عليها أي انما يرجع وبال ذلك على نفسه وما أنت عليهم بوكيل أي بموكل ان يهتدوا انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل انما عليك البلاغ وعلينا الحساب ثم قال تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة بانه المتصرف في الوجود بما يشاء وأنه يتوفى الانفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الابدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى فيه دلالة على انها تجتمع في الملا الاعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره وفي صحيحي البخاري ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه

عليه وآله وسلم فهؤلاء هم الذين على قلوبهم أقفالها (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أي رجعوا كفارا كما كانوا قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما عرفوا نعته عندهم وبه قال ابن جريج وقال ابن عباس هم أهل النفاق وقال الضحاك والسدي هم المنافقون قعدوا عن القتال وهذا أولى لان السياق في المنافقين (من بعد ما تبين لهم الهدى) بما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعجزات الظاهرة والآيات القاهرة والدلائل الواضحة والبراهين الباهرة (الشيطان سول لهم) أي زين لهم خطاياهم وسهل لهم الوقوع فيها واقتراف الكبائر والجملة خبر ان (وأملى لهم) أي مد لهم في الآمال والاماني ووعدهم طول العمر وقيل ان الذي أملى لهم هو الله عزوجل على معنى انه لم يعاجلهم بالعقوبة قرأ الجمهور وأملى على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم واختار القول بان الفاعل هو الله الفراء والمفضل والاولى اختيار انه الشيطان لتقدم ذكره قريبا (ذلك) أي ما تقدم من ارتدادهم أو التسويل والاملاء والاول أولى (بانهم) أي بسبب ان هؤلاء المنافقين الذين ارتدوا على أدبارهم (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الامر) وهذا البعض هو عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة ما جاء به وقيل المعنى ان المنافقين قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الامر كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان خرجوا والتظافر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ان القائلين اليهود والذين كرهوا المنافقون ويؤيد كون القائلين المنافقين والكارهين اليهود قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم ولما كان قولهم المذكور للذين كرهوا ما أنزل الله بطريقة السر بينهم قال الله سبحانه (والله يعلم اسرارهم) بكسر الهمزة على المصدر أي اخفاءهم وبها قرأ الكوفيون وقرأ الجمهور بفتحها على انه جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف في محل رفع على انها خبر مقدم والتقدير فكيف علمه باسرارهم اذا توفتهم الملائكة أو في محل نصب بفعل محذوف أي فكيف يصنعون أو خبر لكان مقدرة أي فكيف يكونون والظرف معمول للمقدر قرأ الجمهور توفتهم وقرئ توفاهم وقوله (يضربون

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفضه بداخلة ازاره فانه لايدرى ماخلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقال بعض السلف يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ماشاء الله تعالى ان تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت التي قد ماتت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال السدي الى بقية أجلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما يمسك أنفس الاموات ويرسل أنفس الاحياء ولايغلط ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢٠) (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) يقول تعالى ذاما للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الاصنام والانداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك وهي لاتملك شيئا من الامر بل وليس لها عقل تعقل به ولا سمع تسمع به ولا بصر تبصر به بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير ثم قال قل أي يامحمد لهؤلاء الزاعمين ان ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى أخبرهم ان الشفاعة لاتنفع عند الله الا لمن ارتضاه وأذن له فمرجعها كلها اليه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه له ملك السموات والارض أي هو المتصرف في جميع ذلك ثم اليه ترجعون أي يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزي كلا بعمله ثم قال تعالى ذاما للمشركين أيضا

له

واذا ذكر الله وحده أي اذا قيل لا اله الا الله اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة قال مجاهد اشمأزت انقبضت وقال السدي نفرت وقال قتادة كفرت واستكبرت وقال مالك عن زيد بن أسلم استكبرت كما قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون أي عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لاتقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولهذا قال تبارك وتعالى واذا ذكر الذين من دونه أي من الاصنام والانداد قاله مجاهد اذا هم يستبشرون أي يفرحون ويسرون (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا

وجوههم وأدبارهم) في محل نصب على الحال من فاعل توفتهم أو من مفعوله أي ضاربين وجوههم وضاربين أدبارهم وفي الكلام تخويف وتشديد والمعنى انه اذا تأخر عنهم العذاب فسيكون حالهم هذا وهو تصوير لتوفيهم على أقبح حال وأشنعه قيل لايتوفى أحد على معصية الا يضرب الملائكة في وجهه ودبره وقيل ذلك عند القتال نصرة من الملائكة لرسول الله وقيل ذلك يوم القيامة والاول أولى (ذلك) أي التوفي المذكور على الصفة المذكورة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) أي بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر والمعاصي وقيل كتمانهم ما في التوراة من نعت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى لما في الصيغة من العموم (وكرهوا رضوانه) أي ما يرضاه الله من الايمان والتوحيد والطاعة (فأحبط أعمالهم) بهذا السبب والمراد الاعمال التي صورتها صورة الطاعة والا فلا عمل لكافر أو ما كانوا قد عملوا قبل الردة من الخير (أم) أي بل أ (حسب الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين الذين فصلت أحوالهم الشنيعة ووصفوا بوصفهم السابق بكونه المدار في النعي عليهم بقوله (أن لن يخرج الله أضغانهم) والمعنى ان ذلك مما لا يكاد أن يدخل تحت الاحتمال والاخراج بمعنى الاظهار والاضغان جمع ضغن وهو ما يضمر من المكروه واختلف في معناه فقيل هو الغش وقيل الحسد وقيل الحقد قال الجوهري الضغن والضغينة الحقد قال قطرب هو في الآية العداوة وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدر قال ابن عباس أضغانهم أعمالهم خبثهم والحسد الذي في قلوبهم ثم دل الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد على المنافقين فكان يدعو باسم الرجل من أهل النفاق (ولو نشاء لأريناكهم) أي لأعلمناكهم وعرفناكهم بأعيانهم معرفة تقوم مقام الرؤية تقول العرب سأريك ما أصنع أي سأعلمك والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة (فلعرفتهم بسيماهم) أي بعلامتهم الخاصة بهم التي يتميزون بها قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيما فلعرفتهم بتلك العلامة قال أنس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم وتكرير اللام للمبالغة أو للتأكيد (ولتعرفنهم في لحن القول) قال المفسرون لحن القول فحواه ومقصده ومغزاه وما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين وكان بعد هذه الآية كلام منافق عنده الا عرفه قال أبو زيد لحنت له اللحن اذا قلت

ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يقول تبارك وتعالى بعدما ذكر عن المشركين ماذكر من المذمة لهم فى حبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أى ادع أنت الله وحده الذى خلق السموات والارض وفطرها أى جعلها على غير مثال سبق عالم الغيب والشهادة أى السر والعلانية أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أى فى دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم قال مسلم فى صحيحه (٢١) حدثنا عبد بن حميد ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضى الله عنها باى شئ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم وقال الامام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا سهيل عن أبى صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك فى هذه الدنيا أنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد الا قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة ان عبدى قد عهد الى عهدا فاوفوه اياه فيدخله الله الجنة قال سهيل فاخبرت القاسم بن عبد الرحمن ان عونا أخبر بكذا وكذا فقال مافينا جارية الا وهى تقول هذا فى خدرها انفرد به الامام أحمد وقال الامام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبد الله ان ابا عبد الرحمن حدثه قال أخرج لنا عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قرطاسا وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا نقول اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت

له قولا يفقهه عنك ويخفى على غيره وأصل اللحن امالة الكلام وصرفه الى نحو من الانحاء لغرض من الاغراض بازالة الاعراب أو التصحيف والاول محمود والثانى مذموم قال أبو سعيد الخدرى فى الآية لحن القول بغضهم على بن أبى طالب (والله يعلم أعمالكم) لا تخفى عليه منها خافية فيجازيكم بها وفيه وعيد شديد ووعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أى لنعاملنكم معاملة المختبر وذلك بان نامركم بالجهاد حتى نعلم علم ظهور من امتثل الامر بالجهاد وصبر على دينه ومشاق ما كلف به (ونبلوا أخباركم) أى نظهرها ونكشفها امتحانا لكم ليظهر للناس من أطاع الله فيما أمره ومن عصى ولم يمتثل قرئ بالياء والنون فى الافعال الثلاثة وعن الفضيل رحمه الله انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) المراد بهؤلاء هم المنافقون وقيل أهل الكتاب وقيل هم المطعمون يوم بدر من المشركين وقيل نزلت فى قريظة والنضير ومعنى صدهم منعهم للناس عن الاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وشاقوا الرسول) أى عادوه وخالفوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) أى علموا انه صلى الله عليه وآله وسلم نبى من عند الله سبحانه وتعالى بما شاهدوا من المعجزات الواضحة والحجج القاطعة (لن يضروا الله) ورسوله (شيأ) بتركهم الايمان واصرارهم على الكفر وما ضروا الا أنفسهم (وسيحبط أعمالهم) أى يبطلها والمراد بهذه الاعمال ما صورته صورة أعمال الخير كاطعام الطعام وصلة الارحام وسائر ما كانوا يفعلونه من الخير وان كانت باطلة من الاصل لان الكفر مانع وقيل المراد بالاعمال المكايد التى نصبوها لابطال دين الله والغوائل التى كانوا يبغونها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أمر سبحانه عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما أمرتم به من الشرائع المذكورة فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم نهاهم عن ان يبطلوا أعمالهم كما أبطلت الكفار أعمالهم بالاصرار على الكفر فقال (ولا تبطلوا أعمالكم) قال الحسن أى لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصى وقال الزهرى بالكبائر وهو الاولى وقال الكلبى وابن جريج بالرياء والسمعة وقال مقاتل بالمن وقال عطاء بالنفاق

رب كل شيء واله كل شيء أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك والملائكة يشهدون أعوذ بك من الشيطان وشركه وأعوذ بك أن أقترف على نفسي اثما أو أجره الى مسلم قال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وان يقول ذلك حين يريد أن ينام تفرد به أحمد أيضا وقال أحمد أيضا حدثنا خلف بن الوليد ثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الالهاني عن أبي راشد الحبراني قال أتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٢) فألقى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت فيها فاذا فيها ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله علمني ما أقول اذا أصبحت واذا أمسيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة لا اله الا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسي سوأ أو أجره الى مسلم ورواه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن اسمعيل بن عياش به وقال حسن غريب من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا هاشم ثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال قال أبو بكر الصديق أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعي من الليل اللهم فاطر السموات والارض الخ وقوله عز وجل ولو أن للذين ظلموا وهم المشركون ما في الارض جميعا ومثله معه أي ولو أن جميع ما في الارض وضعفه معه لافتدوا به من سوء العذاب أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الارض ذهبا كما قال في الآية الاخرى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزؤن به في الدار الدنيا (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يقول تبارك وتعالى مخبرا عن الانسان انه في حال الضراء يتضرع الى الله عز وجل وينيب اليه ويدعوه واذا خوله نعمة

والشرك قلت والظاهر النهي عن كل سبب من الاسباب التي توصل الى بطلان الاعمال كائنا ما كان من غير تخصيص بنوع معين عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت هذه الآية فخافوا ان يبطل الذنب العمل وفي لفظ فخافوا الكبائر ان تحبط أعمالهم وعن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم نرى انه ليس شيء من الحسنات الا مقبول حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا قد هلك حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا أحدا أصاب منها شيأ خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجوناه واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه وبه قال أبو حنيفة رحمه الله وقال الشافعي بخلافه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فأكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وليس في هذه الآية دليل كما ظنه الزمخشري على احباط الطاعات بالكبائر على ما زعمت المعتزلة والخوارج فجمهورهم على أن كبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات حتى ان من عبد الله طول عمره ثم شرب جرعة خمر فهو كمن لم يعبده قط ثم بين سبحانه أنه لا يغفر للمصرين على الكفر والصد عن سبيل الله فقال (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) فقيد سبحانه عدم المغفرة بالموت على الكفر لان باب التوبة وطريق المغفرة لا يغلقان على من كان حيا وظاهر الآية العموم وان كان السبب خاصا نزلت في أصحاب القليب قاله المحلي لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن والضعف فقال (فلا تهنوا) أي فلا تضعفوا عن القتال والوهن الضعف والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحكم عام لجميع المسلمين

(وتدعوا

منه بغى وطغى وقال انما أوتيته على علم أى لما يعلم الله تعالى من استحقاقى له ولولا أنى عند الله خصيص لما خولنى هذا قال قتادة على علم عندى على خير عندى قال الله عز وجل بل هى فتنة أى ليس الامر كما زعم بل انما انعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصى مع علمنا المتقدم بذلك فهى فتنة أى اختبار ولكن أكثرهم لا يعلمون فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون قد قالها الذين من قبلهم أى قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الامم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أى فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا (٢٣) يكسبون فاصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء أى من المخاطبين سيصيبهم سيآت ما كسبوا أى كما أصاب أولئك وما هم بمعجزين كما قال تبارك وتعالى مخبرا عن قارون انه قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندى أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وقال تعالى وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين وقوله تبارك وتعالى أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون أى لعبرا وحججا (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم الى التوبة والانابة واخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وان كانت مهما كانت وان كثرت وكانت مثل زبد البحر ولا يصح حمل هذه على غير توبة لان الشرك لا يغفر لمن لم

(ولا تدعوا الى السلم) أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح ابتداء منكم فان ذلك لا يكون الا عند الضعف قال الزجاج منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا وقرئ تدعوا من ادعى القوم وتداعوا والسلم بفتح السين وكسرها سبعيتان قال قتادة معنى الآية لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها واختلف أهل العلم فى هذه الآية هل هى محكمة أو منسوخة فقيل انها محكمة وانها ناسخة لقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقيل منسوخة بهذه الآية ولا يخفاك أنه لا مقتضى للقول بالنسخ فان الله سبحانه نهى المسلمين فى هذه الآية عن ان يدعوا الى السلم ابتداء ولم ينه عن قبول السلم اذا جنح اليه المشركون فالآيتان محكمتان ولم يتواردا على محل واحد حتى يحتاج الى دعوى النسخ أو التخصيص بل نزلتا فى وقتين مختلفى الاحوال وجملة (وأنتم الاعلون) حالية أو مستأنفة مقررة لما قبلها من النهى أى وأنتم القاهرون الغالبون بالسيف والحجة قال الكلبى أى آخر الامر لكم وان غلبوكم فى بعض الاوقات (والله معكم) بالنصر والمعونة عليهم (ولن يتركم أعمالكم) أى لن ينقصكم شيأ من ثواب أعمالكم يقال وتره يتره وترا اذا أنقصه حقه وأصله من وترت الرجل اذا قتلت له قريبا أو نهبت له مالا ويقال فلان مأتور اذا قتل له قتيل ولم يؤخذ بدمه قال الجوهرى أى لن ينقصكم فى أعمالكم كما تقول دخلت البيت وأنت تريد فى البيت قال الفراء هو مشتق من الوتر وهو الدخل وقيل مشتق من الوتر وهو الفرد فكان المعنى ولن يفردكم بغير ثواب قال ابن عباس يتركم يظلمكم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أى باطل وغرور لا أصل لشئ منها ولا ثبات له ولا اعتداد به تنقطع فى أسرع مدة فكيف تمنعكم عن طلب الآخرة واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله المهمة فهو اللعب وان أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا) بالله (وتتقوا) الكفر والمعاصى (يؤتكم أجوركم) أى جزاء ذلك فى الآخرة والاجر الثواب على الطاعة (ولا يسألكم أموالكم) أى لا يأمركم باخراجها جميعها فى الزكاة وسائر وجوه الطاعات بل أمركم باخراج القليل منها غيضا من فيض أى ربع العشر وهو الزكاة وبه قال ابن عيينة وغيره وقيل المعنى ولا يسألكم أموالكم انما يسألكم أموال الله لانه أملك لها وهو المنعم عليكم

يثبت منه قال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم قال يعلى ان سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما به والمراد من الآية الاولى قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية وقال الامام احمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا ابو قبيل قال سمعت ابا عبد الرحمن المزني يقول سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى آخر الآية فقال رجل يا رسول الله فمن اشرك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ومن اشرك ثلاث مرات تفرد به الامام احمد وقال الامام احمد أيضا حدثنا شريح بن النعمان ثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحداني عن مكحول عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ كبير يدعم على عصا له فقال يا رسول الله ان لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي فقال صلى الله عليه وسلم ألست تشهد ان لا اله الا الله قال بلى وأشهد انك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم قد غفر لك غدراتك وفجراتك تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ انه عمل غير صالح وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم ورواه ابو داود والترمذي من حديث ثابت به فهذه الاحاديث كلها دالة على ان المراد انه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وان عظمت ذنوبه وكثرت فان باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى ألم يعلموا ان الله هو

باعطائها وقيل لا يسألكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أموالكم أجرا على تبليغ الرسالة كما في قوله ما أسألكم عليه من أجر والاول أولى (ان يسألكموها) أي أموالكم كلها (فيحفكم) أي يبالغ في طلبها قال المفسرون يجهدكم ويلحف عليكم بمسئلة جميعها يقال أحفى بالمسئلة وألحف وألح بمعنى واحد والمحفي المستقصي في السؤال والاحفاء الاستقصاء في الكلام ومنه احفاء الشارب أي استئصاله وجواب الشرط قوله (تبخلوا) أي ان يأمركم باخراج جميع أموالكم تبخلوا بها وتمتنعوا من الامتثال (ويخرج أضغانكم) الاضغان الاحقاد والمعنى انها تظهر عند ذلك قال قتادة قد علم الله ان في سؤال المال خروج الاضغان لان الاسلام من حيث محبة المال بالجبلة والطبيعة ومن نوزع في حبيبه ظهرت طويته التي كان يسرها (ها أنتم) يا المخاطبون (هؤلاء) الموصوفون وجملة (تدعون) مستأنفة مقررة ومؤكدة لما قبلها لاتحاد محصل معناهما (لتنفقوا في سبيل الله) أي في الجهاد وفي طرق الخير (فمنكم من يبخل) بما يطلب منه ويدعى اليه من الانفاق في سبيل الله واذا كان منكم من يبخل باليسير من المال فكيف لا يبخلون بالكثير وهو جميع الاموال ومقابله ومنكم من يجود وحذف لان المراد الاستدلال على البخل ثم بين سبحانه ان ضرر البخل عائد على النفس فقال (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) أي عنها الاجر والثواب وبخل وضن يتعديان تارة بعلى وبعن أخرى لتضمنهما معنى الامساك والتعدي قال السمين والاجود أن يكونا حال تعديهما بعن مضمنين معنى الامساك وقيل المعنى يبخل عن داعي نفسه لا عن داعي ربه (والله الغني) المطلق المتنزه عن الحاجة الى أموالكم (وأنتم الفقراء) الى الله والى ما عنده من الخير والرحمة (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم) معطوف على الشرطية المتقدمة وهي وان تؤمنوا والمعنى ان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما آخرين يكونوا مكانكم هم أطوع لله منكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قالوا من هؤلاء وسلمان الى جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال هم الفرس هذا وقومه وفي اسناده مسلم الزنجي قد تفرد به وفيه مقال معروف ولهذا الحديث طرق في الصحيح وعن أبي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا

امثالنا

هو يقبل التوبة عن عباده وقال عز وجل ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال جل وعلا في حق المنافقين ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا وقال جل جلاله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ثم قال جلت عظمته أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وقال تبارك وتعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا قال الحسن البصري رحمة الله عليه انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو (٢٥) يدعوهم الى التوبة والمغفرة والآيات في هذا كثيرة جدا وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم ندم وسأل عابدا من عباد بني اسرائيل هل له من توبة فقال لا فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالما من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ثم أمره بالذهاب الى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فامر الله عز وجل أن يقيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أقرب فهو منها فوجدوه اقرب الى الارض التي هاجر اليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة وذكر أنه نأى بصدره عند الموت وان الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة ان تقترب وأمر تلك البلدة أن تتباعد هذا معنى الحديث وقد كتبناه في موضع آخر

(٤ فتح - البيان تاسع)

بلفظه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى الى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم ان المسيح هو ابن الله ومن زعم ان عزيرا ابن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم ان الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعا الى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال أنا ربكم الاعلى وقال ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله تعالى عليه وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيد بن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول ان أعظم آية في كتاب الله الله لا اله الا هو الحي القيوم وان أجمع آية في القرآن بخير وشر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وان أكثر آية في القرآن فرحا في سورة الغرف قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان أشد آية في كتاب الله تصريفا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقال

أمثالنا فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجل من فارس أخرجه الترمذي وابن مردويه من حديث جابر والطبراني في الاوسط والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد وعبد الرزاق وفي اسناده أيضا مسلم بن خالد الزنجي نحوه وقال عكرمة هم فارس والروم وقال الحسن هم العجم وقال شريح بن عبيد هم أهل اليمن وقيل الانصار وقيل الملائكة وقيل التابعون وقال مجاهد هم من شاء الله من سائر الناس وقال الكلبي هم كندة والنخعي من عرب اليمن وقال المحاسبي فلا أحد بعد من جميع أجناس الاعاجم أحسن دينا ولا كانت منهم العلماء الا الفرس وحكي عن أبي موسى الاشعري انه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب الي من الدنيا والله أعلم ولينظر في سنده (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن الايمان والتقوى بل مطيعين له عز وجل قال ابن جرير في البخل بالانفاق في سبيل الله وكلمة ثم للدلالة على ان مدخولها مما يستبعده المخاطبون لتقارب الناس في الاحوال واشتراكهم في الميل الى المال

(سورة الفتح هي تسع وعشرون آية وهي مدنية)

قال القرطبي بالاجماع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن المسور بن مخرمة ومروان قالا نزلت بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها الى آخرها وهذا لا ينافي الاجماع على كونها مدنية لأن المراد بالسور المدنية النازلة بعد الهجرة من مكة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن مغفل قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها وفي الصحيحين عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم

لمسروق صدقت وقال الاعمش عن أبي سعيد عن ابى الكنود قال مر عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يامذكر لم تقنط الناس ثم قرأ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله رواه ابن أبي حاتم رحمه الله * ذكر أحاديث فيها نفى القنوط قال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان ثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدى حدثنى حسن السدوسى قال دخلت على أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفسى بيده لو أخطأتم حتى (٢٦) تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم والذى نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم تخطئوا لجاء الله تعالى عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنى الليث حدثنى محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبي صرمة عن أبي أيوب الانصارى رضى الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولا انكم تذنبون لخلق الله تعالى عز وجل قوما يذنبون فيغفر لهم هكذا رواه الامام أحمد وأخرجه مسلم فى صحيحه والترمذى جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد به ورواه مسلم من وجه آخر عن محمد بن كعب القرظى عن أبي صرمة وهو الانصارى صحابى عن أبي أيوب رضى الله تعالى عنه مابه وقال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك الحرانى ثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكرى قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم تفرد به أحمد وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنى عبد الاعلى بن حماد القرشى ثنا داود بن عبد الرحمن ثنا أبو عبد الله مسلمة الرازى عن أبي عمرو البجلى عن عبد الملك بن سفيان الثقفى عن أبي جعفر محمد ابن على عن محمد بن الحنفية عن أبيه على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب العبد المفتن التواب ولم يخرجوه من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن اسمعيل ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن عبيد الله بن عبيد بن عمير قال ان ابليس لعنه الله تعالى قال يارب انك أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وانى لا أستطيعه الا بسلطانك

يجيبه فقال عمر بن الخطاب هلكت أم عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك فقال عمر فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فى قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت أن يكون قد نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزلت على سورة لهى أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا وفى صحيح مسلم عن قتادة ان أنس بن مالك حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحروا الهدى بالحديبية فقال لقد أنزلت على آية هى أحب الى من الدنيا جميعها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده قيل المراد الحكم والقضاء كما فى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فكأنه قال انا قضينا وحكمنا لك فتحا ظاهرا واضحا مكشوفا بغير قتال ولا تعب والفتح الظفر بالبلدة عنوة أو صلحا بحرب أو غير حرب وبخراج أو بدونه لانه مغلق مالم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح مأخوذ من فتح باب الدار وجىء به بلفظ الماضى لان عادة الله فى تحققها بمنزلة الكائنة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى واسناده الى نون العظمة لاستناد أفعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا واختلف فى تعيين هذا الفتح فقال الاكثر على ما فى البخارى هو صلح الحديبية والصلح قد يسمى فتحا قال الفراء والفتح قد يكون صلحا وقال قوم انه فتح مكة وقال آخرون انه فتح خيبر والاول ارجح ويؤيده ماذكرناه قبل هذا من أن السورة نزلت فى شأن الحديبية وقيل هو جميع مافتح الله لرسوله من الفتوح وقيل هو ما فتح له من النبوة والدعوة الى الاسلام وقيل فتح الروم ومعنى الفتح فى اللغة فتح المنغلق والصلح الذى كان مع المشركين بالحديبية كان منسدودا متعذرا حتى فتحه الله قال الزهرى لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام فى قلوبهم وأسلم فى ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام

قال فانك مسلط قال يارب زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثله قال يارب زدني قال اجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم قال يارب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فقال آدم عليه الصلاة والسلام يارب قد سلطته علي واني لا أمتنع الا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنة عشرا وأزيدها والسيئة واحدة وأمحوها قال يارب زدني قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يارب زدني قال ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم (٢٧) لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال محمد ابن اسحق قال نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة عرفوا الله ثم رجعوا الى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لانفسهم قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انزل الله تعالى فيهم وفي قولنا لهم ولانفسنا ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر رضي الله تعالى عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها الى هشام بن العاص رضي الله عنه قال فقال هشام لما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوت ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عز وجل في قلبي انها انما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا قال فرجعت الى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم استحث تبارك وتعالى عباده الى المسارعة الى التوبة فقال وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له الخ أي ارجعوا الى الله واستسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وهو القرآن العظيم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والانابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل

الاسلام قال الشعبي لقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية ما لم يصب في غزوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وعن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها حتى بلغنا كراع الغميم اذا الناس يوجفون الاباعر فقال الناس بعضهم لبعض ما للناس فقالوا أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس نوجف فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس اليه فقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل أي رسول الله أوفتح هو فقال اي والذي نفس محمد بيده انه لفتح فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد الا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية عشر سهما وكان الجيش ألفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وغيرهم وعن ابن مسعود قال أقبلنا من الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينا نحن نسير اذ أتاه الوحي وكان اذا أتاه اشتد عليه فسري عنه وبه من السرور ما شاء الله فأخبرنا انه أنزل عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والنسائي وغيرهم وعن أنس في الآية قال الحديبية أخرجه البخاري وغيره وعن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية أخرجه البخاري وغيره وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا فتحنا الخ فتح مكة أخرجه ابن مردويه وعن أنس نحوه ومذهب أبي حنيفة ان مكة فتحت عنوة ومذهب الشافعي أنها فتحت صلحا وفي البويطي ان أسفلها فتحه خالد عنوة وأعلاها فتحه الزبير صلحا ودخل صلى الله عليه وآله وسلم من جهته فصار الحكم له وبهذا تجتمع الاخبار التي ظاهرها التعارض (ليغفر لك الله) اللام هي لام العلة قال ابن الانباري سألت أبا العباس يعني المبرد عن اللام هذه فقال هي لام كي معناها انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح فلما انضم

وقوله تبارك وتعالى وان كنت لمن الساخرين أي انما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين أي تود لو أعيدت الى الدنيا لتحسن العمل قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال تعالى ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول (٢٨) حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين فأخبر الله عز وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقد قال الامام أحمد حدثنا أسود ثنا أبو بكر عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل اهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا ان الله هداني قال فيكون له الشكر ورواه النسائي من حديث أبي بكر بن عياش به ولما تمنى أهل الجرائم العود الى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله قال الله سبحانه وتعالى بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين أي قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) يخبر تعالى عن يوم القيامة انه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة قال تعالى ههنا ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله أي في دعواهم له شريكا وولدا وجوههم مسودة أي بكذبهم وافترائهم وقوله تعالى أليس في جهنم مثوى للمتكبرين أي أليست جهنم كافية لهم سجنا وموئلا لهم فيها الخزي والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم وابائهم عن الانقياد للحق قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب ثنا عمي ثنا عيسى بن أبي عيسى الخياط عن عمرو بن

الى المغفرة شيء حادث واقع حسن معنى كي وغلط من قال ليس الفتح سبب المغفرة وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكنه علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض الآجل والعاجل قال ابن عادل وغيره وهذا كلام غير جيد مخالف لظاهر الآية فان اللام داخلة على المغفرة فهي علة للفتح والفتح معلل بها وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه المحلي كما يأتي وقال الرازي في توجيه التعليل ان المراد بقوله ليغفر لك الله التعريف بالمغفرة تقديره انا فتحنا لك لتعرف انك مغفور لك معصوم فان الناس علموا بعد عام الفيل ان مكة لا يأخذها عدو الله وانما يأخذها حبيب الله وقال ابن عطية المراد أن الله فتح لك لكي يجعل الفتح علامة لغفرانه لك فكأنها لام الصيرورة وقال أبو حاتم هي لام القسم والأصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي وحذفت النون وهو خطأ فان لام القسم لا تكسر ولا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد يقال ان هذا ليس بنصب وانما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكن هذا قول مردود وقال البيضاوي اللام علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال الجلال المحلي اللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب واختلف في معنى قوله (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فقيل ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر بعدها قاله مجاهد وسفيان الثوري وابن جرير والواحدي وغيرهم وقال عطاء ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء وما تأخر من ذنوب أمتك وما أبعد هذا عن معنى القرآن وقيل ما تقدم من ذنب أبيك ابراهيم وما تأخر من ذنوب النبيين من بعده وهذا كالذي قبله وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تأخر من ذنب يوم حنين وهذا كالقولين الاولين في البعد وقيل لو كان ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك وقيل غير ذلك مما لا وجه له والاول أولى ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة ترك ما هو الاولى وسمي ذنبا في حقه لجلالة قدره وان لم يكن ذنبا في حق غيره فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن المغيرة بن شعبة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أليس قد غفر لك

شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا من النار في واد يقال له بولس من نار الانيار و يسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال وقوله تبارك وتعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله لا يمسهم السوء أي يوم القيامة ولا هم يحزنون أي ولا يحزنهم الفزع الاكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزحون عن كل شر نائلون كل خير (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات (٢٩) والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) يخبر تعالى انه خالق الاشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته وقوله عز وجل له مقاليد السموات والارض قال مجاهد المقاليد هي المفاتيح بالفارسية وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة وقال السدي له مقاليد السموات والارض أي خزائن السموات والارض والمعنى على كلا القولين ان أزمة الامور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا والذين كفروا بآيات الله أي حججه وبراهينه أولئك هم الخاسرون وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي صحته نظر ولكن نحن نذكره كما ذكره فانه قال حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر ثنا يحيى بن حماد ثنا الاغلب بن تميم عن مخلد بن هذيل العبدي عن عبد الرحمن المدني عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضي الله عنهم انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال ما سألني عنها أحد قبلك يا عثمان قال صلى الله عليه وسلم تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا قوة الا بالله الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها يا عثمان اذا أصبح عشر مرار أعطي خصالا ستا أما أولاهن فيحرس من ابليس وجنوده وأما الثانية فيعطى قنطارا من الاجر وأما الثالثة فترفع له درجة في الجنة وأما الرابعة فيزوج من الحور العين وأما الخامسة

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وفي الباب أحاديث (ويتم نعمته عليك) باظهار دينك على الدين كله وقيل بالجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر والاولى أن يكون المعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام (ويهديك) به (صراطا) طريقا (مستقيما) أي يثبتك عليه وهو دين الاسلام وقيل على الهدى الى ان يقبضك اليه وقال البيضاوي في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة فالهداية على حقيقتها فلا حاجة الى ما قيل من أن المراد زيادة الاهتداء أو الثبات عليه (وينصرك الله نصرا عزيزا) أي غالبا قويا ذا عز بالغا لا يتبعه ذل (هو الذي أنزل السكينة) أي السكون والطمأنينة والوقار (في قلوب المؤمنين) وهم أهل الحديبية بما يسره لهم من الفتح لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس السكينة هي الرحمة قيل كل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أي ليزدادوا بسبب تلك السكينة ايمانا منضما الى ايمانهم الحاصل لهم من قبل قال ابن مسعود تصديقا مع تصديقهم وقال الكلبي كلما نزلت آية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الربيع بن أنس خشية مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم قال ابن عباس في الآية ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة فلما صدقوا بها زادهم الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكاة فلما صدقوا بها زادهم الحج فلما صدقوا به زادهم الجهاد ثم أكمل لهم دينهم فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنه أيضا قال فأوثق ايمان أهل السماء وأهل الارض وأصدقه وأكمله شهادة أن لا اله الا الله (ولله جنود السموات والارض) يعني الملائكة والانس والجن والشياطين يدبر أمرهم كيف يشاء ويسلط بعضهم على بعض ويحفظ بعضهم ببعض (وكان الله عليما) كثير العلم بخلقه بليغه (حكيما) في صنعه وأقواله وأفعاله (ليدخل) أي أمر بالجهاد ليدخل (المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) وقيل هذه اللام متعلقة بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخير من أهله والشر ممن قضى له به

فيحضره اثنا عشر ملكا وأما السادسة فيعطى من الاجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل والزبور وله مع هذا اثنا عشر من الاجر كمن حج وتقبلت حجته واعتمر فتقبلت عمرته فان مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء» رواه أبو يعلى الموصلى من حديث يحيى ابن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله أعلم وقوله تبارك وتعالى قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ذكروا فى سبب نزولها ما رواه ابن أبى حاتم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه الهه (٣٠) فنزلت قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وهذه كقوله تعالى ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله عزوجل بل الله فاعبد وكن من الشاكرين أى اخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تبارك وتعالى وما قدروا الله حق قدره أى ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا أعظم منه القادر على كل شئ المالك لكل شئ وكل شئ تحت قهره وقدرته قال مجاهد نزلت فى قريش وقال السدى ما عظموه حق تعظيمه وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وما قدروا الله حق قدره هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف وهو او امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف قال البخارى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره حدثنا آدم ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انا نجد أن الله عزوجل يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله

ليدخل و يعذب وقيل متعلقة بقوله انا فتحنا لك ليدخل و يعذب وهذا لا يصح وقيل متعلقة بينصرك أى نصرك الله بالمؤمنين ليدخل و يعذب وقيل متعلقة بيزدادوا وهذا لا يصح أيضا فالاول أولى (ويكفر عنهم سيآتهم) أى يغطيها ولا يظهرها ولا يعذبهم بها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى والمقصد الاسنى (وكان ذلك) أى المذكور من الادخال والتكفير (عند الله) أى فى علمه وقضائه وحكمه (فوزا عظيما) أى ظفرا بكل مطلوب ونجاة من كل غم وجلبا لكل نفع ودفعا لكل ضر والظرف متعلق بمحذوف على انه حال من فوزا لانه صفة له فى الاصل فلما قدم صار حالا أى كائنا من عند الله والجملة اعتراض مقرر لما قبله بين المعطوف وهو يعذب والمعطوف عليه وهو يدخل أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليغفر لك الله الآية مرجعه من الحديبية قال لقد أنزلت على آية هى أحب الى مما على الارض ثم قرأها عليهم فقالوا هنيأ مريأ يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين حتى بلغ فوزا عظيما ثم لما فرغ الله سبحانه مما وعد به صالحى عباده ذكر ما يستحقه غيرهم فقال (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) معطوف على يدخل أى يعذبهم فى الدنيا بايصال الهموم والغموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وما يشاهدونه من ظهور الاسلام وقهر المخالفين له وبان يسلط النبى صلى الله عليه وسلم عليهم قتلا وأسرا واسترقاقا فى الدنيا وفى الآخرة بعذاب جهنم وقدم المنافقين على المشركين لانهم كانوا أشد على المؤمنين ضررا من الكفار المجاهرين لان المؤمن كان يتوقى المجاهر ويخالط المنافق لظنه ايمانه وكان يفشى اليه سره وفيه دلالة على انهم أشد منهم عذابا وأحق منهم بما وعدهم الله به ثم وصف الفريقين فقال (الظانين بالله ظن السوء) وهو ظنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم يغلب وأن كلمة الكفر تعلو كلمة الاسلام ومما ظنوه ما حكاه الله عنهم بقوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا والسوء صفة لموصوف محذوف أى ظن الامر السوء (عليهم دائرة السوء) أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم حائق بهم الدائرة مصدر بزنة اسم الفاعل

عليه وسلم وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة الآية ورواه البخارى أيضا فى غير هذا الموضع من صحيحه والامام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضى الله عنه بنحوه وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك ان الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء (٣١) والثرى على اصبع قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وانزل الله عز وجل وماقدروا الله حق قدره الى آخر الآية وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طرق عن الاعمش به وقال الامام أحمد حدثنا حسين ابن حسن الاشقر ثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبى الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير باصابعه قال فانزل الله عز وجل وماقدروا الله حق قدره الآية وكذا رواه الترمذى فى التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن محمد بن الصلت عن أبى جعفر عن أبى كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لانعرفه الا من هذا الوجه ثم قال البخارى حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث ثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن ابى سلمة بن عبد الرحمن ان أباهريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله تعالى الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الارضين على اصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة انا اسحق ابن عبد الله بن أبى طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات

أو اسم فاعل من دار يدور سمى به عاقبة الزمان أى حادثته وهى فى الاصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيط بمن وقعت عليه الا ان أكثر استعمالها فى المكروه والسوء بالضم معناه العذاب والهزيمة والشر وبالفتح معناه الذم وقد قرئ بهما وهما لغتان وفى الاصل مصدران وهذا اخبار عن وقوع السوء بهم أو دعاء عليهم والاضافة من باب اضافة العام للخاص فهى للبيان وقال سيبويه السوء هنا الفساد ولما بين الله سبحانه ان دائرة السوء عليهم فى الدنيا بين ما يستحقونه مع ذلك من الغضب واللعنة وعذاب جهنم فقال (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) أى مرجعا (ولله جنود السموات والارض) من الملائكة والانس والجن والشياطين والصيحة والرجفة والحجارة والزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكرر هذه الآية لقصد التأكيد أو المراد جنود العذاب كما يفيده التعبير بالعزة هنا مكان العلم هنالك أو التهديد بانهم فى قبضة قدرة المنتقم فلا تكرار (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما) فيما دبره أى لم يزل متصفا بذلك (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك بتبليغ الرسالة اليهم (ومبشرا) بالجنة للمطيعين (ونذيرا) لاهل المعصية من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية فعلى الاولى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته وعلى الثانية المراد المبشرون والمنذرون وهما سبعيتان وفيه امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على أعمال أمته (وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) أى غدوة وعشية والخلاف بين القراء فى هذه الافعال الثلاثة كالخلاف فى لتؤمنوا كما سلف ومعنى تعزروه تعظموه أو تفخموه قاله الحسن والتعزير التوقير والتعظيم وقال قتادة تنصروه وتمنعوا منه وقال عكرمة تقاتلوا معه بالسيف وقال ابن عباس يعنى الاجلال وعنه قال تضربوا بين يديه بالسيف وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وتعزروه قال لأصحابه ماذاك قالوا الله ورسوله أعلم قال لتنصروه رواه ابن عدى وابن مردويه والخطيب وابن عساكر فى تاريخه ومعنى توقروه تعظموه وقال السدى تسودوه وقال ابن عباس يعنى التعظيم

يوم على المنبر وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به .وقد رواه مسلم والنسائى وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما به نحوه ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم فى هذا الحديث انه نظر الى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كيف يحكى النبى صلى الله عليه وسلم قال يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضيه (٣٢) بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى انى لاقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا ابو على الحنفى ثنا عباد المنقرى حدثنى محمد بن المنكدر قال ثنا عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر وماقدروا الله حق قدره حتى بلغ سبحانه وتعالى عما يشركون فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ورواه الامام الحافظ أبو القاسم الطبرانى من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وقال صحيح وقال الطبرانى فى المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبى ثنا حسان بن نافع ابن صخر عن جويرية ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكير بن خنيس عن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه رضى الله عنهم انى قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة فقرأها صلى الله عليه وسلم من عند وماقدروا الله حق قدره الى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يارسول الله لقد جهدنا ان نبكى فلم نبك فقال صلى الله عليه وسلم انى سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتباك هذا حديث غريب جدا وأغرب منه مارواه فى المعجم الكبير أيضا حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثنى أبي حدثنى ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادى لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبدا لو كشفت غطائى فرآنى حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقى اذا أتيتهم وقبضت السموات بيدى ثم قبضت الارضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذى له الملك دونى فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملونى وقد بينته لهم وهذا اسناد متقارب وهى نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم

قيل والضميران فى الفعلين للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهنا وقف تام ثم يبتدئ وتسبحوه أى تسبحوا الله عز وجل وهو من التسبيح الذى هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهى الصلاة وقيل الضمائر كلها فى الافعال الثلاثة لله عز وجل فيكون المعنى تثبتون له التوحيد وتنفون عنه الشركاء وقيل تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله وزاد الزمخشرى ومن فرق الضمائر فقد أبعد ومثله فى المدارك قال الحفناوى وهذا أظهر لتكون الضمائر على وتيرة واحدة (ان الذين يبايعونك) أصل البيعة العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له وهى بيعة الرضوان بالحديبية فانهم بايعوه تحت الشجرة على قتال قريش فبايعه جماعة على الموت منهم سلمة بن الاكوع وبايعه جماعة على ان لا يفروا منهم معقل بن يسار والحديبية قرية ليست كبيرة بينهما وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء فى الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز فى الحديبية التخفيف والتشديد والاول أفصح وعامة المحدثين يشددونها (انما يبايعون الله) أخبر سبحانه ان هذه البيعة لرسوله صلى الله عليه وسلم هى بيعة له كما قال ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وذلك لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة وجملة (يد الله فوق أيديهم) مستأنفة لتقرير ماقبلها على طريق التخييل أو فى محل نصب على الحال وفى هذا التركيب استعارة تصريحية تبعية فى الفعل ومكنية فى الاسم الكريم وتخييلية فى اثبات اليد له وفيه مشاكلة فى مقابلة يده بايديهم والمعنى ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله سبحانه من غير تفاوت بينهما قاله الزمخشرى والكرخى وقيل يد الله بالوفاء

لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) يقول تبارك وتعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الاحياء من أهل السموات والارض الا من شاء الله كما جاء مصرحا به مفسرا في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرا بالديمومة والبقاء ويقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول لله الواحد القهار أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء وحكمت بالفناء على كل شيء ثم يحيي أول من يحيي اسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون أي أحياء بعدما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون الى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقال عز وجل يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقال جل وعلا ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون قال الامام أحمد ثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انك تقول الساعة تقوم الى كذا وكذا قال لقد هممت أن لا أحدثكم شيأ انما قلت سترون بعد قليل أمرا عظيما ثم قال عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكث فيهم أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته حتى أن لو كان أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قال فيتمثل لهم

بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم في المبايعة قال الرازي وذلك يحتمل وجوها لان اليد في الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق أجسامهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ انتهى قلت وهذا هو مذهب أهل التأويل والكلام ومذهب السلف في هذه الآية وامثالها السكوت عن التأويل وامرار آيات الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم المتعلقة بالصفات كما جاءت مع الايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا صرف عن الظاهر ولا تأويل وهو الحق (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أي فمن نقض ما عقد من البيعة فانما ينقض على نفسه لان ضرر ذلك راجع اليه لا يجاوزه الى غيره عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم وعلى أن ننصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه نفوسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فمن وفى وفى الله له ومن نكث فانما ينكث على نفسه أخرجه أحمد وابن مردويه وفي الصحيحين من حديث جابر انهم كانوا في بيعة الرضوان خمس عشرة مائة وفيهما عنه أنهم كانوا أربع عشرة مائة وفي البخاري من حديث قتادة عن سعيد بن المسيب أنه سأله كم كانوا في بيعة الرضوان قال خمس عشرة مائة فقال له ان جابرا قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله وهم هو حدثني انهم كانوا خمس عشرة مائة (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) أي ثبت على الوفاء بما عاهد الله عليه في البيعة لرسوله يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم قرأ الجمهور عليه بكسر الهاء وقرئ بضمها (فسيؤتيه) بالياء والنون سبعيتان (أجرا عظيما) وهو الجنة وهذه الآية فيها دلالة على مشروعية البيعة وقد صدرت منه صلى الله عليه وآله وسلم مبايعات كثيرة اشتملت عليها الاحاديث الواردة في الصحيحين وغيرهما من دواوين الاسلام

الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد الا صعق ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطرا كأنه الطل أو الظل شك نعمان فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال أيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسؤلون قال ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبا ويومئذ يكشف عن ساق انفرد باخراجه مسلم في صحيحه حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه وقال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الاعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال رضى الله تعالى عنه أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت ويبلى كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه فيه يركب الخلق وقال أبو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليمان حدثنا اسمعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سأل جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم قال هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة الى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا الى ربنا لننظر كيف يقضي بين سنة
خلقه يضحك اليهم الهي واذا ضحك الى عبد في موطن فلا حساب عليه رجاله كلهم ثقات الا شيخ اسمعيل بن عياش فانه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تبارك وتعالى وأشرقت الارض بنور ربها أي أضاءت يوم القيامة اذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء ووضع الكتاب قال قتادة كتاب الاعمال وجيء بالنبيين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يشهدون على الامم بأنهم بلغوهم رسالات الله اليهم والشهداء أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر وقضي بينهم بالحق أي بالعدل

وفيه أن الناس كانوا يبايعونه تارة على الهجرة والجهاد وتارة على اقامة أركان الاسلام وتارة على الثبات والقرار في معارك الكفار وتارة على هجر الفواحش والمنكرات وتارة على التمسك بالسنة والاجتناب عن البدعة والحرص على الطاعات كما بايع نسوة من الانصار على أن لا ينحن وبايع ناسا من فقراء المهاجرين على أن لا يسألوا الناس شيأ فكان احدهم يسقط سوطه فينزل عن فرسه فيأخذه ولا يسأل احدا رواه ابن ماجه في سننه وقد نطق به الكتاب العزيز كما في هذه الآية وفي قوله تعالى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الآية ومما لا شك فيه ولا شبهة انه اذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعل على سبيل العبادة والاهتمام بشأنه فانه لا ينزل عن كونه سنة في الدين بيد انه صلى الله عليه وآله وسلم كان خليفة الله في أرضه وعالما بما أنزله الله تعالى من القرآن والحكمة معلما للكتاب والسنة مزكيا للامة فما فعله على جهة الخلافة كان سنة للخلفاء وما فعله على جهة كونه معلما للكتاب والحكمة ومزكيا للامة كان سنة للعلماء الراسخين وهذا صحيح البخاري شاهد على انه صلى الله عليه وآله وسلم اشترط على جرير عند مبايعته والنصح لكل مسلم وانه بايع قوما من الانصار فاشترط ان لا يخافوا في الله لومة لائم ويقولوا بالحق حيث كانوا فكان أحدهم يجاهر الامراء والملوك لا يردوا الانكار الى غير ذلك وكل ذلك من باب التزكية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالبيعة على أقسام منها بيعة الخلافة ومنها بيعة الاسلام ومنها بيعة التمسك بحبل التقوى ومنها بيعة الهجرة والجهاد ومنها بيعة التوثق في الجهاد وكان بيعة الاسلام متروكة في زمن الخلفاء أما في زمن الراشدين منهم فلان دخول الناس في الاسلام في أيامهم كان غالبا بالقهر والسيف لا بالتأليف واظهار البرهان ولا طوعا ولا رغبة وأما في غيرهم فلانهم كانوا في الاكثر ظلمة فسقة لا يهتمون وكذلك بيعة التمسك بحبل التقوى كانت متروكة أما في زمن الخلفاء الراشدين فلكثرة الصحابة الذين استناروا بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتأدبوا في حضرته فكانوا لا يحتاجون الى بيعة الخلفاء وأما في زمن غيرهم فخوفا من افتراق الكلمة وان يظن بهم مبايعة الخلافة فتهيج الفتن ثم لما اندرس هذا في الخلفاء انتهز أكابر العلماء والمشايخ الفرصة وتمسكوا بسنة البيعة وان الذي اعتاده الصوفية رحمهم الله من مبايعة المتصوفين ففيه ما يقبل وما يرد ويظهر ذلك بعرضها على الكتاب والسنة فما وافقهما فهو السنة والصواب وما خالفهما فهو الخطأ والتباب وانما هذه البيعة

وهم لايظلمون قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال جل وعلا ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ولهذا قال عز وجل ووفيت كل نفس ما عملت أي من خير أو شر وهو أعلم بما يفعلون (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) (٢٥) يخبر تعالى عن حال الاشقياء الكفار كيف يساقون الى النار وانما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد كما قال عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا أي يدفعون اليها دفعا هذا وهم عطاش ظماء كما قال جل وعلا في الآية الاخرى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي منهم من يمشي على وجهه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا وقوله تبارك وتعالى حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها أي بمجرد وصولهم اليها فتحت لهم أبوابها سريعا لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الاخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل ألم يأتكم رسل منكم أي من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والاخذ عنهم يتلون عليكم آيات ربكم أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم اليه وينذرونكم لقاء يومكم هذا أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم فيقول الكفار لهم بلى أي قد جاؤنا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق الى الباطل كما قال عز وجل مخبرا عنهم في الآية الاخرى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أي رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير أي بعدا لهم وخسارا وقوله تبارك وتعالى ههنا قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي كل من رآهم وعلم حالهم يشهد

سنة وليست بواجبة لان الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقربوا بها الى الله تعالى ولم يدل دليل على تأثيم تاركها ولم ينكر أحد من الائمة على من تركها فكان كالاتفاق على أنها ليست بواجبة وشرط من يأخذ البيعة أمور أحدها علم الكتاب والسنة وانما شرطنا ذلك لان الغرض من البيعة أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وارشاده الى تحصيل السكينة الباطنة وازالة الرذائل واكتساب الحمائد متقيدا بظاهر القرآن الكريم والحديث الشريف ومن لم يكن عالما بهما وعاملا بموجبهما لا يتصور منه ذلك أبدا وقد اتفقت كلمة المشايخ على أن لا يتكلم على الناس الا من كتب الحديث وقرأ القرآن وثانيها العدالة والتقوى والصدق والضبط فيجب أن يكون مجتنبا عن الكبائر غير مصر على الصغائر ثالثها أن يكون زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة مواظبا على الطاعات المؤكدة والاذكار المأثورة في صحاح الاحاديث مواظبا على تعلق القلب بالله سبحانه رابعها أن يكون آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مستبدا برأيه لا امعة ليس له رأي ولا أمر ذا مروءة وعقل تام يعتمد عليه في كل ما يأمر به وينهى عنه قال تعالى ممن ترضون من الشهداء فما ظنك بصاحب البيعة خامسها أن يكون صحب العلماء بالكتاب والسنة وتأدب بهم دهرا طويلا وأخذ منهم العلم الظاهر والنور الباطن والسكينة وهذا لان سنة الله جرت بأن الرجل لا يفلح الا اذا رأى المفلحين ولا يشترط في ذلك ظهور الكرامات وخوارق العادات ولا ترك الاكتساب لان الاول ثمرة المجاهدات لا شرط الكمال والثاني مخالف للشرع المطهر ولا تغتر بما فعله المغلوبون في أحوالهم انما المأثور القناعة بالقليل والورع من الشبهات واذا تقرر لك هذا عرفت ما هو صاف مما هو كدر فاشدد يديك عليه ولا تلتفت الى غير ما ذكرنا وبالله التوفيق * ولما ذكر تعالى أهل بيعة الرضوان وأضافهم الى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الجناب وابطأ عن حضرة تلك العمرة بقوله (سيقول) أي بوعد لا خلف فيه (لك) لانهم يعلمون شدة رحمتك ورقتك وشفقتك على عباد الله فهم يطمعون في قبولك عذرهم الفاسد ما لا يطمعون فيه من غيرك من خاص المؤمنين (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفهم الله عن صحبة رسوله حين خرج عام الحديبية معتمرا قال مجاهد وغيره يعني أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة وقيل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عليهم بانهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول الى قائل معين بل أطلقه ليدل على ان الكون شاهد عليهم بانهم يستحقون ماهم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أى ما كثين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها فبئس مثوى المتكبرين أى فبئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم فى الدنيا وابائكم عن اتباع الحق فهو الذى صيركم الى ما أنتم فيه فبئس الحال وبئس المآل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) وهذا اخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا الى الجنة زمرا أى جماعة بعد جماعة المقربون ثم الابرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم الانبياء مع الانبياء والصديقون مع اشكالهم والشهداء مع اضرابهم والعلماء مع اقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا حتى اذا جاؤها أى وصلوا الى ابواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة وقد ورد فى حديث الصور أن المؤمنين اذا انتهوا الى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم فى الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم اجمعين كما فعلوا فى العرصات عند استشفاعهم الى الله عزوجل ان يأتى لفصل القضاء ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر فى المواطن كلها وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول شفيع فى الجنة وفى لفظ لمسلم أنا أول من يقرع باب الجنة وقال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد قال فيقول بك أمرت ان لا أفتح لاحد قبلك ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن ابى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسى عن ثابت عن أنس رضى الله عنه به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال

حين سافر الى مكة عام الفتح بعد أن كان قد استنفرهم ليخرجوا معه وخافوا أن يكون قتال وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه يعنون بأحد (شغلتنا اموالنا وأهلونا) أى منعنا من الخروج معك مالنا من الاموال والنساء والذرارى وليس لنا من يقوم بهم ويخلفنا عليهم وانا لو تركناهم لضاعوا (فاستغفر لنا) ليغفر الله لنا ما وقع منا من التخلف عنك لهذا السبب ولما كان طلب الاستغفار منهم ليس عن اعتقاد بل على طريقة الاستهزاء وكانت بواطنهم مخالفة لظواهرهم فضحهم الله بقوله (يقولون بألسنتهم) من طلب الاستغفار وماقبله (ماليس فى قلوبهم) فهم كاذبون فى اعتذارهم وفى طلب الاستغفار لهم وهذا هو صنيع المنافقين والجملة مستأنفة لبيان ما تنطوى عليه بواطنهم أو بدل من الجملة الاولى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيب عنهم فقال (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) أى فمن يمنعكم مما اراده الله بكم من خير وشر ونفع وضر والاستفهام بمعنى النفى أى لا أحد يقدر لاجلكم من مشيئته وقضائه فما فى النظم مجاز عن هذا ثم بين ذلك فقال (ان اراد بكم ضرا) أى انزال ما يضركم من ضياع الاموال وهلاك الاهل والقتل والهزيمة والعقوبة على التخلف قرأ الجمهور ضرا بفتح الضاد وهو مصدر ضررته ضرا وقرئ بضمها وهو اسم ما يضر وقيل هما لغتان وسميتان (أو اراد بكم نفعا) أى نصرا وغنيمة وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويجلب لهم النفع ثم أضرب سبحانه عن ذلك فقال (بل كان الله بما تعملون خبيرا) أى ان تخلفكم ليس لما زعمتم بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملونه من الاعمال التى من جملتها تخلفكم وقد علم ان تخلفكم لم يكن لذلك بل للشك والنفاق وما خطر لكم من الظنون الفاسدة الناشئة عن عدم الثقة بالله ولهذا قال (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا) وهذه الجملة مفسرة لما قبلها لما فيها من الابهام أى بل ظننتم ان العدو يستأصل المؤمنين بالمرة فلا يرجع منهم احد الى اهله لما فى قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة (وزين) قرأ الجمهور مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل وهو الشيطان (ذلك فى قلوبكم) فقبلتموه (وظننتم ظن السوء) هو ان الله سبحانه لا ينصر رسوله وهذا الظن اما هو الظن الاول

رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشية ورواه البخاري عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر باسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وازواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء وأخرجاه ايضا من حديث جرير وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون الفا تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل من الانصار فقال يارسول الله ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة أخرجاه وقد روى هذا الحديث في السبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة بن عرابة الجهني وام قيس بنت محصن رضي الله عنهم ولهما عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليدخلن الجنة من أمتي سبعون الفا أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسمعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا امامة الباهلي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

والتكرير للتأكيد والتوبيخ أو المراد به ما هو اعم من الاول فيدخل الظن الاول تحته دخولا أوليا (وكنتم قوما بورا) قال الزجاج هالكين عند الله وكذا قال مجاهد قال الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه قال أبو عبيد بورا هلكى وهو جمع بائر مثل حائل وحول في المعتل وبازل وبزل في الصحيح وقد بار فلان أي هلك وأباره الله اي أهلكه قيل والبور الهلاك وهو مصدر أخبر به عن الجمع (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) هذا كلام مستأنف من جهة الله سبحانه غير داخل تحت ما أمر الله سبحانه رسوله ان يقوله أي ومن لم يؤمن بهما كما صنع هؤلاء المخلفون فجزاؤهم ما أعده الله لهم من عذاب السعير والنار الشديدة وأقيم الظاهر مقام المضمر للايذان بأن من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر مستوجب للسعير ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى أو للتهويل (ولله ملك السموات والارض) يتصرف فيه كيف يشاء لا يحتاج الى أحد من خلقه وانما تعبدهم بما تعبدهم ليثيب من أحسن ويعاقب من أساء ولهذا قال (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له (ويعذب من يشاء) ان يعذبه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهذا حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره صلى الله عليه وآله وسلم لهم (وكان الله غفورا رحيما) أي كثير المغفرة والرحمة بليغهما يختص بمغفرته ورحمته من يشاء من عباده وتقتضي الحكمة مغفرته من المؤمنين دون من عداهم من الكافرين فهم بمعزل عن ذلك قطعا (سيقول المخلفون) المذكورون (اذا انطلقتم) أي عند انطلاقكم ايها المسلمون (الى مغانم) أي مغانم خيبر (لتأخذوها) أي لتحوزوها (ذرونا) أي اتركونا ودعونا (نتبعكم) ونشهد معكم غزوة خيبر وأصل القصة أنه لما انصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المسلمين من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست أقام بالمدينة بقيته وأوائل المحرم من سنة سبع وعدهم الله فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أي يغيروه والمراد بهذا الكلام هو مواعيد الله لاهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر وقال مقاتل يعني أمر الله لرسوله ان لا يسير معه أحد منهم وقال ابن زيد هو قوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا

وعدني ربي عزوجل ان يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا مع كل الف سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي عزوجل وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليمان عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي امامة ورواه الطبراني (١) عن عيينة بن عبد السلمي ثم مع كل الف سبعين الفا ويروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الانماري وله شواهد من وجوه كثيرة وقوله تبارك وتعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين لم يذكر الجواب ههنا وتقديره حتى اذا جاؤها وكانت

هذه الامور من فتح الابواب لهم اكراما وتعظيما وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب فتقديره اذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم واذا حذف الجواب ههنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والامل ومن زعم ان الواو في قوله تبارك وتعالى وفتحت أبوابها واو الثمانية واستدل به على ان أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وانما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الاحاديث الصحيحة قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله ما على أحد من ضرورة دعي من أيها دعي فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم وأرجو ان تكون منهم رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه وفيهما من حديث ابي حازم سلمة بن دينار عن سهل ابن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال الحسن

(١) قوله عن عيينة في نسخة عن عتبة وقوله ثم مع كل ألف الخ في نسخة ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا اهـ مصححه

معي عدوا واعترض هذا ابن جرير وغيره بان غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة والاول اولى وبه قال مجاهد وقتادة ورجحه ابن جرير وغيره وعليه عامة اهل التأويل قرأ الجمهور كلام الله وقرئ كلم الله قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبق ونبقة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يمنعهم من الخروج معه فقال (قل لن تتبعونا) هذا النفي هو بمعنى النهي للمبالغة والمعنى لا تتبعونا (كذلكم قال الله من قبل) أي من قبل رجوعنا من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون) يعني المنافقين عند سماع هذا القول وهو قوله قل لن الخ (بل) اضراب عن محذوف هو مقول القول كما علمت (تحسدوننا) أي بل ما يمنعكم من خروجنا معكم الا الحسد لئلا نشارككم في الغنيمة وليس ذلك حكما من الله كما تزعمون ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) أي لا يعلمون الا علما قليلا وهو علمهم بأمر الدنيا وقيل لا يفقهون من أمر الدين الا فقها قليلا وهو ما يصنعونه نفاقا بظواهرهم دون بواطنهم والفرق بين الاضرابين ان الاول رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أعم منه وهو الجهل وقلة الفقه وفيه أن الجهل غاية في الذم وحب الدنيا ليس من شيمة العالم العاقل (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف أي فذمهم مرة بعد أخرى كما أشار اليه في التقرير (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) قال عطاء بن أبي رباح ومجاهد وابن أبي ليلى وعطاء الخراساني هم فارس وقال كعب والحسن وابن أبي ليلى هم الروم وروي عن الحسن أيضا أنه قال هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هم هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة وحكى هذا القول الواحدي عن أكثر المفسرين وعن أبي هريرة أنهم الاكراد وقال ابن عباس هم فارس والروم وعنه قال هوازن وبنو حنيفة يعني أهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وظاهر الآية يرده وفي هذه الآية دليل على

صحة

ابن عرفة حدثنا اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله * (ذكر سعة أبواب الجنة نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها) * في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل فيقول الله تعالى يا محمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الايمن وهم شركاء الناس في الابواب الاخر والذي نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة (٣٩) وفي رواية مكة وبصرى وفي صحيح مسلم عن عتبة ابن غزوان انه خطبهم خطبة فقال فيها ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله وقال عبد ابن حميد ثنا الحسن بن يونس ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة وقوله تبارك وتعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وفي رواية مؤمنة وقوله فادخلوها خالدين أي ماكثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده أي يقول المؤمنون اذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده أي الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقولهم وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وابن زيد أي أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي

صحة امامة أبي بكر الصديق وعمر رضي الله تعالى عنهما لان أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم الى قتال فارس والروم قال الخازن وأقوى هذه الاقوال أنهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابعدها أنهم بنو حنيفة ثم ذكر الدليل على صحة القول الاول وأطال فيه ولا يصح لانه قال لن تخرجوا معي أبدا وان تقاتلوا معي عدوا فدل على ان المراد بالداعي غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي الا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما (تقاتلونهم أو يسلمون) الا تقاتلون أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ولا ثالث لهما وهذا حكم الكفار الذين لا تؤخذ منهم الجزية قال الزجاج التقدير أو هم يسلمون وقرئ أو يسلموا أي حتى يسلموا (فان تطيعوا) الى قتالهم (يؤتكم الله أجرا حسنا) وهو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا) أي تعرضوا (كما توليتم من قبل) وذلك عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) بالقتل والاسر والقهر في الدنيا وبعذاب النار في الآخرة لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) أي ليس على هؤلاء المعذورين بهذه الاعذار حرج في التخلف عن الغزو وترك الجهاد لعدم استطاعتهم قال مقاتل عذر الله أهل الزمانة الذين تخلفوا عن المسير الى الحديبية بهذه الآية والحرج الاثم وعن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واني لواضع القلم على أذني اذ أمر بالقتال اذ جاء أعمى فقال كيف لي وأنا ذاهب البصر فنزلت ليس على الاعمى حرج الآية قال هذا في الجهاد وليس عليهم من جهاد اذا لم يطيقوا أخرجه الطبراني قال السيوطي بسند حسن وهذه اعذار صحيحة ظاهرة لان أصحابها لا يقدرون على الكر والفر وهناك أعذار أخر ذكرها الخازن وغيره وموضعها كتب الفقه دون صحف التفسير (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمراه به ونهياه عنه ومنه الجهاد (يدخله) بالياء وقرئ بالنون وهما سبعيتان (جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) أي ومن يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق يعذبه الله عذابا شديد الالم كرر الوعيد لان المقام أدعى للترهيب وفصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لكون الغفران والرحمة من دأبه بخلاف التعذيب ثم ذكر سبحانه الذين أخلصوا نياتهم وشهدوا بيعة الرضوان فقال (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) أي رضي الله

الصالحون ولهذا قالوا نتبوأ من الجنة حيث نشاء أى أين شئنا حللنا فنعم الاجر اجرنا على عملنا وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن أنس رضى الله عنه فى قصة المعراج قال النبى صلى الله عليه وسلم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك وقال عبد بن حميد ثنا روح بن عبادة ثنا حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وكذا رواه مسلم من حديث أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه به ورواه مسلم أيضا عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال ان ابن صائد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عاصم بن ضمرة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قال سيقوا حتى انتهوا الى أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا الى احداهما فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغبر أبشارهم بعدها أبدا ولم تشعث أشعارهم أبدا بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا الى الاخرى كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما كان فى بطونهم من أذى أو قذى وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قال وينطلق غلام من غلمانه الى أزواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه فى الدنيا فيقلن أنت رأيته فيقول نعم فيستخفهن الفرح حتى تخرج الى أسكفة الباب قال فيجىء فاذا هو بنمارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزرابى مبثوثة قال ثم ينظر الى تأسيس بنيانه فاذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولا أن الله تعالى قدره له لألم أن يذهب ببصره انه لمثل البرق ثم ينظر الى أزواجه من الحور العين ثم يتكئ على أريكة من أرائكه ثم يقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله الآية ثم قال

عنهم وقت تلك البيعة وهى بيعة الرضوان وكانت بالحديبية وهذه الشجرة هى سمرة كانت بها وقيل سدرة وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروى أنه بايعهم على الموت وأتى بصيغة المضارع لاستحضار صورة المبايعة والسمرة من شجر الطلح وجمهور المفسرين على أن المراد بالطلح فى القرآن الموز وفى الصحيح عن ابن عمر ان الشجرة أخفيت والحكمة فى ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة نفع أو ضر كما نشاهده الآن فيما دونها ولذلك أشار ابن عمر بقوله كان خفاؤها رحمة من الله كذا فى الفتح وشرح المواهب وعن نافع قال بلغ عمر بن الخطاب أن ناسا يأتون الشجرة التى بويع تحتها فأمر بها فقطعت أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف وقد تقدم ذكر عدد أهل هذه البيعة قريبا والقصة مبسوطة فى كتب الحديث والسير وفى الباب أحاديث ذكرها الخازن وغيره والمعنى فعل بالراسخين فى الايمان فعل الراضى بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وأفهم ذلك أنه لم يرض عن الكافرين فخذلهم فى الدنيا مع ما أعد لهم فى الآخرة فالآية تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بأمور شاهدة ولاجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان (فعلم) الله (ما فى قلوبهم) أى علم ما فيها من الصدق والوفاء قاله الفراء وقال قتادة وابن جريج من الرضا بأمر البيعة على ان لا يفروا وقال مقاتل من كراهة البيعة على الموت (فأنزل السكينة) أى الطمأنينة وسكون النفس والامن كما تقدم وقيل الصبر (عليهم) أى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوا على الموت وعلى ان لا يفروا والآية تشير الى ان أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة لان رضوان الله موجب لدخولها والاحاديث الصحيحة تدل لذلك قال ابن عباس انما أنزلت السكينة على من علم منه الوفاء (وأثابهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر عند انصرافهم من الحديبية قاله قتادة وابن ابى ليلى وغيرهما وقيل فتح مكة والاول اولى (ومغانم كثيرة يأخذونها) أى وأثابهم مغانم كثيرة أو آتاهم وهى غنائم خيبر وكانت ذات نخل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهم وقرئ بالتاء والالتفات لتشريفهم بالخطاب (وكان الله عزيزا حكيما) أى غالبا مصدرا أفعاله واقواله على اسلوب الحكمة عن سلمة بن الاكوع قال بينا نحن قائلون اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو تحت شجرة سمرة

فبايعناه فذلك قوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين الآية فبايع لعثمان باحدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيأ لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وأخرج البخارى عن سلمة بن الاكوع قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قيل على أى شئ كنتم تبايعون يومئذ قال على الموت وأخرج مسلم وغيره عن جابر قال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر أخرجه الترمذى واستغربه (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) فى هذا وعد منه سبحانه لعباده المؤمنين بما سيفتحه عليهم من الغنائم الى يوم القيامة يأخذونها فى أوقاتها التى قدر وقوعها فيها وقيل الالتفات الى الخطاب لتشريفهم فى مقام الامتنان والخطاب لاهل الحديبية (فعجل لكم هذه) أى غنائم خيبر قاله مجاهد وغيره وقيل صلح الحديبية وهى فى جنب ما وعدهم الله به من الفتوحات كالقليل من الكثير (وكف ايدى الناس عنكم) أى ايدى قريش يوم الحديبية بالصلح وقيل ايدى أهل خيبر وابصارهم عن قتالكم وقذف فى قلوبهم الرعب وقال ابن عباس يعنى أهل مكة ان يستحلوا حرم الله ويستحل بكم وانتم حرم وقال قتادة كف ايدى اليهود عن المدينة بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الحديبية وخيبر ورجح هذا ابن جرير قال لان كف ايدى الناس بالحديبية مذكور فى قوله وهو الذى كف أيديهم عنكم وقيل الناس يعنى عيينة بن حصن الفزارى وعوف بن مالك النصرى ومن كان معهما اذ جاؤا لينصروا أهل خيبر عند حصار النبى صلى الله عليه وسلم لهم (ولتكون آية للمؤمنين) أى فعل ما فعل من التعجيل والكف لتكون آية لهم أو وعد فعجل وكف لتنتفعوا بذلك ولتكون آية وقيل ان الواو مزيدة واللام لتعليل ما قبلها أى وكف لتكون والمعنى ذلك الكف آية يعلم بها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع ما يعدكم به وقال ابن عباس أى سنة لمن بعدكم وقيل عبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن نصرتهم والفتح عليهم (ويهديكم صراطا مستقيما) أى يزيدكم بتلك الآية هدى وبصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

حدثنا ابى ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل النهدى ثنا مسلمة بن جعفر البجلى قال سمعت أبا معاذ البصرى يقول ان عليا رضى الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من احداهما فتغسل ما فى بطونهم من دنس ويغتسلون من الاخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجرى عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين بأعلى فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خر له قال مسلمة أراه قال ساجدا فيقول ارفع رأسك فانما أنا قيمك وكلت بامرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبى وانا حبك وانا الخالدة التى لا اموت وانا الناعمة التى لا أباس وانا الراضية التى لا أسخط وانا المقيمة التى لا أظعن فيدخل بيتا من أسه الى أسقفه مائة الف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها فى البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضى جماعها فى مقدار ليلة من لياليكم هذه الانهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه قال لم يخرج من ضروع الماشية وانهار من خمر لذة للشاربين قال لم تعصرها الرجال باقدامهم وانهار من عسل مصفى قال لم يخرج من بطون النحل يستجنى الثمار فان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء متكئا ثم تلا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا فيشتهى الطعام فيأتيه طير أبيض قال وربما قال أخضر قال فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أى الالوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت فى الارض لاضاءت الشمس معها سوادا فى نور هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم (وترى الملائكة

حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار وأنه نزل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجور أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل وقضى بينهم أي بين الخلائق بالحق ثم قال وقيل الحمد لله رب العالمين أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين (٤٢) بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول الى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة افتتح الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والأرض واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

(تفسير سورة المؤمن وهي مكية)

قد كره بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم وإنما يقال آل حم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن آل حم أو قال الحواميم وقال مسعر بن كدام كان يقال لهن العرائس روى ذلك كله الامام العلم أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله تعالى في كتاب فضائل القرآن وقال حميد بن زنجويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن والحاجزة وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن أورده البغوي وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود رضي الله عنه إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات أتأنق فيهن وقال أبو عبيد حدثنا الأشجعي حدثنا مسعر هو ابن كدام عمن حدثه أن رجلا رأى أبا الدرداء رضي الله عنه يبني مسجدا فقال له ما هذا فقال أبنيه من أجل آل حم وقد يكون هذا المسجد الذي بناه أبو الدرداء رضي الله عنه

تعالى ويثبتكم على الهداية الى طريق الحق بصلح الحديبية وفتح خيبر وقيل طريق التوكل عليه وتفويض الأمر اليه تعالى لأن الحاصل من الكف ليس الأذان ولأن أصل الهدى حاصل قبله (وأخرى) أي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى ويجوز فيها أوجه ذكرها السمين وغيره (لم تقدروا عليها) وهي الفتوح التي فتحها الله على المسلمين من بعد كفارس والروم ونحوهما كذا قال الحسن ومقاتل وابن أبي ليلى وقال الضحاك وابن زيد وابن اسحق هي خيبر وعدها الله نبيه قبل أن يفتحها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة فتح مكة وقال عكرمة حنين والأول أولى وقال ابن عباس هذه الفتوح التي تفتح الى اليوم وعنه قال هي خيبر وقيل فتح بلدة أخرى مطلقا وقيل مغانم هوازن في غزوة حنين (قد أحاط الله بها) صفة ثانية لأخرى قال الفراء أحاط الله بها لكم حتى تفتحوها وتأخذوها والمعنى أنه أعدها لهم وجعلها كالشيء الذي قد أحيط به من جميع جوانبه فهو محصور لا يفوت منه شيء فهم وإن لم يقدروا عليها في الحال فهي محبوسة لهم لا تفوتهم وقيل المعنى أنه أحاط علمه بأنها ستكون لهم (وكان الله على كل شيء) من فتح القرى والبلدان (قديرا) لا يعجزه شيء ولا تختص قدرته ببعض المقدورات دون بعض (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار) قال قتادة يعني كفار قريش بالحديبية وأهل مكة وقيل أسد وغطفان الذين أرادوا نصر أهل خيبر والأول أولى (ثم لا يجدون وليا) يواليهم على قتالكم ويحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم عليكم (سنة الله التي قد خلت من قبل) أي طريقته وعادته التي قد مضت في الأمم من نصر أوليائه على أعدائه وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي وانتصاب سنة على المصدرية بفعل محذوف أي سن الله سنة أو هو مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة من هزيمة الكفار ونصر المؤمنين (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي تغييرا بل هي مستمرة ثابتة (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) أي كف أيدي المشركين عن المسلمين وأيدي المسلمين عن المشركين لما جاؤا يصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عن البيت عام الحديبية وهي المراد بقوله ببطن مكة لأن أكثرها من الحرم (من بعد أن أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت وقيل المعنى هو الذي قضى بينهم وبينكم المكافة

ذو المسجد المنسوب اليه داخل قلعة دمشق وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ما وضع له فان هذا الكلام يدل على النصر على الاعداء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى بعض الغزوات ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وفى رواية لا تنصرون وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن الحكم بن ظبيان بن خلف المازنى ومحمد بن الليث الهمدانى قالا حدثنا موسى بن مسعود حدثنا عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى عن زرارة بن مصعب عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء ثم قال لا نعلمه (٤٣) يروى الا بهذا الاسناد ورواه الترمذى من حديث المليكى وقال تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقد قيل ان حم اسم من أسماء الله عز وجل وأنشدوا فى ذلك بيتا

يذكرنى حم والرمح شاجر
فهلا تلا حم قبل التقدم

وقد ورد فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى من حديث الثورى عن أبى اسحق عن المهلب بن أبى صفرة قال حدثنى من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وهذا اسناد صحيح واختار أبو عبيد ان يروى فقولوا حم لا ينصروا أى ان قلتم ذلك لا ينصروا جعله جزاء لقوله فقولوا وقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم أى تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذى العزة والعلم فلا يرام جنابه ولا يخفى عليه الذر وان تكاثف حجابه وقوله عز وجل غافر الذنب وقابل التوب أى يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة فى المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه وقوله جل وعلا شديد العقاب أى لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى وهذه كقوله نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم يقرن هذين الوصفين كثيرا فى مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف وقوله تعالى ذى الطول قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى السعة والغنى وهكذا قال مجاهد وقتادة وقال يزيد بن الاصم ذى الطول يعنى الخير الكثير وقال عكرمة ذى الطول ذى المن وقال قتادة ذى النعم

والمحاجزة بعد ما أجول لكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا والمراد على هذا ببطن مكة مكة (وكان الله بما تعملون بصيرا) لا يخفى عليه من ذلك شئ قرئ بالتاء وبالياء وهما سبعيتان عن أنس قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة فى السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا فعفا عنهم فنزلت هذه الآية أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وغيرهم وفى صحيح مسلم وغيره انها نزلت فى نفر اسرهم سلمة بن الاكوع يوم الحديبية وأخرج أحمد والنسائى والحاكم وصححه وغيرهم فى سبب نزول الآية ان ثلاثين شابا من المشركين خرجوا يوم الحديبية على المسلمين فى السلاح فثاروا فى وجوههم فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأسماعهم ولفظ الحاكم بأبصارهم فقام اليهم المسلمون فأخذوهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم فى عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أمانا فقالوا لا فخلى سبيلهم فنزلت هذه الآية (هم الذين كفروا) يعنى كفار قريش (وصدوكم عن المسجد الحرام) أى عن الوصول اليه ومعنى الصد انهم منعوهم ان يطوفوا بالمسجد الحرام ويحلوا عن عمرتهم (والهدى معكوفا) أى محبوسا وقرأ الجمهور بنصب الهدى عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد ولا بد من تقدير مضاف أى عن نحر الهدى وقرئ بالرفع على تقدير وصد الهدى وقرأ الجمهور بفتح الهاء من الهدى وسكون الدال وقرئ بكسرها وتشديد الياء وانتصاب معكوفا على الحال من الهدى قال الجوهرى عكفه أى حبسه ووقفه ومنه والهدى معكوفا ومنه الاعتكاف فى المسجد وهو الاحتباس وعكف على الشئ أقبل عليه مواظبا وقال أبو عمرو بن العلاء معكوفا مجموعا وأنكر الفارسى تعدية عكف بنفسه وأثبتها ابن سيده والازهرى وغيرهما وهو ظاهر القرآن لبناء اسم المفعول منه (ان يبلغ محله) أى عن ان يبلغ محله أو مفعول لاجله والمعنى صدوا الهدى كراهة ان يبلغ محله ومحله منحره وهو حيث يحل نحره من الحرم أو هو بدل اشتمال من الهدى وكان الهدى سبعين بدنة وقال ابن عباس نحروا يوم الحديبية سبعين بدنة فلما صدت عن البيت حنت كما تحن الى أولادها ورخص الله سبحانه لهم بجعل ذلك الموضع الذى وصلوا اليه وهو الحديبية محلا

والفواضل والمعنى أنه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والانعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها الآية وقوله جلت عظمته لا إله إلا هو أي لا نظير له في جميع صفاته فلا إله غيره ولا رب سواه اليه المصير أي اليه المرجع والمآب فيجازي كل عامل بعمله وهو سريع الحساب وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا إسحق السبيعي يقول جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين اني قتلت فهل لي من توبة فقرأ عمر رضي الله عنه عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل (٤٤) التوب شديد العقاب وقال اعمل ولا تيأس رواه ابن أبي حاتم واللفظ له وابن جرير

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا موسى ابن مروان الرقي ثنا عمر يعني ابن أيوب أنا جعفر بن برقان عن يزيد ابن الاصم قال كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقده عمر فقال ما فعل فلان بن فلان فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب من عمر بن الخطاب الى فلان ابن فلان سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو اليه المصير ثم قال لاصحابه ادعوا الله لاخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرأه ويردده ويقول غافر الذنب وقابل التوب قد حذرني عقوبته ووعدني ان يغفر لي ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان وزاد فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر خبره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله له ان يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه وقال ابن أبي حاتم ثنا عمر بن شبة ثنا حماد بن واقد من ثنا أبو عمر الصفار ثنا ثابت البناني قال كنت مع مصعب بن الزبير رضي الله عنه في سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلي ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا إله إلا هو اليه المصير فاذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال اذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي واذا قلت وقابل التوب فقل يا قابل التوب اقبل توبتي واذا قلت شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لا تعاقبني قال فالتفت فلم أر أحدا فخرجت الى الباب فقلت مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية قالوا ما رأينا أحدا فكانوا

النحر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم وللعلماء في هذا كلام معروف في كتب الفروع (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة (لم تعلموهم) أي لم تعرفوهم وقيل لم تعلموا انهم مؤمنون (ان تطؤهم) أي بالقتل والايقاع بهم يقال وطئت القوم أي أوقعت بهم وذلك انهم لو كبسوا مكة وأخذوها عنوة بالسيف لم يتميز المؤمنون الذين هم فيها من الكفار وعند ذلك لا يأمنون ان يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم سبة وهو معنى قوله (فتصيبكم منهم) أي من جهتهم (معرة) أي مشقة بما يلزمكم في قتلهم من كفارة وعيب وأصل المعرة العيب مأخوذ من العر وهو الجرب وذلك ان المشركين سيقولون ان المسلمين قد قتلوا أهل دينهم قال الزجاج معرة أي اثم وكذا قال الجوهري وبه قال ابن زيد وقال الكلبي ومقاتل وغيرهما المعرة كفارة قتل الخطأ كما في قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقال ابن اسحق المعرة غرم الدية وقال قطرب المعرة الشدة وقيل الغم وقيل هي مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه (بغير علم) متعلق بان تطؤهم أي غير عالمين وجواب لولا محذوف والتقدير لاذن الله لكم أو لما كف أيديكم عنهم (ليدخل الله) اللام متعلقة بما دل عليه الجواب المقدر أي ولكن لم يأذن لكم أو كف أيديكم عنهم ليدخل الله (في رحمته) بذلك أي في توفيقه لزيادة الخير في الاسلام (من يشاء) من عباده وهم المؤمنون والمؤمنات الذين كانوا في مكة فيتمم لهم أجورهم باخراجهم من بين ظهراني الكفار ويفك أسرهم ويرفع ما كان ينزل بهم من العذاب وقيل اللام متعلقة بمحذوف غير ما ذكروا التقدير لو قتلتموهم لادخلهم الله في رحمته والاول أولى وقيل ان من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين عن أبي جمعة جنيد بن سبع قال قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت ولولا رجال الخ وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتان وفي رواية ابن أبي حاتم كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة أخرجه الطبراني وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن قانع والباوردي والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند جيد وعن ابن عباس في الآية قال حين ردوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان تطؤهم بقتلكم اياهم (لو تزيلوا) التزيل التميز أي لو تميز الذين آمنوا

يرون انه الياس ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه وليس فيه ذكر الياس والله سبحانه وتعالى أعلم (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار) يقول تعالى ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان الا الذين كفروا أي الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه فلا يغررك تقلبهم في البلاد أي في أموالها ونعيمها وزهرتها كما قال جل وعلا لا يغرنك تقلب (٤٥) الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وقال عز وجل نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ثم قال تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه بان له اسوة من سلف من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه قد كذبهم أممهم وخالفوهم وما آمن بهم منهم الا القليل فقال كذبت قبلهم قوم نوح وهو أول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الاوثان والاحزاب من بعدهم أي من كل أمة وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أي حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق أي ماحلوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي وقد قال أبو القاسم الطبراني ثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يحدث عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أعان باطلا ليدحض به حقا فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله جلت عظمته فأخذتهم أي أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام فكيف كان عقاب أي فكيف بلغك عذابي لهم ونكالي بهم قد كان شديدا موجعا مؤلما قال قتادة كان شديدا والله وقوله جل جلاله وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار أي كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الامم السالفة كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الاولى والاحرى لان من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك والله أعلم

(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما

من الذين كفروا منهم قاله العتبي وقال الكلبي لو تفرقوا وقيل لو زال الذين آمنوا من بين اظهرهم والمعاني متقاربة قرأ الجمهور لو تزيلوا وقرئ لو تزايلوا والتزايل التباين (لعذبنا الذين كفروا منهم) أي من أهل مكة حينئذ بان نأذن لكم في فتحها (عذابا أليما) قال القاضي بالقتل والسبي وهو الظاهر لان المراد من تعذيبهم التعذيب الدنيوي الذي هو تسليط المؤمنين عليهم وقتالهم فان عدم التميز لا يوجب عدم عذاب الآخرة أفاده على القاري قال ابن عباس لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا أليما بقتلكم اياهم قال قتادة ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة (اذ جعل) أي اذكر وقت أن جعل (الذين كفروا في قلوبهم الحمية) أي اضمروها واصبروا عليها والحمية الانفة يقال فلان ذو حمية أي ذو أنفة وغضب وتكبر وتعاظم أي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم والجعل بمعنى الالقاء (حمية الجاهلية) بدل من الحمية قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان قال أهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتحدث العرب انهم قد دخلوا علينا على رغم انفسنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه الحمية هي حمية الجاهلية التي دخلت في قلوبهم وقال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وقال الخطيب حمية الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق أو باطل فتمنع من الاذعان للحق ومبناها على التشفي على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء (فأنزل الله سكينته) أي الطمأنينة والوقار (على رسوله وعلى المؤمنين) حيث لم يدخلهم ما دخل أهل الكفر من الحمية وقيل ثبتهم على الرضا والتسليم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولم يضيعني الله أبدا فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل قال بلى قال أليس

فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الاربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين بانهم يسبحون بحمد ربهم أي يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضي لاثبات صفات المدح ويؤمنون به أي خاشعون له اذلاء بين يديه وانهم يستغفرون للذين آمنوا أي من أهل الارض (٤٦) ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقربين ان يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لاخيه بظهر الغيب كما ثبت في صحيح مسلم اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله وقد قال الامام أحمد ثنا عبد الله بن محمد هو ابن أبي شيبة ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره فقال

زحل وثور تحت رجل يمينه
والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقال

والشمس تطلع كل آخر ليلة
حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها
الا معذبة والا تجلد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وهذا اسناده جيد وهو يقتضي ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهنا سؤال وهو ان يقال ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث وبين الحديث الذي رواه أبو داود اي ثنا محمد بن الصباح البزار ثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال أبو داود ولم أتقن العنان جيدا قال هل تدرون بعد ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال بعد ما بينهما اما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع

قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا قال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولم يضيعه الله أبدا فنزلت سورة الفتح فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر فاقرأه اياها قال يا رسول الله أفتح هو قال نعم (والزمهم) أي اختار لهم فهو الزام تشريف واكرام (كلمة التقوى) من الشرك وهي لا اله الا الله كذا قال الجمهور وزاد بعضهم محمد رسول الله وزاد بعضهم وحده لا شريك له وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وذلك ان الكفار لم يقروا بها وامتنعوا من كتابتها في كتاب الصلح الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في كتب الحديث والسير فخص الله بهذه الكلمة المؤمنين والزمهم بها والاول أولى لان كلمة التوحيد هي التي يتقى بها الشرك بالله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله أخرجه أحمد وابن جرير والدارقطني في الافراد وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات والترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديثه أي الحسن بن قزعة وكذا قال أبو زرعة وأخرج ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع مرفوعا مثله وعن علي بن ابي طالب مثله من قوله ومن قول عمر بن الخطاب نحوه وعن ابن عباس نحوه وعن مسور بن مخرمة ومروان نحوه وروي عن جماعة من التابعين نحو ذلك (وكانوا أحق بها وأهلها) عطف تفسيري أي وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من الكفار والمستأهلين لها دونهم في علم الله تعالى لان الله سبحانه أهلهم لدينه واختارهم لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (وكان الله بكل شيء عليما) أي من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي جعل رؤياه صادقة محققة ولم يجعلها أضغاث أحلام وان كان تفسيرها لم يقع الا بعد ذلك في عمرة القضاء قال الواحدي قال المفسرون ان الله سبحانه أرى نبيه صلى الله عليه وسلم في المدينة قبل ان يخرج الى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصروا فاخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم سيدخلون مكة عامهم ذلك فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة قال المنافقون والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فانزل الله هذه الآية وقيل ان الرؤيا كانت بالحديبية (بالحق) متعلق بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا متلبسا بالحق

سموات ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سماك بن حرب به وقال الترمذي حسن غريب وهذا يقتضي ان حملة العرش ثمانية كما قال شهر بن حوشب رضي الله عنه حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقولون اذا استغفروا للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك أي فاصفح عن المسيئين اذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات وقهم عذاب الجحيم أي وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجع الاليم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء أي ساوينا بين الكل في المنزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلا منا ومنة وقال سعيد بن جبير ان المؤمن اذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم فيقال انهم لم يبلغوا طبقتك في العمل فيقول اني انما عملت لي ولهم فيلحقون به في الدرجة ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم قال مطرف بن عبد الله بن الشخير أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم تلا هذه الآية ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم الآية وأغش عباده للمؤمنين الشياطين وقوله تبارك وتعالى انك أنت العزيز الحكيم أي الذي لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك وقهم السيئات أي فعلها أو بالها من وقعت منه ومن تق السيئات يومئذ أي

أي بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من اسمائه سبحانه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) في العام القابل وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد لما يجب أن يقولوه كما في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله قال ثعلب ان الله استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقيل كان الله سبحانه علم انه يموت بعض هؤلاء الذين كانوا معه في الحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى قاله الحسن بن الفضل وقيل معنى ان شاء الله كما شاء الله وقال أبو عبيدة ان بمعنى اذ يعني اذ شاء الله حيث أرى رسوله ذلك (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض والمعنى آمنين في حال الدخول لا تخافون عدوكم ان يخرجكم في المستقبل (محلقين رؤسكم ومقصرين) أي محلقا بعضكم جميع الشعور ومقصرا بعضكم والحلق والتقصير خاص بالرجال والحلق أفضل من التقصير كما يدل على ذلك الحديث الصحيح في استغفاره صلى الله عليه وسلم للمحلقين في المرة الاولى والثانية والقائل يقول له وللمقصرين فقال في الثالثة وللمقصرين وقد ورد في الدعاء للمحلقين والمقصرين في البخاري ومسلم وغيرهما أحاديث منها ما قدمنا الاشارة اليه وهو من حديث ابن عمر وفيهما من حديث أبي هريرة أيضا (لا تخافون) مستأنف وفيه زيادة تأكيد لما تقدم فهم من قوله آمنين فلا تكرار (فعلم ما لم تعلموا) معطوف على صدق أي صدق رسوله الرؤيا فعلم ما لم تعلموا من المصلحة في الصلح لما في دخولكم في عام الحديبية من الضرر على المستضعفين من المؤمنين (فجعل من دون ذلك) أي دخولكم مكة كما أرى رسوله (فتحا قريبا) ليقويكم به فانه كان موجبا الاسلام كثير قال أكثر المفسرين هو صلح الحديبية وقال ابن زيد والضحاك فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل وقال الزهري لا فتح في الاسلام كان أعظم من صلح الحديبية ولقد دخل في تلك السنين في الاسلام مثل من كان قد دخل فيه قبل ذلك بل أكثر فان المسلمين كانوا في سنة ست وهي سنة الحديبية ألفا وأربعمائة وكانوا في سنة ثمان عشرة آلاف وقيل هو فتح مكة (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي ارسالا متلبسا بالهدى (ودين الحق) وهو الاسلام (ليظهره على الدين كله) أي يغلبه ويعليه على كل الاديان بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا

يوم القيامة فقد رحمته اى لطفت به ونجيته من العقوبة وذلك هو الفوز العظيم (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) يقول تعالى مخبرا عن الكفار انهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون وذلك

عندما باشروا من عذاب الله تعالى مالا قبل لاحد به فمقتوا عند ذلك انفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الاعمال السيئة التى كانت سبب دخولهم الى النار فاخبرتهم الملائكة عند ذلك اخبارا عاليا نادوهم نداء بان مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الايمان فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعذبون انفسكم اليوم في هذه الحالة قال قتادة في قوله تعالى لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون يقول لمقت الله اهل الضلالة حين عرض عليهم الايمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوا اكبر مما مقتوا انفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة وهكذا قال الحسن البصري ومجاهد والسدي وذر بن عبيد الله الهمداني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبري رحمة الله عليهم أجمعين وقوله قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب فجعل الذي لاشك فيه ولا مرية وقال السدي أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة وقال ابن زيد أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ثم خلقهم في الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لانه يلزمهما على ما قالا ثلاث احياآت واماتات والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما والمقصود من هذا كله أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات القيامة كما قال عز وجل ولو ترى

كما يفيده تأكيد الجنس وقيل ليظهر رسوله والاول أولى وقد كان ذلك بحمد الله فان دين الاسلام قد ظهر على جميع الاديان وانقهر له كل أهل الملل ولا ترى دينا ساقط الاولا الاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات والاول أولى وفي هذا تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله) الباء زائدة (شهيدا) على هذا الاظهار الذي وعد المسلمين به وعلى صحة نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم (محمد رسول الله) الجملة مبينة لما هو من جملة المشهود به (والذين معه) من المؤمنين قيل هم أصحاب الحديبية والاولى الحمل على العموم (أشداء على الكفار) أى غلاظ عليهم كما يغلظ الاسد على فريسته وهو جمع شديد لا تأخذهم بهم رأفة لان الله أمرهم بالغلظة عليهم فلا يرحمونهم (رحماء بينهم) أى متوادون متعاطفون كالوالد مع الولد وهو جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم الرحمة والرافة ونحوه قوله أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين قال الحسن بلغ من تشديدهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وتلزق بها وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التذلل وهذا التعطف فيشددوا على من ليس من دينهم ويعاشروا اخوانهم المؤمنين في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والاحتمال منهم قرأ الجمهور برفع اشداء ورحماء على انه خبر للموصول وقرئ بنصبهما على الحال أو على المدح ويكون الخبر على هذه القراءة قوله (تراهم ركعا سجدا) أى تشاهدهم وتبصرهم حال كونهم راكعين ساجدين أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى يطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم وفيه لطيفة ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله والمرائي بعمله لا ينبغي له اجر وذكر بعضهم في الآية والذين معه أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) السيما العلامة وفيها لغتان المد والقصر أى يظهر علامتهم في جباههم من أثر السجود في الصلاة لكثرة التعبد بالليل والنهار وقال الضحاك اذا سهر الرجل اصبح مصفرا

اذا المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فلا يجابون ثم اذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ونظروا الى ما فيها من العذاب والنكال سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة فلا يجابون قال الله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فاذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها ومقامعها وأغلالها كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل (٤٩) أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة وهي قولهم ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين أي قدرتك عظيمة فانك أحييتنا بعدما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا فانت قادر على ما تشاء وقد اعترفنا بذنوبنا وأنا كنا ظالمين لانفسنا في الدار الدنيا فهل الى خروج من سبيل أي فهل أنت مجيبنا الى ان تعيدنا الى الدار الدنيا فانك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل فان عدنا الى ما كنا فيه فانا ظالمون فاجيبوا ان لا سبيل الى عودكم ومرجعكم الى الدار الدنيا ثم علل المنع بذلك بان سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه ولهذا قال تعالى ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا أي أنتم هكذا تكونون وان رددتم الى الدار الدنيا كما قال عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله جل

وعلا فالحكم لله العلي الكبير أي هو الحاكم في خلقه العادل الذي لا يجور فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء لا اله الا هو وقوله جل جلاله هو الذي يريكم آياته أي يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها وينزل لكم من السماء رزقا وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء وما يتذكر أي يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها الا من

فجعل هذا هو السيما وقال الزهري مواضع السجود أشد وجوههم بياضا وقال مجاهد هو الخشوع والتواضع وبالاول أعني كونه ما يظهر في الجباه من كثرة السجود قال سعيد ابن جبير ومالك وقال ابن جريج هو الوقار وقال الحسن اذا رأيتهم رأيتهم مرضى وما هم بمرضى وقيل هو البهاء في الوجه وظهور الانوار عليه وبه قال سفيان الثوري قال ابن عباس أما انه ليس الذي ترونه ولكنه سيما الاسلام وسمته وخشوعه وعنه قال هو السمت الحسن وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله سيماهم الخ النور يوم القيامة أخرجه الطبراني في الاوسط والصغير وابن مردويه قال السيوطي بسند حسن وعن ابن عباس قال بياض يغشى وجوههم يوم القيامة قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال البقاعي ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة السجود في جبهته فان ذلك من سيماء الخوارج وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني لابغض الرجل وأكره اذا رأيت بين عينيه أثر السجود ذكره الخطيب ولينظر في سنده (ذلك) أي ما تقدم من هذه الصفات الجليلة (مثلهم) أي وصفهم العجيب الشان الذي وصفوا به (في التوراة) (ومثلهم) أي وصفهم الذي وصفوا به (في الانجيل) تكرير لذكر المثل لزيادة تقريره وللتنبيه على غرابته وانه جار مجرى الامثال في الغرابة قال ابن عباس أي نعتهم مكتوب في التوراة والانجيل قبل أن يخلق الله السموات والارض (كزرع أخرج شطأه) كلام مستأنف أي هم كزرع وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة لم يرد به ما تقدم من الاوصاف وقيل هو خبر لقوله مثلهم في الانجيل أي ومثلهم في الانجيل كزرع قال الفراء فيه وجهان ان شئت قلت ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل يعني كمثلهم في القرآن فيكون الوقف على الانجيل وان شئت قلت ذلك مثلهم في التوراة ثم تبتدئ ومثلهم في الانجيل كزرع قرأ الجمهور شطأه بسكون الطاء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان وقرئ شطاه كعصاه وقرئ شطه بغير همز وكلها لغات قال الاخفش والكسائي شطأه أي طرفه قال الفراء أشطأ الزرع فهو مشطئ اذا خرج قال الزجاج أخرج شطأه أي نباته وقال قطرب الشطء سوى السنبل وعن الفراء هو السنبل وقال الجوهري شطء الزرع والنبات فراخه والجمع أشطاء وقد أشطأ الزرع خرج شطؤه وقال أنس نباته فروخه (فآزره)

ينيب أي من هو بصير منيبا الى الله تبارك وتعالى وقوله عز وجل فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون أي فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام يعني ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي قال كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل بهن دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى ابن عقبة ثلاثتهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له وذكر تمامه وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع حدثنا الخصيب بن ناصح حدثنا صالح يعني المري عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان ان هذه مسافة ما بين العرش الى الارض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف وهو الارجح ان شاء الله وقد ذكر غير واحد ان العرش من ياقوتة حمراء اتساع ما بين قطريه

أي قواه وشده وأعانه وقيل ان المعنى ان الشطء قوى الزرع قاله السمين وقيل ان الزرع قوى الشطء وبه قال النسفي وهو أنسب فان العادة ان الاصل يتقوى بفروعه فهي تعينه وتقويه قرأ الجمهور فآزره بالمد وقرئ بالقصر وهما سبعيتان قال الفراء أزرت فلانا آزره أزرا اذا قويته (فاستغلظ) أي صار ذلك الزرع غليظا بعد ان كان دقيقا فهو من باب استحجر الطين أو المراد المبالغة في الغلظة كما في استعصم ونحوه وايثار الاول لان بناء الساق على التدرج (فاستوى على سوقه) أي فاستقام على أعواده والسوق جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة الساكنة (يعجب الزراع) أي يعجب هذا الزرع زراعه لقوته وحسن منظره وهنا تم المثل قاله السمين قلت وهذا مثل ضربه الله سبحانه لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانهم يكونون في الابتداء قليلا ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع فانه يكون في الابتداء ضعيفا ثم يقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الانجيل مكتوب فيه انه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا ونحوه مما تقدم ليس بتفسير للقرآن بل من لطائف الكلام وعن بعض الصحابة أنه لما قرأ هذه الآية قال تم الزرع وقد دنا حصاده قلت وهذا المثل الذي أشار اليه القرآن موجود في انجيل متى ولوقا وترجمته بالعربية أنظروا الى زارع خرج للزرع وبينما هو يزرع سقط بعض البذر في الطريق فجاءت الطيور والتقطته وسقط بعضه على الصخر حيث لم يكن التراب كثيرا وفي ساعته نبت لانه لم يكن له في الارض عمق ولما طلعت الشمس احترق ويبس لانه لم يكن له أصل وسقط بعضه في الشوك فنمى الشوك وخنقه وسقط بعضه في الارض الطيبة وأثمر بعضه مائة ضعف وبعضه ستين وبعضه ثلاثين فمن كانت له أذن سامعة فليستمع انتهى وهذا هو معنى هذه الآية الكريمة بعينه وهذا من بعض أمثالهم في الانجيل وقد غفل عنه النصارى وأولوه بتأويل ضعيف وقالوا ان هذا المثل فيمن يعمل الخير ويسمع المواعظ ويعلو من التهذيب ولم يفكروا في قوله فمن كانت له أذن سامعة فليستمع فان فيه من الكناية ما لا يوجد في غيره وذلك ان الذين أصفهم لكم في مثلي هذا ليسوا بحاضرين حتى تستطيعوا ان تروهم لكنكم اسمعوا كلامي هذا ان كانت لكم أذن واعية وحدثوا به وأودعوه

مسيرة خمسين ألف سنة وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقد تقدم في حديث الاوعال ما يدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم وقوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده كقوله جلت عظمته ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وكقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ولهذا قال عز وجل لينذر يوم التلاق قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من اسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده وقال ابن جريج قال ابن عباس رضي

الله عنهما يلتقي فيه آدم وآخر ولده وقال ابن زيد يلتقي فيه العباد وقال قتادة والسدي وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض وقال قتادة والسدي يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض والخالق والخلق وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقد يقال ان يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل ان كل عامل سيلقى ما عمله من خير وشر كما قاله آخرون وقوله جل جلاله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء أي ظاهرون بادون كلهم لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم ولهذا قال يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء أي الجميع في علمه على السواء وقوله تبارك وتعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قد تقدم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه تعالى يطوي السموات والارض بيده ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أنا المتكبر أين ملوك الارض أين الجبارون أين المتكبرون وفي حديث الصور انه عز وجل اذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا لله الواحد القهار أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا محمد بن غالب الدقاق حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر عن أبيه حدثنا أبو نضرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الاحياء والاموات قال وينزل الله عز وجل الى السماء الدنيا ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقوله جلت عظمته اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه انه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة ولهذا

صفحات الكتب حتى يبلغ الكلام أجله وقوله سقط بعضه على الطريق الخ اشارة الى النواميس التي وقعت في أيدي الفلاسفة اليونانيين الذين قلوبهم لا قابلية لها أن تكون ظرفا لمفهوم النواميس لان النواميس لم تصدر عن المبدئ جل اسمه الاعلى سبيل السذاجة فلا تأثر في قلوبهم لانها لا تستقيم فيها فيأتي الشيطان ويخطفها من قلوبهم بشبهاته السفسطية وقوله سقط بعضه على الصخرة الخ اشارة الى النواميس التي وقعت في أيدي اليهود لان قلوبهم كانت أقسى من الصخرة في قبولها فلم تكن قابلة لاخذها بل كانوا يتفوهون بها الى مدة يسيرة وهي تحولها من أيديهم الى أيدي النصارى وذلك هو طلوع الشمس فلما لم يذعنوا لما آتاهم به عيسى زال ما كان قد أتى اليهم من ذلك من قلوبهم واضمحل كما يزول النبت المزروع على الصخرة بحرارة الشمس وقوله وبعضه وقع في الشوك الخ اشارة الى النواميس التي وقعت في أيدي النصارى والشوك عبارة عن مشتبهات الامور التي كانت تصدر عن عيسى عليه السلام كاحياء الميت واشفاء المريض واعادة بصر الاكمه وسمع الاصم ونطق الابكم التي هي من خوارق العادة ونمو الشوك ازدياد هذه الامور واختناقه زوال الاعتقاد بموضوعاتها قوله وسقط بعضه في الارض الطيبة الخ برهان قاطع ودليل لامع ساطع على النواميس التي وقعت في أيدي العرب على معرفة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم لان قلوبهم كانت ساذجة لائقة أن تكون لها ظرفا قوله وأثمر المراد بمطلق الاثمار أبو بكر بعضه مائة ضعف عمر وبعضه ستون عثمان وبعضه ثلاثون علي ونسبة الاثمار الى أبي بكر لاستقلال الخلافة في أيامه ونسبة مائة الى عمر لنمو الاسلام في عهده ونسبة ستين الى عثمان لانخفاض ضعف ذلك النمو الذي حصل في أيام عمر ونسبة ثلاثين الى علي لانه هو آخر الخلفاء وخاتمهم ومصداق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الخلافة بعدي ثلاثون عاما وفيه مطابقة مع ما روي عن عكرمة في قوله أخرج زرعه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وقد تقدم وتكرره في لو فاضرب من لطف التأكيد فان قيل لم لا يحمل على ما حمله عليه النصارى فيكون المراد بالزراع عمل الخير وبالاثمار مطلق الجزاء قلت انه لا يجوز الحمل على هذا المعنى لوجود الاول انا قد وجدنا ذلك في القرآن والمطابقة لازمة والثاني ان التعريف يفيد العهد والعهد يفيد التخصيص والتخصيص ينافي العموم فيفيد ما ذكرته فلا يفيد ذلك وهذا

قال تبارك وتعالى لا ظلم اليوم كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الى ان قال يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله تبارك وتعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وقوله عز وجل ان الله سريع الحساب أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة كما قال جل وعلا ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال جل جلاله وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر (وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير) يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة وسميت بذلك لاقترابها كما قال تعالى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة وقال عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر وقال جل وعلا اقترب للناس حسابهم وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال جل جلاله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا الآية وقوله تبارك وتعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين قال قتادة وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود الى أماكنها وكذا قال عكرمة والسدي وغير واحد ومعنى كاظمين أي ساكتين لا يتكلم أحد الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقال ابن جريج كاظمين أي باكين وقوله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الاسباب من كل خير وقوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الاشياء جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ويراقبوه مراقبة من يعلم انه يراه فانه عز وجل يعلم العين الخائنة وان أبدت أمانة ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء

برهان مقنع لمن كانت له أذن واعية من النصارى والمسلمين ويجوز أن يراد بالزراع الشارع صلى الله عليه وآله وسلم وبالارض الامة وبالبذر الايمان على حسب مراتب المؤمنين وبالنوع الاخير خيار الامة على حسب مراتبهم ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لاصحاب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتقويته لهم وتشبيههم بالزرع فقال (ليغيظ بهم الكفار) أي انما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكفار واللام متعلقة بمحذوف أي فعل ذلك ليغيظ قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أصابته هذه الآية وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص والعموم ليس هذا محل بسطها (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) أي وعد سبحانه هؤلاء الذين مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يغفر ذنوبهم ويجزل أجرهم بادخالهم الجنة التي هي أكبر نعمة وأعظم منة ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون لو ان ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته صلى الله عليه وآله وسلم قال الجلال المحلي وهما أي المغفرة والاجر لمن بعدهم أيضا في آيات أي بعد الصحابة من التابعين ومن بعدهم الى يوم القيامة كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم الى قوله أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ونحو ذلك من الآيات *(خاتمة)* قد جمعت هذه الآية وهي محمد رسول الله الى آخر السورة جميع حروف المعجم وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشارة التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم رضي الله تعالى عنهم وحشرنا معهم وهذا من لطائف النظم القرآني وهذا آخر القسم الاول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما نصرته صلى الله عليه وآله وسلم بالحال على من قصده بالضر باطنا

(سورة الحجرات ثماني عشرة آية وهي مدنية)

قال القرطبي بالاجماع قال ابن عباس وابن الزبير انها نزلت بالمدينة

*(بسم

أوتمر به وفيهم المرأة الحسناء فاذا غفلوا لحظ اليها فاذا فطنوا غض بصره عنها فاذا غفلوا لحظ فاذا فطنوا غض وقد اطلع الله تعالى من قلبه انه ودان لو اطلع على فرجها رواه ابن أبي حاتم وقال الضحاك خائنة الاعين هو الغمز وقول الرجل رأيت ولم ير أو لم أر وقد رأى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا وكذا قال مجاهد وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وما تخفي الصدور يعلم اذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا وقال السدي وما تخفي الصدور أي من الوسوسة وقوله عزوجل والله يقضي بالحق أي يحكم بالعدل قال (٥٣) الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى والله يقضي بالحق قادر على ان يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة ان الله هو السميع البصير وهذا الذي فسر به ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية كقوله تبارك وتعالى ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقوله جل وعلا والذين يدعون من دونه أي من الاصنام والاوثان والانداد لا يقضون بشيء أي لا يملكون شيأ ولا يحكمون بشيء ان الله هو السميع البصير أي سميع لاقوال خلقه بصير بهم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل في جميع ذلك (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب) يقول تعالى أولم يسير واهؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم أي من الامم المكذبة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ما حل بهم من العذاب والنكال مع انهم كانوا أشد من هؤلاء قوة وآثارا في الارض أي أثروا في الارض من البنايات والمعالم والديارات ما لا يقدر هؤلاء عليه كما قال عزوجل ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وقال تعالى وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها أي ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلهم وما كان لهم من الله من واق أي وما دفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ولا وقاهم واق ثم ذكر علة أخذه اياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها فقال تعالى ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أي بالدلائل الواضحات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا) ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمس مرات والمخاطب فيه المؤمنون والمخاطب به أمر أو نهي وذكر فيها يا أيها الناس مرة والخطاب فيها يعم المؤمنين والكافرين كما ان المخاطب به وهو قوله انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعمهما فناسب فيها ذكر الناس (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قرأ الجمهور بتشديد الدال مكسورة وفيه وجهان أحدهما أنه متعد وحذف مفعوله لقصد التعميم أو ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل كقولهم هو يعطي ويمنع والثاني أنه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراءة تقدموا بفتح التاء والقاف والدال قال الواحدي قدم ههنا بمعنى تقدم وهو لازم قال أبو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الاب أي لا تعجل بالامر دونه والنهي لان المعنى لا تقدموا قبل أمرهما ونهيهما وبين يدي الامام عبارة عن الامام لا بين يدي الانسان وقرئ بضم التاء وكسر الدال من أقدم أي لا تقدموا على شيء ومعنى الآية لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله ولا تعجلوا به وقيل معنى بين يدي فلان بحضرته لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة وهو الاظهر والاشمل وجرت هذه العبارة أي بين يدي الله ورسوله هنا على سنن من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلا أي استعارة تمثيلية والغرض تصوير كمال الهجنة وتقبيح قطع الحكم بغير اذن الله ورسوله أو المراد بين يدي رسول الله وذكر لفظ الله تعظيما للرسول واشعارا بأنه من الله بمكان يوجب اجلاله وعلى هذا فلا استعارة واليه يميل كلام المحلي وقال الشهاب في هذا الكلام تجوزان أحدهما في بين اليدين فان حقيقته ما بين العضوين فتجوز بهما عن الجهتين المقابلتين لليمين والشمال القريبتين منه باطلاق اليدين على ما يجاورهما ويحاذيهما فهو من المجاز المرسل ثم استعيرت الجملة وهي التقدم بين اليدين استعارة تمثيلية للقطع بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن تلزمه متابعته والمعنى كما قال الخازن لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله أو قبل أن يفعل وفي البيضاوي المعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكم الله ورسوله به انتهى وقطع الامر الجزم به والجرأة على ارتكابه من غير اذن من له الاذن (واتقوا الله) في كل أموركم ويدخل

والبراهين القاطعات فكفروا أي مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا فأخذهم الله تعالى أي أهلكهم ودمر عليهم وللكافرين أمثالها انه قوي شديد العقاب أي ذو قوة عظيمة وبطش شديد وهو شديد العقاب أي عقابه أليم شديد وجيع أعاذنا الله تبارك وتعالى منه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل (٥٤)

متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) يقول تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ومبشرا له بان العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام فان الله تعالى أرسله بالآيات البينات والدلائل الواضحات ولهذا قال تعالى بآياتنا وسلطان مبين والسلطان هو الحجة والبرهان الى فرعون وهو ملك القبط بالديار المصرية وهامان وهو وزيره في مملكته وقارون وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة فقالوا ساحر كذاب أي كذبوه وجعلوه ساحرا مجنونا مموها كذابا في ان الله أرسله وهذه كقوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فلما جاءهم بالحق من عندنا أي بالبرهان القاطع الدال على ان الله عز وجل ارسله اليهم قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني اسرائيل أما الاول فكان لاجل الاحتراز من وجود موسى أو لاذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الامرين وأما الامر الثاني فللعلة الثانية ولاهانة هذا الشعب ولكي تتشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون قال قتادة هذا أمر بعد أمر قال الله عز وجل وما كيد الكافرين الا في ضلال أي وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني اسرائيل لئلا ينصروا عليهم الا ذاهب وهالك في ضلال وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه هذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه الصلاة

تحتها الترك للتقدم بين يدي الله ورسوله دخولا أوليا ثم علل ما أمر به من التقوى بقوله (ان الله سميع) لكل مسموع (عليم) بكل معلوم عن عبد الله بن الزبير قال قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت الآية أخرجه البخاري وغيره قال ابن عباس نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه وهذا يشمل معارضة السنة والكتاب بالرأي والتقليد أيضا وعن عائشة قالت لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وأخرج البخاري في تاريخه عنها قالت كان أناس يتقدمون بين يدي رمضان بصيام يعني يوما أو يومين فأنزل الله هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا) في اعادة النداء فوائد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله لان النداء تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته تفيد تجدد ذلك ومنها أن لا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا ومنها أن يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تأكيدا للاول (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) يحتمل أن المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام لان خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير ويحتمل أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط والاول أولى والمعنى لا ترفعوا أصواتكم الى حد يكون فوق ما يبلغه صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال المفسرون المراد من الآية تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره وان لا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وهذا نهي عن قول كما ان قوله لا تقدموا نهي عن فعل عن أبي بكر الصديق قال لما أنزلت هذه الآية قلت يا رسول الله والله لا أكلمك الا كأخي السرار وفي سنده حصين بن عمر وهو ضعيف ولكنه يؤيده ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قال أبو بكر والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك الا كأخي السرار حتى ألقى الله وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال لما نزلت هذه الآية الى قوله وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت فقال أنا الذي كنت ارفع

والسلام أي قال لقومه ذروني حتى أقتل لكم هذا وليدع ربه أي لا أبالي منه وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد وقوله قبحه الله اني أخاف أن يبدل دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد يعني موسى يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم وهذا كما يقال في المثل صار فرعون مذكرا يعني واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام وقرأ الاكثرون ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد وقرأ آخرون أو ان يظهر في الارض الفساد وقرأ بعضهم يظهر في الارض الفساد بالضم وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم (٥٥) الحساب أي لما بلغه قول فرعون ذروني أقتل موسى قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله ولهذا قال اني عذت بربي وربكم أيها المخاطبون من كل متكبر أي عن الحق مجرم لا يؤمن بيوم الحساب ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال اللهم انا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد) المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون قال السدي كان ابن عم فرعون ويقال انه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب الى انه كان اسرائيليا لان فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام ولو كان اسرائيليا لاوشك أن يعاجل بالعقوبة لانه منهم وقال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك رواه ابن أبي حاتم وقد كان هذا الرجل يكتم ايمانه عن قومه القبط فلم يظهر الا هذا اليوم حين قال فرعون ذروني أقتل موسى فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر كما ثبت بذلك الحديث ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اللهم الا ما رواه

أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبط عملي أنا من أهل النار وجلس في بيته حزينا ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانطلق بعض القوم اليه فقالوا فقدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالك فقال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه بذلك فقال لا بل هو من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة قتل وفي الباب أحاديث بمعناه وعن ابن مسعود قال نزلت في ثابت بن قيس بن شماس (ولا تجهروا له بالقول) اذا كلمتموه (كجهر بعضكم لبعض) أي كما تعتادونه من الجهر بالقول اذا كلم بعضكم بعضا قال الزجاج أمرهم الله سبحانه بتجليل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وان يغضوا أصواتهم ويخاطبوه بالسكينة والوقار وقيل المراد بقوله ولا تجهروا له بالقول لا تقولوا يا محمد يا أحمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله توقيرا له وليس المراد برفع الصوت وبالجهر بالقول هو ما يقع على طريقة الاستخفاف فان ذلك كفر وانما المراد أن يكون الصوت في نفسه غير مناسب لما يقع في مواقف من يجب تعظيمه وتوقيره والحاصل ان النهي هنا وقع عن أمور الاول عن التقديم بين يديه بما لم يأذن به من الكلام والثاني عن رفع الصوت البالغ الى حد يكون فوق صوته سواء كان في خطابه أو خطاب غيره والثالث ترك الجفا في مخاطبته ولزوم الادب في محاورته لان المقاولة المجهورة انما تكون بين الاكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره ثم علل سبحانه ما ذكره بقوله (أن تحبط أعمالكم) قال الزجاج أي لان تحبط يعني فتحبط فاللام المقدرة لام الصيرورة وهذه العلة تصح أن تكون علة للنهي أي نهاكم الله عن الجهر خشية أو كراهة أن تحبط أو علة للمنهي أي لا تفعلوا الجهر فانه يؤدي الى الحبوط فكلام الزجاج ينظر الى الوجه الثاني لا الى الاول وجملة (وأنتم لا تشعرون) في محل نصب على الحال وفيه تحذير شديد ووعيد عظيم قال الزجاج وليس المراد وأنتم لا تشعرون يوجب أن يكفر الانسان وهو لا يعلم فكما لا يكون الكافر مؤمنا الا باختياره الايمان على الكفر كذلك لا يكون الكافر كافرا من حيث لا يعلمه ثم رغب الله سبحانه في امتثال أمره فقال (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) اجلالا له وتعظيما وأصل الغض النقص من كل شيء ومنه نقص الصوت (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم) قال الفراء أخلص قلوبهم (للتقوى)

البخاري في صحيحه حيث قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن ابراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم انفرد به البخاري (٥٦) من حديث الاوزاعي قال وتابعه محمد بن اسحق عن ابراهيم بن عروة عن أبيه به وقال ابن أبي حاتم حدثنا هرون بن اسحق الهمداني حدثنا عبدة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سئل ما أشد ما رأيت قريشا بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مر صلى الله عليه وسلم بهم ذات يوم فقالوا له أنت تنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقاموا اليه فأخذوا بمجامع ثيابه فرأيت أبا بكر رضي الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وان عينيه ليسيلان وهو يقول يا قوم أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم حتى فرغ من الآية كلها وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة فجعله من مسند عمرو بن العاص رضي الله عنه وقوله تعالى وقد جاءكم بالبينات من ربكم أي كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربي الله وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم يعني اذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل والرأي التام والحزم ان تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فان يك كاذبا فان الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة وان يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم فانه يتوعدكم ان خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا فينبغي على هذا ان لا تتعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام انه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان أدوا الى عباد الله اني لكم رسول

هذه

كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديئه ويسقط خبيثه وبه قال مقاتل ومجاهد وقتادة وقال الاخفش اختصها للتقوى وقال الواحدي تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فأخلصها للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه وهذا الوجه أنسب لان الكلام وارد في مدح أولئك السادة الكرام أو في التعريض بمن ليسوا على وصفهم ومن ثم قال في فاصلة الآية السابقة وأنتم لا تشعرون وفي فاصلة اللاحقة أكثرهم لا يعقلون وقيل طهرها من كل قبيح وقيل وسعها وشرحها من محنت الاديم اذا وسعته وقال أبو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته واللام متعلقة بمحذوف أي صالحة للتقوى كقولك أنت صالح لكذا أو للتعليل كقولك جئت لاداء الواجب أي ليكون مجيئي سببا لادائه (لهم مغفرة وأجر عظيم) خبر آخر لاولئك أو مستأنفة لبيان ما أعد الله لهم في الآخرة وهو الظاهر (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) هم جفاة بني تميم كما سيأتي بيانه ووراء الحجرات خارجها وخلفها أو قدامها والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات جمع ظلمة وقيل جمع حجر والحجر جمع حجرة فهو جمع الجمع والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة قرأ الجمهور الحجرات بضم الجيم وقرئ بفتحها تخفيفا وقرئ باسكانها وهي لغات ومناداتهم من وراء الحجرات اما بانهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد على حجرة ومن في من وراء لابتداء الغاية ولا وجه للمنع من جعلها لهذا المعنى (أكثرهم لا يعقلون) لغلبة الجهل عليهم وكثرة الجفاء في طباعهم والمراد بالاكثر الكل لان العرب قد تفعل هكذا عن الاقرع بن حابس أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد اخرج الينا فلم يجبه فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي شين فقال ذلك الله فأنزل الله ان الذين الخ أخرجه أحمد وابن جرير والبغوي والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند صحيح قال ابن منيع لا أعلم روى الاقرع مسندا غير هذا وعن البراء بن عازب في الآية قال جاء رجل فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاك الله أخرجه الترمذي وحسنه وعن زيد ابن أرقم قال اجتمع ناس من العرب فقالوا انطلقوا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرته فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فأنزل الله

أمين وان لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش أن يتركوه يدعو الى الله تعالى عباد الله ولا يمسوه بسوء ويصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته قال الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى أي أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحا مبينا وقوله جل وعلا ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب أي لو كان هذا الذي يزعم ان الله تعالى أرسله اليكم كاذبا كما تزعمون لكان أمره بينا يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله فكانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله وأرشده الى ما ترون من انتظام أمره وفعله ثم قال المؤمن محذرا قومه زوال نعمة الله عنهم وحلول نقمة الله بهم يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض أي قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الارض بالكلمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم واحذروا نقمة الله تبارك وتعالى ان كذبتم رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا أي لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ولا ترد عنا شيأ من بأس الله ان أرادنا بسوء قال فرعون لقومه رادا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون ما أريكم الا ما أرى أي ما أقول لكم وأشير عليكم الا ما أراه لنفسي وقد كذب فرعون فانه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فقوله ما أريكم الا ما أرى كذب فيه وافترى وخان الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورعيته فغشهم وما نصحهم وكذا قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد أي وما أدعوكم الا الى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك وان كان قومه قد أطاعوه واتبعوه قال الله تبارك وتعالى فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد وقال جلت عظمته وأضل فرعون قومه وما هدى وفي الحديث ما من امام يموت يوم

هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذني وجعل يقول لقد صدق الله قولك يا زيد أخرجه ابن راهويه ومسدد وأبو يعلى والطبراني وابن مردويه قال السيوطي باسناد حسن وفي الباب أحاديث قال النسفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول هذه السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثاني ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغا انتهى (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) أي لو انتظروا خروجك ولم يعجلوا بالمناداة لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم لما في ذلك من رعاية حسن الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل وقيل انهم جاؤا شفعاء في أسارى فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لاعتق الجميع ذكر معناه مقاتل وقيل يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم (والله غفور رحيم) كثير المغفرة والرحمة بليغهما لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من اساءة الادب ان تابوا وأنابوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) قرأ الجمهور من التبين وقرئ فتثبتوا من التثبت والمراد من التبين التعرف والتفحص ومن التثبت الاناة وعدم العجلة والتبصر بالامر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفساق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشئ يقال

يموت وهو عاش لرعيته الا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان (٥٨) أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) هذا اخبار من الله عز وجل عن هذا الرجل الصالح المؤمن آل فرعون انه حذر قومه بأس الله تعالى فى الدنيا والآخرة فقال يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب أى الذين كذبوا رسل الله فى قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الامم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد وما الله يريد ظلما للعباد أى انما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فانفذ فيهم قدره ثم قال ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يعنى يوم القيامة وسمى بذلك قال بعضهم لما جاء فى حديث الصور ان الارض اذا زلزلت وانشقت من قطر الى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس الى ذلك ذهبوا هاربين ينادى بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحاك بل ذلك اذا جىء بجهنم ذهب الناس هرابا منها فتتلقاهم الملائكة فتردهم الى مقام المحشر وهو قوله تعالى والملك على أرجائها وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه والحسن والضحاك انهم قرؤا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير اذا تردى وذهب وقيل لان الميزان عنده ملك اذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف عمله نادى ألا قد شقى فلان بن فلان وقال قتادة ينادى كل قوم بأعمالهم ينادى أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار وقيل سمى بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ومناداة أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا

فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها من بياضها وصفرتها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد بركوب الكبائر قال المفسرون ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط كما سيأتى بيانه (أن) أى كراهة ان او لئلا (تصيبوا) بالقتل والاسر (قوما بجهالة) لان الخطأ ممن لم يتبين الامر ولم يتثبت فيه هو الغالب وهو جهالة لانه لم يصدر عن علم والمعنى متلبسين بجهالة بحالهم (فتصبحوا على ما فعلتم) بهم من اصابتهم بالخطا (نادمين) على ذلك مغتمين له مهتمين به وفى الآية دليل على قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا فى خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة عن الحارث بن ضرار الخزاعى قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى الى الاسلام فدخلت فيه واقررت به ودعانى الى الزكاة فاقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع الى قومى فأدعوهم الى الاسلام واداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته وترسل الى يا رسول الله رسولا لابان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذى اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث ان قد حدث فيه سخط من الله ورسوله فدعا سروات قومه فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لى وقتا يرسل الى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله الخلف ولا أرى حبس رسوله الا من سخطه فانطلقوا فنأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى الحارث ليقبض ما عنده مما جمع من الزكاة فلما ان سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الحارث منعنى الزكاة وأراد قتلى فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث الى الحارث فأقبل الحارث باصحابه حتى اذا استقل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكاة واردت قتله قال لا والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته بتة ولا اتانى فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منعت الزكاة واردت قتل رسولى قال لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا رآنى وما أقبلت الا حين احتبس على

علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ولمناداة أصحاب الاعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور فى سورة الاعراف واختار البغوى وغيره انه سمى بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم وقوله تعالى يوم تولون مدبرين أى ذاهبين هاربين كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ولهذا قال عز وجل ما لكم من الله من عاصم أى ما لكم من مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ومن يضلل الله فما له من هاد أى من أضله الله فلا هادى له غيره وقوله تبارك وتعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات يعنى أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا من قبل (٥٩) موسى عليه الصلاة والسلام وهو يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو الى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة الا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوى ولهذا قال تعالى فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أى يئستم فقلتم طامعين لن يبعث الله من بعده رسولا وذلك لكفرهم وتكذيبهم كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أى كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لاسرافه فى أفعاله وارتياب قلبه ثم قال عز وجل الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم أى الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى فان الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا أى والمؤمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفته فان من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال تبارك وتعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر أى على اتباع الحق جبار روى ابن أبى حاتم عن عكرمة وحكى عن الشعبى انهما قالا لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو عمران الجونى وقتادة آية الجبابرة القتل بغير حق والله تعالى أعلم (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب) يقول تعالى مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائه فى تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبنى له صرحا وهو القصر العالى المنيف الشاهق وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوى كما قال تعالى فأوقد لى

رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت ان تكون كانت سخطة من الله ورسوله فنزلت يا أيها الذين آمنوا الى قوله حكيم أخرجه أحمد وابن أبى حاتم والطبرانى وابن منده وابن مردويه قال السيوطى بسند جيد قال ابن كثير هذا من أحسن ما روى فى سبب نزول الآية وقد رويت روايات كثيرة متفقة على انه سبب نزول الآية وأنه المراد بها وان اختلفت القصص ثم وعظهم الله سبحانه فقال (واعلموا ان فيكم رسول الله) فلا تقولوا قولا باطلا ولا تتسرعوا عند وصول الخبر اليكم من غير تبين فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب أو فارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لو يطيعكم فى كثير من الامر) أى مما تخبرونه به من الاخبار الباطلة وتشيرون به عليه من الآراء التى ليست بصواب (لعنتم) أى لوقعتم فى العنت وهو التعب والجهد والاثم والهلاك ولكنه لا يطيعكم فى غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له ولا يسارع الى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه عن أبى سعيد الخدرى انه قرأ هذه الآية وقال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم فى كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى جعله أحب الاشياء اليكم أو محبوبا لديكم فلا يقع منكم الا ما يوافقه ويقتضيه من الامور الصالحة وترك التسرع فى الاخبار وعدم التثبت فيها قيل والمراد بهؤلاء من عدا الاولين لبيان براءتهم عن أوصاف الاولين والظاهر أنه تذكير للكل بما يقتضيه الايمان وتوجيه محبته التى جعلها الله فى قلوبهم (وزينه) أى حسنه بتوفيقه وقربه منكم وأدخله (فى قلوبكم) حتى جريتم على ما يقتضيه فى الاقوال والافعال (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) أى جعل كل ما هو من جنس هذه الثلاثة مكروها عندكم وأصل الفسق الخروج عن الطاعة والعصيان جنس ما يعصى الله به وقيل أراد بذلك الكذب خاصة والاول أولى وفى هذه الآية لطيفة وهو أن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء فى مقابلة الايمان الكامل وهو ما اجتمع فيه ثلاثة أمور اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان فكراهة الكفر فى مقابلة محبة الايمان وتزيينه فى القلوب هو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب فى مقابلة الاقرار باللسان والعصيان فى مقابلة العمل بالاركان (أولئك) الموصوفون بما ذكر (هم

باشمان على الطين فاجعل لى صرحا ولهذا قال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون البناء بالآجر وان يجعلوه فى قبورهم رواه ابن أبى حاتم وقوله لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات الخ قال سعيد بن جبير وأبو صالح أبواب السموات وقيل طرق السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا وهذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة والسلام فى ان الله عز وجل أرسله اليه قال الله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل أى بصنعه هذا الذى أراد أن يوهم به الرعية انه يعمل شيأ يتوصل به الى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام ولهذا قال (٦٠) تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب قال ابن عباس ومجاهد يعنى الا فى خسار

(وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسى الجبار الاعلى فقال لهم ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد لا كما كذب فرعون فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم زهدهم فى الدنيا التى آثروها على الاخرى وصدهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع أى قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل وان الآخرة هى دار القرار أى الدار التى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها الى غيرها بل اما نعيم واما جحيم ولهذا قال جلت عظمته من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها أى واحدة مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أى لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله عز وجل ثوابا كثيرا لا انقضاء له ولا نفاد والله تعالى الموفق للصواب (وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار لا جرم ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيآت مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) يقول لهم المؤمن مالى أدعوكم

الراشدون) يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب من الرشادة وهى الصخرة وفيه التفات عن الخطاب (فضلا من الله ونعمة) أى لاجل فضله وانعامه والمعنى أنه حبب اليكم ما حبب وكره اليكم ما كره لاجل فضله وانعامه أوجعلكم راشدين لاجل ذلك وقيل التقدير تبتغون فضلا ونعمة (والله عليم) بكل معلوم (حكيم) فى صنعه وفى كل ما يقضى به بين عباده ويقدره لهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) قرأ الجمهور بالجمع باعتبار كل فرد من افراد الطائفتين كقوله هذان خصمان اختصموا وقال النسفى حملا على المعنى لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وثنى فى قوله (فأصلحوا بينهما) نظرا الى اللفظ عن أنس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق اليه وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهى أرض سبخة فلما انطلق اليه قال اليك عنى فوالله لقد آذانى ريح حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل منهما أصحابه وكان بينهم ضرب بالجريد والايدى والنعال فنزلت وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وقد روى نحو هذا من وجوه آخر قال ابن عباس كان قتال بالنعال والعصى فأمرهم ان يصلحوا بينهما وعن عائشة قالت مارأيت مثل مارغبت عنه هذه الامة فى هذه الآية وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج (فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله) البغى التعدى بغير حق والامتناع من الصلح الموافق للصواب والاستطالة والظلم والفيء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين والمعنى انه اذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلى المسلمين ان يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم الى حكم الله فان حصل بعد ذلك التعدى من احدى الطائفتين على الاخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه ولم تتأثر بالنصيحة وأبت الاجابة الى حكم الله تعالى كان على المسلمين ان يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع الى أمر الله وحكمه وكتابه وقيل الى طاعته فى الصلح الذى امر به وحتى للغاية وقيل بمعنى كى فتكون للتعليل والاول كما قال بعضهم هو الظاهر المناسب لسياق الآية عن ابن عباس فى الآية قال ان الله أمر النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين

الى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي على جهل بلا دليل وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب اليه لا جرم انما تدعونني اليه يقول حقا قال السدي وابن جرير معنى قوله لا جرم حقا وقال الضحاك لا جرم لا كذب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا جرم يقول بلى ان الذي تدعونني اليه من الاصنام والانداد ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة قال مجاهد الوثن ليس له شيء وقال قتادة يعني الوثن لا ينفع ولا يضر وقال السدي لا يجيب داعيه (٦١) لا في الدنيا ولا في الآخرة وهذا كقوله تبارك وتعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وقوله وان مردنا الى الله اي في الدار الآخرة فيجازي كلا بعمله ولهذا قال وان المسرفين هم أصحاب النار أي خالدين فيها باسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل فستذكرون ما أقول لكم أي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم وأفوض أمري الى الله أي وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم ان الله بصير بالعباد اي هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الاضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ وقوله تبارك وتعالى فوقاه الله سيآت ما مكروا اي في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام واما في الآخرة فبالجنة وحاق بآل فرعون سوء العذاب وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه الى الجحيم فان ارواحهم تعرض على النار صباحا ومساء الى قيام الساعة فاذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ولهذا قال ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب أي أشده ألما وأعظمه نكالا وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ولكن هنا سؤال وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ وقد قال الامام أحمد ثنا هاشم هو ابن القاسم

المؤمنين أن يدعوهم الى حكم الله وينصف بعضهم عن بعض فاذا أجابوا حكم فيهم بكتاب الله حتى ينصف المظلوم فمن أبى منهم ان يجيب فهو باغ وحق على الامام ان يقاتلهم حتى يفيئوا الى أمر الله ويقروا بحكم الله وعن ابن عمر قال ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في نفسي من هذه الآية اني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله والحاصل ان حكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت والمراد بامر الله الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) أي فان رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها الى الحق وأجابت الدعوات الى كتاب الله وحكمه والرضا بما فيه (فاصلحوا بينهما بالعدل) أي بالنصح والدعاء الى حكم الله ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر يعني فعلى المسلمين ان يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للأخرى ثم أمر الله سبحانه المسلمين ان يعدلوا في كل أمورهم بعد أمرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتتلتين فقال (وأقسطوا) أي اعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط الرباعي وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور بخلاف قسط الثلاثي فمعناه الجور يقال قسط الرجل اذا جار وأقسط اذا عدل وهذا هو المشهور خلافا للزجاج في جعلهما سواء (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم باحسن الجزاء وجملة (انما المؤمنون اخوة) مستأنفة مقررة لما قبلها من الامر بالاصلاح والمعنى انهم راجعون الى أصل واحد وهو الايمان قال الزجاج الدين يجمعهم فهم اخوة اذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا بالاتفاق في الدين الى أصل النسب لانهم لآدم وحواء قال بعضهم

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

ونعم ما قيل

القوم اخوان صدق بينهم سبب * من المودة لم يعدل به نسب

وذلك ان الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشأ مثل ذلك بين الاخوين ولادا لزم

أبو النضر ثنا اسحق بن سعيد هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ثنا سعيد يعني أباه عن عائشة رضي الله عنها ان يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها اليها شيأ من المعروف الا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر قالت عائشة رضي الله عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فقلت يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم لا من زعم ذلك قالت هذه اليهودية لا أصنع اليها شيأ من المعروف الا قالت وقاك الله عذاب القبر قال صلى الله عليه وسلم كذبت يهود وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم (٦٣) القيامة ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته القبر كقطع الليل المظلم أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا ايها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فان عذاب القبر حق وهذا اسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وروى أحمد ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت له فقال صلى الله عليه وسلم لا قالت عائشة رضي الله عنها ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وانه أوحي الي انكم تفتنون في قبوركم وهذا أيضا على شرطهما فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ والجواب ان الآية دلت على عرض الارواح على النار غدوا وعشيا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها باجسادها في القبور اذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه الا السنة في الاحاديث المرضية الآتي ذكرها فقال وقد يقال ان هذه الآية انما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب ومما يدل على هذا ما رواه الامام أحمد ثنا عثمان بن عمر ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول أشعرت انكم تفتنون في قبوركم فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما يفتن يهود قالت عائشة رضي الله عنها فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انكم تفتنون في

السائران يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين أحق بذلك (فاصلحوا بين أخويكم) يعني بين كل مسلمين تخاصما وتقاتلا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى المأمورين بالاصلاح للمبالغة في التقرير والفاء للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح أو تخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوقهما بطريق الاولى لانهما أقل من يقع بينهما الشقاق فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الا كثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين قرأ الجمهور على التثنية قال أبو علي الفارسي في توجيهها اراد بالاخوين الطائفتين لان لفظ التثنية قد يرد ويراد به الكثرة وقال أبو عبيدة أي أصلحوا بين كل أخوين وقرئ اخوانكم بالجمع وقرئ اخوتكم بالفوقية على الجمع أيضا (واتقوا الله) في كل أموركم (لعلكم ترحمون) بسبب التقوى والترجي باعتبار المخاطبين أي راجين أن ترحموا أو لعل من الله في هذا المقام اطماع من الكريم الرحيم اذا الاطماع فعل ما يطمع فيه لا محالة وفي هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية اذا تقرر بغيها على الامام أو على احد من المسلمين وعلى فساد قول من قال بعدم الجواز مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر فان المراد بهذا الحديث وما ورد في معناه قتال المسلم الذي لم يبغ قال ابن جرير لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين فريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل لما أقيم حق ولا أبطل باطل ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا الى استحلال كل ما حرم الله من أموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بان يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم وذلك مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا على أيدي سفهائكم قال ابن العربي هذه الآية أصل في قتال المسلمين وعمدة في حرب المتأولين وعليها عول الصحابة واليها لجأ الاعيان من أهل الملة واياها عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تقتل عمارا الفئة الباغية وقوله صلى الله عليه وسلم في شأن الخوارج يخرجون على حين فرقة من الناس تقتلهم أولى الطائفتين بالحق والآية تدل أيضا على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي وعن علي وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون قال لا انهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم قال لا لان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا وهو رضي الله تعالى عنه قدوة في قتال أهل البغي وعنه انه سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله

القبور وقالت عائشة رضي الله عنها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيذ من عذاب القبر وهكذا رواه مسلم عن هرون ابن سعيد وحرملة كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الايلي عن الزهري به وقد يقال ان هذه الآية دلت على عذاب الارواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك ان يتصل في الاجساد في قبورها فلما أوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها ان يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ بالله من عذاب القبر فسألت عائشة (٦٣) رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال صلى الله عليه وسلم نعم عذاب القبر حق قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر فهذا يدل على انه بادر صلى الله عليه وسلم الى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه وفي الاخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي فلعلهما قضيتان والله سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا وقال قتادة في قوله تعالى غدوا وعشيا صباحا ومساء ما بقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم وقال ابن زيد هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح الى أن تقوم الساعة وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا المحاربي ثنا ليث عن عبد الرحمن ابن ثروان عن هذيل عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال ان أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاؤا وان أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوي الى قناديل معلقة في العرش وان ارواح آل فرعون في اجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها وقد رواه الثوري عن أبي قيس عن أبي الهذيل بن شرحبيل ومن كلامه في أرواح آل فرعون وكذلك قال السدي وفي حديث الاسراء من رواية أبي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه ثم انطلق بي الى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وآل فرعون كالابل المسومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين

فقال كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أي رجال منكم (من قوم) تنكير القوم للتبعيض وان المعنى على الافراد وان جاء النظم على الجمع لان السخرية تقع في المجامع قال الكرخي انه من نسبة فعل البعض الى الجميع لرضاهم به في الاغلب ولوجوده فيما بينهم والسخرية الاستهزاء وحكى أبو زيد سخرت به وضحكت به وهزئت به وقال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت به ومنه وهزئت منه وبه كل ذلك يقال والاسم السخرية والسخري بالكسر وبالضم لغة فيه وقرئ بهما في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ومعنى الآية النهي للمؤمنين عن ان يستهزئ بعضهم ببعض (عسى ان يكونوا خيرا منهم) علل النهي بان يكون المسخور بهم عند الله خيرا من الساخرين بهم فينبغي ان لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى قال ابن مسعود ان البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان أحول كلبا ولما كان لفظ قوم مختصا بالرجال لانهم القوّام على النساء أفرد النساء بالذكر فقال (ولا) يسخر (نساء من نساء عسى أن يكن) المسخور بهن (خيرا منهن) يعني من الساخرات منهن وقيل أفرد النساء بالذكر لان السخرية منهن أكثر عن مقاتل قال نزلت في قوم من بني تميم استهزؤا من فقراء المسلمين كبلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة وعن أنس نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهودي (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا تطعنوا أهل دينكم واللمز العيب والطعن وقد مضى تحقيقه في سورة براءة عند قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات قال ابن جرير اللمز باليد والعين واللسان والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان والمعنى لا يلمز بعضكم بعضا كما في قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله فسلموا على أنفسكم والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز

ثنا زيد بن أخزم ثنا عامر بن مدرك الحارثي ثنا عتبة يعني ابن يقظان عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أحسن محسن من مسلم أو كافر الا أثابه الله تعالى قال قلنا يا رسول الله ما اثابة الله الكافر فقال ان كان قد وصل رحما أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة واشباه ذلك قلنا فما اثابته في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم عذابا دون العذاب وقرأ ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ورواه البزار في مسنده عن زيد بن أخزم ثم قال لا نعلم له اسنادا غير هذا وقال ابن (٦٤) جرير ثنا عبد الكريم بن أبي عمير ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي قال سمعت الاوزاعي وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية البحر الغربي بيضا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله عز وجل فاذا كان العشي رجع مثلها سودا قال وفطنتم الى ذلك قال نعم قال ان ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى وكورها وقد احترقت ارياشها وصارت سودا فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تغدو على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكورها فذلك دأبهم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ادخلوا آل فرعون أشد العذاب قال وكانوا يقولون انهم ستمائة ألف مقاتل وقال الامام أحمد ثنا اسحق ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل اليه يوم القيامة أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به (وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال) يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء انا كنا لكم تبعا أي اطعناكم فيما دعوتمونا اليه في الدنيا من

نفسه حقيقة قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير لا يطعن بعضكم على بعض وبه قال ابن عباس وقال الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا (ولا تنابزوا بالالقاب) أي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به والتنابز التفاعل من النبز بالتسكين وهو المصدر والنبز بالتحريك اللقب مطلقا أي حسنا كان أو قبيحا خص في العرف بالقبيح والجمع انباز والالقاب جمع لقب وهو اسم غير الذي سمي به الانسان والمراد هنا لقب السوء والتنابز بالالقاب ان يلقب بعضهم بعضا والتداعي بها قال الواحدي قال المفسرون هو أن يقول لاخيه المسلم يا فاسق يا منافق أو يقول لمن أسلم يا يهودي يا نصراني قال عطاء هو كل شيء أخرجت به أخاك من الاسلام كقولك يا كلب يا حمار يا خنزير قال الحسن ومجاهد كان الرجل يعير بكفره فيقال له يا يهودي يا نصراني فنزلت وبه قال قتادة وأبو العالية وعكرمة عن أبي جبيرة بن الضحاك قال فينا نزلت في بني سلمة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فكان اذا دعا واحدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يا رسول الله انه يكرهه فنزلت ولا تنابزوا بالالقاب أخرجه البخاري في الادب وأهل السنن الاربع وغيرهم وعن ابن عباس نحوه وعنه قال التنابز أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب منها وراجع الحق فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله وعن ابن مسعود في الآية قال اذا كان الرجل يهوديا فاسلم فيقول يا يهودي يا مجوسي ويقول للرجل المسلم يا فاسق قيل والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به فاما ما يحبه فلا بأس به ومنه الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها نحو الاخفش والاعمش وما أشبه ذلك قال القرطبي انه يستثنى من هذا من غلب عليه الاستعمال كالاعرج والاحدب ولم يكن له سبب يجد في نفسه منه عليه فجوزته الائمة واتفق أهل اللغة على قوله انتهى وأما الالقاب التي تكسب حمدا أو مدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله (بئس الاسم الفسوق) أي بئس الاسم ان يذكر بالفسق والاسم هنا ليس المراد به ما يقابل اللقب والكنية ولا ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به الذكر المرتفع لانه من السمو ومن قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا بالفسق (بعد) دخولهم في (الايمان)

استقباح

الكفر والضلال فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار أى قسطا تحملونه عنا قال الذين استكبروا انا كل فيها أى لا نتحمل عنكم شيأ كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال ان الله قد حكم بين العباد أى فقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا كما قال تعالى قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب لما علموا ان الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال اخسؤا فيها ولا تكلمون سألوا الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى فى ان يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب (٦٥) فقالت لهم الخزنة رادين عليهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أى أوما قامت عليكم الحجج فى الدنيا على ألسنة الرسل قالوا بلى قالوا فادعوا أى أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم برآء ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال أى الا فى ذهاب لا يقبل ولا يستجاب (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير) قد أورد أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا سؤالا فقال قد علم ان بعض الانبياء

عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية كيحيى وزكريا وشعيا ومنهم من خرج من بين اظهرهم اما مهاجرا كابراهيم واما الى السماء كعيسى فأين النصرة فى الدنيا ثم أجاب عن ذلك بجوابين أحدهما أن يكون الخبر خرج عاما والمراد به البعض قال وهذا سائغ فى اللغة الثانى أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن اذاهم وسواء كان ذلك بحضرتهم أو فى غيبتهم او بعد موتهم كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم

استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذى يحظره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة قال ابن زيد أى الفسق ان يسمى الرجل كافرا أو زانيا بعد اسلامه وتوبته وقيل المعنى ان من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق (ومن لم يتب) عما نهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) لارتكابهم ما نهى الله عنه وامتناعهم من التوبة وظلموا من لقبوه وظلموا أنفسهم بما لزمها من الاثم (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله فى جانب فيعدى الى مفعولين قال تعالى واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والظن هنا مجرد التهمة التى لا سبب لها كمن يتهم غيره بشئ من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك وأمر سبحانه باجتناب الكثير وأبهم ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه لان من الظن ما يجب اتباعه فان أكثر الاحكام الشرعية مبنية على الظن كالقياس وخبر الواحد ودلالة العموم ولكن هذا الظن الذى يجب العمل به قد قوى بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به فارتفع عن الشك والتهمة قال الزجاج هو أن يظن باهل الخير سوأ فاما أهل السوء والفسوق فلنا ان نظن بهم مثل الذى ظهر منهم قال مقاتل بن سليمان ومقاتل ابن حيان هو أن يظن باخيه المسلم سوأ ولا بأس به ما لم يتكلم به فان تكلم بذلك الظن وابداه أثم وحكى القرطبى عن أكثر العلماء ان الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وانه لا حرج فى الظن القبيح بمن ظاهره القبيح وجملة (ان بعض الظن اثم) تعليل لما قبلها من الامر باجتناب كثير من الظن وهذا البعض هو ظن السوء باهل الخير والاثم هو ما يستحقه الظان من العقوبة ومما يدل على تقييد هذا الظن المأمور باجتنابه بظن السوء قوله تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا فلا يدخل فى الظن المأمور باجتنابه شئ من الظن المأمور باتباعه من مسائل الدين فان الله قد تعبد عباده باتباعه واوجب العمل به جمهور أهل العلم ولم ينكر ذلك الا بعض طوائف المبتدعة كيادا للدين وشذوذا عن جمهور المسلمين وقد جاء التعبد بالظن فى كثير من الشريعة المطهرة بل فى أكثرها قال أبو السعود من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الامور المعاشية انتهى وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به

وأذلوهم وأظفرهم الله تعالى عليهم ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اماما عادلا وحكما مقسطا فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل الا الاسلام وهذه نصرة عظيمة وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب وفي الحديث الآخر اني لأثأر لاوليائي كما

يثأر الليث الحرب ولهذا أهلك عز وجل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباههم واضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق وانجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحدا وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحدا قال السدي لم يبعث الله عز وجل رسولا قط الى قوم فيقتلونه أو قوما من المؤمنين يدعون الى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الانبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها وهكذا نصر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفه وناواه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الاديان وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه الى المدينة النبوية وجعل له فيها انصارا وأعوانا ثم منحه اكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الاصفاد ثم من عليهم باخذه الفداء منهم ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة فقرت عينه ببلده وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم فانقذه الله تعالى به مما كان فيه من الكفر والشرك وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكمالها ودخل الناس في دين الله افواجا ثم قبضه الله تعالى اليه لما له عنده من الكرامة العظيمة فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله تعالى الى الله جل وعلا وفتحوا البلاد والرساتيق والاقاليم والمدائن والقرى والقلوب حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الارض ومغاربها ثم لا يزال هذا الدين قائما منصورا ظاهرا الى قيام الساعة ولهذا قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد أي يوم القيامة تكون النصرة

وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم قال ابن عباس في الآية نهى الله المؤمن ان يظن بالمؤمن سوأ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا الحديث أخرجه الشيخان ثم لما أمرهم سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال (ولا تجسسوا) التجسس البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معائب الناس ومثالبهم حتى يطلع عليها بعد أن سترها الله تعالى قرأ الجمهور بالجيم ومعناه ما ذكرنا وقرئ بالحاء قال الاخفش ليس يبعد أحدهما عن الآخر لان التجسس بالجيم هو البحث عما ينكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها وقيل ان التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس اذا كان يبحث عن الامور وبالحاء ما ادركه الانسان ببعض حواسه وقيل انه بالحاء فيما يطلبه الانسان لنفسه وبالجيم أن يكون رسولا لغيره قاله ثعلب والاول اعرف يقال تحسست الاخبار وتجسستها أي تفحصت عنها قال ابن عباس نهى الله المؤمنين عن تتبع عورات المؤمن وعن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل هذا فلان يقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذه قال مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيى موؤدة أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة رواه مسلم وفي كتاب أبي داود عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انك ان اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم فقال أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنفعه الله بها وقد وردت أحاديث في النهي عن تتبع عورات المسلمين والتجسس عن عيوبهم (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه يقال اغتابه اغتيابا اذا وقع فيه والاسم الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب يعني ان تذكر الرجل بما يكرهه كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح

أعظم وأكبر وأجل قال مجاهد الاشهاد الملائكة وقوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من قوله ويوم يقوم الاشهاد وقرأ آخرون يوم بالرفع كأنه فسره به يوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين وهم المشركون معذرتهم أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية ولهم اللعنة أي الابعاد والطرد من الرحمة ولهم سوء الدار وهي النار قاله السدي بئس المنزل والمقيل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ولهم سوء الدار أي سوء العاقبة وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الهدى وهو ما بعثه الله عز وجل به من الهدى والنور وأورثنا بني اسرائيل الكتاب أي جعلنا لهم العاقبة (٦٧) وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه بما صبروا على طاعة الله تبارك وتعالى واتباع رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة هدى وذكرى لأولي الالباب وهي العقول الصحيحة السليمة وقوله عز وجل فاصبر أي يا محمد ان وعد الله حق أي وعدناك انا سنعلي كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك والله لا يخلف الميعاد وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك وقوله تبارك وتعالى واستغفر لذنبك هذا تهييج للامة على الاستغفار وسبح بحمد ربك بالعشي أي في أواخر النهار وأوائل الليل والابكار وهي أوائل النهار وأواخر الليل وقوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم أي يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه أي ما في صدورهم الا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس ما يرومونه من اخماد الحق واعلاء الباطل بحاصل لهم بل الحق هو المرفوع وقولهم وقصدهم هو الموضوع فاستعذ بالله أي من حال مثل هؤلاء انه هو السميع البصير أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان هذا تفسير ابن جرير وقال كعب وأبو العالية نزلت هذه الآية في اليهود الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال أبو العالية وذلك انهم ادعوا ان الدجال منهم وانهم يملكون به الارض فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم آمرا له ان يستعيذ من فتنة الدجال ولهذا قال عز وجل فاستعذ بالله انه هو السميع البصير وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وان كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم (لخلق السموات

الصحيح لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره فقيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول فقال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال ابن عباس حرم الله ان يغتاب المؤمن بشئ كما حرم الميتة والاحاديث في تحريم الغيبة كثيرة جدا معروفة في كتب الحديث قال الحسن الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان فأما الغيبة فهي ان تقول في أخيك ما هو فيه وأما الافك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه وأما البهتان فهو أن تقول ما ليس فيه ولا خلاف ان الغيبة من الكبائر وان على من اغتاب أحدا التوبة الى الله أو الاستغفار لمن اغتابه أو الاستحلال منه وللشوكاني رسالة في ذلك سماها

رفع الريبة عن مسئلة الغيبة وهي نفيسة جدا (أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا) مثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة لان الميت لا يعلم بأكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه ذكر معناه الزجاج وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه وانه كما يحرم أكل لحمه تحرم الاستطالة في عرضه وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتقبيح لها والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى فان لحم الانسان مما تنفر عنه الطباع الانسانية وتستكرهه الجبلة البشرية فضلا عن كونه محرما شرعا وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم للتعميم والاشعار بان أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها انه لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعله ميتا فهذا تمثيل على أفحش وجه (فكرهتموه) أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته فالكلام من باب الاستعارة التمثيلية وفي هذا التمثيل والتشبيه اشارة الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان أشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الانسان لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك أشد ألما قال الفراء تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوا والمعنى فلما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء أو المعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الرازي الفاء في تقدير جواب كلام كأنه قال لا يحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذن

والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يقول تعالى منبها على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة وان ذلك سهل عليه يسير لديه بانه خلق السموات والارض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة واعادة فمن قدر على ذلك فهو قادر على مادونه بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير وقال (٦٨) ههنا لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها كما كان كثير من العرب يعترفون بان الله تعالى خلق السموات والارض وينكرون المعاد استبعادا وكفرا وعنادا وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا ثم قال تعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون أى كما لا يستوي الاعمى الذى لا يبصر شيأ والبصير الذى يرى ما انتهى اليه بصره بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوي المؤمنون الابرار والكفرة الفجار قليلا ما تتذكرون أى ما أقل ما يتذكر كثير من الناس ثم قال تعالى ان الساعة لآتية أى لكائنة وواقعة لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون أى لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها قال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال سمعت ان الساعة اذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس والله أعلم (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه انه ندب عباده الى دعائه وتكفل لهم بالاجابة كما كان سفيان الثوري يقول يامن أحب عباده اليه من سأله فاكثر سؤاله ويامن أبغض عباده اليه من لم يسأله وليس أحد كذلك غيرك يارب رواه ابن أبي حاتم وفي هذا المعنى يقول الشاعر

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

وقال قتادة قال كعب الاحبار أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن أمة قبلهم الا نبي كان اذا أرسل الله نبيا قال له أنت شاهد على أمتك وجعلكم شهداء على الناس وكان

وقال أبو البقاء هو معطوف على محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وبه قال البيضاوي وقيل ان صح ذلك عندكم فانتم تكرهونه وقيل هو خبر بمعنى الامر (واتقوا الله) بترك ما أمركم باجتنابه (ان الله تواب رحيم) لمن اتقاه وتاب عما فرط منه من الذنب ومخالفة الامر والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أولانه مامن ذنب يقترفه العبد الا كان معفوا عنه بالتوبة أولانه لما بولغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) هما آدم وحوى والمقصود أنهم متساوون لاتصالهم بنسب واحد وكونهم يجمعهم أب واحد وأم واحدة وانه لا موضع للتفاخر بينهم بالانساب وقيل المعنى ان كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء عن ابن أبي مليكة قال لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على الكعبة فقال بعض الناس اهذا العبد الاسود يؤذن على ظهر الكعبة وقال بعضهم ان سخط الله هذا يغيره فنزلت هذه الآية أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وعن الزهري قال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني بياضة ان يزوجوا أباهند امرأة منهم فقالوا يارسول الله أنزوج بناتنا موالينا فنزلت هذه الآية أخرجه أبو داود في مراسيله وابن مردويه والبيهقي في سننه وقال الزهري نزلت في أبي هند خاصة وعن عمر بن الخطاب ان هذه الآية هي مكية وهي للعرب خاصة الموالي أى قبيلة لهم وأى شعاب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة والقبائل دونها كبني بكر من ربيعة وبني تميم من مضر قال الواحدي هذا قول جماعة من المفسرين سموا شعبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجرة والشعب من أسماء الاضداد يقال شعبته اذا جمعته وشعبته اذا فرقته ومنه سميت المنية شعوبا لانها مفرقة فاما الشعب بالكسر فهو الطريق في الجبل قال الجوهري الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم والجمع الشعوب وقال مجاهد الشعوب البعيد من النسب والقبائل دون ذلك وقال قتادة الشعوب النسب الاقرب وقيل أعلى طبقات النسب وقيل ان الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل من ربيعة ومضر وسائر عدنان وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب وحكى أبو عبيد أن الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ثم العشيرة وكل واحدة

يقال له ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال له ادعني استجب لك وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم رواه ابن أبي حاتم وقال الامام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا أبو ابراهيم الترجماني حدثنا صالح المدني قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال أربع خصال واحدة منهن لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين عبادي فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك علي فما عملت من خير (٦٩) جزيتك به وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الاجابة وأما التي بينك وبين عبادي فارض لهم ما ترضى لنفسك وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ذر عن يسيع عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الاعمش به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والاعمش كلاهما عن ذر به وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام ثنا سفيان الثوري عن منصور عن ذر به ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما وقال الحاكم صحيح الاسناد وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثني أبو صالح المدني شيخ من أهل المدينة سمعه عن أبي صالح وقال مرة سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله عز وجل غضب عليه تفرد به أحمد وهذا اسناد لا بأس به وقال الامام أحمد أيضا حدثنا مروان الفزاري حدثنا صبيح أبو المليح سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه قال ابن معين أبو المليح هذا اسمه صبيح كذا قيده بالضم عبد الغني بن سعيد وأما أبو صالح هذا فهو الخوزي سكن شعب الخوز قاله البزار في مسنده وكذا وقع في روايته أبو المليح الفارسي عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن

تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وبنو هاشم فصيلة والعباس عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف ومما يؤيد ما قاله الجمهور من ان الشعب أكثر من القبيلة قول الشاعر

قبائل من شعوب ليس فيهم * كريم قد يعد ولا نجيب

قال ابن عباس الشعوب القبائل العظام والقبائل البطون وعنه قال الشعوب الجماع والقبائل الافخاذ التي يتعارفون بها وعنه قال القبائل الافخاذ والشعوب الجمهور مثل مضر (لتعارفوا) أي خلقناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضا والفائدة في التعارف ان ينتسب كل واحد منهم الى نسبه ولا يعتزي الى غيره ويصل رحمه والمقصود من هذا ان الله سبحانه خلقهم كذلك لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم ودعوى ان هذا الشعب أفضل من هذا الشعب وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة وهذا البطن أشرف من هذا البطن وانما الفخر بالتقوى قرأ الجمهور لتعارفوا بتخفيف التاء وأصله لتتعارفوا وقرئ بتشديدها على الادغام وقرئ بتاءين ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) اي ان التفاضل بينكم انما هو بالتقوى فمن تلبس بها فهو المستحق لان يكون أكرم ممن لم يتلبس بها وأشرف وأفضل فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالانساب فان ذلك لا يوجب كرما ولا يثبت شرفا ولا يقتضي فضلا قرأ الجمهور بكسر ان وقرئ بفتحها أي لان أكرمكم عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا أخرجه البخاري وغيره وقال عمر بن الخطاب أتقاكم للشرك وقد وردت أحاديث في الصحيح وغيره ان التقوى هي التي تتفاضل بها العباد (ان الله عليم) بكل معلوم ومن ذلك أعمالكم (خبير) بما تسرون وما تعلنون لا تخفى عليه من ذلك خافية ولما ذكر سبحانه ان أكرم الناس عند الله اتقاهم له وكان أصل التقوى الايمان ذكر ما كانت تقوله العرب

الرامهرمزي حدثنا همام حدثنا ابراهيم بن الحسن حدثنا نائل بن نجيح حدثني عائذ بن حبيب عن محمد بن سعيد قال لما مات محمد ابن مسلمة الانصاري وجدنا في ذؤابة سيفه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لربكم في بقية أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعل دعوة ان توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها ابدا وقوله عز وجل ان الذين يستكبرون عن عبادتي أي عن دعائي وتوحيدي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين حقيرين كما قال الامام احمد حدثنا يحيى ابن سعيد عن ابن عجلان حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن محمد ابن يزيد بن خنيس قال سمعت أبي يحدث عن وهيب بن الورد حدثني رجل قال كنت أسير ذات يوم في ارض الروم فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول يارب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك يارب عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه الى أحد غيرك قال ثم ذهبت ثم جاءت الطامة الكبرى قال ثم عاد الثانية فقال يارب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك يرضي غيرك قال وهيب وهذه الطامة الكبرى قال فناديته أجني أنت أم انسي قال بل أنسي اشغل نفسك بما يعنيك عما لا يعنيك (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) يقول تعالى ممتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه و يستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار وجعل النهار مبصرا أي مضيئا ليتصرفوا فيه بالاسفار وقطع الاقطار والتمكن من الصناعات ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال عز وجل ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو

من دعوى الايمان ليثبت لهم الشرف والفضل فقال (قالت الاعراب آمنا) وهم بنو أسد قاله مجاهد وقيل هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار والاول أولى وهم الذين أظهروا الاسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم فقال (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا تصديقا صحيحا عن اعتقاد قلب وخلوص نية وطمأنينة (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا خوف القتل والسبي أو للطمع في الصدقة وهذه صفة المنافقين لانهم أسلموا في ظاهر الامر ولم تؤمن قلوبهم ولهذا قال سبحانه (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) أي لم يكن ما أظهرتموه بألسنتكم عن مواطأة قلوبكم بل مجرد قول باللسان من دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة وفي لما معنى التوقع وهذا تكرار لكنه مستقل بفائدة زائدة لانه علم من الاول نفي الايمان عنهم ومن الثاني نفيه مع توقع حصوله قال الزجاج الاسلام اظهار الخضوع وقبول ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك يحقن الدم فان كان مع ذلك الاظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الايمان وصاحبه المؤمن وقد أخرج هؤلاء من الايمان بقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم أي لم تصدقوا وانما أسلمتم تعوذا من القتل وهذه الآية تنقض على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان (وان تطيعوا الله ورسوله) طاعة صحيحة صادرة عن نيات خالصة وقلوب مصدقة غير منافقة (لا يلتكم) أي لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ) يقال لات يليت اذا نقص ولاته يليته و يلوته اذا انقصه قرأ الجمهور يلتكم من لاته يليته كباعه يبيعه وقرئ لا يألتكم بالهمز من ألته يألته بالفتح في الماضي والكسر في المضارع واختار الثانية أبو حاتم لقوله وما ألتناهم من عملهم من شيء وهما لغتان فصيحتان (ان الله غفور) أي بليغ المغفرة لمن فرط منه ذنب (رحيم) بليغ الرحمة لهم ثم لما ذكر سبحانه ان أولئك الذين قالوا آمنا لم يؤمنوا ولا دخل الايمان في قلوبهم بين المؤمنين المستحقين لاطلاق اسم الايمان عليهم فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) ايمانا صحيحا خالصا عن مواطأة القلب واللسان (ثم لم يرتابوا) أي لم يدخل في قلوبهم شيء من الريب ولا خالطهم شك من الشكوك أتى بثم للتراخي للاشارة الى ان نفي الريب عنهم ليس وقت حصول الايمان فيهم وانشائه فقط بل هو مستمر بعد ذلك فيما يتطاول من الازمنة

أى الذى فعل هذه الاشياء هو الله الواحد الاحد خالق الاشياء الذى لا اله غيره ولا رب سواه فانى تؤفكون اى فكيف تعبدون غيره من الاصنام التى لا تخلق شيأ بل هى مخلوقة منحوتة وقوله عز وجل كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أى كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك افك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى وجحدوا حجج الله وآياته وقوله تعالى الله الذى جعل لكم الارض قرارا أى جعلها لكم مستقرا بساطا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون فى مناكبها وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم والسماء بناء أى سقفا للعالم محفوظا وصوركم فأحسن صوركم أى فخلقكم فى أحسن الاشكال ومنحكم أكمل الصور فى أحسن تقويم ورزقكم من الطيبات أى من المآكل والمشارب فى الدنيا فذكر أنه خالق الدار والسكان والارزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى فى سورة البقرة يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وقال تعالى ههنا بعد خلق هذه الاشياء ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين أى فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم ثم قال تعالى هو الحى لا اله الا هو أى هو الحى ازلا وأبدا لم يزل ولا يزال وهو الاول والآخر والظاهر والباطن لا اله الا هو أى لا نظير له ولا عديل له فادعوه مخلصين له الدين أى موحدين له مقرين بانه لا اله الا هو الحمد لله رب العالمين قال ابن جرير كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا اله الا الله ان يتبعها بالحمد لله رب العالمين عملا بهذه الآية ثم روى عن محمد بن على بن الحسين بن شقيق عن أبيه عن الحسين بن واقد عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وقال أبو أسامة وغيره عن اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير قال اذا قرأت فادعوا الله مخلصين له الدين فقل لا اله الا الله وقل على اثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ هذه الآية فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام يعنى ابن عروة بن الزبير عن أبى الزبير محمد بن مسلم بن بدر المكى قال كان عبد الله بن الزبير يقول فى دبر كل صلاة حين يسلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له

الازمنة فكأنه قال ثم داموا على ذلك (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أى فى طاعته وابتغاء مرضاته ويدخل فى الجهاد الاعمال الصالحة التى أمر الله بها فانها من جملة ما يجاهد المرء نفسه حتى يقوم به و يؤديه كما أمر الله سبحانه والطاعات كلها فى سبيل الله وجهته والمجاهدة بالاموال عبارة عن العبادات المالية كالزكاة وقدم الاموال لحرص الانسان عليها فان ماله شقيق روحه و جاهدوا بمعنى بذل الجهد أو مفعوله مقدر أى العدو أو النفس والهوى (أولئك) أى الجامعون بين الامور المذكورة (هم الصادقون) فى الاتصاف بصفة الايمان والدخول فى عداد أهله لا من عداهم ممن أظهر الاسلام بلسانه وادعى انه مؤمن ولم يطمئن بالايمان قلبه ولا وصل اليه معناه ولا عمل باعمال أهله وهم الاعراب الذين تقدم ذكرهم وسائر أهل النفاق ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لاولئك الاعراب وأمثالهم قولا آخر لما ادعوا انهم مؤمنون فقال (قل أتعلمون الله) التعليم ههنا بمعنى الاعلام ولهذا أدخلت الباء فى (بدينكم) أى أتخبرونه بذلك حيث قلتم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) فكيف يخفى عليه بطلان ما تدعونه من الايمان (والله بكل شئ عليم) لا تخفى عليه من ذلك خافية وقد علم ما تبطنونه من الكفر وتظهرونه من الاسلام لخوف الضر أو رجاء النفع (يمنون عليك ان أسلموا) أى يعدون اسلامهم منة عليك حيث قالوا جئناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان و بنو فلان قاله عبد الله بن أبى أوفى أخرجه ابن مردويه وغيره قال السيوطى بسند حسن وعن ابن عباس نحوه وذكر انهم بنو أسد كما تقدم والمن تعداد النعم على المنعم عليه وهو مذموم من الخلق ممدوح من الله تعالى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بما يقوله لهم عند المن عليه بما يدعونه من الاسلام فقال (قل لا تمنوا على اسلامكم) أى لا تعدوه منة على فان الاسلام هو المنة التى لا يطلب موليها ثوابا لمن أنعم بها عليه ولهذا قال (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) أى أرشدكم اليه وأراكم طريقه سواء وصلتم الى المطلوب أم لم تصلوا اليه قرأ الجمهور بفتح أن وقرئ بكسرها (ان كنتم صادقين) فيما تدعونه والجواب محذوف يدل عليه ما قبله أى ان كنتم صادقين فلله المنة عليكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى

ماغاب فيهما لا يخفى عليه شيء فيهما فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو يجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا وفي هذا بيان لكونهم غير صادقين قرأ الجمهور على الخطاب وقرئ على الغيبة

(سورة ق هي خمس واربعون آية وهي مكية كلها)

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة انها مكية الا آية وهي قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب وهي اول المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات وقد أخرج مسلم وغيره عن قطبة بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر في الركعة الاولى ق والقرآن المجيد وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد بقاف واقتربت أخرجه أحمد ومسلم واهل السنن وعن ام هشام ابنة حارثة قالت ما اخذت ق والقرآن المجيد الا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس أخرجه ابن أبي شيبة وابو داود وابن ماجه والبيهقي وهو في صحيح مسلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق) الكلام في اعراب هذا كالكلام الذي قدمناه في ص سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب واحد قرأ العامة بالجزم وقرئ بكسر الفاء لان الكسر أخو الجزم وقرئ بفتحها لان الفتح أخف الحركات وقرئ بضمها لانه في غالب الامر حركة البناء نحو منذ وقط وقبل وبعد واختلف في معنى ق فقال الواحدي قال المفسرون هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد وقيل من زمردة خضراء واخضرت السماء منه والسماء مقبية عليه وهو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة قال الفراء كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب في ق لانه اسم وليس بهجاء قال ولعل القاف وحده ذكرت من اسمه كقول القائل قلت لها قفي فقالت قاف أي انا واقفة وحكى الفراء والزجاج ان قوما قالوا معنى ق قضى الامر وقضي ما هو كائن كما قيل في حم حم الامر وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى اقسم به قاله ابن عباس وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقال الشعبي

الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلل بهن دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر الصلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له وذكر تمامه (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت (٧٢) ان أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ان الله عز وجل ينهى ان يعبد احد سواه من الاصنام والانداد والاوثان وقد بين تبارك وتعالى انه لا يستحق العبادة أحد سواه في قوله جلت عظمته هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا أي هو الذي يقلبكم في هذه الاطوار كلها وحده لا شريك له وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله ومنكم من يتوفى من قبل أي من قبل ان يوجد ويخرج الى هذا العالم بل تسقطه أمه سقطا ومنهم من يتوفى صغيرا وشابا وكهلا قبل الشيخوخة كقوله تعالى لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى وقال عز وجل ههنا ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون قال ابن جريج تتذكرون البعث ثم قال تعالى هو الذي يحيي ويميت أي هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك احد سواه فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون أي لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يقول تعالى الا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين

فاتحة

بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى الى الضلال الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا أى من الهدى والبيان فسوف يعلمون هذا تهديد شديد ووعيد أكيد من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقوله عزوجل اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل أى متصلة بالاغلال بايدى الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم ولهذا قال تعالى يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون كما قال تبارك وتعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن وقال تعالى بعد ذكره أكلهم الزقوم وشربهم الحميم (٧٢) ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال عزوجل وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولا كريم الى ان قال ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين وقال عزوجل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى في البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون أى يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزامى عن خالد بن دريك عن يعلى بن منية رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينشئ الله عزوجل سحابة لاهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أى شئ تطلبون فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم هذا حديث غريب وقوله تعالى ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله أى قيل لهم أين الاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم قالوا ضلوا عنا أى ذهبوا فلم ينفعونا بل لم نكن ندعو من قبل شيأ أى جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ولهذا قال عزوجل كذلك يضل الله الكافرين وقوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون أى تقول لهم الملائكة هذا الذى أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اى فبئس المنزل والمقيل الذى

فاتحة السورة وقال أبو بكر الوراق معناه قف عند أمرنا ونهينا ولا تعدهما وقال الانطاكى هو قرب الله من عباده بيانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال القرطبى افتتاح اسم الله عزوجل قادر وقاهر وقريب وقابض وقاض وقيل غير ذلك مما هو أضعف منه وابطل والحق انه من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه كما حققناه في فاتحة سورة البقرة فالله أعلم بمراده به وقد روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس أثرا طويلا في بيان جبل قاف قال ابن كثير لا يصح سنده عنه وفيه أيضا انقطاع (والقرآن المجيد) أى انه ذو مجد وشرف على سائر الكتب المنزلة وقال الحسن الكريم وبه قال ابن عباس وقيل الرفيع القدر وقيل الكبير القدر وعن ابن عباس قال ليس شئ أحسن منه ولا أفضل وجواب القسم قال الكوفيون هو قوله بل عجبوا وقال الاخفش محذوف أى لتبعثن يدل عليه أئذا متنا وكنا ترابا وقال ابن كيسان جوابه ما يلفظ من قول لان ما قبلها عوض منها وقيل هو قد علمنا بتقدير اللام أى لقد علمنا وقيل محذوف تقديره أنزلناه اليك لتنذر كأنه قيل ق والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتنذر به الناس (بل عجبوا) بل للاضراب عن الجواب على اختلاف الاقوال لبيان حالهم الزائدة في الشناعة على عدم الايمان والمعنى بل عجب الكفار (أن) أى لان (جاءهم منذر منهم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكتفوا بمجرد الشك والرد بل جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عن وصف القرآن بكونه مجيدا وقد تقدم تفسير هذا في سورة ص ثم فسر ما حكاه عنهم من كونهم عجبوا بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) وفيه زيادة تصريح وايضاح واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم في هذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بهذا المقال قال قتادة عجبهم ان دعوا الى اله واحد وقيل تعجبهم من البعث والنشور والذى نص عليه القرآن أولى فيكون لفظ هذا اشارة الى مبهم مفسر بما بعده من قوله (أئذا متنا وكنا ترابا) وقال الشوكانى الاول أولى قال الرازى الظاهر ان قولهم هذا اشارة الى مجئ المنذر ثم قالوا أئذا متنا وأيضا قد وجد ههنا بعد الاستبعاد بالاستفهام أمر يؤدى معنى التعجب وهو قولهم ذلك رجع بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب بقولهم هذا شئ عجيب عائدا الى قولهم أئذا لكان كالتكرار فان قيل التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شئ عجيب انه يعود الى مجئ المنذر فان تعجبهم منه علم من قوله وعجبوا ان جاءهم فقوله هذا شئ عجيب

فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آياته ... ه واتباع دلالته وحججه والله أعلم (فاصبر ان وعد الله حق فامانرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فان الله تعالى سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك فى الدنيا والآخرة (٧٤) فامانرينك بعض الذى نعدهم أى فى الدنيا وكذلك وقع فان الله تعالى أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم أبيدوا فى يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب فى حياته صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل أو نتوفينك فالينا يرجعون اى فنذيقهم العذاب الشديد فى الآخرة ثم قال تعالى مسليا له ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك كما قال جل وعلا فى سورة النساء سواء أى منهم من أوحينا اليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة ومنهم من لم نقصص عليك وهم أكثر ممن ذكر باضعاف اضعاف كما تقدم التنبيه على ذلك فى سورة النساء ولله الحمد والمنة وقوله تعالى وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله اى ولم يكن لواحد من الرسل ان يأتى قومه بخارق للعادات الا ان يأذن الله فى ذلك فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به فاذا جاء أمر الله وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين قضى بالحق فينجى المؤمنين ويهلك الكافرين ولهذا قال عز وجل وخسر هنالك المبطلون (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) يقول تعالى ممتنا على عباده بما خلق لهم من الانعام وهى الابل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون فالابل تركب وتؤكل وتحلب ويحمل عليها الاثقال فى الاسفار والرحال الى البلاد النائية والاقطار الشاسعة والبقر تؤكل ويشرب لبنها وتحرث عليها الارض والغنم تؤكل ويشرب لبنها والجميع تجز اصوافها واشعارها وأوبارها فيتخذ منها الاثاث والثياب والامتعة كما فصل وبين فى اماكن تقدم ذكرها فى سورة الانعام وسورة النحل وغير ذلك ولهذا قال عز وجل ههنا لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها

يكون تكرارا فنقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لانه لما قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كقوله أتعجبين من أمر الله ويقال فى العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب فكأنهم لما عجبوا قيل لهم لا معنى لتعجبكم فقالوا هذا شئ عجيب فكيف لا نعجب منه ويدل على ذلك قوله ههنا فقال الكافرون بالفاء فانها تدل على انه مترتب على ما تقدم قرأ الجمهور بالاستفهام وقرئ بهمزة واحدة فيحتمل الاستفهام كقراءة الجمهور والهمزة مقدرة ويحتمل أن يكون معناه الاخبار والمعنى استنكارهم للبعث بعد موتهم ومصيرهم ترابا ثم جزموا باستبعادهم للبعث فقالوا (ذلك) أى البعث (رجع بعيد) أى بعيد عن الاوهام أو العقول أو العادة أو الامكان يقال رجعته أرجعه رجعا ورجع هو يرجع رجوعا ثم رد الله سبحانه ما قالوه فقال (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أى ما تأكل من أجسادهم فلا يضل عنا شئ من ذلك ومن أحاط علمه بكل شئ حتى انتهى الى علم ما يذهب من أجساد الموتى فى القبور لا يصعب عليه البعث ولا يستبعد منه وقال السدى النقص هنا الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى لان من مات دفن فكان الارض تنقص من الاموات وقيل المعنى من يدخل فى الاسلام من المشركين والاول أولى قال ابن عباس فى الآية أجسادهم وما يذهب منها وما تأكل من لحومهم وعظامهم وأشعارهم (وعندنا كتاب حفيظ) أى حافظ لعدتهم وأسمائهم ولكل شئ من الاشياء وهو اللوح المحفوظ وقيل المراد بالكتاب هنا العلم والاحصاء والاول أولى وقيل حفيظ بمعنى محفوظ أى محفوظ من الشياطين أو محفوظ فيه كل شئ ثم أضرب سبحانه من الكلام الاول وانتقل الى ما هو أشنع منه وأقبح فقال (بل كذبوا بالحق) فانه تصريح بالتكذيب منهم بعد ما تقدم عنهم من الاستبعاد والمراد بالحق هنا القرآن قال الماوردى فى قول الجميع وقيل هو الاسلام وقيل محمد وقيل النبوة الثابتة بالمعجزات (لما جاءهم) أى وقت مجيئه اليهم من غير تدبر ولا تفكر ولا امعان نظر (فهم فى أمر مريج) أى مختلط ومضطرب يقولون تارة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن قاله الزجاج وغيره وقال قتادة مختلف وقال الحسن ملتبس وقيل فاسد والمعانى متقاربة ومنه قولهم مرجت أمانات الناس أى فسدت ومرج الدين والامر اختلط وقال ابن عباس المريج الشئ المتغير (أفلم ينظروا) شروع فى بيان الدليل الذى يدفع قولهم ذلك رجع بعيد

في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقوله جل وعلا ويريكم آياته أي حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم فأي آيات الله تنكرون أي لا تقدرون على انكار شيء من آياته الا ان تعاندوا وتكابروا (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) (٧٥) يخبر تعالى عن الامم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما آثروه في الارض وجمعوه من الاموال فما أغنى عنهم ذلك شيأ ولا رد عنهم ذرة من بأس الله وذلك لانهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا اليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل قال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب وقال السدي فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به وحاق بهم أي أحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن أي يكذبون ويستبعدون وقوعه فلما رأوا بأسنا أي عاينوا وقوع العذاب بهم قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين قال الله تبارك وتعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين أي فلم يقبل الله منه لانه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهكذا قال تعالى ههنا فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب انه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي فاذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى وخسر هنالك الكافرون

(تفسير سورة فصلت وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا

والاستفهام للتقريع والتوبيخ أي كيف غفلوا عن النظر (الى السماء) كائنة (فوقهم) يشاهدونها كل وقت (كيف بنيناها) أي أوجدناها وجعلناها على هذه الصفة مرفوعة كالخيمة الا انها بغير عماد تعتمد عليه (وزيناها) بما جعلنا فيها من المصابيح والنيرات والكواكب (وما لها من فروج) أي فتوق وشقوق وصدوع تعيبها وهو جمع فرج قال الكسائي ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق ولا صداع ولا خلل والواو للحال (والارض مددناها) أي دحوناها وبسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت تثبتها وقد تقدم تفسير هذا في سورة الرعد (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن كريم يسر به وقد تقدم تفسير هذا أيضا في سورة الحج (تبصرة وذكرى) هما علتان لما تقدم أي فعلنا ما فعلنا للتبصير والتذكير قاله الزجاج وقال المحلي تبصيرا منا أي تعليما وتفهيما واستدلالا وقيل منصوبان بفعل مقدر من لفظهما أي بصرناهم تبصرة وذكرناهم ذكرى أو تذكرة وقيل حالان أي مبصرين ومذكرين وقيل حال من المفعول أي ذات تبصرة وتذكير لمن يراها وقال أبو حاتم أي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى قال الرازي يحتمل أن يكون المصدران عائدين الى السماء والارض أي خلقنا السماء تبصرة وخلقنا الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير متجددة في كل عام فهي كالشيء المرئي على ممر الزمان وأما الارض فهي كل سنة تأخذ زينتها وزخرفها فتتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من المصدرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو أن فيهما آيات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسي (لكل عبد منيب) المنيب الراجع الى الله بالتوبة المتدبر في بديع صنعه وعجائب مخلوقاته وفي سياق هذه الآيات تذكير لمنكري البعث وايقاظ لهم عن سنة الغفلة وبيان لامكان ذلك وعدم امتناعه فان القادر على هذه الامور يقدر عليه وهكذا قوله (ونزلنا من السماء) أي السحاب (ماء مباركا) أي كثير البركة لانتفاع الناس به في غالب أمورهم (فأنبتنا به) أي بذلك الماء (جنات) أي بساتين كثيرة (وحب الحصيد) أي ما يقتات ويحصد من الحبوب والمعنى وحب الزرع الحصيد وخص الحب لانه المقصود كذا قال البصريون وقال الكوفيون هو من باب

وقروم بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون) يقول تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم يعنى القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقوله وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقوله تبارك وتعالى كتاب فصلت آياته أى بينت معانيه وأحكمت أحكامه قرآنا عربيا أى فى حال كونه قرآنا عربيا بينا واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أى هو معجز من حيث لفظه ومعناه لا يأتيه الباطل من بين يديه (٧٦) ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقوله تعالى لقوم يعلمون أى انما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون بشيرا ونذيرا أى تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون أى أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيأ مع بيانه ووضوحه وقالوا قلوبنا فى أكنة أى فى غلف مغطاة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر أى صمم عما جئتنا به ومن بيننا وبينك حجاب فلا يصل الينا شئ مما تقول فاعمل اننا عاملون أى اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك قال الامام العالم عبد ابن حميد فى مسنده حدثنى ابن أبى شيبة حدثنا على بن مسهر عن الاجلح عن الزيال بن حرملة الاسدى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا مانعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك انا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم ان فى قريش ساحرا وان فى قريش كاهنا والله ماننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا وان كان انما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغت قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل

اضافة الشئ الى نفسه كمسجد الجامع حكاه الفراء وانها جائزة اذا اختلف اللفظان كحق اليقين وحبل الوريد ودار الآخرة قاله الكرخى قال الضحاك حب الحصيد البر والشعير وقيل كل حب يحصد ويدخر ويقتات (و) أنبتنا به (النخل) تخصيصها بالذكر مع دخولها فى الجنات للدلالة على فضلها على سائر الاشجار أو لفرط ارتفاعها او كثرة منافعها او لانه شبه صلى الله عليه وسلم المسلم بها (باسقات) حال مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن باسقة قال مجاهد وعكرمة وقتادة الباسقات الطوال وقال سعيد بن جبير مستويات وقال الحسن وعكرمة والفراء مواقير حوامل يقال الشاة بسقت اذا ولدت والاشهر فى لغة العرب الاول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت و بسقت الشاة ولدت وأبسقت الناقة وقع فى ضرعها اللبأ قبل النتاج وبسق الرجل مهر فى علمه و بسق فلان على أصحابه من باب دخل أى طال عليهم فى الفضل عن قطبة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصبح ق فلما أتى على هذه الآية والنخل باسقات فجعلت أقول ما بسوقها قال طولها أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه وقال ابن عباس الطول (لها طلع نضيد) الطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل يقال طلع الطلع طلوعا و النضيد المتراكب الذى نضد بعضه على بعض وذلك قبل ان ينفتح فهو نضيد فى أكمامه فاذا خرج من أكمامه فليس بنضيد قال ابن عباس متراكم بعضه على بعض (رزقا للعباد) أى رزقناهم رزقا وأنبتنا هذه الاشياء للرزق لم يقيد هنا العباد بالانابة كما قيده فى قوله تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لان التذكرة لا تكون الا لمنيب والرزق يعم كل أحد غير ان المنيب يأكل ذاكرا وشاكرا للانعام وغيره يأكل كما تأكل الانعام فلم يخصص الرزق بقيد قاله الخطيب (وأحيينا به) أى بذلك الماء (بلدة ميتا) قرئ بالتخفيف والتثقيل أى مجدبة لا ثمار فيها ولا زرع والتذكير باعتبار كون البلدة بلدا أو مكانا كما فى عبارة أبى السعود (كذلك الخروج) مستأنفة لبيان ان الخروج من القبور عند البعث كمثل هذا الاحياء الذى أحيا الله به الارض الميتة وقدم فيها الخبر للقصد الى الحصر ثم ذكر سبحانه الامم المكذبة فقال (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس) هم قوم شعيب وقيل حنظلة بن صفوان أو نبى آخر أرسل بعد صالح لبقية من ثمود وتقدم لهذا مزيد كلام فى سورة الفرقان وقيل هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى وقيل هم أصحاب الاخدود

من الرحمن الرحيم حتى بلغ فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة حسبك حسبك ماعندك غير هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرجع الى قريش فقالوا ماوراءك قال ماتركت شيأ أرى انكم تكلمون به الا كلمته قالوا فهل أجابك قال نعم لا والذى نصبها بنية مافهمت شيأ مما قال غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لاتدرى ماقال قال لا والله مافهمت شيأ مما قال غير ذكر الصاعقة وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أبى بكر بن أبى شيبة باسناده مثله سواء وقد ساقه البغوى فى تفسيره بسنده (٧٧) عن محمد بن فضيل عن الاجلح وهو ابن عبدالله الكندى الكوفى وقد ضعف بعض الشئ عن الزيال بن حرملة عن جابر ابن عبدالله رضى الله عنه فذكر الحديث الى قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يامعشر قريش والله مانرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه طعامه وماذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل ياعتبة ماحبسك عنا الا انك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم ان لايكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم انى من أكثر قريش مالا ولكنى أتيته وقصصت عليه القصة فاجابنى بشئ والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخشيت ان ينزل بكم العذاب وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبى يعلى والله تعالى أعلم وقد أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحق بن يسار فى كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يامعشر قريش الا أقوم الى محمد فاكلمه وأعرض عليه أمورا لعله ان يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة رضى الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى ياأبا الوليد فقم اليه فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه

الاخدود والرس اما موضع نسبوا اليه أو بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الاصنام خسفت تلك البئر مع ماحولها فذهبت بهم وبكل مالهم كما ذكرت قصتهم فى سورة الفرقان أو فعل وهو حفر البئر يقال رس اذا حفر بئرا وتأنيث الفعل لمعنى قوم والجملة استئناف واردلتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليها وتعذيب منكريها (وثمود وعاد وفرعون) وقومه ذكرت ثمود بعد أصحاب الرس لان الرجفة التى أخذتهم مبدؤها الخسف باصحاب الرس ثم اتبع ثمود بعاد لان الريح التى أهلكتهم ارهصية ثمود (واخوان لوط) جعلهم اخوانه لانهم كانوا أصهاره وقيل هم من قوم ابراهيم وكانوا من معارف لوط (وأصحاب الايكة) تقدم الكلام على الايكة فى سورة الشعراء وقرئ شذا ليكة وهى الغيضة أى الشجر الملتف بعضه على بعض ونبيهم الذى بعثه الله اليهم شعيب عليه السلام (وقوم تبع) هو تبع الحميرى الذى تقدم ذكره فى قوله أهم خير أم قوم تبع واسمه سعد وقيل أسعد وكنيته أبو كرب قال قتادة ذم الله سبحانه قوم تبع ولم يذمه (كل كذب الرسل) التنوين عوض عن المضاف اليه أى كل واحد من هؤلاء المذكورين كذب رسوله الذى أرسله الله اليه وكذب ماجاء به من الشرع وكان بعض النحاة يجيز حذف تنوينها وبناءها على الضم كالغايات كقبل وبعد فاللام فى الرسل يكون للعهد كما سبق أو للجنس أى كل طائفة من هذه الطوائف كذبت جميع الرسل لان من كذب رسولا فكانه كذب جميعهم وافراد الضمير فى كذب باعتبار لفظ كل وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل له لاتحزن ولا تكثر غمك لتكذيب هؤلاء لك فهذا شأن من تقدمك من الانبياء فان قومهم كذبوهم ولم يصدقهم الا القليل منهم والمراد بالكلية هنا التكثير كما فى قوله تعالى وأوتيت من كل شئ فهى باعتبار الاغلب (فحق وعيد) حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها أى وجب عليهم وعيدى وحقت عليهم كلمة العذاب وحل بهم ماقدره الله عليهم من الخسف والمسخ والاهلاك بالانواع التى أنزلها الله بهم من عذابه (أفعيينا بالخلق الاول) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث الذى أنكرته الامم أى أفعجزنا بالخلق حين خلقناهم أولا ولم يكونوا شيأ فكيف نعجز عن بعثهم يقال عييت بالامر اذا عجزت عنه ولم تعرف وجهه قال ابن عباس يقول لم يعينا الخلق الاول قال الكاذرونى معناه لم نعجز عن الابداء

وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا (٧٨) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الاطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهو يقرأها عليه فلما سمع عتبة أنصت لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وهذا السياق اشبه من الذي قبله والله اعلم (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين انما أنا بشر مثلكم يوحى

فلا نعجز عن الاعادة قرأ الجمهور بكسر الياء الاولى بعدها ياء ساكنة وقرئ بتشديد الياء من غير اشباع ثم ذكر سبحانه انهم في شك من البعث فقال (بل هم في لبس من خلق جديد) أي في شك وشبهة وحيرة واختلاط من خلق مستأنف وهو بعث الاموات لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والايذان بأنه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ومعنى الاضراب انهم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله لهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) هذا كلام مبتدأ يتضمن ذكر بعض القدرة الربانية والمراد بالانسان الجنس وقيل آدم ونعلم حال بتقدير نحن والجملة اسمية ولا يصح أن يكون ونعلم حالا بنفسه لانه مضارع مثبت باشرته الواو وما مصدرية أو موصولة كما في البيضاوي والباء زائدة كقولك صوت بكذا أو همس به أو للتعدية أي نعلم وسوسة نفسه له أو نعلم الامر الذي تحدثه نفسه به فالنفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة والوسوسة هي في الاصل الصوت الخفي والمراد بها هنا ما يختلج في سره وقلبه وضميره أي حديث النفس وهو ما ليس فيه صوت بالكلية لكن مناسبته للمعنى الاصلي الخفاء في كل أي نعلم ما يخفى ويكن في نفسه ومن استعمال الوسوسة في الصوت الخفي قول الاعشى

* تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت * فاستعمل لما خفي من حديث النفس

(ونحن اقرب اليه) أي الى الانسان لان ابعاضه واجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب على الله شئ (من حبل الوريد) هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان أي عرقان عن يمين وشمال وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهو تمثيل للقرب بقرب ذلك العرق من الانسان أي نحن أقرب اليه بالعلم من حبل وريده لا يخفى علينا شئ من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان أي بعلمه فانه سبحانه منزه عن الامكنة وحاصله انه تجوز بقرب الذات عن قرب العلم قاله الكرخي والاضافة بيانية أي حبل من الوريد وقيل الحبل هو نفس الوريد فهو من باب مسجد الجامع سمي وريدا لان الروح ترد اليه وهو في العنق الوريد وفي القلب الوتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع والفخذ الاكحل والنسا وفي الخنصر الاسيلم وفي الخازن الوريد

العرق

الى انما الهكم اله واحد لا كما تعبدونه من الاصنام والانداد والارباب المتفرقين انما الله اله واحد فاستقيموا اليه اى اخلصوا له العبادة على منوال ما امركم به على ألسنة الرسل واستغفروه اى لسالف الذنوب وويل للمشركين اى دمار لهم وهلاك عليهم الذين لا يؤتون الزكاة قال على بن ابى طلحة عن ابن عباس يعنى الذين لا يشهدون ان لا اله الا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وكقوله جلت عظمته قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقوله عز وجل وقل هل لك الى ان تزكى والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الاخلاق الرذيلة (٧٩) ومن اهم ذلك طهارة النفس من الشرك وزكاة المال انما سميت زكاة لانها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقا الى استعماله فى الطاعات وقال السدى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة أى لا يؤدون الزكاة وقال معاوية بن قرة ليس هم من أهل الزكاة وقال قتادة يمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لان ايجاب الزكاة انما كان فى السنة الثانية من الهجرة الى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم الا ان يقال لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأمورا به فى ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى وآتوا حقه يوم حصاده فاما الزكاة ذات النصب والمقادير فانما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعا بين القولين كما ان أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فى ابتداء البعثة فلما كان ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وفصل شروطها واركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيأ فشيأ والله أعلم ثم قال جل جلاله بعد ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قال مجاهد وغيره غير مقطوع ولا مجبوب كقوله تعالى ماكثين فيها أبدا وكقوله عز وجل عطاء غير مجذوذ وقال السدى غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الائمة فان المنة لله تعالى على اهل الجنة قال الله تبارك وتعالى بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يتغمدنى الله برحمة منه وفضل (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا

العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلق والعلباوين وقال الزمخشرى انهما وريدان يكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه قال أبو السعود وهو عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه وقيل المعنى نحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه وقد أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال نزل الله من ابن آدم أربع منازل هو أقرب اليه من حبل الوريد وهو يحول بين المرء وقلبه وهو آخذ بناصية كل دابة وهو معهم أينما كانوا وقال أبو سعيد فى حبل الوريد هو عروق العنق وعنه هو نياط القلب قال القشيرى فى هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وأنس وسكون قلب لقوم ذكره الخطيب ثم ذكر الله سبحانه انه مع علمه به وكل به ملكين يكتبان ويحفظان عليه عمله الزاما للحجة فقال (اذ) أى اذكر اذ (يتلقى المتلقيان) ويجوز أن يكون الظرف منتصبا بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى انه أقرب اليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكلان به وبما يلفظ به وما يعمل به أى يأخذان ذلك ويثبتانه والتلقى الاخذ وقيل التلقى التلقن بالحفظ والكتابة والمعنى نحن أعلم باحواله غير محتاجين الى الحفظة الموكلين به وانما جعلنا ذلك الزاما للحجة وتوكيدا للامر (عن اليمين وعن الشمال قعيد) قال الحسن وقتادة المتلقيان ملكان يتلقيان عملك أحدهما عن يمينك ويكتب حسناتك والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك وقال مجاهد أيضا وكل الله بالانسان ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان أثره روى انهما قاعدان على ثنيتيه لسانه قلمهما وريقه مدادهما ذكره أبو السعود وانما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كذا قال سيبويه وقال الاخفش والفراء ان لفظ قعيد يصلح للواحد والاثنين والجمع ولا يحتاج الى تقدير فى الاول قال الجوهرى وغيره من أئمة اللغة والنحو فعيل وفعول مما يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) أى ما يتكلم من كلام فيلفظه ويرميه من فيه الا لدى ذلك اللافظ ملك يرقب قوله ويكتبه والرقيب الحافظ المتتبع لامور الانسان الذى يكتب ما يقوله من خير وشر فكاتب الخير هو ملك اليمين وكاتب الشر ملك الشمال والعتيد

ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) هذا انكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شئ القاهر لكل شئ المقتدر على كل شئ فقال قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا أى نظراء وأمثالا تعبدونها معه ذلك رب العالمين (٨٠) أى الخالق للاشياء هو رب العالمين كلهم وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى خلق السموات والارض فى ستة ايام ففصل ههنا ما يختص بالارض مما اختص بالسماء فذكر انه خلق الارض أولا لانها كالاساس والاصل ان يبدأ بالاساس ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات الآية فأما قوله تعالى أأنتم اشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم ففى هذه الآية أن دحو الارض كان بعد خلق السماء فالدحو هو مفسر بقوله اخرج منها ماءها ومرعاها وكان هذا بعد خلق السماء فاما خلق الارض فقبل خلق السماء بالنص وبهذا اجاب ابن عباس رضى الله عنه فيما ذكره البخارى عند تفسير هذه الآية من صحيحه فانه قال وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما انى لاجد فى القرآن اشياء تختلف على قال فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ولا يكتمون الله حديثا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فى هذه الآية وقال تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فذكر خلق السماء قبل الارض ثم قال تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الى قوله طائعين فذكر فى هذه خلق الارض قبل خلق السماء قال وكان الله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا فكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضى الله عنهما فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فى النفخة الاولى ثم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض

الحاضر المهيأ قال الجوهرى العتيد المهيأ يقال عتده تعتيدا واعتده اعتادا أى أعده ويسره واعتدت لهن متكأ والمراد ههنا انه معد للكتابة مهيأ لها والافراد فى رقيب عتيد مع اطلاعهما معا على ماصدر منه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض لصاحبه كما ينبئ عنه قوله عتيد وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص فعلم ان كلا منهما يقال له رقيب عتيد ويعلم من هذه الآية ان الملكين معد ان لذلك بخلاف الاولى فانه لا يعلم منها ذلك وأيضا يعلم من هذه صريحا ان الملك يضبط كل لفظ ولا يعلم ذلك من الاولى قال أبو سعيد فى الآية يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى انه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان من خير أو شر وألقى سائره فذلك قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وقال ابن عباس انما يكتب الخير والشر لا يكتب يا غلام أسرج الفرس يا غلام اسقنى الماء وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله غفر لهذه الامة ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم وعن عمرو بن ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله عبد ولينظر ما يقول أخرجه أحمد وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب وابن أبى شيبة وأخرج الحكيم الترمذى عن ابن عباس مرفوعا مثله (وجاءت سكرة الموت) لما بين سبحانه ان جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة ذكر بعده ما ينزل بهم من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها والمراد بسكرة الموت شدته وغمرته التى تغشى الانسان وتغلب على عقله ومعنى (بالحق) انه عند الموت يتضح له الحق ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الاخبار بالبعث والوعد والوعيد وقيل الحق هو الموت نفسه وقيل فى الكلام تقديم وتأخير أى وجاءت سكرة الحق بالموت وكذا قرأ أبو بكر الصديق وابن مسعود والسكرة هى الحق فأضيفت الى نفسها لاختلاف اللفظين وقيل الباء للملابسة كالتى فى قوله تنبت بالدهن أى متلبسة بالحق أى بحقيقة الحال وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة قاله الجلال المحلى وقال القارى لم يظهر لى معنى هذه العبارة ويمكن أن يقال الضمير فى قوله هو راجع لامر الآخرة والمراد بالشدة الامر الشديد وهو أهوال الآخرة فعلى هذا تكون هذه الجملة تفسيرا لقوله من

الا من شاء الله فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون في النفخة الاخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله والله ربنا ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله تعالى يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك يعرف ان الله تعالى لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا الآية وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الارض ودحيها ان أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين (٨١) فذلك قوله تعالى دحاها وقوله خلق الارض في يومين خلق الارض وما فيها من شئ في أربعة أيام وخلق السموات في يومين وكان الله غفورا رحيما سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فان الله تعالى لم يرد شيأ الا أصاب به الذي أراد فلا يختلفن عليك القرآن فان كلا من عند الله عز وجل قال البخاري حدثنيه يوسف بن عدي حدثنا عبيد الله ابن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو والحديث وقوله خلق الارض في يومين يعني يوم الاحد ويوم الاثنين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها اليه من الارزاق والاماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والاربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال في أربعة أيام سواء للسائلين أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز وجل وقدر فيها أقواتها جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها ومنه العصب باليمن والسابوري بسابور والطيالسة بالري وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى سواء للسائلين أي لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له حاجة الى رزق أو حاجة فان الله تعالى قدر له ما هو محتاج اليه وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه والله أعلم وقوله تبارك وتعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الارض فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها أي استجيبا لأمري وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله

أمر الآخرة وقيل بالحكمة وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك) أي الموت (ما كنت منه تحيد) أي الذي كنت تميل عنه وتفر منه في حياتك فلم ينفعك الهرب والفرار يقال حاد عن الشئ يحيد حيودا وحيدة وحيدودة مال عنه وعدل وقال الحسن تحيد تهرب وقيل تفزع وقيل تكره وقيل تنفر (ونفخ في الصور) عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وهذه هي النفخة الآخرة للبعث عطف على جاءت سكرة الموت والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وهو من العظمة بحيث لا يعلم قدره الا الله وقد التقمه اسرافيل من حين بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم منتظر اللاذن بالنفخ ذكره الخطيب (ذلك) أي الوقت الذي يكون فيه النفخ في الصور والفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان أيضا (يوم الوعيد) الذي أوعد الله به الكفار قال مقاتل يعني بالوعيد العذاب في الآخرة وخصص الوعيد مع كون اليوم هو يوم الوعد والوعيد جميعا للتهويل والمعنى يوم تحقق الوعيد وانجازه (وجاءت) فيه (كل نفس) من النفوس (معها سائق وشهيد) اي من يسوقها ومن يشهد لها وعليها واختلف في السائق والشهيد فقال الضحاك السائق من الملائكة والشهيد من انفسها يعني الايدي والارجل وقال الحسن وقتادة سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها أولى وهما ملكان وقيل ذلك جامع بين الوصفين وقال ابن مسلم السائق قرينها من الشياطين سمى سائقا لانه يتبعها وان لم يحثها والشهيد جوارحه وأعماله وقال مجاهد السائق والشهيد ملكان وقيل السائق كاتب السيآت والشهيد كاتب الحسنات قال عثمان بن عفان سائق ملك يسوقها الى أمر الله وشهيد ملك يشهد عليها بما عملت قال القرطبي قلت هذا أصح وعن أبي هريرة قال السائق الملك والشهيد العمل وقال ابن عباس السائق الملك والشهيد شاهد عليه من نفسه ثم في الآية قولان أحدهما انها عامة في المسلم والكافر وهو قول الجمهور والثاني انها خاصة بالكافر قاله الضحاك وقال للكافر (لقد كنت في غفلة من هذا) وبه قال ابن عباس وقال الضحاك المراد بهذا المشركون لانهم كانوا في غفلة من عواقب أمورهم وقال ابن زيد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لقد كنت يا محمد في غفلة من الرسالة وقال أكثر المفسرين المراد به جميع الخلق برهم وفاجرهم واختار هذا ابن جرير لانه ما من أحد الا وله اشتغال ما عن الآخرة قرأ الجمهور بفتح التاء من كنت

تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قال قالتا أتينا طائعين قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعي شمسي وقمري ونجومي وقال للارض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك فقالتا أتينا طائعين واختاره ابن جرير رحمه الله قالتا أتينا طائعين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس جميعا مطيعين لك حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلا لهن معاملة من يعقل بكلامهما وقيل ان المتكلم من الارض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامته منها والله أعلم وقال الحسن البصري لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابا (٨٢) يجد المه رواه ابن أبي حاتم فقضاهن سبع سموات في يومين أي ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة وأوحى في كل سماء أمرها أي ورتب مقررا في كل سماء ما يحتاج اليه من الملائكة وما فيها من الاشياء التي لا يعلمها الا هو وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي الكواكب المنيرة المشرقة على الارض وحفظا أي حرسا من الشياطين ان تستمع الى الملأ الاعلى ذلك تقدير العزيز العليم أي العزيز الذي قد عز كل شئ فغلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم قال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد قرأت سائر الحديث ان اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية ألقى الآفة على كل شئ مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما

وفتح الكاف في غطاءك وبصرك حملا على ما في لفظ كل من التذكير وقرئ بالكسر في الجميع على ان المراد النفس (فكشفنا عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا يعني رفعنا الحجاب الذي كان بينك وبين أمور الآخرة ورفعنا ما كنت فيه من الغفلة عن ذلك وقال ابن عباس الحياة بعد الموت قال البيضاوي الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها قال السدي المراد بالغطاء انه كان في بطن أمه فولد وقيل انه كان في القبر فنشر والاول أولى (فبصرك اليوم حديد) أي نافذ تبصر به ما كان يخفى عليك في الدنيا وتدرك به ما أنكرته فيها والبصر قيل هو بصر القلب وقيل بصر العين وقال مجاهد بصرك أي لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيآتك وبه قال الضحاك (وقال قرينه) أي قال الملك الموكل به وهو الرقيب السابق ذكره قد تقدم انه كاتب الحسنات وكاتب السيآت وان للانسان رقيبين وهما العتيدان فافراده اما أوله كما مر في الرقيب وفي الشهاب وزاده ان المراد بالقرين الجنس ولو جعلت الخطابات السابقة للكافر لكان ... افراد القرين ظاهرا (هذا ما لدي) أي عندي من كتاب عملك وما موصولة أو نكرة ... كل (عتيد) حاضر قد هيأته كذا قال الحسن وقتادة والضحاك وقال ابن عباس قرينه وابن أبي نجيح وقال مجاهد ان الملك يقول للرب سبحانه هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله وروى عنه انه قال ان قرينه من الشيطان يقول ذلك أي هذا ما قد هيأته لك باغوائي واضلالي وقال ابن زيد ان المراد هنا قرينه من الانس وعتيد مرفوع على انه صفة لما ان كانت موصوفة وان كانت موصولة فهو خبر (ألقيا في جهنم) هذا خطاب من الله عز وجل للسائق والشهيد قال الزجاج هذا أمر للملكين الموكلين به وقيل هو خطاب للملكين من خزنة النار وقيل هو خطاب لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الصحيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين يقولون ارحلاها وازجراها وخذاها واطلقاها للواحد قال الفراء العرب تقول للواحد قوما عنا وأصل ذلك ان أدنى أعوان الرجل في ابله وغنمه ورفقته في سفره اثنان فجرى كلام الرجل للواحد على ذلك ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي قال المازني قوله ألقيا دليل على ألق ألق قال المبرد هي تثنية على التوكيد فناب ألقيا مناب ألق ألق أو الالف ليست للتثنية لا حقيقة ولا صورة بل هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة

في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون هذا الحديث فيه غرابة فاما حديث ابن جريج عن اسمعيل بن أمية عن أيوب ابن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الاحبار وهو الاصح (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق ان أعرضتم عما جئتكم به من عند الله تعالى فاني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالامم الماضين من المكذبين بالمرسلين صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أي ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم كقوله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله اليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله باعدائه من النقم وما ألبس أولياءه من النعم ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة أي لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده فانا بما أرسلتم به أي أيها البشر كافرون أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا قال الله تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض أي بغوا وعتوا وعصوا

الخفيفة على حد قوله وأبدلنها بعد فتح الفاء وقفا كما تقول في نفن قفا وأجرى الوصل مجرى الوقف كنسفعا ويؤيده قراءة الحسن في الشواذ القيا بنون التوكيد الخفيفة ولم يقرأ بهذه القراءة أحد من السبعة وقال الكرخي الخطاب للملكين السائق والشهيد على ما عليه الاكثر وهو الظاهر (كل كفار) للنعم (عنيد) مجانب للايمان معاند لأهله قال مجاهد وعكرمة العنيد المعاند للحق وقيل المعرض عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا اذا خالف الحق ورده وهو يعرفه (مناع للخير) لا يبذل خيرا ولا يؤدي زكاة مفروضة أو كل حق وجب عليه في ماله (معتد) ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) شاك في الحق من قولهم أراب الرجل اذا صار ذا ريب (الذي جعل مع الله الها آخر) بدل من كل أو منصوب على الذم أو بدل من كفار أو مرفوع بالابتداء والخبر (فالقياه في العذاب الشديد) أي النار تأكيد للامر الاول أو بدل منه (قال قرينه ربنا ما أطغيته) مستأنفة لبيان ما يقوله القرين والمراد به هنا الشيطان الذي قيض لهذا الكافر أنكر أن يكون أطغاه ثم قال (ولكن كان في ضلال بعيد) عن الحق فدعوته فاستجاب لي ولو كان من عبادك المخلصين لم أقدر عليه وقيل ان قرينه الملك الذي كان يكتب سيآته وان الكافر يقول رب انه أعجلني فيجيبه بهذا كذا قال مقاتل وسعيد بن جبير والاول أولى وبه قال الجمهور (قال) تعالى (لا تختصموا لدي) مستأنفة كأنه قيل فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي يعني الكافرين وقرناءهم نهاهم سبحانه عن الاختصام في موقف الحساب قال ابن عباس انهم اعتذروا بغير عذر فابطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) بارسال الرسل وانزال الكتب والباء مزيدة للتأكيد أو على تضمين قدم معنى تقدم قيل ان مفعول قدمت اليكم هو قوله ما يبدل أي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد وهذا بعيد جدا (ما يبدل) أي ما يغير (القول لدي) في ذلك أي لا خلف لوعدي بل هو كائن لا محالة وقد قضيت عليكم بالعذاب فلا تبديل له وقيل هذا القول هو قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقيل المراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم وقال الفراء وابن قتيبة معنى الآية انه ما يكذب عندي بزيادة في القول ولا بنقص منه لعلمي بالغيب وهو قول الكلبي واختاره

وقالوا من أشد منا قوة أى بنوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا انهم يمتنعون بها من بأس الله أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة أى أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فانه العظيم الذى خلق الاشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وان بلغت شديدة كما قال عز وجل والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله فلهذا قال فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا قال بعضهم وهى الشديدة الهبوب وقيل الباردة وقيل هى التى لها صوت والحق انها متصفة بجميع ذلك فانها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس (٨٤) ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ومنه سمى النهر المشهور ببلاد المشرق صرصر القوة صوت جريه وقوله تعالى فى أيام نحسات أى متتابعات سبع ليال وثمانية أيام حسوما كقوله فى يوم نحس مستمر أى ابتدأ بهذا العذاب فى يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام حسوما حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزى الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى أى أشد خزيا لهم وهم لا ينصرون أى فى الاخرى كما لم ينصروا فى الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال وقوله عز وجل وأما ثمود فهديناهم قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو العالية وسعيد ابن جبير وقتادة والسدى وابن زيد بينالهم وقال الثورى دعوناهم فاستحبوا العمى على الهدى أى بصرناهم وبينالهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التى جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم فأخذتهم صاعقة العذاب الهون أى بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا بما كانوا يكسبون من أى من التكذيب والجحود ونجينا الذين آمنوا أى من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بايمانهم وتقواهم لله عز وجل (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم

الواحدى لانه قال الذى ولم يقل ما يبدل قولى قيل والمعنى لا تطمعوا أنى أبدل وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو فى حق عصاة المذنبين تدل على تخصيص الوعيد ولا تخصيص فى حق الكافر فالوعيد على عمومه فى حقهم والاول أولى (وما أنا بظلام للعبيد) أى لا أعذبهم ظلما بغير جرم اجترموه ولا ذنب أذنبوه وقال ابن عباس فى الآية ما أنا بمعذب من لم يجترم ولما كان نفى الظلام لا يستلزم نفى مجرد الظلم قيل انه هنا بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر وقيل ان صيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل صيغة المبالغة لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده وقيل ظلام بمعنى ذى ظلم لقوله لا ظلم اليوم واذا لم يظلم فى هذا اليوم فنفى الظلم عنه فى غيره أحرى فلا مفهوم له وقيل غير ذلك وقد تقدم الكلام على هذا فى سورة آل عمران وفى سورة الحج (يوم نقول) قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالياء وقرئ أقول ويقال والعامل فى الظرف ما يدل القول أو محذوف أى اذكر يوم أو أنذرهم يوم نقول (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قيل هذا الكلام على طريقة التمثيل والتخييل ولا سؤال ولا جواب وبه قال الزمخشرى والاولى انه على طريقة التحقيق ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع قال الكرخى جعل الزمخشرى هذا من باب المجاز مردود لما ورد من تحاجت النار والجنة واشتكت النار الى ربها ولا مانع من ذلك فقد سبح الحصى وسلم الحجر على النبى صلى الله عليه وسلم ولو فتح باب المجاز فيه لاتسع الخرق قال النسفى هذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفار لعلمه تعالى انها قد امتلأت أم لا وقال الواحدى قال المفسرون أراها الله تصديق قوله لأملأن جهنم فلما امتلأت قال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد أى قد امتلأت ولم يبق فىّ موضع لم يمتلئ وبهذا قال عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان وقيل ان هذا الاستفهام بمعنى الاستزادة أى انها تطلب الزيادة على من قد صار فيها وقيل ان المعنى انها طلبت ان يزاد فى سعتها لتضايقها باهلها والمزيد اما مصدر كالمجيد أو اسم مفعول كالمبيع فالاول بمعنى هل من زيادة والثانى بمعنى هل من شئ تزيدنيه قال ابن عباس وهل فىّ من مكان يزاد فىّ وأخرج البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل

فذلكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) يقول تعالى ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون أي اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون الى النار يوزعون أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا أي عطاشا وقوله عزوجل حتى اذا ما جاؤها أي وقفوا عليها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون أي بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا أي لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك أجابتهم (٨٥) الاعضاء قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة أي فهو لا يخالف ولا يمانع واليه ترجعون قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد ابن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو تبسم فقال صلى الله عليه وسلم ألا تسألوني عن أي شئ ضحكت قالوا يارسول الله من أي شئ ضحكت قال صلى الله عليه وسلم عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أي رب أليس وعدتني أن لا تظلمني قال بلى فيقول فاني لا أقبل علي شاهدا الا من نفسي فيقول الله تبارك وتعالى أوليس كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين قال فيردد هذا الكلام مرارا قال فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل فيقول بعدا لكن وسحقا عنكن كنت أجادل ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الاسدي عن فضيل بن عمرو عن الشعبي ثم قال لا نعلم رواه عن أنس رضي الله عنه غير الشعبي وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الاشجعي عن الثوري به ثم قال النسائي لا أعلم أحدا رواه عن الثوري غير الاشجعي وليس كما قال كما رأيت والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا اسمعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عزوجل عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت في يوم كذا في مكان كذا فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته قال فاذا فعل ذلك ختم على فيه قال الاشعري رضي الله عنه فاني لاحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا حسن

من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم في فضول الجنة هذا لفظ مسلم وأخرجاه أيضا من حديث أبي هريرة نحوه وفيه فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط قيل معنى القدم هنا القوم المتقدمة الى النار ومعنى الرجل العدد الكثير من الناس وغيرهم وفي الباب أحاديث ومذهب جمهور السلف فيها الايمان بها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تمثيل وامرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه قال القرطبي في تذكرته باب ما جاء ان جهنم في الارض وان البحر طبقها وروى عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يركب البحر رجل الا غاز أو حاج أو معتمر فان تحت البحر نارا ذكره أبو عمرو وضعفه قال ابن عمر لا يتوضأ بماء البحر لانه طبق جهنم وضعفه أبو عمرو أيضا ثم لما فرغ الله سبحانه من بيان حال الكافرين شرع في بيان حال المؤمنين فقال (وأزلفت الجنة) أي قربت وأدنيت (للمتقين) الذين اتقوا الشرك تقريبا (غير بعيد) أو مكانا غير بعيد منهم بحيث يشاهدونها ويرونها في الموقف وينظرون ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل المعنى انها زينت لقلوبهم في الدنيا بالترغيب والترهيب فصارت قريبة من قلوبهم والاول أولى وقيل يطوي الله المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب وذلك اكراما للمؤمن وبيانا لشرفه وانه ممن تمشي اليه وقيل المراد قربها للدخول فيها لا بمعنى القرب المكاني وقيل معنى أزلفت جمعت محاسنها لانها مخلوقة أو ان المعنى قرب حصولها لانها تنال بكلمة طيبة وخص المتقين بذلك لانهم أحق بها (هذا) اشارة الى الجنة التي أزلفت لهم على معنى هذا الذي ترونه من فنون نعيمها (ما توعدون) والجملة بتقدير القول أي يقال لهم هذا ما توعدون قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية (لكل أواب حفيظ) هو بدل من للمتقين باعادة الخافض أو متعلق بقول محذوف هو حال أي مقولا لهم لكل أواب والاواب الرجاع الى طاعة الله تعالى بالتوبة عن المعاصي وقيل هو المسبح وقيل هو الذاكر لله في الخلوة قال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله منها وقال عبيد بن عمير هو الذي لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله فيه والحفيظ هو الحافظ لذنوبه حتى يتوب منها وقال قتادة هو الحافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته قاله مجاهد وقيل

عن ابن لهيعة قال دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك عشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال سمعت أبي يقول حدثنا علي حدثنا زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لابن الازرق ان يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم يختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم وجلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الافواه فتخاصم الجوارح فتقول الجوارح أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون فتقر الالسنة بعد الجحود وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة ابن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى الى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع ان ينطق بكلمة ثم يقول لآرابه كلها تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا وقد تقدم أحاديث كثيرة وآثار عند قوله تعالى في سورة يس اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون بما أغنى عن اعادته ههنا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خثيم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس اذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت فقالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا

هو الحافظ لامر الله وقال الضحاك هو الحافظ لوصية الله له بالقبول قال ابن عباس حفيظ لذنوبه حتى رجع عنها وقيل حافظ لحدود الله (من خشي الرحمن بالغيب) بدل او بيان لكل أواب أو بدل بعد بدل من المتقين وفيه نظر لانه لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد ويجوز أن يكون مرفوعا على الاستئناف والخبر ادخلوها بتقدير يقال لهم ادخلوها والخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة والخشية بالغيب ان يخاف الله ولم يكن رآه وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد قال الحسن اذا أرخى الستر وأغلق الابواب (وجاء بقلب منيب) اى راجع الى الله مخلص لطاعته وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة وقيل المنيب المقبل على الطاعة وقيل السليم (ادخلوها) الجمع باعتبار معنى من اى ادخلوا الجنة (بسلام) اى بسلامة من العذاب وكل مخوف وقيل بسلام من الله او من ملائكته وقيل بسلامة من زوال النعم وحلول النقم اى متلبسين به او مع سلام اى ليسلم بعضكم على بعض فالمراد السلام فيما بينهم ولا مانع من حمل الآية الكريمة على كل ذلك (ذلك) اشارة الى زمن ذلك اليوم الذي حصل فيه الدخول كما قال أبو البقاء وغيره (يوم الخلود) وسماه يوم الخلود لانه لا انتهاء له بل هو دائم أبدا وهذا القول في الدنيا اعلام واخبار وليس ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها أو أن اطمئنان القلب بالقول أكثر (لهم ما يشاؤن فيها) أى في الجنة ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم من فنون النعم وأنواع الخير (ولدينا مزيد) من النعم التي لم تخطر لهم على بال ولا مرت لهم في خيال قيل هو النظر الى وجهه الكريم قاله جابر وقال أنس يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد وعن علي قال يتجلى لهم الرب عز وجل وقيل ان السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فيقلن نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وفي الباب روايات وأحاديث ثم خوف سبحانه أهل مكة بما اتفق للقرون الماضية قبلهم فقال (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قريش ومن وافقهم (من قرن) أى أمة كثيرة من الكفار (هم أشد منهم بطشا) أى قوة كعاد وثمود وغيرهم (فنقبوا في البلاد) قرئ بتشديد القاف على الماضي والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب أى ساروا وتقلبوا فيها وطافوا بقاعها طلبا للهرب وأصله من النقب وهو الطريق قال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر ابن شميل دوروا وقال المؤرج تباعدوا والاول أولى وقرأ ابن عباس وغيره نقبوا بفتح

القاف

يكـ.ـون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم هـذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاهوال حدثنا اسحق بن ابراهيم حـدثنا يحيى بن سليم به وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي تقول لهـم الاعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون من الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لانكم كنتم لا تعتقـدون انه يعلم جميع أفعالكم (٨٧) ولهـذا قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعـلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم أي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم ان الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أتلفكم وأرداكم عنـد ربكم فاصبحتم من الخاسرين أي في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنـه قال كنت مستترا باستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقفيان أو ثقفي وختناه قرشيان كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهم أترون ان الله يسمع كلامنا هـذا فقال الآخر انا اذا رفعنا أصواتنا سمعه واذا لم نرفعـه لم يسمعه فقال الآخر ان سمع منـه شيأ سمعه كله قال فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم الى قوله من الخاسرين وهكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية باسناده نحوه وأخرجه أحمـد ومسلم والترمذي أيضا من حديث سفيان الثوري عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه ورواه البخاري ومسلم أيضا من حديث السفيانين كلاهـما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبـد الله بن سخبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه به وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى أن يشهـد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم قال انكم تدعون يوم القيامة مفـدما على أفواهكم بالفـدام فأول شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه قال معمر وتلا الحسن وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

القاف مخففة والنقب هو الخرق والطريق في الجبـل وكذا المنقب والمنقبة كذا قال ابن السكيت وجمع النقب نقوب وقرئ بكسر القاف مشـددة على الامر للتهديد أي طوفوا فيها وسيروا في جوانبها ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهـم وتفتيشهم توجه سؤال فيـه تنبيه الغافل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله (هل من محيص) لهـم أو لغيرهم أي من معدل ومحيد ومهرب يهربون اليه من الموت أو مخلص يتخلصون به من العذاب ليكون لهؤلاء وجه تما في رد أمرنا وهـل حرف استفهام ومن زائدة قال الزجاج لم يروا محيصا من الموت والمحيص مصـدر حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا أي عدل وحاد والجملة مستأنفة لبيان انه لا مهرب لهـم ولا مفر وهي من كلام الله تعالى اذ لو كانت من كلامهم لكان التقدير هل من محيص انا فليتأمل وفي هذا انذار لاهل مكة انهم مثل من قبلهـم من القرون لا يجدون من الموت والعـذاب مفرا (ان في ذلك لذكرى) أي فيما ذكر من قصتهم في هذه السورة من اولها الى آخرها تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) اى عقل قال الفراء وهذا جائز في العربية تقول مالك قلب وما قلبك معك اى مالك عقل وما عقلك معك وقيـل المراد القلب نفسه لانه اذا كان سليما ادرك الحقائق وتفكر كما ينبغي وقيل لمن كان له حياة ونفس مميزة فعبر عن ذلك بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها (أو ألقى السمع) اى استمع ما يقال له من الوعظ وغـيره يقال ألق سمعك الي أي استمع مني والمعنى انه ألقى السمع الى ما يتلى عليـه من الوحي الحاكي لما جرى على تلك الامم قرأ الجمهور ألقى مبنيا للفاعل وقرئ على البناء للمفعول ورفع السمع وأو مانعة الخلو لا مانعة الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله (وهو شهيد) أي حاضر الفهـم أو حاضر القلب لان من لا يفهم في حكم الغـائب وان حضر بجسمه فهو لم يحضر بفهمه قال الزجاج أي وقلبه حاضر فيما يسمع قال سفيان أي لا يكون حاضرا وقلبه غائب قال مجاهـد وقتادة هـذه الآية في أهل الكتاب وكذا قال الحسن وقال محمد بن كعب وأبو صالح انها في أهل القرآن خاصة (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهـما في ستة أيام) أولها الاحـد وآخرها الجمعـة فخلق الارض في يومين ومنافعها في يومين والسموات في يومين ولو شاء لخلق الكل في أقل من لمح البصر ولكنه تعالى من فضله علمنا بذلك التأني في الامور واليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن

الله تعالى أنا مع عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني ثم افتر الحسن ينظر في هذا فقال ألا إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل ثم قال قال الله تبارك وتعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم إلى قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم الآية وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسمعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحد منكم إلا وهو (٨٨) يحسن بالله الظن فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وقوله تعالى فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارا فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات قال ابن جرير ومعنى قوله تعالى وإن يستعتبوا أي يسألوا الرجعة إلى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم أي حسنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون وقوله تعالى وحق عليهم القول أي كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم من فعل كفعلهم من

مدة الزمان أي مدة كانت وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الأعراف وغيرها (وما مسنا من) زائدة (لغوب) أي تعب وإعياء يقال لغب يلغب بالضم لغوبا وقال ابن عباس لغوب نصب قال الواحدي قال جماعة المفسرين نزلت ردا على اليهود في قولهم إن الله استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأكذبهم الله بقوله وما مسنا من لغوب وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون قال الرازي والظاهر أن المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما في أمر البعث وأما ما قاله اليهود ونقلوه فهو مما تحرف منهم أو لم يعلموا تأويله (فاصبر على ما يقولون) هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمر له بالصبر على ما يقوله المشركون أي هون عليك ولا تحزن لقولهم وتلق ما يرد عليك منهم بالصبر (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) أي نزه الله عما لا يليق بجنابه العالي متلبسا بحمده وقت الفجر ووقت العصر وقيل المراد صلاة الفجر وصلاة العصر قاله ابن عباس وقيل الصلوات الخمس وقيل صلي ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها والأول أولى (ومن الليل فسبحه) من للتبعيض أي سبحه بعض الليل وقيل هي صلاة الليل وقيل ركعتا الفجر وقيل صلاة العشاء والأول أولى (وأدبار السجود) أي وسبحه أعقاب الصلوات قرأ الجمهور بفتح الهمزة جمع دبر وقرئ بكسرها على المصدر من أدبر الشيء إدبارا إذا ولى وقال جماعة من الصحابة والتابعين أدبار السجود الركعتان بعد المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل الفجر وقد اتفق القراء السبعة في أدبار النجوم أنه بكسر الهمزة وعن ابن عباس قال بت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس ركعتان قبل صلاة الفجر أدبار النجوم وركعتان بعد المغرب أدبار السجود أخرجه الترمذي والحاكم وصححه وابن مردويه وابن أبي حاتم وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أدبار النجوم وأدبار السجود فقال أدبار السجود ركعتان بعد المغرب وأدبار النجوم ركعتان قبل الغداة أخرجه مسدد في مسنده وابن المنذر وابن مردويه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أدبار السجود ركعتان بعد المغرب وأدبار النجوم ركعتان قبل الفجر وعن أبي هريرة مثله وقال ابن

عباس

الجن والانس انهم كانوا خاسرين اى استووا هم واياهم فى الخسار والدمار وقوله تعالى وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن اى تواصوا فيما بينهم ان لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لاوامره والغوا فيه اى اذا تلى لاتسمعوا له كما قال مجاهد والغوا فيه يعنى بالمكاء والصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن قريش تفعله وقال الضحاك عن ابن عباس والغوا فيه عيبوه وقال قتادة اجحدوا به وانكروه وعادوه لعلكم تغلبون هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين (٨٩) بخلاف ذلك فقال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ثم قال عز وجل منتصرا للقرآن ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفر فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا أى فى مقابلة ما اعتمدوه فى القرآن وعند سماعه ولنجزينهم أسوأ الذين كانوا يعملون اى بشر أعمالهم وسيئ أفعالهم ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين قال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزارى عن أبيه عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى اللذين أضلانا قال ابليس وابن آدم الذى قتل أخاه وهكذا روى ابن العوفى عن على رضى الله عنه مثل ذلك وقال السدى عن على رضى الله عنه فابليس يدعونه كل صاحب شرك وابن آدم يدعونه كل صاحب كبيرة فابليس الداعى الى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الاول كما ثبت فى الحديث ماقتلت نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل وقولهم نجعلهما تحت أقدامنا اى أسفل منا فى العذاب ليكونا أشد عذابا منا ولهذا قالوا ليكونا من الاسفلين اى فى الدرك الاسفل من النار كما تقدم فى الاعراف فى سؤال الاتباع من الله تعالى أن يعذب قادتهم اضعاف عذابهم قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أى انه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وافساده كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم)

عباس أمره ان يسبح فى ادبار الصلوات كلها وبه قال مجاهد قال الكرخى لخبر أبى هريرة فى الصحيح مرفوعا من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (واستمع) ما يوحى اليك من أحوال القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقيل الاستماع بمعنى الانتظار وهو بعيد وقيل استمع النداء والصوت أو الصيحة قاله ابن عباس (يوم يناد المناد) هو اسرافيل أو جبرائيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى بالحشر وهى صيحة القيامة أعنى النفخة الثانية فى الصور من اسرافيل وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى أهل المحشر ويقول هلموا للحساب فالنداء على هذا فى المحشر قال الشهاب وهو الاصح كما دلت عليه الآثار قال مقاتل هو اسرافيل ينادى فى المحشر فيقول يا أيها الناس هلموا للحساب وقيل ينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) من السماء حيث يصل النداء الى كل فرد من افراد المحشر قال قتادة كنا نحدث انه ينادى من صخرة بيت المقدس وبه قال ابن عباس قال الكلبى وهى أقرب موضع من الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض وقال كعب بثمانية عشر ميلا (يوم يسمعون) أى الخلق كلهم (الصيحة بالحق) يعنى صيحة البعث وهى النفخة الثانية من اسرافيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده قاله الجلال المحلى وهذا غير مستقيم لان بعثهم واحياءهم كان بصيحة واحدة كما فى قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال الكلبى معنى بالحق بالبعث وهو حال من الواو أى يسمعون متلبسين بالحق أو من الصيحة أى متلبسة بالحق وقال مقاتل يعنى انها كائنة حقا (ذلك) أى يوم النداء والسماع (يوم الخروج) من القبور قال ابن عباس أى يوم يخرجون الى البعث من القبور يعنى يعلمون عاقبة تكذيبهم (انا نحن نحيى) فى الآخرة (ونميت) فى الدنيا لا يشاركنا فى ذلك مشارك والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث (والينا المصير) فنجازى كل عامل بعمله (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أى حال كونهم مسرعين الى المنادى الذى ناداهم (ذلك حشر) أى بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على

يقول تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اى أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعيري ثنا سهيل بن ابى حازم حدثنا ثابت عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها وكذا رواه النسائى فى تفسيره والبزار وابن جرير عن عمرو بن على الفلاس عن مسلم بن قتيبة به وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن الفلاس به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبى اسحق عن عامر بن سعد عن سعيد بن عمران قال قرأت عند أبى بكر الصديق رضى الله عنه هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين لم يشركوا بالله شيأ ثم روى من حديث الاسود بن هلال قال قال أبو بكر رضى الله عنه ما تقولون فى هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقالوا ربنا الله ثم استقاموا من ذنب فقال لقد حملتموها على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى اله غيره وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدى وغير واحد وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابو عبد الله الطهرانى أخبرنا حفص بن عمر العقدى عن الحكم بن ابان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضى الله عنهما اى آية فى كتاب الله تبارك وتعالى ارخص قال قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله وقال الزهرى تلا عمر رضى الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا ربنا الله ثم استقاموا على اداء فرائضه وكذا قال قتادة قال وكان الحسن يقول اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة وقال ابو العالية ثم استقاموا اخلصوا الله الدين والعمل وقال الامام احمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفى عن ابيه ان رجلا قال يا رسول الله مرنى بامر فى الاسلام لا اسأل عنه احدا بعدك قال صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقى فاومأ الى لسانه ورواه النسائى من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به ثم قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا ابراهيم بن سعد حدثنى ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدى عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله

القادر الذى لا يشغله شأن عن شأن ثم عزى الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (نحن أعلم بما يقولون) من تكذيبك فيما جئت به ومن انكار البعث والتوحيد (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط تجبرهم وتقهرهم على الايمان والآية منسوخة بآية السيف وجبار صيغة مبالغة من جبر الثلاثى فان فعالا انما يبنى من الثلاثى وفى المصباح أجبرته على كذا بالالف حملته عليه قهرا وغلبة فهو مجبر هذه لغة عامة العرب وفى لغة لبنى تميم وكثير من أهل الحجاز جبرته جبرا من باب قتل حكاه الازهرى ثم قال جبرته وأجبرته لغتان جيدتان وقال الخطابى الجبار الذى جبر خلقه على ما أراد من أمره ونهيه يقال جبره السلطان وأجبره بمعنى ورأيت فى بعض التفاسير عند قوله تعالى وما أنت عليهم بجبار ان الثلاثى لغة حكاها الفراء وغيره واستشهد لصحتها بما معناه انه لا يبنى فعال الا من فعل ثلاثى نحو الفتاح والعلام ولم يجئ من أفعل بالالف الا دراك فان حمل جبار على هذا المعنى فهو وجيه قال الفراء وقد سمعت العرب تقول جبرته على الامر وأجبرته واذا ثبت ذلك فلا يعول على قول من ضعفها (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أى وعيدى لعصاتى بالعذاب وأما من عداهم فلا تشتغل بهم ثم أمره الله سبحانه بعد ذلك بالقتال قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وهم المؤمنون

(سورة الذاريات هى ستون آية وهى مكية)

قال القرطبى فى قول الجميع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وفى بعض النسخ والذاريات بالواو (بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا) يقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا وأذرته تذريه ذريا أقسم الله سبحانه بالرياح التى تذرو التراب وغيره وقيل المقسم به مقدر وهو رب الذاريات وما بعدها والاول أولى عن على قال الذاريات الرياح وقال غيره النساء الولود فانهن يذرين الاولاد (فالحاملات وقرا) قال على هى السحاب أى تحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر وانتصاب وقرا على انه مفعول به كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قرأ الجمهور بكسر الواو واسم ما يوقر أى يحمل وقرئ بفتحها على أنه مصدر وقيل الرياح الحاملات للسحاب أو النساء الحوامل (فالجاريات يسرا) قال على هى السفن أى الجارية فى البحر بالرياح جريا سهلا أى جريا ذا يسر وقيل هى الرياح الجارية فى مهابها

حدثني بأمر اعتصم به قال صلى الله عليه وسلم قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه ثم قال هذا وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم وذكر تمام الحديث وقوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه يعني عند الموت قائلين ان (٩١) لا تخافوا قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فانا نخلفكم فيه وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال ان الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان وقيل ان الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر ابن سليمان قال سمعت ثابتا قرأ حم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة فوقف فقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنتم توعدون قال فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة الا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل له في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث رواه ابن أبي حاتم وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدا وهو الواقع وقوله تبارك وتعالى نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة أي تقول للمؤمنين الملائكة عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم الى جنات النعيم ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم

أو الكواكب التي تجري في منازلها وقيل السحاب والاول أولى واليسر السهل في كل شئ (فالمقسمات أمرا) قال علي الملائكة وعن عمر بن الخطاب مثله ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي اسناده أبو بكر بن سبرة وهو ضعيف لين الحديث وسعيد بن سلام وليس من أصحاب الحديث كذا قال البزار قال ابن كثير فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب ما فيه انه موقوف على عمر وعن ابن عباس مثل قول علي يعني الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب قال الفراء تأتي الملائكة بأمر مختلف جبريل بالغلظة والوحي الى الانبياء وميكائيل صاحب الرحمة والرزق وملك الموت يأتي بالموت واسرافيل صاحب الصور واللوح وقيل تأتي بأمر مختلف بالجدب والخصب والمطر والموت والحوادث وقيل هي السحب التي يقسم الله بها أمر العباد وقيل ان المراد بهذه الاوصاف الاربعة الرياح كما تقدم فانها توصف بجميع ذلك لانها تذرو التراب وتحمل الاثقال وتجري في الهواء وتقسم الامطار وهو ضعيف جدا والترتيب في هذه الاقسام ترتيب ذكري ورتبي باعتبار تفاوت مراتبها في الدلالة على قدرته تعالى أقسم الله بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته لكونها أمورا بديعة مخالفة لمقتضى العادة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود به (انما توعدون لصادق) هذا جواب القسم وما مصدرية أو موصولة أي ان ما توعدون من الثواب والعقاب لكائن لا محالة (وان الدين) أي الحساب والجزاء على الاعمال (لواقع) أي حاصل وكائن لا محالة ثم ابتدأ قسما آخر فقال (والسماء) المراد بها هنا هي المعروفة وقيل المراد بها السحاب والاول أولى (ذات الحبك) قرأ الجمهور بضم الحاء والباء وقرئ بضمها وسكون الباء وقرئ بكسر الحاء وفتح الباء وبكسر الحاء وضم الباء قال ابن عطية هي لغات قال الجلال المحلي جمع حبيكة كطريقة وطرق أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل واختلف المفسرون في تفسير الحبك فقال مجاهد وقتادة والربيع وغيرهم المعنى ذات الخلق المستوي الحسن قال ابن الاعرابي كل شئ أحكمته وأحسنت عمله فقد حبكته واحتبكته وقال الحسن وسعيد بن جبير ذات الزينة وروي عن الحسن أيضا انه قال ذات النجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقال الضحاك ذات الطرائق وبه قال الفراء يقال لما تراه من

أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون ولكم فيها ما تدعون أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم نزلا من غفور رحيم أي ضيافة وعطاء وانعاما من غفور لذنوبكم رحيم بكم رؤف حيث غفر وستر ورحم ولطف وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم فقال ثنا أبي ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أبي سعيد حدثنا الاوزاعي حدثني حسان ابن عطية عن سعيد بن المسيب انه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أوفيها سوق فقال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور وما يرون ان أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال صلى الله عليه وسلم نعم هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال صلى الله عليه وسلم فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تعالى ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى انه ليقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول أي رب أفلم تغفر لي فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه قال فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط قال ثم يقول ربنا عز وجل قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتهيتم قال فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك لانه لا ينبغي لاحد

الماء والرمل اذا أصابته الريح حبك قال الفراء الحبك تكسر كل شيء كالرمل اذا مرت به الريح الساكنة والماء اذا مرت به الريح ويقال لدرع الحديد حبك وقيل الحبك الشدة أي والسماء ذات الشدة والمحبوك الشديد الخلق من فرس أو غيره قال الواحدي بعد حكاية القول الاول هذا قول الاكثرين قال ابن عباس والسماء ذات الحبك أي حسنها واستوائها وعنه قال ذات البهاء والجمال وان بنيانها كالبرد المسلسل وعنه قال ذات الخلق الحسن وعن ابن عمر مثله وعن علي قال هي السماء السابعة واستعمال الحبك في الطرائق هو الذي عليه أهل اللغة وان كان الاكثر من المفسرين على خلافه على انه يمكن ان ترجع تلك الاقوال في تفسير الحبك الى هذا وذلك بان يقال ان ما في السماء من الطرائق يصح أن يكون سببا لمزيد حسنها واستواء خلقها وحصول الزينة فيها أو مزيد القوة لها وفي البيضاوي ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي تسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف أو النجوم فان لها طرائق أو انها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشي (انكم) هذا جواب القسم بالسماء ذات الحبك أي انكم يا أهل مكة (لفي قول مختلف) متناقض في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن بعضكم يقول انه شاعر وبعضكم يقول انه ساحر وبعضكم يقول انه مجنون والقرآن شعر سحر كهانة ووجه تخصيص القسم بالسماء المتصفة بتلك الصفة تشبيه أقوالهم في اختلافها باختلاف طرائق السماء وقيل المراد بكونهم في قول مختلف ان بعضهم ينفي الحشر وبعضهم يشك فيه وقيل كونهم يقرون ان الله خالقهم ويعبدون الاصنام وقيل قول مختلف مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به أو عن الحق وهو البعث والتوحيد من صرف عن الهداية في علم الله تعالى يقال أفكه يأفكه افكا أي قلبه عن الشيء وصرفه عنه ومنه قوله تعالى قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا وقال مجاهد يؤفن عنه من أفن والافن فساد العقل وقيل يحرم منه من حرم وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال اليزيدي يدفع عنه من دفع وقال ابن عباس يضل عنه من ضل وفي الخطيب قيل ان هذا القول مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ويرشد الى المستوى (قتل الخراصون) هذا دعاء عليهم وحكى الواحدي عن المفسرين جميعا ان المعنى لعن الكذابون

والمراد

أن يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبيبنا لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى و يحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا به وقد رواه الترمذى فى صفة الجنة من جامعه عن محمد بن اسمعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به بنحوه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (٩٣) قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت قال صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر اليه فليس شئ أحب اليه من أن يكون قد لقى الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وان الفاجر أو الكافر اذا حضر جاءه بما هو صائر اليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه وهذا حديث صحيح وقد ورد فى الصحيح من غير هذا الوجه (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) يقول عز وجل ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله أى دعا عباد الله اليه وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين أى وهو فى نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق الى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة فى كل من دعا الى خير وهو فى نفسه مهتد ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء كما ثبت فى صحيح مسلم المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة وفى السنن مرفوعا الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن عروبة الهروى حدثنا غسان قاضى هراة وقال أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه قال سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة

والمراد بالكذابين أصحاب القول المختلف وأصل هذا التركيب الوعد بالقتل أجرى مجرى اللعن واستعمل بمعناه تشبيه الملعون الذى يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذى تفوته الحياة وكل نعمة قال ابن الانبارى والقتل اذا أخبر به عن الله كان بمعنى اللعنة لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك قال الفراء معنى قتل لعن وفى القاموس ما يقتضى ان قتل يأتى بمعنى لعن ونصه قتل الانسان ما أكفره أى لعن وقاتلهم الله أى لعنهم والخراصون الكذابون الذين يتخرصون فيما لا يعلمون فيقولون ان محمدا مجنون كذاب شاعر ساحر قال الزجاج الخراصون هم الكذابون والخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا والخراص الذى يخرصها وليس هو المراد هنا قال ابن عباس فى الآية لعن المرتابون وعنه قال هم الكهنة وقيل هم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة ليصرفوا الناس عن الاسلام (الذين هم فى غمرة) أى فى غفلة وعمى وجهالة عن أمور الآخرة وأصل الغمرة ما ستر الشئ وغطاه ومنها غمرات الموت قال ابن عباس الغمرة الكفر والشرك (ساهون) أى لاهون غافلون والسهو الغفلة عن الشئ وذهابه عن القلب وقال ابن عباس فى غفلة لاهون وعنه قال فى ضلالتهم يتمادون (يسألون أيان يوم الدين) أى يقولون متى يجئ يوم الجزاء تكذيبا منهم واستهزاء ثم أخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال (يوم هم على النار يفتنون) أى يحرقون ويعذبون فيها يقال فتنت الذهب اذا أحرقته لتختبره وأصل الفتنة الاختبار قال عكرمة ألم تر ان الذهب اذا أدخل النار قيل فتن قال ابن عباس يفتنون يعذبون قال الشهاب أصلها اذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل فى التعذيب والاحراق وعدى يفتنون بعلى لتضمنه معنى يعرضون (ذوقوا فتنتكم) أى يقال لهم حين التعذيب ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد وقال مجاهد حريقكم ورجح الاول الفراء وجملة (هذا الذى كنتم به تستعجلون) من جملة ما هو محكى بالقول أى هذا ما كنتم تطلبون تعجيله فى الدنيا استهزاء منكم وقيل هى بدل من فتنتكم ولما ذكر سبحانه حال أهل النار ذكر حال أهل الجنة فقال (ان المتقين فى جنات وعيون) أى هم كائنون فى بساتين فيها عيون جارية فى جهاتهم وأمكنتهم لا يبلغ وصفها الواصفون حال كونهم (آخذين) أى قابضين (ما آتاهم ربهم) شيأ فشيأ من الخير والثواب والكرامة راضين به ومسرورين ومتلقين له بالقبول لا يستوفونه بكماله لامتناع

كشهداء المجاهدين وهو بين الاذان والاقامة كالمتشحط فى سبيل الله تعالى فى دمه قال وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو كنت مؤذنا ما باليت ان لا أحج ولا اعتمر ولا أجاهد قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كنت مؤذنا لكمل أمرى وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للمؤذنين ثلاثا قال فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الاذان بالسيوف قال صلى الله عليه وسلم كلا يا عمر انه سيأتى على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على (٩٤) النار لحوم المؤذنين قال وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ولهم هذه الآية ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انى من المسلمين قالت فهو المؤذن اذا قال حى على الصلاة فقد دعا الى الله وهكذا قال ابن عمر رضى الله عنهما وعكرمة انها نزلت فى المؤذنين وقد ذكر البغوى عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه انه قال فى قوله عز وجل وعمل صالحا قال يعنى صلاة ركعتين بين الاذان والاقامة ثم أورد البغوى حديث عبد الله بن المغفل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة ثم قال فى الثالثة لمن شاء وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثورى عن زيد العمى عن أبى اياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال الثورى لا أراه الا قد رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء لا يرد بين الاذان والاقامة ورواه أبو داود والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة كلهم من حديث الثورى به وقال الترمذى هذا حديث حسن ورواه النسائى أيضا من حديث سليمان التيمى عن قتادة عن أنس به والصحيح ان الآية عامة فى المؤذنين وفى غيرهم فاما حال نزول هذه الآية فانه لم يكن الأذان مشروعا بالكلية الناس لانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصارى رضى الله عنه فى منامه فقصه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره أن يلقيه على بلال رضى الله عنه فانه أندى صوتا كما هو مقرر فى موضعه فالصحيح اذن انها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصرى انه تلا هذه الآية ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين فقال هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الارض الى الله أجاب الله فى دعوته

استثناء ما لا نهاية له (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) الجملة تعليل لما قبلها أى لانهم كانوا فى الدنيا قبل دخولهم الجنة محسنين فى اعمالهم الصالحة من فعل ما أمروا به وترك ما نهوا عنه قال ابن عباس أى قبل ان تنزل الفرائض يعملون ثم ذكر احسانهم الذى وصفهم به فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) الهجوع النوم بالليل دون النهار وبابه خضع والهجعة النومة الخفيفة والمعنى كانوا قليلا ما ينامون من الليل ويصلون أكثره وكذا قال المحلى وما زائدة أو مصدرية أو موصولة أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه والتهجاع القليل من النوم وقيل ما نافية أى ما كانوا ينامون قليلا من الليل فكيف بالكثير منه وهذا ضعيف جدا وهكذا قول من قال ان المعنى كان عددهم قليلا ثم ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون وبه قال ابن الانبارى وهو أضعف مما قبله وقال قتادة فى تفسير هذه الآية كانوا يصلون بين العشاءين وبه قال أبو العالية وابن وهب قال ابن عباس ما تأتى عليهم ليلة ينامون حتى يصبحوا الا يصلون فيها وعنه قال يقول قليلا ما كانوا ينامون وعن أنس قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء (وبالاسحار هم يستغفرون) أى يطلبون فى أوقات السحر من الله سبحانه أن يغفر ذنوبهم قال الحسن مدوا الصلاة الى الاسحار ثم أخذوا بالاسحار الاستغفار وقال الكلبى ومقاتل ومجاهد هم بالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم طلب منهم للمغفرة وقال الضحاك هى صلاة الفجر قال ابن عمر يستغفرون يصلون قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل والمعنى يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وانهم لا يقدرون على ان يقدروه حق قدره وان اجتهدوا والقول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا أحصى ثناء عليك وقيل يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) أى يجعلون فى اموالهم ويوجبون على انفسهم حقا للسائل والمحروم تقربا الى الله عز وجل بمقتضى الكرم يصلون بها الارحام والفقراء والمساكين وقال محمد بن سيرين وقتادة الحق هنا الزكاة المفروضة والاول أولى فيحمل على صدقة النفل وصلة الرحم وقرى الضيف لان السورة مكية والزكاة لم تفرض الا بالمدينة وسيأتى فى سورة سأل سائل وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم بزيادة معلوم والسائل هو الذى يسأل

ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في اجابته وقال انني من المسلمين هذا خليفة الله وقوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أي فرق عظيم بين هذه وهذه ادفع بالتي هي أحسن أي من أساء اليك فادفعه عنك بالاحسان اليه كما قال عمر رضي الله عنه ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه وقوله عزوجل فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وهو الصديق أي اذا أحسنت الى من أساء اليك قادته تلك الحسنة اليه الى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب اليك من الشفقة عليك والاحسان اليك ثم قال عزوجل وما يلقاها الا الذين صبروا أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها الا من صبر على ذلك فانه يشق على النفوس وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والاخرى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم وقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أي ان شيطان الانس ربما ينخدع بالاحسان اليه فاما شيطان الجن فانه لا حيلة فيه اذا وسوس الا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك فاذا استعذت بالله والتجأت اليه كفه عنك ورد كيده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقد قدمنا ان هذا المقام لا نظير له في القرآن الا في سورة الاعراف عند قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وفي سورة المؤمنين عند قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة وانه الذي لا نظير له وانه على ما يشاء قادر ومن آياته الليل والنهار والشمس

الناس لفاقته واختلف في تفسير المحروم فقيل هو الذي يتعفف عن السؤال حتى يحسبه الناس غنيا فلا يتصدقون عليه وبه قال قتادة والزهري وقال الحسن ومحمد بن الحنفية هو الذي لا سهم له في الغنيمة ولا يجري عليه من الفيء شئ وقال زيد بن اسلم هو الذي أصيب ثمره أو زرعه او ماشيته وقال القرظي هو الذي اصيب بجائحة وقيل الذي لا يكتسب وقيل هو الذي لا يجد غنى يغنيه وقيل هو المملوك وقيل الكلب وقيل غير ذلك قال الشعبي لي اليوم سبعون سنة منذ احتلمت اسأل عن المحروم فما أنا اليوم بأعلم مني فيه يومئذ والذي ينبغي التعويل عليه ما يدل عليه المعنى اللغوي والمحروم في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع فيدخل تحته من حرم الرزق من الاصل ومن أصيب ماله بجائحة أذهبته ومن حرم العطاء ومن حرم الصدقة لتعففه وأظهر هذه الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ قال ابن عباس في أموالهم حق سوى الزكاة يصل بها رحما او يقري بها ضيفا أو يعين بها محروما وعنه قال السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له سهم في المسلمين وعنه قال المحروم هو المحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه ولا يسأل الناس فامر الله المؤمنين برفده وعن عائشة في الآية قالت هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه وأخرج الترمذي والبيهقي في سننه عن فاطمة بنت قيس انها سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية قال ان في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ليس البر ان تولوا وجوهكم الى قوله وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ثم ذكر سبحانه ما نصبه من الدلائل الدالة على توحيده ووعده ووعيده فقال (وفي الارض آيات) أي دلائل واضحة وعلامات ظاهرة من الجبال والبر والبحر والاشجار والانهار والثمار وفيها آثار الهلاك للامم الكافرة المكذبة لما جاءت به رسل الله ودعتهم اليه وهي مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل صلبة ورخوة وعذبة وسبخة وفيها معادن مفننة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيآت والافعال الى غير ذلك من بدائع صنعه وصنائع قدرته وحكمته وتدبيره (للموقنين) أي للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأويلها فازدادوا ايقانا على ايقانهم وخص الموقنين بالله لانهم

والقمر أى أنه خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه وهما متعاقبان لا يفتران والشمس ونورها واشراقها والقمر وضياءه و
منازله فى فلكه واختلاف سيره فى سمائه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والا
و يتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات ثم لما كان الشمس والقمر احسن الاجرام المشاهدة فى العالم
والسفلى نبه تعالى على انهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره و تسخيره فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى
خلقهن ان كنتم اياه تعبدون اى ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فانه لا يغفر أن
يشرك به ولهذا قال تعالى فان
استكبروا اى عن افراد العبادة
وابوا الا ان يشركوا معه غيره فالذين
عند ربك يعنى الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار وهم لا يسأمون
كقوله عز وجل فان يكفر بها
هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها
بكافرين وقال الحافظ ابو يعلى
حدثنا سفيان يعنى ابن وكيع حدثنا
ابى عن ابن ابى ليلى عن ابى الزبير
عن جابر رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس
ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل
رحمة لقوم وعذابا لقوم وقوله
ومن آياته اى على قدرته على اعادة
الموتى انك ترى الارض خاشعة اى
هامدة لا نبات فيها بل هى ميتة
فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت
أى أخرجت من جميع ألوان
الزروع والثمار ان الذى أحياها
لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير
(ان الذين يلحدون فى اياتنا لا يخفون
علينا افمن يلقى فى النار خير ام من
يأتى امنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم
انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا
بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان وتعالى
ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) قوله تبارك وتعالى ان الذين يلحدون فى آياتنا قال ابن عباس الالحاد وضع الكلام على غير مواضعه
وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد وقوله عز وجل لا يخفون علينا فيه تهديد شديد ووعيد أكيد اى انه تعالى عالم بمن يلحد فى آياته
واسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال تعالى افمن يلقى فى النار خير ام من يأتى آمنا يوم القيامة
أيستوى هذا وهذا لا يستويان ثم قال عز وجل تهددا للكفرة اعملوا ماشئتم قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراسانى

الذين يعترفون بذلك و يتدبرون فيه فينتفعون به (وفى انفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها
من حال الى حال آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل فانه خلقهم
علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان ينفخ فيهم الروح ثم تختلف بعد ذلك صورهم وألوا
وطبائعهم والسنتهم ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم
واعضاء وحواس ومجارى ومنافس وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلـ
ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخا
الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القا
حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها
خلقت له وما سوى ذلك فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا منها
جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وقيل يريد اختلاف الالسـ
والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيلى الغائط والبول يأكل و يشرب من مدخل
واحد ويخرج من سبيلين وقيل المراد بالانفس الارواح أى وفى نفوسكم التى بها حياتكم
آيات ولا وجه لتخصيص شئ دون شئ بل اللفظ أوسع من ذلك (أفلا تبصرون) أى تنظرون
بعين البصيرة والعبرة الارض وما فيها والانفس وما فيها فتستدلون بذلك على الخالق الرازق
المفرد بالالوهية وانه لا شريك له ولا ضد ولا ند وان وعده الحق وقوله الحق وان ما جاء
اليكم به رسله هو الحق الذى لا شك فيه ولا شبهة تعتريه (وفى السماء رزقكم) أى سبب
رزقكم وهو المطر فانه سبب الارزاق قال سعيد بن جبير والضحاك الرزق هنا ما ينزل
السماء من مطر وثلج وقيل المراد بالسماء السحاب أى وفى السحاب رزقكم وقيل المراد
بالسماء المطر وسماه سماء لانه ينزل من جهتها وقال ابن كيسان يعنى وعلى رب السماء
رزقكم قال ونظيره وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وهو بعيد وقال
الثورى أى عند الله فى السماء رزقكم وقيل المعنى وفى السماء تقدير رزقكم قرأ الجمهور
بالافراد وقرئ ارزاقكم بالجمع (وما توعدون) من الجنة والنار قاله مجاهد وقال عطا
الثواب والعقاب وقال الكلبى من الخير والشر وقال ابن سيرين ما توعدون من
الساعة وبه قال الربيع والاولى الحمل على ما هو الاعم من هذه الاقوال فان جز
الاعمال مكتوب فى السماء والقضاء والقدر ينزل منها والجنة والنار فيها ثم أقسم

وعيد اى من خير أو شر انه عالم بكم وبصير باعمالكم ولهذا قال انه بما تعملون بصير ثم قال جل جلاله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم قال الضحاك والسدى وقتادة وهو القرآن وانه لكتاب عزيز اى منيع الجناب لايرام ان يأتى احد بمثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى ليس للبطلان اليه سبيل لانه منزل من رب العالمين ولهذا قال تنزيل من حكيم حميد اى حكيم فى اقواله وافعاله حميد بمعنى محمود اى فى جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته ثم قال عزوجل ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك قال قتادة والسدى وغيرهما ما يقال لك من التكذيب الا كما قد قيل للرسل من قبلك (٩٧) فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على اذى قومهم لهم فاصبر انت على اذى قومك لك وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن ابى حاتم غيره وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة اى لمن تاب اليه وذو عقاب أليم اى لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته قال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال نزلت هذه الآية ان ربك لذو مغفرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب) لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته واحكامه فى لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على ان كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عزوجل ولو نزلناه على

بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وكذلك لو انزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد لولا فصلت آياته أعجمى وعربى أى لقالوا هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولا نكروا ذلك فقالوا أعجمى وعربى أى كيف ينزل كلام اعجمى على مخاطب عربى لا يفهمه هكذا روى هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير والسدى وغيرهم وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أعجمى وعربى أى هل أنزل بعضها بالاعجمى وبعضها بالعربى هذا قول الحسن البصرى وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام فى قوله أعجمى وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو فى التعنت والعناد أبلغ

وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه) أى ان ما أخبركم به فى هذه الآيات (لحق) وقال الزجاج هو ما ذكر من أمر الرزق والآيات قال الكلبى يعنى ما قص فى الكتاب وقال مقاتل يعنى من أمر الساعة وقيل ان ما فى قوله وما توعدون مبتدأ وخبره فورب السماء الخ فيكون الضمير لما ثم قال سبحانه (مثل ما انكم تنطقون) أى كمثل نطقكم وما زائدة كذا قال بعض الكوفيين وقال الزجاج والفراء أى لحق حقا مثل نطقكم وقال المازنى ان مثل مع ما بمنزلة شيء واحد فبنى على الفتح وقال سيبويه هو مبنى لاضافته الى غير متمكن قرأ الجمهور بنصب مثل على تقدير كمثل نطقكم وقرئ بالرفع على انه صفة لحق لان مثل نكرة وان أضيفت فهى لا تتعرف بالاضافة كغير ورجح قول المازنى أبو على الفارسى ومعنى الآية تشبيه تحقيق ما أخبر الله عنه بتحقيق نطق الآدمى ووجوده وهذا كما تقول انه لحق كما انك ههنا وانه لحق كما أنت تتكلم والمعنى انه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لو أن أحدكم فر من رزقه اتبعه كما يتبعه الموت أسنده الثعلبى وذكره القرطبى وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) ذكر سبحانه قصة ابراهيم ليبين انه أهلك بسبب التكذيب من أهلك وفى الاستفهام تفخيم للحديث وشأنه وتنبيه على ان هذا الحديث ليس مما قد علم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه انما علم بطريق الوحى وقيل ان هل بمعنى قد كما فى قوله هل أتى على الانسان حين من الدهر والضيف مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة وقد تقدم الكلام على قصة ضيف ابراهيم فى سورة هود وسورة الحجر (المكرمين) أى انهم مكرمون عند الله سبحانه لانهم ملائكة جاؤا اليه فى صورة بنى آدم كما قال تعالى فى وصفهم فى آية أخرى بل عباد مكرمون وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وقال مجاهد ومقاتل أكرمهم ابراهيم وأحسن اليهم وقام على رؤسهم وكان لا يقوم على رؤس الضيف وأمر امرأته ان تخدمهم وقال الكلبى أكرمهم بالعجل أى عجل لهم القرى وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لانهم كانوا غير مدعوين والاول أولى (اذ دخلوا عليه) العامل فى الظرف الحديث أى هل أتاك حديثهم الواقع فى

ثم قال عز وجل قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء اى قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما فى الصدور من الشكوك والريب والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر أى لا يفهمون ما فيه وهو عليهم عمى اى لا يهتدون الى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا أولئك ينادون من مكان بعيد قال مجاهد يعنى بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول قلت وهذا كقوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم وقال السدى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا عند رجل من المسلمين يقضى اذ قال يا لبيكاه فقال له عمر رضى الله عنه لم تلبى هل رأيت أحدا او دعاك أحد فقال دعانى داع من وراء البحر فقال عمر رضى الله عنه أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن أبى حاتم وقوله تبارك وتعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه أى كذب وأوذى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى بتأخير الحساب الى يوم المعاد لقضى بينهم أى لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وانهم لفى شك منه مريب أى وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشئ كانوا فيه هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص) يقول تعالى من عمل صالحا فلنفسه أى انما يعود نفع ذلك على نفسه ومن أساء فعليها أى انما يرجع وبال ذلك عليه وما ربك بظلام للعبيد اى لا يعاقب أحدا الا بذنبه ولا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه ثم قال جل وعلا اليه يرد علم الساعة أى لا يعلم ذلك احد سواه كما قال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال ما المسؤل عنها باعلم من السائل وكما قال عز وجل الى ربك

(٩٨) (٩٨)

وقت دخولهم عليه أو صفة لانه مصدر او المكرمين أو محذوف أى اذكر كذا اذ كرامين (فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما ويحتمل أن يكون المعنى فقالوا كلاما حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من أن يلغو فيكون على هذا مفعولا به (قال سلام) أى قال ابراهيم سلام والمراد به التحية قرأ الجمهور بنصب سلام الاول ورفع الثانى على انه مبتدأ محذوف الخبر أى عليكم سلام والعدول الى الرفع لقصد افادة الجملة الاسمية للدوام والثبات بخلاف الفعلية فانها لمجرد التجدد والحدوث ولهذا قال أهل المعانى ان سلام ابراهيم أبلغ من سلام الملائكة وقرئ بالرفع فى الموضعين وقرئ بالنصب فيهما وقرئ سلم بكسر السين وقرئ سلم فيهما (قوم) أى أنتم قوم (منكرون) قيل انه قال هذا فى نفسه ولم يخاطبهم به لان ذلك يخالف الاكرام قيل انه أنكرهم لكونهم ابتدؤا بالسلام ولم يكن ذلك معهودا عند قومه وقيل انه رأى فيهم ما يخالف بعض الصور البشرية وقيل لانه رآهم على غير صورة الملائكة الذين يعرفهم وقيل لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل المعنى أنتم غرباء ولا نعرفكم فعرفونى من أنتم وقيل غير ذلك (فراغ) أى عدل (الى أهله) قاله الزجاج أى الذين كان عندهم بقره وكان عامة ماله البقر قاله الخطيب فالمراد بأهله خدمه كالرعاء وقيل ذهب اليهم فى خفية من ضيوفه والمعنى متقارب وقد تقدم تفسيره فى سورة الصافات يقال راغ وارتاغ أى طلب وماذا ترتغ أى تريد وتطلب وراغ الى كذا مال اليه سرا وحاد (فجاء بعجل سمين) أى فجاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما فى سورة هود بعجل حنيذ وفى الكلام حذف تدل عليه الفاء الفصيحة أى فذبح عجلا فحنذه فجاء به قال فى الصحاح العجل ولد البقر والعجول مثله والجمع العجاجيل والانثى عجلة وقيل العجل فى بعض اللغات الشاة (فقربه) أى قرب العجل (اليهم) ووضعه بين أيديهم وعرض عليهم الاكل و(قال ألا تأكلون) الاستفهام للانكار وذلك انه لما قربه اليهم لم يأكلوا منه أو للعرض أو للتحضيض (فأوجس منهم خيفة) أى أحس فى نفسه خوفا منهم لما لم يأكلوا مما قربه اليهم وقيل معنى أوجس أضمر وانما وقع له ذلك لما لم يتحرموا بطعامه ومن أخلاق الناس ان من أكل من طعام انسان صار آمنا منه فظن ابراهيم انهم جاؤا للشر ولم يأتوا للخير وقد زاد ان الانكار الحاصل قبل تقريب العجل كما مر فى هود بمعنى عدم العلم بانهم من أى بلد

والانكار

منتهاها وقال جل جلاله لا يجليها لوقتها الا هو وقوله تبارك وتعالى وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه أي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وقد قال سبحانه وتعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها وقال جلت عظمته يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار وقال تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير وقوله جل وعلا ويوم يناديهم أين شركائي أي يوم القيامة ينادى الله المشركين على رؤس الخلائق أين شركائي الذين عبدتموهم معي قالوا آذناك اي أعلمناك ما منا (٩٩) من شهيد اى ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اى ذهبوا فلم ينفعوهم وظنوا ما لهم من محيص اى وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين ما لهم من محيص أى لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) يقول تعالى لا يمل الانسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك وان مسه الشر وهو البلاء أو الفقر فيؤس قنوط اى يقع في ذهنه انه لا يتهيأ له بعد هذا خير ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي أى اذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لي اني كنت أستحقه عند ربي وما أظن الساعة قائمة أي يكفر بقيام الساعة أي لاجل انه خول نعمة يبطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اى ولئن كان ثم معاد فليحسنن الي ربي كما احسن الي في هذه الدار يتمنى على الله عز وجل مع اساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال تعالى واذا أنعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه أي اعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لاوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله فتولى بركنه واذا مسه الشر أي الشدة

والانكار الحاصل بعده بمعنى عدم العلم بانهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر فان من امتنع من تناول الطعام يخاف من شره وقيل انه وقع في قلبه انهم ملائكة فلما رأوا ما ظهر عليه من أمارات الخوف (قالوا لا تخف) واعلموه انهم ملائكة مرسلون اليه من جهة الله سبحانه (وبشروه بغلام عليم) أى ذى علم كثير عند أن يبلغ مبالغ الرجال والمبشر به عند الجمهور هو اسحق وقال مجاهد وحده انه اسمعيل وهو مردود بقوله وبشرناه باسحق وقد قدمنا تحقيق هذا الكلام في هود بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره (فاقبلت امرأته) أى سارة (في صرة) لم يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان وانما هو كقولك أقبل يشتمني أى أخذ في شتمي كذا قال الفراء وغيره والصرة الصيحة والضجة أي جاءت صائحة لانها لما بشرت بالولد وجدت حرارة الدم أي دم الحيض وقيل الصرة الجماعة من الناس قال الجوهري الضجة والصيحة والصرة الجماعة والصرة الشدة من حرب أو غيره وقال عكرمة وقتادة انها الرنة والتأوه والمعنى أنها كانت في زاوية من زوايا البيت تنظر اليهم فأقبلت في صيحة أو ضجة أو في جماعة من الناس يستمعون كلام الملائكة (فصكت وجهها) أى ضربت بيدها مبسوطة على وجهها كما جرت بذلك عادة النساء عند التعجب قال مقاتل والكلبي جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا ومعنى الصك ضرب الشئ بالشئ العريض يقال صكه أي ضربه وقال ابن عباس في صرة في صيحة فصكت لطمت (وقالت) كيف ألد (وأنا عجوز عقيم) استبعدت ذلك لكبر سنها ولكونها عقيما لا تلد (قالوا كذلك) أى كما قلنا لك وأخبرناك (قال ربك) فلا تشكي في ذلك ولا تعجبي منه فان ما أراد الله كائن لا محالة ولم نقل ذلك من جهة أنفسنا وقد كانت اذ ذاك بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة ذكره القرطبي وقد سبق بيان هذا مستوفى وجملة (انه هو الحكيم العليم) تعليل لما قبلها أي حكيم في أفعاله وأقواله عليم بكل شئ (قال فما خطبكم) مستأنفة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال ابراهيم بعد هذا القول من الملائكة والخطب الشان والقصة والمعنى فما شأنكم وقصتكم (أيها المرسلون) من جهة الله وما ذاك الامر الذي لاجله أرسلكم سوى هذه البشارة (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى كافرين يريدون قوم لوط (لنرسل) أى لننزل (عليهم) من السماء (حجارة)

فذو دعاء عريض أي يطيل المسألة في الشيء الواحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه وهو ما قل ودل وقد قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه (قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن أرأيتم ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به أي كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله ولهذا قال عز وجل من أضل ممن هو في شقاق بعيد أي في كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى ثم قال جل جلاله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية في الآفاق من الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم وسائر الاديان قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في أنفسهم قالوا واقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاخلاط والهيآت العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ما هو مجبول عليه من الاخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الاقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره ان يجوزها ولا يتعداها كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه التفكر والاعتبار عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال

واذا نظرت تريد معتبرا * فانظر اليك ففيك معتبر

أنت الذي تمسي وتصبح في الدنيا وكل أموره عبر

أنت المصرف كان في صغر * ثم استقل بشخصك الكبر

أنت الذي تنعاه خلقته * ينعاه منه الشعر والبشر

أنت الذي تعطى وتسلب لا * ينجيه من ان يسلب الحذر

أنت الذي لا شيء منه له * وأحق منه بماله القدر

وقوله تعالى حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء

أي لنرجمهم بحجارة (من طين) متحجر مطبوخ بالنار واستدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط (مسومة) صفة لحجارة أو حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور أو من الحجارة لكونها وصفت بالجار والمجرور أي معلمة بعلامات تعرف بها قيل كانت مخططة بسواد وبياض وقيل بسواد وحمرة وقيل معروفة بانها حجارة العذاب وقيل مكتوب على كل حجر من يهلك بها (عند ربك) ظرف لمسومة أي معلمة عنده (للمسرفين) المتمادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور باتيانهم الذكور وقال مقاتل للمشركين والشرك أسرف الذنوب وأعظمها قال السدي ومقاتل كانوا اربعمائة ألف فادخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلع قراهم وكانت أربعة ورفع حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ثم أرسل عليهم الحجارة فتتبعت الحجارة شذاذهم ومسافريهم أفاده زاده وهو جمع شاذ أي الخارجين منهم عن أرضهم (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) هذا كلام من جهة الله سبحانه أي لما أردنا اهلاك قوم لوط أخرجنا من كان في قرى قوم لوط من قومه المؤمنين به والفاء مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع أخر كانه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا من كان فيها بقولنا فأسر باهلك (فما وجدنا فيها) أي في قرى قوم لوط وهي وان لم تذكر لكن دل عليها السياق (غير بيت من المسلمين) أي غير أهل بيت يقال بيت شريف ويراد به أهله قيل وهم أهل بيت لوط وقال مجاهد لوط وابنتاه وعن سعيد بن جبير قال كانوا ثلاثة عشر ونحوه قال الاصفهاني والاسلام الانقياد والاستسلام لامر الله سبحانه فكل مؤمن مسلم ومن ذلك قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقد أوضح الفرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الاسلام والايمان في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق أنه سئل عن الاسلام فقال ان تشهد أن لا اله الا الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وسئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره فالمرجع في الفرق بينهما هو الذي قاله الصادق المصدوق ولا التفات الى غيره مما قاله أهل العلم في رسم كل واحد منهما برسوم مضطربة مختلفة مختلة متناقضة وأما ما في الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الاسلام والايمان فذلك باعتبار المعاني اللغوية والاستعمالات العربية والواجب تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية والحقيقة الشرعية هي هذه التي أخبرنا

شهيداً أي كفي بالله شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عنه كما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه الآية وقوله تعالى ألا انهم في مرية من لقاء ربهم أي في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعبؤن به وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد ابن ابراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سعيد الانصاري قال ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فاني لم أجمعكم لامر أحدثه (١٠١) فيكم ولكن فكرت في هذا الامر الذي

أنتم اليه صائرون فعلمت أن المصدق بهذا الامر أحمق والمكذب به هالك ثم نزل ومعنى قوله رضي الله عنه ان المصدق به أحمق اي لانه لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه فهو أحمق بهذا الاعتبار والاحمق في اللغة ضعيف العقل وقوله والمكذب به هالك هذا واضح والله أعلم ثم قال تعالى مقرراً انه على كل شئ قدير وبكل شئ محيط واقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى الا انه بكل شئ محيط أي المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طي علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا اله الا هو آخر تفسير سورة حم السجدة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الشورى وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً منكراً فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن أرطاة بن المنذر قال جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان رضي الله عنه تعالى أخبرني عن تفسير قول الله تعالى حم عسق قال فاطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فاعرض

بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأجاب سؤال السائل له عن ذلك بها قال الكرخي فيه اشارة الى ما قاله الخطابي وغيره ان المسلم قد يكون مؤمناً وقد لا يكون والمؤمن مسلم دائماً فهو أخص وبهذا يستقيم تأويل الآيات والاحاديث (وتركنا فيها) أي في تلك القرى بعد اهلاك الكافرين (آية) أي علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب وهي تلك الاحجار أو صخر منضود أو ماء اسود منتن خرج من أرضهم أو آثار العذاب في تلك القرى فانها ظاهرة بينة وقيل هذه الآية المتروكة نفس القرى الخربة (للذين يخافون العذاب الاليم) أي كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فلا يفعل مثل فعلهم وانما خص هؤلاء لانهم الذين يتعظون بالمواعظ ويتفكرون في الآيات دون غيرهم ممن لا يخاف ذلك وهم المشركون المكذبون بالبعث والوعد والوعيد (و) تركنا (في) قصة (موسى) آية وهذا معنى واضح قاله السمين أو في الارض وفي موسى آيات قاله الفراء وابن عطية والزمخشري قال أبو حيان وهو بعيد جداً ينزه القرآن عن مثله وقيل وتركنا فيها آية وجعلنا في موسى آية قال أبو حيان ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد أمكن أن يكون العامل في المجرور وتركنا والوجه الاول هو الاولى وما عداه متكلف متعسف لم تلجئ اليه حاجة ولا دعت اليه ضرورة (اذ أرسلناه الى فرعون) الظرف متعلق بمحذوف وهو نعت لآية أي كائنة وقت أرسلناه أو بآية نفسها أو منصوب بتركنا والاول أولى (بسلطان مبين) وهو الحجة الظاهرة الواضحة وهي العصا وما معها من الآيات التسع (فتولى بركنه) التولي الاعراض والركن الجانب قاله الاخفش والمعنى أعرض عن الايمان بجانبه أي مع جنوده لانهم له كالركن كما في قوله أعرض ونأى بجانبه قال الجوهري ركن الشئ جانبه الاقوى ويأوي الى ركن شديد أي عز ومنعة وقال ابن عباس بركنه بقومه وقال ابن زيد ومجاهد وغيرهما الركن جمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم ومنه قوله تعالى أو آوي الى ركن شديد أي عشيرة ومنعة وقيل الركن نفس القوة وبه قال قتادة وغيره (وقال) فرعون في حق موسى (ساحر أو مجنون) فردد فيما رآه من أحوال موسى بين كونه ساحراً أو مجنوناً فأو هنا على بابها من الابهام على السامع أو للشك نزل نفسه منزلة الشاك في أمره تمويهاً على قومه وهذا من اللعين مغالطة وايهام لقومه فانه يعلم ان ما رآه من الخوارق لا يتيسر

عنه فلم يجبه بشئ وكره مقالته ثم كررها الثالثة فلم يجر اليه شيأ فقال له حذيفة رضى الله عنه انا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الاله وعبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فاذا أذن الله تبارك وتعالى في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على احداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت فما هو الا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى (١٠٢) حم عسق يعنى عزيمة من الله تعالى وفتنة وقضاء حم عين يعنى عدلا منه سين يعنى سيكون ق يعنى واقع بهاتين المدينتين وأغرب منه مارواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى الجزء الثانى من مسند ابن عباس رضى الله عنه عن ابى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ولكن اسناده ضعيف جدا ومنقطع فانه قال حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى الخشنى الدمشقى عن ابى معاوية قال صعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه المنبر فقال أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر حم عسق فوثب ابن عباس رضى الله عنه فقال أنا قال حم اسم من أسماء الله تعالى قال فعين قال عاين المولون عذاب يوم بدر قال فسين قال سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال فقاف فسكت فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء تغشى الناس وقوله عز وجل كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم أى كما أنزل اليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتاب والصحف على الانبياء قبلك وقوله تعالى الله العزيز اى فى انتقامه الحكيم فى أقواله وأفعاله قال الامام مالك رحمه الله عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها قالت ان الحرث ابن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يأتينى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه صلى الله عليه وسلم ليتفصد عرقا اخرجا فى

على يد ساحر ولا يفعله من به جنون وقال أبو عبيدة ان أو بمعنى الواو لانه قد قال ذلك جميعا ولم يتردد وبه قال المؤرج والفراء كقوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا قال تعالى ان هذا لساحر عليم وقال فى موضع آخر ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وتجيء أو بمعنى الواو ورد الناس عليه وقالوا الاضرورة تدعو الى ذلك وأما الآيتان فلا تدلان على أنه قالهما معا وانما يفيدان انه قالهما أعم من أن يكونا معا أو هذه فى وقت وهذه فى وقت آخر ذكره السمين (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أى طرحناهم فى البحر فغرقوا (وهو) أى فرعون (مليم) أى آت بما يلام عليه حين ادعى الربوبية وكذب الرسل وكفر بالله وطغى فى عصيانه وفى الاسناد تجوز على حد عيشة راضية يقال ألام الرجل فعل ما يستحق عليه اللوم واللوم العذل تقول لامه على كذا من باب قال ولومه أيضا فهو ملوم واللائمة الملامة (و) تركنا (فى) قصة اهلاك (عاد) آية (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهى التى لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا انما هى ريح العذاب والاهلاك قال على هى النكباء وهى كل ريح هبت بين ريحين لتنكبها وانحرافها عن مهاب الرياح المعروفة وهى رياح متعددة لا ريح واحدة قال ابن عباس الريح العقيم الشديدة التى لا تلقح شيأ وعنه قال لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب واختلف فيها فقيل الجنوب والاظهر انها الدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والعقم ههنا مستعار للمعنى المذكور على سبيل التبعية شبه ما فى الريح من الصفة التى تمنع من انشاء مطر أو القاح شجر بما فى المرأة من الصفة المذكورة التى تمنع من الحمل ثم قيل العقيم وأريد به ذلك المعنى بقرينة وصف الريح به أو سماها عقيما لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أفاده الكرخى وفى الشهاب أصل العقم اليبس المانع من قبول الاثر كما قاله الراغب وهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول فلما أهلكتهم وقطعت نسلهم شبه ذلك الاهلاك بعدم الحمل لما فيه من اذهاب النسل وهذا هو المراد هنا ثم وصف سبحانه هذه الريح فقال (ما تذر من شئ أتت عليه) أى مرت عليه من أنفسهم وانعامهم وأموالهم (الا جعلته كالرميم) أى كالشئ الهالك البالى المتفتت وقال قتادة هو الذى ديس من يابس النبات وقال السدى وأبو العالية انه التراب المدقوق وقال قطرب انه الرماد وقيل ما رمته الماشية من الكلا وأصل الكلمة من رم العظم اذا بلى فهو رميم والرمة العظام البالية والجمع رمم ورمام قال ابن

الصحيحين ولفظه للبخاري وقد رواه الطبراني عن عبد الله ابن الامام أحمد عن ابيه عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان الحرث بن هشام انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ينزل عليك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت ما قال وقال وهو أشده علي قال وأحيانا يأتيني الملك فيتمثل لي فيكلمني فاعي ما يقول وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك فما من مرة يوحى الي الا ظننت ان نفسي تقبض تفرد به أحمد وقد ذكرنا كيفية اتيان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول شرح البخاري بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقوله تبارك وتعالى له ما في السموات وما في الارض أي الجميع عبيد له وملك له تحت قهره وتصريفه وهو العلي العظيم كقوله تعالى وهو الكبير المتعال وهو العلي الكبير والآيات في هذا كثيرة وقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن من فوقهن قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وقتادة والسدي وكعب الاحبار اي فرقا من العظمة والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض كقوله جل وعلا الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقوله جل جلاله ألا ان الله هو الغفور الرحيم اعلام بذلك وتنويه به وقوله سبحانه وتعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء يعني المشركين الله حفيظ عليهم اي شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عدا وسيجزيهم بها أوفر الجزاء وما انت عليهم بوكيل أي انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) يقول تعالى وكما أوحينا الى الانبياء قبلك اوحينا اليك قرآنا عربيا اي واضحا جليا بينا لتنذر أم القرى وهي مكة ومن حولها أي من سائر البلاد شرقا وغربا وسميت مكة أم القرى لانها أشرف من سائر البلاد لادلة كثيرة مذكورة في مواضعها ومن أوجز ذلك

ابن عباس كالرميم كالشيء الهالك البالي وفي القرطبي كالشيء الهشيم يقال للنبت اذا يبس وتفتت رميم وهشيم والتقدير ما تترك من شيء الا مجعولا كالرميم فالجملة في موضع المفعول الثاني لتذر وأعربها ابو حيان حالا وليس بظاهر (وفي ثمود اذ قيل لهم) أي وتركنا في قصة ثمود آية وقت ان قلنا لهم بعد عقر الناقة (تمتعوا حتى حين) أي عيشوا متمتعين بالدنيا الى حين وقت الهلاك وانقضاء الاجل وهو ثلاثة أيام كما في قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن امتثال أمر الله وهذا ترتيب اخباري والا ففي الحقيقة عتوهم انما كان قبل وعدهم بالهلاك الذي هو المراد من قوله تمتعوا حتى حين على تفسيره اذ المراد به ما بقي من آجالهم والمراد بأمر ربهم هو المذكور في سورة هود ياقوم هذه ناقة الله لكم آية (فأخذتهم) بعد مضي ثلاثة أيام (الصاعقة) وهي كل عذاب مهلك وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة وأخذتهم من بعد عقر الناقة والصاعقة هي نار تنزل من السماء فيها رعد شديد وقد مر الكلام على الصاعقة في البقرة وفي مواضع (وهم ينظرون) اي يرونها عيانا لانها كانت نهارا وقيل ان المعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب والاول أولى (فما استطاعوا من قيام) أي لم يقدروا على القيام حين نزول العذاب قال قتادة من نهوض يعني لم ينهضوا من تلك الصرعة والمعنى انهم عجزوا عن القيام فضلا عن الهرب ومثله قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين (وما كانوا منتصرين) اي ممتنعين من عذاب الله بغيرهم ممن اهلكهم الله ولم تمكنهم مقابلته بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (و) أهلكنا أو نبذنا او اذكر (قوم نوح) وثلاثة اوجه أخر في النصب ذكرها السمين وفي قراءة الجر اربعة اوجه ذكرها السمين ايضا لا نطول بذكرها (من قبل) اي من قبل هؤلاء المهلكين فان زمانهم متقدم على زمن فرعون وعاد وثمود (انهم كانوا قوما فاسقين) اي خارجين عن طاعة الله (والسماء بنيناها بايد) اي بقوة وقدرة قاله ابن عباس قيل التقدير وبنينا السماء بنيناها وقرئ برفع السماء على الابتداء (وانا لموسعون) الموسع ذو الوسع والسعة والمعنى انا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا نعجز عن ذلك وقيل لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة وقيل انا لموسعون الرزق بالمطر قال الجوهري اوسع الرجل صار ذا سعة وغنى وقيل جاعلوها واسعة وعليه تكون الحال مؤسسة اخبر

وأدله ماقال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال ان عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة والله انك لخير ارض الله الى الله واحب ارض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ماخرجت هكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقوله عز وجل وتنذر يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد وقوله تعالى لاريب فيه أي لاشك في وقوعه وانه كائن لامحالة وقوله جل وعلا فريق في الجنة وفريق في السعير كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن أي يغبن أهل الجنة أهل النار وكقوله عز وجل ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث حدثني أبو قبيل المغافري عن شفي الاصبحي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ماهذان الكتابان قلنا لا الا ان تخبرنا يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم للذي في يمينه هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لايزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ثم قال صلى الله عليه وسلم للذي في يساره هذا كتاب أهل النار باسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لايزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأي شئ نعمل ان كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل أي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل النار وان عمل أي عمل ثم قال صلى الله عليه وسلم بيده فقبضها ثم قال فرغ ربكم عز وجل من العباد ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال فريق في الجنة ونبذ باليسرى وقال فريق في السعير وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبي قبيل عن شفي بن ماتع الاصبحي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما به وقال الترمذي حسن صحيح غريب وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن

أولا انه بناها بقوته وقدرته وثانيا انه وسعها اى جعلها واسعة فالارض بالنسبة اليها كحلقة في فلاة (والارض فرشناها) قرئ بنصب الارض على الاشتغال وبرفعها على الابتداء والاول اولى لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها والمعنى بسطناها ومهدناها ومددناها فالفراش كناية عن البسط والتسوية (فنعم الماهدون) أي نحن يقال مهدت الفراش بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها (ومن كل شئ خلقنا زوجين) اى صنفين أو أمرين متقابلين أو نوعين من ذكر وأنثى وبر وبحر وشمس وقمر وحلو ومر وسماء وارض وليل ونهار ونور وظلمة وجن وانس وخير وشر وموت وحياة وسهل وحزن وصيف وشتاء وايمان وكفر وسعادة وشقاوة وحق وباطل وحلو وحامض وسرور وغم الى غير ذلك مما لاينحصر فكل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لامثل له (لعلكم تذكرون) اى خلقنا ذلك هكذا لتتذكروا فتعرفوا أنه خالق كل شئ وتستدلوا بذلك على توحيد الله وصدق وعده ووعيده (ففروا الى الله) اى قل لهم يامحمد اذا كان الامر كذلك ففروا اواهربوا الى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي اى الى ثوابه من عقابه بان تطيعوه ولاتعصوه وقيل المعنى اخرجوا من مكة وقال الحسن بن الفضل احترزوا عن كل شئ غير الله فمن فر الى غيره لم يمتنع منه وقيل فروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن وقيل فروا من الجهل الى العلم والمعاني متقاربة اى اذا علمتم ان الله تعالى فرد لانظير له ففروا اليه ووحدوه ولاتشركوا به شيأ (انى لكم منه) اى من الله اى من جهته (نذير) منذر (مبين) بين الانذار والجملة تعليل للامر بالفرار (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) تنصيص على اعظم مايجب ان يفر منه وهو الشرك بالله فنهاهم عن الشرك بالله بعد ان أمرهم بالفرار الى الله (انى لكم منه نذير مبين) تعليل للنهي وتكرير للتوكيد والاطالة في الوعيد ابلغ او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني مرتب على الاشراك وقيل انما كرر ليعلم ان الايمان لاينفع الامع العمل كما ان العمل لاينفع الامع الايمان وانه لايفوز ولاينجو عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) اى الامر والشان والقصة كذلك والكاف بمعنى مثل ثم فصل ما اجمله بقوله (ماأتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) في هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيان ان هذا شأن الامم المتقدمة وان ماوقع من العرب

أبي الزاهرية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بنحوه وعنده زيادات منها ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله عز وجل ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث به ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن أبي قبيل عن شفي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم فذكره ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه انه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول ان الله تعالى لما خلق آدم نفضه نفض المزود وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف فقبضهم

العرب من التكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بالسحر والجنون قد كان ممن قبلهم لرسلهم (أتواصوا به) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجب من حالهم اي هل اوصى اولهم آخرهم بالتكذيب وتواطئوا عليه حتى قالوه جميعا متفقين عليه اوالاستفهام للنفي اي ما وقع منهم وصية بذلك لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد (بل هم قوم طاغون) اضراب عن التواصي الى ما جمعهم من الطغيان اي لم يتواصوا بذلك بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الكفر فهو اضراب انتقالي ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالاعراض عنهم فقال (فتول عنهم) اي اعرض عنهم وكف عن جدالهم ودعائهم الى الحق فقد فعلت ما أمرك الله به وبلغت رسالته وكررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد (فما أنت بملوم) عند الله على الاعراض بعد هذا الانذار لانك قد اديت ما عليك وما قصرت فيما امرت به وبذلت المجهود في البلاغ وهذا منسوخ بآية السيف او بقوله الآتي وذكر الآية قال ابن عباس امره الله ان يتولى عنهم ليعذبهم وعذر محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ولما امره بالاعراض عنهم امره بان لا يترك التذكير والموعظة بالتي هي احسن فقال (وذكر) أي جميعهم (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أي من قدر الله ايمانه أو من آمن فانه يزداد بها بصيرة قال الكلبي المعنى عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم وقال مقاتل عظ كفار مكة فان الذكرى تنفع من كان في علم الله انه يؤمن وقيل ذكرهم بالعقوبة وأيام الله وخص المؤمنين بالتذكير لانهم المنتفعون به (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) مستأنفة مقررة لما قبلها لان كون خلقهم لمجرد العبادة مما ينشط رسول الله صلى الله عليه وسلم للتذكير وينشطهم للاجابة قيل هذا خاص فيمن سبق بعلم الله انه يعبده فهو عموم مراد به الخصوص قال الواحدي قال المفسرون هذا خاص لاهل طاعته يعني من أهل من الفريقين قال وهذا قول الكلبي والضحاك واختيار الفراء وابن قتيبة قال القشيري والآية دخلها التخصيص بالقطع لان المجانين والصبيان لم يؤمروا بالعبادة ولا أرادها منهم وقد قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة قاله شيخ الاسلام زكريا نقلا عن الرازي فالآية محمولة على المؤمنين منهم ويدل عليه قراءة أبي بن كعب وابن مسعود وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقال مجاهد ان المعنى الا ليعرفوني

قبضتين ثم قال شقي وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا الموقوف أشبه بالصواب والله سبحانه وتعالى أعلم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني ابن سلمة أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يبكي فقالوا له ما يبكيك ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ من شاربك ثم أوفره حتى تلقاني قال بلى ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الاخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي فلا أدري في أي القبضتين أنا وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدا منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة جمة رضي الله عنهم أجمعين وقوله تبارك وتعالى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة أي اما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء الى الحق وأضل

من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال عز وجل ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني الحرث عن عمرو بن أبي سويد انه حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لو ما أدخلتهم كلهم الجنة فقال يا موسى ارفع درعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيأ قال يا رب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت الا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة الا ما لا خير فيه (ام اتخذوا من دونه أولياء

فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم) يقول تعالى منكرا على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ومخبرا انه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة الا له وحده فانه هو القادر على احياء الموتى وهو على كل شيء قدير ثم قال عز وجل وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله (١٠٦) أي مهما اختلفتم فيه من الامور وهذا عام في جميع الاشياء فحكمه الى الله أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ذلكم الله ربي أي الحاكم في كل شيء عليه توكلت واليه أنيب أي أرجع في جميع الامور وقوله جل جلاله فاطر السموات والارض أي خالقهما وما بينهما جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى ومن الانعام أزواجا أي وخلق لكم من الانعام ثمانية أزواج وقوله تبارك وتعالى يذرؤكم فيه أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكورا واناثا خلقا من بعد خلق وجيلا بعد جيل ونسلا بعد نسل من الناس والانعام وقال البغوي يذرؤكم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الخلقة قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والانعام وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به ليس كمثله شيء أي ليس كخالق الازواج كلها شيء لانه الفرد الصمد الذي لا نظير له وهو السميع البصير وقوله تعالى له مقاليد السموات والارض تقدم تفسيره في سورة الزمر وحاصل ذلك انه المتصرف يفيد الحاكم فيهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام انه بكل شيء عليم

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) يقول تعالى لهذه الامة شرع

قال الكلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده وروي عن مجاهد انه قال المعنى الا لآمرهم وأنهاهم ويدل عليه قوله وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون واختار هذا الزجاج وقال زيد بن أسلم هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة فخلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقياء للمعصية وقال الكلبي المعنى الا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده في الشدة دون النعمة كما في قوله واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقال جماعة الا ليخضعوا الي ويتذللوا ومعنى العبادة في اللغة الذل والخضوع والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته منقاد لما قدره عليه خلقهم على ما أراد ورزقهم كما قضى لا يملك احد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا ووجه تقديم الجن على الانس ههنا تقدم وجودهم قال ابن عباس في الآية ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها وعنه قال على ما خلقتهم عليه من طاعتي ومعصيتي وشقوتي وسعادتي وقيل معنى الا ليعبدون الا مستعدين لان يعبدوا وبان خلقت فيهم العقل والحواس والقدرة التي تحصل بها العبادة وهذا لا ينافي تخلف العبادة بالفعل من بعضهم لان هذا البعض وان لم يعبد الله لكن فيه التهيؤ والاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة وهذا أحسن (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) هذه الجملة فيها بيان استغنائه سبحانه عن عباده وانه لا يريد منهم منفعة كما يريده السادة من عبيدهم بل هو الغني المطلق الرازق المعطي وقيل المعنى ما أريد منهم ان يرزقوا أحدا من عبادي ولا ان يرزقوا أنفسهم ولا يطعموا أحدا من خلقي ولا يطعموا أنفسهم وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله فمن أطعم عيال الله فهو كمن أطعمه وهذا كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله عبدي استطعمتك فلم تطعمني أي لم تطعم عبادي ومن زائدة لتوكيد العموم ثم بين سبحانه انه هو الرزاق لا غيره فقال (ان الله هو الرزاق) لا رازق سواه ولا معطي غيره فهو الذي يرزق مخلوقاته ويقوم بما يصلحهم فلا يشتغلوا بغير ما خلقوا له من العبادة هذا تعليل لعدم ارادة الرزق منهم (ذو القوة المتين) تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم في تمامه من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك قرأ الجمهور برفع المتين على انه وصف للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ مضمر وعلى كل تقدير فهو تأكيد لان ذو القوة

لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهو ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الاحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم الآية والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وفى الحديث نحن معشر الانبياء (١٠٧) اولاد علات ديننا واحد اى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لاشريك له وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولهذا قال تعالى ههنا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه أى وصى الله تعالى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وقوله عز وجل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه أى شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم اليه يا محمد من التوحيد ثم قال جل جلاله الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب أى هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ولهذا قال تبارك وتعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم أى انما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه اليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك الا البغى والعناد والمشاقة ثم قال عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى اى لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد باقامة حسابهم الى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة فى الدنيا سريعا وقوله جلت عظمته وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يعنى الجيل المتأخر بعد القرن الاول المكذب للحق لفى شك منه مريب أى ليسوا على يقين من أمرهم وايمانهم وانما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم فى حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التى قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسى فانها أيضا عشر فصول كهذه وقوله

يفيد فائدته وقرئ بالجر صفة للقوة والتذكير لكون تأنيثها غير حقيقى قال الفراء كان حقه المتينة فذكرها لانه ذهب بها الى الشئ المبرم المحكم الفتل يقال حبل متين أى محكم الفتل ومعنى المتين هنا الشديد القوة قال ابن عباس المتين الشديد (فان للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والمعاصى من أهل مكة وغيرهم (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أى نصيب الكفار من الامم السالفة قال ابن الاعرابى يقال يوم ذنوب أى طويل الشر لا ينقضى وأصل الذنوب فى اللغة الدلو العظيمة ومن استعمال الذنوب فى النصيب من الشئ قول الشاعر

لعمرك والمنايا طارقات * لكل بنى أب منها ذنوب

وما فى الآية مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلو الكبيرة فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب فهو تمثيل جعل الذنوب مكان الحظ والنصيب قاله ابن قتيبة وقيل عبر عن النصيب بالذنوب لشبهه به فى انه يصب عليهم العذاب كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم قال ابن عباس ذنوبا دلوا قال الراغب الذنوب الدلو الذى له ذنب (فلا يستعجلون) أى فلا يطلبوا منى ان أعجل لهم العذاب كما فى قوله فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (فويل للذين كفروا) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ووضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالكفر واشعارا بعلة الحكم (من يومهم الذى يوعدون) العذاب فيه قيل هو يوم القيامة وقيل يوم بدر والاول أولى

(سورة الطور وفى نسخة والطور بالواو وهى تسع أو ثمان وأربعون آية)

وهى مكية قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت الطور بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وعن أم سلمة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الى جنب البيت بالطور وكتاب مسطور أخرجه البخارى وغيره

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) قال الجوهرى والقرطبى هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام قال

فلذلك فادع أي فالذي أوحينا اليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس اليه وقوله عز وجل واستقم كما أمرت أي واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل وقوله تعالى ولا تتبع أهواءهم يعني المشركين فيما اختلقوه وكذبوه وافتروه من عبادة الاوثان وقوله جل وعلا وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب أي صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الانبياء لا نفرق بين أحد منهم وقوله وأمرت لاعدل بينكم أي في الحكم كما أمرني الله وقوله جلت عظمته الله ربنا وربكم (١٠٨) أي هو المعبود لا اله غيره فنحن نقر بذلك اختيارا وأنتم وان لم تفعلوه اختيارا فله يسجد من في العالمين طوعا واجبارا وقوله تبارك وتعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي نحن برآء منكم كما قال سبحانه وتعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريؤن مما أعمل وأنا بريء مما تعملون وقوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم قال مجاهد أي لا خصومة قال السدي وذلك قبل نزول آية السيف وهذا متجه لان هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة وقوله عز وجل الله يجمع بيننا أي يوم القيامة كقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وقوله جل وعلا واليه المصير أي المرجع والمآب يوم الحساب (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له أي يجادلون المؤمنين وصفه المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى حجتهم داحضة عند ربهم أي باطلة عند الله وعليهم غضب أي منه ولهم عذاب شديد أي يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا ان تعود الجاهلية وقال قتادة هم اليهود والنصارى قالوا لهم ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالله منكم وقد كذبوا في ذلك ثم قال تعالى الله الذي أنزل الكتاب بالحق يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه والميزان وهو العدل

مجاهد والسدي الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سيناء قال مقاتل بن حيان هما طوران يقال لاحدهما طور سيناء وللآخر طور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هو جبل مدين واسمه زبير قلت ومدين بالارض المقدسة وهي قرية شعيب عليه السلام وقيل ان الطور كل جبل ينبت الشجر المثمر ومالا ينبت فليس بطور فاقسم الله سبحانه بهذا الجبل تشريفا له وتكريما وتذكيرا لما فيه من الآيات قال ابن عباس الطور جبل عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطور جبل من جبال الجنة أخرجه ابن مردويه وكثير ضعيف جدا (وكتاب مسطور) أي مكتوب متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة والسطر الصف من الشيء يقال بني سطرا والسطر أيضا الخط والكتابة وهو في الاصل مصدر وبابه نصر وسطر أيضا بفتحتين والجمع اسطار كسبب وأسباب وجمع الجمع أساطير وجمع السطر أسطر وسطور كأفلس وفلوس والمراد بالكتاب القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو للاشعار بانه ليس مما يتعارفه الناس وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل جميع الكتب المنزلة وقيل ما تكتبه الحفظة قاله الفراء وغيره ومثله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله واذا الصحف نشرت وقال الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل انه الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السماء يقرؤن فيه ما كان وما يكون وقيل المراد ما كتبه الله في قلوب الاولياء من المؤمنين بيانه أولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه بعد (في رق) متعلق بمسطور أي مكتوب في رق وهو الصحيفة قال الجوهري الرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى في رق منشور وقال المبرد الرق ما رق من الجلد ليكتب فيه قال أبو عبيد وجمعه رقوق قال الراغب الرق كل ما يكتب فيه جلدا كان أو غيره قرئ بفتح الراء ويجوز كسرها كما قرئ به شاذا وأما الرق الذي هو مملوك الارقاء فهو بالكسر لا غير يقال عبد رق وعبد مرقوق (منشور) مبسوط مفتوح غير مطوي لا ختم عليه أولا ختم وهو بالنسبة للتوراة الالواح التي أنزلت على موسى وبالنسبة للقرآن المصحف (والبيت المعمور) بكثرة الغاشية والاهل والزوار من الملائكة قيل هو في السماء السابعة وقيل في سماء الدنيا وقيل هو الكعبة فعلى القولين الاولين يكون

والانصاف قاله مجاهد وقتادة وهذه كقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقوله والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وقوله تبارك وتعالى ومايدريك لعل الساعة قريب فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد فى الدنيا وقوله عزوجل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها اى يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما يقولون ذلك تكذيبا واستبعادا وكفرا وعنادا والذين آمنوا مشفقون منها اى خائفون وجلون من وقوعها ويعلمون انها الحق اى كائنة لا محالة فهم مستعدون لها (١٠٩) عاملون من أجلها وقد روى من طرق تبلغ درجة التواتر فى الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفى بعض ألفاظه ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهورى وهو فى بعض اسفاره فناداه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته هاؤم فقال له متى الساعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك انها كائنة فما اعددت لها فقال حب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت فقوله فى الحديث المرء مع من احب هذا متواتر لا محالة والغرض انه لم يجبه عن وقت الساعة بل امره بالاستعداد لها وقوله تعالى ألا ان الذين يمارون فى الساعة أى يجادلون فى وجودها ويدفعون وقوعها لفى ضلال بعيد اى فى جهل بين لان الذى خلق السموات والارض قادر على احياء الموتى بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير) يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه فى رزقه اياهم عن آخرهم لا ينسى أحدا منهم سواء فى رزقه البر والفاجر كقوله عزوجل ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ولها نظائر كثيرة وقوله جل وعلا يرزق من يشاء أى يوسع على من يشاء وهو القوى العزيز أى لا يعجزه شئ ثم قال عزوجل من كان يريد

وصفه بالعمارة باعتبار من يدخل اليه من الملائكة ويعبد الله فيه وعلى القول الثالث يكون وصفه بالعمارة حقيقة أو مجازا باعتبار كثرة من يتعبد فيه من بنى آدم وقيل هو فى السماء الثالثة أو السادسة أو الرابعة فهذه أقوال ستة فى محل البيت المعمور وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة أخرجه ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وفى الصحيحين وغيرهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الاسراء بعد مجاوزته الى السماء السابعة ثم رفع الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وعن أبى الطفيل ان ابن الكواء سأل عليا عن البيت المعمور فقال ذلك الضراح (١) بيت فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه أبدا الى يوم القيامة ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عمر رفعه ان البيت المعمور لحيال الكعبة لو سقط منه شئ لسقط عليها يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه وعن ابن عباس نحوه وضعف اسناده السيوطى (والسقف المرفوع) يعنى السماء سماها سقفا لكونها كالسقف للارض ومنه قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقيل هو العرش وهو سقف الجنة وقال على السماء (والبحر المسجور) أى الموقد المحمى من السجر وهو ايقاد النار فى التنور ومنه قوله واذا البحار سجرت وقد ورد ان البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارا فيزاد بها فى نار جهنم وقيل المسجور المملوء بالماء وهو البحر المحيط كذا ذكره العمادى قيل انه من أسماء الاضداد يقال بحر مسجور أى مملوء وبحر مسجور أى فارغ خال وقيل المسجور الممسوك ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه وقال أبو العالية المسجور الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل المسجور المفجور ومنه قوله واذا البحار فجرت وقال الربيع ابن أنس هو الذى يختلط فيه العذب بالمالح والاول أولى وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد ابن كعب والاخفش وغيرهم وعن على فى الآية قال بحر فى السماء تحت العرش وعن ابن عمر مثله وقال ابن عباس المسجور المحبوس وعنه المرسل والواو الاولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم قوله (ان عذاب ربك لواقع) أى كائن لا محالة لمن يستحقه (ماله من دافع) يدفعه ويرده عن أهل النار خبر ثان لان أو صفة لواقع ومن مزيدة

(١) بالضم بيت فى السماء وهو البيت المعمور اه صحاح الجوهرى اه منه

حرث الآخرة اى عمل الآخرة نزد له فى حرثه اى نقويه ونعينه على ما هو بصدده ونكثر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى ما يشاء الله ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب اى ومن كان انما سعيه ليحصل له شئ من الدنيا وليس له الى الآخرة همّ البتة بالكلية حرمه الله الآخرة والدنيا ان شاء اعطاه منها وان لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه وفاز الساعى بهذه النية بالصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة والدليل على هذا ان هذه الآية هنا مقيدة بالآية التى فى سبحان وهى قوله تبارك وتعالى من كان (١١٠) يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وقال الثورى عن معمر عن ابى العالية عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب وقوله جل وعلا ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله اى هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والانس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وتحليل اكل الميتة والدم والقمار الى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التى كانوا قد اخترعوها فى جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والاقوال الفاسدة وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحى بن قمعة يجر قصبه فى النار من لانه اول من سيب السوائب وكان هذا الرجل احد ملوك خزاعة وهو اول من فعل هذه الاشياء وهو الذى حمل قريشا على عبادة الاصنام لعنه الله وقبحه ولهذا قال تعالى ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم اى لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الانظار الى يوم المعاد وان الظالمين لهم عذاب اليم اى شديد موجع فى جهنم وبئس المصير ثم قال تعالى ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا اى فى عرصات القيامة وهو واقع بهم اى الذى يخافون منه واقع بهم لا محالة هذا حالهم يوم معادهم وهم فى هذا الخوف والوجل والذين آمنوا

لتأكيد ووجه تخصيص هذه الامور بالاقسام بها انها عظيمة دالة على كمال القدرة الربانية (يوم تمور السماء مورا) اى انه لواقع فى هذا اليوم والمور الاضطراب والحركة قال اهل اللغة مار الشئ يمور مورا اذا تحرك وداروجاء وذهب قاله الاخفش وابو عبيدة وقال ابن عباس تحرك وقال الضحاك يموج بعضها فى بعض وقال مجاهد تدور دورا وقيل تجرى جريا وقيل تتكفأ قاله الاخفش قال البغوى والمور يجمع هذه المعانى اذ هو فى اللغة الذهاب والمجئ والتردد والدوران والاضطراب ويطلق المور على الموج ومنه ناقة موارة المد اى سريعة تموج فى مشيها موجا ومعنى الآية ان العذاب يقع بالعصاة ولا يدفعه عنهم دافع فى هذا اليوم الذى تكون فيه السماء هكذا وهو يوم القيامة وقيل ان السماء هنا الفلك وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره (وتسير الجبال سيرا) اى تزول عن اماكنها وتسير عن مواضعها كسير السحاب وتطير فى الهواء ثم تقع على الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن اى الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتكون هباء منبثا كما دل عليه كلامه فى سورة النمل قيل ووجه تأكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما وخروجهما عن المعهود والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الاعلام والانذار بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا لخرابها وعمارة الآخرة وقد تقدم تفسير مثل هذا فى سورة الكهف (فويل يومئذ للمكذبين) ويل كلمة عذاب يقال لمن هلك واسم واد فى جهنم وانما دخلت الفاء لان فى الكلام معنى المجازاة اى اذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم اى شدة عذاب ثم وصف المكذبين بقوله (الذين هم فى خوض يلعبون) اى فى تردد فى الباطل واندفاع فيه يلهون لا يذكرون حسابا ولا يخافون عقابا والمعنى انهم يخوضون فى امر محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والاستهزاء وقيل يخوضون فى اسباب الدنيا ويعرضون عن الآخرة والخوض من المعانى الغالبة فانه يصح للخوض فى كل شئ الا انه غلب فى الخوض فى الباطل كالاحضار فانه عام فى كل شئ ثم غلب استعماله فى الاحضار للعذاب قال تعالى لكنت من المحضرين ونظيره فى الاسماء الغالبة دابة فانها غلبت فى ذوات الاربع والقوم غلب فى الرجال افاده الكرخى اخذا عن حواشى الكشاف (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) الدع الدفع بعنف وجفوة يقال دععته ادعه دعا اى دفعته قال الراغب واصله ان يقال للعاثر دع دع وهذا بعيد

وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم فاين هذا من هذا اى أين من هو فى العرصات فى الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ممن هو فى روضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الابار حدثنا محمد بن سعد الانصارى عن ابى طيبة قال ان الشرب من اهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول ما امطركم قال فما يدعو داع من القوم بشىء الا امطرتهم حتى ان القائل منهم ليقول امطرينا كواعب اترابا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة به (١١١) ولهذا قال تعالى ذلك هو الفضل الكبير اى الفوز العظيم والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشارة الله تعالى لهم وقوله عزوجل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا اسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه وانما اطلب منكم ان تكفوا شركم عنى وتذرونى ابلغ رسالات ربى ان لم تنصرونى فلا تؤذونى بما بينى وبينكم من القرابة قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا يحدث عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن قوله تعالى الا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة انفرد به البخارى ورواه الامام احمد عن يحيى القطان عن شعبة به وهكذا روى عامر الشعبى والضحاك وعلى بن ابى طلحة والعوفى ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وابو مالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال الحافظ ابو القاسم الطبرانى حدثنا هشام بن

من هذه اللفظة والمعنى انهم يدفعون الى النار دفعا عنيفا شديدا قال مقاتل تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم وقرئ يدعون مخففا من الدعاء أى يدعون الى النار قال ابن عباس يدعون يدفعون أى يدفع فى أعناقهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا ثم وبخهم سبحانه أو أمر ملائكته بتوبيخهم فقال (أفسحر هذا) الذى تشاهدون وترون كما كنتم تقولون لرسل الله المرسلة والكتب المنزلة هذا سحر وقدم الخبر هنا على المبتدا لانه الذى وقع الاستفهام عنه وتوجه التوبيخ اليه (أم أنتم لا تبصرون) أى أم أنتم عمى عن هذا كما كنتم عميا عن الحق فى الدنيا وهذا بازاء قولهم فى الدنيا انما سكرت أبصارنا وظاهر كلام الكشاف ان أم منقطعة حيث قال أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم وفى التفسير الكبير هل فى أمرنا سحر أم هل فى بصركم خلل أى لا واحد منهما ثابت فجعلها معادلة (اصلوها) أى اذا لم يمكنكم انكارها وتحققتم ان ذلك ليس بسحر ولم يكن فى أبصاركم خلل فالآن ادخلوها وقاسوا شدتها (فاصبروا) على العذاب (أو لا تصبروا) وافعلوا ما شئتم فالامران (سواء عليكم) فى عدم النفع قاله أبو حيان وبه قال أبو البقاء وقيل سواء عليكم الصبر وعدمه واليه نحا الزمخشرى والاول أحسن لان جعل النكرة خبرا أولى من جعلها مبتدأ وجعل المعرفة خبرا (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فان الجزاء بالعمل اذا كان واقعا حتما كان الصبر وعدمه سواء (ان المتقين فى جنات ونعيم) لما فرغ سبحانه من ذكر حال المجرمين ذكر حال المتقين والجملة مستأنفة أو من جملة ما يقال للكفار زيادة فى غمهم وحسرتهم والتنوين فى جنات ونعيم للتفخيم (فاكهين بما آتاهم ربهم) يقال رجل فاكه أى ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر والمعنى انهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة وقيل ذو نعمة وتلذذ بما صاروا فيه مما أعطاهم الله عزوجل مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تقدم بيان معنى هذا قرأ الجمهور فاكهين بالالف والنصب على الحال وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر وقرئ فكهين والفكه طيب النفس كما تقدم

يزيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أسألكم عليه أجرا الا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم وروى الامام أحمد عن حسن بن موسى حدثنا قزعة يعني ابن سويد وابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن قزعة بن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قل لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى اجرا الا ان تودوا الله تعالى وان تقربوا اليه بطاعته وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري مثله وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول الا المودة في القربى اى الا ان تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير ما معناه انه قال معنى ذلك ان تودوني في قرابتي اى تحسنوا اليهم وتبروهم وقال السدي عن ابي الديلم قال لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه أقرأت القرآن قال نعم قال أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قال وانكم لانتم هم قال نعم وقال أبو اسحق السبيعي سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فقال قربى النبي صلى الله عليه وسلم رواهما ابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا مالك بن اسمعيل حدثنا عبد السلام حدثني يزيد بن ابي زياد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا فقال ابن عباس أو العباس رضي الله عنهما شك عبد السلام لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال صلى الله عليه وسلم يقول حتى جثوا

في الدخان ويقال للاشر والبطر ولا يناسب التفسير بهما هنا الفاكهة المازح وتفكه تعجب وقيل تندم قال تعالى فظلتم تفكهون أي تندمون وتفكه بالشيء تمتع به قيل ما مصدرية وفيه بعد من حيث المعنى اذ التفكه ليس باعطاء الرب بل بالمعطى وقيل موصولة والباء على أصلها أو بمعنى في (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) معطوف على الصلة أو حال بتقدير قد أو معطوف على في جنات والاول أظهر (كلوا واشربوا هنيئا) أي يقال لهم ذلك والهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر قال الزجاج أي ليهنئكم ما صرتم اليه هنا والمعنى كلوا طعاما هنيئا أو قد تقدم تفسيره هنيئا في سورة النساء وقال ابن عباس هنيئا أي لا تموتون فيها فعندها قالوا أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين (بما) أي بسبب ما (كنتم تعملون) في الدنيا للآخرة (متكئين) على نمارق (على سرر) بضم الراء الاولى جمع سرير وقرئ بفتحها (مصفوفة) قال ابن الاعرابي المصفوفة المتصل بعضها ببعض حتى تصير صفا أي موضوعة بعضها الى بعض قيل سرر من ذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وايلة (وزوجناهم) قال يونس بن حبيب تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت بامرأة وليس من كلام العرب زوجته بامرأة قال وقول الله تعالى وزوجناهم (بحور عين) أي قرناهم وقال الفراء زوجته بامرأة لغة أزد شنوءة وانما قلنا قرناهم لان الحور العين في الجنات مملوكات بملك اليمين لا بملك النكاح يقال زوجت ابلي أي قرنت بعضها الى بعض وليس من التزويج الذي هو عقد النكاح قرأ الجمهور بحور عين من غير اضافة وقرأ عكرمة باضافة الحور الى العين وهن عظام الاعين حسانها شداد بياض الاعين وقد تقدم تفسيرها في سورة الدخان ولما فرغ سبحانه من ذكر أهل الجنة على العموم ذكر حال طائفة منهم على الخصوص فقال (والذين آمنوا) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه منصوب بفعل مقدر أي وأكرمنا الذين آمنوا والثاني انه مجرور على ما قاله الزمخشري والذين آمنوا معطوف على حور عين أي قرناهم بحور عين وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان قال أبو حيان ولا يتخيل أحد ان قوله والذين آمنوا معطوف على حور عين غير هذا الرجل وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي ابن عباس وغيره قلت أما ما ذكره الزمخشري من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته وليس في الكلام

على الركب وقالوا أولادنا ومافي أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن عبد المؤمن بن علي عن عبد السلام عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف باسناده مثله أو قريبا منه وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية وذكر نزولها في المدينة فيه نظر لان السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الاشقر عن قيس عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله (١١٣) عنه قال لما نزلت هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم قال فاطمة وولدها رضي الله عنهم وهذا اسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الاشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فانها مكية ولم يكن اذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية فانها لم تتزوج بعلي رضي الله عنه الا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والامر بالاحسان اليهم واحترامهم واكرامهم فانهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الارض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما اذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بغدير خم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وانهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أنا اسمعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قلت يارسول الله ان قريشا اذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن واذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال أحمد حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس رضي الله

في الكلام العربي ما يدفعه بل لو عرض على ابن عباس وغيره لا نعجبهم وأي مانع معنوي أو صناعي يمنعه والثالث انه مرفوع على انه مبتدأ والخبر الجملة من قوله ألحقنا بهم والاول أولى وقيل المراد بالذين آمنوا المهاجرون والانصار وظاهر الآية العموم ولا يوجب تخصيصها بهم كونهم السبب في نزولها ان صح ذلك فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (واتبعتهم ذريتهم بايمان) أي حال كون الذرية متلبسة بايمان استقلالي أو تبعي أما الذرية الكافرة فلا تتبع آباءها وهذا على ان الباء للملابسة لكن جمهور المفسرين على انها للسببية أو بمعنى في وبهذا الاعتبار لا يظهر دخول الاولاد الكبار فان ايمانهم استقلالي لا تبعي كالصغار وقال أبو السعود أي اتبعتهم ذريتهم بايمان قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرأ أبو عمرو واتبعناهم باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه كقوله ألحقنا وقرأ الباقون اتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية وقرئ ذريتهم بالافراد والجمع ومعنى الآية ان الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن اليه وان كانوا دونه في العمل لتقر عينه وتطيب نفسه بشرط أن يكونوا مؤمنين فيختص ذلك بمن يتصف بالايمان من الذرية وهم البالغون دون الصغار فانهم وان كانوا لاحقين بآبائهم فبدليل آخر غير هذه الآية وقيل ان الذرية تطلق على الكبار والصغار كما هو المعنى اللغوي فيلحق بالآباء المؤمنين صغار ذريتهم وكبارهم (ألحقنا بهم ذريتهم) الذرية هنا تصدق على الآباء وعلى الابناء فان المؤمن اذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل ابنا كان أو أبا وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة قاله الخطيب ولعل الاول أولى وقيل ان الضمير في بهم راجع الى الذرية المذكورة أولا أي ألحقنا بالذرية المتبعة لآبائهم بايمان ذريتهم والحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم وهذا هو الاليق بكمال لطفه قال ابن عباس أيضا في الآية ان الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وان كانوا دونه في العمل لتقربه عينه ثم قرأ هذه الآية وأخرجه البزار وابن مردويه عنه مرفوعا وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به أخرجه الطبراني

وابن مردويه وعن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا الآية أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب من اين لي هذا فيقول باستغفار ولدك لك أخرجه أحمد واسناده صحيح (وما ألتناهم من عملهم من شئ) قرئ بفتح اللام من ألتنا وبكسرها وهما سبعيتان أي وما نقصنا الآباء بالحاق ذريتهم بهم من ثواب أعمالهم شيأ وقيل المعنى وما نقصنا الذرية من أعمالهم شيأ لقصر أعمارهم والاول أولى وقد قدمنا تحقيق معنى لاته وآلته في سورة الحجرات وقرئ وآلتناهم بالمد وهو لغة قال في الصحاح يقال ما آلته من عمله شيأ أي ما نقصه قال ابن عباس ما ألتناهم ما نقصناهم ومن زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) يعني مرهون والظاهر انه عام وان كل انسان مرتهن بعمله فان قام به على الوجه الذي أمر الله به فكه والا أهلكه وقيل هو بمعنى راهن والمعنى كل امرئ بما كسب ثابت دائم وقيل هذا خاص بالكفار لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر سبحانه ما أمدهم به من الخير فقال (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أي وزدناهم على ما كان لهم من مبادي النعم وقتا فوقتا بفاكهة متنوعة ولحم من أنواع اللحمان مما تشتهيه أنفسهم ويستطيبونه من فنون النعماء وانواع الآلاء وان لم يقترحوا ولم يصرحوا بطلبه بل بمجرد ما يخطر على قلوبهم يقدم اليهم (يتنازعون فيها) أي يتعاطون ويتناولون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم (كأسا) أي يتجاذب بعضهم الكاس من بعض هذا من يد هذا وهذا من يد هذا تلذذا وتأنسا والكاس اناء الخمر ويطلق على كل اناء مملوء من خمر أو غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا (لا لغو فيها ولا تأثيم) قال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغى به ولا ما فيه اثم كما يجري بين من يشرب الخمر في الدنيا واللغو من الكلام هو الذي لا نفع فيه ولا مضرة والتأثيم تفعيل من الاثم والضمير في فيها راجع الى الكاس وقيل الى الجنة ولا يجري فيها ما فيه اثم والاول أولى قال ابن قتيبة لا تذهب بعقولهم فيلغوا كما يكون من خمر الدنيا ولا يكون منهم ما يؤثمهم وقال الضحاك لا تأثيم أي لا كذب قال قتادة اللغو الباطل وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن

عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لنخرج فنرى قريشا تحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق بين عينيه ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لا يدخل قلب امرئ مسلم ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي وقال البخاري حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد حدثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر هو الصديق رضي الله عنه قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته وفي الصحيح ان الصديق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي ان أصل من قرابتي وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما والله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم لان أسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب فحال الشيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كل احد أن يكون كذلك ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أبي حيان التيمي حدثني يزيد بن حيان قال انطلقت انا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي والله لقد كبر سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفونيه ثم قال رضي الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطيبا فينا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد زيد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال صلى الله عليه وسلم أما بعد الا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال صلى الله عليه وسلم وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال ان نساءه من أهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل

وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم قال أكل هؤلاء يحرم عليه الصدقة قال نعم وهكذا رواه مسلم في الفضائل والنسائي من طرق عن يزيد بن حيان به وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا علي بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الاعمش عن عطية عن أبي سعيد والاعمش عن أبي حبيب عن أبي ثابت عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض والآخر عترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف

تخلفوني فيهما تفرد بروايته الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب وقال الترمذي أيضا حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول يا أيها الناس اني تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي تفرد به الترمذي أيضا وقال حسن غريب وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم ثم قال الترمذي أيضا حدثنا أبو داود سليمان الأشعث حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله تعالى لما يغذوكم من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي ثم قال حسن غريب انما نعرفه من هذا الوجه وقد أوردنا أحاديث آخر عند قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مفضل بن عبد الله عن أبي اسحق عن حنش قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه وهو آخذ بحلقة الباب يقول يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك هذا بهذا الاسناد ضعيف وقوله عز وجل ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا اي ومن يعمل حسنة نزد له فيها حسنا اي اجرا وثوابا كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال

زيد لاسباب ولا تخاصم فيها قال ابن عباس لا باطل ولا كذب فيها (ويطوف عليهم غلمان لهم) أي يطوف عليهم بالكاس والطعام والفواكه والتحف وغير ذلك مماليك لهم وقيل أولادهم قال الكرخي لم يضفهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم أحدا في الدنيا أن يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وقيل انهم من أخدمهم الله تعالى اياهم من أولاد غيرهم وقيل هم غلمان خلقوا في الجنة قال الكلبي لا يكبرون أبدا وقيل هم أولاد المشركين وهم خدم أهل الجنة وليس في الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة ولكنه أخبر بانهم على نهاية التنعم (كأنهم) في الحسن واللطافة والبهاء من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) أي مستور مصون في الصدف لم تمسه الايدي لانه مادام رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قال الكسائي كننت الشيء سترته وصنته من الشمس وأكننته جعلته في الكن ومنه كننت الجارية وأكننتها فهي مكنونة (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا في الجنة عن حاله وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة فيحمدون الله الذي أذهب عنهم الحزن والخوف والهم وما كانوا فيه من الكد والنكد بطلب المعاش وتحصيل ما لا بد منه من الرزق وما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة وقيل يقول بعضهم لبعض بما صرتم في هذه المنزلة الرفيعة وقيل ان التساؤل بينهم عند البعث من القبور والاول أولى لدلالة السياق على انهم قد صاروا في الجنة أخرج البزار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا الى الاخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان فيتكئ ذا ويتكئ ذا فيتحدثان بما كانوا في الدنيا فيقول أحدهما يا فلان تدري أي يوم غفر الله لنا يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا (قالوا) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قال بعضهم لبعض عند التساؤل فقيل قالوا ايماء الى علة الوصول لما هم فيه من النعيم ومحط العلة قوله الآتي فمن الله علينا (انا كنا قبل) أي من قبل الآخرة وذلك في الدنيا (في أهلنا مشفقين) أي خائفين وجلين من عذاب الله أو كنا خائفين من عصيان الله أو من نزع الايمان وفوت الأمان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيآت والمقصود اثبات خوفهم في سائر الاوقات والاحوال بطريق الاولى فان كونهم بين أهليهم مظنة الامن فاذا خافوا في تلك الحال فلان

ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وقال بعض السلف ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها وقوله تعالى ان الله غفور شكور أي يغفر الكثير من السيآت ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر وقوله جل وعلا أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك أي لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون يختم على قلبك أي يطبع على قلبك ويسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين (١١٦) فما منكم من أحد عنه حاجزين أي لا نتقمنا منه أشد الانتقام وما قدر أحد من الناس ان يحجز عنه وقوله جلت عظمته ويمح الله الباطل ليس معطوفا على قوله يختم فيكون مجزوما بل هو مرفوع على الابتداء قاله ابن جرير قال وحذفت من كتابته الواو في رسم المصحف الامام كما حذفت في قوله سندع الزبانية وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وقوله عزوجل ويحق الحق بكلماته معطوفا على ويمح الله الباطل ويحق الحق أي يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه بكلماته أي بحججه وبراهينه انه عليم بذات الصدور أي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد)

يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم اليه اذا تابوا ورجعوا اليه انه من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح عليه ويستر ويغفر كقوله عزوجل ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقد ثبت في صحيح مسلم رحمة الله تعالى عليه حيث قال حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا اسحق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك وهو عمه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته

يخافوا دونهما أولى ولعل الاولى ان يجعل اشارة الى معنى الشفقة على خلق الله كما ان قوله الآتي انا كنا من قبل ندعوه اشارة الى التعظيم لامر الله (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة وبالتوفيق لطاعته (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب جهنم والسموم من أسماء جهنم كذا قال الحسن ومقاتل وقال الكلبي وأبو عبيدة هو عذاب النار وقال الزجاج سموم جهنم ما يوجد من حرها قال أبو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الشمس والحر أكثر وقيل سميت الريح سموما لانها تدخل المسام وهي في الاصل الريح الحارة التي تتخلل المسام والجمع سمائم وقيل سم يومنا أي اشتد حره قالت عائشة لو فتح الله على أهل الارض من عذاب السموم قدر الانملة لاحرقت الارض ومن عليها وقالوا ايماء أيضا الى علة الوصول (انا كنا من قبل ندعوه) أي نوحد الله ونعبده أو نسأله ان يمن علينا بالمغفرة والرحمة ومحط العلة قوله (انه هو البر الرحيم) قرئ انه بكسر الهمزة على الاستئناف وبفتحها أي لانه والبر كثير الاحسان وقيل اللطيف قاله ابن عباس والرحيم كثير الرحمة لعباده (فذكر) أي اثبت ودم على ما أنت عليه من الوعظ والتذكير (فما أنت بنعمة ربك) التي انعم بها عليك من رجاحة العقل وعلو الهمة والنبوة وكرم الفعال وطهارة الاخلاق أو وما أنت في حال اذكارك بنعمة ربك (بكاهن ولا مجنون) وقيل المعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما أنا بمعسر بحمد الله وغناه وقيل الباء للقسم والتقدير ما أنت ونعمة الله بكاهن ولا مجنون والكاهن هو الذي يوهم انه يعلم الغيب من دون وحي أي ليس ما تقوله كهانة فانك انما تنطق بالوحي الذي أمرك الله بابلاغه والمقصود من الآية رد ما كان يقوله المشركون انه كاهن أو مجنون (أم يقولون شاعر) أم هي المنقطعة وقد تقدم الخلاف هل هي مقدرة ببل والهمزة أو ببل وحدها قال الخليل هي هنا للاستفهام قال سيبويه خوطب العباد بما جرى في كلامهم قال النحاس يريد سيبويه ان أم في كلام العرب للخروج من حديث الى حديث أي لا ينبغي منهم هذا القول ولا يليق قال الكواشي وانما قدرت ببل لان ما بعدها متيقن وما بعد أم مشكوك فيه مسؤول عنه وذكرت أم هنا خمس عشرة مرة وكلها الزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب لكن قال الثعلبي نقلا عن الخليل ان كل ما في سورة الطور من أم فهو استفهام وليس بعطف وانما استفهم تعالى مع

فبينما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح وقد ثبت أيضا في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ان أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله فيه العطش وقال همام بن الحرث سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها قال لا بأس به وقرأ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الآية (١١٧) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعي عن همام فذكره وقوله عز وجل ويعفو عن السيآت اي يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيآت في الماضي ويعلم ما تفعلون اي هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم ومع هذا يتوب على من تاب اليه وقوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال السدي يعني يستجيب لهم وكذا قال ابن جرير معناه يستجيب لهم الدعاء لانفسهم ولاصحابهم واخوانهم وحكاه عن بعض النحاة وانه جعلها كقوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم ثم روى هو وابن أبي حاتم من حديث الاعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة ابن سبرة قال خطبنا معاذ رضي الله عنه بالشام فقال أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله اني لأرجو ان يدخل الله تعالى من تسبون من فارس والروم الجنة وذلك بان أحدكم اذا عمل له يعني أحدهم عملا قال احسنت رحمك الله احسنت بارك الله فيك ثم قرأ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية انه جعل قوله الذين يستمعون القول اي هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله تبارك وتعالى انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله والمعنى الاول اظهر لقوله تعالى ويزيدهم من فضله اي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية حدثنا اسمعيل بن عبد الله الكندي حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويزيدهم من فضله قال الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفا في الدنيا وقال قتادة عن ابراهيم النخعي في قوله عز وجل ويستجيب الذين آمنوا وعملوا

علمهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره أجاهل انت مع علمه بجهله (نتربص به) باسناد الفعل الى جماعة المتكلمين وقرئ على البناء للمفعول نعت لشاعر وقد كانت العرب تحترز عن أذية الشاعر فقالوا لا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء (ريب المنون) أي صروف الدهر وحوادثه والمعنى ننتظر به حوادث الايام فيموت كما مات غيره أو يهلك كما هلك من قبله والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وسمي الدهر منونا لانه يقطع الاجل واطلاق الريب على الحوادث استعارة تصريحية شبهت بالريب أي الشك لانها لا تدوم ولا تبقى على حال كما انه كذلك قال الاخفش المعنى نتربص الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما تقول قصدت زيدا أي الى زيد قال الاصمعي المنون واحد لا جمع له قال الفراء يكون واحدا وجمعا وقال الاخفش جمع لا واحد له قال ابن عباس ان قريشا لما اجتمعوا الى دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم احبسوه في وثاق وتربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كأحدهم فأنزل الله في ذلك هذه الآية وقال ابن عباس ريب المنون الموت ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عنهم فقال (قل تربصوا) أي انتظروا موتي أو هلاكي أمر تهديد لا ايجاب أو ندب أو اباحة لان تربصهم هلاكه حرام لا محالة (فاني معكم من المتربصين) لموتكم أو هلاككم (أم تأمرهم احلامهم بهذا) أي بل أتأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض فان الكاهن هو المفرط في الفطنة والذكاء ودقة النظر والمجنون هو ذاهب العقل مغطى على فهمه فضلا عن أن تكون له فطنة وذكاء والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون قال الواحدي قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالاحلام والعقول فازرأ الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل وفي القاموس الحلم بالكسر الاناة والعقل والجمع احلام وحلوم وأمر الاحلام به مجاز عن أدائها اليه (أم هم قوم طاغون) أي بل أطغوا وجاوزوا الحد في العناد فقالوا ما قالوا وهذه الاضرابات من شئ الى شئ مع الاستفهام كما هو مدلول أم المنقطعة تدل على ان ما تعقبها أشنع مما تقدمها وأكثر جرأة وعنادا (أم يقولون تقوله) أي اختلق القرآن من جهة نفسه وافتعله والتقول لا يستعمل الا في الكذب في الغالب وان

الصالحات قال يشفعون في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال يشفعون في اخوان اخوانهم وقوله عز وجل والكافرون لهم عذاب شديد لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم وقوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشرا وبطرا وقال قتادة كان يقال خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك وذكر قتادة حديث انما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة (١١٨) الحياة الدنيا وسؤال السائل أيأتي الخير بالشر الحديث وقوله عز وجل ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير أي ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو اعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما جاء في الحديث المروى ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لافسدت عليه دينه وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسدت عليه دينه وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي من بعد اياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم اليه كقوله عز وجل وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين وقوله جل جلاله وينشر رحمته اي يعم بها الوجود على اهل ذلك القطر وتلك الناحية قال قتادة ذكر لنا ان رجلا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس فقال عمر رضي الله عنه مطرتم ثم قرأ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد أي هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على آي جمعهم اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وما أنتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يقول تعالى ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر خلق السموات والارض وما بث فيهما أي ذرأ فيهما اي في السموات والارض من دابة وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف اشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم في ارجاء أقطار السموات والارض ومع هذا كله هو على جمعهم اذا

كان أصله تكلف القول ومنه اقتال عليه ويقال اقتال عليه بمعنى تحكم عليه ثم أضرب سبحانه عن قوله تقوله وانتقل الى ما هو أشد شناعة عليهم فقال (بل لا يؤمنون) أي سبب صدور هذه الاقوال المتناقضة عنهم كونهم كفارا لا يؤمنون بالله ولا يصدقون ما جاء به رسوله استكبارا ثم تحداهم سبحانه وألزمهم الحجة فقال (فليأتوا بحديث) مختلق مفتعل (مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه وبديع أسلوبه قال الرازي والظاهر ان الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل فليأتوا مطلقا بل قال (ان كانوا صادقين) فيما زعموا من قولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقوله من عند نفسه وجاء به من جهته فهو أمر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به مع انه كلام عربي وهم رؤس العرب وفصحاؤهم والممارسون بجميع الاوضاع العربية من نظم ونثر (أم خلقوا من غير شيء) أم هي المنقطعة كما تقدم فيما قبلها وكما سيأتي فيما بعدها أي بل أخلقوا على هذه الكيفية البديعة والصنعة العجيبة من غير خالق لهم قال الزجاج أي أخلقوا باطلا لغير شيء لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون وجعل من بمعنى اللام قال ابن كيسان أم خلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون وقيل المعنى أم خلقوا من غير أب ولا أم فهم كالجماد لا يفهمون ولا تقوم عليهم حجة (أم) أي بل أيقولون (هم الخالقون) لانفسهم فلا يؤمرون ولا ينهون مع انهم يقرون ان الله خالقهم واذا أقروا لزمتهم الحجة قال الجلال المحلي ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه (ام خلقوا السموات والارض) وهم لا يدعون ذلك فلزمتهم الحجة ولهذا اضرب عن هذا وقال (بل لا يوقنون) اي ليسوا على يقين من الامر بل يتخبطون في ظلمات الشك في وعد الله ووعيده والا لآمنوا بنبيه وهذا فيه مزيد تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم كما طعنوا فيك طعنوا في خالقهم (أم عندهم خزائن ربك) أي خزائن أرزاق العباد وقيل مفاتيح الرحمة قال مقاتل يقول بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤا وكذا قال عكرمة وقال الكلبي خزائن المطر والرزق وقيل مقدوراته وضرب المثل بالخزائن لان الخزانة بيت يهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية لها (ام هم المصيطرون)

يشاء قدير أى يوم القيامة يجمع الاولين والآخرين وسائر الخلائق فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق وقوله عز وجل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم اى بمهما أصابكم أيها الناس من المصائب فانما هى عن سيآت تقدمت لكم ويعفو عن كثير أى من السيآت فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة وفى الحديث الصحيح والذى نفسى بيده مايصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن الا كفر الله عنه بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها وقال ابن جرير ثنا يعقوب بن (١١٩) ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال قرأت فى كتاب أبى قلابة قال نزلت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأبو بكر رضى الله عنه يأكل فامسك وقال يارسول الله انى أرى ماعملت من خير وشر فقال أرأيت مارايت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة قال قال أبو ادريس فانى أرى مصداقها فى كتاب الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ثم رواه من وجه آخر عن أبى قلابة عن أنس رضى الله عنه قال والاول أصح وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا الازهر بن راشد الكاهلى عن الخضر بن القواس البجلى عن ابن أبى سخيلة عن على رضى الله عنه قال ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله عز وجل وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك ياعلى ماأصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى احلم من ان يثنى عليه العقوبة فى الآخرة وماعفا الله عنه فى الدنيا فالله تعالى أكرم من ان يعود بعد عفوه وكذا رواه الامام احمد عن مروان بن معاوية وعبدة عن ابن أبى سخيلة قال قال على رضى الله عنه فذكر نحوه مرفوعا ثم روى ابن أبى حاتم نحوه من وجه آخر موقوفا فقال حدثنا ابى حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا أبو سعيد بن أبى الوضاح عن أبى الحسن عن أبى جحيفة قال دخلت على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ألا أحدثكم بحديث ينبغى لكل مؤمن أن يعيه قال فسألناه فتلا هذه الآية وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير قال ماعاقب الله تعالى به فى الدنيا فالله أحلم من أن يثنى عليه

أى المسلطون الغالبون القاهرون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون مايشاؤن وقرئ بالسين من سيطر عليه اذا راقبه وحفظه وقهره ولم يأت على مفيعل الا خمسة ألفاظ أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومسيطر ومبيطر وواحد اسم جبل وهو المحيمر قال فى الصحاح المصيطر المسلط على الشئ ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله وأصله من السطر لان الكتاب يسطر اى أهم الحفظة قال أبو عبيدة سطرت على أى اتخذتنى خولا لك قرئ المصيطرون بالصاد الخالصة وبصاد مشمة زايا (ام لهم سلم يستمعون فيه) أى بل ايقولون ان لهم سلما ومرقى منصوبا الى السماء يصعدون به ويستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحى اليهم ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحى حتى تمكنهم منازعة النبى صلى الله عليه وسلم بزعمهم وهذا الزعم منهم على سبيل الفرض والتقدير ولم يقع منهم بالفعل لانهم لما كانوا على حالة المعاندة والمعارضة كأنهم ادعوا ذلك وقيل فى بمعنى على أى يستمعون عليه كقوله ولأصلبنكم فى جذوع النخل قاله الاخفش وقال أبو عبيد يستمعون به وقال الزجاج المعنى انهم كجبريل الذى يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى وقيل اى صاعدين فيه (فليأت مستمعهم) ان ادعى ذلك (بسلطان مبين) اى بحجة ظاهرة واضحة بينة (ام له البنات) اى بل أتقولون لله البنات (ولكم البنون) سفه سبحانه احلامهم وضلل عقولهم ووبخهم أى أيضيفون الى الله البنات وهى أضعف الصنفين ويجعلون لانفسهم البنين وهم أعلاهما وفيه اشعار بان من كان هذا رأيه فهو بمحل سافل فى الفهم والعقل فلا يستبعد منه انكار البعث وجحد التوحيد ثم رجع سبحانه الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أم تسألهم أجرا) أى بل أتسألهم أجرا يدفعونه اليك على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) أى من التزام غرامة تطلبها منهم (مثقلون) أى مجهودون بحملهم ذلك المغرم الثقيل ومتعبون ومغتمون من أثقله الحمل أتعبه لكن هذا الثقل معنوى لان العادة ان من غرم انسانا مالا يصير الغارم مغتما منه وكارها له فلا يسمع قوله ولا يتمثله قال قتادة يقول هل سألت هؤلاء القوم أجرا فجهدهم فلا يستطيعون الاسلام (أم عندهم الغيب) أى بل أيدعون أن عندهم الغيب وهو ما فى اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات

العقوبة يوم القيامة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة وقال الامام أحمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا طلحة يعني ابن يحيى عن أبي بردة عن معاوية هو ابن أبي سفيان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه الا كفر الله تعالى عنه به من سيآته وقال أحمد أيضا حدثنا حسين عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها وقال ابن أبي حاتم حدثنا (١٢٠) عمرو بن عبد الله الاودي حدثنا أبو أسامة عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن هو البصري قال في قوله تبارك وتعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده فقال له بعضهم انا لنبأس لك لما نرى فيك قال فلا تبتئس بما ترى فان ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا جرير عن أبي البلاد قال قلت للعلاء بن بدر وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقد ذهب بصري وأنا غلام قال فبذنوب والديك وحدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ الضحاك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ثم يقول الضحاك وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخيره البحر لتجري الفلك فيه بامره وهي الجواري في البحر كالاعلام أي كالجبال قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك أي هذه في البحر كالجبال في البر ان يشأ يسكن الريح أي التي

فالغيب بمعنى الغائب والالف واللام في الغيب بمعنى النوع لا للعهد ولا لتعريف الجنس فالمراد نوع الغيب وهذا الزعم فرضي اذ لم يقع منهم بالفعل لكنهم على حالة من المكابرة والمعارضة بحيث ينسب اليهم هذا الزعم قال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله ام عندهم الغيب حتى علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم (فهم يكتبون) ذلك بعد ما وقفوا عليه وقيل هو رد لقولهم انا لا نبعث ولو بعثنا لم نعذب قال ابن قتيبة معنى يكتبون يحكمون بما يقولون (أم يريدون كيدا) أي مكرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيهلكونه بذلك المكر (فالذين كفروا) هذا من وقوع الظاهر موضع المضمر تنبيها على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والاصل أم يريدون كيدا فهم (هم المكيدون) أي الممكور بهم المجزيون بكيدهم فضرر كيدهم يعود عليهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله أو حكم على جنس هم نوع منه فيندرجون فيه اندراجا أوليا لتوغلهم في هذه الصفة وكان هذا المكر والتحيل والكيد في دار الندوة وهي دار من دور أهل مكة والظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة ثم أهلكهم الله تعالى ببدر عند انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من كلمة أم وهي خمس عشرة فان بدرا كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشر من النبوة وأذاهم في غير موطن ومكر سبحانه بهم ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (أم لهم اله غير الله) أي بل أيدعون أن لهم الها غير الله يحفظهم ويرزقهم وينصرهم وهذا استفهام انكاري على معنى نفي الحصول من أصله أي ليس لهم في الواقع اله غير الله وعلى معنى نفي الانبغاء واللياقة بالنظر لاعتقادهم أن هناك الهة غيره ثم نزه سبحانه نفسه عن هذه المقالة الشنعاء فقال (سبحان الله عما يشركون) ما يحتمل وجهين أحدهما أن تكون مصدرية ومعناه سبحانه عن اشراكهم ثانيهما خبرية ومعناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل أن يكون التنزيه عن الولد لانهم كانوا يقولون البنات لله فقال سبحان الله عن البنات والبنين وان يكون عن مثل الالهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحان الله عن مثل ما يعبدونه ثم ذكر سبحانه بعض جهالاتهم فقال (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) الكسف جمع كسفة وهي القطعة من الشيء والمركوم المجعول بعضه على بعض قال الفراء من قرأ كسفا بكسر الكاف وسكون السين جعله واحدا ومن قرأ كسفا

تسير في البحر بالسفن لو شاء اسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى رواكد لا تجيء ولا تذهب بل واقفة على ظهره أي على وجه الماء ان في ذلك لآيات لكل صبار أي في الشدائد شكور أي أن في تسخير البحر واجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون اليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه لكل صبار في الشدائد شكور في الرخاء وقوله عز وجل أو يوبقهن بما كسبوا أي ولو شاء لاهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها ويعفو عن كثير أي من ذنوبهم ولو آخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك كل من ركب في البحر وقال بعض علماء التفسير معنى قوله تعالى أو يوبقهن بما كسبوا أي لو شاء لارسل (١٢١) الريح قوية عاتية فاخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال آبقة لا تسير على طريق ولا الى جهة مقصد وهذا القول هو يتضمن هلاكها وهو مناسب للاول وهو انه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت ولكن من لطفه ورحمته انه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية ولو أنزله كثيرا جدا لهدم البنيان أو قليلا لما انبت الزرع والثمار حتى أنه يرسل الى مثل بلاد مصر سيحا من أرض أخرى غيرها لانهم لا يحتاجون الى مطر ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم وقوله تعالى ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا فانهم مقهورون بقدرتنا فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم

ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) يقول تعالى محقرا لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني بقوله تعالى فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا أي مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به فانما هو متاع الحياة الدنيا وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة وما عند الله خير وأبقى أي وثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدي فلا تقدموا الفاني على الباقي ولهذا قال تعالى للذين آمنوا أي للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا وعلى ربهم يتوكلون أي ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات ثم قال تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وقد قدمنا الكلام على الاثم والفواحش

بكسر الكاف وفتح السين جمع كسفة وهذا الكلام على سبيل الفرض والتقدير في المعلوم ان قريشا لم ينزل عليهم قطع من السماء تعذيبا لهم كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم كانه يقول لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا ويقولون في هذا النازل عنادا واستهزاء واغاظة لمحمد انه سحاب مركوم ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتركهم فقال (فذرهم) أي اتركهم وخل عنهم جواب شرط مقدر أي اذا بلغوا في الكفر والعناد الى هذا الحد وتبين انهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي يوم موتهم أو يوم قتلهم ببدر وهو الظاهر قاله البقاعي أو يوم القيامة قرئ يلاقوا ويلقوا ويصعقون على البناء للمفعول وللفاعل عند السبعة فالاولى يحتمل ان تكون من صعق فهو مصعوق وان تكون من اصعق رباعيا يقال اصعق فهو مصعق والمعنى ان غيرهم اصعقهم وقراءة السلمي بضم الياء وكسر العين تؤذن بان افعل بمعنى فعل والصعقة الهلاك على ما تقدم بيانه (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) أي لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي كادوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا (ولا هم ينصرون) أي ولا يمنع عنهم العذاب النازل بهم مانع بل هو واقع بهم لا محالة (وان للذين ظلموا) أي لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي (عذابا) في الدنيا (دون ذلك) أي غير عذاب يوم القيامة اي قبله وهو قتلهم يوم بدر وقال ابن زيد هو مصائب الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الاموال والاولاد وقال مجاهد هو الجوع والجهد سبع سنين وقيل عذاب القبر قبل يوم القيامة قاله ابن عباس وقيل المراد بالعذاب هو القحط والجوع قبل يوم بدر لانه كان في ثانية الهجرة والقحط وقع لهم قبلها والذي يأتي بعده هو قتلهم يوم بدر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما يصيرون اليه من عذاب الله وما أعده لهم في الدنيا والآخرة (واصبر لحكم ربك) الى ان يقع لهم العذاب الذي وعدناهم به (فانك باعيننا) أي بمرأى ومنظر منا أو في حفظنا وحمايتنا فلا تبال بهم قال الزجاج انك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك فلا يصلون اليك وانما جمع لفظ الاعين مع ان مدلوله واحد وهو المصدر لمناسبة نون العظمة (وسبح بحمد ربك) أي نزه ربك عما لا يليق به متلبسا بحمد ربك على انعامه عليك أي قل سبحان الله وبحمده (حين تقوم) من مجلسك قال عطاء وسعيد وسفيان الثوري وأبو الاحوص يسبح الله حين يقوم من مجلسه

في سورة الاعراف واذا ما غضبوا هم يغفرون أي سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ليس سجيتهم الانتقام من الناس وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمات الله وفي حديث آخر كان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله تربت يمينه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن زائدة عن منصور عن ابراهيم قال كان المؤمنون يكرهون ان يستذلوا وكانوا اذا قدروا عفوا وقوله عز وجل والذين استجابوا لربهم أي اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره وأقاموا الصلاة وهي (١٢٢) أعظم العبادات لله عز وجل وأمرهم شورى بينهم أي لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى وشاورهم في الامر الآية ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن جعل الامر بعده شورى في ستة نفر وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فاجتمع رأي الصحابة كلهم رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم ومما رزقناهم ينفقون وذلك بالاحسان الى خلق الله الاقرب اليهم منهم فالاقرب وقوله عز وجل والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الاذلين بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم وان كانوا مع هذا اذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم اليه وكما عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل وقد التنعيم فلما قدر عليهم منّ عليهم مع قدرته على الانتقام وكذلك عفوه صلى الله عليه وسلم عن غورث بن الحرث الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ صلى الله عليه وسلم وهو في يده صلتا فانتهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف من يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه وكذلك عفا صلى الله عليه وسلم عن لبيد ابن الاعصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه وكذلك عفوه صلى الله عليه وسلم عن المرأة

فيقول سبحان الله وبحمده أو سبحانك اللهم وبحمدك عند قيامه من كل مجلس يجلسه وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع بن أنس حين تقوم الى الصلاة قال الضحاك يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وفيه نظر لان التكبير يكون بعد القيام لا حال القيام ويكون التسبيح بعد التكبير وهذا غير معنى الآية فالاول أولى وقيل المعنى صل لله حين تقوم من مقامك وبه قال أبو الجوزاء وحسان بن عطية وقال الكلبي وابن عباس واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك الى ان تدخل الصلاة وهي صلاة الفجر وعن أبي برزة الاسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بآخرة اذا قام من المجلس يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك فقال رجل يا رسول الله انك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال كفارة لما يكون في المجلس أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وابن مردويه وابن أبي شيبة وأخرجه النسائي والحاكم عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك أخرجه ابن جرير والترمذي وقال حسن صحيح وفي الباب أحاديث مسندة ومرسلة وقيل حين تقوم من منامك عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا استيقظ من نومه فقالت سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (ومن الليل فسبحه) أمره الله سبحانه ان يسبحه في بعض الليل حقيقة أيضا قال مقاتل أي صل المغرب والعشاء وقيل ركعتي الفجر وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال الركعتان قبل صلاة الصبح أخرجه ابن مردويه (وادبار النجوم) أي وقت ادبارها من آخر الليل وقيل صلاة الفجر واختاره ابن جرير وقيل هو التسبيح في أدبار الصلوات وقال ابن عباس ركعتا الفجر وقيل سنة الصبح قرئ ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر وبفتحها على الجمع أي أعقاب النجوم وأدبارها اذا غربت ودبر الامر آخره

اليهودية وهي زينب اخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن سلمة التي سمت الذراع يوم خيبر فاخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على ذلك قالت أردت ان كنت نبيا لم يضرك وان لم تكن نبيا استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق (١٢٢) أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) قوله تبارك وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وكقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فشرع العدل وهو القصاص وندب الى الفضل وهو العفو كقوله جل وعلا والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ولهذا قال ههنا فمن عفا وأصلح فاجره على الله أي لا يضيع ذلك عند الله كما صح ذلك في الحديث وما زاد الله تعالى عبدا بعفو الا عزا وقوله تعالى انه لا يحب الظالمين أي المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة ثم قال جل وعلا ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل فحدثني علي بن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال ابن عون زعموا انها كانت تدخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قالت أم المؤمنين رضي الله عنها دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش رضي الله عنها فجعل صلى الله عليه وسلم يصنع بيده شيأ فلم يفطن لها فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب رضي الله عنها تقحم لعائشة رضي الله عنها فنهاها فأبت ان تنتهي فقال لعائشة رضي الله عنها سبيها فسبتها فغلبتها وانطلقت زينب رضي الله عنها فأتت عليا رضي الله عنه فقالت ان عائشة تقع بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم لها انها حبة أبيك ورب الكعبة فانصرفت وقالت لعلي رضي الله عنه اني قلت له صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال كذا وكذا قال وجاء علي الى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه في ذلك هكذا أورد هذا السياق وعلي بن

وقد تقدم الكلام على هذا في سورة ق

(سورة النجم احدى أو ثنتان وستون آية)

وهي مكية جميعها في قول الجمهور وعن ابن عباس وعكرمة الا آية منها وهي قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الآية وقيل ان السورة كلها مدنية والصحيح هو الاول وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الناس كلهم الا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف وعنه قال أول سورة استعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها والنجم وعن ابن عمر قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ والنجم فسجد بنا وأطال السجود وعن زيد بن ثابت قال قرأت والنجم عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسجد فيها أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني والطيالسي وابن أبي شيبة وابن مردويه وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في النجم بمكة فلما هاجر الى المدينة تركها وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول الى المدينة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم) هو الكوكب وسمي به لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والنبت والقرن اذا طلع والتعريف للجنس والمراد به جنس النجوم يعني نجوم السماء كلها حين تغرب أقسم الله بالنجوم اذا غابت وليس يمتنع ان يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع وبه قال جماعة من المفسرين وقيل المراد به الثريا وهو اسم غلب عليها تقول العرب النجم وتريد به الثريا وبه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان كانت في العدد نحو ما يقال انها سبعة أنجم ستة ظاهرة وواحدة خفية يمتحن الناس بها أبصارهم وفي الشفاء للقاضي عياض ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وقيل المراد النجم الشعرى لذكرها في قوله تعالى وانه هو رب الشعرى وقال السدي النجم هنا هو الزهرة لان قوما من العرب كانوا يعبدونها وقيل النجم هنا النبت الذي لا ساق له كما في قوله والنجم

زيد بن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالبا وهذا فيه نكارة والصحيح خلاف هذا السياق كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأفاء عن عبد الله البهي عن عروة قال قالت عائشة رضي الله عنها ما علمت حتى دخلت علي زينب بغير إذن وهي غضبى ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك إذا قلبت لك ابنة أبي بكر درعيها ثم أقبلت علي فأعرضت عنها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد يبس في فيها ما ترد علي شيئا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه وهذا لفظ النسائي وقال البزار (١٢٤) حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو غسان حدثنا أبو الأحوص عن أبي حمزة عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر ورواه الترمذي من حديث أبي الاحوص عن أبي حمزة واسمه ميمون ثم قال لا نعرفه الا من حديثه وقد تكلم فيه من قبل حفظه وقوله عز وجل انما السبيل أي انما الحرج والعنت على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أي يبدؤن الناس بالظلم كما جاء في الحديث الصحيح المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم أولئك لهم عذاب أليم أي شديد موجع قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عثمان الشحام حدثنا محمد بن واسع قال قدمت مكة فاذا على الخندق قنطرة فأخذت فانطلق بي الى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال ما حاجتك يا أبا عبد الله قلت حاجتي ان استطعت أن تكون كما كان أخو بني عدي قال ومن أخو بني عدي قال العلاء بن زياد استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب اليه أما بعد فان استطعت ان لا تبيت الا وظهرك خفيف وبطنك خميص وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم فانك اذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم فقال مروان صدق والله ونصح ثم قال ما حاجتك يا أبا عبد الله قلت حاجتي أن تلحقني بأهلي قال نعم رواه ابن أبي حاتم ثم ان الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال نادبا الى العفو والصفح ولمن صبر وغفر أي صبر على الاذى وستر السيئة فان ذلك لمن عزم الامور قال سعيد بن جبير يعني لمن حق الامور التي أمر الله تعالى بها أي لمن الامور المشكورة

والشعرى بعدان قاله الاخفش وقيل النجم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل النجم القرآن وسمي نجما لانه نزل منجما مفرقا والعرب تسمي التفريق تنجيما والمفرق المنجم وبه قال مجاهد والفراء وغيرهما والاول أولى قال الحسن المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل المراد بها النجوم التي ترجم بها الشياطين (اذا هوى) أي اذا انصب أخرجه ابن جرير عن ابن عباس أو انتثر ومعنى هويه سقوطه من علو يقال هوى النجم يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل وقيل غروبه وقيل طلوعه والاول أولى وبه قال الاصمعي وغيره ويقال هوى في السير اذا مضى قال الراغب الهوى ذهاب في انحدار وفي ارتفاع وقيل هوى في اللغة خرق الهواء ومقصده السفل أو مصيره اليه وان لم يقصده ومعنى هوى على قول من فسر النجم بالقرآن انه نزل من أعلى الى أسفل وأما على قول من قال انه الشجر الذي لا ساق له أو انه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يظهر لهوى معنى صحيح وفي العامل في هذا الظرف أوجه وعلى كل منها اشكال ذكرها السمين لا نطول الكلام بذكرها هنا وجواب القسم قوله (ما ضل صاحبكم وما غوى) أي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق والهدى ولا عدل عنه والغي ضد الرشد أي ما صار غاويا ولا تكلم بالباطل وقيل ما خاب فيما طلب والغي الخيبة وبين الضلال والغي التباين الكلي فان الضلال فعل المعاصي والغي هو الجهل المركب وبتقدير اتحادهما يكون ذلك من باب التأكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى والاول أولى قيل وهو من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد وايضاحه ان الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقد لا صالحا ولا فاسدا وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا الثاني يقال له غي وفي قوله صاحبكم اشارة بانهم المطلعون على حقيقة حاله وعبر بالصحبة لانها مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم اليه ومتهمة عليهم اتهامه في انذاره وهم يعرفون طهارة شمائله والخطاب لقريش قال ابن عباس أقسم الله ان ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم ولا غوى (وما ينطق عن الهوى) أي ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره فعن على بابها ومثل النطق الفعل وقال أبو عبيدة ان عن بمعنى الباء أي بالهوى وقال قتادة أي ما ينطق بالقرآن عن هواه (ان هو الا وحي يوحى) أي ما هذا الذي ينطق به من القرآن وكل أحواله وأقواله وأفعاله الا وحي من الله يوحيه اليه ويوحى صفة لوحي

تفيد

والافعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي حدثنا عبد الصمد بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا أتاك رجل يشكو اليك رجلا فقل يا أخي اعف عنه فان العفو أقرب للتقوى فان قال لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل فقل له ان كنت تحسن ان تنتصر والا فارجع الى باب العفو فانه باب واسع فانه من عفا وأصلح فأجره على الله وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل وصاحب الانتصار يقلب الامور وقال الامام أحمد حدثنا يحيى يعني ابن سعيد القطان (١٢٥) عن ابن عجلان حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رجلا شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب و يتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله انه كان يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت قال انه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لاقعد مع الشيطان ثم قال يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها لله الا أعزه الله تعالى بها ونصره وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة الا زاده الله بها كثرة وما فتح رجل باب مسئلة يريد بها كثرة الا زاده الله عز وجل بها قلة وكذا رواه أبو داود عن عبد الاعلى بن حماد عن سفيان بن عيينة قال ورواه صفوان بن عيسى كلاهما عن محمد بن عجلان ورواه من طريق الليث عن سعيد المقبري عن بشير ابن المحرر عن سعيد بن المسيب مرسلا وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو سبب سبه (٣) للصديق رضي الله عنه (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة انه ما شاء كان ولا راد له وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وانه من هداه فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له كما قال عز وجل ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ثم قال عز وجل مخبرا

تفيد الاستمرار التجددي وتفيد نفي المجاز أي هو وحي حقيقة لا بمجرد التسمية كما تقول هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد فائدة والآية دليل على كون السنة المطهرة وحيا يوحى (علمه شديد القوى) جمع قوة والمعنى انه علمه جبريل الذي هو شديد قواه هكذا قال أكثر المفسرين وقال الحسن هو الله عز وجل والاول أولى وهو من باب اضافة الصفة الى الموصوف ومن شدة قوته انه اقتلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده أسرع من رجعة الطرف وهذه القوة ثابتة له ولو كان على صورة الآدميين (ذو مرة) أي قوة وشدة في الخلق وقيل ذو صحة جسم وسلامة من الآفات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقيل ذو حصافة عقل ومتانة رأي قال قطرب العرب تقول لكل من هو جزل الرأي حصيف العقل ذو مرة والتفسير للمرة بهذا أولى لان القوة والشدة قد أفادها قوله شديد القوى قال الجوهري المرة احدى الطبائع الاربع والمرة القوة وشدة العقل وقال ابن عباس ذو خلق حسن وقيل منظر حسن وقيل قوة في العقل وحدة بحيث لا يدفعه عما يراوله دافع ولا يسأم من شيء يزاوله فحصل الفرق بين القوة والمرة ومن جملة شدته وقوته قدرته على التشكل فلذلك قال (فاستوى) أي ارتفع جبريل وعلا الى مكانه في السماء بعد ان علم محمدا صلى الله عليه وسلم قاله سعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير وقيل معناه قام في صورته التي خلقه الله عليها لانه كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما يأتي الى الانبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ولم يره أحد من الانبياء على صورته التي خلق عليها الا نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى فاستوى القرآن في صدره صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه أو صدر جبريل حين نزل به وقيل المعنى اعتدل محمد في قوته أو في رسالته ذكره الماوردي وقيل المعنى ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج وقال الحسن فاستوى يعني الله عز وجل على العرش والاول أولى وقيل المعنى فاستوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك رآه عليها حتى سأله اياها على ما ذكرنا (وهو بالافق الاعلى) أي فاستوى جبريل حال كونه بالافق الاعلى و المراد بالافق الاعلى جانب المشرق وهو فوق

(٣) قوله وهو سبب سبه للصديق الخ كذا في النسخ وحرر اهـ

عن الظالمين وهم المشركون بالله لما رأوا العذاب أي يوم القيامة تمنوا الرجعة الى الدنيا يقولون هل الى مرد من سبيل كما قال جل وعلا ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله عزوجل وتراهم يعرضون عليها أي على النار خاشعين من الذل أي الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى ينظرون من طرف خفي قال مجاهد يعني ذليل أي ينظرون اليها مسارقة خوفا منها والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة وما هو أعظم (١٢٦) مما في نفوسهم أجارنا الله من ذلك وقال الذين آمنوا أي يقولون يوم القيامة ان الخاسرين أي الخسار الاكبر الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة أي ذهب بهم الى النار فعدموا لذتهم في دار الابد وخسروا أنفسهم وفرق بينهم وبين أحبابهم وأصحابهم وأهاليهم وقراباتهم فخسروهم الا ان الظالمين في عذاب مقيم أي دائم سرمدي أبدي لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها وقوله تعالى وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله أي ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ومن يضلل الله فما له من سبيل أي ليس له خلاص (استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الاهوال والامور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله أي اذا أمر بكونه فانه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع وقوله عزوجل ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير أي ليس لكم حصن تتحصنون فيه ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه الا اليه يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر وقوله تعالى فان أعرضوا يعني المشركين فما أرسلناك عليهم حفيظا أي لست عليهم بمصيطر وقال عزوجل ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال جل وعلا ههنا ان عليك الا البلاغ أي

جانب المغرب والافق ناحية السماء وجمعه آفاق قال قتادة ومجاهد هو الموضع الذي تطلع منه الشمس وكذا قال سفيان وقيل هو يعني جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى ليلة المعراج ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين أما واحدة فانه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته فسد الافق وأما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله وهو بالافق الاعلى لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال خلق جبريل رواه أحمد والطبراني وغيرهما وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح أخرجه أبو الشيخ وابن جرير وأحمد وعن ابن عباس قال الافق الاعلى مطلع الشمس (ثم دنى) جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى أي قرب من الارض (فتدلى) أي فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير ثم تدلى فدنا قاله ابن الانباري وغيره قال الزجاج معنى دنا فتدلى واحد أي قرب وزاد في القرب كما تقول دنا مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنا جاز قال الفراء الفاء في فتدلى بمعنى الواو والتقدير تدلى جبريل ودنا ولكنه جائز اذا كان معنى الفعلين واحدا أن تقدم أيهما شئت قال الجمهور والذي دنا فتدلى هو جبريل وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى الى ربه والمعنى دنا منه أمره وحكمه والاول اولى قيل ومن قال ان الذي استوى هو جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى عنده ثم دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه دنو كرامة فتدلى أي هوى للسجود به قال الضحاك وعن ابن عباس قال دنا ربه فتدلى والتدلي هو النزول بقرب الشيء (فكان) مقدار ما بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم أو ما بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه تعالى (قاب) أي قدر (قوسين) عربيين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار ذكر معناه في الصحاح قال الزمخشري وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قابان قال بعضهم أراد قابي قوس فقلبه وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فاخبر ان جبريل قرب من محمد

كقرب

انما كافنالك ان تبلغهم رسالة الله اليهم ثم قال تبارك وتعالى وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها أى اذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك وان تصبهم يعنى الناس سيئة أى جدب ونقمة وبلاء وشدة فان الانسان كفور أى يجحد ما تقدم من النعم ولا يعرف الا الساعة الراهنة فان أصابته نعمة أشر وبطر وان أصابته محنة يئس وقنط كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء يا معشر النساء تصدقن فانى رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة ولم يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لانكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير لو أحسنت الى احداهن الدهر ثم تركت يوما (١٢٧) قالت مارأيت منك خيرا قط وهذا حال أكثر النساء الا من هداه الله تعالى وألهمه رشده وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالمؤمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد الا للمؤمن (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) يخبر تعالى انه خالق السموات والارض ومالكهما والمتصرف فيهما وانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وانه يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأنه يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا أى يرزقه البنات فقط قال البغوى ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام ويهب لمن يشاء الذكور أى يرزقه البنين فقط قال البغوى كابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا أى ويعطى لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والانثى أى من هذا وهذا قال البغوى كمحمد صلى الله عليه وسلم ويجعل من يشاء عقيما أى لا يولد له قال البغوى كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ومنهم من يعطيه البنين ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا واناثا ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما لا نسل له ولا ولد له انه عليم أى بمن يستحق كل قسم من هذه الاقسام قدير أى على ما يشاء من تفاوت الناس فى ذلك وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام ولنجعله آية للناس أى دلالة على قدرته تعالى وتقدس حيث خلق الخلق على أربعة أقسام فآدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى وحواء عليها السلام

كقرب قاب قوسين قال الزجاج أى فيما تقدرون أنتم والله سبحانه عالم بمقادير الاشياء ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا وقال سعيد بن جبير وعطاء وأبو اسحق الهمدانى وأبو وائل شقيق بن سلمة فكان قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شئ وهى لغة بعض الحجازيين وقيل هى لغة أزدشنوءة والقوس يذكر ويؤنث فمن أنث قال فى تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس والجمع قسى وأقواس والقوس أيضا بقية التمر فى الجلة أى الوعاء والقوس برج فى السماء وقال الكسائى أراد قوسا واحدة أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود فى هذه الآية قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح وعنه قال فى الآية دنا جبريل منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين وبه قال ابن عباس والحسن وعائشة وقتادة وقال ابن عباس القاب القيد والقوسين الذراعين وعن أبى سعيد قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم اقترب من ربه فكان قاب قوسين أو أدنى ألم تر الى القوس ما أقربها من الوتر وعن أنس ودنا الجبار رب العزة حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية عن سلمة عن ابن عباس وفيه جهالة وقال الضحاك نحو ما قال أنس (أو أدنى) أو بمعنى الواو وقيل بمعنى بل والاول أولى كقوله أو يزيدون لان المعنى فكان باحد هذين المقدارين فى رأى الرائى أى لتقارب ما بينهما يشك الرائى فى ذلك وأدنى أفعل تفضيل والمفضل عليه محذوف أى أو أدنى من قاب قوسين أو أدنى من ذلك وروى لما راى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورة الآدمى سأله عند الافق الاعلى ان يراه على صورته التى خلق عليها فاراه فرآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان بحراء قد سد الافق الى المغرب فخر مغشيا عليه فدنا منه قربا زائدا وضمه الى نفسه حتى أفاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه (فاوحى الى عبده) اى فاوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم بتعليم من الله لا من عند نفسه (ما اوحى) فيه تفخيم للوحى الذى اوحى اليه والوحى القاء الشئ بسرعة ومنه الوحا وهو السرعة والضمير فى عبده يرجع الى الله كما فى قوله ماترك على ظهرها من دابة وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل وبالاول قال الربيع والحسن وابن زيد وقتادة وقيل فاوحى الله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أبهم الله سبحانه ما أوحاه جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم

من ذكر بلا أنثى وسائر الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وأنثى وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى ولنجعله آية للناس فهذا المقام في الآباء والمقام الأول في الأبناء وكل منهما أربعة أقسام فسبحان العليم القدير (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (١٢٨) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقوله تعالى أو من وراء حجاب كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحا كذا جاء الحديث وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدار الدنيا وقوله عز وجل أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنه علي حكيم فهو علي عليم خبير حكيم وقوله عز وجل وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا يعني القرآن ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ولكن جعلناه أي القرآن نورا نهدي به من نشاء من عبادنا كقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى الآية وقوله تعالى وإنك أي يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم وهو الحق القويم ثم فسره بقوله صراط الله أي شرعه الذي أمر به الله الذي له ما في السموات وما في الأرض أي ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحا لا معقب لحكمه ألا إلى الله تصير الأمور أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجا

أمرنا

أو ما أوحاه الله إلى عبده جبريل أو إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبينه لنا فليس لنا أن نتعرض لتفسيره وقال سعيد بن جبير الذي أوحاه الله إليه هو ألم نشرح لك صدرك الخ وألم يجدك يتيما فآوى الخ وقيل أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك وقيل إن ما للعموم لا للإبهام والمراد كل ما أوحي به إليه والحمل على الإبهام أولى لما فيه من التعظيم (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره ليلة المعراج رؤية حقيقية يقال كذبه إذا قال له الكذب ولم يصدقه قال المبرد معنى الآية أنه رأى شيئا فصدق به وقرئ ما كذب مخففا وبالتشديد وهما سبعيتان وما في ما رأى موصولة أو مصدرية قال ابن مسعود في الآية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف أخضر قد ملأ ما بين السماء والأرض أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه والبيهقي وغيرهم وبه قالت عائشة وقيل هو الله عز وجل رآه بعين رأسه وقيل بقلبه وقيل جعل بصره في فؤاده والكلام على هذه المسألة مستوفى في موطنه وقد تكلم عليه القاضي عياض في الشفاء والخفاجي في شرحه والقسطلاني في شرح المواهب اللدنية والنووي وقال والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الإسراء وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه انتهى قال سليمان الجمل وحاصل المسألة أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الأمة وهو الذي يرجع إليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر فأخبره بأنه رآه ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لأنها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لم أر وإنما اعتمدت على الاستنباط مما وجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تبارك وتعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وأجيب عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية ووجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص (أفتمارونه على ما يرى) قرئ من المماراة وهي المجادلة والملاحاة وقرئ أفتمرونه أي أفتجحدونه واختار أبو عبيد الثانية قال لأنهم لم يماروه وإنما جحدوه يقال مراه حقه أي جحده ومريته أنا أي جحدته قال المبرد يقال

كبيرا *(تفسير سورة الزخرف وهي [تسع وثمانون آية] مكية)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين) يقول تعالى حم والكتاب المبين اي البين الواضح الجلي المعاني والالفاظ لانه نزل بلغة العرب التي هي افصح اللغات للتخاطب بين الناس ولهذا قال تعالى انا جعلناه أي أنزلناه قرآنا عربيا أي بلغة العرب فصيحا واضحا لعلكم تعقلون أي تفهمونه (ﻣﻠﺦ ١٢٠) وتتدبرونه كما قال عز وجل بلسان عربي مبين وقوله تعالى وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم بين شرفه في الملا الاعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الارض فقال تعالى وانه أي القرآن في أم الكتاب اي اللوح المحفوظ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد لدينا أي عندنا قاله قتادة وغيره لعلي اي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل قاله قتادة حكيم اي محكم بريء من اللبس والزيغ وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله كما قال تبارك وتعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وقال تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين ان المحدث لا يمس المصحف كما ورد به الحديث ان صح لان الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملا الأعلى فاهل الارض بذلك اولى واحرى لانه نزل عليهم وخطابه متوجه اليهم فهم احق أن يقابلوه بالاكرام والتعظيم والانقياد له بالقبول والتسليم لقوله تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقوله عز وجل افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين اختلف المفسرون في معناها فقيل معناها اتحسبون ان نصفح عنكم فلم نعذبكم ولم تفعلوا ما امرتم به قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابو صالح والسدي واختاره ابن جرير وقال قتادة في قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا والله لو أن هذا القرآن رفع حين ردته أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة أو ماشاء الله من ذلك وقول قتادة لطيف المعنى جدا وحاصله انه يقول في معناه انه تعالى من لطفه ورحمته

أمراه عن حقه وعلى حقه اذا منعه منه ... ه ودفعه وقيل على بمعنى عن وقرئ أفتمرونه بضم الناء من أمريت اي أتريبونه وتشكون فيه قال جماعة من المفسرين المعنى على الاول أفتجادلونه وذلك انهم جادلوه حين أسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس أي فتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما شاهده وعلمه وقال ما يرى ولم يقل ما رأى على حكاية الحال الماضية استحضارا للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين (ولقد رآه نزلة أخرى) اللام هي الموطئة للقسم أي والله لقد رآه والنزلة المرة من النزول أي رأى جبريل نازلا نزلة أخرى أو رآه رؤية اخرى ونصب نزلة على الظرف او ... المصدرية او الحالية وبالاول قال الزمخشري وهو مذهب الفراء نقله عنه مكي وبالثاني قدره ... أبو البقاء وبالثالث قال الحوفي وابن عطية قال جمهور المفسرين المعنى انه رأى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه السلام مرة اخرى في صورة نفسه وذلك ليلة المعراج وقيل رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه مرة اخرى بفؤاده وقيل بعينه اخرج مسلم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس في الآية قال رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه بقلبه مرتين وأخرج نحوه عنه الترمذي وحسنه وعن انس قال رأى محمد ربه وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وعنه لقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه عز وجل وعنه قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد روي نحو هذا عنه من طرق وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه وعنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال رأيت نورا أخرجه مسلم وابن مردويه وعنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه ولم يره ببصره أخرجه النسائي وابن المنذر وغيرهما قال صاحب التحرير والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة لكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أتعجبون الخ وعن عكرمة سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روي باسناد لا بأس به وعن أنس نحوه وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة فاخبره انه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لانها لم تخبر أنها سمعت النبي

بخلقه لا يترك دعاءهم الى الخير والى الذكر الحكيم وهو القرآن وان كانوا مسرفين معرضين عنه بل يأمر به ليهتدى من قدر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته ثم قال جل وعلا مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه وآمرا له بالصبر عليهم وكم أرسلنا من نبي في الاولين أي في شيع الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن أي يكذبونه ويسخرون به وقوله تبارك وتعالى فاهلكنا أشد منهم بطشا أي فاهلكنا المكذبين بالرسل وقد كانوا أشد بطشا من هؤلاء المكذبين لك يا محمد كقوله عز وجل أفلم يسيروا في الارض فينظروا (١٠/٢٦) كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة والآيات في ذلك كثيرة وقوله جل جلاله ومضى مثل الاولين قال مجاهد سنتهم وقال قتادة عقوبتهم وقال غيرهما عبرتهم أي جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين ان يصيبهم ما أصابهم كقوله تعالى في آخر هذه السورة فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين وكقوله جلت عظمته سنة الله التي قد خلت في عباده وقال عز وجل ولن تجد لسنة الله تبديلا (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) يقول تعالى ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم أي ليعترفن بان الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من المؤمنين الاصنام والانداد ثم قال تعالى الذي جعل لكم الارض مهدا أي فراشا قرارا ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون مع انها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا وجعل لكم فيها سبلا أي طرقا بين الجبال والاودية لعلكم تهتدون أي في سيركم من بلد الى بلد وقطر الى قطر واقليم الى اقليم والذي نزل من السماء ماء بقدر أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لانفسكم ولانعامكم وقوله تبارك وتعالى فأنشرنا به بلدة ميتا أي أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت

صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية وقوله لا تدركه الابصار واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز لأحد أن يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي انتهى (عند سدرة المنتهى): لما أسري به في السموات قاله الجلال المحلي ومن المعلوم ان الاسراء كان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر أو بثلاث سنين على الخلاف والرؤية الاولى كانت في بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين والسدرة هي شجرة النبق قال مقاتل تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها في الارض لأضاءت لاهلها وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد والنبق بكسر الموحدة ثمر السدر الواحدة نبقة ويقال فيه نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في الاصلاح وهي لغة البصريين والاولى أفصح وهي التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه السدرة هي في السماء السادسة كما في الصحيح وروي انها في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى مكان الانتهاء أو مصدر ميمي والمراد به الانتهاء نفسه قيل اليه ينتهي علم الخلائق ولا يعلم أحد منهم ما وراءها وقيل ينتهي اليها ما يعرج به من الارض وقيل تنتهي اليها أرواح الشهداء وقيل غير ذلك واضافة الشجرة الى المنتهى من اضافة الشيء الى مكانه كقولك أشجار البستان أو من اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير عند سدرة عندها منتهى العلوم أو من اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور أي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى وأن الى ربك المنتهى واختلف لم سميت سدرة المنتهى على ثمانية أقوال ذكرها القرطبي وغيره وعن ابن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى سدرة المنتهى وهو في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج من الارواح فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم (عندها جنة المأوى) اى عند تلك السدرة جنة تعرف بجنة المأوى وهي عن يمين العرش وسميت بها لانه أوى اليها آدم وقيل ان أرواح

وأنبت من كل زوج بهيج ثم نبه باخـ تودا وهو كة احياء الاجساد يوم المعاد بعد موتها فقال كذلك تخرجون ثم قال عز وجل والذي خلق الازواج كلها أي مما تنبت شهادتهن سائر الاصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها وبتروه وكذو الفلك أي السفن والانعام ما تركبون أي ذللها لكم وسخرها ويسرها لا كلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها يجعلوا الله قال جل وعلا لتستووا على ظهوره أي لتستووا متمكنين مرتفقين على ظهوره أي على ظهور هذا الجنس ثم تذكروا نعمة يصل اي فيما سخر لكم اذا (١٣١) استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أي مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي وابن زيد مقرنين اي مطيقين وانا الى ربنا لمنقلبون أي لصائرون اليه بعد مماتنا واليه سيرنا الاكبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الاخروي في قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وباللباس الدنيوي على الاخروي في قوله تعالى وريشا ولباس التقوى ذلك خير (ذكر الاحاديث الواردة عند ركوب الدابة) حديث أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي اسحق عن علي بن ربيعة قال رأيت عليا رضي الله عنه أتي بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال سبحانك لا اله الا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقلت له مم ضحكت يا أمير المؤمنين فقال رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده اذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الاحوص زاد النسائي ومنصور عن أبي اسحق السبيعي عن علي بن ربيعة الاسدي الوالبي به وقال الترمذي حسن صحيح وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة قلت لابي اسحق السبيعي ممن سمعت هذا الحديث قال من يونس بن خباب فلقيت يونس بن خباب فقلت ممن سمعته فقال من رجل

المؤمنين تأوي اليها وقيل يأوي اليها جبريل بين الملائكة وقيل يصير اليها المتقون قرئ جنة بالرفع على الابتداء وقرئ جنه فعلا ماضيا من جن أي ضمه المبيت أو ستره ايواء الله له قال الاخفش أدركه كما تقول جنه الليل أي ستره وأدركه قال ابن مسعود الجنة في السماء السابعة العليا والنار في الارض السابعة السفلى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) الغشيان بمعنى التغطية والستر وبمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل حين أي يأتيني وفي ابهام الموصول وصلته من التفخيم والتكثير للغواشي ما لا يخفى فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف ولا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشاها جراد من ذهب وقال ابن مسعود فراش من ذهب قال الرازي وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له وقيل طوائف من الملائكة وقال مجاهد رفرف أخضر وقيل رفرف من طيور خضر وقيل غشيها أمر الله وقيل نور الخلائق وقيل نور رب العزة والمجيء بالمضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا للصورة البديعة أو للدلالة على الاستمرار التجددي (ما زاغ البصر) أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم عما رآه ولم يلتفت الى ما غشي السدرة من فراش الذهب وغيره هذا اذا النظر لكون الذي غشيها هو فراش من الذهب وبالنظر لكونه أنوار الله لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها مع ان ذلك العالم غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر (وما طغى) أي ما جاوز ما رأى وفي هذا وصف أدب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حيث لم يلتفت ولم يمل بصره ولم يمده الى غير ما رأى وقيل ما جاوز ما أمر به (لقد رأى) أي والله لقد رأى تلك الليلة (من آيات ربه الكبرى) أي العظام ما لا يحيط به الوصف قيل رأى رفرفا سد الافق وقيل رأى جبريل في حلة خضراء كما تقدم وقيل عجائب الملكوت وقال الضحاك رأى سدرة المنتهى وقيل هو كل ما رآه في مسراه تلك الليلة وعوده ومن للتبعيض ومفعول رأى الكبرى أو رأى شيأ عظيما من آيات ربه أو من زائدة ولما قص الله سبحانه هذه الاقاصيص قال للمشركين موبخا لهم ومقرعا (أفرأيتم اللات والعزى) اي أخبروني عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها وهل أوحت اليكم شيأ كما أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم أم هي جمادات لا تعقل ولا تنفع وقال أبو السعود الهمزة للانكار والفاء

سمعه من علي بن ربيعة ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الا[سدي] ابن ربيعة الوالبي به حديث عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا أبو بكر بن عب[د الله] بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه على دابته فلما استوى ع[ليها] [رسو]ل الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وحمد
ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال ما من [ا]مرئ يركب دابة فيصنع كما صنعت الا أقبل
الله عليه عز وجل فضحك اليه كما ضحكت اليك (١٣٢) تفرد به أحمد حديث عبد [الله بن عم]ر رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا
أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يقول اللهم اني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع الى أهله قال آيبون تائبون ان شاء الله عابدون لربنا حامدون وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به حديث آخر قال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن عمرو ابن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي قال حملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابل من ابل الصدقة الى الحج فقلنا يا رسول الله
ما نرى ان تحملنا هذه فقال صلى الله عليه وسلم ما من بعير الا في ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها اذا
ركبتموها كما آمركم ثم امتهنوها لانفسكم فانما يحمل الله عز وجل أبو لاس اسمه محمد بن الاسود بن خلف حديث آخر في معناه قال
أحمد حدثنا عتاب أخبرنا عبد الله ح وعلي بن اسحق أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك أخبرنا اسامة بن زيد أخبرني محمد بن حمزة
انه سمع أباه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على ظهر كل بعير شيطان فاذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لا تقصروا
عن حاجاتكم (وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم

لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر [من ا]قتدار ما تعالى المنافية لها غاية المنافاة والمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمته وا[قتدا]ره وقدرته ونفاذ أمره في الملا الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء لله على ما تقدم من عظمته (ومناة الثالثة الاخرى) ذكر هذه الاصنام الثلاثة التي اشتهرت في العرب وعظم اعتقادهم فيها قال الواحدي وغيره وكانوا يشتقون لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وهي تانيث الاعز بمعنى العزيزة ومناة من منى الله الشئ اذا قدره وقرئ اللات بتخفيف التاء وهي مأخوذة من اسم الله وقيل أصله لات يليت فالتاء أصلية وقيل هي زائدة وأصله لوى يلوى لانهم كانوا يلوون أعناقهم اليها أو يلتوون ويعتكفون عليها ويطوفون بها وقرئ اللات بتشديد التاء فقيل هو اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه فهو اسم فاعل في الاصل غلب على هذا الرجل وقال مجاهد كان رجلا في رأس جبل له غنيمة يتخذ من لبنها وسمنها حيسا ويطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف له صرمة غنم وقيل انه عامر بن الظرب العدواني قال في الصحاح واللات اسم صنم لثقيف وكان بالطائف وقيل بعكاظ وقيل بنخلة ورجح ابن عطية الاول وبعض العرب يقف عليها بالتاء وبعضهم بالهاء قال ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج أخرجه البخاري وغيره والالف واللام في اللات زائدة لازمة وقال أبو البقاء ليست بزائدة وهو غلط والعزى من العز وهي تأنيث الاعز وهي اسم صنم لقريش وبني كنانة قال مجاهد هي شجرة كانت لغطفان وكانوا يعبدونها فبعث اليها النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وقيل كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة وقال سعيد بن جبير العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه وقال قتادة هي بيت كان ببطن نخلة وعن ابن عباس ان العزى كانت ببطن نخلة وان اللات كانت بالطائف وان مناة كانت بقديد ومناة صنم بني هلال وقال ابن هشام صنم هذيل وخزاعة وقال قتادة كانت للانصار وقرئ مناة بالف من دون همزة وبالمد والهمزة فالاولى اشتقاقها من منى يمنى أي صب لان دماء النسائك كانت تصب عندها يتقربون بذلك اليها وعلى الثانية فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء وقيل هما لغتان للعرب ووقف عليها بالتاء اتباعا لرسم المصحف وبالهاء

بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه فى جعلهم بعض الانعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى كما ذكر الله عزوجل عنهم فى سورة الانعام فى قوله تبارك وتعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء (١٣٢) ما يحكمون وكذلك جعلوا له من قسمى البنات والبنين اخسهما وأردأهما وهو البنات كما قال تعالى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقال جل وعلا ههنا وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ثم قال جل وعلا ام اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وهذا انكار عليهم غاية الانكار ثم ذكر تمام الانكار فقال جلت عظمته واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اى اذا بشر احد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى فكيف تأنفون انتم من ذلك وتنسبونه الى الله عزوجل ثم قال سبحانه وتعالى أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين اى المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلى منذ تكون طفلة واذا خاصمت فلا عبارة لها بل هى عاجزة عيية اومن يكون هكذا ينسب الى جناب الله العظيم فالانثى ناقصة الظاهر والباطن فى الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلى وما فى معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب * وما الحلى الا زينة من نقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا وأما اذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج الى ان يزورا وأما نقص معناها فانها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لا عبارة لها ولا همة كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت ماهى بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة وقوله تبارك وتعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى اعتقدوا فيهم ذلك فانكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال أشهدوا خلقهم اى شاهدوه وقد خلقهم الله اناثا ستكتب شهادتهم اى بذلك ويسئلون عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم اى لو أراد الله لحال

وبالهاء قال فى الصحاح ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهى لغة والثالثة الاخرى وصف لمناة وصفها بانها ثالثة وبانها أخرى والثالثة لا تكون الا أخرى قال أبو البقاء فالوصف بالاخرى للتأكيد وقد استشكل وصف الثالثة بالاخرى والعرب انما تصف به الثانية فقال الخليل انما قال ذلك لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب أخرى وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير والتقدير أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل ان وصفها بالاخرى لقصد التعظيم لانها كانت عند المشركين عظيمة وقيل ان ذلك للتحقير والذم وان المراد المتأخرة الوضيعة المقدار كما فى قوله وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعا وهم لرؤسائهم وهذا للزمخشرى وقال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شئ من ذلك فلقرينة خارجية ثم كرر سبحانه توبيخهم وتقريعهم بمقالة شنعاء قالوها فقال (ألكم الذكر وله الانثى) اى كيف تجعلون لله ما تكرهون من الاناث وتجعلون لانفسكم ما تحبون من الذكور قيل وذلك قولهم ان الملائكة بنات الله وقيل المراد كيف تجعلون اللات والعزى ومناة وهى اناث فى زعمكم شركاء لله ومن شأنهم ان يحتقروا الاناث ثم ذكر سبحانه ان هذه التسمية والقسمة المفهومة من الاستفهام قسمة جائرة فقال (تلك اذا قسمة ضيزى) قرئ بياء ساكنة بغير همزة وبهمزة ساكنة والمعنى انها قسمة خارجة عن الصواب جائرة عن العدل مائلة عن الحق قال الاخفش يقال ضاز فى الحكم اى جار وضازه حقه يضيزه ضيزا أى نقصه وبخسه قال وقد يهمز وقال الكسائى ضاز يضيز ضيزى وضاز يضوز ضوزا اذا تعدى وظلم وبخس وانتقص قال الفراء وبعض العرب يقول ضئزا بالهمز وعن أبى زيد انه سمع العرب تهمز ضيزى قال البغوى ليس فى كلام العرب فعلى بكسر الفاء فى النعوت انما تكون فى الاسماء مثل ذكرى وشعرى قال المؤرج كرهوا ضم الضاد فى ضيزى وخافوا انقلاب الياء واوا وهى من بنات الواو فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا فى جمع الابيض بيض وكذا قال الزجاج وقيل هى مصدر كذكرى فيكون المعنى قسمة ذات جور وظلم قال ابن عباس ضيزى جائرة لا حق فيها وقيل عوجاء غير معتدلة ثم رد سبحانه عليهم بقوله (ان هى الا أسماء) اى ما الاوثان أو الاصنام باعتبار ما تدعونه من كونها آلهة الا أسماء محضة ليس فيها شئ من معنى الالوهية التى تدعونها لانها لا تبصر

بيننا وبين عبادة هذه الاصنام التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله فانه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين انواع كثيرة من الخطا احدها جعلهم لله تعالى ولدا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا الثاني دعواهم انه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الثالث عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا اذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والاهواء والتقليد للاسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء الرابع احتجاجهم بتقديره على ذلك قدرا وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرا فانه تعالى (١٣٤) قد انكر ذلك عليهم اشد الانكار فانه منذ بعث الرسل وانزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال عز وجل واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال جل وعلا في هذه الآية بعد ان ذكر حجتهم هذه ما لهم بذلك من علم اي بصحة ما قالوه واحتجوا به ان هم الا يخرصون أي يكذبون ويتقولون وقال مجاهد في قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يعني ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) يقول تعالى منكرا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة أم آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل شركهم فهم به مستمسكون اي فيما هم فيه اي ليس الامر كذلك كقوله عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي لم يكن ذلك ثم قال تعالى بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والاجداد بانهم كانوا على امة والمراد بها الدين ههنا وفي قوله تبارك وتعالى وان هذه أمتكم امة واحدة وقولهم وانا على آثارهم اي وراءهم مهتدون دعوى منهم بلا دليل

ولا تسمع ولا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع فليست الا مجرد أسماء وقيل ان قوله هي راجع الى الاسماء الثلاثة المذكورة والاول أولى (سميتموها أنتم وآباؤكم) قلدتم فيها الآخر الاول وتبع في ذلك الابناء الآباء وفي هذا من التحقير لشأنها ما لا يخفى كما تقول في تحقير رجل ما هو الا اسم اذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة ومثل هذه الآية قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم يقال سميته زيدا وسميته بزيد فقوله سميتموها صفة لاسماء والضمير يرجع الى الاسماء لا الى الاصنام أي جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء ليشير الكلام ان هنالك أسماء مجردة لا مسميات لها قطعا (ما أنزل الله بها من سلطان) أي من حجة ولا برهان قال مقاتل لم ينزل لنا كتابا لكم فيه حجة كما تقولون انها آلهة ثم أخبر عنهم بقوله (ان يتبعون) بالتحتية وقرئ بالفوقية أي ما تتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها ونبه بالالتفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم الى غيرهم (الا الظن الذي) لا يغني من الحق شيئا وهو ظن انها تستحق العبادة وبهذا تبين ان العطف في قوله (وما تهوى الانفس) للمغايرة أي ما تميل اليه وتشتهيه من غير التفات الى ما هو الحق الذي يجب اتباعه ومن اتبع ظنه وما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبيان الشافي لا يعد انسانا ولا يعتد به (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان الواضح الظاهر بالكتاب المنزل والنبي المرسل بأنها ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار والجملة اعتراض أو حال من فاعل يتبعون وأياما كان ففيها تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من أي شخص كان قبيح وممن هداه الله بارسال الرسل وانزال الكتب أقبح (أم للانسان ما تمنى) أم هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة التي للانكار فاضرب عن اتباعهم الظن الذي هو مجرد التوهم وعن اتباعهم هوى النفس وما تميل اليه وانتقل الى انكار أن يكون لهم ما يتمنون من كون الاصنام تنفعهم وتشفع لهم وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي وقيل قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ثم علل انتفاء أن يكون للانسان ما تمنى بقوله (فلله الآخرة والاولى) أي ان أمور الآخرة والدنيا بأسرها لله عز وجل فليس لهم معه أمر من الامور ومن جملة ذلك أمنياتهم الباطلة وأطماعهم الفارغة

ثم بين جل وعلا ان مقالة هؤلاء قد سبقهم اليها اشباههم ونظراؤهم من الامم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون وهكذا قال ههنا وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ثم قال عز وجل قل اى يا محمد لهؤلاء المشركين أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اى ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله قال الله تعالى فانتقمنا منهم (١٣٥) اى من الامم المكذبة بانواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين اى كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله امام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الانبياء الذي تنتسب اليه قريش في نسبها ومذهبها انه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الاوثان فقال انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه اى هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي لا اله الا الله أى جعلها دائمة في ذريته يقتدي فيه بها من هداه الله تعالى من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام لعلهم يرجعون أى اليها قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه يعني لا اله الا الله لا يزال في ذريته من يقولها وروى نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن زيد كلمة الاسلام وهو يرجع الى ما قاله الجماعة ثم قال جل وعلا بل متعت هؤلاء يعني

الفارغة ثم أكد ذلك وزاد في ابطال ما يتمنونه فقال (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ) كم هنا هي الخبرية المفيدة للتكثير ولهذا جمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك فلفظها مفرد ومعناها جمع والمعنى الاقناط مما علقوا به والتوبيخ لهم بما يتمنونه ويطمعون فيه من شفاعة الاصنام مع كون الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتها على الله لا تشفع الا لمن أذن ان يشفع له فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم وهو معنى قوله (الا من بعد أن يأذن الله) لهم بالشفاعة (لمن يشاء) أن يشفعوا له (ويرضى) بالشفاعة لكونه من أهل التوحيد وليس للمشركين في ذلك حظ ولا يأذن الله بالشفاعة لهم ولا يرضاها لكونهم ليسوا من المستحقين لها (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث وما بعده من الدار الآخرة على الوجه الذي بينته الرسل وهم الكفار يضمون الى كفرهم مقالة شنعاء وجهالة جهلاء وهي انهم (ليسمون الملائكة) المنزهين عن كل نقص (تسمية الانثى) وذلك انهم رأوا في الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فزعموا انها بنات الله فجعلوهم اناثا وسموهم بنات (وما لهم به من علم) أى والحال انهم غير عالمين بما يقولون فانهم لم يعرفوهم ولا شاهدوهم ولا بلغ اليهم ذلك من طريق من الطرق التي يخبر المخبرون عنها بل قالوا ذلك جهلا وضلالة وجرأة وقرئ وما لهم بها أى بالملائكة أو التسمية ومن زائدة في المبتدا المؤخر (ان يتبعون الا الظن) أى ما يتبعون في هذه المقالة الا مجرد الظن والتوهم وقال النسفي هو تقليد الآباء ثم أخبر سبحانه عن الظن وحكمه فقال (وان الظن لا يغني من الحق شيأ) أى ان جنس الظن لا يغني عن العلم شيأ من الاغناء ومن بمعنى عن والحق هنا العلم وفيه دليل على ان مجرد الظن لا يقوم مقام العلم وان الظان غير عالم وهذا في الامور التي يحتاج فيها الى العلم وهي المسائل العلمية لا فيما يكتفى فيه بالظن وهي المسائل العملية وقد قدمنا تحقيق هذا ولا بد من هذا التخصيص فان دلالة العموم والقياس وخبر الواحد ونحو ذلك ظنية فالعمل بها عمل بالظن وقد وجب علينا العمل في هذه الامور فكانت أدلة وجوب العمل به فيها مخصصة لهذا العموم وما ورد في معناه من الذم لمن عمل بالظن والنهي عن اتباعه وفي الكرخي الظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما

المشركين وآباءهم أي فتطاول عليهم العمر في ضلالهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين أي بين الرسالة والنذارة ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون أي كابروه وعاندوه ودفعوا بالصدور والرواح كفرا وحسدا وبغيا وقالوا أي كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أي هلا كان انزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين يعنون مكة والطائف قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدي وابن زيد وقد ذكر غير واحد منهم قتادة انهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة (١٣٦) وعروة بن مسعود الثقفي وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدي يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عروة الثقفي وعن مجاهد يعنون عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي وعنه أيضا انهم يعنون عتبة ابن ربيعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما جبارا من جبابرة قريش وعنه رضي الله عنهما انهم يعنون الوليد ابن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد ياليل بالطائف وقال السدي عنوا بذلك الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي والظاهر ان مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان قال الله تبارك وتعالى رادا عليهم في هذا الاعتراض أهم يقسمون رحمة ربك أي ليس الامر مردودا اليهم بل الى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالاته فانه لا ينزلها الا على أزكى الخلق قلبا ونفسا وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا ثم قال عز وجل مبينا انه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الاموال والارزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الآية وقوله جلت عظمته ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قيل معناه ليسخر بعضهم بعضا في الاعمال لاحتياج أعلم هذا الى هذا وهذا الى هذا قاله السدي وغيره وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وهو راجع الى الاول ثم قال عز وجل ورحمة ربك خير مما يجمعون أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الاموال ومتاع الحياة الدنيا ثم قال سبحانه وتعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة اي لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة ان اعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لاجل المال هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا

العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها كمسائل علم الفقه وقال ابن الخطيب المراد منه ان الظن لا يغني في الاعتقاديات شيأ وأما في الافعال العرفية أو الشرعية فان الظن فيها يتبع عند عدم الوصول الى اليقين (فأعرض عمن تولى) أي أعرض (عن ذكرنا) المراد بالذكر هنا القرآن أو ذكر الآخرة أو ذكر الله على العموم وقيل المراد به هنا الايمان والمعنى اترك مجادلتهم فقد بلغت اليهم ما أمرت به وليس عليك الا البلاغ وهذا منسوخ بآية السيف قال الرازي وأكثر المفسرين يقولون ان كل ما في القرآن من قوله فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ بها والاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة (ولم يرد الا الحياة الدنيا) أي لم يرد سواها ولا طلب غيرها بل قصر نظره عليها فانه غير متأهل للخير ولا مستحق للاعتناء بشأنه ثم صغر سبحانه شأنهم وحقر أمرهم فقال (ذلك) أي التولي وقصر الارادة على الحياة الدنيا (هو مبلغهم من العلم) ليس لهم علم غيره ولا يلتفتون الى سواه من أمر الدين قال الفراء أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم ان آثروا الدنيا على الآخرة وقيل الاشارة بقوله ذلك الى جعلهم الملائكة بنات الله وتسميتهم لهم تسمية الانثى والاول أولى والمراد بالعلم هنا مطلق الادراك الذي يندرج تحته الظن الفاسد والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرد الظن وقيل معترضة بين المعلل والعلة وهي قوله (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) فان هذا تعليل للامر بالاعراض والمعنى انه سبحانه وتعالى أعلم بمن حاد عن الحق وأعرض عنه ولم يهتد اليه وأعلم بمن اهتدى فقبل الحق وأقبل اليه وعمل به فهو مجاز كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارشاد له بأنه لا يتعب نفسه في دعوة من أصر على الضلالة وسبقت له الشقاوة فان الله قد علم حال هذا الفريق الضال كما علم حال الفريق الراشد وتكرير قوله هو أعلم لزيادة التقرير وللايذان بكمال تباين المعلومين ثم أخبر سبحانه عن سعة قدرته وعظيم ملكه فقال (ولله ما في السموات وما في الارض) أي هو المالك لذلك والمتصرف فيه لا يشاركه فيه أحد (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) من الشرك وغيره واللام متعلقة بما دل عليه الكلام كأنه قال هو مالك ذلك يضل من يشاء ويهدي من يشاء ليجزي المسيء باساءته والمحسن باحسانه وقيل ان قوله ولله ما في السموات الخ جملة معترضة والمعنى هو

من فضة ومعارج أى سلالم ودرجا من فضة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى وابن زيد وغيرهم عليها يظهرون أى يصعدون ولبيوتهم أبوابا أى اغلاقا على أبوابهم وسررا عليها يتكؤن أى جميع ذلك يكون فضة وزخرفا أى وذهبا قاله ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد ثم قال تبارك وتعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اى انما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله تعالى اى يعجل لهم بحسناتهم التى يعملونها فى الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح وورد فى حديث آخر (١٣٧) لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء أسنده البغوى من رواية زكريا بن منظور عن أبى حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه الطبرانى من طريق زمعة بن صالح عن أبى حازم عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شيأ ثم قال سبحانه وتعالى والآخرة عند ربك للمتقين أى هى لهم خاصة لا يشاركهم فيها احد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد اليه فى تلك المشربة لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال يارسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس وقال أو فى شك أنت يا ابن الخطاب ثم قال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا وفى رواية أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وفى الصحيحين أيضا وغيرهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافها فانها لهم فى الدنيا ولنا فى الآخرة وانما خولهم الله تعالى فى الدنيا لحقارتها كما روى الترمذى وابن ماجه من طريق ابى حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء أبدا قال الترمذى حسن صحيح (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال

أعلم بمن ضل وهو أعلم بمن اهتدى ليجزى وقيل هى لام العاقبة لا التعليل أى وعاقبة أمر الخلق الذين فيهم المحسن والمسىء ان يجزى الله كلا منهما بعمله وبه صرح الواحدى والزمخشرى وقال مكى ان اللام متعلقة بقوله لا تغنى شفاعتهم وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى قرئ ليجزى بالتحتية وبالنون (ويجزى الذين أحسنوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بالحسنى) أى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين ثم وصف هؤلاء المحسنين فقال (الذين) أى هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) قرأ الكبائر على الجمع وكبير على الافراد والكبائر كل ذنب توعد الله عليه بالنار أو ما عين له حدا أو ذم فاعله ذما شديدا ولاهل العلم فى تحقيق الكبائر كلام طويل وكما اختلفوا فى تحقيق معناها وماهيتها اختلفوا فى عددها (والفواحش) جمع فاحشة وهى ما فحش من كبائر الذنوب كالزنا ونحوه وهو من عطف الخاص على العام قال مقاتل كبائر الاثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقيل الكبائر الشرك والفواحش الزنا وقد قدمنا فى سورة النساء ما هو أبسط من هذا وأكثر فائدة وقال ابن عباس الكبائر ما سمى الله فيه النار والفواحش ما كان فيه حد الدنيا (الا اللمم) أى الا ما قل وصغر من الذنوب والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش قال السمين وهذا هو المشهور ويجوز ان يكون متصلا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر وأصل اللمم فى اللغة ما قل وصغر ومنه ألم بالمكان قل لبثه فيه وألم بالطعام قل أكله منه قال المبرد أصل اللمم ان يلم بالشىء من غير ان يرتكبه يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه قال الازهرى العرب تستعمل الالمام فى معنى الدنو والقرب قال الزجاج أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال ألممت به اذا زرته وانصرفت عنه ويقال ما فعلته الا لماما والماما أى الحين بعد الحين ومنه المام الخيال قال فى الصحاح الم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب ويقال هو مقاربة المعصية من غير مواقعة وقد اختلف أقوال أهل العلم فى تفسير هذا المذكور فى الآية فالجمهور على انه صغائر الذنوب وقيل هو ما كان دون الزنا من القبلة والغمزة والنظرة وكالكذب الذى لا حد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك فى الصلاة المفروضة والنياحة وشق الجيب فى المصيبة والتبختر فى المشى

فمتى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) يقول تعالى ومن يعش أى يتعامى ويتغافل ويعرض عن ذكر الرحمن والعشى فى العين ضعف بصرها والمراد ههنا عشى البصيرة نقيض له شيطانا فهو له قرين كقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية وكقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وكقوله جل جلاله وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم (١٣٨) ما بين أيديهم وما خلفهم الآية ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا أى هذا الذى تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه الى صراط الجحيم فاذا وافى الله عز وجل يوم القيامة يتبرأ من الشيطان الذى وكل به قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقرأ بعضهم حتى اذا جاءانا يعنى القرين والمقارن قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سعيد الجريرى قال بلغنا ان الكافر اذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك وتعالى الى النار فذلك حين يقول ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين والمراد بالمشرقين ههنا هو ما بين المشرق والمغرب وانما استعمل ههنا تغليبا كما يقال القمران والعمران والابوان قاله ابن جرير وغيره ثم قال تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون أى لا يغنى عنكم اجتماعكم فى النار واشتراككم فى العذاب الاليم وقوله جلت عظمته أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين أى ليس ذلك اليك انما عليك البلاغ وليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العادل فى ذلك ثم قال تعالى رحمة

فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أى لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت أنت أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون أى نحن قادرون على هذا وعلى هذا ولم يقبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه فى نواصيهم وملكه ما تضمنته صياصيهم هذا معنى قول السدى واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر قال تلا قتادة فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون فقال ذهب النبى صلى الله عليه وسلم وبقيت النقمة ولم ير الله تبارك وتعالى نبيه صلى

والجلوس بين الفساق ايناسا لهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة المسجد اذا كان يغلب تنجيسهم له واستعمال نجاسة فى بدن أو ثوب لغير حاجة ونحو ذلك ذكره الخطيب وغيره وقيل هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول أبى هريرة وابن عباس وبه قال مجاهد والحسن والزهرى ومنه

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

واختار هذا القول الزجاج والنحاس وقيل هو ذنوب الجاهلية فان الله لا يؤاخذ بها فى الاسلام وبه قال زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال نفطويه هو ان يأتى بذنب لم يكن له به عادة قال والعرب تقول ما تأتينا الا الماما اى فى الحين قال ولا يكون ان يلم ولا يفعل لان العرب لا تقول ألم بنا الا اذا فعل لا اذا هم ولم يفعل والراجح الاول أخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وعن ابن مسعود فى قوله الا اللمم قال زنا العين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللمم وعن أبى هريرة انه سئل عن قوله الا اللمم قال هى النظرة والغمزة والقبلة والمباشرة فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وهو قول ابن مسعود ومسروق والشعبى وعن ابن عباس فيه قال الا اللمم الا ما قد سلف وعنه قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب منها وعن أبى هريرة قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود فذلك الالمام وعن ابن عباس ايضا قال اللمم كل شئ بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلاة وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته فى الدنيا وأما حد الآخرة فكل شئ ختمه الله بالنار وأخر عقوبته الى الآخرة وقال عبد الله بن عمرو ابن العاص اللمم دون الشرك (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر قال الكرخى عقب به ما سبق لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولئلا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى وقال غيره الجملة تعليل لما تضمنه الاستثناء أى ان ذلك وان خرج عن حكم المؤاخذة فليس بخلوه عن كونه ذنبا يفتقر الى مغفرة الله ويحتاج الى

الله عليه وسلم فى امته شيأ يكرهه حتى مضى ولم يكن نبى قط الا وقد رأى العقوبة فى أمته الا نبيكم صلى الله عليه وسلم قال وذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى مايصيب أمته من بعده فمارئى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل وذكر من رواية سعيد بن أبى عروبة عن قتادة نحوه ثم روى ابن جرير عن الحسن نحو ذلك أيضا وفى الحديث النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ماتوعد وأنا أمنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى مايوعدون ثم قال عز وجل فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم أى خذ بالقرآن المنزل على قلبك فانه هو الحق وما يهدى اليه هو الحق المفضى الى صراط الله (١٣٩)

رحمته بل لسعة المغفرة الربانية وقيل انه سبحانه يغفر لمن تاب عن ذنبه وأناب وعن عمر وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام يعنى مع التوبة ولا صغيرة مع الاصرار قلت وفى كون الاصرار على الصغيرة كبيرة اختلاف بين أهل العلم قال النووى فى المنهاج وشرط العدالة اجتناب الكبائر والاصرار على صغيرة قال فى تحفة المحتاج قيل عطف الاصرار من عطف الخاص على العام وفيه نظر لان الاصرار لا يصير الصغيرة كبيرة حقيقة وانما يلحقها فى الحكم ولا ينافى هذا قول كثيرين كابن عباس ونسب للمحققين كالاشعرى وابن فورك والاستاذ أبى اسحق انتهى وفى الزواجر عن اقتراف الكبائر نقلا عن الرافعى أما الصغائر فلا يشترط تجنبها بالكلية لكن الشرط ان لا يصر عليها فان أصر كان الاصرار كارتكاب الكبيرة انتهى والحاصل ان المعتمد وفاقا لكثيرين من المتأخرين كالاذرعى والبلقينى والزركشى وابن العماد وغيرهم انهم لا تضر المداومة على نوع من الصغائر ولا على أنواع سواء كان مقيما على الصغيرة أو الصغائر أو مكثرا من فعل ذلك حيث غلب الطاعات المعاصى والا ضر ثم رأيت ابن العماد قال مانقله الاسنوى عن الرافعى من ان الاصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة ليس كذلك ولم يذكر الرافعى هذه العبارة قال البلقينى المراد عدم غلبة الصغائر على الطاعة وفسر القاضيان الماوردى والطبرى الاصرار فى قوله تعالى ولم يصروا بأن لم يعزموا على ان لا يعودوا اليه وقضيته حصول الاصرار بالعزم على العود بترك العزم على عدم العود ويوافقه قول ابن الصلاح الاصرار التلبس بضد التوبة باستمرار العزم على المعاودة واستدامة الفعل بحيث يدخل به فى حيز مايطلق عليه الوصف بصيرورته كبيرة وليس لزمن ذلك وعدده حصر وقال ابن عبد السلام الاصرار ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه اشعار ارتكاب الكبيرة بذلك وكذلك اذا اجتمعت صغائر مختلفة الانواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر انتهى والصواب فى هذا الباب ماذكره القاضى محمد بن على الشوكانى رحمه الله فى ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ونصه قد قيل ان الاصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة وليس على هذا دليل يصلح للتمسك به وانما هى مقالة لبعض الصوفية فانه قال لا صغيرة مع الاصرار وقد روى بعض من لا يعرف علم الرواية هذا اللفظ وجعله حديثا ولا يصح ذلك بل الحق ان الاصرار حكمه حكم ما أصر عليه والاصرار على الصغيرة

المستقيم الموصل الى جنات النعيم والخير الدائم المقيم ثم قال جل جلاله وانه لذكر لك ولقومك قيل معناه لشرف لك ولقومك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومجاهد وقتادة والسدى وابن زيد واختاره ابن جرير ولم يحك سواه وأورد الترمذى ههنا حديث الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا ينازعهم فيه أحد الا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين رواه البخارى ومعناه انه شرف لهم من حيث انه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبغى ان يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلص من المهاجرين السابقين الاولين ومن شابههم وتابعهم وقيل معناه وانه لذكر لك ولقومك أى لتذكير لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لا ينفى من سواهم كقوله تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكقوله تبارك وتعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وسوف تسئلون أى عن

هذا القرآن وكيف كنتم فى العمل به والاستجابة له وقوله سبحانه وتعالى واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون أى جميع الرسل دعوا الى مادعوت الناس اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة الاصنام والانداد كقوله جلت عظمته ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت قال مجاهد فى قراءة عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه واسئل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدى عن ابن مسعود رضى الله عنه وهذا كأنه تفسير لا تلاوة والله أعلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واسئلهم ليلة الاسراء فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام

جمعو اليه واختار ابن جرير الاول والله اعلم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون وما نريهم من آية الاهى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا ياأيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام انه ابتعثه الى فرعون وملئه من الامراء والوزراء والقادة والاتباع والرعايا من القبط وبنى اسرائيل يدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له وينهاهم (١٤٠) عن عبادة ماسواه وانه بعث معه آيات عظاما كيده وعصاه وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ومن نقص الزروع والانفس والثمرات ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها وما تأتيهم من آية الاهى أكبر من أختها ومع هذا مارجعوا عن غيهم وضلالهم وجهلهم وخبالهم وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون الى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له فى العبارة بقولهم ياأيها الساحر أى العالم قاله ابن جرير وكان علماء زمانهم هم السحرة ولم يكن السحر فى زمانهم مذموما عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم لان الحال حال ضرورة منهم اليه لاتناسب ذلك وانما هو تعظيم فى زعمهم ففى كل مرة يعدون موسى عليه السلام ان كشف عنهم هذا ان يؤمنوا ويرسلوا معه بنى اسرائيل وفى كل مرة ينكثون ماعاهدوا عليه وهذا كقوله تبارك وتعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذاهم ينكثون (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده انه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى

صغيرة والاصرار على الكبيرة كبيرة انتهى ويفهم من ذلك أيضا ان الاصرار على الكبيرة ليس كفرا ثم التوبة عن الكبيرة وان كانت واجبة عينا فورا بنصوص الكتاب والسنة واجماع الامة لكن قد يغفرها الله تعالى من غير توبة أيضا كما دلت عليه السنة المطهرة واختاره محققو أهل الحديث ثم ذكر سبحانه احاطة علمه باحوال عباده فقال (هو أعلم بكم) أى باحوالكم وتفاصيل أموركم (اذ) حين (أنشأكم من الارض) أى خلقكم منها فى ضمن خلق أبيكم آدم وحين ما صوركم فى الارحام وقيل المراد آدم فانه خلقه من طين (واذ أنتم أجنة) أى هو أعلم باحوالكم وقت كونكم أجنة وهى جمع جنين وهو الولد مادام فى البطن سمى بذلك لاجتنانه أى لاستتاره فى بطن أمه ولهذا قال (فى بطون أمهاتكم) فلا يسمى من خرج عن البطن جنينا والجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها عن ثابت بن الحرث الانصارى قال كانت اليهود اذا هلك لهم صبى صغير قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال كذبت يهود ما من نسمة يخلقها فى بطن أمها الا انه شقى أو سعيد فانزل الله عند ذلك هذه الآية أخرجه الطبرانى وغيره (فلا تزكوا أنفسكم) اى لاتمدحوها ولا تثنوا عليها خيرا ولا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وحسن الاعمال واهضموها فان ترك تزكية النفس أبعد من الرياء وأقرب الى الخشوع قال ابن عباس لاتمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هى صانعة والى ما هى صائرة فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل لاتزكوها رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك وأنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى أخرج أحمد ومسلم وأبو داود عن زينب بنت أبى سلمة انها سميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزكوا أنفسكم الله أعلم باهل البر منكم سموها زينب وقال المحلى فى الآية وهذا النهى على سبيل الاعجاب واما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (هو أعلم بمن اتقى) مستأنفة مقررة للنهى أى فانه يعلم المتقى منكم وغيره قبل ان يخرجكم من صلب أبيكم آدم فمن جاهد نفسه وخلصت منه التقوى فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب فى الدارين فكيف بمن صارت له التقوى وصفا ثابتا وهو الذى ينتفع بها ويثاب عليها وقيل نزلت

من تحتي قال قتادة قد كانت لهم جنات وأنهار ماء أفلا تبصرون أي أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك يعني وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء وهذا كقوله تعالى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى وقوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين قال السدي يقول بل أنا خير من هذا الذي هو مهين وهكذا قال بعض نحاة البصرة ان أم ههنا بمعنى بل ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء انه قرأها أما أنا خير من هذا الذي هو مهين قال ابن جرير ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا ولكنها خلاف قراءة الامصار فانهم قرؤا أم أنا خير من هذا الذي (١٤١) هو مهين على الاستفهام قلت وعلى كل تقدير

في ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا ثم لما بين الله سبحانه وتعالى جهالة المشركين على العموم خص بالذم بعضهم فقال (أفرأيت الذي تولى) عن الخير وأعرض عن اتباع الحق (وأعطى قليلا) اي أعطى عطاء قليلا أو شيأ قليلا من المال المسمى (وأكدى) منع الباقي وقطع ذلك وأمسك عنه مأخوذ من الكدية وهي الصلابة يقال لمن حفر بئرا ثم بلغ فيها الى حجر لا يتهيأ له فيه حفر قد أكدى ثم استعملته العرب لمن أعطى فلم يتم ولمن طلب شيأ فلم يبلغ آخره قال الكسائي وأبو زيد ويقال كديت أصابعه اذا مجلت من الحفر وكدت يده اذا كلت فلم تعمل شيأ وكدت الارض اذا قل نباتها وأكديت الرجل عن الشئ رددته وأكدى الرجل اذا قل خيره قال الفراء معنى الآية أمسك عن العطية وقطع وقال المبرد منع منعا شديدا وقال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين فترك ورجع الى شركه قال مقاتل كان الوليد مدح القرآن ثم أمسك عنه فأعطى قليلا من لسانه من الخير ثم قطعه وقال الضحاك نزلت في النضر بن الحرث وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في أبي جهل قال ابن عباس أكدى قطع نزلت في العاص بن وائل وعنه قال أطاع قليلا ثم انقطع (أعنده علم الغيب فهو يرى) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والمعنى أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب فهو يعلم ذلك قال مقاتل وهو الوليد بن المغيرة وعليه الاكثر وقال السدي انه العاص ابن وائل السهمي أو أبو جهل كما قاله محمد بن كعب وهذا الخلاف فيمن تولى وأعطى وأكدى وأما الذي عيره وضمن له ان يحمل عنه العذاب فلم يذكروا هنا تعيينه (أم لم ينبأ) أي ألم يخبر ولم يحدث (بما في صحف موسى) يعني أسفاره وهي التوراة او صحف قبلها (و) بما في صحف (ابراهيم الذي وفى) اي تم وأكمل ما امر به قال المفسرون اي بلغ قومه ما أمر به وأداه وقيل بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما قوله وابراهيم الذي وفى قالوا الله ورسوله اعلم قال وفى عمل يومه بأربع ركعات كان يصليهن وزعم انها صلاة الضحى أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وغيرهم قال السيوطي ضعيف وفي اسناده جعفر بن الزبير وهو ضعيف وعن سهل بن معاذ ابن أنس عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي

فانما يعني فرعون لعنه الله بذلك انه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا فعليه لعائن الله التابعة الى يوم القيامة ويعني بقوله مهين كما قال سفيان حقير وقال قتادة والسدي يعني ضعيف وقال ابن جرير يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال ولا يكاد يبين يعني لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عيي حصر قال السدي لا يكاد يبين أي لا يكاد يفهم وقال قتادة والسدي وابن جرير يعني عيي اللسان وقال سفيان يعني في لسانه شئ من الجمرة حين وضعها في فمه وهو صغير وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق وانما حمله على هذا الكفر والعناد وهو ينظر الى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب وقوله مهين كذب بل هو المهين الحقير خلقة وخلقا ودينا وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد وقوله ولا يكاد يبين افتراء أيضا فانه وان كان قد أصاب لسانه في حال صغره شئ من جهة تلك الجمرة فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قولي وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وبتقدير أن يكون قد بقي شئ لم يسأل ازالته كما قاله الحسن البصري وانما سأل زوال ما يحصل معه الابلاغ والافهام فالاشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها وفرعون وان كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا وانما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء وهكذا قوله فلولا ألقي عليه اسورة من ذهب وهي ما يجعل في الايدي من الحلي قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وغير واحد أو جاء معه الملائكة مقترنين اي يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه نظرا الى الشكل

الظاهر ولم يفهم السر المعنوى الذى هو أظهر مما نظر اليه لو كان يفقهم ولهذا قال تعالى فاستخف قومه فأطاعوه أى استخف عقولهم فدعاهم الى الضلالة فاستجابوا له انهم كانوا قوما فاسقين قال الله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما آسفونا أسخطونا وقال الضحاك عنه أغضبونا وهكذا قال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظى وقتادة والسدى وغيرهم من المفسرين وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبيد الله بن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا ابن لهيعة (١٤٢) عن عقبة بن مسلم التجيبى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطى العبد ما يشاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له ثم تلا صلى الله عليه وسلم فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وحدثنا أبى حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى حدثنا قيس بن الربيع عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله رضى الله عنه فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ثم قرأ رضى الله عنه فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وجدت النقمة مع الغفلة يعنى قوله تبارك وتعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وقوله سبحانه وتعالى فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين قال أبو مجلز سلفا لمثل من عمل بعملهم وقال هو ومجاهد ومثلا أى عبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب واليه المرجع والمآب (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) يقول تعالى مخبرا عن تعنت قريش فى كفرهم وتعمدهم العناد والجدل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قال غير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد

وفى انه كان يقول كلما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى آخر الآية أخرجه ابن أبى حاتم وفى اسناده ابن لهيعة وهو ضعيف وعن ابن عباس قال سهام الاسلام ثلاثون سهما لم يتممها أحد قبل ابراهيم قال الله وابراهيم الذى وفى وعنه قال يقول ابراهيم الذى استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا وانما خص هذين النبيين بالذكر لانه كان قبل ابراهيم وموسى يؤخذ الرجل بجريرة غيره فأول من خالفهم ابراهيم ثم بين سبحانه ما فى صحفهما فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى ومعناه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها قال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر الخ وقد مضى تفسير هذه الآية فى سورة الانعام (وأن ليس للانسان الا ما سعى) وهذا أيضا من جملة ما فى صحف موسى وابراهيم والمعنى ليس له الا أجر سعيه وجزاء عمله ولا ينفع أحدا عمل أحد وهذا العموم مخصوص بمثل قوله سبحانه والحقنا بهم ذريتهم وبمثل ما ورد فى شفاعة الانبياء والملائكة للعباد ومشروعية دعاء الاحياء للاموات ونحو ذلك ولم يصب من قال ان هذه الآية منسوخة بمثل هذه الامور فان الخاص لا ينسخ العام بل يخصصه فكلما قام الدليل على ان الانسان ينتفع به وهو من غير سعيه كان مخصصا لما فى هذه الآية من العموم وتعقب أيضا بانها خبر ولا نسخ فى الاخبار وبأنها على ظاهرها والدعاء من الولد دعاء من الوالدين حيث اكتسابه للولد وبانها مخصوصة بقوم ابراهيم وموسى لانها حكاية لما فى صحفهم وأما هذه الامة فلها ما سعت هى وما سعى لها غيرها الصحيح ان لكل نبى وصالح شفاعة وهو انتفاع بعمل الغير ولغير ذلك ومن تأمل النصوص وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فلا يجوز ان تؤول الآية على خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وحينئذ فالظاهر ما قلنا ان الآية عامة قد خصصت بامور كثيرة قال ابن عباس فى الآية فأنزل الله بعد ذلك والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم الآية فأدخل الله الابناء الجنة بصلاح الآباء وكان ابن عباس اذا قرأ هذه الآية استرجع واستكان وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه فى الدنيا بان يوسع عليه فى رزقه ويعافى فى بدنه حتى لا يبقى له فى الآخرة خير وقيل هو من باب العدل وأما من باب الفضل

وعكرمة والضحاك والسدي يضحكون أي أعجبوا بذلك وقال قتادة يجزعون ويضحكون وقال ابراهيم النخعي يعرضون وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق في السيرة حيث قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون الآيات ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن (١٤٣) الزبعرى التميمي حتى جلس فقال الوليد ابن المغيرة له والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب وما قعد وقد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله ابن الزبعرى أنا والله لو وجدته لخصمته سلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وعيسى بن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله ابن الزبعرى ورأوا انه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كل من أحب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده فانهم انما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته فانزل الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون أي عيسى وعزيرا ومن عبد معهما من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون انهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وانه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أي يصدون عن أمرك بذلك من قولك ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة أي ما وضع على يديه من الآيات من احياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول فلا تمترن بها واتبعوني هذا صراط مستقيم وذكر ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قال يعني قريشا لما قيل لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب

فجائز ان يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه وقيل هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة وانما هو في صحف موسى وابراهيم قال شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير ثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ثالثها لاهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير رابعها ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير خامسها ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها ان أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما ثامنها ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل الغير تاسعها ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها ان الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادي عشرها المدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر علي بن ابي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير ثاني عشرها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها ان الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير رابع عشرها ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير خامس عشرها ان الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره سابع عشرها الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض تاسع عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال

حصب جهنم أنتم لها واردون الى آخر الآيات فقالت له قريش فما ابن مريم قال ذاك عبد الله ورسوله فقالوا والله ما يريد هذا الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى بن عقيل الانصاري قال قال ابن عباس رضي الله عنهما لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط ولا أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها قال ثم طفق يحدثنا فلما قام تلاومنا ان لا نكون سألناه (١٤٤) عنها فقلت أنا لها اذا راح غدا فلما راح الغد قلت يا ابن عباس ذكرت أمس ان آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفطنوا لها فقلت أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها قال رضي الله عنه نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش يا معشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير وقد علمت قريش ان النصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألست تزعم ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فان كنت صادقا كان آلهتهم كما يقولون قال فانزل الله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قلت ما يصدون قال يضحكون وانه لعلم للساعة قال هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي حدثنا آدم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي أحمد مولى الانصار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير فقالوا له ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فقد كان يعبد من دون الله فانزل الله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقال مجاهد في قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قالت قريش انما يريد محمد ان نعبده كما عبد قوم عيسى عليه السلام ونحو هذا قال قتادة وقوله وقالوا أآلهتنا خير أم هو قال قتادة يقولون آلهتنا خير منه وقال قتادة قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا أآلهتنا خير أم هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى ما ضربوه لك الا جدلا أي مراء وهم يعلمون انه ليس بوارد على الآية لانها لما لا يعقل وهي قوله تعالى انكم وما تعبدون من

تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الخ وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الخ فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فانه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له فيها حادي عشريها ان الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز أن تتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة انتهى كلامه رحمه الله (وأن سعيه سوف يرى) أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة ويبصره في الآخرة في ميزانه من غير شك (ثم يجزاه) أي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله فالضمير المرفوع عائد على الانسان والمنصوب على سعيه وقيل على الجزاء المتأخر وهو قوله (الجزاء الاوفى) فيكون هو مفسرا له ويجوز أن يرجع الى الجزاء الذي هو مصدر يجزاه وقواه السفاقسي ويجعل الجزاء الاوفى تفسيرا للجزاء المدلول عليه بالفعل كما في قوله اعدلوا هو أقرب للتقوى قال الاخفش يقال جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما (وأن الى ربك المنتهى) أي المرجع والمصير اليه سبحانه لا الى غيره فيجازيهم باعمالهم هذا كله في الصحف الاولى والخطاب عام أو النبي صلى الله عليه وسلم خاصة عن ابي بن كعب في هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا فكرة في الرب (وأنه هو أضحك وأبكى) أي هو الخالق لذلك والقاضي بسببه قال الحسن والكلبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحاك أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أضحك من شاء في الدنيا بان سره وأبكى من شاء بان غمه وهذا على ان كلا من الفعلين حذف مفعوله وقال سهل بن عبد الله أضحك المطيعين بالرحمة وأبكى العاصين بالسخط وقيل أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وابكاهم في الدنيا بالنوائب وقيل خلق الفرح والحزن وقيل ان الفعلين من الافعال اللازمة كقوله والله يحيي ويميت وهذا يدل على ان ما يعمل الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء (وانه هو أمات وأحيي) أي قضى أسباب الموت والحياة ولا يقدر على ذلك غيره وقيل خلق نفس الموت والحياة كما في قوله خلق الموت والحياة وقيل أمات الآباء وأحيي الابناء وقيل أمات في الدنيا وأحيي للبعث وقيل المراد بهما النوم واليقظة وقال عطاء أمات

دون الله حصب جهنم ثم هي خطاب لقريش وهم انما كانوا يعبدون الاصنام والانداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين ان مقالتهم انما كانت جدلا منهم ليسوا ايعتقدون صحتها وقد قال الامام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا ابن نمير حدثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أورثوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به ثم قال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه الا من حديثه كذا قال وقد روى من وجه آخر عن أبي امامة رضي الله عنه بزيادة فقال ابن أبي حاتم حدثنا حميد بن عياش الرملي حدثنا مؤمل حدثنا حماد أخبرنا ابن مخزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن الشامي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال حماد لا ادري رفعه أم لا قال ماضلت أمة بعد نبيها الا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر وما ضلت أمة بعد نبيها الا أعطوا الجدل ثم قرأ ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عبادة بن عباد عن جعفر عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ماضل قوم قط الا أوتوا الجدل ثم تلا صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقوله تعالى ان هو الا عبد أنعمنا عليه يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ماهو الا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل أي دلالة وحجة وبرهانا على قدرتنا على مانشاء وقوله عز وجل ولو نشاء لجعلنا منكم أي بدلكم ملائكة في الارض يخلفون قال السدي يخلفونكم فيها وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يخلف بعضهم بعضا كما يخلف بعضكم بعضا وهذا القول يستلزم الاول وقال مجاهد يعمرون الارض بدلكم وقوله سبحانه وتعالى وانه لعلم للساعة تقدم تفسير ابن اسحق ان المراد من ذلك ما يبعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من الاسقام وفي هذا نظر

أمات بعدله وأحيي بفضله وقيل أمات الكافر وأحيي المؤمن كما في قوله أومن كان ميتا فأحييناه (وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) من كل حيوان وهذا أيضا من جملة المتضادات الواردة على النطفة فبعضها يخلق ذكرا وبعضها يخلق أنثى ولا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله لا بفعل الطبيعة وفيه رد على الطبائعيين القائلين بالبرد والرطوبة في الانثى فرب امرأة أحر وأيبس مزاجا من الرجل (من نطفة) مني ولا يدخل في ذلك آدم وحواء فانهما لم يخلقا من النطفة والنطفة الماء القليل (اذا تمنى) اى تصب في الرحم وتدفق فيه كذا قال الكلبي والضحاك وعطاء بن ابي رباح وغيرهم يقال منى الرجل يمني وأمنى اى صب المني وقال أبو عبيدة اذا تمنى اذا تقدر يقال منيت الشئ اذا قدرته ومنى له اذا قدر له (وان عليه النشأة الاخرى) اى اعادة الارواح الى الاجسام عند البعث وفاء بوعده فانه قال انا نحن نحيي ونميت لا بحكم العقل ولا الشرع قرئ النشأة بالقصر بوزن الضربة وبالمد بوزن الكفالة سبعيتان وهما على القراءتين مصدران (وانه هو أغنى وأقنى) اى أغنى من شاء وافقر من شاء ومثله قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقوله يقبض ويبسط قاله ابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد وقتادة والحسن اغنى موّل وأقنى أخدم وقيل معنى أقنى أعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال أى أصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل معنى أقنى أرضى بما أعطى اى أغناه ثم أرضاه بما أعطاه قال الجوهري قنى الرجل يقنى مثل غنى يغنى ثم يتعدى بتغيير الحركة فيقال قنيت له مالا كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح فاذا دخلت عليه الهمزة والتضعيف اكتسب مفعولا ثانيا فيقال اقناه الله مالا وقناه اياه أى أكسبه اياه وأقناه أرضاه والقناء الرضا قال أبو زيد تقول العرب من أعطى مائة من البقر فقد أعطى القنى ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطى الغنى ومن أعطى مائة من الابل فقد أعطى المنى وقال الاخفش وابن كيسان أقنى أفقر وهو يؤيد القول الاول وقال ابن عباس أغنى وأقنى أعطى وأرضى وقيل أقنى زاد فوق الغنى وحذف مفعول أغنى وأقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وحده وكذلك باقيها (وأنه هو رب الشعرى) هي كوكب يطلع خلف الجوزاء في شدة الحر والمراد به هنا الشعرى التي يقال لها العبور وهي أشد ضياء من الشعرى التي يقال لها الغميصاء وانما

وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في وانه عائد على القرآن بل الصحيح انه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا ويؤيد هذا المعنى القراءة الاخرى وانه لعلم للساعة أي أمارة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد وانه لعلم للساعة أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة

والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا وقوله تعالى فلا تمترن بها أي لا تشكوا فيها انها واقعة وكائنة لا محالة واتبعوني أي فيما أخبركم به هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان أي عن اتباع الحق انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة اي بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال ابن جرير يعني من الامور الدينية لا الدنيوية وهذا الذي قاله حسن جيد ثم رد قول من زعم أن بعض ههنا بمعنى كل واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال

تراك أمكنة اذا لم أرضها
أو يعتلق بعض النفوس حمامها

وأولوه على انه أراد جميع النفوس قال ابن جرير وانما أراد نفسه فقط وعبر بالبعض عنها وهذا الذي قاله محتمل وقوله عز وجل فاتقوا الله أي فيما أمركم به وأطيعوني فيما جئتكم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي أنا وأنتم عبيد له فقراء اليه مشتركون في عبادته وحده لا شريك له هذا صراط مستقيم أي هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده وقوله سبحانه وتعالى فاختلف الاحزاب من بينهم أي اختلفت الفرق وصاروا شيعا فيه منهم من يقر بانه عبد الله ورسوله وهو الحق ومنهم من يدعي أنه ولد الله ومنهم من يقول انه الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولهذا قال تعالى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف

ذكر سبحانه انه رب هو الشعرى مع كونه ربا لكل الاشياء للرد على من كان يعبدها وأول من عبدها ومن عبادتها ابو كبشة وكان من أشراف العرب وذلك لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة وحمير وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن ابي كبشة تشبيها له به لمخالفته دينهم كما خالفهم أبو كبشة وكان من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمه ومن ذلك قول أبي سفيان عند دخوله على هرقل لقد أمر أمر ابن أبي كبشة قال ابن عباس في الآية هو الكوكب الذي يدعى الشعرى وعنه قال نزلت هذه الآية في خزاعة وكانوا يعبدون الشعرى وهو الكوكب الذي يتبع الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا (وانه اهلك عادا الاولى) وصف عادا بالاولى لكونهم كانوا من قبل ثمود قال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانهم اول امة اهلكت بعد نوح وقال ابن اسحق هما عادان فالاولى اهلكت بالصرصر والاخرى بالصيحة وقيل عاد الاولى قوم هود أهلكوا بريح صرصر وعاد الاخرى ارم بن عوص بن سام بن نوح (و) اهلك (ثمود) كما اهلك عادا (فما أبقى) أحدا من الفريقين وثمود هم قوم صالح عليه السلام أهلكوا بالصيحة وقد تقدم الكلام على عاد وثمود في غير موضع (و) أهلك (قوم نوح) بالغرق (من قبل) أي من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم) من عاد وثمود (وأطغى) منهم أو أظلم واطغى من جميع الفرق الكفرية أو أظلم واطغى من مشركي العرب وانما كانوا كذلك لانهم عتوا على الله بالمعاصي مع طول مدة دعوة نوح لهم كما في قوله فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وقيل لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك ويغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ويفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (والمؤتفكة) الائتفاك الانقلاب والمؤتفكة مدائن قوم لوط عليه السلام وسميت المؤتفكة لانها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها تقول أفكته اذا قلبته ومعنى (أهوى) أي أسقط أي أهواها جبريل الى الارض بعد أن رفعها الى السماء مقلوبة الى الارض قال المبرد جعلها تهوي (فغشاها ما غشى) أي ألبسها ما ألبسها من الحجارة المنضودة المسومة التي وقعت عليها كما في قوله فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وفي هذه العبارة تهويل للامر الذي غشاها به وتعظيم له وقيل ان الضمير راجع الى جميع الامم المذكورة أي فغشاها من العذاب ما غشى

عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف
من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم
فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) يقول تعالى هل ينظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم
لا يشعرون أى فانها كائنة لا محالة وواقعة وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين فاذا جاءت انما تجيء وهم لا يشعرون بها فحينئذ
يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم وقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أى كل
صداقة وصحابة لغير الله فانها تنقلب
يوم القيامة عداوة الا ما كان لله عز
وجل فانه دائم بدوامه وهذا كما
قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لقومه انما اتخذتم من دون الله
أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا
ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم
النار ومالكم من ناصرين وقال
عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن
أبي اسحق عن الحرث عن على
رضى الله عنه الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين قال
خليلان مؤمنان وخليلان كافران
فتوفي أحد المؤمنين وبشر بالجنة
فذكر خليله فقال اللهم ان فلانا
خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة
رسولك ويأمرني بالخير وينهاني
عن الشر وينبئني انى ملاقيك
اللهم فلا تضله بعدى حتى تريه مثل
ما أريتني وترضى عنه كما رضيت
عنى فيقال له اذهب فلو تعلم ماله
عندى لضحكت كثيرا وبكيت
قليلا قال ثم يموت الآخر فتجتمع
ارواحهما فيقال ليثن أحدكما على
صاحبه فيقول كل واحد منهما
لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب ونعم الخليل واذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار ذكر خليله فيقول اللهم ان خليلي فلانا
كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني انى غير ملاقيك اللهم فلا تهده بعدى حتى
تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت على قال فيموت الكافر الآخر فيجمع بين ارواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على
صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه بئس الاخ وبئس الصاحب وبئس الخليل رواه ابن أبي حاتم وقال ابن عباس رضى الله
عنهما ومجاهد وقتادة صارت كل خلة عداوة يوم القيامة الا المتقين وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن احمد عن هشام

على اختلاف أنواعه (فبأى آلاء ربك تتمارى) هذا خطاب للانسان المكذب أى فبأى
نعم ربك الدالة على وحدانيته وقدرته أيها الانسان المكذب تتشكك وتمترى وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعريضا لغيره فهو من باب الالهاب والتهييج
والتعريض بالغير وعن ابن عباس انه للوليد بن المغيرة وقيل لكل من يصلح له قال ابن عادل
الصحيح العموم لقوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله وكان الانسان
أكثر شيء جدلا قلت ولقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قيل اسناد فعل التمارى الى الواحد
باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه وهو الآلاء المتمارى فيها قلت لا حاجة الى هذا
التكلف لان التفاعل مجرد عن التعدد في الفاعل والفعل للمبالغة في الفعل وسمى هذه
الامور المذكورة آلاء أى نعما مع كون بعضها نقما لانها نعم لانها مشتملة على العبر والمواعظ
ويكون فيها انتقام من العصاة وفى ذلك نصرة للانبياء والصالحين قرئ تمارى من غير
ادغام وبادغام احدى التاءين في الاخرى (هذا نذير من النذر الاولى) أى هذا محمد رسول
اليكم من الرسل المتقدمين قبله فانه أنذركم كما أنذروا قومهم كذا قال ابن جرير ومحمد بن
كعب وغيرهما وقال قتادة يريد القرآن وانه أنذر بما أنذرت به الكتب الاولى وقيل هذا
الذي أخبرنا به عن أخبار الامم تخويف لهذه الامة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك كذا قال
أبو مالك وقال أبو صالح ان الاشارة بقوله هذا الى ما في صحف موسى وابراهيم والاول أولى
قال ابن عباس هذا نذير أى محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاولى على تأويل الجماعة
لمراعاة الفواصل والتنوين للتفخيم على جميع التقادير المتقدمة (أزفت الآزفة) أى
قربت الساعة ودنت سماها آزفة لقرب قيامها وقيل لدنوها من الناس كما في قوله اقتربت
الساعة أخبرهم بذلك ليستعدوا لها قال في الصحاح أزفت الآزفة يعنى القيامة وأزف
الرجل عجل قال ابن عباس الآزفة من أسماء القيامة واللام فيه للعهد لا للجنس لئلا يخلو
الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لوصف القريب بالقرب كما قيل ولذا قيل ان الآزفة علم
بالغلبة للساعة هنا وفيه نظر لان وصف القريب بالقرب يفيد المبالغة في قربه كما يدل عليه
الافتعال في اقتربت الساعة فتأمل (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لها نفس
أو حال قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله سبحانه وقيل كاشفة بمعنى انكشاف والهاء
فيها كالهاء في العاقبة والداهية وقيل كاشفة بمعنى كاشف والهاء للمبالغة كراوية وعلامة

ابن عبد الله بن كثير حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقة عن معافى حدثنا حكيم بن نافع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي احببته في وقوله تبارك وتعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ثم بشرهم فقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أي آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم قال المعتمر بن سليمان عن أبيه اذا كان يوم القيامة فان الناس حين يبعثون لا يبقى احد منهم الا فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قال فييأس الناس منها غير المؤمنين ادخلوا الجنة اي يقال لهم ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم أي نظراؤكم تحبرون أي تنعمون وتسعدون وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم يطاف عليهم بصحاف من ذهب أي زبادي آنية الطعام واكواب وهي آنية الشراب أي من ذهب لا خراطيم لها ولا عرى وفيها ماتشتهي الانفس وقرأ بعضهم تشتهيه الانفس وتلذ الاعين أي طيب الطعم والريح حسن المنظر قال عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني اسمعيل بن ابي سعيد قال ان عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب وخيام لؤلؤ ليس فيها موضع شبر الا معمور يغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة الا فيها لون ليس في الاخرى مثله شهوته في آخرها كشهوته في أولها لو نزل به جميع أهل الارض لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتي شيأ وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا عمرو بن سواد السرحي حدثني عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه ان أبا امامة رضي الله عنه حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر الجنة فقال والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر على باله طعام آخر فيتحول الطعام الذي في فيه على الذي اشتهى ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها

ونسابة والاول أولى والمعنى انه لا يقدر على كشفها اذا غشيت الخلق بشدائدها وأهوالها أحد غير الله كذا قال عطاء والضحاك وقتادة وغيرهم وقيل ليس لها نفس مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو ثم وبخهم سبحانه فقال (أفمن هذا الحديث تعجبون) المراد بالحديث القرآن أي كيف تعجبون منه تكذيبا (وتضحكون) منه استهزاء مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء (ولا تبكون) خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد الشديد عن صالح أبي الخليل قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا أن يتبسم وفي لفظ فما رئي النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا (وأنتم سامدون) لاهون غافلون عما يطلب منكم مستأنفة لتقرير ما قبلها أو حالية والسمود الغفلة والسهو عن الشئ والاعراض واللهو وقيل الجمود وقيل الاستكبار وقال في الصحاح سمد سمودا رفع رأسه تكبرا فهو سامد وقال ابن الاعرابي السمود اللهو والسامد اللاهي يقال للقينة اسمدينا أي الهينا بالغناء وقال المبرد سامدون خامدون وقال مجاهد غضاب مبرطمون والبرطمة الاعراض وقيل اشرون بطرون وقيل ساهون لاهون غافلون لاعبون وقال ابن عباس لاهون معرضون عنه وعنه قال هو الغناء باليمانية وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال أبو عبيدة السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا أي غني وقال كانوا يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم شامخين ألم تر الى البعير كيف يخطر شامخا وعن أبي خالد الوالبي قال خرج علي بن أبي طالب علينا وقد أقيمت الصلاة ونحن قيام ننتظره ليتقدم فقال مالكم سامدون لا أنتم في صلاة ولا أنتم في جلوس تنتظرون (فاسجدوا لله) لما وبخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه والسخرية وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجره أمر عباده المؤمنين بالسجود لله والعبادة له أي اذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله (واعبدوا) فانه المستحق لذلك منكم وهو من عطف العام على الخاص أي ولا تسجدوا للاصنام ولا تعبدوها وهذا مأخوذ من لام الاختصاص ومن السياق وقد تقدم في فاتحة السورة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد عند تلاوة هذه الآية وسجد معه الكفار فيكون المراد بها سجود التلاوة وقيل سجود الفرض

*(سورة

خالدون وقال الامام أحمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا سكين بن عبد العزيز ثنا أبو الاشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة من له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وان له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة ولا أعلمه الا قال من ذهب في كل صحفة لون ليس في الاخرى وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره ومن الاشربة ثلثمائة اناء في كل اناء لون ليس في الآخر وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره وانه ليقول رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء وان له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وان الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الارض وقوله تعالى وأنتم فيها أي في الجنة خالدون أي لا يخرجون منها ولا يبغون عنها حولا ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون أي اعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله اياكم فانه لا يدخل أحدا عمله الجنة ولكن برحمة الله وفضله وانما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الاعمال الصالحات قال ابن أبي حاتم ثنا الفضل بن شاذان المقرى ثنا يوسف بن يعقوب يعني الصفار حدثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فيكون له شكرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة وذلك قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى لكم فيها فاكهة كثيرة أي من جميع الانواع منها تأكلون أي مما اخترتم وأردتم ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة والله تعالى أعلم (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)

(سورة القمر ويقال سورة اقتربت)

وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الاضحى والفطر وقال ابن عباس اقتربت تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه قال البيهقي منكر وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة رفعه من قرأ اقتربت الساعة في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر أخرجه ابن الضريس وهي خمس وخمسون آية وهي مكية كلها في قول الجمهور وقال مقاتل الا ثلاث آيات من قوله أم يقولون نحن جميع منتصر الى قوله والساعة أدهى وأمر قال القرطبي ولا يصح وقيل الا سيهزم الجمع الآية وعن ابن عباس انها نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وجميع آيات السورة فواصلها على الراء الساكنة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) أي قربت (١) ولا شك أنها قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد قيام النبوة المحمدية الى ما مضى من الدنيا قريبة ويمكن أن يقال انها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة فكل آت قريب (وانشق القمر) أي وقد انشق القمر وانفلق وكذا قرأ حذيفة بزيادة قد والمراد الانشقاق الواقع في أيام النبوة معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف قال الواحدي وجماعة المفسرين على هذا الا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال المعنى سينشق القمر والعلماء كلهم على خلافه قال وانما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر لان انشقاقه من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وزمانه من اشراط اقتراب الساعة قال ابن كيسان في الكلام تقديم وتأخير أي انشق القمر واقتربت الساعة وحكى القرطبي عن الحسن مثل قول عطاء أنه الانشقاق الكائن يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله سبحانه ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وأنى ذلك قال الرازي قال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد لا معنى له لان من منع ذلك وهو الفلسفي خذله الله يمنعه في الماضي والمستقبل ومن يجوزه لا يحتاج الى التأويل ثم رد على المانع وقال والقرآن أدل دليل

(١) اشارة الى ان افتعل المشتمل على الزوائد بمعنى فعل المجرد وأتى بالمزيد للمبالغة لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى اه منه

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنى بذكر الاشقياء فقال ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم أى ساعة واحدة وهم فيه مبلسون أى آيسون من كل خير وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين أى باعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسل اليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد ونادوا يا مالك وهو خازن النار قال البخارى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك أى يقبض ارواحنا فيريحنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى لا يقضى

عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وقال عز وجل ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيا فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك قال انكم ماكثون قال ابن عباس مكث ألف سنة ثم قال انكم ماكثون رواه ابن أبى حاتم أى لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم الحق ومعاندتهم له فقال لقد جئناكم بالحق أى بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ولكن أكثركم للحق كارهون أى ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه وانما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فعودوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لا تنفعكم الندامة ثم قال تبارك وتعالى أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال مجاهد أرادوا كيد شر فكدناهم وهذا الذى قاله مجاهد كما قال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وذلك لان المشركين كانوا يتحيلون فى رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك

عليهم ولهذا قال أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم أى سرهم وعلانيتهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون أى نحن نعلم ما هم عليه والملائكة أيضا يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون

وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات وذكرناه مرارا وقيل معنى انشق وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر المثل فيما وضح وقيل انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه وطلوعه فى اثنائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه قال ابن كثير قد كان الانشقاق فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك فى الاحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة قال وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان احدى المعجزات الباهرات قال الزجاج زعم قوم عندوا عن القصد وما عليه أهل العلم ان تأويله ان القمر ينشق يوم القيامة والامر بين فى اللفظ واجماع أهل العلم لان قوله الآتى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يدل على ان هذا كان فى الدنيا لا فى القيامة انتهى ولم يأت من خالف الجمهور وقال ان الانشقاق سيكون يوم القيامة الا بمجرد استبعاد فقال انه لو انشق فى زمن النبوة لم يبق أحد الا رآه لانه آية والناس فى الآيات سواء ويجاب عنه بانه لا يلزم ان يراه كل أحد لا عقلا ولا شرعا ولا عادة وان هذا الانشقاق حصل فى الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر فى السماء أو ينظر اليها ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث فى السماء فى الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرنا من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال بعض أهل العلم وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم ومع هذا فقد نقل الينا بطريق التواتر وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد ويضرب به فى وجه قائله والحاصل انا اذا نظرنا الى كتاب الله فقد أخبرنا بانه انشق ولم يخبرنا بانه سينشق وان نظرنا الى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت فى الصحيح وغيره من طرق متواترة انه قد كان ذلك فى أيام النبوة وان نظرنا الى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت الى شذوذ من شذ واستبعاد من استبعد وفى الباب رسائل شتى للشيخ رفيع الدين الدهلوى رحمه

فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) يقول تعالى قل يا محمد ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى لو فرض هذا لعبدته على ذلك لانى عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرنى به ليس عندى استكبار ولا اباء عن عبادته فلو فرض هذا لكان هذا ولكن هذا ممتنع فى حقه تعالى والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا كما قال عز وجل لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى فأنا أول العابدين أى الآنفين ومنهم سفيان الثورى والبخارى حكاه فقال ويقال أول العابدين الجاحدين من عبد يعبد وذكر ابن جرير لهذا القول من (١٥١) الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب حدثنى ابن أبى ذئب عن قسيط عن بعجة بن بدر الجهنى ان امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضا فولدت له فى ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بها ان ترجم فدخل عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ان الله تعالى يقول فى كتابه وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال عز وجل وفصاله فى عامين قال فوالله ما عبد عثمان رضى الله عنه ان بعث اليها ترد قال يونس قال ابن وهب عبد استنكف وقال الشاعر

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله
ويعبد عليه لا محالة ظالما

وهذا القول فيه نظر لانه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره ان كان هذا فأنا ممتنع منه هذا فيه نظر فليتأمل اللهم الا ان يقال ان ان ليست شرطا وانما هى نافية كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين وقال قتادة هى كلمة من كلام العرب ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى ان ذلك لم يكن فلا ينبغى وقال أبو صخر قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى فأنا أول من عبده بان لا ولد له وأول من وحده وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد فأنا أول العابدين أى أول من عبده ووحده وكذبكم وقال البخارى فأنا أول العابدين الآنفين وهما لغتان رجل عابد وعبد والاول أقرب على انه شرط وجزاء ولكن هو ممتنع وقال السدى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين يقول لو كان له ولد كنت أول من عبده بان له ولدا ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم أن ان نافية ولهذا قال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون أى تعالى وتقدس وتنزه

الله وغيره وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وروى عنه من طرق أخرى عند مسلم والترمذى وغيرهما وقال فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وعنه قال رأيت القمر منشقا شقتين مرتين فرقة بمكة قبل ان يخرج النبى صلى الله عليه وسلم شقة على أبى قبيس وشقة على السويداء وذكر أن هذا سبب نزول الآية أخرجه عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل وعنه أيضا قال رأيت القمر وقد انشق وأبصرت الجبل بين فرجتى القمر أخرجه أحمد وأبو نعيم وابن جرير وغيرهم وله طرق عنه وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال انشق القمر فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وله طرق عنه وأخرج مسلم والترمذى وغيرهما عن ابن عمر فى الآية قال كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر فرقتين فرقة من دون الجبل وفرقة خلفه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم عن أبيه فى الآية قال انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقال الناس سحرنا محمد فقال رجل ان كان سحركم فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وعبد بن حميد وغيرهم وعن عبد الرحمن السلمى قال خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اقتربت الساعة وانشق القمر ألا وان الساعة قد اقتربت الا وان القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وان الدنيا قد آذنت بفراق اليوم المضمار وغدا السباق أخرجه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم ونقل فى المواهب عن الحافظ ابن حجر أن الانشقاق لم يقع الا مرة واحدة وان رواية مرتين مؤولة مصروفة عن ظاهرها وكان أى الانشقاق قبل الهجرة بنحو خمس سنين (وان يروا) أى كفار قريش (آية) تدل على صدق الرسول والمراد بها هنا انشقاق القمر (يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا) هذا (سحر مستمر) أى دائم مطرد وقوى وكل شئ دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات

خالق الاشياء عن أن يكون له ولد فانه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كفء له فلا ولد له وقوله تعالى فذرهم يخوضوا أى فى جهلهم وضلالهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو يوم القيامة أى فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم فى ذلك اليوم وقوله تبارك وتعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله أى هو اله من فى السماء واله من فى الارض يعبده أهلهما وكلهم خاضعون له اذلاء بين يديه وهو الحكيم العليم وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون أى (١٥٢) هو المدعو الله فى السموات والارض وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما أى هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة فسبحانه وتعالى عن الولد وتبارك أى استقر له السلامة من العيوب والنقائص لانه الرب العلى العظيم المالك للاشياء الذى بيده أزمة الامور نقضا وابراما وعنده علم الساعة أى لا يجليها لوقتها الا هو واليه ترجعون أى فيجازى كلا بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم قال تعالى ولا يملك الذى يدعون من دونه أى من الاصنام والاوثان الشفاعة أى لا يقدرون على الشفاعة لهم الا من شهد بالحق وهم يعلمون هذا استثناء منقطع أى لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فانه تنفع شفاعته عنده باذنه له ثم قال عز وجل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون أى ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره من خلقهم ليقولن الله أى هم يعترفون انه الخالق للاشياء جميعها وحده لا شريك له فى ذلك ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيأ ولا يقدر على شئ فهم فى ذلك فى غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل ولهذا قال تعالى فانى يؤفكون وقوله جل وعلا وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون أى وقال محمد صلى الله عليه وسلم قيله أى شكى الى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كما أخبر تعالى فى الآية الاخرى وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وهذا الذى قلناه هو قول ابن مسعود رضى الله عنه ومجاهد وقتادة وعليه فسر ابن جرير قال البخارى وقرأ عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه وقال الرسول يارب وقال مجاهد فى قوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال يؤثر الله عز وجل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هو قول نبيكم صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى ربه عز وجل

وترادف الآيات أعرضوا عن التصديق بها وقالوا هذا سحر مستمر قال الواحدى قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد فقال الله وان يروا آية يعنى انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق بها والايمان بها ويقولوا سحر قوى شديد يعلو كل سحر من قولهم استمر الشئ اذا قوى واستحكم وقد قال بان معنى مستمر قوى شديد جماعة من أهل العلم قال الاخفش هو مأخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله وبه قال أبو العالية والضحاك واختاره النحاس وقال الفراء والكسائى وأبو عبيدة سحر مستمر أى ذاهب مار سوف يذهب ولا يبقى من قولهم مر الشئ واستمر أى ذهب وبطل وبه قال قتادة ومجاهد وغيرهما واختاره النحاس وقيل يشبه بعضه بعضا وقيل قد مر من الارض الى السماء وقيل هو من المرارة يقال مر الشئ صار مرا أى مستبشع عندهم مر على اهوائهم لا يقدرون ان يسيغوه كما لا يساغ المر وبه قال الزمخشرى وفى هذه الآية أعظم دليل على ان الانشقاق قد كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قررناه سابقا وفى التفهيمات للشيخ ولى الله المحدث الدهلوى رحمه الله وأما شق القمر فعندنا ليس من المعجزات انما هو من آيات القيامة كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولكنه صلى الله عليه وسلم أخبر عنه قبل وجوده فكان معجزة من هذا السبيل انتهى واعترضه بعض من لا يسمن قوله ولا يغنى من جوع ودفعه جماعة من علماء الهند وغيرهم وليس فى هذه العبارة انكار تلك المعجزة كما فهمه بعض القاصرين عن بلوغ رتبة الكمال بل هى أدل دليل على اثباتها عند من يفهم كلام العلماء بالله تعالى تأمل ثم ذكر سبحانه تكذيبهم فقال (وكذبوا) رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) ما زينه لهم الشيطان الرجيم من دفع الحق بعد ظهوره ذكر هذين بصيغة الماضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة مع ان الظاهر المضارع لكونهما معطوفين على يعرضوا (وكل أمر مستقر) مستأنفة لتقرير بطلان ما قالوه من التكذيب واتباع الهوى ولاقناطهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره صلى الله عليه وسلم حيث قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الامور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة فالخير يستقر باهل الخير والشر يستقر باهل الشر قال الفراء تقول يستقر قرار تكذيبهم وقرار قول المصدقين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل كل ما قدر فهو كائن لا محالة

ثم حكى ابن جرير فى قوله تعالى وقيله يارب قراءتين احداهما النصب ولها توجيهان احدهما انه معطوف على قوله تبارك وتعالى نسمع سرهم ونجواهم والثانى ان يقدر فعل وقال قيله والثانية الخفض وقيله عطفا على قوله وعنده علم الساعة تقديره وعلم قيله وقوله تعالى فاصفح عنهم اى المشركين وقل سلام أى لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيء ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلا وقولا فسوف يعلمون هذا تهديد من الله تعالى لهم ولهذا احل بهم بأسه الذى لا يرد وأعلى دينه وكلمته وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس فى دين الله افواجا وانتشر الاسلام فى المشارق (١٥٣) والمغارب والله اعلم آخر تفسير سورة الزخرف

(تفسير سورة الدخان وهى مكية)*

قال الترمذى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن عمرو بن أبى خثعم عن يحيى بن أبى كثير عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك ثم قال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعمرو ابن ابى خثعم يضعف قال البخارى منكر الحديث ثم قال حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفى حدثنا زيد بن الحباب عن هشام ابى المقدام عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة غفر له ثم قال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهشام ابو المقدام يضعف والحسن لم يسمع من ابى هريرة رضى الله عنه كذا قال ايوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد رحمة الله عليهم اجمعين وفى مسند البزار من رواية أبى الطفيل عامر بن واثلة عن زيد بن حارثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد انى قد خبأت خبأ

فما هو وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الدخان فقال هو الدخ فقال اخسأ ما شاء الله كان ثم انصرف *(بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) يقول تعالى مخبرا عن القرآن العظيم انه أنزله فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر كما قال عز وجل انا أنزلناه فى ليلة القدر وكان ذلك فى شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وقد ذكرنا

وقال الكلبى المعنى لكل أمر حقيقة ما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان منه فى الآخرة فسيعرف وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر أى ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل أمر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق وقيل كل أمر من أمرهم وأمره صلى الله عليه وسلم مستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا أو شقاوة أو سعادة فى الاخرى ذكره أبو السعود والظاهر هو الاول وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به قرأ الجمهور مستقر بكسر القاف وهو مرتفع على أنه خبر المبتدا وهو كل وقرئ بالجر على انه صفة لامر وقرئ بفتح القاف قال أبو حاتم ولا وجه لها وقيل وجهه كل أمر ذو استقرار أو زمان استقرار أو مكانه على انه مصدر أو ظرف زمان أو ظرف مكان (ولقد جاءهم) أى كفار مكة أو الكفار على العموم (من الانباء) أى من بعض اخبار الامم المكذبة المقصوصة علينا فى القرآن (ما فيه مزدجر) أى ازدجار عن الكفر على انه مصدر ميمى يقال ازدجرته وزجرته اذا نهيته عن السوء ووعظته بغلاظة أو اسم مكان والمعنى جاءهم ما فيه موضع ازدجار أى انه فى نفسه موضع لذلك وأصله مزتجر وتاء الافتعال تقلب دالا بعد الزاى والدال والذال كما تقرر فى موضعه وهذا فى آخر كتاب سيبويه وقرئ مزجر بابدال التاء زايا وادغامها وقرئ مزجر اسم فاعل من ازجر اى صار ذا زجر وما موصولة أو موصوفة (حكمة) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما بدل كل من كل أو بدل اشتمال أو من مزدجر (بالغة) تامة أى ان القرآن حكمة قد بلغت الغاية ليس فيها نقص ولا خلل وقرئ حكمة بالنصب على انها حال من ما أى حال كون ما فيه مزدجر حكمة بالغة نهاية الصواب (فما تغن النذر) ما استفهامية أى أى شئ أو أى اغناء تغنى النذر وتحصله وتكسبه أو نافية أى لم تغن النذر شيأ ولم تنفع فيهم والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجئ الحكمة البالغة ولم ترسم الياء هنا بعد النون اتباعا لرسم المصحف والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أى الامور المنذرة لهم كاحوال الامم السابقة وما بلغ اليهم من العذاب الذى بلغ قريشا وتسامعوا به أو بمعنى الانذار على انه مصدر ثم أمره الله سبحانه بالاعراض عنهم فقال (فتول عنهم) أى أعرض عنهم حيث لم يؤثر فيهم الانذار وهى منسوخة بآية السيف قاله أكثر المفسرين وقال الرازى ان قولهم بالنسخ ليس بشئ بل المراد منها

الاحاديث الواردة فى ذلك فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة فقد أبعد النجعة فان نص القرآن انها فى رمضان والحديث الذى رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهرى أخبرنى عثمان بن محمد ابن المغيرة بن الاخنس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه فى الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص وقوله عز وجل انا كنا منذرين أى معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعا لتقوم حجة الله على عباده وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم أى فى ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ الى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والارزاق وما يكون فيها الى آخرها وهكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وأبى مالك والضحاك وغير واحد من السلف وقوله جل وعلا حكيم أى محكم لا يبدل ولا يغير ولهذا قال جل جلاله أمرا من عندنا أى جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره واذنه وعلمه انا كنا مرسلين أى الى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات فان الحاجة كانت ماسة اليه ولهذا قال تعالى رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما أى الذى أنزل القرآن هو رب السموات والارض وخالقهما ومالكهما وما فيهما ان كنتم موقنين أى ان كنتم متحققين ثم قال تعالى لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين وهذه الآية كقوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت الآية

(بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) يقول تعالى بل هؤلاء المشركون فى شك يلعبون أى قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به ثم قال عز وجل متوعدا لهم ومهددا فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين قال سليمان بن مهران الاعمش عن أبى الضحى مسلم بن صبيح عن مسروق قال دخلنا المسجد يعنى مسجد الكوفة عند أبواب كندة فاذا رجل يقص على أصحابه يوم تأتى السماء بدخان مبين تدرون ما ذلك الدخان ذلك دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ باسماع المنافقين

لا تناظرهم بالكلام ذكره الخطيب (يوم) أى اذكر يوم (يدع الداع) واليه ذهب الرمانى والزمخشرى وفيه وجوه هذا أقربها وسقطت الواو من يدع اتباعا للفظ وقد وقعت فى الرسم هكذا وحذفت الياء من الداع مبالغة فى التخفيف واكتفاء بالكسرة والداعى هو اسرافيل وقيل جبريل والاول أولى (الى شئ نكر) أى أمر فظيع تنكره استعظاما له لعدم تقدم العهد لهم بمثله وهو هول يوم القيامة وقيل هو الحساب قرأ الجمهور نكر بضم الكاف وقرئ بسكونها تخفيفا وقرئ بكسر الكاف وفتح الراء على صيغة الفعل المجهول (خشعا أبصارهم) قرأ الجمهور خشعا جمع خاشع وقرئ خاشعا على الافراد وقرأ ابن مسعود خاشعة قال الفراء الصفة اذا تقدمت على الجماعة جاز فيها التذكير والتأنيث والجمع يعنى جمع التكسير لا جمع السلامة لانه يكون من الجمع بين فاعلين والخشوع فى البصر الخضوع والذلة وأضاف الخشوع الى الابصار لان العز والذل يتبين فيها أو يظهر أكثر من ظهوره على بقية البدن (يخرجون) أى الناس مطلقا مؤمنهم وكافرهم (من الاجداث) واحدها جدث وهو القبر (كأنهم) لكثرتهم وتوجههم واختلاط بعضهم ببعض (جراد منتشر) أى منبث فى الاقطار مختلط بعضه ببعض فى الاماكن لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة (مهطعين الى الداع) الاهطاع الاسراع فى المشى أى حال كونهم مسرعين الى الداعى وهو اسرافيل وقال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين وقال عكرمة فاتحين آذانهم الى الصوت والاول أولى وبه قال أبو عبيدة وغيره وقال ابن عباس ناظرين اليه بابصارهم لا يقلعون وقيل مادّى أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أى صعب شديد على الكافرين كما فى المدثر يوم عسير على الكافرين غير يسير وفى اسناد هذا القول الى الكفار دليل على ان اليوم ليس بشديد على المؤمنين ثم ذكر سبحانه تفصيل بعض ما تقدم من الانباء اجمالا فقال (كذبت قبلهم) أى قبل قريش (قوم نوح) أى كذبوا نبيهم وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فكذبوا عبدنا) تفصيل بعد اجمال وتفسير لما قبله من التكذيب المبهم وفيه مزيد تقرير وتأكيد أى فكذبوا نوحا والفاء على هذا تفصيلية فان التفصيل يكون عقب الاجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا بعد تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب والفاء حينئذ للتعقيب والمكذب الثانى غير الاول

وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود رضي الله عنه فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففزع فقعد وقال ان الله عز وجل قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك ان قريشا لما ابطأت عن الاسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون الا الدخان وفي رواية فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد قال الله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم لهم فسقوا فنزلت انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قال ابن مسعود رضي الله عنه أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال يعني يوم بدر قال ابن مسعود رضي الله عنه فقد مضى خمسة الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ورواه الامام أحمد في مسنده وهو عند الترمذي والنسائي في تفسيرهما وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الاعمش به وقد وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وابراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الرحمن الاعرج في قوله عز وجل يوم تأتي السماء بدخان مبين قال كان يوم فتح مكة وهذا القول غريب جدا بل منكر وقال آخرون لم يمض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج

الاول وان اتحد المكذب أو كذبوه بعد ما كذبوا جميع الرسل والفاء على هذا للتسبب وانما لم يرتض القاضي هذين الوجهين وان جرى في الكشاف عليهما لان الظاهر هو الاتحاد في كليهما ثم بين سبحانه انهم لم يقتصروا على مجرد التكذيب فقال (وقالوا مجنون) أي نسبوا نوحا الى الجنون (وازدجر) معطوف على قالوا اي وزجر عن دعوى النبوة وعن تبليغ ما أرسل به بانواع الزجر وقيل انه معطوف على مجنون أي وقالوا انه ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه والاول أولى قال مجاهد هو من كلام الله سبحانه أخبر عنه بانه انتهر وزجر بالسب وأنواع الاذى قال الرازي وهذا أصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذكر من تقدمه (فدعا) نوح (ربه) على قومه (أني) أي باني وقرئ بكسر الهمزة اما على اضمار القول أي فقال اني واما اجراء للدعاء مجرى القول وهو مذهب الكوفيين (مغلوب) من جهة قومي لتمردهم عن الطاعة وزجرهم لي عن تبليغ الرسالة وذلك بعد صبره عليهم غاية الصبر حيث مكث ألف سنة الا خمسين عاما يعالجهم فلم يفد فيهم شيأ ولما يئس عن اجابتهم وعلم تمردهم وعتوهم وأصرارهم على ضلالتهم طلب من ربه سبحانه النصرة عليهم فقال (فانتصر) أي انتقم لي منهم ثم ذكر سبحانه ما عاقبهم به فقال (ففتحنا) مخففا ومشددا وهما سبعيتان (أبواب السماء) أي كلها في جميع الاقطار وهو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب والاول أولى (بماء) الباء للتعدية على المبالغة حيث جعل الماء كالآلة التي يفتح بها كما تقول فتحت بالمفتاح (منهمر) غزير نازل بقوة أي منصبا انصبابا شديدا في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما والهمر الصب بكثرة يقال همر الماء والدمع يهمر همرا وهمورا اذا كثر (وفجرنا الارض عيونا) أي جعلنا الارض كلها عيونا متفجرة وهو أبلغ من قولك فجرنا عيون الارض قرأ الجمهور فجرنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف قال عبيد بن عمير أوحى الله الى الارض ان تخرج ماءها فتفجرت بالعيون وسالت بالمياه (فالتقى الماء على أمر قد قدر) وقرئ الماآن وقرأ علي ومحمد بن كعب الماوان أي التقى ماء السماء وماء الارض على أمر قد قضي عليهم أي كائنا على حال قدرها الله وقضى بها في اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان قيل كان ماء

من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا تفرد باخراجه مسلم فى صحيحه وفى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد انى خبأت لك خبأ قال هو الدخ فقال صلى الله عليه وسلم له اخسأ فلن تعدو قدرك قال وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين وهذا فيه اشعار بأنه من المنتظر المرتقب وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرظون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعنى الدخان فعندها عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وأنها شيطانية (١٥٦) فقال صلى الله عليه وسلم له اخسأ فلن تعدو قدرك ثم قال ابن جرير وحدثنى عصام بن رواد بن الجراح حدثنا أبى حدثنا سفيان بن سعيد الثورى حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان قال حذيفة رضى الله عنه يارسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم علا ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره قال ابن جرير لو صح هذا الحديث لكان فاصلا وانما لم أشهد له بالصحة لان محمد بن خلف العسقلانى حدثنى انه سأل روادا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان فقال له لا قال فقلت أقرأته عليه قال لا قال فقلت له أقرئ عليه وأنت حاضر فقال لا فقلت له فمن أين جئت به فقال جاءنى به قوم فعرضوه على وقالوا لى اسمعه منا فقرؤه على ثم ذهبوا فحدثوا به عنى أو كما قال وقد أجاد ابن جرير فى هذا الحديث ههنا فانه موضوع بهذا السند وقد أكثر ابن جرير من سياقه فى أماكن من هذا التفسير وفيه منكرات كثيرة جدا لا سيما فى أول سورة بنى اسرائيل فى ذكر المسجد الاقصى والله أعلم وقال ابن جرير أيضا حدثنى محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثنى ابى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة

السماء أكثر وقيل بالعكس وحكى ابن قتيبة أن المعنى على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر بل كان ماء السماء وماء الارض على سواء قال قتادة قدر لهم اذ كفروا ان يغرقوا قال ابن عباس لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده الا من السحاب وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماآن (وحملناه) اى نوحا (على) سفينة (ذات ألواح) وهى الاخشاب العريضة (ودسر) قال الزجاج هى المسامير التى تشد بها الالواح واحدها دسار وكل شئ أدخل فى شئ يشده فهو دسر وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب وابن زيد وسعيد بن جبير وغيرهم وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة الدسر ظهر السفينة التى يضربها الموج سميت بذلك لانها تدسر الماء أى تدفعه والدسر الدفع وقال الليث الدسار خيط يشد به ألواح السفينة قال فى الصحاح الدسار واحد الدسر وهى خيوط تشد بها ألواح السفينة ويقال هى المسامير وقيل صدر السفينة وقيل عوارضها واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وقيل أصلها وطرفاها قال ابن عباس الالواح الواح السفينة والدسر معاريضها التى تشد بها السفينة وقال أيضا المسامير وقال أيضا الدسر كلكل السفينة وقال مجاهد نطق السفينة وعنه أيضا اضلاع السفينة (تجرى بأعيننا) أى بمنظر ومرأى منا وحفظ منا لها كما فى قوله واصنع الفلك بأعيننا وقيل بأمرنا وقيل بوحينا وقيل بالاعين النابعة من الارض وقيل بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها والاول أولى (جزاء) قال الفراء فعلنابه وبهم مافعلنا من انجائه واغراقهم ثوابا فالنصب على العلة وقيل أى اغرقوا انتصارا وهو تفسير للمعنى وقيل جازيناهم جزاء (لمن كان كفر) به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام فانه كان لهم نعمة كفروها اذ كل نبى نعمة على أمته قرأ الجمهور كفر مبنيا للمفعول والمراد به نوح وقيل هو الله سبحانه فانهم كفروا به وجحدوا نعمته وقرئ كفر بفتح الكاف والفاء مبنيا للفاعل أى جزاء وعقابا لمن كفر بالله (ولقد تركناها) أى السفينة (آية) عبرة للمعتبرين قال قتادة أبقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودى زمانا مديدا ودهرا طويلا حتى نظر اليها ورآها أوائل هذه الامة أو أبقينا خبرها أو أبقينا جنس السفن أو تركنا بمعنى جعلنا وقيل المعنى تركنا هذه الفعلة التى فعلناها بهم عبرة وموعظة لمن يعتبر ويتعظ بها (فهل من مدكر) أصله

الدجال ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن اسمعيل بن عياش به وهذا اسناد جيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يهيج الدخان بالناس فاما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفا وروى سعيد بن عوف عن الحسن قوله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه قال لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى تنفذ وروى ابن جرير من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن السلماني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ أي المشوي على الرضف ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت ان يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله ابن أبي يزيد عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الامة وترجمان القرآن وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الاحاديث المرفوعة الصحاح والحسان وغيرهما التي اوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على ان الدخان من الآيات المنتظرة مع انه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين أي بين واضح يراه كل أحد وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه انما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله تعالى يغشى الناس أي يتغشاهم ويعمهم ولو كان أمرا خياليا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه يغشى الناس وقوله تعالى هذا عذاب أليم اى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا كقوله عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أو يقول بعضهم لبعض ذلك وقوله سبحانه وتعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أي يقول الكافرون اذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم

مدتكر فأبدلت التاء دالا ثم أبدلت المعجمة مهملة لتقاربهما وأدغمت الدال في الدال والمعنى هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها فيترك المعصية ويختار الطاعة ثم انه تعالى لما أجاب دعوة نوح بان أغرقهم أجمعين قال استعظاما لذلك العقاب وابعادا لمشركي مكة (فكيف كان عذابي) الذي عذبتهم به (و) كيف كان عاقبة (نذر) أي انذاري قال الفراء الانذار والنذر مصدران والاستفهام للتهويل والتعجيب أي كانا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف وقيل نذر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلناه للاذكار والاتعاظ بان وشحناه بأنواع المواعظ والعبر الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد يحفظه الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قال ابن عباس لولا ان الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق ان يتكلموا بكلام الله وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعا مثله وقال سعيد ابن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا الا القرآن والجملة قسمية وردت في آخر القصص الاربع تقرير المضمون ما سبق وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار فيها كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار أي وتالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان أنزلناه على لغتهم (فهل من مدكر) أي متعظ بمواعظه ومعتبر لعبره وطالب لحفظه فيعان عليه وقارئ يقرأه وطالب علم وخير وقال ابن عباس هل من متذكر كرر هذا في هذه السورة للتنبيه والافهام وقيل ان الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الامة أنباء الامم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الامم وما كان من عقبى أمورهم وأمور المرسلين فكان في كل قصة ونبأ ذكر للمستمع ان لو تذكر وانما كرر هذه الآية عند كل قصة بقوله فهل من مدكر لان هل كلمة استفهام تستدعي افهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم فاللام من هل للاستعراض والهاء للاستخراج وفي الآية الحث على درس القرآن والاستكثار من تلاوته والمسارعة في تعلمه (كذبت عاد) هم قوم هود ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له مسارعة الى بيان ما نزل بهم من العذاب ولم يقل فكذبوا هودا كما قال في قصة نوح فكذبوا عبدنا لان تكذيب قوم نوح أبلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم واما الان قصة عاد ذكرت مختصرة (فكيف كان عذابي ونذر) أي فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي لهم وانذاري اياهم ونذر

كقوله جلت عظمته ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وكذا قوله جل وعلا
وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم
من قبل مالكم من زوال وهكذا قال جل جلاله ههنا أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون يقول
كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا اليهم رسولا بين الرسالة والنذارة ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه بل كذبوه وقالوا معلم مجنون وهذا
كقوله جلت عظمته يومئذ يتذكر الانسان (١٥٨) وانى له الذكرى الآية وكقوله عزوجل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من
مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى
لهم التناوش من مكان بعيد الى
آخر السورة وقوله تعالى انا كاشفوا
العذاب قليلا انكم عائدون يحتمل
معنيين أحدهما انه يقول تعالى
ولو كشفنا عنكم العذاب
ورجعناكم الى الدار الدنيا لعدتم الى
ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب
كقوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم
يعمهون وكقوله جلت عظمته ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم
لكاذبون والثانى ان يكون المراد
انا مؤخرو العذاب عنكم قليلا
بعد انعقاد أسبابه ووصوله اليكم
وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من
الطغيان والضلال ولا يلزم من
الكشف عنهم ان يكون باشرهم
كقوله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة
الدنيا ومتعناهم الى حين ولم يكن
العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان
قد انعقد سببه عليهم ولا يلزم أيضا
ان يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم
ثم عادوا اليه قال الله تعالى اخبارا
عن شعيب عليه السلام انه قال
لقومه حين قالوا لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم وقال قتادة انكم
عائدون الى عذاب الله وقوله عزوجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فسر ذلك ابن مسعود رضى الله عنه بيوم بدر وهذا
قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضى الله عنه على تفسيره الدخان بما تقدم وروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية
العوفى عنه وعن أبى بن كعب رضى الله عنه وجماعة عنه وهو محتمل والظاهر أن ذلك يوم القيامة وان كان يوم بدر يوم بطشة أيضا قال

مصدر بمعنى انذار كما تقدم والاستفهام للتهويل والتعظيم والغرض بهذا توجيه قلوب
السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) هذه
الجملة مستأنفة مبينة لما أجمله سابقا من العذاب والصرصر شدة البرد أى ريح شديدة البرد
وقيل الصرصر شدة الصوت وقد تقدم بيانه فى حم السجدة قال ابن عباس ريحا صرصرا
أى باردة (فى يوم نحس مستمر) أى دائم الشؤم الى الابد استمر عليهم بنحوسة واستمر فيه
العذاب الى الهلاك وقد كانوا يتشاءمون بذلك اليوم قال الزجاج أى يوم الاربعاء فى آخر
الشهر أى شهر شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب الشمس قال الخطيب وقد قال فى
سورة الحاقة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وفى حم السجدة فى أيام نحسات فالمراد باليوم
هنا الوقت والزمان انتهى قال الضحاك كان ذلك اليوم مرا عليهم وكذا حكى الكسائى عن
قوم انهم قالوا هو من المرارة أى كالشئ المر تكرهه النفوس وقيل هو من المرة بمعنى القوة
أى فى يوم قوى الشؤم مستحكمه كالشئ المحكم الفتل الذى لا يطاق نقضه والظاهر انه من
الاستمرار لا من المرارة ولا من المرة أى دام عليهم العذاب فيه حتى أهلكهم وشمل اهلاكه
كبيرهم وصغيرهم وقيل استمر بهم الى نار جهنم قال ابن عباس فى أيام شداد عن جابر بن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاربعاء يوم نحس مستمر أخرجه ابن
المنذر وابن مردويه وأخرجه هو عنه من وجه آخر مرفوعا وعن على أيضا مرفوعا وعن
أنس أيضا مرفوعا وفيه قيل وكيف ذاك يارسول الله قال أغرق الله فيه فرعون وقومه
وأهلك فيه عادا وثمود وأخرج ابن مردويه والخطيب بسند قال السيوطى ضعيف عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر قرأ
الجمهور باضافة يوم الى نحس مع سكون الحاء وهو من اضافة الموصوف الى الصفة او على
تقدير مضاف اى فى يوم عذاب نحس وقرئ بتنوين يوم على ان نحس صفة له وقرئ بكسر
الحاء (تنزع الناس) أوقع الظاهر موضع المضمر ليعم ذكورهم واناثهم والا فالأصل
تنزعهم اى تقلعهم من الارض من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها قال مجاهد
كانت تقلعهم من الارض فترمى بهم على رؤسهم فتدق اعناقهم وتبين رؤسهم من
اجسادهم وقيل تنزع الناس من البيوت وقيل من قبورهم لانهم حفروا احفائر ودخلوها
روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم

ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال قال ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن مسعود رضي الله عنه البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا اسناد صحيح عنه وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه والله أعلم (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان أدوا الي عباد الله اني لكم رسول أمين وان لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) يقول تعالى ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبط مصر وجاءهم رسول كريم يعني موسى كليمه عليه الصلاة والسلام ان أدوا الي عباد الله كقوله عز وجل ان ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى وقوله جل وعلا اني لكم رسول أمين اي مأمون على ما أبلغكموه وقوله تعالى وان لا تعلوا على الله اي لا تستكبروا عن اتباع آياته والانقياد لحججه والايمان ببراهينه كقوله عز وجل ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اني آتيكم بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة واضحة وهي ما أرسله الله تعالى به من الآيات البينات والادلة القاطعات واني عذت بربي وربكم ان ترجمون قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو صالح هو الرجم باللسان وهو الشتم وقال قتادة الرجم بالحجارة أي أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من ان تصلوا الي بسوء من قول أو فعل وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون أي فلا تتعرضوا الي ودعوا الامر بيني وبينكم مسالمة الى ان يقضي الله بيننا فلما طال مقامه صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم كل ذلك وما زادهم ذلك الا كفرا وعنادا دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم كما قال تبارك وتعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى

موتى (كأنهم) وحالهم ما ذكر (أعجاز نخل منقعر) الاعجاز جمع عجز وهو مؤخر كل شئ وعن ابن عباس قال أصول النخل وعنه أعجاز سواد النخل والمنقعر المنقطع المنقلع من أصله يقال قعرت النخلة اذا قطعتها من أصلها حتى تسقط شبههم في طول قاماتهم حين صرعتهم الريح وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الارض التي ليس لها رؤس وذلك ان الريح قلعت رؤسهم اولا ثم كبتهم على وجوههم وهذا ما جرى عليه الزجاج وغيره وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم في الارض باجسامهم فكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم يقصدون مقاومة الريح لما صرعتهم وألقتهم على الارض فكأنها أقلعت أعجاز نخل منقعر وتذكير منقعر مع انه صفة لاعجاز نخل وهي مؤنثة اعتبارا باللفظ ويجوز تأنيثه اعتبارا بالمعنى كما قال أعجاز نخل خاوية قال المبرد كل ما ورد عليك من هذا الباب ان شئت رددته الى اللفظ تذكيرا أو الى المعنى تأنيثا وقيل ان النخل والنخيل يذكر ويؤنث (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أو انذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم كرر للتهويل وقال ابو السعود تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما قيل وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) انكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم ثم لما ذكر سبحانه تكذيب عاد أتبعه ببيان تكذيب ثمود فقال (كذبت ثمود بالنذر) جمع نذير اي كذبت بالرسل المرسلين او مصدر بمعنى الانذار اي كذبت بالانذار الذي انذروا به وانما كان تكذيبهم لرسولهم وهو صالح تكذيبا للرسل لان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب سائرهم لاتفاقهم في الدعوة الى كليات الشرائع (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه) الاستفهام للانكار اي كيف نتبع بشرا كائنا من جنسنا منفردا وحده لا متابع له على ما يدعو اليه قرأ الجمهور بنصب بشرا على الاشتغال اي انتبع بشرا واحدا منا وهو الراجح لتقدم أداة هي بالفعل اولى وقرئ بالرفع على الابتداء وواحد صفته ونتبعه خبره وقرئ برفع بشر ونصب واحد على الحال (انا اذا لفي ضلال) اي انا اذا اتبعناه لفي خطا وذهاب عن الحق والصواب (وسعر) اي عذاب وعناء وشدة كذا قال

يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما وهكذا قال ههنا فلما رأيه أن هؤلاء قوم مجرمون فعند ذلك أمره الله تعالى
ان يخرج بني اسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ولهذا قال جل جلاله فاسر بعبادي ليلا انكم
متبعون كما قال تعالى ولقد أوحينا الى موسى ان أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى وقوله
عز وجل ههنا واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبنو اسرائيل البحر أراد
موسى ان يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير (١٦٠) حائلا بينهم وبين فرعون فلا يصل اليهم فأمره الله تعالى أن يتركه على
حاله ساكنا وبشره بانهم جند
مغرقون فيه وانه لا يخاف دركا
ولا يخشى قال ابن عباس رضي الله
عنهما واترك البحر رهوا كهيئته
وامضه وقال مجاهد رهوا طريقا
يبسا كهيئته يقول لا تأمره يرجع
اتركه حتى يرجع آخرهم وكذا قال
عكرمة والربيع بن أنس والضحاك
وقتادة وابن زيد وكعب الاحبار
وسماك بن حرب وغير واحد ثم
قال تعالى كم تركوا من جنات وهي
البساتين وعيون والمراد بها الانهار
والآبار ومقام كريم وهي المساكن
الانيقة والاماكن الحسنة وقال
مجاهد وسعيد بن جبير ومقام كريم
المنابر وقال ابن لهيعة عن وهب بن
عبد الله المغافري عن عبد الله بن
عمرو رضي الله عنهما قال نيل مصر
سيد الانهار سخر الله تعالى له كل
نهر بين المشرق والمغرب وذلله له
فاذا أراد الله عز وجل أن يجري
نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فامدته
الانهار بمائها وفجر الله تبارك
وتعالى له الارض عيونا فاذا انتهى
جريته الى ما أراد الله جل وعلا
أوحى الله تعالى الى كل ماء ان يرجع
الى عنصره وقال في قول الله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ان
قال كانت الجنان بحافتي نهر النيل من أوله الى آخره في الشقين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وكان له تسع (٣) خلج خليج
الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنتهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ وزروع
ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من
قناطرها وجسورها وخلجها ونعمة كانوا فيها فاكهين اى عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤا ويلبسون ما أحبوا مع

(٣) هكذا في الاصول التي بايدينا وحرر العدد اه مصححه

الفراء وغيره وقال ابو عبيدة هو جمع سعير وهو لهب النار والسعر الجنون يذهب كذا وكذا
لما يتلهب به من الحدة وقال مجاهد سعر بعد عن الحق وقال السدي في احتراق وقيل
المراد به هنا الجنون من قولهم ناقة مسعورة اى كأنها من شدة نشاطها مجنونة وقال ابن
عباس في شقاء ثم كرروا الانكار والاستبعاد فقالوا (أألقي الذكر عليه من بيننا) اى كيف
خص من بيننا بالوحي والنبوة وفينا من هو أحق بذلك منه ثم اضربوا عن الانكار وانتقلوا
الى الجزم بكونه كذابا اشرا فقالوا (بل هو كذاب اشر) الاشر المرح والنشاط أو البطر
والتكبر وتفسيره بالبطر والتكبر انسب بالمقام قرأ الجمهور أشر كفرح صفة مشبهة على انه
افعل التفضيل وقرئ بضم الشين وفتح الهمزة ثم اجاب سبحانه عليهم بقوله (سيعلمون غدا)
السين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بقوله غدا وقت نزول العذاب الذي حل
بهم في الدنيا أو في يوم القيامة جريا على عادة الناس في التعبير بالغد عن المستقبل من الامر
وان بعد كما في قولهم ان مع اليوم غدا والاول أولى قرأ الجمهور بالتحتية على انها اخبار من
الله سبحانه لصالح عن وقوع العذاب عليهم بعد مدة على سبيل الالتفات وقرئ بالتاء
على انه خطاب من صالح لقومه (من الكذاب الاشر) من استفهامية اى اى فريق هو
الكذاب الاشر المتكبر البطر أهو هم أم صالح عليه السلام (انا مرسلو الناقة) مستأنفة
لبيان ما تقدم اجماله من الوعيد ومبادي الموعود به حتما اى انا مخرجوها من الصخرة على
حسب ما اقترحوه وموجدوها لهم (فتنة لهم) اى ابتلاء وامتحانا واختبارا (فارتقبهم)
اى انتظر ما يصنعون وما يصنع بهم (واصطبر) اى اصبر على ما يصيبك من الاذى منهم ولا
تعجل حتى يأتيك امرنا (ونبئهم) اى اخبرهم اخبارا عظيما عن امر عظيم وهو (ان الماء
قسمة بينهم) أي بين ثمود وبين الناقة لها يوم لا تدع في البئر قطرة يأخذها أحد منهم ولهم يوم
لا تشاركهم فيه كما في قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال بينهم بضمير العقلاء تغليبا
قرأ الجمهور قسمة بكسر القاف بمعنى مقسوم وقرئ بفتحها (كل شرب) هو بكسر
الشين الحظ من الماء والنصيب (محتضر) أي انه يحضره من هو له فالناقة تحضره يوما
وهم يحضرونه يوما قال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم فيشربون و يحضرون
يوم نوبتها فيحتلبون (فنادوا صاحبهم) أي فتمادوا على ذلك أو فبقوا على ذلك مدة ثم
ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها والفاء فصيحة تفصح

مع الاموال والجاهات والحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا الى جهنم وبئس المصير واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو اسرائيل كما قال تبارك وتعالى كذلك وأورثناها بني اسرائيل وقال في الآية الاخرى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقال عز وجل ههنا كذلك وأورثناها قوما آخرين وهم بنو اسرائيل كما تقدم وقوله سبحانه وتعالى فما (١٦١) بكت عليهم السماء والارض أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم في الارض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا أحمد بن اسحق البصري حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا موسى ابن عبيدة حدثني يزيد الرقاشي حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية فما بكت عليهم السماء والارض وذكر أنهم لم يكونوا عملوا على الارض عملا صالحا يبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم ورواه ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة وهو الربذي وقال ابن جرير حدثني يحيى بن طلحة حدثنا عيسى ابن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال قال

ان في الكلام محذوفا وهو ما تقدم والمعنى نادى ثمود صاحبهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة يحضونه على عقرها (فتعاطى) التعاطي تناول الشيء بتكلف أي تناول الناقة بسيفه (فعقر) أو اجترأ على تعاطي أسباب العقر فعقرها غير مكترث قال محمد بن اسحق كمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها ثم نحرها موافقة لهم (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وبينه بقوله (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) قال عطاء يريد صيحة جبريل بل صاح بهم في اليوم الرابع من عقر الناقة لانه كان في يوم الثلاثاء ونزول العذاب بهم كان في يوم السبت وقد مضى بيان هذا في سورة هود والاعراف (فكانوا كهشيم المحتظر) قرأ الجمهور بكسر الظاء والهشيم حطام الشجر ويابسه والمحتظر صاحب الحظيرة وهو الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها عن برد الريح يقال احتظر على غنمه اذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض قال في الصحاح المحتظر الذي يعمل الحظيرة أي من يابس الشجر والشوك يحفظ الغنم من السباع والذئاب والحظيرة زريبة الغنم ونحوها قاله الشهاب وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة فمن قرأ بالكسر أراد الفاعل للاحتظار ومن قرأ بالفتح أراد الحظيرة وهي فعيلة بمعنى مفعولة ومعنى الآية أنهم صاروا كالشجر اذا يبس في الحظيرة وداسته الغنم بعد سقوطه وقال قتادة هو العظام النخرة المحترقة وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري هو ما يتناثر من الحظيرة اذا ضربتها بالعصى قال ابن زيد العرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما والمتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقال ابن عباس كحظائر من الشجر محترقة وكالعظام المحترقة وكالحشيش تأكله الغنم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) فائدة تكرير هذه الآية ان يجددوا عند استماع كل نبإ من أنباء الاولين اذكارا واتعاظا وان يستأنفوا تيقظا وانتباها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث اليه وكذلك تكرير الانباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط بأنهم كذبوا رسل الله كما كذبهم غيرهم فقال (كذبت قوم لوط بالنذر) أي بالامور المنذرة لهم على لسانه ثم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا ألا لا غربة على مؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والارض ثم قال انهما لا يبكيان على الكافر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سأل رجل عليا رضي الله عنه هل تبكي السماء والارض على أحد فقال له لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك انه ليس عبد الا له مصلى في الارض ومصعد عمله من السماء وان آل فرعون لم يكن

بين سبحانه ما عذبهم به فقال (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أي ريحا ترميهم بالحصباء بالمد وهي الحصا ومنه المحصب وهو موضع بالحجاز قال أبو عبيدة والنضر بن شميل الحاصب الحجارة في الريح قال في الصحاح الحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء والحصب بفتحتين ما تحصب به النار أي ترمى وكل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به وبابه ضرب وتذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهي مؤنث سماعي لكونها في تأويل العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قوله لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الذي أرسل عليهم نفس الحجارة لا الريح التي تحصبها الا انه قيل ههنا أرسلنا عليهم حاصبا للدلالة على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح اياها (الا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه ومن تبعه وفي الاستثناء وجهان أحدهما انه متصل أي أرسل الحاصب على الجميع الا أهله فانه لم يرسل عليهم والثاني انه منقطع وبه قال أبو البقاء ولا أدري ما وجهه فان الانقطاع وعدمه عبارة عن عدم دخول المستثنى في المستثنى منه ودخوله فيه وهذا داخل ليس الا وهو كلام مشكل (نجيناهم بسحر) أي آخر الليل وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أول النهار فيكون فيه مخائل الليل ومخائل النهار وقيل هما سحران الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وانصرف سحر لانه نكرة لم يقصد به سحر ليلة معينة ويوم معين ولو قصد معينا لامتنع كذا قال الزجاج والاخفش وغيرهما والباء بمعنى في أو هي للملابسة أي حال كونهم متلبسين بسحر (نعمة من عندنا) النصب على العلة أو على المصدرية أي انعاما منا على لوط ومن تبعه (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء (نجزي من شكر) نعمتنا ولم يكفرها مع أصل الايمان أو من ضم الى الايمان عمل الطاعات (ولقد أنذرهم بطشتنا) أي أنذر لوط قومه بطشة الله بهم وهي عذابه الشديد وعقوبته البالغة (فتماروا بالنذر) أي شكوا في الانذار ولم يصدقوه وهو تفاعلوا من المرية وهي الشك أو تجادلوا وكذبوا بانذاره (ولقد راودوه عن ضيفه) أي أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دأبهم يقال راودته عن كذا مراودة ورودا أي أردته وراد الكلام يروده رودا أي طلبه المرة بعد المرة فالمعنى طلبوه المرة بعد المرة ان يخلي بينهم وبينهم وقد تقدم تفسير المراودة في سورة هود

(فطمسنا

لهم عمل صالح في الارض ولا عمل يصعد في السماء ثم قرأ علي رضي الله عنه فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد بن جبير قال أتى ابن عباس رضي الله عنهما رجل فقال يا أبا العباس أرأيت قول الله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين فهل تبكي السماء والارض على أحد قال رضي الله عنه نعم انه ليس أحد من الخلائق الا وله باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فاغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه (١٦٢) عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه واذا فقده مصلاه من الارض الذي كان يصلي فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكت عليه وان قوم فرعون لم تكن لهم في الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد الى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والارض وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو هذا وقال سفيان الثوري عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان يقال تبكي الارض على المؤمن أربعين صباحا وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد وقال مجاهد أيضا ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا قال فقلت له أتبكي الارض فقال أتعجب وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل وقال قتادة كانوا أهون على الله عز وجل من ان تبكي عليهم السماء والارض وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد السلام ابن عاصم حدثنا اسحق بن اسمعيل حدثنا المستورد بن سابق عن عبيد المكتب عن ابراهيم قال ما بكت السماء منذ كانت الدنيا الا على اثنين قلت لعبيد أليس السماء والارض تبكي على المؤمن قال ذاك مقامه حيث يصعد عمله قال وتدري ما بكاء السماء قلت لا قال تحمر وتصير وردة كالدهان ان يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دما وان الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد ابن عمرو زنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وهكذا قال السدي الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها ان تحمر اطرافها وذكروا أيضا في مقتل الحسين رضي

الله عنه انه ماقلب حجر يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وانه كسفت الشمس واحمر الافق وسقطت حجارة وفي كل ذلك نظر والظاهر انه من خسف الشيعة وكذبهم ليعظموا الامر ولاشك انه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ماهو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شئ مما ذكروه فانه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أفضل منه بالاجماع ولم يقع شئ من ذلك وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصورا مظلوما ولم يكن شئ من ذلك وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شئ من ذلك (١٦٣) وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شئ مما ذكروه ويوم مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت ابراهيم فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم ان الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته وقوله تبارك وتعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين يمتن تعالى عليهم بذلك حيث أنقذهم مما كانوا فيه من اهانة فرعون واذلاله لهم وتسخيره اياهم في الاعمال المهينة الشاقة وقوله تعالى من فرعون انه كان عاليا أي مستكبرا جبارا عنيدا كقوله عز وجل ان فرعون علا في الارض وقوله جلت عظمته فاستكبروا وكانوا قوما عالين من المسرفين اى مسرف في أمره سخيف الرأي على نفسه وقوله جل جلاله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال مجاهد اخترناهم على علم على العالمين على من هم بين ظهريه وقال قتادة اختيروا على أهل زمانهم ذلك وكان يقال ان لكل زمان عالما وهذه كقوله تعالى قال ياموسى اني اصطفيتك على الناس أي أهل زمانه ذلك كقوله عز وجل لمريم عليها السلام واصطفاك على نساء العالمين أي في زمنها فان خديجة رضي الله عنها اما أفضل منها أو مساوية لها في الفضل وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقوله جل جلاله وآتيناهم من الآيات أي الحجج والبراهين وخوارق العادات مافيه بلاء مبين أي اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به (ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ومانحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) يقول تعالى منكرا على المشركين في انكارهم البعث

(فطمسنا أعينهم) الطموس الدرس والانمحاء قاله في المختار أي صيرناها ممسوحة لايرى لها شق كما تطمس الريح الاعلام بما تسفي عليها من التراب وقيل اذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الاعين على صورتها قال الضحاك طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل فرجعوا (فذوقوا) أي فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد بهذا الامر الخبر أي أذقتهم (عذابي ونذر) يعني ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أي أتاهم صباحا من يوم غير معين (عذاب) نازل عليهم (مستقر) دائم لايفارقهم ولا ينفك عنهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ولعل وجه تكرير تيسيرا لقرآن بالذكر في هذه السورة الاشعار بانه منة عظيمة لا ينبغي لاحد ان يغفل عن شكرها ولان في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ وهذا حكم التكرير في قوله فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) جمع نذير او مصدر بمعنى الانذار كما تقدم وهي الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى وهذا أولى لقوله (كذبوا بآياتنا كلها) فانه بيان لذلك والمراد بها الآيات التسع التي تقدم ذكرها وقيل النذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء (فأخذناهم) بالعذاب (أخذ عزيز مقتدر) أي أخذ غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لايعجزه شئ ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (أكفاركم خير من أولئكم) الاستفهام للانكار والمعنى النفي أي ليس كفاركم يا أهل مكة أو يا معشر العرب خير من كفار من تقدمكم من الامم الذين أهلكوا بسبب الكفر فكيف تطمعون في السلامة من العذاب وأنتم شر منهم قال ابن عباس يقول ليس كفاركم خيرا من قوم نوح وقوم لوط وقيل من قوم عاد وثمود وفرعون وقومه ثم أضرب سبحانه عن ذلك وانتقل الى تبكيتهم بوجه آخر هو أشد من التبكيت بالوجه الاول فقال (أم لكم براءة في الزبر) هي الكتب المنزلة على الانبياء والمعنى انكار ان تكون لهم براءة من عذاب الله في شئ من كتب

والمعاد وانه ما ثم الا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقا فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فان المعاد انما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله تعالى العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم قال تعالى متهددا لهم ومتوعدا ومنذرا لهم بأسه الذي لا يرد كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث كقوم تبع وهم (١٦٤) سبأ حيث أهلكهم الله عز وجل وخرب بلادهم وشردهم في البلاد وفرقهم شذر مذر كما تقدم ذلك في سورة سبأ وهي مصدرة بانكار المشركين للمعاد وكذلك ههنا شبههم بأولئك وقد كانوا عربا من قحطان كما ان هؤلاء عرب من عدنان وقد كانت حمير وهم سبأ كلما ملك فيهم رجل سموه تبعا كما يقال كسرى لمن ملك الفرس وقيصر لمن ملك الروم وفرعون لمن ملك مصر كافرا والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من اعلام الاجناس ولكن اتفق ان بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل الى سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه واتسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة فاتفق انه مر بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية فاراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار وجعلوا يقرونه بالليل فاستحيا منهم وكف عنهم واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه واخبراه انه لا سبيل له على هذه البلدة فانها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها وأخذهما معه الى بلاد اليمن فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه عن ذلك أيضا

الانبياء ثم أضرب عن هذا التبكيت وانتقل الى التبكيت لهم بوجه آخر فقال (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي جماعة لا تطاق لكثرة عددنا وقوتنا أو أمر ناجتمع لا نغلب وافرد منتصر اعتبارا بلفظ جميع وموافقة لرؤس الآي أو المعنى نحن كل واحد منا منتصر قال الكلبي المعنى نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا ولا نرام ولا نضام فرد الله سبحانه عليهم بقوله (سيهزم الجمع) أي جمع كفار مكة أو كفار العرب على العموم قرأ الجمهور بالتحتية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون وكسر الزاي ونصب الجمع وقرئ بالتحتية مبنيا للفاعل وبالفوقية على الخطاب مبنيا للفاعل (ويولون الدبر) قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية على الخطاب والمراد بالدبر الجنس وهو في معنى الادبار وقيل وحد لاجل رؤس الآي وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الادبار وقتل رؤساء الشرك وأساطين الكفر فلله الحمد وهذه من علامات النبوة قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر قالوا نحن جميع منتصر فنزلت هذه الآية (بل الساعة موعدهم) أي موعد عذابهم الاخروي بعد بدر وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والاسر والقهر هو تمام ما وعدوا به من العذاب وانما هو مقدمة من مقدماته وطليعة من طلائعه ولهذا قال (والساعة أدهى) أي وعذاب الساعة أعظم في الضر وأفظع وأشد من موقف بدر يقال دهاه أمر كذا أي أصابه دهوا ودهيا والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه مأخوذ من الدهاء وهو النكر والفظاعة واظهار الساعة في مقام اضمارها لزيادة تهويلها (وأمر) أي أشد مرارة من عذاب الدنيا في البخاري وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع ويقول سيهزم الى قوله أدهى وأمر (ان المجرمين) أي المشركين (في ضلال وسعر) أي في ذهاب عن الحق وبعد عنه وفي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا وفي نار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال عن طريق الجنة وسعر أي عذاب الآخرة أو في هلاك ونيران في الآخرة وقد تقدم في هذه السورة تفسير سعر فلا نعيده (يوم يسحبون في النار على وجوههم) أي كائنون في ضلال وسعر يوم يسحبون أو يوم يسحبون

واخبراه بعظمة هذا البيت وانه من بناء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وانه سيكون له شأن عظيم على يقال يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان فعظمها وطاف بها وكساها الملاء والوصائل والحبر ثم كر راجعا الى اليمن ودعا أهلها الى التهود معه وكان اذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام فتهود معه عامة أهل اليمن وقد ذكر القصة بطولها الامام محمد بن اسحق في كتابه السيرة وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومما لم نذكر وذكر انه ملك دمشق وانه كان اذا استعرض الخيل صفت له من دمشق الى اليمن ثم ساق من

طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ادري الحدود طهارة لاهلها أم لا ولا أدري تبع لعينا كان أم لا ولا أدري ذو القرنين نبيا كان أم ملكا وقال غيره عزيرا كان نبيا أم لا كذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الظهراني عن عبد الرزاق قال الدارقطني تفرد به عبد الرزاق ثم روى ابن عساكر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا عزير لا ادري أنبيا كان أم لا ولا ادري ألعن تبعا أم لا ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتي ان شاء الله تعالى وكأنه والله أعلم كان

كافرا ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام وحج البيت في زمن الجرهميين وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه ثم عاد الى اليمن وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسوطة عن أبي ابن كعب وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكعب الاحبار واليه المرجع في ذلك كله والى عبد الله بن سلام أيضا وهو أثبت وأكبر وأعلم وكذا روى قصته وهب بن منبه ومحمد بن اسحق في السيرة كما هو مشهور فيها وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل فان تبعا هذا المشار اليه في القرآن أسلم قومه على يديه ثم لما توفي عادوا بعده الى عبادة النيران والاصنام فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبا وقد بسطنا قصتهم هنالك ولله الحمد والمنة وقال سعيد بن جبير كسا تبع الكعبة وكان سعيد ينهى عن سبه وتبع هذا هو تبع الاوسط واسمه أسعد أبو كريب بن ملكيكرب اليماني ذكروا انه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستة وعشرين سنة ولم يكن في حمير أطول مدة منه وتوفي قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من سبعمائة سنة وذكروا انه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة ان هذه البلدة مهاجر نبي في آخر الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند أهل المدينة فكانوا يتوارثونه ويروونه خلفا عن سلف وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في

يقال لهم (ذوقوا مس سقر) اى قاسوا حرها وشدة عذابها كقولهم وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب قال الكرخي ان مس سقر مجاز عن اصابتها بعلاقة السببية والظاهر من تقرير الكشاف انه من الاستعارة بالكناية وسقر علم لجهنم غير منصرف للتأنيث والتعريف من سقرته النار اذا لوحته أخرج احمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت يوم يسحبون الخ (انا كل شيء خلقناه بقدر) اى كل شيء من الاشياء خلقه الله سبحانه متلبسا بقدر قدره وقضاء قضاه سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه والقدر التقدير والعامة على نصب كل بالاشتغال وقرئ بالرفع وقد رجح الناس النصب بل اوجبه بعضهم قال لان الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد اهل السنة (١) وقال ابو البقاء وانما كان النصب اولى لدلالته على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه بل يفيد ان كل شيء مخلوق فهو بقدر وانما دل نصب كل على العموم لان التقدير انا خلقنا كل شيء بقدر فخلقناه تأكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات وللسمين هنا كلام مبسوط لا نطول بذكره اخرج مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة أخرجه مسلم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر أخرجه الترمذي واستغربه وفي الباب احاديث بين صحيح منها وضعيف قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات أي خلقهن قال النووي ان مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه انها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب

(١) قوله على قواعد أهل السنة وذلك انه اذا رفع كل شيء كان مبتدأ وخلقناه صفة لكل أو لشيء وبقدر خبره وحينئذ يكون له مفهوم لا يخفى على متأمله فيلزم أن يكون هناك شيء ليس مخلوقا لله تعالى وليس بقدر كذا قرره بعضهم اهـ سيد ذو الفقار أحمد

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم داره وجو

وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غم وذكر ابن أبى الدنيا انه حفر قبر بصنعاء فى الاسلام فوجد فيه

امرأتين صحيحتين وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حبى ولميس وروى حبى وتماضر ابنتى تبع ماتتا وهما

يشهدان أن لا اله الا الله ولا يشركن به شيأ وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وقد ذكرنا فى سورة سبأ شعر سبأ فى ذلك أيضا قال قتادة

ذكر لنا ان كعبا كان يقول فى تبع نعت نعت (١٦٦) الرجل الصالح ذم الله تعالى قومه ولم يذمه قال وكانت عائشة رضى الله

عنها تقول لا تسبوا تبعا فانه قد كان رجلا صالحا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبى زرعة يعنى عمرو بن جابر الحضرمى قال سمعت سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه قد كان أسلم ورواه الامام أحمد فى مسنده عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة به وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن على الابار حدثنا أحمد بن محمد بن أبى برزة حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى تبع نبيا كان أم غير نبى وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبى حاتم كما أورده ابن عساكر لا أدرى تبع كان لعينا أم لا فالله أعلم ورواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى المدنى عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا وقال عبد الرزاق أخبرنا عمران أبو الهذيل أخبرنى تميم بن عبد الرحمن قال قال عطاء بن أبى رباح لا تسبوا تبعا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سبه والله تعالى أعلم

(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم) يقول تعالى مخبرا عن عدله وتنزهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل كقوله جل وعلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا

ما قدرها الله وأنكرت القدر بهذا أو زعمت انه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانما مستأنفة العلم أى انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا انتهى وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة السنة أحسن تقرير بالدلائل القطعية السمعية والعقلية ليس هذا موضع بسطه والله تعالى أعلم (وما أمرنا) لشئ نريد وجوده (الا واحدة) أى الا كلمة واحدة أو فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة أو كلمة واحدة وهى قوله كن فيكون فبينا أن الفرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقيل المراد بالامر القيامة (كلمح بالبصر) فى سرعته واللمح النظر على العجلة والسرعة وفى الصحاح لمحه وألمحه اذا أبصره بنظر خفيف والاسم اللمحة أى فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا بل أيسر قال الكلبى وما أمرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم وقيل أتباعكم وأعوانكم والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا ان يصيبكم ما أصابهم ولذلك تسبب عنه قوله (فهل من مدكر) يتذكر ويتعظ بالمواعظ ويعلم ان ذلك حق فيخاف العقوبة وأن يحل به ما حل بالامم السالفة (وكل شئ فعلوه فى الزبر) أى جميع ما فعلته الامم من خير أو شر مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل فى كتب الحفظة ودواوينهم (وكل صغير وكبير مستطر) يقال سطر يسطر سطرا كتب وأسطر مثله أى كل شئ من أعمال الخلق أقوالهم وأفعالهم وما هو كائن مسطور فى اللوح المحفوظ صغيره وكبيره وجليله وحقيره قال ابن عمر مسطور فى الكتاب ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال الاشقياء ذكر حال السعداء فقال (ان المتقين فى جنات ونهر) أريد به الجنس لمناسبة جمع الجنات وانما أفرد فى اللفظ لموافقة رؤس الآى وبه قرأ الجمهور وهو يشمل انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقرئ بسكون الهاء وهما لغتان وقرئ بضم النون والهاء على الجمع شاذا والمعنى انهم فى بساتين مختلفة وجنان متنوعة وأنهار متدفقة وقيل النهر السعة والضياء ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم والاول أولى (فى مقعد صدق) من اضافة الموصوف الى الصفة أى فى مجلس حق ومكان مرضى

من النار وقال تعالى أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ثم قال تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين وقوله عز وجل ميقاتهم أجمعين أي يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا أي لا ينفع قريب قريبا كقوله سبحانه وتعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وكقوله جلت عظمته ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم أي لا يسأل اخاله عن حاله وهو يراه عيانا وقوله جل وعلا ولا هم ينصرون أي (١٦٧) لا ينصر القريب قريبه ولا يأتيه نصره من خارج ثم قال الا من رحم الله أي لا ينفع يومئذ الا رحمة الله عز وجل بخلقه انه هو العزيز الرحيم أي هو عزيز ذو رحمة واسعة (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون) يقول تعالى مخبرا عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقائه ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والاثيم أي في قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد انه أبو جهل ولا شك في دخوله في هذه الآية ولكن ليست خاصة به قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن همام بن الحرث ان أبا الدرداء كان يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فقال طعام اليتيم فقال أبو الدرداء رضي الله عنه قل ان شجرة الزقوم طعام الفاجر أي ليس له طعام من غيرها قال مجاهد ولو وقعت قطرة منها في الارض لافسدت على أهل الارض معايشهم وقد تقدم نحوه مرفوعا وقوله كالمهل قالوا كعكر الزيت يغلي في البطون كغلي الحميم أي من حرارتها ورداءتها وقوله خذوه أي الكافر وقد ورد انه تعالى اذا قال للزبانية خذوه ابتدره سبعون الفا منهم وقوله فاعتلوه أي سوقوه سحبا ودفعا في ظهره قال مجاهد خذوه فاعتلوه أي خذوه فادفعوه وقال الفرزدق ليس الكرام بناحليك أباهم * حتى ترد الى عطية تعتل الى سواء الجحيم أي وسطها ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كقوله عز وجل يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود وقد تقدم ان الملك يضربه بمقمعة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه فيسلت ما في بطنه من امعائه حتى تمرق من كعبيه أعاذنا الله

لا لغو فيه ولا كذب ولا تأثيم وهو الجنة وأريد به الجنس وقرئ مقاعد شاذا (عند مليك) أي عزيز الملك واسعه (مقتدر) أي قادر على ما يشاء لا يعجزه شيء وعند ههنا كناية عن الكرامة وشرف المنزلة وتقريب الرتبة بحيث ابهم على ذوي الافهام وفائدة التنكير فيهما ان يعلم ان لا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير

(سورة الرحمن هي ست أو ثمان وسبعون آية وهي مكية)

قال القرطبي كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر قال ابن عباس الا آية منها وهي قوله يسأله من في السموات والارض الآية وصوابه الآيتين كما صرح به الكازروني والآيتان هما يسأله الى قوله كل يوم هو في شان هذه واحدة فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه أخرى وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والاول أصح قال ابن الزبير أنزلت بمكة وعن عائشة نزلت بمكة وعن ابن عباس مثله وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون فبأي آلاء ربكما تكذبان أخرجه احمد وابن مردويه قال السيوطي بسند حسن وعن ابن عباس نزلت سورة الرحمن بالمدينة ويمكن الجمع بين القولين بانه نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة وعن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال مالي اراكم سكوتا لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد رواه الترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد وحكي عن الامام احمد انه كان يستنكر روايته عن زهير وقال البزار لا نعرفه يروى الا من هذا الوجه أخرجه البزار وابن جرير والدارقطني في الافراد وغيرهم من حديث ابن عمر وصحح السيوطي اسناده وقال البزار لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا من هذا الوجه بهذا الاسناد وعن علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تعالى من ذلك وقوله تبارك وتعالى ذق انك أنت العزيز الكريم أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أي لست بعزيز ولا كريم وقد قال الاموي في مغازيه حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل لعنه الله فقال ان الله تعالى أمرني ان أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال فنزع ثوبه من يده وقال ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء ولقد علمت اني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته (١٦٨) وأنزل ذق انك أنت العزيز الكريم وقوله عز وجل ان هذا ما كنتم به تمترون كقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولهذا قال تعالى ههنا ان هذا ما كنتم به تمترون (ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون) لما ذكر تعالى حال الاشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمي القرآن مثاني فقال ان المتقين أي لله في الدنيا في مقام أمين أي في الآخرة وهو الجنة قد أمنوا فيها من الموت والخروج ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ومن الشيطان وكيده وسائر الآفات والمصائب في جنات وعيون وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم وقوله تعالى يلبسون من سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها واستبرق وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعالي القماش متقابلين أي على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره الى غيره وقوله تعالى كذلك وزوجناهم بحور عين أي هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كأنهن الياقوت والمرجان هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نوح بن حبيب حدثنا نصر بن مزاحم العطار حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضي الله عنه رفعه نوح قال لو ان حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها وقوله عز وجل يدعون فيها بكل فاكهة آمنين أي مهما يتكلمون

(الرحمن) مبتدأ وما بعده من الافعال خبر له ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي الله الرحمن أو مبتدأ خبره محذوف أي الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من يرى ان الرحمن آية مع هذا المضمر (١) وعلى الوجه الاول ليس بآية (علم القرآن) أي يسره للذكر ليحفظ ويتلى قاله الزجاج قال الكلبي علم القرآن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمته وقيل علم جبريل القرآن وقيل علم الانسان وهذا أولى لعمومه ولان قوله خلق الانسان دال عليه وقيل جعله علامة لما يعبد الناس به وآية يعتبر بها قيل نزلت هذه الآية جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وقيل جوابا لقولهم وما الرحمن ولما كانت هذه السورة لتعداد نعمه التي انعم بها على عباده قدم النعمة التي هي اجلها قدرا واكثرها نفعا واعلاها رتبة واتمها فائدة واعظمها عائدة وهي نعمة تعليم القرآن العزيز فانها مدار سعادة الدارين وقطب رحى الخيرين وعماد الامرين وسنام الكتب السماوية المنزل على افضل البرية ثم امتن بعد هذه النعمة بنعمة الخلق التي هي مناط كل الامور ومرجع جميع الاشياء فقال (خلق الانسان) أي آدم قاله قتادة والحسن وقال ابن كيسان المراد هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاولى حمل الانسان على الجنس وقدم تعليم القرآن للانسان على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه أفاده السمين ثم امتن ثالثا بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم ويدور عليه التخاطب وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد لانه لا يمكن ابراز ما في الضمائر ولا اظهار ما يدور في الخلد الا به فقال (علمه البيان) قال قتادة والحسن المراد بالبيان أسماء كل شيء وقيل المراد به اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس أي علمه النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم علمه بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وآله وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقال ابن كيسان المراد به بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وهو بعيد وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن أنس هو ما ينفعه مما يضره وقيل البيان الكتابة بالقلم والاولى حمل البيان على تعليم كل قوم لسانهم الذي

(١) وذلك انهم عدوا الرحمن آية ولا يتصور ذلك الا بانضمام خبر أو مخبر عنه اليه اذ الآية لا بد أن تكون مفيدة اه سيد دحلان والقارئ أحمد

عملوا من أنواع الخير أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر إليهم كلما أرادوا وقوله لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى هذا استثناء يؤكد النفي فإنه استثناء منقطع ومعناه أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقد تقدم الحديث في سورة مريم عليها الصلاة والسلام وقال عبد الرزاق حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحق عن أبي مسلم الأغر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي (١٦٩) الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه

يتشاكلون به (الشمس والقمر بحسبان) أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروج ومنازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين ويتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وقال ابن زيد وابن كيسان يعني أن بهما تحسب الأوقات والآجال والأعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب لأن الدهر يكون كله ليلاً أو نهاراً قال الضحاك معنى بحسبان بقدر وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحى يعني قطبهما الذي يدوران عليه قال الأخفش الحسبان جماعة الحساب مثل شهب وشهبان أو مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران وأما الحسبان بالضم في سورة الكهف فهو العذاب كما مضى وقال ابن عباس بحساب ومنازل يرسلان (والنجم والشجر يسجدان) النجم ما لا ساق له من النبات والشجر ما له ساق والمراد بسجودهما انقيادهما لأمر الله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين طوعاً وقال الفراء سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما في قوله يتفيأ ظلاله وقال الحسن ومجاهد المراد بالنجم نجم السماء وسجوده طلوعه ورجح هذا ابن جرير وقيل سجوده أفوله وسجود الشجر تمكينه من الاجتناء لثماره قال النحاس أصل السجود الاستسلام والانقياد لله وهذه الجملة والتي قبلها خبران آخران للرحمن وترك الرابط فيهما لظهوره كأنه قيل والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (والسماء رفعها) أي جعلها مرفوعة مسموكة فوق الأرض (ووضع الميزان) المراد به العدل أي وضع وأثبت في الأرض العدل الذي شرعه وأمر به كذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم قال الزجاج المعنى أنه أمرنا بالعدل ويدل عليه قوله (ألا تطغوا في الميزان) أي لا تجاوزوا العدل وقال الحسين والضحاك المراد به آلة الوزن ليتوصل بها إلى الإنصاف والانتصاف أي لا تجوروا فيما يوزن به وقيل الميزان القرآن لأن فيه بيان ما يحتاج إليه وبه قال الحسين ابن الفضل والأول أولى ومعنى أن لا تطغوا لئلا تطغوا فلا نافية وتطغوا منصوب بأن وقبلها لام العلة مقدرة وهذا أولى وقيل أن هي مفسرة لأن في الوضع معنى القول ولا للنهي والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال الميزان الآلة التي يوزن بها قال طغيانه البخس وقيل الميزان كل ما توزن به الأشياء وتعرف

وسلم يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً رواه مسلم عن إسحق بن راهويه وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به هكذا يقول أبو إسحق وأهل العراق أبو مسلم الأغر وأهل المدينة يقولون أبو عبد الله الأغر وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن الحجاج هو ابن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا ييأس ويحيا فيها فلا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا عمرو ابن محمد الناقد حدثنا سليم بن عبد الله الرقي حدثنا مصعب بن إبراهيم حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم أينام أهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري حدثنا المقدام بن داود حدثنا عبد الله بن المغيرة حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون وقال أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله هل ينام أهل الجنة قال صلى الله

عليه وسلم لا النوم أخو الموت ثم قال لا نعلم أحدا أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه الا الثوري ولا عن الثوري الا الفريابي هكذا قال وقد تقدم خلاف ذلك والله أعلم وقوله تعالى ووقاهم عذاب الجحيم أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الاليم في دركات الجحيم فحصل لهم المطلوب ونجاهم من المرهوب ولهذا قال عز وجل فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم أي انما كان هذا بفضله عليهم واحسانه اليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا ان أحدا لن (١٧٠) يدخله عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل وقوله تبارك وتعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون أي انما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلا واضحا بينا جليا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها لعلهم يتذكرون أي يتفهمون ويعملون ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم مسليا له وواعدا له بالنصر ومتوعدا لمن كذبه بالعطب والهلاك فارتقب أي انتظر انهم مرتقبون أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة فانها لك يا محمد ولاخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي الآية وقال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار آخر تفسير سورة الدخان ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الجاثية وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) يرشد تعالى خلقه الى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والارض وما فيهما من المخلوقات المختلفة الاجناس والانواع من الملائكة والجن والانس والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات وما في البحر من الاصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران هذا بظلامه وهذا بضيائه وما أنزل الله تبارك

مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل في أخذهم واعطائهم وقيل المعنى انه وضع الميزان في الآخرة لوزن الاعمال ثم أمر سبحانه باقامة العدل بعد اخباره للعباد بأنه وضعه لهم فقال (وأقيموا الوزن بالقسط) أي قوموا وزنكم بالعدل وقيل المعنى أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية قلت ومنه القسطاس بمعنى الميزان وقيل معناه لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل (ولا تخسروا الميزان) أي لا تنقصوه ولا تبخسوا الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل معناه لا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم والاول أولى وقال قتادة في هذه الآية اعدل ابن آدم كما تحب ان يعدل لك وأوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح الناس أمر سبحانه أولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو المجاوزة للحد بالزيادة ثم نهى عن الخسران الذي هو النقص والبخس وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه قرأ الجمهور تخسروا من أخسر وقرئ بفتح التاء والسين من خسر وهما لغتان ويقال أخسرت الميزان وخسرته ثم لما ذكر سبحانه انه رفع السماء ذكر انه وضع الارض فقال (والارض وضعها للأنام) أي خفضها مدحوة وبسطها على الماء لجميع الخلق مما له روح وحياة ولا وجه لتخصيص الانام بالانس والجن قال ابن عباس للانام للناس أي لاجل انتفاعهم بها وعنه قال كل شيء فيه روح (فيها فاكهة) أي كل ما يتفكه به الانسان من أنواع الثمار والجملة حال مقدرة والاحسن أن يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة رفعت بالفاعلية ونكرت لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى ثم أفرد النخل بالذكر لشرفه ومزيد فائدته على سائر الفواكه فقال (والنخل) المعهود (ذات الاكمام) جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام وأكمة وأكمام وأكاميم والكم ماستر شيأ ومنه كم القميص بالضم والجمع كمام وكمة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الرأس قال الحسن ذات الاكمام أي ذات الليف فان النخلة تكمم بالليف وكمامها الليف الذي في أعناقها وسعفها وكفرها وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره

وتعالى من السحاب من المطر فى وقت الحاجة اليه وسماه رزقا لان به يحصل الرزق فاحيا به الارض بعد موتها أى بعد ما كانت هامدة لانبات فيها ولاشئ وقوله عزوجل وتصريف الرياح أى جنوبا وشمالا ودبورا وصبا برية وبحرية ليلية ونهارية ومنها ماهو للمطر ومنها ماهو للقاح ومنها ماهو غذاء للارواح ومنها ماهو عقيم لاينتج وقال سبحانه وتعالى أولا لآيات للمؤمنين ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف الى ماهو أشرف منه وأعلى وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما (١٧١) أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقد أورد ابن أبى حاتم ههنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا غريبا فى خلق الانسان من الاخلاط الاربعة والله أعلم (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) يقول تعالى هذه آيات الله يعنى القرآن بما فيه من الحجج والبينات نتلوها عليك بالحق أى متضمنة الحق من الحق فاذا كانوا لايؤمنون بها ولا ينقادون لها فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ثم قال تعالى ويل لكل أفاك أثيم أى أفاك فى قوله كذاب حلاف مهين أثيم فى فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال يسمع ايات الله تتلى عليه أى تقرأ عليه ثم يصر أى على كفره بجحوده استكبارا وعنادا كأن لم يسمعها أى كأنه ما سمعها فبشره بعذاب أليم أى فاخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذابا أليما موجعا واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أى اذا حفظ شيأ من القرآن كفر به واتخذه سخريا وهزوا أولئك لهم عذاب مهين أى فى مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ولهذا روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال من ورائهم جهنم أى كل من اتصف بذلك سيصيرون

وجذوعه وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاحمال وقال ابن عباس أوعية الطلع (والحب ذو العصف والريحان) الحب هو جميع ما يقتات من الحبوب كالحنطة والشعير والذرة والارز والعصف قال السدى والفراء هو بقل الزرع وهو أول ما ينبت منه قال ابن كيسان يبدو أولا ورقا وهو العصف ثم يبدو له ساق ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث فى الاكمام الحب قال الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا قال فى الصحاح وقال الحسن العصف التبن وقال مجاهد هو ورق الشجر والزرع وقيل هو ورق الزرع الاخضر اذا قطع رأسه ويبس ومنه قوله كعصف مأكول وقيل هو الزرع الكثير قال قد أعصف الزرع ومكان معصف أى كثير الزرع قال ابن عباس العصف التبن والريحان خضرة الزرع وقال العصف ورق الزرع اذا يبس والريحان ما أنبتت الارض من الريحان الذى يشم وعنه قال العصف الزرع أول ما يخرج بقلا والريحان حين يستوى على سوقه ولم يسنبل والريحان الرزق فى قول الاكثر وفى لغة حمير وقال الحسن وقتادة والضحاك وابن زيد انه الريحان الذى يشم وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الكلبى ان العصف هو الورق الذى لايؤكل والريحان هو الحب المأكول وقال الفراء أيضا العصف المأكول من الزرع والريحان مالايؤكل وقيل الريحان كل بقلة طيبة الريح قال ابن الاعرابى يقال شئ ريحانى وروحانى أى له روح وقال فى الصحاح الريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت أبتغى ريحان الله وقيل العصف رزق البهائم والريحان رزق الناس قال ابن عباس كل ريحان فى القرآن فهو رزق قرأ الجمهور والحب ذو العصف والريحان برفع الثلاثة عطفا على فاكهة وقرئ بالنصب عطفا على الارض أو على اضمار فعل أى وخلق الحب ذا العصف وقرئ الريحان بالجر عطفا على العصف (فبأى آلاء) أى فبأى فرد من افراد نعم (ربكما تكذبان) أبتلك النعم المذكورة هنا أم بغيرها والمراد بالتكذيب الانكار والخطاب للجن والانس لان لفظ الانام يعمهما وغيرهما ثم خصص بهذا الخطاب من يعقل وبهذا قال الجمهور من المفسرين ويدل عليه قوله فيما سيأتى سنفرغ لكم أيه الثقلان ويدل على هذا ما قدمناه ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأها على الجن والانس وقيل الخطاب للانس وثناه على قاعدة العرب فى خطاب الواحد بلفظ التثنية كما قدمنا

الى جهنم يوم القيامة ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ أي لا ينفعهم أموالهم ولا أولادهم ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء أي ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيأ ولهم عذاب عظيم ثم قال تبارك وتعالى هذا هدى يعني القرآن والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم وهو المؤلم الموجع والله سبحانه وتعالى أعلم (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما (١٧٢) كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون)

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيما سخر لهم من البحر لتجري الفلك وهي السفن فيه بأمره تعالى فانه هو الذي أمر البحر بحملها ولتبتغوا من فضله أي في المتاجر والمكاسب ولعلكم تشكرون أي على حصول المنافع المجلوبة اليكم من الاقاليم النائية والآفاق القاصية ثم قال عز وجل وسخر لكم ما في السموات وما في الارض أي من الكواكب والجبال والبحار والانهار وجميع ما تنتفعون به أي الجميع من فضله واحسانه وامتنانه ولهذا قال جميعا منه أي من عنده وحده لا شريك له في ذلك كما قال تبارك وتعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه كل شيء هو من الله وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه المنازعون واستيقن انه كذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا الفريابي عن سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي اراكة قال سأل رجل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مم خلق الخلق قال من النور والنار والظلمة والثرى قال رأيت ابن عباس رضي الله عنهما فسأله فأتاه فقال له مثل ذلك فقال ارجع اليه فسله مم خلق ذلك كله فرجع اليه فسأله فتلا وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه هذا أثر غريب وفيه نكارة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وقوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي ليصفحوا عنهم ويتحملوا الاذى منهم وكان هذا في ابتداء الاسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ثم لما أصروا

في قوله ألقيا في جهنم والآلاء النعم قال القرطبي وهو قول جميع المفسرين واحدها الى وألى مثل معى وعصا والى وألى أربع لغات حكاها النحاس وزاد في القاموس الو وقال ابن زيد انها القدرة أي فبأي قدرة وبه قال الكلبي وقال ابن عباس فبأي نعمة الله وقال يعني الجن والانس وكرر سبحانه هذه الآية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا للتذكير بها على عادة العرب في الاتساع ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقبها لان من جملة الآلاء رفع البلاء وتأخير العقاب وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما بعدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الاوليين أخذا من قوله ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة أفاده شيخ الاسلام في متشابه القرآن قال القتيبي ان الله عدد في هذه السورة نعماءه وذكر خلقه آلاءه ثم أتبع كل خلة وضعها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع له احسانك وهو يكفره ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ألم تكن راجلا فحملتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا ومنه قول الشاعر

لا تقتلي رجلا ان كنت مسلمة * اياك من دمه اياك اياك

ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس بالاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليهم قال الحسين بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة وكررت هذه اللفظة في هذه السورة اما للتأكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى قال الجلال المحلي والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال قرأ علينا

على العباد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد هكذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقال مجاهد لا يرجون أيام الله لا ينالون نعم الله تعالى وقوله تبارك وتعالى ليجزى قوما بما كانوا يكسبون أي اذا صفحوا عنهم في الدنيا فان الله عز وجل مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ولهذا قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون أي تعودون اليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها والله سبحانه وتعالى أعلم (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم (١٧٣) بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) يذكر تعالى ما أنعم به على بني اسرائيل من انزال الكتب عليهم وارسال الرسل اليهم وجعله الملك فيهم ولهذا قال تبارك وتعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات أي من المآكل والمشارب وفضلناهم على العالمين أي في زمانهم وآتيناهم بينات من الامر أي حججا وبراهين وأدلة قاطعات فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة وانما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا ان ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي سيفصل بينهم بحكمه العدل وهذا فيه تحذير لهذه الامة ان تسلك مسلكهم وان تقصد منهجهم ولهذا قال جل وعلا ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها أي اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين وقال جل جلاله ههنا ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض أي وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضا فانهم لا يزيدونهم الا خسارا ودمارا وهلاكا والله ولي المتقين وهو تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ثم قال عز وجل هذا بصائر للناس يعني القرآن وهدى ورحمة لقوم يوقنون (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء

رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قلت ويؤخذ من هذا انه يسن لسامع القارئ لهذه السورة ان يجيبه بالجواب المذكور كلما قرأ الآية المذكورة كما فعلت الجن وأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ولام على الصحابة في سكوتهم وصرح بالسنية الكازروني في تفسيره وصنيع أبي السعود يقتضي ان الاستفهام للتوبيخ والانكار ولفظه الفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعم وصنوف الآلاء الموجبة للشكر والايمان حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ وقرئ آلاء على أصله بالمد والتوسط والقصر في جميع هذه السورة ولما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير وهو السماء والارض وما فيهما ذكر خلق العالم الصغير وقال (خلق الانسان) وهذا تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بواجب شكر النعم المتعلقة بذات كل واحد من الثقلين والمراد بالانسان هنا آدم قال القرطبي بالاتفاق من أهل التأويل ولا يبعد ان يراد به الجنس لان بني آدم مخلوقون في ضمن خلق أبيهم آدم (من صلصال) أي من طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت اذا نقر أي ليختبر هل فيه عيب أولا وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن يقال صل اللحم وأصل اذا أنتن وقد تقدم بيانه في سورة الحجر (كالفخار) أي الخزف الذي طبخ بالنار والمعنى انه خلق الانسان من طين يشبه في يبسه الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى في آل عمران من تراب وقال في الحجر من حمأ مسنون وقال في الصافات من طين لازب وزاد الخازن من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فيها اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار قال الخطيب المذكور هنا آخر تخليقه وهو أنسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالارض أمه والماء أبوه ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذي هو من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه وعقله ومن النار مطلب غوايته وحدته ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامه والغالب في جبلته التراب فلذا نسب اليه وان كان خلقه من العناصر

محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) يقول تعالى لايستوى المؤمنون والكافرون كما قال عزوجل لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال تبارك وتعالى ههنا أم حسب الذين اجترحوا السيآت اى عملوها وكسبوها ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم أى نساويهم بهم فى الدنيا (١٧٤) والآخرة ساء ما يحكمون أى ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا ان نساوى بين الابرار والفجار فى الدار الآخرة وفى هذه الدار قال الحافظ أبو يعلى حدثنا مؤمل بن اهاب حدثنا بكير بن عثمان التنوخى حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد الباجى عن أبى ذر رضى الله عنه قال ان الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقى الله من الفاسقين قيل وما هن يا أبا ذر قال يسلم حلال الله لله وحرام الله لله وأمر الله لله ونهى الله لله لايؤتمن عليهن الا الله قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم كما انه لايجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الابرار هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد ذكر محمد بن اسحق فى كتاب السيرة انهم وجدوا حجرا بمكة فى أس الكعبة مكتوب عليه تعملون السيآت وترجون الحسنات أجل كما يجتنى من الشوك العنب وقد روى الطبرانى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن مسروق ان تميما الدارى قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولهذا قال تعالى ساء ما يحكمون وقال عزوجل وخلق الله السموات والارض بالحق أى بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون ثم قال جل وعلا أفرأيت من اتخذ الهه هواه أى انما يأتمر بهواه فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المعتزلة فى قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين وعن مالك فيما روى عنه من التفسير لايهوى شيأ الا عبده وقوله وأضله الله على علم يحتمل قولين أحدهما وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك والآخر وأضله الله بعد بلوغ العلم اليه وقيام الحجة عليه والثانى يستلزم الاول ولا ينعكس

الاربع كان الجان من العناصر الاربع لكن الغالب فى جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى (وخلق الجان من مارج) يعنى خلق أبا الجن وقيل هو ابليس أو جنس الجن ومن لابتداء الغاية والمارج اللهب الصافى من النار وقيل الخالص منها وقيل لسانها الذى يكون فى طرفها اذا التهبت وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد قال المبرد المارج النار المرسلة التى لاتمنع وقال أبو عبادة المارج خلط النار من مرج اذا اختلط واضطرب قال الجوهرى مارج من نار نار لادخان لها خلق منها الجان وقال ابن عباس من لهب النار وخالصها وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا أوقدت (من نار) هو بيان للمارج أومن للتبعيض أو أراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى أومن صاف من نار أو مختلط من النار كما تقدم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فانه أنعم عليكما فى تضاعيف خلقكما من ذلك بنعم لاتحصى فهلا اعتبرتم بهذه الاصول فصدقتم بالآخرة لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى (رب المشرقين ورب المغربين) قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أى هو ربهما وقيل مبتدأ وخبره مرج البحرين بينهما اعتراض والاول أولى والمراد بالمشرقين مشرق الشتاء والصيف وبالمغربين مغرباهما قال ابن عباس للشمس مطلع فى الشتاء ومغرب فى الشتاء ومطلع فى الصيف ومغرب فى الصيف غير مطلعها فى الشتاء وغير مغربها فى الشتاء وعنه قال مشرق الفجر ومشرق الشفق ومغرب الشمس ومغرب الشفق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان فى ذلك من النعم مالا يحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه أو غير ذلك ولا يتيسر لمن أنصف من نفسه تكذيب فرد من افراده (مرج البحرين يلتقيان) المرج التخلية والارسال يقال مرجت الدابة اذا أرسلتها وأصله الاهمال كما تمرج الدابة فى المرعى قال الحسن وقتادة هما بحرا فارس والروم وقال ابن جريج هما البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق والمغرب وقيل بحر اللؤلؤ والمرجان وقيل بحر السماء وبحر الارض وقيل بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما والمعنى خلى وأهمل وانه أرسل كل واحد منهما يتجاوران ويتماسان على وجه الارض لافصل بينهما فى مرأى العين قال سعيد بن جبير يلتقيان فى كل عام وقيل يلتقى طرفاهما ومع ذلك فلم يختلطا فلهذا قال (بينهما برزخ) اى

وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة أى فلا يسمع ما ينفعه ولا يعى شيأ يهتدى به ولا يرى حجة يستضئ بها ولهذا قال تعالى فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون كقوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون (وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من (١٧٥) مشركى العرب فى انكار المعاد وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى أى ماثم الا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وماثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد وتقوله الفلاسفة والالهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون ان فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شئ الى ما كان عليه وزعموا ان هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا وما يهلكنا الا الدهر قال الله تعالى وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون أى يتوهمون ويتخيلون فأما الحديث الذى أخرجه صاحب الصحيح وأبو داود والنسائى من رواية سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب ليله ونهاره وفى رواية لا تسبوا الدهر فان الله تعالى هو الدهر وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا يميتنا ويحيينا فقال الله تعالى فى كتابه وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ويسبون الدهر فقال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله ثم روى يونس عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى حاجز يحجز بينهما وقيل البرزخ الجزائر (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بان يدخل فيه ويختلط به وقيل لا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق قال ابن عباس أرسل البحرين بينهما حاجز لا يختلطان بينهما من البعد مالا يبغى كل واحد منهما على صاحبه وفى الخطيب لا يتجاوز كل واحد منهما ماحده له خالقه لا فى الظاهر ولا فى الباطن حتى ان العذب الداخل فى الملح باق على حاله لم يمتزج بالملح فتى حفرت فى جنب الملح فى بعض الاماكن وجدت الماء العذب قال البقاعى بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى فخالطهما الله تعالى فى رأى العين وحجز بينهما فى غيب القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا ادراك فكيف يبغى بعضكم على بعض أيها العقلاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان هذه الآية وأمثالها لا يتيسر تكذيبها بحال (يخرج) قرأ الجمهور على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وهما سبعيتان (منهما اللؤلؤ) أى الدر (والمرجان) الخرز الاحمر المعروف وقال الفراء اللؤلؤ العظام والمرجان ما صغر قال الواحدى وهو قول جميع أهل اللغة وقال مقاتل والسدى ومجاهد اللؤلؤ صغار الدر والمرجان كباره وقال ابن عباس اذا مطرت السماء فتحت الاصداف فى البحر أفواهها فما وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ وعن على قال المرجان عظام اللؤلؤ وقال ابن عباس اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان اللؤلؤ الصغار وقال ابن مسعود المرجان الخرز الاحمر وقال منهما وانما يخرج ذلك من المالح لا من العذب لانه اذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما كذا قال الزجاج وغيره وقال أبو على الفارسى هو من باب حذف المضاف أى من أحدهما كقوله على رجل من القريتين عظيم وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقال الاخفش زعم قوم انه يخرج اللؤلؤ من العذب وقيل هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وقيل هما بحر السماء وبحر الارض فاذا وقع ماء السماء فى صدف البحر انعقد لؤلؤا فصار خارجا عنهما وقال بعضهم كلام الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز ان يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوهما الا من الملح واذا كان فى البر أشياء تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما فى قعر البحر وأجاب عنه ابن عادل بان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن

يقول قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار وأخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث يونس ابن يزيد به وقال محمد بن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى استقرضت عبدي فلم يعطني وسبني عبدي يقول وادهراه وأنا الدهر قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الائمة في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر كانت العرب في جاهليتها اذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا ياخيبة الدهر فيسندون تلك الافعال الى الدهر (١٧٦) ويسبونه وانما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم انما سبوا الله عز وجل لانه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لان الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه و يسندون اليه تلك الافعال هذا أحسن ماقيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الاسماء الحسنى أخذا من هذا الحديث وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات أي اذا استدل عليهم و بين لهم الحق وان الله تعالى قادر على اعادة الابدان بعد فنائها وتفرقها ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أي أحيوهم ان كان ماتقولونه حقا قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم الى الوجود كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم أي الذي قدر على البداءة قادر على الاعادة بطريق الاولى والاحرى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه أي انما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين يوم يجمعكم ليوم الجمع لأي يوم أجلت وقال ليوم الفصل وما نؤخره الا لأجل معدود وقال ههنا ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه أي لاشك فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون أي فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الاجساد قال الله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا أي يرون وقوعه بعيدا والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

عليهم الاعياء يأفلون و يشاهدون ولا يخلو هذا الجواب عن التعسف (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان في ذلك الخروج من الآيات مالا يستطيع أحد تكذيبه ولا يقدر على انكاره (وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام) المراد بالجوار السفن الجارية في البحر وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع آخر بالجارية كما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان تكن كذلك فقال تعالى لنوح واصنع الفلك بأعيننا ثم بعدما عملها سماها سفينة فقال تعالى فأنجيناه وأصحاب السفينة قال الرازي الفلك أولا ثم السفينة ثم الجارية والمرأة المملوكة تسمى أيضا جارية لان شأنها الجري والسعي في حوائج سيدها بخلاف الزوجة فهي من الصفات الغالبة والعامة على كسر الراء من الجوار لانه منقوص على فواعل والياء محذوفة لفظا وقرئ برفع الراء تناسيا للمحذوف وقرئ باثبات الياء في الوقف ولا تثبت في الرسم لانها من ياآت الزوائد والمنشآت المرفوعات التي رفع بعض خشبها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت حتى صارت في البحر كالاعلام وهي الجبال والعلم الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبل في البر وقال قتادة المنشآت المخلوقات للجري وقال الاخفش المنشآت المجريات وقيل المحدثات المسخرات وقيل الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الامواج بجريهن وقد مضى الكلام على هذا في سورة الشورى وافراد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر قرأ الجمهور المنشآت بفتح الشين وقرئ بكسرها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان ذلك من الوضوح والظهور بحيث لايمكن تكذيبه ولا انكاره (كل من عليها فان) أي كل من على الارض من الحيوانات هالك وعلى هذا لا يحتاج لتخصيص الآية بغير الجنة والنار والحور والولدان والحجب والعرش والارواح وغلب العقلاء على غيرهم فعبر عن الجميع بلفظ من وقيل أراد من عليها من الجن والانس ولا يقال ان هذه الآية الى قوله يطوفون بينها و بين حميم آن ليست نعما فكيف قال عقب كل منها فبأي آلاء الآية والجواب ان ماوصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا من أعظم المنن وقيل وجه النعمة في فناء الخلق ان الموت سبب النقلة الى دار الجزاء والثواب قال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب وقيل جسر يوصل الحبيب الى الحبيب

وقال مقاتل وجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت ومع الموت تستوى الاقدام (ويبقى وجه ربك) الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده وقد تقدم في سورة البقرة بيان معنى هذا وقيل المعنى وتبقى حجته التى يتقرب بها اليه والاول أولى والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له وخاطب الاثنين في قوله فبأى آلاء ربكما وخاطب هنا الواحد لان الاشارة ههنا وقعت الى كل أحد فقال ويبقى وجه ربك أيها السامع ليعلم كل أحد أن غيره فان فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل أحد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفناء ولم يقل ويبقى وجه الرب من غير خطاب مع انه أدل على فناء الكل لان كاف الخطاب في الرب اشارة الى اللطف والابقاء اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب (ذو الجلال) أى ذو العظمة والكبرياء واستحقاق صفات المدح يقال جل الشئ أى عظم وأجللته أى أعظمته وهو اسم من جل قرأ الجمهور ذو على انه صفة للوجه وقرئ ذى على انه صفة لرب (والاكرام) معناه انه يكرم عن كل شئ لا يليق به وقيل انه ذو الاكرام لاوليائه ففى وصفه بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله فبأى آلاء فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم من أجل النعم وأعظم الآلاء عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم أم بغيرها ومما قلت في معنى الآية

تفنى السقاة وتفنى الكاس والنادى * ومن تلاقيه من خل ومن عادى
لا تركنن الى الدنيا وزهرتها * يفنى الجميع ويبقى ربنا الهادى

(يسأله من في السموات والارض) مستأنف أو حال من وجه والعامل فيه يبقى أى يبقى مسؤلا من فيهما أى يسألونه جميعا لانهم محتاجون اليه قال أبو صالح يسأله أهل السموات المغفرة ولا يسألونه الرزق وأهل الارض يسألونه الامرين جميعا وقال مقاتل يسأله أهل الارض المغفرة والرزق وتسأل لهم الملائكة أيضا الرزق والمغفرة فكانت المسئلتان

يخبر تعالى انه مالك السموات والارض والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ولهذا قال عز وجل ويوم تقوم الساعة أى يوم القيامة يخسر المبطلون وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات وقال ابن أبى حاتم قدم سفيان الثورى المدينة فسمع المعافرى يتكلم ببعض ما يضحك به الناس فقال له يا شيخ أما علمت ان لله تعالى يوما يخسر فيه المبطلون قال فما زالت تعرف في المعافرى حتى لحق بالله تعالى ذكره ابن أبى حاتم ثم قال تعالى وترى كل أمة جاثية أى على ركبها من الشدة والعظمة ويقال ان هذا اذا جئ بجهنم فانها تزفر زفرة لا يبقى أحد الا جثا لركبتيه حتى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول نفسى نفسى نفسى لا أسألك اليوم الا نفسى وحتى ان عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول لا أسألك اليوم الا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتنى قال مجاهد وكعب الاحبار والحسن البصرى كل أمة جاثية أى على الركب وقال عكرمة جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب والاول أولى قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبد الله بن باباه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأنى أراكم جاثين بالكوم دون جهنم وقال اسمعيل بن رافع المدينى عن محمد ابن كعب عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا في حديث الصور فيتميز الناس وتجثوا الامم وهى التى يقول الله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها وهذا فيه جمع بين القولين ولا منافاة والله أعلم وقوله عز وجل كل أمة تدعى الى كتابها يعنى كتاب أعمالها كقوله جل جلاله ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء ولهذا قال سبحانه وتعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون أى تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله عز وجل ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ولهذا قال جلت عظمته هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أى يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله جل جلاله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقوله عز وجل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أى انا كنا نأمر الحفظة ان تكتب أعمالكم

عليكم قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها الى السماء فيقابلون الملائكة الذين
في ديوان الاعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما قد كتبه الله في القدم على العباد
قبل ان يخلقهم فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ثم قرأ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله
حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الاعمال الصالحة وهي الخالصة الموافقة للشرع فيدخلهم ربهم في رحمته وهي الجنة كما ثبت في الصحيح ان الله تعالى قال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ذلك هو الفوز المبين أي البين الواضح ثم قال تعالى وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عند سماعها وكنتم قوما مجرمين أي في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من
التكذيب واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها أي اذا قال لكم المؤمنون ذلك قلتم ما ندري
ما الساعة أي لا نعرفها ان نظن الا ظنا أي ان نتوهم وقوعها الا توهما أي مرجوحا ولهذا قال وما نحن بمستيقنين أي بمتحققين
قال الله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة وحاق بهم أي أحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن أي من العذاب
والنكال وقيل اليوم ننساكم أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم كما نسيتم لقاء يومكم هذا أي فلم تعملوا له لانكم
لم تصدقوا به ومأواكم النار وما لكم من ناصرين وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة ألم أزوجك

جميعا من أهل السماء وأهل الارض لاهل الارض وكذا قال ابن جريج وقيل يسألونه
الرحمة قال قتادة لا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الارض أي في ذواتهم وصفاتهم وسائر
ما يهمهم ويعن لهم والحاصل انه يسأله كل مخلوق من مخلوقاته بلسان المقال أو لسان
الحال ما يطلبونه من خيري الدارين أو من خير أحدهما وقال ابن عباس مسئلة عباده اياه
الرزق والموت والحياة (كل يوم هو في شان) أي استقر سبحانه في شأن كل وقت من الاوقات
واليوم عبارة عن الوقت والشان هو الامر ومن جملة شؤنه سبحانه إعطاء أهل السموات
والارض ما يطلبونه منه على اختلاف حاجاتهم وتباين أغراضهم قال المفسرون من شانه
انه يحيي ويميت ويرزق ويفقر ويعز ويذل ويمرض ويشفي ويعطي ويمنع ويغفر ويعاقب
ويرحم ويغضب الى غير ذلك مما لا يحصى وقيل كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد
أحوالا وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شأنا وشيأ وقيل المراد
سوق المقادير الى المواقيت وقال الحسين بن الفضل انها شؤن له يبديها لا شؤن يبتديها
وقال أبو سليمان الداراني في كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة
عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا
وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى ولا وجه لتخصيص شأن دون
شأن بل الآية تدل على انه سبحانه كل يوم في شأن من الشؤن له أي شأن كان من غير تعيين
وشؤنه سبحانه لا تحصى ولا يعلمها الا هو فالعموم أولى وأنسب بمقام القدرة وكمالها وقيل
المراد باليوم المذكور هو يوم الدنيا ويوم الآخرة وشأنه في الدنيا الاختبار بالامر والنهي
والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وغير ذلك وشأنه في الآخرة الجزاء والحساب والثواب
والعقاب وغير ذلك قال ابن بحر وسفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة
أيام الدنيا والآخر يوم القيامة وقيل المراد كل يوم من أيام الدنيا عن عبد الله بن منيب قال
تلا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقلنا يا رسول الله وما ذلك الشأن قال
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده
والبزار وابن جرير والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن منده وابن مردويه وأبو نعيم
وابن عساكر عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية مثله أخرجه البخاري
في تاريخه وابن ماجه وابن أبي عاصم وغيرهم وزاد البزار ويجيب داعيا وقد رواه البخاري
تعليقا

ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأدرك تراس وتربع فيقول بلى يارب فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم انساك كما نسيتنى قال الله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا أى انما جازيناكم هذا الجزاء لانكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تسخرون وتستهزؤن بها وغرتكم الحياة الدنيا أى خدعتكم فاطمأننتم اليها فاصبحتم من الخاسرين ولهذا قال عزوجل فاليوم لا يخرجون منها أى من النار ولاهم يستعتبون أى لا يطلب منهم العتبى بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب ثم لما ذكر تعالى حكمه فى المؤمنين (١٧٩) والكافرين قال فلله الحمد رب السموات ورب الارض أى المالك لهما وما فيهما ولهذا قال رب العالمين ثم قال جل وعلا وله الكبرياء فى السموات والارض قال مجاهد يعنى السلطان أى هو العظيم الممجد الذى كل شئ خاضع لديه فقير اليه وقد ورد فى الحديث الصحيح يقول الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما اسكنته نارى رواه مسلم من حديث الاعمش عن أبى اسحق عن الاغر بن مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وقوله تعالى وهو العزيز أى الذى لا يغالب ولا يمانع الحكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا اله الا هو آخر تفسير سورة الجاثية ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الاحقاف وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) يخبر تعالى انه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ووصف نفسه بالعزة التى لا ترام والحكمة فى الاقوال والافعال ثم قال تعالى ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق أى لا على وجه

تعليقا وجعله من كلام أبى الدرداء وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر ذنبا ويفرج كربا أخرجه البزار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان اختلاف شؤنه سبحانه فى تدبير أمر عباده نعمة لا يمكن جحدها ولا يتيسر لمكذب تكذيبها (سنفرغ لكم أيه الثقلان) هذا وعيد شديد من الله سبحانه للجن والانس قال القرطبى يقال فرغت من الشغل أفرغ فراغا وفروغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودى فى كذا أى بذلته قال الزجاج والكسائى وابن الاعرابى وأبو على الفارسى ان الفراغ ههنا ليس هو الفراغ من شغل لان الله تعالى ليس له شغل يفرغ منه ولا يشغله شأن عن شأن ولكن تأويله القصد أى سنقصد لحسابكم أو مجازاتكم أو محاسبتكم قال الواحدى حاكيا عن المفسرين ومنهم ابن عباس ان هذا تهديد من الله سبحانه لعباده ومن هذا قول القائل لمن يريد تهديده اذن أتفرغ لك أى أقصد قصدك وفرغ يجى بمعنى قصد قال الزجاج ان الفراغ فى اللغة على ضربين أحدهما الفراغ من الشغل والآخر القصد للشئ والاقبال عليه كما هنا ويكون الكلام على طريق التمثيل والاستعارة وقد ألم (١) به صاحب المفتاح ونحا اليه الزمخشرى وقيل ان الله سبحانه وعد على التقوى وأوعد على المعصية ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه وبه قال الحسن ومقاتل وابن زيد قرأ الجمهور سنفرغ بالنون وضم الراء وقرئ بالنون مع فتح الراء قال الكسائى هى لغة تميم وقرئ بكسر النون وفتح الراء وقرئ بالياء التحتية مفتوحة مع ضم الراء أى سيفرغ الله وقرئ بضم الياء وفتح الراء وترسم أيه بغير ألف وأما فى النطق فقرأ أبو عمرو والكسائى أيها بالالف فى الوقف ووقف الباقون على الرسم أيه بتسكين الهاء وفى الوصل قرأ ابن عامر أيه بضم الهاء والباقون بفتحها وسمى الجن والانس الثقلين لعظم شأنهما بالنسبة الى غيرهما من حيوانات الارض وقيل سموا بذلك لانهم ثقل على الارض احياء وأمواتا كما فى قوله وأخرجت الارض أثقالها وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل لانهما أثقلا وأتعبا بالتكاليف وجمع فى قوله لكم ثم قال أيه الثقلان لانهما فريقان وكل فريق جمع (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ومن جملتها ما فى هذا التهديد من النعم فمن ذلك انه ينزجر به المسئ عن اساءته ويزداد به المحسن احسانا فيكون ذلك سببا للفوز بنعيم الدار الآخرة الذى هو النعيم فى الحقيقة (يامعشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان قدم الجن هنا لكون

(١) حيث قال الفراغ الخلاص عن المهام والله عزوجل لا يشغله شان عن شان وقع مستعارا للاخذ فى الجزاء وحده وهو المراد من قول صاحب الكشاف فجعل ذلك فراغا لهم على طريق التمثيل اه سيد ذو الفقار احمد

العبث والباطل وأجل مسمى أى والى مدة معينة مضروبة لاتزيد ولاتنقص وقوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون أى لاهين عما يراد بهم وقد أنزل الله تعالى اليهم كتابا وأرسل اليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أى وسيعلمون غب ذلك ثم قال تعالى قل أى لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أى أرشدونى الى المكان الذى استقلوا بخلقه من الارض أم لهم شرك فى السموات أى ولا شرك لهم فى السموات ولا فى الارض وما يملكون من قطمير ان الملك والتصرف كله الا لله عز وجل (١٨٠) فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به من أرشدكم الى هذا من دعاكم اليه أهو أمركم به أم هو شىء اقترحتموه من عند أنفسكم ولهذا قال ائتونى بكتاب من قبل هذا أى هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الاصنام أو أثارة من علم أى دليل بين على هذا المسلك الذى سلكتموه ان كنتم صادقين أى لا دليل لكم لا نقليا ولا عقليا على ذلك ولهذا قرأ آخرون او أثرة من علم أى أو علم صحيح يؤثرونه عن أحد ممن قبلهم كما قال مجاهد فى قوله تعالى أو أثارة من علم أو أحد يأثر علما وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما أو بينة من الامر وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن حكيم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سفيان لا أعلم الا عن النبى صلى الله عليه وسلم أو أثرة من علم قال الخط وقال أبو بكر بن عياش أو بقية من علم وقال الحسن البصرى أو أثارة شىء يستخرجه فيثيره وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش ايضا أو أثارة من علم يعنى الخط وقال قتادة او اثارة من علم خاصة من علم وكل هذه الاقوال متقاربة وهى راجعة الى ماقلناه وقال وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وأكرمه وأحسن مثواه وقوله تبارك وتعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون اى لا اضل ممن يدعو أصناما ويطلب منها ما لا تستطيعه الى يوم القيامة وهى غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش لانها جماد حجارة صم وقوله تبارك وتعالى واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين كقوله عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اى سيخونونهم احوج

خلق أبيهم متقدما على خلق آدم ولوجود جنسهم قبل جنس الانس وهذا الخطاب يقال لهما فى الآخرة وقيل فى الدنيا ويرجح كونه فى الآخرة قوله يرسل عليكما الخ فان هذا الارسال انما هو فى القيامة كما سيأتى وكذا قوله فاذا انشقت السماء (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) أى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما ونواحيهما وأطرافهما هربا من قضاء الله وقدره (فانفذوا) منها وخلصوا أنفسكم واهربوا واخرجوا فيهما كنتم يدرككم الموت يقال نفذ الشىء من الشىء اذا خلص منه كما يخلص السهم والامر بالنفوذ أمر تعجيز (لا تنفذون الا بسلطان) أى لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر ولا قهر ولا قوة لكم على ذلك ولا قدرة والسلطان القوة التى يتسلط بها صاحبها على الامر قال الضحاك بينما الناس فى أسواقهم اذ انفتحت السماء ونزلت الملائكة فهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة فذلك قوله لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس وعلى هذا يكون فى الدنيا قال ابن المبارك ان ذلك يكون فى الآخرة وقال الضحاك أيضا معنى الآية ان استطعتم ان تهربوا من الموت فاهربوا وقيل ان استطعتم ان تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان أى ببينة من الله وقال قتادة معناها لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل الباء بمعنى الى أى لا تنفذون الا الى سلطان وقال ابن عباس لا تخرجون من سلطانى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ومن جملتها هذه النعمة الحاصلة بالتحذير والتهديد فانها تزيد المحسن احسانا وتكف المسىء عن اساءته مع ان من حذركم وأنذركم قادر على الايقاع بكم من دون مهلة (يرسل عليكما شواظ من نار) قرأ الجمهور يرسل بضم التحتية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون ونصب شواظ وقرأ الجمهور شواظ بضم الشين وقرئ بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد والشواظ اللهب الذى لا دخان معه قال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقال الاخفش وأبو عمرو هو النار والدخان جميعا وقال ابن عباس هو لهب النار وقيل هو اللهب الخالص (ونحاس) قرأ الجمهور بضم النون وقرئ بكسرها وقرئ نحس والنحاس الصفر المذاب يصب على رؤسهم قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو الدخان الذى لا لهب له وبه قال الخليل

مايكون اليهم وقال الخليل عليه الصلاة والسلام انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين) يقول عزوجل مخبرا عن المشركين فى كفرهم وعنادهم انهم اذا تتلى عليهم آيات الله بينات اى فى حال بيانها و وضوحها وجلائها يقولون هذا سحر مبين أى سحر واضح وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا أم يقولون افتراه يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ أى لو كذبت عليه و زعمت انه أرسلنى وليس كذلك لعاقبنى أشد العقوبة ولم يقدر أحد من أهل الارض لا أنتم ولا غيركم ان يجيرنى منه كقوله تبارك وتعالى قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم هذا تهديد لهم ووعيد أكيد وترهيب شديد وقوله جل وعلا وهو الغفور الرحيم ترغيب لهم الى التوبة والانابة أى ومع هذا كله ان رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم وغفر ورحم وهذه الآية كقوله عزوجل فى سورة الفرقان وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقوله تبارك وتعالى قل ما كنت بدعا من الرسل أى لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبلى فما أنا بالامر الذى لا نظير له حتى تستنكرونى وتستبعدون بعثتى اليكم فانه قد أرسل الله جل وعلا قبلى جميع الانبياء الى الامم قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة قل ما كنت بدعا من الرسل ما أنا بأول رسول ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبى حاتم غير ذلك وقوله تعالى وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية نزل

وقال الضحاك هو دردى الزيت المغلى وقال الكسائى هو النار التى لها ريح شديدة وقال ابن عباس هو دخان النار وعنه قال الصفر يعذبون به وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة ويجوز أن يرسلا معا من غير ان يمتزج أحدهما بالآخر قرئ نحاس بالرفع عطفا على شواظ وبالجر عطفا على نار وهما سبعيتان لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين شواظ أو امالة نار فمن قرأ بالجر بدون أحد الامرين فقد وقع فى التلفيق لان هذا الوجه لم يقرأ به أحد قال المهدوى من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر فى نحاس على هذا بين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذى لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف فكانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشئ من نحاس (فلا تنتصران) أى لا تقدران على الامتناع من عذاب الله بل يسوقكم الى المحشر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذا الوعيد الذى يكون به الانزجار عن الشر والرغب فى الخير (فاذا انشقت السماء) أى انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة أو انفك بعضها من بعض لقيام الساعة وقيل انفجرت فصارت أبوابا لنزول الملائكة تحيط بالعالم من سائر جهات الارض لئلا يهرب بعضهم من المحشر وقيل المراد منه خراب السماء وفيه تهويل وتعظيم للامر (فكانت وردة) أى كوردة حمراء أو محمرة مثلها قال سعيد بن جبير وقتادة المعنى فكانت حمراء وقيل فكانت كلون الفرس الورد قاله ابن عباس وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة والصفرة (كالدهان) قال الفراء وأبو عبيدة تصير السماء كالاديم لشدة حر النار وقال ابن عباس كالاديم الاحمر أى على خلاف العهد بها وهو الزرقة وقال الفراء أيضا شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الورد فى ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه والدهان جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح وقيل انه اسم مفرد أى اسم لما يدهن به كالحزام والادام قاله الزمخشرى وقيل المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها وقال الحسن كالدهان اى كصبيب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه ألوانا وقال زيد بن أسلم انها تصير كعكر الزيت قال الزجاج وقتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر حكاه الثعلبى قال الماوردى زعم المتقدمون ان أصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوائل والحواجز وبعد المسافة واعتراض الهواء بيننا وبينها ترى بهذا اللون الازرق كما يرى الدم فى العروق أزرق ولا هواء هنالك يمنع من اللون الاصلى ذكره الكرخى والعمادى

العبث والباطل وأجل مسمى أي والى مدة معينة مضروبة لاتزيد ولاتنقص وقوله تعالى والذين كفروا عما أنذروا معرضون أي لاهون عما يراد بهم وقد أنزل الله تعالى اليهم كتابا وأرسل اليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أي وسيعلمون غب ذلك ثم قال تعالى قل أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أي أرشدوني الى المكان الذي استقلوا بخلقه من الارض أم لهم شرك في السموات أي ولا شرك لهم في السموات ولا في الارض وما يملكون من قطمير ان الملك والتصرف كله الا لله عز وجل فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به من أرشدكم الى هذا من دعاكم اليه أهو أمركم به أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ولهذا قال ائتوني بكتاب من قبل هذا أي هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الاصنام أو أثارة من علم أي دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ان كنتم صادقين أي لادليل لكم لا نقليا ولا عقليا على ذلك ولهذا قرأ آخرون او أثرة من علم أي أو علم صحيح يؤثرونه عن أحد ممن قبلهم كما قال مجاهد في قوله تعالى أو أثارة من علم أو أحد يأثر علما وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أو بينة من الامر وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سفيان لا أعلم الا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثرة من علم قال الخط وقال أبو بكر بن عياش أو بقية من علم وقال الحسن البصري أو أثارة شيء يستخرجه فيثيره وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش ايضا أو أثارة من علم يعني الخط وقال قتادة او أثارة من علم خاصة من علم وكل هذه الاقوال متقاربة وهي راجعة الى ما قلناه وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وأكرمه وأحسن مثواه وقوله تبارك وتعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون اي لا أضل ممن يدعو أصناما ويطلب منها ما لا تستطيعه الى يوم القيامة وهي غافلة عما يقول لاتسمع ولا تبصر ولا تبطش لانها جماد حجارة صم وقوله تبارك وتعالى واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين كقوله عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اي سيخونونهم احوج

خلق أبيهم متقدما على خلق آدم ولوجود جنسهم قبل جنس الانس وهذا الخطاب يقال لهما في الآخرة وقيل في الدنيا ويرجح كونه في الآخرة قوله يرسل عليكما الخ فان هذا الارسال انما هو في القيامة كما سيأتي وكذا قوله فاذا انشقت السماء (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) أي ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما ونواحيهما وأطرافهما هاربا من قضاء الله وقدره (فانفذوا) منها وخلصوا أنفسكم واهربوا واخرجوا الى حيثما كنتم يدرككم الموت يقال نفذ الشيء من الشيء اذا خلص منه كما يخلص السهم والامر بالنفوذ أمر تعجيز (لا تنفذون الا بسلطان) أي لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر ولا قهر ولا قوة لكم على ذلك ولا قدرة والسلطان القوة التي يتسلط بها صاحبها على الامر قال الضحاك بينما الناس في أسواقهم اذ انفتحت السماء ونزلت الملائكة فهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة فذلك قوله لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس وعلى هذا يكون في الدنيا قال ابن المبارك ان ذلك يكون في الآخرة وقال الضحاك أيضا معنى الآية ان استطعتم ان تهربوا من الموت فاهربوا وقيل ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموه وان تعلموه الا بسلطان أي ببينة من الله وقال قتادة معناها لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل الباء بمعنى الى أي لا تنفذون الا الى سلطان وقال ابن عباس لا تخرجون من سلطاني (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ومن جملتها هذه النعمة الحاصلة بالتحذير والتهديد فانها تزيد المحسن احسانا وتكف المسيء عن اساءته مع ان من حذركم وأنذركم قادر على الايقاع بكم من دون مهلة (يرسل عليكما شواظ من نار) قرأ الجمهور يرسل بضم التحتية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون ونصب شواظ وقرأ الجمهور شواظ بضم الشين وقرئ بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد والشواظ اللهب الذي لا دخان معه قال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقال الاخفش وأبو عمرو هو النار والدخان جميعا وقال ابن عباس هو لهب النار وقيل هو اللهب الخالص (ونحاس) قرأ الجمهور بضم النون وقرئ بكسرها وقرئ نحس والنحاس الصفر المذاب يصب على رؤوسهم قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو الدخان الذي لا لهب له وبه قال الخليل

مايكون اليهم وقال الخليل عليه الصلاة والسلام انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين) يقول عز وجل مخبرا عن المشركين في كفرهم وعنادهم انهم اذا تتلى عليهم آيات الله (١٨١) بينات أي في حال بيانها ووضوحها وجلائها يقولون هذا سحر مبين أي سحر واضح وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا أم يقولون افتراه يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ أي لو كذبت عليه وزعمت انه أرسلني وليس كذلك لعاقبني أشد العقوبة ولم يقدر أحد من أهل الارض لا أنتم ولا غيركم ان يجيرني منه كقوله تبارك وتعالى قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم هذا تهديد لهم ووعيد أكيد وترهيب شديد وقوله جل وعلا وهو الغفور الرحيم ترغيب لهم الى التوبة والانابة أي ومع هذا كله ان رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم وغفر ورحم وهذه الآية كقوله عز وجل في سورة الفرقان وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقوله تبارك وتعالى قل ما كنت بدعا من الرسل أي لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبلي فما أنا بالامر الذي لا نظير له حتى تستنكروني وتستبعدون بعثتي اليكم فانه قد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الانبياء الى الامم قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة قل ما كنت بدعا من الرسل ما أنا بأول رسول ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم غير ذلك وقوله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية نزل

وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار التي لها ريح شديدة وقال ابن عباس هو دخان النار وعنه قال الصفر يعذبون به وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة ويجوز أن يرسلا معا من غير ان يمتزج أحدهما بالآخر وقرئ نحاس بالرفع عطفا على شواظ وبالجر عطفا على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين شواظ أو امالة نار فمن قرأ بالجر بدون أحد الامرين فقد وقع في التلفيق لان هذا الوجه لم يقرأ به أحد قال المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف فكأنه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس (فلا تنتصران) أي لا تقدران على الامتناع من عذاب الله بل يسوقكم الى المحشر (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذا الوعيد الذي يكون به الانزجار عن الشر والرغب في الخير (فاذا انشقت السماء) أي انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة أو انفك بعضها من بعض لقيام الساعة وقيل انفجرت فصارت أبوابا لنزول الملائكة تحيط بالعالم من سائر جهات الارض لئلا يهرب بعضهم من المحشر وقيل المراد منه خراب السماء وفيه تهويل وتعظيم للامر (فكانت وردة) أي كوردة حمراء أو محمرة مثلها قال سعيد بن جبير وقتادة المعنى فكانت حمراء وقيل فكانت كلون الفرس الورد قاله ابن عباس وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة والصفرة (كالدهان) قال الفراء وأبو عبيدة تصير السماء كالاديم لشدة حر النار وقال ابن عباس كالاديم الاحمر أي على خلاف العهد بها وهو الزرقة وقال الفراء أيضا شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الورد في ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه والدهان جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح وقيل انه اسم مفرد أي اسم لما يدهن به كالحزام والادام قاله الزمخشري وقيل المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها وقال الحسن كالدهان أي كصبيب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه ألوانا وقال زيد بن أسلم انها تصير كعكر الزيت قال الزجاج وقتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر حكاه الثعلبي قال الماوردي زعم المتقدمون ان أصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوائل والحواجز وبعد المسافة واعتراض الهواء بيننا وبينها ترى بهذا اللون الازرق كما يرى الدم في العروق أزرق ولا هواء هناك يمنع من اللون الاصلي ذكره الكرخي والعمادي

بعدها ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة انها منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قالوا ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين هذا قد بين الله تعالى ما هو فاعل بك يا رسول الله فما هو فاعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار هكذا قال والذي هو ثابت في الصحيح ان المؤمنين قالوا هنيأ لك يا رسول الله فما لنا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وقال الضحاك وما أدري ما يفعل بي ولا بكم اي ما ادري بماذا أومر وبماذا أنهى بعد هذا وقال ابو بكر الهذلي (١٨٢) عن الحسن البصري في قوله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قال أما في الآخرة فمعاذ الله قد علم انه في الجنة ولكن قال لا ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي أم أقتل كما قتلت الانبياء من قبلي ولا ادري ايخسف بكم او ترمون بالحجارة وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير وأنه لا يجوز غيره ولا شك ان هذا هو اللائق به صلى الله عليه وسلم فانه بالنسبة الى الآخرة جازم انه يصير الى الجنة هو ومن اتبعه وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول اليه أمره وأمر مشركي قريش الى ماذا ايؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن ام العلاء وهي امرأة من نسائهم اخبرته وكانت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت طار لهم في السكنى حين اقترعت الانصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتكى عثمان رضي الله عنه عندنا فمرضناه حتى اذا توفي أدرجناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله تعالى اكرمه فقلت لا ادري بأبي انت وامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين من ربه واني لأرجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فقلت والله لا ازكي احدا بعده ابدا واحزنني ذلك فنمت فرأيت لعثمان رضي الله عنه عينا تجري فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك عمله فقد انفرد باخراجه البخاري دون مسلم وفي لفظ له ما ادري وانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

والكازروني (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها ما في هذا التهديد والتخويف من حسن العاقبة بالاقبال على الخير والاعراض عن الشر (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) أي يوم تنشق السماء لا يسئل أحد من الانس ولا من الجن عن ذنبه لانهم يعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم فالتنوين عوض عن الجملة والفاء جواب الشرط وقيل هو محذوف اي فاذا انشقت السماء رأيت أمرا مهولا والهاء في ذنبه تعود على أحد المذكورين وضمير الآخر مقدر أي ولا يسئل عن ذنبه جان أيضا وناصب الظرف لا يسئل ولا غير مانعة والجمع بين مثل هذه الآية وبين مثل قوله فوربك لنسألنهم أجمعين ان ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة وقيل قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل انهم لا يسئلون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم لان الله سبحانه قد أحصى الاعمال وحفظها على العباد ولكن يسئلون سؤال توبيخ وتقريع ومثل هذه الآية قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال أبو العالية المعنى لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم وقيل ان عدم السؤال هو عند البعث والسؤال هو في موقف الحساب وقال ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم لم عملتم كذا وكذا والجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج وزنجي (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذا الوعيد الشديد لكثرة ما يترتب عليه من الفوائد (يعرف المجرمون بسيماهم) هذه الجملة جارية مجرى التعليل لعدم السؤال والسيما العلامة قال الحسن سيماهم سواد الوجوه وزرقة الاعين كما في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقيل سيماهم ما يعلوهم من الحزن والكآبة (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) قال أبو حيان يؤخذ متعد ومع ذلك تعدى بالباء لانه ضمن معنى يسحب قلت يسحب انما يتعدى بعلى قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم فكان ينبغي ان يقال ضمن معنى يدفع أي يدفعون وقال مكي انما يقال أخذت الناصية وأخذت بها ولو قلت أخذت الدابة بالناصية لم يجز وحكى عن العرب أخذت الخطام وأخذت بالخطام بمعنى قاله الكرخي والنواصي شعور مقدم الرأس والمعنى انها تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي وتلقيهم الملائكة في النار قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل

تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بنواصيهم وتجرهم على وجوههم وتارة تأخذ بأقدامهم وتجرهم على رؤسهم قال ابن عباس تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب في التنور (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذا الترهيب الشديد والوعيد البالغ الذي ترجف له القلوب وتضطرب لهوله الاحشاء (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا يقال لهم عند الاخذ بالنواصي والاقدام فقيل يقال لهم تقريعا وتوبيخا هذه جهنم التي تشاهدونها وتنظرون اليها مع انكم كنتم تكذبون بها وتقولون انها لا تكون (يطوفون) أي يترددون ويسعون (بينها) أي بين جهنم فتحرقهم (وبين حميم آن) فيصب وجوههم فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم الى الحميم والحميم الماء الحار والآن الذي قد انتهى حره وبلغ غايته كذا قال الفراء وقال الزجاج أنى يأني أنى فهو آن اذا انتهى في النضج والحرارة وقال ابن عباس هو الذي انتهى حره وقيل هو واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فيغمسون فيه باغلالهم حتى تنخلع أوصالهم قال قتادة يطوفون مرة بين الجحيم ومرة بين الحميم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها النعمة الحاصلة بهذا التخويف وما يحصل به من الترغيب في الخير والترهيب عن الشر ولما فرغ سبحانه من تعداد النعم الدنيوية على الثقلين ذكر نعمه الاخروية التي أنعم بها عليهم فقال (ولمن خاف) أي لكل فرد من افراد الخائفين أو لمجموعهم (١) والاول هو المعتمد (مقام ربه) مقامه سبحانه هو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب كما في قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل المعنى خاف قيام ربه عليه وهو اشرافه على احواله واطلاعه على افعاله واقواله كما في قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أو قيام الخائف عند ربه للحساب ومحصله احتمالات ثلاثة في تفسير المقام أولها انه اسم مكان والثاني انه مصدر وتحته احتمالان اما بمعنى قيام الله على الخلائق أو بمعنى قيام الخلائق بين يديه قال مجاهد والنخعي هو الرجل الذي يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه وفيه اشارة الى سبب استحقاق الجنتين في نفس الامر وهو انه ليس مجرد الخوف بل الخوف الناشئ عنه ترك المعاصي (جنتان) اختلف فيهما فقال مقاتل يعني جنة عدن وجنة النعيم وقيل احداهما التي خلقت له والاخرى ورثها وقيل احداهما منزله والاخرى منزل أزواجه وقيل احداهما أسافل القصور والاخرى أعاليها

ما يفعل به وهذا اشبه ان يكون هو المحفوظ بدليل قولها فاحزنني ذلك وفي هذا وأمثاله دلالة على انه لا يقطع لمعين بالجنة الا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء و بلال وسراقة وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما اشبه هؤلاء رضي الله عنهم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي أي انما اتبع ما ينزله الله علي من الوحي وما انا الا نذير مبين اي بين النذارة امري ظاهر لكل ذي لب وعقل والله اعلم (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله (١٨٣) لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن أرأيتم ان كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به أي ما ظنكم ان الله صانع بكم ان كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله علي لابلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أي وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبلي بشرت به وأخبرت بمثل ما اخبر هذا القرآن به وقوله عز وجل فآمن أي هذا الذي شهد بصدقه من بني اسرائيل لمعرفته بحقيته واستكبرتم أنتم عن اتباعه وقال مسروق فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم انتم بنبيكم وكتابكم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره فان هذه الآية مكية نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهذه كقوله تبارك وتعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا قال مسروق والشعبي ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية واسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة رواه عنهما ابن جرير

(١) يعني ان الكلام على سبيل التوزيع فاحدى الجنتين للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فكل خائف ليس له الا جنة واحدة والاول هو المعتمد كما قاله المؤلف مدظله اه سيد ذو الفقار أحمد

وابن ابى حاتم واختاره ابن جرير وقال مالك عن أبى النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضى الله عنه قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث مالك به وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسدى والثورى ومالك بن انس وابن زيد انهم كلهم قالوا انه عبد الله بن سلام وقوله تعالى وقال الذين كفروا (١٨٤) للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أى قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيرا ما سبقنا هؤلاء اليه يعنون بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا رضى الله عنهم وأشباههم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والاماء وما ذاك الا لأنهم عند انفسهم يعتقدون ان لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية وقد غلطوا فى ذلك غلطا فاحشا واخطؤا خطأ بينا كما قال تبارك وتعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وأما أهل السنة والجماعة فيقولون فى كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضى الله عنهم هو بدعة لانه لو كان خيرا لسبقونا اليه لانهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير الا وقد بادروا اليها وقوله تعالى واذ لم يهتدوا به أى بالقرآن فسيقولون هذا افك قديم أى كذب قديم أى مأثور عن الناس الأقدمين فينتقصون القرآن وأهله وهذا هو الكبر الذى قال رسول صلى الله عليه وسلم بطر الحق وغمط الناس ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى وهو التوراة اماما ورحمة وهذا كتاب يعنى القرآن مصدق أى لما قبله من الكتب لسانا عربيا أى فصيحا بينا واضحا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين أى مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تقدم تفسيرها فى سورة حم السجدة وقوله تعالى فلا خوف عليهم أى فيما يستقبلون ولا هم يحزنون على ما خلفوا أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون أى الاعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم والله أعلم (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون

وقيل جنة لفعل الطاعة وأخرى لترك المعصية وقيل جنة للعقيدة التى يعتقدها وجنة للعمل الذى يعمله وقيل جنة بالعمل وجنة بالتفضل وقيل جنة روحانية وجنة جسمانية وقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقال الفراء انما هى جنة واحدة والتثنية لاجل موافقة رؤس الآى قال النحاس وهذا من أعظم الغلط على كتاب الله فان الله يقول جنتان ويصفهما بقوله فيهما فيهما الخ وقيل انما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة الى جهة قال ابن عباس وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فادوا فرائضه الجنتين وعنه أيضا يقول خاف ثم اتقى والخائف من ركب طاعة الله وترك معصيته وعن عطاء انها نزلت فى أبى بكر وعن ابن شوذب مثله وقال ابن مسعود فى الآية لمن خافه فى الدنيا وعن أبى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق قال نعم وان رغم أنف أبى الدرداء أخرجه أحمد والترمذى والنسائى والبزار وأبو يعلى والطبرانى وغيرهما وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال أبو الدرداء وان زنى وان سرق يارسول الله قال وان زنى وان سرق وان رغم أنف أبى الدرداء أخرجه ابن مردويه وعن يسار مولى لآل معاوية عن أبى الدرداء فى الآية قال قيل لأبى الدرداء وان زنى وان سرق قال من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق وعن ابن شهاب قال كنت عند هشام بن عبد الملك فقال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان قال أبو هريرة وان زنى وان سرق فقلت انما كان ذلك قبل ان تنزل الفرائض فلما نزلت الفرائض ذهب هذا أخرجه ابن مردويه وعن أبى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنان الفردوس أربع جنات جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وعنه فى الآية قال جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين قال القرطبى فى هذه الآية دليل على ان من قال لزوجته ان لم أكن من أهل الجنة فانت طالق أنه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء

شهرا حتى اذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني ان أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) لما ذكر تعالى فى الآية الاولى التوحيد له واخلاص العبادة والاستقامة اليه عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون فى غير ما آية من القرآن كقوله عز وجل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال جل جلاله أن اشكر لى ولوالديك الى المصير الى غير ذلك من الآيات الكثيرة (١٨٥) وقال عز وجل ههنا ووصينا الانسان بوالديه احسانا أى أمرناه بالاحسان اليهما والحنو عليهما وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة أخبرنى سماك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد رضى الله عنه قال قالت أم سعد أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين فلا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بالله تعالى فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا ونزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه احسانا الآية ورواه مسلم وأهل السنن الا ابن ماجه من حديث شعبة باسناد نحوه وأطول منه حملته أمه كرها أى قاست بسببه فى حال حمله مشقة وتعبا من وحم وغشيان وثقل وكرب الى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ووضعته كرها أى بمشقة أيضا من الطلق وشدته وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقد استدل على رضى الله عنه بهذه الآية مع التى فى لقمان وفصاله فى عامين وقوله تبارك وتعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين

وحياء منه وهو قول سفيان الثورى وبه أفتى ومذهب الشافعى أنه لا يحنث اذا كان مسلما ومات على الاسلام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذه النعمة العظيمة وهى اعطاء الخائف من مقام ربه جنتين متصفتين بالصفات الجليلة العظيمة (ذواتا أفنان) أى صاحبتا أفنان هذه صفة للجنتين وما بينهما اعتراض أو خبر مبتدإ محذوف أى هما ذواتا قال الخطيب وفى تثنية ذات لغتان الاولى الرد الى الاصل فان أصلها ذوية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنثة ذوى والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتان انتهى ومثله قال السمين وعبارة الجلال المحلى تثنية ذوات على الاصل ولامها ياء انتهى والافنان الاغصان وهى الدقيقة التى تتفرع من فروع الشجر واحدها فنن كطلل وهو الغصن المستقيم طولا وبهذا قال مجاهد وعكرمة وعطية وغيرهم وخص الافنان لانها هى التى تورق وتثمر فنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الاثمار وقال الزجاج الافنان الالوان واحدها فن كدن وهو الضرب والنوع من كل شئ وبه قال عطاء وسعيد بن جبير وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل معناها ذواتا فضل وسعة على ما سواهما قاله قتادة وقيل ذواتا أنواع واشكال من الثمار وقيل الافنان ظل الاغصان على الحيطان روى عن مجاهد وعكرمة قال ابن عباس ذواتا ألوان وقال فن غصونها يمس بعضها بعضا وقال الفن الغصن والمعنى ان لله فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قال قائلهم

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان كل واحد منها ليس بمحل للتكذيب ولا بموضع للانكار (فيهما) أى فى كل واحدة منهما (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وهذا أيضا صفة أخرى للجنتين قال الحسن احداهما السلسبيل والاخرى التسنيم وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قيل كل واحدة منهما مثل الدنيا أضعافا مضاعفة حصاهما الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحمأتهما المسك الاذفر وحافتاهما الزعفران وقال أبو بكر الوراق تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فتجريان فى كل مكان شاء صاحبهما وان علا مكانه كما تصعد المياه فى الاشجار فى كل غصن منها وان زاد علوها (فبأى آلاء ربكما

كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوى صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم قال محمد بن اسحق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهنى قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر فانطلق زوجها الى عثمان رضى الله عنه فذكر ذلك له فبعث اليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت اختها فقالت وما يبكيك فوالله ما التبس بى أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضى الله سبحانه وتعالى فى ما شاء فلما أتى بها عثمان رضى الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك عليا رضى الله عنه فأتاه فقال له ما تصنع قال ولدت تماما لستة أشهر

وهل يكون ذلك فقال له علي رضي الله عنه أما تقرأ القرآن قال بلى قال أما سمعت الله عز وجل يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال حولين كاملين فلم نجده بقي إلا ستة أشهر قال فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت لهذا علي بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها قال فقال معمر فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال ابني والله لا أشك فيه قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة ما زالت تأكله حتى مات رواه ابن أبي حاتم وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله عز وجل فأنا أول العابدين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرا وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين لأن الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده أي قوي وشب وارتجل وبلغ أربعين سنة أي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ويقال إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين قال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن قال قلت لمسروق متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال إذا بلغت الأربعين فخذ حذرك وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله القواريري حدثنا عروة ابن قيس الأزدي وكان قد بلغ مائة سنة حدثنا أبو الحسن السلولي عمرو بن أوس قال قال محمد بن عمرو ابن عثمان عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أسير الله في أرضه وقد روي هذا من غير هذا الوجه وهو في مسند الإمام أحمد وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمي أحد أمراء بني أمية بدمشق تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس ثم تركتها حياء من الله عز وجل وما أحسن قول الشاعر

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

قال رب أوزعني أي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي

(تكذبان) فإن من جملتها هذه النعمة الكائنة في الجنة لأهل السعادة (فيهما من كل فاكهة زوجان) هذا صفة ثالثة للجنتان والزوجان الصنفان والنوعان والمعنى أن في الجنتين من كل نوع يتفكه به في الدنيا ضربين يستلذ بكل نوع من أنواعه قيل أحد الصنفين رطب والآخر يابس لا يقصر أحدهما عن الآخر في الفضل والطيب وقيل صنفان صنف معروف وصنف غريب قيل ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فإن في مجرد تعداد هذه النعم ووصفها في هذا الكتاب العزيز من الترغيب إلى فعل الخير والترهيب عن فعل الشر ما لا يخفى على من يفهم وذلك نعمة عظمى ومنة كبرى فكيف بالتنعم به عند الوصول إليه (متكئين) قال في القاموس توكأ عليه تحامل واعتمد واتكأ جعل له متكأ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم أما أنا فلا آكل متكئا أي جالسا جلوس المتمكن المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل بل كان جلوسه للأكل مستوفزا مقعيا غير متربع ولا متمكن وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة وذكر الاتكاء لأنه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض والمهموم وانتصابه على الحال من فاعل قوله ولمن خاف وإنما جمع حملا على معنى من وقيل منصوب على المدح وقيل عاملها محذوف والتقدير يتنعمون متكئين أي مضطجعين أو متربعين (على فرش بطائنها من إستبرق) والفرش جمع فراش والبطائن هي التي تحت الظهائر وهي جمع بطانة قال الزجاج هي ما يلي الأرض والإستبرق ما غلظ من الديباج وإذا كانت البطائن من إستبرق فكيف تكون الظهائر قيل لسعيد بن جبير البطائن من إستبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فيه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وبه قال ابن عباس قيل إنما اقتصر على ذكر البطائن لأنه لم يكن أحد في الأرض يعرف ما في الظهائر وقال الحسن بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد وقال الحسن أيضا البطائن هي الظهائر وبه قال الفراء وقال قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لأن كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه وأنكر ابن قتيبة هذا وقال لا يكون هذا إلا في الوجهين المتساويين قال ابن مسعود رضي الله عنه في الآية أخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم

وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه أى فى المستقبل وأصلح لى فى ذريتى أى نسلى وعقبى انى تبت اليك وانى من المسلمين وهذا فيه ارشاد لمن بلغ الاربعين ان يجدد التوبة والانابة الى الله عز وجل ويعزم عليها وقد روى أبو داود فى سننه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم ان يقولوا فى التشهد اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام ونجنا من الظلمات الى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك لنا فى أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين (١٨٧) لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتممها علينا قال الله عز وجل أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة أى هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون الى الله المنيبون اليه المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل ونتقبل منهم اليسير من العمل فى أصحاب الجنة أى هم فى جملة أصحاب الجنة وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عز وجل من تاب اليه وأناب ولهذا قال تعالى وعد الصدق الذى كانوا يوعدون قال ابن جرير حدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنا المعتمر بن سليمان عن الحكم بن ابان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين عليه الصلاة والسلام قال يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فان بقيت حسنة وسع الله تعالى فى الجنة قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا قال قلت فان ذهبت الحسنة قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون وهكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن محمد بن عبد الاعلى الصنعانى عن المعتمر بن سليمان باسناده مثله وزاد عن الروح الامين قال قال الرب جل جلاله يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فذكره وهو حديث غريب واسناده

(١) أشار بهذا الى ان الضمير راجع الى الجنتين ومنازلهما أو يعود على الجنات الدال عليهن جنتان لان كل فرد من الخائفين له جنتان فصح انهما جنات كثيرة كذا قال الكرخى اه سيد ذو الفقار أحمد

الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر ان بطائنها من الاستبرق ولابد ان تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر (وجنى الجنتين دان) مبتدأ وخبر ودان أصله دانو مثل غاز فأعل اعلال غاز وجنى فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والجنى ما يجتنى من الثمار قيل ان الشجرة تدنو حتى يجتنيها من يريد جناها قال ابن عباس جناها ثمرها والدانى القريب منك أى يناله القائم والقاعد والمتكىء والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانه لا تنال الا بكد وتعب وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك قال الرازى جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه أحدها ان الثمرة على رؤس الشجر فى الدنيا بعيدة عن الانسان المتكىء وفى الجنة يتكىء والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان فى الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفى الآخرة تدنو منه وتدور عليه وثالثها ان الانسان فى الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليه فى وقت واحد ومكان واحد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فانها كلها بموضع لا يتيسر لمكذب ان يكذب بشىء منها لما يشتمل عليه من الفوائد العاجلة والآجلة (فيهن) أى فى الجنتين المذكورتين لان أقل الجمع اثنان (١) أو لاشتمالهما على أماكن وعلالى وقصور ومجالس قال الزجاج وانما قال فيهن لانه عنى الجنتين وما أعد لصاحبهما فيهما من النعيم أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى وقيل فيهن أى فى الفرش التى بطائنها من استبرق قال أبو حيان وفيه بعد لان الاستعمال ان يقال على الفراش كذا ولا يقال فى الفراش كذا الا بتكلف ولذلك جمع الزمخشرى مع الفرش غيرها حتى صح له ان يقول ذلك وقال الفراء كل موضع فى الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن (قاصرات الطرف) من اضافة اسم الفاعل لمنصوبه تخفيفا اذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق القصر للعلم به أى انهن يقصرن أبصارهن على أزواجهن المتكئين من الانس والجن لا ينظرن الى غيرهم ولا يرين سواهم والآية دلت على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع رأسها وقد تقدم هذا فى سورة الصافات قال ابن عباس قاصرات الطرف عن غير أزواجهن قال الرازى وانظر الى حسن هذا الترتيب فانه بين أولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والعيون الجارية ثم ذكر المأكول ثم ذكر موضع الراحة بعد

جيد لا بأس به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن معبد حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن أبي وحشية عن يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال ونزل في داري حيث ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة فقال لي يوما لقد شهدت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه وعنده عمار وصعصعة والاشتر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهم فذكروا عثمان رضي الله عنه فنالوا منه فكان علي رضي الله عنه على السرير ومعه عود في يده فقال قائل منهم ان عندكم من يفصل بينكم فسألوه فقال علي رضي الله عنه (١٨٨) كان عثمان رضي الله عنه من الذين قال الله تعالى أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون قال والله عثمان وأصحاب عثمان رضي الله عنهم قالها ثلاثا قال يوسف فقلت لمحمد بن حاطب آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه قال آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الاشقياء العاقين للوالدين فقال والذي قال لوالديه أف لكما وهذا عام في كل من قال هذا ومن زعم انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقوله ضعيف لان عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وكان من خيار أهل زمانه وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما وفي صحة هذا نظر والله تعالى أعلم وقال ابن جريج عن مجاهد نزلت في عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما قاله ابن جريج وقال آخرون عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وهذا أيضا قول السدي وانما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق فقال لوالديه أف لكما عقهما وقال ابن

الاكل وهو الفراش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشيء من أعظم الملذات قال (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الضمير راجع الى الازواج المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل يعود الى المتكئين والجملة نعت لقاصرات لان اضافتها لفظية كقوله هذا عارض ممطرنا أو حال لتخصص النكرة بالاضافة قال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية يقال طمث الجارية اذا افترعها وقيل الطمث المس أي لم يمسسهن قاله أبو عمرو وقال المبرد أي لم يذللهن والطمث التذليل ومن استعمال الطمث فيما ذكره الفراء قول الفرزدق

دفعن الي ولم يطمثن قبلي * وهن أصح من بيض النعام

وفي السمين أصل الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وقيل الطمث دم الحيض أو دم الجماع قال الواحدي قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن قبلهم أحد ولم يتسلط عليهن قال مقاتل لانهن خلقن في الجنة وقيل انهن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر أبكارا وقيل هن الآدميات اللاتي متن أبكارا والاول أولى قرأ الجمهور يطمثهن بكسر الميم وقرئ بضمها وبفتحها وفي هذه الآية بل في كثير من آيات هذه السورة دليل على ان الجن يدخلون الجنة اذا آمنوا بالله سبحانه وعملوا بفرائضه وانتهوا عن مناهيه قال ابن عباس في الآية لم يطمثهن لم يدن منهن أو لم يدمهن وفي الآية دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس فان مقام الامتنان يقتضي ذلك اذ لو لم يطمثوا لم يحصل لهم الامتنان (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان في مجرد هذا الترغيب في هذه النعم نعمة جليلة ومنة عظيمة لان به يحصل الحرص على الاعمال الصالحة والفرار من الاعمال الطالحة فكيف بالوصول الى هذه النعم والتنعم بها في جنات النعيم بلا انقطاع ولا زوال (كأنهن الياقوت والمرجان) هذا صفة لقاصرات أو حال منهن ولم يذكر مكي غيره والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار لا تؤثر فيه ومن المعلوم ان الياقوت أحمر اللون فهذا التشبيه يقتضي ان لون أهل الجنة البياض المشرب بحمرة فينافي المقرر المعلوم من انه البياض المشرب بصفرة فالجواب ان التشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة وهذا لا ينافي ان البياض مشرب بصفرة كما قال الحسن هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وانما خص المرجان على القول بأنه

صغار

أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن أبي زائدة عن اسمعيل بن أبي خالد أخبرني عبد الله المدني قال اني لفي المسجد حين خطب مروان فقال ان الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا وان يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أهرقلية ان أبا بكر رضي الله عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية الا رحمة وكرامة لولده فقال مروان ألست الذي قال لوالديه أف لكما فقال عبد الرحمن رضي الله عنه ألست ابن اللعين الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباك (١٨٩) قال وسمعتهما عائشة رضي الله عنها فقالت يا مروان أنت القائل لعبد الرحمن رضي الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف وقد رواه البخاري باسناد آخر ولفظ آخر فقال حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا الذي أنزل فيه والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني ان أخرج وقد خلت القرون من قبلي فقالت عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب ما أنزل الله عز وجل فينا شيأ من القرآن الا ان الله تعالى أنزل عذري طريق أخرى قال النسائي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة عن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما سنة هرقل وقيصر فقال مروان هذا الذي أنزل الله تعالى فيه والذي قال لوالديه أف لكما الآية فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت ان أسمي الذي أنزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله وقوله أتعدانني ان أخرج أي أبعث وقد خلت القرون من قبلي أي قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر وهما يستغيثان الله أي يسألان الله فيه ان يهديه و يقولان لولدهما ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير

صغار الدر لان صفاءها أشد من صفاء كبار الدر عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ينظر الى وجهه في خدرها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك ان الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فحجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه ابن أبي شيبة وهناد بن السري وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وغيرهم وقد رواه الترمذي موقوفا وقال هو أصح (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان نعمه كلها لا يتيسر تكذيب شيء منها كائنة ما كانت فكيف بهذه النعم الجليلة والمنن الجزيلة (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) هل ترد في الكلام على أربعة أوجه تكون بمعنى قد كقوله هل أتى على الانسان حين من الدهر وبمعنى الاستفهام كقوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الأمر كقوله فهل أنتم منتهون وبمعنى الجحد كقوله فهل على الرسل الا البلاغ وكما في هذه الآية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها والمعنى ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا الا الاحسان اليه في الآخرة كذا قال ابن زيد وغيره وقال الصادق هل جزاء من أحسنت اليه في الأزل الا حفظ الاحسان عليه في الأبد قال الرازي في هذه الآية وجوه كثيرة حتى قيل ان في القرآن ثلاث آيات في كل واحدة منها مائة قول احداها قوله تعالى فاذكروني أذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال محمد بن الحنفية هي للبر والفاجر البر في الآخرة والفاجر في الدنيا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وضعفه وأخرج البغوي في تفسيره وغيره في غيره عن أنس مرفوعا مثله وعن جابر مرفوعا في الآية قال هل جزاء من أنعمنا عليه بالاسلام الا ان أدخله الجنة وأخرج ابن النجار عن علي مرفوعا مثل حديث ابن عمر وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله في الدنيا الا الجنة في الآخرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي هذه الآية في سورة الرحمن للكافر والمسلم هل جزاء

الاولين قال الله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين أى دخلوا فى زمرة أشباههم واضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وقوله أولئك بعد قوله والذى قال دليل على ماذكرناه من انه جنس يعم كل من كان كذلك وقال الحسن وقتادة هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة سهل بن داود من طريق همام بن عمار حدثنا حماد بن عبد الرحمن حدثنا خالد الزبرقان العلمى عن سليم بن حبيب المحاربى عن أبى امامة الباهلى رضى الله (١٩٠) عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أربعة لعنهم الله تعالى من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة مضل المساكين قال خالد الذى يهوى بيده الى المسكين فيقول هلم أعطيك فاذا جاءه قال ليس معى شئ والذى يقول للماعون ابن(١) وليس بين يديه شئ والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها والذى يضرب الوالدين حتى يستغيثا غريب جدا وقوله تبارك وتعالى ولكل درجات مما عملوا أى لكل عذاب بحسب عمله وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون أى لايظلمهم مثقال ذرة فما دونها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم درجات النار تذهب سفالا ودرجات الجنة تذهب علوا وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها أى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وقد تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها ويقول أخاف ان أكون كالذين قال الله لهم وبخهم وقرعهم أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وقال أبو مجلز ليفقدن أقوام حسنات كانت لهم فى الدنيا فيقال لهم أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وقوله عز وجل فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فجوزوا من جنس عملهم فكما نعموا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصى جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو الاهانة والخزى والآلام الموجعة والحسرات المتتابعة والمنازل فى الدركات المفظعة أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه

الاحسان الا الاحسان أخرجه ابن عدى وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمى والبيهقى وأخرجه ابن مردويه موقوفا على ابن عباس وقال ابراهيم الخواص فى الآية هل جزاء الاسلام الا دار الاسلام وفى الآية اشارة الى رفع التكليف فى الآخرة لان الله وعد المؤمن بالاحسان وهو الجنة فلو بقى التكليف فى الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها الاحسان اليكم فى الدنيا والآخرة بالخلق والرزق والارشاد الى العمل الصالح والزجر عن العمل الذى لايرضاه (ومن دونهما جنتان) أى من دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدمة جنتان أخريان لمن دون أصحاب الجنتين السابقتين من أهل الجنة ومعنى من دونهما أى من امامهما ومن قبلهما أى هما أقرب منهما وأدنى الى العرش فهما أفضل من الاوليين والى هذا ذهب الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول وقيل دونهما فى الدرج وقيل بالفضل وقيل الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى قال ابن جريج هى أربع جنات جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان قال ابن زيد ان الاوليين من ذهب للمقربين والاخريين من ورق لاصحاب اليمين وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآية قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لاصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان كلها حق ونعم لايمكن جحدها ثم وصف سبحانه هاتين الجنتين الاخريين فقال (مدهامتان) ومابينهما اعتراض قال أبو عبيدة والزجاج من خضرتهما قد اسودتا من الرى وكل ماعلاه السواد ريا فهو مدهم عند العرب قال مجاهد مسودتان والدهمة فى اللغة السواد يقال فرس أدهم وبعير أدهم اذا اشتدت ورقته حتى ذهب البياض الذى فيه وناقة دهماء وادهام ادهيماما أى اسواد وسميت قرى العراق سواد الكثرة خضرتها والشاة الدهماء الحمراء الخالصة الحمرة ويقال للقيد أدهم وفى المختار دهمهم الامر غشيهم وبابه فهم وكذا دهمتهم الخيل ودهمهم بفتح الهاء لغة وقال ابن عباس هما خضراوان قد اسودتا من الخضرة من الرى من الماء وعن ابن الزبير نحوه وعن أبى أيوب الانصارى قال سألت النبى صلى

(١) بياض بأصله

ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين) يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فى تكذيب من كذبه من قومه واذكر أخا عاد وهو هود عليه الصلاة والسلام بعثه الله عز وجل الى عاد الاولى وكانوا يسكنون الاحقاف جمع حقف وهو الجبل (١٩١) من الرمل قاله ابن زيد وقال عكرمة الاحقاف الجبل والغار وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الاحقاف واد بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار وقال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احياء باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر قال ابن ماجه باب اذا دعا فليبدأ بنفسه حدثنا الحسين بن على الخلال حدثنا ابى (١) حدثنا زيد بن الحباب حدثنا سفيان حدثنا على بن اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمنا الله وأخا عاد وقوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه يعنى وقد أرسل الله تعالى الى من حول بلادهم فى القرى مرسلين ومنذرين كقوله عز وجل فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وكقوله جل وعلا فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أى قال لهم هود ذلك فأجابه قومه قائلين أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا أى لتصدنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعادا منهم وقوعه كقوله جلت عظمته يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها قال انما العلم عند الله أى الله أعلم بكم ان كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم وأما أنا فمن شأنى انى أبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون أى لا تعقلون ولا تفهمون قال الله تعالى فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم أى لما رأوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا انه عارض ممطر ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا ممحلين محتاجين الى المطر قال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم أى هو العذاب الذى قلتم فأتنا بما تعدنا ان كنت من

(١) بياض بالاصل

الله عليه وسلم عن قوله مدهامتان قال خضراوان أخرجه الطبرانى وابن مردويه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان جميعها نعم ظاهرة واضحة لا تجحد ولا تنكر (فيهما عينان نضاختان) النضخ فوران الماء من العين والمعنى ان فى الجنتين المذكورتين عينين فوارتين قال أهل اللغة والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة لان بالحاء الرش وبالخاء المعجمة فوران الماء قاله السمين قال الحسن ومجاهد تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور فى دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير انها تنضخ بانواع الفواكه والماء قال ابن عباس فائضتان تنضخان بالماء وقيل بالخير والبركة على أهل الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فانها ليست بموضع للتكذيب ولا بمكان للجحد (فيهما فاكهة ونخل ورمان) هذا من صفات الجنتين المذكورتين قريبا والنخل والرمان وان كانا من الفاكهة لكنهما خصصا بالذكر لمزيد حسنهما وكثرة نفعهما بالنسبة الى سائر الفواكه كما حكاه الزجاج والازهرى وغيرهما وقيل انما خصهما لكثرتهما فى أرض العرب قال الخطيب كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا الان النخل عامة قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التى يعجبون بها وقيل خصهما لان النخل فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء وقد ذهب الى انهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم وبه قال الشافعى فيحنث بأكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة وحينئذ فعطفهما عليها من عطف الخاص على العام تفصيلا ولم يخالف فى ذلك الا أبو حنيفة رحمه الله وقد خالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد وهو قول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له فى الآية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذه النعم التى فى جنات النعيم ومجرد الحكاية لها تؤثر فى نفوس السامعين وتجذبهم الى طاعة رب العالمين (فيهن خيرات حسان) قرأ الجمهور خيرات بالتخفيف وقرئ بالتشديد فعلى الاولى هى جمع خيرة بزنة فعلة بسكون العين يقال امرأة خيرة وأخرى شرة أو جمع خيرة مخفف خيرة وعلى الثانية جمع خيرة بالتشديد قال الواحدى قال المفسرون الخيرات النساء خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقيل وهذه الصفة عائدة الى الجنان الاربع ولا وجه لهذا فانه قد وصف نساء الجنتين الاوليين بانهن قاصرات الطرف كأنهن الياقوت والمرجان وبين الصفتين بون بعيد عن ابن مسعود فى الآية قال

الصادقين تدمر أى تخرب كل شئ من بلادهم مما من شأنه الخراب بامر ربها أى باذن الله لها فى ذلك كقوله سبحانه وتعالى ماتذر
من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم أى كالشئ البالى ولهذا قال عز وجل فاصبحوا لايرى الا مساكنهم أى قد بادوا كلهم عن
آخرهم ولم يبق لهم باقية كذلك نجزى القوم المجرمين أى هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا وقد ورد حديث فى قصتهم وهو
غريب جدا من غرائب الحديث وافراده قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى أبو المنذر سلام بن سليمان النحوى حدثنا
عاصم بن أبى النجود عن ابى وائل عن (١٩٢) الحرث البكرى قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمررت بالربذة فاذا عجوز
من بنى تميم منقطع بها فقالت لى ياعبد
الله ان لى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغى
اليه قال فحملتها فاتيت بها المدينة
فاذا المسجد غاص باهله واذا راية
سوداء تخفق واذا بلال رضى الله
عنه متقلد السيف بين يدى رسول
صلى الله عليه وسلم فقلت ماشأن
الناس قالوا يريد ان يبعث عمرو بن
العاص رضى الله عنه وجها قال
فجلست فدخل منزله أو قال رحله
فاستأذنت عليه فاذن لى فدخلت
فسلمت فقال صلى الله عليه وسلم
هل كان بينكم وبين تميم شئ قلت
نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت
بعجوز من بنى تميم منقطع بها فسألتنى
ان أحملها اليك فهاهى بالباب
فاذن لها فدخلت فقلت يارسول
الله ان رأيت ان تجعل بيننا وبين
تميم حاجزا فاجعل الدهناء فحميت
العجوز واستوفزت وقالت يارسول
الله فالى أين يضطر مضطرك قال
قلت ان مثلى ما قال الاول معزى
حملت حتفها حملت هذه ولا أشعر انها
كانت لى خصما أعوذ بالله ورسوله
ان أكون كوافد عاد قال لى وما وافد عاد وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت ان عادا قحطوا فاحسن
فبعثوا وافدا لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فاقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى
الشهر خرج الى جبال مهرة فقال اللهم انك تعلم لم أجئ مريض فاداويه ولا الى أسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه فمرت به
سحابات سود فنودى منها اختر فاومأ الى سحابة منها سوداء فنودى منها خذها رمادا رمددا لاتبقى من عاد أحدا قال فما بلغنى انه
أرسل عليهم من الريح الا كقدر مايجرى فى خاتمى هذا حتى هلكوا قال أبو وائل وصدق وكانت المرأة والرجل اذا بعثوا وافدا لهم

لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها من الله كل يوم
تحفة وكرامة وهدية لم يكن قبل ذلك لامراحات ولاطماحات ولابخرات ولاذفرات حور
عين كأنهن بيض مكنون وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عنه مرفوعا واختلف
أيهما أكثر حسنا وأبهى جمالا الحور أو الآدميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن
فى القرآن والسنة كقوله عليه السلام فى دعائه على الميت فى الجنازة وأبدله زوجا خيرا
من زوجه وقيل الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف وروى مرفوعا
وقيل ان الحور العين المذكورات فى القرآن هن المؤمنات من أزواج الانبياء والمؤمنين
يخلقن فى الآخرة على أحسن صورة قاله الحسن وفيه بعد بعيد والمشهور ان الحور العين
لسن من نساء أهل الدنيا وانما هن مخلوقات فى الجنة لان الله قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أقل ساكنى
الجنة النساء فلا يصيب كل واحد منهم امرأة ووعد الحور العين لجماعتهم فثبت انهن من
غير نساء الدنيا ذكره القرطبى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان شيأ منها كائنا ما كان
لايقبل التكذيب (حور مقصورات فى الخيام) أى محبوسات فيها ومنه القصر لانه يحبس
من فيه وقيل مخدرات مستورات لايخرجن لكرامتهن وشرفهن يقال امرأة قصيرة
وقصورة ومقصورة أى مخدرة والحور جمع حوراء وهى شديدة بياض العين شديدة
سوادها وقد تقدم بيان معنى الحوراء والخلاف فيه وقيل معنى مقصورات انهن قصرن
على أزواجهن فلا يردن غيرهم وحكاه الواحدى عن المفسرين والاول أولى وبه قال أبو
عبيدة ومقاتل وغيرهما قال فى الصحاح قصرت الشئ أقصره قصرا حبسته والمعنى انهن
خدرن فى الخيام والخيام جمع خيمة وقيل جمع خيم والخيم جمع خيمة وهى أعواد تنصب
وتظلل بالثياب فتكون أبرد من الاخبية قيل الخيمة من خيام الجنة درة مجوفة فرسخ فى
فرسخ قال ابن عباس مقصورات محبوسات فى الخيام قال فى بيوت اللؤلؤ وقال الحور سود
الحدق وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الخيام در مجوف أخرجه ابن
جرير وابن أبى حاتم وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى موسى الاشعرى عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها
للمؤمن أهل لايراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن (فبأى آلاء ربكما) الذى صوركم

فأحسن صوركم وجعل لكم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطمثهن انس قبلهم) أي قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان) وقد تقدم تفسيره في صفة الجنتين الاولين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فانها كلها نعم لا تكفرونها ولا تجحد (متكئين على رفرف خضر) قرأ الجمهور رفرف على الافراد وقرئ رفارف على الجمع وقرئ خضر بضم الخاء وسكون الضاد المعجمة وبضمها وهي لغة قليلة قال أبو عبيدة الرفارف البسط وبه قال الحسن ومقاتل والضحاك وغيرهم وقال ابن عيينة هي الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وروى عن أبي عبيدة انه قال هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من الثياب الخضر وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب عريض قال في الصحاح والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة اسم جمع أو اسم جنس جمعي نقله مامكي وقال الزجاج قالوا الرفرف هنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائد وقيل المجالس انتهى وقيل الطنافس ومن القائلين بانها رياض الجنة خضر مخصبة سعيد بن جبير واشتقاق الرفرف من رف يرف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر وهي تحريك جناحيه في الهواء وقال ابن عباس رفرف فضول المجالس والفرش والبسط وعن علي قال هي فضول المجالس (وعبقري حسان) أي الزرابي والطنافس الموشية قال ابن عباس العبقري الزرابي والرفرف الرياض قال أبو عبيدة كل وشي من البسط عبقري وهو منسوب الى أرض يعمل فيها الوشي قال الفراء العبقري الطنافس الثخان وقيل الرقاق وقيل البسط وقيل الديباج قال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية تسكن فيها الجن ينسب اليها كل فائق قال الخليل العبقري عند العرب كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء قال الجوهري العبقري موضع تزعم العرب انه من أرض الجن ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع قرأ الجمهور عبقري وقرئ عباقري وعباقر وهما نسبة الى عباقر اسم بلد وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان كل واحد منها أجل من ان يتطرق اليه التكذيب وأعظم من أن يجحده جاحد أو ينكره منكر وقد قدمنا في أوائل هذه السورة وجه تكرير هذه الآية فلا نعيده (تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام)

قالوا الا تكن كوافد عاد ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه كما تقدم في سورة الاعراف وقال الامام أحمد حدثنا هرون بن معروف أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم وقالت كان صلى الله عليه وسلم اذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا وأخرجاه من حديث ابن وهب طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى ناشئا في أفق من آفاق السماء ترك عمله وان كان في صلاته ثم يقول اللهم اني أعوذ بك من شر ما فيه فان كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل وان أمطر قال اللهم صيبا نافعا طريق أخرى قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء ابن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به قالت واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطر سري عنه فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها فسألته فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الاعراف وهود بما أغنى عن اعادته ههنا ولله تعالى الحمد والمنة وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا اسمعيل بن زكريا الكوفي حدثنا أبو مالك بن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح على عاد من الريح الا مثل موضع الخاتم ثم أرسلت عليهم في البدو الى الحضر فلما رآها أهل الحضر قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا وكان أهل البوادي فيها فالقى أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا قال عتت على خزانها حتى خرجت من خلال الابواب والله سبحانه وتعالى أعلم (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا

لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) يقول تعالى ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله ولا قريبا منه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن أي وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه أي فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة وقوله تعالى ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى يعني أهل مكة قد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام وكذلك سبأ وهم أهل اليمن ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها أيضا وقوله عز وجل وصرفنا الآيات أي بيناها وأوضحناها لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة أي فهل نصروهم عند احتياجهم إليهم بل ضلوا عنهم أي بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم وذلك إفكهم أي كذبهم وما كانوا يفترون أي وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله أعلم (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو سمعت عكرمة عن الزبير وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قال بنخلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء الآخرة كادوا يكونون عليه لبدا قال سفيان اللبد بعضهم على بعض كاللبد بعضه على بعض تفرد به أحمد وسيأتي من رواية ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس أنهم سبعة من جن نصيبين وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة ح وقال الإمام الشهير الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه

من

قرأ الجمهور بالجر على أنه صفة للرب سبحانه وقرئ بالرفع على أنه صفة للاسم وتبارك تفاعل من البركة قال الرازي وأصل التبارك من التبرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فإن الماء يكون دائما والمعنى دام اسمه وثبت أو دام الخير عنده لأن البركة وإن كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير أو يكون معناه علا وارتفع شأنه وقيل معناه تنزيه الله سبحانه وتقديسه وإذا كان هذا التبارك منسوبا إلى اسمه عز وجل فما ظنك بذاته سبحانه وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل هو مقحم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام أخرجه أبو داود والنسائي غير قولها إلا مقدار ما يقول وعن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام أخرجه مسلم وقد تقدم تفسير ذي الجلال والإكرام في هذه السورة وذكر سليمان الجمل هنا كلاما طويلا يتعلق بشرح هذه الآيات من تذكرة القرطبي وغالبه في تفسيره لا نطول بذكره لقلة الفائدة

(سورة الواقعة هي ست أو سبع أو تسع وتسعون آية)

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وقال الكلبي إنها مكية إلا أربع آيات منها وهي أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون نزلتا في سفره إلى مكة وقوله ثلة من الأولين وقليل من الآخرين نزلتا في سفره إلى المدينة قال ابن عباس نزلت الواقعة بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة أبدا أخرجه البيهقي في الشعب والحرث بن أبي أسامة وأبو يعلى وابن مردويه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤها وعلموها أولادكم أخرجه ابن عساكر وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى أخرجه الديلمي وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة قال مسروق

دلائل النبوة أخبرنا ابو الحسن على بن احمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا اسمعيل القاضى أخبرنا مسدد حدثنا أبوعوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقالوا حيل بيننا و بين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم و بين خبر السماء الاشئ حدث فاضربوا مشارق

الارض ومغاربها وانظروا ماهذا الذى حال بينكم و بين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها يبتغون ماهذا الذى حال بينهم و بين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذى حال بينكم و بين خبر السماء فهنالك حين رجعوا الى قومهم قالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وانما أوحى اليه قول الجن رواه البخارى عن مسدد بنحوه وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبى عوانة به ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث أبى عوانة وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو أحمد حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوا حقا وما زادوا باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا يأتى مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك الى ابليس فقال ماهذا الامن أمر قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض ورواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير من سننيهما من حديث اسرائيل به وقال الترمذى حسن صحيح وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما وكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا بمثل هذا السياق بطوله وهكذا قال الحسن البصرى انه صلى الله عليه وسلم ماشعر بامرهم حتى أنزل الله تعالى عليه بخبرهم وذكر محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن محمد بن

من أراد ان يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة) أى قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة قال المفسرون وهى النفخة الاخيرة الثانية وقيل هى اسم للقيامة كالآزفة وغيرها وسميت الواقعة لانها كائنة لامحالة أو لقرب وقوعها أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد أى اذكر وقت وقوع الواقعة أو اذا وقعت كان كيت وكيت قاله مكى وقيل غير ذلك (ليس لوقعتها كاذبة) الكاذبة مصدر كالعاقبة أى ليس لمجيئها وظهورها كذب أصلا والمعنى انها اذا وقعت النفخة الآخرة عند البعث لم يكن هنالك تكذيب لها أصلا أولا تكون هنالك نفس تكذب على الله وتكذب بما اخبر عنه من امور الآخرة ووقوع القيامة لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام كقوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وقال الزجاج معناه لا يردها شئ وبه قال الحسن وقتادة وقال الثورى ليس لوقعتها أحد يكذب بها وقال الكسائى ليس لها تكذيب أى لا ينبغى ان يكذب بها أحد وقال ابن عباس ليس لها مرد (خافضة رافعة) قرأ الجمهور برفعهما على اضمار مبتدا أى هى خافضة وقرئ بنصبهما على الحال والجملة تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وغير ذلك قال عكرمة والسدى ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت من نأى وقال قتادة خفضت أقواما فى عذاب الله ورفعت أقواما الى طاعة الله وقال محمد بن كعب خفضت أقواما كانوا فى الدنيا مرفوعين ورفعت أقواما كانوا فى الدنيا مخفوضين والعرب تستعمل الخفض والرفع فى المكان والمكانة والعز والاهانة ونسبة الخفض والرفع اليها على طريق المجاز والخافض والرافع فى الحقيقة هو الله سبحانه قال ابن عباس خافضة رافعة تخفض ناسا وترفع آخرين وعنه قال أسمعت القريب والبعيد وعن عمر بن الخطاب قال الساعة خفضت أعداء الله الى النار ورفعت أولياء الله الى الجنة (اذا رجت الارض رجا) أى اذا حركت حركة شديدة يقال رجه يرجه رجا اذا حركه والرجة الاضطراب وارتج البحر

كعب القرظي قصة خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف ودعائه اياهم الى الله عز وجل وابائهم عليه فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة (١٩٦) الا بك قال فلما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين وهذا صحيح ولكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء الايحاء كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان بعد موت عمه وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن اسحق وغيره والله أعلم وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قال صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين الى ضلال مبين فهذا مع الاول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا اقراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج كما ستأتي بذلك الاخبار في موضعها والآثار مما سنوردها ههنا ان شاء الله تعالى وبه الثقة فاما ما رواه البخاري ومسلم جميعا عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي عن أبي اسامة حماد بن اسامة عن مسعر بن كدام عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول سألت مسروقا من آذن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا القرآن فقال حدثني أبوك يعني ابن مسعود رضي الله عنه انه آذنته بهم شجرة فيحتمل ان يكون هذا في المرة الاولى ويكون اثباتا مقدما على نفي ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل ان يكون في الاولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة أي أعلمته باجتماعهم والله أعلم ويحتمل ان يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم قال الحافظ البيهقي وهذا الذي

وغيره اضطرب قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها (وبست الجبال بسا) البس الفت يقال بس الشيء اذا فته حتى يصير فتاتا ويقال بس السويق اذا لته بالسمن أو بالزيت قال مجاهد ومقاتل المعنى ان الجبال فتت فتا وبه قال ابن عباس وقال السدي كسرت كسرا وقال الحسن قلعت من أصلها وقال مجاهد أيضا بست كما يبس الدقيق بالسمن أو بالزيت والمعنى انها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت وقال أبو زيد البس السوق والمعنى على هذا سيقت الجبال سوقا قال أبو عبيد بس الابل وابتسها الغنان اذا زجرها وقال عكرمة المعنى هدت هدا وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقال قتادة ومقاتل وابن عباس ومجاهد معنى رجت زلزلت أي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يرتفع ما هو منخفض وينخفض ما هو مرتفع وقيل المعنى وقوع الواقعة هو رج الارض وبس الجبال (فكانت هباء منبثا) أي غبارا متفرقا منتشرا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه وقال مجاهد الهباء الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وقيل هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب وقيل ما تطاير من النار اذا اضطرمت يطير منها على صورة الشرر فاذا وقع لم يكن شيأ قاله ابن عباس وعطية وقد تقدم بيانه في الفرقان عند تفسير قوله فجعلناه هباء منثورا قرأ الجمهور منبثا بالمثلثة وقرئ بالفوقية أي منقطعا من قولهم بته الله أي قطعه وقال ابن عباس شعاع الشمس وعنه الهباء ما يثور مع شعاع الشمس وانبثاثه تفرقه وقال علي الهباء المنبث رهج الدواب والهباء المنثور غبار الشمس الذي تراه في شعاع الكوة ثم ذكر سبحانه أحوال الناس واختلافهم فقال (وكنتم أزواجا ثلاثة) الخطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا أو للحاضرة فقط والمعنى وكنتم في ذلك اليوم أصنافا ثلاثة اثنان في الجنة وواحد في النار كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر فهو زوج قال ابن عباس الازواج الاصناف وهي التي في سورة الملائكة ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ثم فسر سبحانه هذه الاصناف فقال (فأصحاب الميمنة) وهي ناحية اليمين أي أصحاب اليمين وهم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم أو الذين تؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأصحاب

الميمنة

حكاه ابن عباس رضي الله عنهما انما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل كما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ذكر الرواية عنه بذلك) قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد فقال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل استطير ما فعل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان

المينة مبتدأ خبره (ما أصحاب الميمنة) أي أي شيء هم في حالهم وصفتهم وسعادتهم وتكرير المبتدا هنا بلفظه مغن عن الضمير الرابط كما في قوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة ولا يجوز مثل هذا الا في مواضع التعظيم والتفخيم والكلام في قوله (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) كالكلام فيما تقدم والمراد بهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار أو يأخذون صحائف أعمالهم بشمائلهم والمراد تعجيب السامع من حال الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة في نهاية السعادة وغاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية الشقاوة وغاية سوء الحال فالاستفهام في كلا الموضعين للتعجيب وقال السدي أصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وأصحاب المشأمة هم الذين كانوا عن شماله وقال زيد بن أسلم أصحاب الميمنة هم الذين أخذوا من شق آدم الايمن وأصحاب المشأمة هم الذين أخذوا من شقه الايسر وقال ابن جريج أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات وأصحاب المشأمة هم أهل السيآت وقال الحسن والربيع أصحاب الميمنة هم الميامين على أنفسهم بالاعمال الحسنة وأصحاب المشأمة هم المشائيم على أنفسهم بالاعمال القبيحة وقال المبرد أصحاب الميمنة أصحاب التقدم وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين وقيل المراد أصحاب المنزلة السنية الرفيعة وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة أخذا من تيامنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل أخرج أحمد عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فقبض بيديه قبضتين فقال هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي (والسابقون) مبتدأ وخبره قوله (السابقون) والتكرير فيه للتفخيم والتعظيم كما مر في القسمين الاولين كما تقول أنت أنت وزيد زيد وفيه تأويلان أحدهما بمعنى السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك وعرفت محاسنهم والثاني ان متعلق السبقين مختلف والتقدير السابقون الى الايمان السابقون الى الجنة والاول أولى لما فيه من الدلالة على التفخيم والتعظيم وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان من كل أمة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقال محمد بن كعب انهم الانبياء وقال ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين

في وجه الصبح أو قال في السحر اذا نحن به يجيء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فذكروا الذي كانوا فيه فقال انه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال قال الشعبي سألوه الزاد قال عامر سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم قال فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن علي بن حجر عن اسمعيل بن علية به نحوه وقال مسلم أيضا حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود رضي الله عنه فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقيل استطير اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم طريق أخرى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال أبو جعفر ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي حدثنا يونس عن الزهري عن عبيد الله قال ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بت الليلة أقرأ على الجن واقفا بالحجون طريق أخرى فيها انه كان معه ليلة الجن قال ابن جرير رحمه الله حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا عمي عن عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام قال ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهو بمكة من أحب منكم ان يحضر أمر الجن الليلة فليفعل فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني ان أجلس فيه ثم انطلق حتى قام (١٩٨) فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق فتبرز ثم أتاني فقال ما فعل الرهط قلت هم أولئك يا رسول الله فأعطاهم عظما وروثا زادا ثم نهى ان يستطيب أحد بروث أو عظم ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله ابن الحكم عن أبي زرعة وهب بن راشد عن يونس بن يزيد الايلي به ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به وقد روى اسحق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحو ما تقدم ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق موسى ابن عبيدة عن سعيد بن الحرث عن أبي المعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحوه أيضا طريق أخرى قال أبو نعيم حدثنا أبو بكر ابن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل حدثني أبي حدثنا ابن عفان وعارم قالا حدثنا معتمر قال أبي حدثني أبو تميمة عن عمرو ولعله قد يكون قال البكالي يحدثه عمرو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال استتبعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط لي خطا فقال كن بين ظهر هذه لا تخرج منها فانك ان خرجت منها هلكت فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي انه قال لابن مسعود رضي الله عنه حدثنا انك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل قال فكيف كان فذكر الحديث كله وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم خط عليه خطا وقال لا تبرح منها فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله صلى الله عليه

سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وقال مجاهد هم الذين سبقوا الى الجهاد وبه قال الضحاك وقال سعيد بن جبير هم السابقون الى التوبة وأعمال البر وقال الزجاج المعنى والسابقون الى طاعة الله هم السابقون الى رحمة الله قال ابن عباس السابقون يوشع بن نون سبق الى موسى ومؤمن آل ياسين سبق الى عيسى وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه سبق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه قال نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار الذي ذكر في يس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وكل رجل منهم سابق أمة وعلي أفضلهم سبقا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون من السابقون الى ظل الله يوم القيامة قالوا الله ورسوله أعلم قال الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوا بذلوا وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم أخرجه أحمد قيل ووجه تأخير هذا الصنف الثالث مع كونه أشرف من الصنفين الاولين وأسبق الاقسام وأقدمهم في الفضل هو ان يقترن به ما بعده وهو قوله (أولئك المقربون في جنات النعيم) فالاشارة هي اليهم أي المقربون الى جزيل ثواب الله وعظيم كرامته أو الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية وما في أولئك من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده هذا أظهر ما ذكر في اعراب هذه الجملة وأشهره وهو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وجنات النعيم خبر ثان أو حال من الضمير في المقربون أو متعلق به أي قربوا الى رحمة الله فيها قرأ الجمهور جنات بالجمع وقرئ جنة بالافراد واضافة الجنات الى النعيم من اضافة المكان الى ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل (ثلة من الاولين) أي هم ثلة وهي الجماعة التي لا يحصر عددها قال الزجاج معنى ثلة فرقة من ثللت الشئ اذا قطعته والمراد بالاولين هم الامم السابقة من لدن آدم الى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من بينهما من الانبياء العظام (وقليل من الآخرين) أي من هذه الامة وهم أقل بالنسبة الى من كان قبلهم وهم كثيرون لكثرة الانبياء فيهم وكثرة من أجابهم قال الحسن سابق من مضى أكثر من سابقينا قال الزجاج الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوا بهم أكثر ممن عاين النبي

صلى

وسلم فذعر ثلاث مرات حتى اذا كان قريبا من الصبح اتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنمت فقلت لا والله ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا فقال صلى الله عليه وسلم لو خرجت لم آمن أن يختطفك بعضهم ثم قال صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رأيت رجالا سودا مستثفرين ثيابا بيضا قال صلى الله عليه وسلم أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة فقلت يارسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال صلى الله عليه وسلم انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثا الا وجدوا فيها (١٩٩) حبها يوم أكلت فلا يستنقين أحد منكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة طريق أخرى قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر بن قتادة قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي حدثنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البوشنجي حدثنا روح ابن صلاح حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال استتبعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان نفرا من الجن خمسة عشر بني اخوة و بني عم يأتوني الليلة أقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه الى المكان الذي أراد فخط لي خطا وأجلسني فيه وقال لي لا تخرج من هذا فبت فيه حتى أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحممة فقال اذا ذهبت الى الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء قال فلما أصبحت قلت لأعلم حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرا طريق أخرى قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد المروزي حدثنا عثمان بن عمر عن الشمر بن الريان عن ابي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط لي خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان أنا أرحلهم عنك فقال اني لن يجيرني من الله أحد طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن أبي فزارة العبسي حدثنا أبو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما كان ليلة الجن قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أمعك ماء قلت ليس معي ماء ولكن معي اداوة فيها نبيذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم تمرة طيبة وماء طهور ورواه أبو داود والترمذي

صلى الله عليه وسلم ولا يخالف هذا ما ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثم قال ثلث أهل الجنة ثم قال نصف أهل الجنة لان قوله ثلة من الاولين وقليل من الآخرين انما هو تفصيل للسابقين فقط كما سيأتي في ذكر أصحاب اليمين انهم ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فلا يمتنع أن يكون في أصحاب اليمين من هذه الامة من هو أكثر من أصحاب اليمين من غيرهم فيجتمع من قليل سابقي هذه الامة ومن ثلة أصحاب اليمين منها من يكون نصف اهل الجنة والمقابلة بين الثلتين في أصحاب اليمين لا تستلزم استواءهما لجواز أن يقال هذه الثلة أكثر من هذه الثلة كما يقال هذه الجماعة أكثر من هذه الجماعة وهذه الفرقة أكثر من هذه الفرقة وهذه القطعة أكثر من هذه القطعة وبهذا تعرف انه لم يصب من قال ان هذه الآية منسوخة بالحديث المذكور وعن أبي هريرة قال لما نزلت ثلة من الاولين وقليل من الآخرين شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني أخرجه أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ثم ذكر سبحانه حالة أخرى للسابقين المقربين فقال (على سرر موضونة) قرأ الجمهور بضم السين والراء الاولى وقرئ بفتح الراء وهي لغة كما تقدم جمع سرير وهو ما يجعل للانسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة والكرامة والموضونة المنسوجة والوضن النسج المضاعف يقال وضن الشئ يضنه فهو موضون ووضين نسج بعضه على بعض وضاعفه والغزل نسجه والموضونة الدرع المنسوجة أو المتقاربة النسج أو المنسوجة حلقتين حلقتين أو بالجواهر كذا في القاموس قال الواحدي قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب وقيل مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد وقيل ان الموضونة المصفوفة قاله ابن عباس وقال مجاهد هي المرمولة بالذهب والمعنى مستقرين على سرر (متكئين عليها) أي على السرر على الجنب أو غيره كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته شئ آخر للاتكاء عليه قال الكلبي طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أراد العبدان يجلس عليه تواضع وانخفض له فاذا جلس ارتفع (متقابلين)

وابن ماجة من حديث ابن زيد به طريق اخرى قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق أخبرنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله أمعك ماء قال معي نبيذ في اداوة قال صلى الله عليه وسلم اصبب علي فتوضأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله شراب وطهور تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد أورده الدارقطني من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه به طريق اخرى قال الامام أحمد (٢٠٠) حدثنا عبد الرزاق أخبرني أبي عن ميناء عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن فلما انصرف تنفس فقلت ماشأنك قال نعيت الى نفسي يا ابن مسعود هكذا رأيته في المسند مختصرا وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة فقال حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب حدثنا اسحق بن ابراهيم وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قالا حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن فتنفس فقلت مالك يارسول الله قال نعيت الى نفسي يا ابن مسعود قلت استخلف قال من قلت أبابكر قال فسكت ثم مضى ساعة فتنفس فقلت ماشأنك بأبي أنت وأمي يارسول الله قال نعيت الى نفسي يا ابن مسعود قلت استخلف قال من قلت عمر فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت ماشأنك قال نعيت الى نفسي قلت فاستخلف قال صلى الله عليه وسلم من قلت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين وهو حديث غريب جدا وآخر ١ مما به ان لا يكون محفوظا وبتقدير صحته فالظاهر ان هذا بعد وفودهم اليه بالمدينة على ماسنورده ان شاء الله تعالى فان في ذلك الوقت كان في آخر الامر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان أيضا في دين الله أفواجا نزلت سورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وهي السورة التي نعيت نفسه الكريمة فيها اليه كما نص على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ووافقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه وقد ورد في ذلك

١ بياض بالاصل

لا ينظر بعضهم الى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة وقال مجاهد وغيره هذا في المؤمن وزوجته وأهله (يطوف عليهم ولدان مخلدون) اي يدور حولهم للخدمة غلمان شكلهم شكل الولدان دائما والجملة حالية او مستأنفة لبيان بعض ما أعد الله لهم من النعيم قال مجاهد المعنى لا يموتون وقال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة يبقون أبدا قال الفراء والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط انه لمخلد وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون قال الفراء يقال خلد جاريته اذا حلاها بالخلدة وهي القرطة وهي الحلقة تعلق في الاذن وقال عكرمة مخلدون منعمون وقيل مستورون بالحلية وروى نحوه عن الفراء وقيل مخلدون ممنطقون قيل وهم ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا لا حسنة لهم ولا سيئة وهو ضعيف وقيل هم أطفال المشركين ماتوا قبل التكليف ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجنة ابتداء كالحور العين من غير ولادة للقيام بهذه الخدمة ليسوا من أولاد الدنيا وهذا هو الصحيح وأطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان أسنت (باكواب واباريق) الاكواب هي الاقداح المستديرة الافواه التي لا آذان لها ولا عرى وقد مضى بيان معناها في سورة الزخرف والاباريق هي ذوات العرى والخراطيم واحدها ابريق وهو الذي يبرق لونه من صفائه ويرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكأس) اناء (من معين) اي من خمر جارية أو من ماء جار والمراد به هنا الخمر الجارية من منبع لا ينقطع ابدا وقد تقدم بيان معنى الكأس في سورة الصافات (لا يصدعون عنها) اي لا تتصدع رؤسهم من شربها كما تتصدع من شرب خمر الدنيا وعنها كناية عن الكاس اي بسببها والتصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الانسان في راسه والخمر تؤثر فيه وقيل المعنى لا يتفرقون كما يتفرق الشراب ويقوي هذا المعنى قراءة مجاهد يصدعون بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اي يتفرقون والجملة مستأنفة لبيان ما اعد الله لهم من النعيم (ولا ينزفون) اي لا يسكرون فتذهب عقولهم قرئ بكسر الزاي وبفتحها وهما سبعيتان من أنزف الشارب ونزف اذا نفد عقله اوشرابه اي لا يحصل لهم منها ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا (وفاكهة مما يتخيرون) اي يختارونه يقال تخيرت الشيء اذا اخذت خيره (ولحم طير

حديث سيورد ان شاء الله تعالى عند تفسيرها والله أعلم وقد رواه أبو نعيم أيضا عن الطبراني عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن علي ابن الحسين بن أبي بردة عن يحيى بن يعمر الاسلمي عن حرب بن صبيح عن سعيد بن مسلمة عن أبي مرة الصنعاني عن أبي عبد الله الجدلي عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف وهذا اسناد غريب وسياق عجيب * طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي رافع عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط حوله فكان أحدهم مثل سواد النخل وقال لا تبرح مكانك فاقرأهم كتاب الله (٢٠١) فلما رأى المرعى قال كأنهم هؤلاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم أمعك ماء قلت لا قال أمعك نبيذ قلت نعم فتوضأ به * طريق أخرى مرسلة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني أخبرنا حفص بن عمر العبدي حدثنا الحكم ابن أبان عن عكرمة في قوله تعالى وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال هم اثنا عشر ألفا جاؤا من جزيرة الموصل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي الله عنه انظرني حتى آتيك وخط عليه خطا وقال لا تبرح حتى آتيك فلما خشيهم ابن مسعود رضي الله عنه كاد أن يذهب فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبرح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لو ذهبت ما التقينا الى يوم القيامة * طريق أخرى مرسلة أيضا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قال ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى وان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني أمرت ان أقرأ على الجن فايكم يتبعني فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فقال رجل يا رسول الله ان ذاك لذو ندبة فاتبعه ابن مسعود رضي الله عنه أخو هذيل قال فدخل النبي صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط على ابن مسعود رضي الله عنه خطا ليثبته بذلك قال فجعلت أهال وأرى أمثال النسور تمشي في دفوفها وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا القرآن فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ما اللغط الذي سمعت قال صلى الله عليه وسلم اختصموا في قتيل فقضى بينهم بالحق رواه ابن جرير وابن أبي حاتم فهذه الطرق كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجن قصدا فتلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون اليه في ذلك الوقت وقد يحتمل ان أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ثم بعد

مما يشتهون) اي ما يتمنونه وتشتهيه انفسهم والمعنى يطوفون عليهم بهذه الاشياء المأكول والمشروب والمتفكه به قرأ الجمهور رفاكهة ولحم طير بالجر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر مقدر اي ولهم فاكهة ولحم طير وفي تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة لان الجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار ولذا قدم الفاكهة على اللحم عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا اخرجه ابن ابي الدنيا والبزار والبيهقي واخرج احمد والترمذي والضياء عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله ان هذه الطير لناعمة قال آكلها أنعم منها واني لارجو ان تكون ممن يأكل منها وفي الباب أحاديث (وحور عين) قرأ الجمهور برفعهما عطفا على الولدان أو على تقدير مبتدا اي ونساؤهم حور عين أو على تقدير خبر اي ولهم حور عين وقرئ بجرهما عطفا على أكواب قال الزجاج وجائز أن يكون معطوفا على جنات أي هم في جنات وفي حور على تقدير مضاف أي وفي معاشرة حور قال قطرب هو معطوف على الاكواب من غير حمل على المعنى قال ولا ينكر ان يطاف عليهم بالحور وتكون لهم في ذلك لذة وقرئ بنصبهما على تقدير اضمار فعل كأنه قيل ويزوجون حورا عينا أو ويعطون والحور شديدات بياض أجسادهن قال أبو عمرو ليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء حور العيون تشبيها بالظباء والبقر والعين شديدات سواد العيون مع سعتها وقد تقدم تفسير الحور العين في سورة الطور وغيرها (كأمثال اللؤلؤ المكنون) المصون في الصفاء والنقاء شبههن باللؤلؤ المكنون وهو الذي لم تمسه الايدي ولا وقع عليه الغبار والشمس والهواء فهو أشد ما يكون صفاء قال ابن عباس المكنون المخزون الذي في الصدف قال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال روى أن نورا سطع في الجنة فقيل ما هذا قيل ثغر حوراء ضحكت (جزاء بما كانوا يعملون) أي يفعل بهم ذلك كله للجزاء باعمالهم أي يجزون جزاء (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما) اللغو الباطل من الكلام والتأثيم النسبة الى الاثم قال محمد بن كعب لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا مأثما والمعنى انه لا يقول بعضهم لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم قال ابن عباس لغوا باطلا ولا تأثيما كذبا (الا قيلا سلاما سلاما) القيل

ذلك وفدوا اليه كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه وأما ابن مسعود رضي الله عنه فانه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته للجن ودعائه اياهم وانما كان بعيدا منه ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم أحد سواه ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة هذه طريقة البيهقي وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج اليهم لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ابن مسعود رضي الله عنه ولا غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الاولى من طريق الامام أحمد وهي عند مسلم ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم كما روى ابن أبي حاتم في تفسير قل أوحي الي من حديث ابن جريج (٢٠٢) قال قال عبد العزيز بن عمر أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوى وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين وتأوله البيهقي على انه يقول فبتنا بشر ليلة بات بها قوم على غير ابن مسعود رضي الله عنه ممن لم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الى الجن وهو محتمل على بعد والله أعلم وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الاديب حدثنا أبو بكر بن اسمعيل أخبرنا الحسن بن سفيان حدثني سويد ابن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم باداوة لوضوئه وحاجته فأدركه يوما فقال من هذا قال أنا أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ائتني بأحجار أستنجي بها ولا تأتني بعظم ولا روثة فأتيته بأحجار في ثوبي فوضعتها الى جنبه حتى اذا فرغ وقام اتبعته فقلت يا رسول الله ما بال العظم والروثة قال صلى الله عليه وسلم أتاني وفد جن نصيبين فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بروثة ولا عظم الا وجدوه طعاما أخرجه البخاري في صحيحه عن موسى بن اسمعيل عن عمرو بن يحيى باسناده قريبا منه فهذا يدل مع ما تقدم على انهم وفدوا اليه بعد ذلك وسنذكر أفنانها ان شاء الله تعالى ما يدل على تكرار ذلك وقد روي عن ابن عباس غير ما روي عنه أولا من وجه جيد فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحماني حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم فهذا يدل على انه قد روى القصتين وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا رجل سماه عن ابن جريج عن مجاهد واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من أهل حران وأربعة من

القول والاستثناء منقطع لان السلام لم يندرج تحت اللغو والتأثيم أي لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا أو الا ان يقولوا سلاما سلاما واختار هذا الزجاج أو الا قيلا سلموا سلاما سلاما والمعنى انهم لا يسمعون الا تحية بعضهم لبعض قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل ان قولهم يسلم من اللغو والاول أولى وقيل ان الاستثناء متصل وهو بعيد جدا وقرئ سلام سلام بالرفع وقيل يجوز الرفع على معنى سلام عليكم ولما فرغ سبحانه من ذكر أحوال السابقين وما أعده لهم من النعيم المقيم ذكر أحوال أصحاب اليمين فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) قد قدمنا ما في هذه الجملة الاستفهامية من التفخيم والتعظيم (في سدر مخضود) أي هم في سدر والظرفية للمبالغة في التنعم والانتفاع به والسدر نوع من الشجر قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق والمخضود الذي خضد شوكه أي قطع فلا شوك فيه وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان ان السدر المخضود الموقر حملا وقد أخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن أبي أمامة قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله ينفعنا بالاعراب ومسائلهم أقبل أعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال وما هي قال السدر فان لها شوكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الله يقول في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر قال ابن عباس خضده وقره من الحمل وعنه قال المخضود الذي لا شوك فيه وقال أيضا الموقر الذي لا شوك فيه (وطلح منضود) قال أكثر المفسرين ان الطلح في الآية هو شجر الموز وقال جماعة ليس هو شجر الموز ولكنه الطلح المعروف وهو أعظم أشجار العرب وقال الفراء وأبو عبيدة هو شجر عظام لها شوك وقيل هو شجر له ظل بارد طيب قال الزجاج الطلح هو أم غيلان ولها نور طيب فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا قال ويجوز أن يكون في الجنة وقد أزيل شوكه قال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر أحلى من العسل والمنضود المتراكب الذي قد نضد أوله وآخره وأسفله وأعلاه بالحمل ليس له سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى

أهل نصيبين وكانت اسماؤهم حسى وحسا ومنسى وشاصر وماضر والاردانيان والاحقم وذكر أبو حمزة الثمالي ان هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصبان وكانوا أكثر الجن عددا وأشرفهم نسبا وهم كانوا عامة جنود ابليس وقال سفيان الثوري عن عاصم عن ذر عن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه من أصل نخلة وتقدم عنهم انهم كانوا خمسة عشر وفي رواية انهم كانوا على ستين راحلة وتقدم عنه ان اسم سيدهم وردان وقيل كانوا ثلثمائة وتقدم عن عكرمة انهم كانوا اثني عشر ألفا فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه صلى الله عليه وسلم ومما يدل (٢٠٢) على ذلك ما قاله البخاري في صحيحه حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب حدثني عمر هو ابن محمد قال ان سالما حدثه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط اني لأظنه هكذا الا كان كما يظن بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس اذ مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظني أو ان هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم علي بالرجل فدعي له فقال له ذلك فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال فاني أعزم عليك الا ما أخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك قال بينما أنا يوما في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت

ألم تر الجن وابلاسها
ويأسها من بعد انكاسها
ولحوقها بالقلاص واحلاسها

قال عمر رضي الله عنه صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله قال فوثب القوم فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فقمت فما نشبنا ان قيل هذا نبي هذا سياق البخاري وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال وظاهر هذه الرواية يوهم ان عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه وسائر الروايات تدل على ان هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه والله أعلم وهذا الذي قاله البيهقي هو المتجه وهذا الرجل هو سواد بن قارب وقد ذكرت هذا مستقصى في سيرة عمر رضي الله عنه فمن أراده فليأخذه من ثم ولله الحمد والمنة قال البيهقي حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر من أصل سماعه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الاصبهاني

أفنانها انضد ثمر كله كلما أخذت ثمرة عاد مكانها أحسن منها وليس شيء من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر منها شوكا يعني الطلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصية التيس الملبود يعني الخصي منها فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر أخرجه ابن أبي داود والطبراني وأبو نعيم وابن مردويه وعن علي في قوله طلح قال هو الموز وعن ابن عباس مثله وعن أبي هريرة مثله وعن أبي سعيد الخدري مثله وقرأ علي طلع وقال ابن عباس منضود بعضه على بعض (وظل ممدود) أي دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس قال أبو عبيدة والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع ممدود ومنه قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل والجنة كلها ظل لا شمس معه قال الربيع بن أنس يعني ظل العرش وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وأخرج البخاري وغيره نحوه من حديث أنس وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما نحوه من حديث أبي سعيد (وماء مسكوب) اي منصب جار يجري بالليل والنهار أينما شاؤا لا ينقطع عنهم فهو مسكوب يسكبه الله في مجاريه وأصل السكب الصب يقال سكبه سكبا أي صبه والمعنى جار بلا حد ولا خد أي في غير أخدود (وفاكهة كثيرة) اي ألوان متنوعة وأجناس متكثرة (لا مقطوعة) في وقت من الاوقات كما تنقطع فواكه الدنيا في بعض الاوقات وهذا نعت لفاكهة ولا للنفي كقولك مررت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها (ولا ممنوعة) أي لا تمتنع على من أرادها في أي وقت على أي صفة شاء بل هي معدة لمن أرادها لا يحول بينه وبينها حائل من غصن أو حائط أو باب أو سلم أو بعد قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا قال ابن قتيبة يعني انها غير محظورة عليها كما يحظر على البساتين في الدنيا (وفرش مرفوعة) اي مرفوع بعضها فوق بعض أو مرفوعة على الاسرة وقيل ان الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة وارتفاعها كونها على الارائك أو كونها

قرآءة عليه حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى الحمار الكوفي بالكوفة حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه أبو بكر القصري حدثنا محمد بن فراس الكوفي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحق عن البراء رضي الله عنه قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب قال فلم يجبه أحد تلك السنة فلما كانت السنة المقبلة قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب قال فقلت يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب قال فقال له عمر رضي الله عنه ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيأ عجيبا قال فبينما نحن كذلك (٢٠٤) اذ طلع سواد بن قارب قال فقال له عمر رضي الله عنه يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال سواد رضي الله عنه فاني كنت نازلا بالهند وكان لي رئي من الجن قال فبينا أنا ذات ليلة نائم اذ جاءني في منامي ذلك قال قم فافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها
وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى
ما خير الجن كأنجاسها
فانهض الى الصفوة من هاشم
واسم بعينيك الى رأسها

قال ثم أنبهني فأفزعني وقال يا سواد ابن قارب ان الله عز وجل بعث نبيا فانهض اليه تهتدي وترشد فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها
وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى
وليس قدماها كأذنابها
فانهض الى الصفوة من هاشم
واسم بعينيك الى قابها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ليس ذوو الشر كأخيارها
فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنو الجن ككفارها

قال قلت فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الاسلام من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله قال فانطلقت الى رحلي فشددته على راحلتي فما حللت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بالمدينة يعني مكة والناس عليه كعرف الفرس فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قال قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمعه مني قال صلى الله عليه وسلم قل يا سواد فقلت

مرتفعات الاقدار في الحسن والكمال قال تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وحسنه وغيرهم وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد انتهى وهو ضعيف (انا أنشأناهن انشاء) قيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن الولادة ولم يسبقن بخلق وانهن لسن من نسل آدم عليه السلام بل مخترعات وهو ما جرى عليه أبو عبيدة وغيره وقيل المراد نساء بني آدم والمعنى ان الله سبحانه أعادهن بعد الموت الى حال الشباب والنساء وان لم يتقدم لهن ذكر لكنهن قد دخلن في أصحاب اليمين فتلخص ان نساء الدنيا يخلقهن الله في القيامة خلقا جديدا من غير توسط ولادة خلقا يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الاخلاق وتوفر القوى الجسمية وانتفاء سمات النقص كما انه خلق الحور العين على ذلك الوجه وأما على قول من قال ان الفرش المرفوعة كناية عن النساء فرجع الضمير ظاهر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ان المنشآت التي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه ابن جرير وابن المنذر والبيهقي والترمذي وعبد بن حميد قال الترمذي غريب وموسى ويزيد ضعيفان وعن سلمة ابن يزيد الجعفي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا أخرجه الطبراني وابن قانع والبيهقي وابن أبي حاتم قال ابن عباس خلقهن غير خلقهن الاول وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا (فجعلناهن أبكارا) أي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال ابن عباس أبكارا عذارى أي كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا يحصل لهن وجع في ازالة البكارة (عربا أترابا) العرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل قال المبرد هي العاشقة لزوجها وقال زيد بن أسلم هي الحسنة الكلام قرأ الجمهور بضم العين والراء وقرئ باسكان الراء وهما لغتان في جمع فعول وقراءتان سبعيتان قال ابن عباس عربا عواشق لازواجهن وأزواجهن لهن عاشقون أترابا في سن واحد ثلاثا وثلاثين سنة وعنه قال العروب الملقة لزوجها وقال مجاهد أترابا أمثالا وأشكالا وقال السدي أترابا في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين

مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب والاتراب جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يمس جلدهما التراب في وقت واحد وهو آكد في الائتلاف وهو من الاسماء التي لا تتعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك يقال في النساء أتراب وفي الرجال أقران (لاصحاب اليمين) يعني ان الله أنشأهن لاجلهم أو خلقهن لاجلهم أوهن مساويات لاصحاب اليمين في السن أوهن لاصحاب اليمين أو هذا الذي ذكرناهم (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) هذا راجع الى قوله وأصحاب اليمين أي هم ثلة الخ وقد تقدم تفسير الثلة عند ذكر السابقين والمعنى انهم جماعة أو أمة أو فرقة أو قطعة من الاولين وهم من لدن آدم الى نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعة أو أمة أو فرقة أو قطعة من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة من آخرها أخرج مسدد وابن المنذر والطبراني بسند حسن عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال جميعهما من هذه الامة وعنه قال هما جميعا من هذه الامة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هما جميعا من أمتي أخرجه عبد بن حميد وابن عدي والفريابي وغيرهم قال السيوطي بسند ضعيف وعنه قال الثلتان جميعا من هذه الامة وبه قال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك وهو اختيار الزجاج فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك في السابقين الاولين وقليل من يلحق بهم من الآخرين وهذا في أصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا ثم لما فرغ سبحانه مما أعده لاصحاب اليمين شرع في ذكر أصحاب الشمال وما أعده لهم فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الكلام في هذا وما فيه من التفخيم كما سبق في أصحاب اليمين والشمال والمشأمة واحدة (في سموم وحميم) السموم حر النار والحميم الماء الحار الشديد الحرارة وقيل السموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن وقد سبق بيان معناهما (وظل من يحموم) اليحموم يفعول من الاحم أو الحمم وهو الاسود تقول اسود يحموم اذا كان شديد السواد والمعنى انهم يفزعون الى الظل فيجدونه ظلا من دخان جهنم شديد السواد وقيل هو مأخوذ من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء بين السباسب فأشهد أن الله لا رب غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال لي أفلحت يا سواد فقال له عمر رضي الله عنه هل يأتيك رئيك الآن (٢٠٥) فقال منذ قرأت القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن ثم أسندها البيهقي من وجهين آخرين ومما يدل على وفادتهم اليه صلى الله عليه وسلم بعد ما هاجر الى المدينة الحديث الذي رواه الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبيد المصيصي حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن أسلم أنه سمع أبا سلام يقول حدثني من حدثه عمرو بن غيلان الثقفي قال أتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقلت له حدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل قلت حدثني كيف كان شأنه فقال ان أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجل يعشيه وتركت فلم يأخذني أحد منهم فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا ابن مسعود فقال صلى الله عليه وسلم ما أخذك أحد يعشيك فقلت لا قال صلى الله عليه وسلم فانطلق لعلي أجد لك شيأ فانطلقنا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة أم سلمة رضي الله عنها فتركني قائما ودخل الى أهله ثم خرجت الجارية فقالت يا ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد لك عشاء فارجع الى مضجعك قال فرجعت الى المسجد فجمعت حصباء المسجد فتوسدته والتففت بثوبي فلم ألبث الا قليلا حتى جاءت الجارية فقالت أجب رسول الله فاتبعتها وأنا أرجو العشاء حتى بلغت مقامي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عسيب من نخل فعرض به على صدري فقال صلى الله عليه وسلم أتنطلق انت معي حيث انطلقت قلت ما شاء الله فاعادها على ثلاث مرات كل ذلك أقول ما شاء الله فانطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الغرقد فخط صلى الله عليه وسلم بعصاه خطا ثم قال اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك ثم انطلق يمشي وأنا انظر اليه خلال

النخل حتى اذا كان من حيث لا أراه ثارت قبله العجاجة السوداء ففرقت فقلت الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أظن ان هوازن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فاسعى الى البيوت فأستغيث الناس فذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانى ان لا أبرح مكانى الذى أنا فيه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعهم بعصاه و يقول اجلسوا اجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح ثم ثاروا وذهبوا فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنمت بعدى فقلت لا ولقد فزعت الفزعة الاولى حتى رأيت ان آتى البيوت فأستغيث الناس حتى سمعتك (٢٠٦) تقرعهم بعصاك وكنت أظنها هوازن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فقال لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما أمنت عليك ان يختطفك بعضهم فهل رأيت من شئ منهم فقلت رأيت رجالا سودا مستثفرين بثياب بيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك وفد جن نصيبين أتونى فسألونى الزاد والمتاع فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثة أو بعرة قلت فما يغنى عنهم ذلك قال صلى الله عليه وسلم انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه الذى كان عليه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها الذى كان فيها يوم أكلت فلا يستنقى أحد منكم بعظم ولا بعرة وهذا اسناد غريب جدا ولكن فيه رجل مبهم لم يسم والله تعالى أعلم وقد روى الحافظ ابو نعيم من حديث بقية بن الوليد حدثنى نمير بن زيد القينى حدثنا أبى حدثنا قحافة بن ربيعة حدثنى الزبير بن العوام رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فى مسجد المدينة فلما انصرف قال أيكم يتبعنى الى وفد الجن الليلة فاسكت القوم ثلاثا فمر بى فأخذ بيدى فجعلت أمشى معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها وأفضينا الى أرض براز فاذا برجال طوال كأنهم

وقيل مأخوذ من الحمم وهو الفحم والرماد وقال الضحاك النار سوداء وأهلها سود وكل ما فيها اسود قال ابن عباس يحموم دخان أسود وفى لفظ دخان جهنم وقيل واد فى جهنم وقيل اسم من أسمائها والاول أظهر ثم وصف الله سبحانه هذا الظل بقوله (لا بارد) أى ليس كغيره من الظلال التى تكون باردة بل هو حار ضار لانه من دخان نار جهنم (ولا كريم) قال سعيد بن المسيب أى ليس فيه حسن منظر وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقال الضحاك ولا كريم ولا عذب قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شئ نفت عنه وصفا تنوى به الذم تقول ماهو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة والنعتان المذكوران لقوله ظل لا ليحموم وما قيل من انه يلزم على ذلك تقديم غير الصريحة على الصريحة فلا يرد لان الترتيب غير واجب نص عليه الرضى مع انه هنا يفضى الى عدم توازن الفاصلتين وجعلهما نعتين ليحموم لا يلائم البلاغة القرآنية وكان من حق الظاهر أن يقال وظل حار ضار فعدل الى قوله وظل من يحموم ليتبادر منه الى الذهن أولا الظل المتعارف فيطمع السامع فاذا نفى عنه ما هو المطلوب من الظل وهو البرد والاستروح جاءت السخرية والتهكم والتعريض بان الذين يستأهلون الظل الذى فيه برد وا كرام غيرهم ولا فيكون أشجى لحلوقهم وأشد لتحسرهم قال الرازى وفى الامور الثلاثة اشارة الى كونهم فى العذاب دائما (1) ثم ذكر سبحانه أعمالهم التى استحقوا بها هذا العذاب فقال (انهم كانوا قبل ذلك) أى قبل هذا العذاب النازل بهم (مترفين) فى الدنيا أى منعمين بما لا يحل لهم فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وانما كان الترفه هنا ذما من حيث انهم جعلوا من جملته القعود عن الطاعات وتركها فصح ذمهم بهذا الاعتبار مع انه فى الواقع ليس ذما فى حد ذاته والمترف المتنعم وقال السدى مشركين وقيل متكبرين والاول أولى والجملة تعليل لاستحقاقهم هذه العقوبة قال الرازى والحكمة فى ذكر سبب عذابهم ولم يذكر فى أصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك للتنبيه على ان الثواب منه تعالى فضل والعقاب منه عدل والفضل سواء ذكر سببه أو لم يذكر لا يوهم بالمتفضل نقصا ولا ظلما وأما العدل فانه ان لم يذكر سبب العقاب يظن انه ظالم ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل فى حق أصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال فى السابقين لان أصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته

فانه

(1) لانهم ان تعرضوا لمهب الهواء أصابهم السموم وان استكنوا كما يفعله الذى يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكونون فى ظل من يحموم فلا انفكاك لهم من العذاب أو يقال ان السموم تضربه فيعطش وتلتهب نار السموم فى احشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه فيريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى كأنه قال أبرد الاشياء فى الدنيا عندهم حار فكيف أحرها ذكره الخطيب سيد ذو الفقار أحمد

الرماح مستثفرين بثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم وهذا حديث غريب والله أعلم ومما يتعلق بوفود الجن مارواه الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا الوليد بن بكير التميمي حدثنا حصين بن عمر أخبرني عبيد المكتب عن ابراهيم قال خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى اذا كانوا في بعض الطريق اذاهم بحية تنثني على الطريق أبيض ينفح منه ريح المسك فقلت لاصحابي امضوا فلست ببارح حتى أنظر الى مايصير اليه أمر هذه الحية قال فمالبثت ان ماتت (٢٠٧) فعمدت الى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابي في المتعشى قال فوالله انا لقعود اذ اقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن أيكم دفن عمرا قلنا ومن عمرو قالت أيكم دفن الحية قال فقلت أنا قالت أما والله لقد دفنت صواما قواما يأمر بما أنزل الله تعالى ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته من السماء قبل ان يبعث بأربعمائة عام قال الرجل فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجنا ثم مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد آمن بي قبل ان أبعث بأربعمائة سنة وهذا حديث غريب جدا والله أعلم قال أبو نعيم وقد روى الثوري عن أبي اسحق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه وروى عبد الله بن أحمد والطبراني عن صفوان بن المعطل هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة وانهم قالوا انه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن وروى أبو نعيم من حديث الليث بن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه عن معاذ ابن عبد الله بن معمر قال كنت جالسا عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء رجل فقال ياأمير المؤمنين اني كنت بفلاة من الارض فذكر انه راى ثعبانين اقتتلا ثم قتل أحدهما الآخر قال فذهبت الى المعترك فوجدت حيات كثيرة مقتولة واذ ينفح من بعضها ريح المسك فجعلت أشمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حية صفراء رقيقة فلففتها في عمامتي ودفنتها فبينا انا أمشي اذ ناداني مناد ياعبد الله لقد هديت هذان حيان من الجن بنو شعيبان وبنو قيس التقوا فكان من القتلى مارأيت واستشهد الذي دفنته وكان من الذين سمعوا الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال عثمان لذلك الرجل ان كنت صادقا فقد رأيت عجبا وان كنت كاذبا فعليك كذبك وقوله تبارك وتعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن أي طائفة من الجن يستمعون القرآن فلما

فانه يحسن اطلاق الجزاء في حقه (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) الحنث الذنب أي يصرون على الذنب العظيم قال الواحدي قال أهل التفسير عنى به الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أي كانوا لايتوبون عن الشرك وبه قال الحسن والضحاك وابن زيد وقال قتادة ومجاهد هو الذنب العظيم الذي لايتوبون عنه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لايبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه قوله (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) الاستفهام في الموضعين للانكار والاستبعاد وقد تقدم الكلام على هذا في الصافات وفي سورة الرعد والمعنى انهم أنكروا واستبعدوا أن يبعثوا بعد الموت وقد صاروا عظاما وترابا والمراد انه صار لحمهم وجلودهم ترابا وصارت عظامهم نخرة بالية والعامل في الظرف مادل عليه مبعوثون لان مابعد الاستفهام لايعمل فيما قبله أي أنبعث اذا متنا (أو آباؤنا الاولون) معطوف على الضمير في لمبعوثون لوقوع الفصل بينهما بالهمزة والمعنى ان بعث آبائهم الاولين أبعد لتقدم موتهم ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عليهم ويرد استبعادهم فقال (قل) لهم يامحمد صلى الله عليه وسلم ردا لانكارهم وتحقيقا للحق (ان الاولين) من الامم (والآخرين) منهم الذين أنتم من جملتهم (لمجموعون) بعد الموت (الى ميقات) أي لوقت (يوم معلوم) معين عند الله وهو يوم القيامة والميقات ماوقت به الشئ أي حد ومنه مواقيت الاحرام والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والمعنى انهم يحشرون الى ماوقتت به الدنيا من يوم الحساب (ثم انكم أيها الضالون المكذبون) هذا ومابعده من جملة ماهو داخل تحت القول وهو معطوف على ان الاولين والمراد اهل مكة ومن في مثل حالهم ووصفهم سبحانه بوصفين قبيحين وهما الضلال عن الحق والتكذيب للبعث وثم للتراخي زمانا أو رتبة (لآكلون) في الآخرة (من شجر من زقوم) أي من شجر كريه المنظر كريه الطعم وهو من أخبث الشجر المر ينبت في الدنيا بتهامة وفي الآخرة ينبته الله في الجحيم وهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الريح وقد تقدم تفسيره في سورة الصافات ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية بيانية أو الاولى مزيدة والثانية بيانية أو الثانية مزيدة والاولى للابتداء (فمالئون منها) أي من شجر الزقوم وتأنيث الضمير لكون الشجر اسم جنس واسم الجنس يجوز تذكيره وتأنيثه لغتان (البطون) أي

تحضروه قالوا أنصتوا أي استمعوا وهذا أدب منهم وقد قال الحافظ البيهقي حدثنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق حدثنا محمد بن ابراهيم البوشنجي حدثنا هشام بن عمار الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أرا كم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ورواه (٢٠٨) الترمذي في التفسير عن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم به قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن فذكره ثم قال الترمذي غريب لانعرفه الا من حديث الوليد عن زهير كذا قال وقد رواه البيهقي من حديث مروان بن محمد الطاطري عن زهير بن محمد به مثله وقوله عز وجل فلما قضي أي فرغ كقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فقضاهن سبع سموات في يومين فاذا قضيتم مناسككم ولوا الى قومهم منذرين أي رجعوا الى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقد استدل بهذه الآية على انه في الجن نذر وليس فيهم رسل ولاشك ان الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى وقال عز وجل وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال عن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فكل نبي بعثه الله تعالى بعد ابراهيم فمن ذريته وسلالته

بطونكم لما يلحقكم من شدة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) الضمير عائد الى الزقوم المأكول والحميم الماء الحار الذي قد بلغ حره الى الغاية والمعنى فشاربون عقب أكله من الماء الحار أو يعود الضمير الى شجر لانه يذكر ويؤنث أو يعود الى الاكل المدلول عليه بقوله لآكلون وقرئ من شجرة بالافراد (فشاربون شرب الهيم) قرأ الجمهور شرب الهيم بفتح الشين وقرئ بضمها وبكسرها وهي لغات قال أبو زيد سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرها قال المبرد الفتح أصل المصدر والضم اسم المصدر والهيم الابل العطاش التي لاتروى لداء يصيبها وهذه الجملة بيان لما قبلها أي لايكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم التي تعطش ولاتروى بشرب الماء ومفرد الهيم أهيم والانثى هيماء وقال الضحاك وابن عيينة والاخفش وابن كيسان الهيم الارض السهلة ذات الرمل والمعنى انهم يشربون كما تشرب هذه الارض الماء ولا يظهر له فيها أثر قال في الصحاح الهيام بالضم أشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيام داء يأخذ الابل فتهيم في الارض لاترعى يقال ناقة هيماء والهيماء أيضا المفازة لاماء بها والهيام بالفتح الرمل الذي لايتماسك في اليد للينه والجمع هيم مثل قذال وقذل والهيام بالكسر الابل العطاش قال النسفي وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ماهو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا) أي ماذكر من الزقوم المأكول والحميم المشروب (نزلهم) اى رزقهم وغذاؤهم قرأ الجمهور نزل بضمتين وقرئ بضمة وسكون (يوم الدين) أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمعنى ان ماذكر من شجر الزقوم وشراب الحميم هو الذي يعد لهم ويأكلونه يوم القيامة وفي هذا تهكم بهم لان النزل هو مايعد للاضياف تكرمة لهم ومثل هذا قوله فبشرهم بعذاب أليم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة (١) مقررة لمضمون الكلام غير داخلة تحت القول ثم التفت سبحانه الى خطاب الكفرة تبكيتا لهم والزاما للحجة فقال (نحن خلقناكم فلولا) فهلا (تصدقون) بالخلق أو بالبعث (٢) اذ القادر على الانشاء قادر على الاعادة قاله المحلي وقال مقاتل خلقناكم ولم تكونوا شيأ وأنتم تعلمون ذلك فهلا تصدقون

(١) فذلكة الشئ ذكره اجمالا وفي القاموس فذلك حسابه انهاه وفرغ منه مخترعة من قوله اذا أجمل حسابه هو كذا وكذا انتهى كأنه قال وجملته كذا وكذا أي حاصله كيت وكيت اه سيد ذو الفقار أحمد مد ظله بالبعث

(٢) جواب مايقال كيف قال ذلك مع انهم مصدقون بذلك بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وايضاحه ان ذلك تخصيص على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق الاول فكأنه قال هو خلقكم أولا باعترافكم فلا يمتنع عليه ان يعيدكم ثانيا فهلا تصدقون بذلك أو هم وان صدقوا بألسنتهم لكن لما كان مذهبهم خلاف مايقتضيه التصديق كانوا كأنهم مكذبون به فنزل تصديقهم منزلة عدمه لفقدان ما يحققه من آثاره الدالة عليه ذكره الكرخي اه سيد ذو الفقار أحمد

فأما قوله تبارك وتعالى في الانعام يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى أحدهما ثم انه تعالى فسر انذار الجن لقومهم فقال مخبرا عنهم قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يذكروا عيسى لان عيسى عليه السلام أنزل عليه الانجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة فلهذا قالوا أنزل من بعد موسى وهكذا قال ورقة ابن نوفل حين أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نزول جبريل (٢٠٩) عليه عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال

بخ بخ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى يا ليتني أكون فيها جذعا مصدقا لما بين يديه أي من الكتب المنزلة على الانبياء قبله وقولهم يهدي الى الحق أي في الاعتقاد والاخبار والى طريق مستقيم في الاعمال فان القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب فخبره صدق وطلبه عدل كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا وقال سبحانه وتعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح وهكذا قالت الجن يهدي الى الحق في الاعتقادات والى طريق مستقيم أي في العمليات يا قومنا أجيبوا داعي الله فيه دلالة على انه تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الثقلين الجن والانس حيث دعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال أجيبوا داعي الله وآمنوا به وقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قيل ان من ههنا زائدة

 وفيه نظر لان زيادتها في الاثبات قليل وقيل انها على بابها للتبعيض ويجركم من عذاب أليم اى ويقيكم من عذابه الاليم وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء الى ان الجن المؤمنين لايدخلون الجنة وانما جزاء صالحيهم ان يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ولهذا قالوا هذا في هذا المقام وهو مقام فخر ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الايمان أعلى من هذا لأوشك ان يذكروه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال حدثت عن جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لايدخل مؤمنو الجن الجنة لانهم من ذرية ابليس ولاتدخل ذرية ابليس الجنة والحق ان مؤمنهم كمؤمن الانس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة

بالبعث (أفرأيتم) اى أخبروني هل رأيتم بالبصر أو البصيرة (ما تمنون) أي ما تقذفون وتصبون في أرحام النساء من النطف قرأ الجمهور تمنون بضم الفوقية من أمنى يمني وقرئ بفتحها من منى يمني وهما لغتان وقيل معناهما مختلف يقال أمنى اذا أنزل عن جماع ومنى اذا أنزل من احتلام وسمي المني منيا لانه يمنى أي يراق (أأنتم تخلقونه) أي أتقدرون المني وتصورونه أنتم بشرا سويا وهذا من باب الاشتغال أو أنتم مبتدأ والجملة بعده خبره والاول أرجح لاجل أداة الاستفهام (أم نحن الخالقون) أي المقدرون المصورون له وأم هي المتصلة وقيل هي المنقطعة والاول أولى (نحن قدرنا بينكم الموت) قرأ الجمهور قدرنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهما لغتان وقراءتان سبعيتان يقال قدرت الشئ وقدرته أي قسمناه عليكم ووقتناه لكل فرد من افرادكم وقيل قضينا وقيل كتبنا وقيل أوجبنا والمعنى متقارب قال مقاتل فمنكم من يموت كبيرا ومنكم من يموت صغيرا وقال الضحاك معناه انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء (وما نحن بمسبوقين) أي بمغلوبين وعاجزين بل قادرين (على ان نبدل أمثالكم) اى نأتي بخلق مثلكم قال الزجاج ان أردنا ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا وقال السمين الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء أي نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما آخرين أمثالكم ويؤيده ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين أو جمع مثل بفتحتين وهو الصفة أي نغير صفاتكم التي أنتم عليها خلقا وخلقا قلت والاول أولى وقال ابن جرير المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم أي لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الصور والهيئات قال الحسن أي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا وقال سعيد بن المسيب يعني في حواصل طيور سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف وبرهوت واد باليمن وقال مجاهد يعني في أي خلق شئنا ومن كان قادرا على هذا فهو قادر على البعث (ولقد علمتم النشأة الاولى) وهي ابتداء الخلق من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا قبل ذلك شيأ أو الترابية لابيكم آدم واللحمية لامكم حواء والنطفية لكم وكل منها تحويل من شئ الى غيره وقال قتادة والضحاك يعني خلق آدم من

من السلف وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وفي هذا الاستدلال نظر وأحسن منه قوله جل وعلا ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فقد امتن تعالى على الثقلين بان جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الانس فقالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم وأيضا فانه اذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الاولى والأحرى ومما يدل أيضا على ذلك عموم قوله تعالى ان الذين

آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وما أشبه ذلك من الآيات وقد أفردت هذه المسألة في جزء على حدة ولله الحمد والمنة وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا أفلا يسكنها من آمن به وعمل صالحا وما ذكروه ههنا من الجزاء على الايمان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب الاليم هو يستلزم دخول الجنة لانه ليس في الآخرة الا الجنة أو النار فمن أجير من النار دخل الجنة لا محالة ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع ان مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وان أجيروا من النار ولو صح لقلنا به والله أعلم وهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ولا خلاف ان مؤمني قومه في الجنة فكذلك هؤلاء وقد حكي فيهم أقوال غريبة فعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انهم لا يدخلون بحبحة الجنة وانما يكونون في ربضها وحولها وفي أرجائها ومن الناس من زعم انهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بني آدم بعكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا ومن الناس من قال لا يأكلون في الجنة ولا يشربون وانما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضا عن الطعام والشراب كالملائكة لانهم من جنسهم وكل هذه الاقوال فيها نظر ولا دليل عليها ثم قال مخبرا عنهم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض أي بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به وليس لهم من دونه أولياء أي لا يجيرهم منه أحد أولئك في ضلال مبين وهذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ولهذا نجع في كثير منهم وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودا وفودا كما تقدم بيانه ولله الحمد والمنة والله أعلم (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي

تراب (فلولا تذكرون) اي فهلا تذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الاخرى وتقيسونها على النشأة الاولى فان من قدر على الاولى يقدر على الثانية فانها اقل كلفة من الاولى في العادة قرأ الجمهور النشأة بالقصر وقرئ بالمد وقد مضى تفسير هذا في سورة العنكبوت وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم) أي أخبروني (ما تحرثون) من أرضكم وتثيرون فتطرحون وتلقون فيها البذر والمعنى أفرأيتم البذر الذي تلقونه في الطين (أأنتم تزرعونه) أي تنبتونه وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب والزرع طرح البذر والزرع أيضا الانبات يقال زرعه الله أي أنبته (أم نحن الزارعون) أي المنبتون له الجاعلون له زرعا لا أنتم قال المبرد زرعه الله أي أنماه فاذا أقررتم بهذا فكيف تنكرون البعث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت قال أبو هريرة ألم تسمعوا الله يقول أفرأيتم ما تحرثون الآية أخرجه البزار وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وضعفه (لو نشاء لجعلناه) أي لجعلنا ما تحرثون (حطاما) أي متحطما متفتتا متكسرا أي نباتا يابسا لا حب فيه والحطام الهشيم الذي لا ينتفع به ولا يحصل منه حب ولا شيء مما يطلب من الحرث وقيل تبنا لا قمح فيه (فظلتم تفكهون) أي فصرتم تعجبون قاله ابن عباس قال الفراء تفكهون تتعجبون فيما نزل بكم في زرعكم قال في الصحاح وتفكه تعجب ويقال تندم وقال الحسن وقتادة وغيرهما معنى الآية تعجبون من ذهابه وتندمون مما حل بكم وقال عكرمة تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله وقال أبو عمرو والكسائي هو التلهف على مافات قرأ الجمهور فظلتم بفتح الظاء مع لام واحدة وقرئ بكسرها معها وقرئ ظللتم بلامين أولاهما مكسورة على الاصل وروي فتحها وهي لغة وقرأ الجمهور تفكهون بالهاء وقرئ تفكنون بالنون مكان الهاء أي تندمون قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم وفي الصحاح التفكن التندم والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث (انا لمغرمون) قرأ الجمهور بهمزة واحدة على الخبر وقرئ بهمزتين على الاستفهام أي أتقولون انا لملزمون غرما بما هلك من زرعنا والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض قاله الضحاك وابن كيسان والكرخي وقال الزمخشري أي الملزمون غرامة ما أنفقنا وقيل المعنى انا لمعذبون قاله قتادة وغيره وقال مجاهد وعكرمة

بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) يقول تعالى أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الاجساد يوم المعاد ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن أى ولم يكرثه خلقهن بل قال لها كونى فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائعة مجيبة خائفة وجلة أفليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى كما قال عز وجل فى الآية

الاخرى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولهذا قال تعالى بلى انه على كل شئ قدير ثم قال جل جلاله متهددا ومتوعدا لمن كفر به ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق أى يقال لهم أما هذا حق أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون قالوا بلى وربنا أى لا يسعهم الا الاعتراف قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ثم قال تبارك وتعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل أى على تكذيب قومهم لهم وقد اختلفوا فى تعداد أولى العزم على أقوال وأشهرها انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وخاتم الانبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الانبياء فى آيتين من سورتى الاحزاب والشورى وقد يحتمل ان يكون المراد باولى العزم جميع الرسل فتكون من فى قوله من الرسل لبيان الجنس والله أعلم

لمولع بنا يقال أغرم فلان بفلان أى أولع به وقال مقاتل مهلكون أى لهلاك رزقنا قال النحاس مأخوذ من الغرام وهو الهلاك والظاهر من السياق المعنى الاول أى انا لمغرمون بذهاب ما حرثناه ومصيره حطاما ثم أضربوا عن قولهم هذا وانتقلوا فقالوا (بل نحن محرومون) أى حرمنا رزقنا بهلاك زرعنا والمحروم الممنوع من الرزق الذى لا حظ له فيه وهو المحارف وقيل محارفون محدودون لا مجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) فتسكنون به ما يلحقكم من العطش وتدفعون به ما ينزل بكم من الظما واقتصر سبحانه على ذكر الشرب مع كثرة فوائد الماء ومنافعه لانه أعظم فوائده وأجل منافعه (أأنتم أنزلتموه من المزن) أى السحاب قاله ابن عباس وقال أبو زيد المزنة السحابة البيضاء والجمع مزن والمزنة المطر قاله فى الصحاح (أم نحن المنزلون) دون غيرنا فاذا عرفتم ذلك فكيف لا تقرون بالتوحيد وتصدقون بالبعث ثم بين لهم سبحانه أنه لو يشاء لسلبهم هذه النعمة فقال (لو نشاء جعلناه أجاجا) الاجاج الماء الشديد الملوحة الذى لا يمكن شربه وقال الحسن هو الماء المر الذى لا ينتفعون به فى شرب ولا زرع ولا غيرهما (فلولا) أى فهلا (تشكرون) نعمة الله الذى خلق لكم ماء عذبا تشربون منه وتنتفعون به (أفرأيتم النار التى تورون) أى أخبرونى عنها ومعنى تورون تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب يقال أوريت النار اذا قدحتها والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والسفلى الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى تكون منها الزنود وهى المرخ والعفار تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وزاد الجلال المحلى الكلخ نقل سليمان الجمل عن شيخه انه قال ولم نجده فى القاموس ولا فى المختار غير أنه أخبر بعض أهل المغرب والشام بأنه موجود معروف عندهم شبيه بالقصب تؤخذ منه قطعتان وتضرب احداهما بالاخرى فتخرج النار (أم نحن المنشؤن) لها بقدرتنا دونكم ومعنى الانشاء الخلق وعبر عنه بالانشاء للدلالة على ما فى ذلك من بديع الصنعة وعجيب القدرة (نحن جعلناها) أى النار التى فى الدنيا (تذكرة) لنار جهنم الكبرى حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدوا به قال مجاهد وقتادة تبصرة للناس فى الظلام وقال عطاء موعظة

وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمى حدثنا السرى بن حيان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبى عن مسروق قال قالت لى عائشة رضى الله عنها ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله ولا تستعجل لهم أى لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تبارك وتعالى فذرنى والمكذبين أولى

النعمة ومهلهم قليلا وكقوله تعالى فمهل الكافرين أمهلهم رويدا كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار كقوله جل وعلا كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية أوضحاها وكقوله عز وجل ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار يتعارفون بينهم الآية وقوله جل وعلا بلاغ قال ابن جرير يحتمل معنيين أحدهما أن يكون تقديره وذلك لبث بلاغ والآخر أن يكون تقديره هذا القرآن بلاغ وقوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون أي لا يهلك على الله الا هالك وهذا من عدله عز وجل انه لا يعذب الا من يستحق العذاب والله أعلم (٢١٢) *(تفسير سورة القتال وهي مدنية)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) يقول تعالى الذين كفروا أي بآيات الله وصدوا غيرهم عن سبيل الله أضل أعمالهم أي أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثوابا ولا جزاء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ثم قال جل وعلا والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم وآمنوا بما نزل على محمد عطف خاص على عام وهو دليل على انه شرط في صحة الايمان بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى وهو الحق من ربهم جملة معترضة حسنة ولهذا قال جل جلاله كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي أمرهم وقال مجاهد شأنهم وقال قتادة وابن زيد حالهم والكل متقارب وقد جاء في حديث تشميت أبو العاطس يهديكم الله ويصلح بالكم ثم قال عز وجل ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل أي انما أبطلنا أعمال الكفار وتجاوزنا عن سيآت الابرار وأصلحنا شؤنهم لان الذين كفروا اتبعوا الباطل اي اختاروا الباطل على الحق وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي يبين لهم مآل اعمالهم وما يصيرون اليه في معادهم والله سبحانه وتعالى اعلم (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها

ليتعظ بها المؤمن وقال ابن عباس تذكرة للنار الكبرى عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها أخرجه البخاري ومسلم (ومتاعا للمقوين) أي للمسافرين قاله ابن عباس يعني منفعة للذين ينزلون بالقواء وهي الارض القفر كالمسافرين وأهل البوادي النازلين في الاراضي المقفرة يقال أرض قواء بالمد والقصر أي مقفرة ويقال أقوى اذا سافر أي نزل القوى وخصوا بالذكر لان منفعتهم بها أكثر من المقيمين فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال الى غير ذلك من المنافع وقال مجاهد المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة وتذكر نار جهنم وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيأ وبات فلان القوى أي جائعا وقال قطرب القوى من الاضداد يكون بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغني يقال أقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد وأقوى اذا قويت دوابه وكثر ماله والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للاغنياء والفقراء لا غنى لاحد عنها وقال المهدوي الآية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغني والفقير وحكى الثعلبي عن أكثر المفسرين القول الاول وهو الظاهر (فسبح باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب ما بعدها من ذكر الله سبحانه وتنزيهه على ما قبلها مما عدده من النعم التي أنعم بها على عباده وجحود المشركين لها وتكذيبهم بها وقيل قل سبحان ربي العظيم وجاء مرفوعا انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم وسبح يتعدى بنفسه وبحرف الجر فالباء زائدة والاسم باق على معناه أو بمعنى الذات أو بمعنى الذكر قال الكرخي قالوا كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن سوء الادب وقيل لفظة باسم زائدة والمعنى فسبح ربك وهذا أبلغ لما يلزم ذلك بالطريق الاولى على سبيل الكناية الرمزية وأثبتوا ألف الوصل هنا في اسم ربك لانه لم يكثر دوره كثرته في البسملة (فلا أقسم) ذهب الجمهور الى أن لا مزيدة للتوكيد والمعنى فاقسم ويؤيد هذا قوله بعد وانه لقسم وقال جماعة من اهل التفسير انها للنفي والمنفي بها محذوف وهو كلام الكفار الجاحدين قال الفراء هي نفي والمعنى ليس الامر كذلك ثم قال مستأنفا أقسم وضعف هذا بان حذف اسم لا وخبرها غير جائز كما قال

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) يقول تعالى مرشدا للمؤمنين الى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب أي اذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدا بالسيوف حتى اذا أثخنتموهم أي أهلكتموهم قتلا فشدوا الوثاق الاسارى الذين يأسرونهم ثم انتم بعد انقضاء الحرب وانفصال (٢١٣) المعركة مخيرون في أمرهم ان شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجانا وان شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه والظاهر ان هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر فان الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الاسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء والتقليل من القتل يومئذ فقال ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ثم قد ادعى بعض العلماء ان هذه الآية المخيرة بين مفاداة الاسير والمن عليه منسوخة بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وقال آخرون وهم الاكثرون ليست بمنسوخة ثم قال بعضهم انما الامام مخير بين المن على الاسير ومفاداته فقط ولا يجوز له قتله وقال آخرون منهم بل له ان يقتله ان شاء لحديث قتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط من أسارى بدر وقال ثمامة بن أثال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ما عندك يا ثمامة فقال ان تقتل تقتل ذا دم وان تمنن تمنن على شاكر وان كنت تريد المال فاسأل تعط منه ما شئت وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال الامام مخير بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضا وهذه المسئلة محررة في علم الفروع وقد دللنا على ذلك في كتابنا الاحكام ولله سبحانه وتعالى الحمد والمنة وقوله عز وجل حتى تضع الحرب أوزارها قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكأنه أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم

أبو حيان وغيره وقيل انها لام الابتداء والاصل فلأقسم فأشبعت الفتحة فتولد منها الالف وقد قرئ هكذا بدون ألف وعلى هذا التقدير فلأنا أقسم بذلك وقيل ان لا ههنا بمعنى ألا التي للتنبيه وهو بعيد وقيل ان لا هنا على ظاهرها وانها لنفي القسم أي فلا أقسم على هذا لان الامر أوضح من ذلك وهذا مدفوع بقوله وانه لقسم مع تعيين المقسم والمقسم عليه (بمواقع النجوم) أي مساقطها وهي مغاربها كذا قال قتادة وغيره ولعل الله في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها وقال عطاء بن أبي رباح منازلها وقال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقال الضحاك هي الانواء التي كان أهل الجاهلية يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال الماوردي ويكون قوله فلا أقسم مستعملا في حقيقته من نفي القسم وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا أن نقسم بغير الله وصفاته القديمة وقيل المراد نزول القرآن نجوما من اللوح المحفوظ وبه قال السدي وغيره وحكى الفراء عن ابن مسعود ان مواقع النجوم هو محكم القرآن قال ابن عباس أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق بين السنين وفي لفظ نزل من السماء الدنيا الى الارض نجوما ثم قرأ هذه الآية وعنه قال نجوم القرآن حين ينزل قرأ الجمهور مواقع على الجمع وقرئ موقع على الافراد قال المبرد موقع ههنا مصدر فهو يصلح للواحد والجمع ثم أخبر الله سبحانه عن تعظيم هذا القسم وتفخيمه فقال (وانه لقسم) هذه الجملة معترضة بين المقسم به والمقسم عليه وقوله (لو تعلمون) جملة معترضة بين جزئي الجملة المعترضة فهو اعتراض في اعتراض قال الفراء والزجاج هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والضمير في انه يعود على القسم الذي يدل عليه أقسم والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم (عظيم) لو تعلمون لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال (انه لقرآن كريم) أي كرمه الله وأعزه ورفع قدره على جميع الكتب وكرمه عن أن يكون سحرا أو كهانة أو كذبا وقيل انه كريم لما فيه من كرم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قارئه وحكى الواحدي عن أهل المعاني انه وصف القرآن بالكريم لان من شأنه ان يعطي الخير الكثير

الدجال وقال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسمعيل بن عياش عن ابراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال ان سلمة بن نفيل أخبرهم انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى سيبت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت لاقتال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن جاء القتال لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الناس يزيغ الله تعالى قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك الا ان عقد المؤمنين بالشام والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وهكذا . (٢١٤) رواه النسائى من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل السلوى به وقال أبو القاسم البغوى حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد عن جبير بن محمد بن مهاجر عن الوليد ابن عبد الرحمن الجرشى عن جبير ابن نفير عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال لما فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فقالوا يارسول الله سيبت الخيل ووضعت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قالوا لاقتال قال كذبوا الآن جاء القتال لايزال الله تعالى يزيغ قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم منهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وعقدا دار المسلمين بالشام وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى عن داود بن رشيد به والمحفوظ انه من رواية سلمة بن نفيل كما تقدم وهذا يقوى القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم فى الحرب الى ان لايبقى حرب وقال قتادة حتى تضع الحرب أوزارها حتى لايبقى شرك وهذا كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها اى أوزار المحاربين وهم المشركون بان يتوبوا الى الله عزوجل وقيل أوزار أهلها بان يبذلوا الوسع فى طاعة الله تعالى وقوله عزوجل ذلك ولو يشاء الله لانتصر فليرجع منهم أى هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده ولكن ليبلو بعضكم ببعض أى ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الاعداء ليختبركم ويبلو أخباركم كما ذكر حكمته فى شرعية الجهاد فى سورتى آل عمران وبراءة فى قوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقال تبارك وتعالى فى سورة براءة قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ثم لما كان

بالدلائل التى تؤدى الى الحق فى الدين قال الازهرى الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل حسن مرضى أو نفاع جم المنافع أو عزيز مكرم لايهون بكثرة التلاوة ولايخلق بكثرة الرد ولايمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل غض طرى يبقى ابد الدهر (فى كتاب مكنون) أى مستور مصون من التغيير والتبديل على حد قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقيل محفوظ عن الباطل وهو اللوح المحفوظ قاله جماعة وقيل هو كتاب مصون من غير المقربين من الملائكة لايطلع عليه من سواهم وقال عكرمة هو التوراة والانجيل فيهما ذكر القرآن ومن ينزل عليه وقال السدى هو الزبور وقال مجاهد وقتادة هو المصحف الذى فى أيدينا (لايمسه الا المطهرون) من جميع الادناس قال المحلى خبر بمعنى النهى أى لايمسوه أى يحرم عليهم مسه بدون الطهارة ولم يبق صريحا على خبريته لئلا يلزم الخلف فى خبره تعالى لانه كثيرا مايمس بدون طهارة والخلف فى خبره تعالى محال وقيل ان لا ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لوفك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه أدغم ولما أدغم حرك آخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب وضعف ابن عطية النهى قال الواحدى أكثر المفسرين على ان الضمير عائد الى الكتاب المكنون أى لايمس الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملائكة وقيل هم الملائكة والرسل من بنى آدم والمعنى لايمسه المس الحقيقى وقيل المعنى لاينزل به الا المطهرون وعلى كون المراد بالكتاب المكنون هو القرآن فقيل لايمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس كذا قال قتادة وغيره قال الكلبى المطهرون من الشرك وقال الربيع بن أنس المطهرون من الذنوب والخطايا وقال محمد بن الفضل وغيره المعنى لايقرؤه الا الموحدون وقال الفراء لايجد نفعه وبركته الا المؤمنون وقال الحسين بن الفضل لايعرف تفسيره وتأويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقد ذهب الجمهور الى منع المحدث من مس المصحف وبه قال على وابن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهرى والنخعى والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعى وروى عن ابن عباس والشعبى وجماعة منهم أبو حنيفة انه يجوز للمحدث مسه وقد أوضح الشوكانى ماهو الحق فى هذا فى شرحه للمنتقى

من شأن القتال ان يقتل كثير من المؤمنين قال والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم أي لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها ومنهم من يجري عليه عمله طول برزخه كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا زيد بن عمر الدمشقي حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامي رجل كانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويأمن من الفزع الاكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الايمان تفرد به أحمد (٢١٥) رحمه الله حديث آخر قال أحمد أيضا حدثنا الحكم بن نافع حدثني اسماعيل بن عياش عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب الكندي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشهيد عند الله ست خصال ان يغفر له في أول دفقة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الايمان ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدر والياقوت الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في انسان سبعين نفسا من أقاربه وقد أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وعن أبي قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل شئ الا الدين وروي من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وقال أبو الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته ورواه أبو داود والاحاديث في فضل الشهيد كثيرة جدا وقوله تبارك وتعالى سيهديهم أي الى الجنة كقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم وقوله عز وجل ويصلح بالهم أي أمرهم وحالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم اي عرفهم بها وهداهم اليها قال مجاهد يهتدي اهلها الى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها احدا وروى مالك عن زيد بن أسلم نحو هذا وقال محمد بن كعب يعرفون بيوتهم اذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم اذا انصرفتم من الجمعة وقال مقاتل

فليرجع اليه قرأ الجمهور المطهرون اسم مفعول من التطهير وقرئ بكسر الهاء على انه اسم فاعل أي المطهرون أنفسهم وقرئ على انه اسم مفعول من أطهر وقرئ بتشديد الطاء وكسر الهاء أصله المتطهرون قال ابن عباس في الآية الكتاب المنزل من السماء لا يمسه الا الملائكة وعن أنس قال المطهرون الملائكة وعن علقمة قال أتينا سلمان الفارسي فخرج علينا من كنيف فقلنا له لو توضأت يا أبا عبد الله ثم قرأت علينا سورة كذا وكذا قال انما قال الله في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون وهو الذي في السماء لا يمسه الا الملائكة ثم قرأ علينا من القرآن ما شئنا أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وعن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه قال في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم لا يمس القرآن الا على طهر أخرجه مالك في الموطا عن عبد الله بن أبي بكر وأخرجه أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عبد الله المذكور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا يمس القرآن الا طاهر وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وغيره وفي أسانيده نظر وعن ابن عمر انه كان لا يمس المصحف الا متوضئا وعن عبد الرحمن بن زيد قال كنا مع سلمان فانطلق الى حاجته فتوارى عنا ثم خرج علينا فقلنا لو توضأت فسألناك عن أشياء من القرآن فقال سلوني فاني لست أمسه انما يمسه المطهرون ثم تلا هذه الآية أخرجه سعيد ابن منصور وابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وغيرهم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر أخرجه الطبراني وابن مردويه وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن كتب له في عهده ان لا يمس القرآن الا طاهر أخرجه ابن مردويه (تنزيل) أي منزل وسمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بالنصب على الحال (من رب العالمين) صفة رابعة للقرآن أو خبر مبتدا محذوف وفيه رد على من قال ان القرآن شعر أو سحر أو كهانة (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) الاشارة الى القرآن المنعوت بالنعوت السابقة والمدهن والمداهن المنافق كذا قال الزجاج وغيره وقال عطاء وغيره هو الكذاب وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون كما في قوله ودوا لو تدهن فيدهنون وقال ابن عباس مدهنون مكذبون وقال الضحاك مدهنون معرضون وقال مجاهد ممالئون

ابن حيان بلغنا ان الملك الذى كان وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له فيعرفه كل شىء أعطاه الله تعالى فى الجنة فاذا انتهى الى أقصى منزله فى الجنة دخل الى منزله وازواجه وانصرف الملك عنه ذكره ابن ابى حاتم رحمه الله وقد وردا الحديث الصحيح بذلك ايضا رواه البخارى من حديث قتادة عن ابى المتوكل الناجى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا (٢١٦) ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة والذى نفسى بيده ان احدهم بمنزله فى الجنة اهدى منه بمنزله الذى كان فى الدنيا ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم كقوله عز وجل ولينصرن الله من ينصره فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى ويثبت اقدامكم كما جاء فى الحديث من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة ثم قال تبارك وتعالى والذين كفروا فتعسا لهم عكس تثبيت الاقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش اى فلا شفاه الله عز وجل وقوله سبحانه وتعالى وأضل اعمالهم اى أحبطها وأبطلها ولهذا قال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اى لا يريدونه ولا يحبونه فاحبط اعمالهم (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) يقول تعالى أفلم يسيروا يعنى المشركين بالله المكذبين لرسوله فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم اى عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم اى ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ولهذا قال تعالى وللكافرين أمثالها ثم قال ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان

الكفار على الكفر وقال ابن كيسان المدهن الذى لا يعقل حق الله عليه ويدفعه بالعلل والاول أولى لان أصل المدهن الذى ظاهره خلاف باطنه كانه يشبه الدهن فى سهولته قال المؤرج المدهن المنافق الذى يلين جانبه ليخفى كفره والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق وأصله اللين وأن يسر خلاف ما يظهر وقال فى الكشاف مدهنون متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به انتهى قال الراغب والادهان فى الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد كما جعل التقريد وهو نزع القراد عبارة عن ذلك قلت سميت المداراة والملاينة مداهنة وهذا استعارة ومجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية فلذا تجوز به هنا عن التهاون أيضا لان المتهاون بالامر لا يتصلب فيه وقال بعض اللغويين تاركون للجزم فى قبول القرآن (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) فى الكلام مضاف محذوف كما حكاه الواحدى عن المفسرين أى تجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون بنعمة الله فتضعون التكذيب موضع الشكر وقال الهيثم ان أزدشنوءة يقولون ما رزق فلان أى ما شكر وعلى هذه اللغة لا يكون فى الآية مضاف محذوف بل معنى الرزق الشكر ووجه التعبير بالرزق عن الشكر أن الشكر يقتضى زيادة الرزق فيكون الشكر رزقا تعبيرا بالسبب عن المسبب ومما يدخل تحت هذه الآية قول الكفار اذا سقاهم الله وأنزل عليهم المطر سقينا بنوء كذا ومطرنا بنوء كذا قال الازهرى معنى الآية وتجعلون بدل شكركم رزقكم الذى رزقكم الله التكذيب بانه من عند الله الرزاق قرأ على ١ وابن عباس تجعلون شكركم وقرأ الجمهور تكذبون بالتشديد من التكذيب وقرأ بالتخفيف من الكذب أخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت هذه الآية فلا أقسم الى قوله تكذبون وأصل الحديث بدون ذكر أنه سبب نزول الآية ثابت فى الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهنى ومن حديث أبى سعيد الخدرى وعن على عنه صلى الله عليه وسلم فى الآية قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا أخرجه أحمد والترمذى والضياء فى المختارة وغيرهم وفى الباب أحاديث وعن عائشة قالت ما فسر رسول الله

١ بياض باصله

الكافرين لا مولى لهم ولهذا لما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يجب وقال أما هؤلاء فقد هلكوا وأجابه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كذبت يا عدو الله بل أبقى الله تعالى لك ما يسوءك وان الذين عددت لأحياء فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال أما انكم ستجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم ذهب يرتجز ويقول *اعل هبل اعل هبل* فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله وما نقول قال صلى الله عليه وسلم قولوا *الله أعلى وأجل* ثم قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا وما نقول يا رسول الله قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ثم قال سبحانه وتعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار اي يوم القيامة والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام اي في دنياهم يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الانعام خضما وقضما ليس لهم همة الا في ذلك ولهذا ثبت في الصحيح المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء ثم قال تعالى والنار مثوى لهم أي يوم جزائهم وقوله عز وجل وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك يعني مكة أهلكناهم فلا ناصر لهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لاهل مكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل وخاتم الانبياء فاذا كان الله عز وجل قد أهلك الامم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والاخرى فان رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فان العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وقوله تعالى من قريتك التي أخرجتك أي الذين أخرجوك من بين أظهرهم وقال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي محمد بن عبد الاعلى عن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار وأتاه فالتفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله الى الله وأنت أحب بلاد الله الي ولولا ان المشركين أخرجوني لم أخرج منك فأعدى الاعداء

صلى الله عليه وسلم من القرآن الا آيات يسيرة تجعلون رزقكم قال شكركم رواه ابن عساكر وعن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ وتجعلون شكركم أخرجه ابن مردويه (فلولا اذا بلغت الحلقوم) أي فهلا اذا بلغت الروح أو النفس الحلقوم عند الموت ولم يتقدم لها ذكر لان المعنى مفهوم عندهم اذا جاؤا بمثل هذه العبارة والحلقوم ممر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ) التنوين عوض من الجملة المضافة اليها اذ أي اذ بلغت الحلقوم خلافا للاخفش حيث زعم ان التنوين للصرف والكسر للاعراب (تنظرون) أي الى ما هو فيه ذلك الذي بلغت نفسه أو روحه الحلقوم قال الزجاج وأنتم يا اهل الميت في تلك الحال ترون الميت قد صار الى ان تخرج نفسه والمعنى انهم في تلك الحال لا يمكنهم الدفع عنه ولا يستطيعون شيأ ينفعه أو يخفف عنه ما هو فيه (ونحن أقرب اليه منكم) أي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل أراد ورسلنا الذين يتولون قبضه أقرب اليه منكم (ولكن لا تبصرون) أي لا تدركون ذلك لجهلكم بان الله أقرب الى عبده من حبل الوريد أو لا تبصرون ملائكة الموت الذين يحضرون الميت ويتولون قبضه أو لا تعلمون ما هو فيه من المشقة والكرب (فلولا ان كنتم غير مدينين) يقال دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم قال الفراء دنته ملكته ويقال دانه اذا أذله واستعبده وقيل معنى مدينين محاسبين قاله ابن عباس وقيل مجزيين والمعنى الاول الصق بمعنى الآية أي فهلا ان كنتم غير مربوبين ومملوكين (ترجعونها) أي النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مقرها الذي كانت فيه والعامل في اذا بلغت قوله ترجعونها ولولا الثانية تأكيد لفظي للاولى قال الفراء وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد (ان كنتم صادقين) ولن ترجعوها فبطل زعمكم انكم غير مربوبين ولا مملوكين وقيل معناه ان صدقتم في نفي البعث فردوا روح المحتضر الى جسده لينتفي عنه الموت فينتفي البعث ثم ذكر سبحانه طبقات الخلق عند الموت وبعده فقال (فأما ان كان) الذي بين حاله (من المقربين) أي السابقين من الثلاثة الاصناف المتقدم تفصيل حالهم (فروح وريحان) قرأ الجمهور روح بفتح الراء ومعناه الراحة من الدنيا والاستراحة من أحوالها وقال مجاهد الروح الفرح وقرئ بضم الراء ومعناه الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وبه قال الحسن وفي

من عدا على الله تعالى فى حرمه أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مثل الجنة وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) يقول تعالى أفمن كان على بينة من ربه أى على بصيرة ويقين فى أمر الله (٢١٨) ودينه بما أنزل الله فى كتابه من الهدى والعلم وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم أى ليس هذا كهذا كقوله تعالى أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى وكقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ثم قال عز وجل مثل الجنة التى وعد المتقون قال عكرمة مثل الجنة أى نعتها فيها أنهار من ماء غير آسن قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وقتادة يعنى غير متغير وقال قتادة والضحاك وعطاء الخراسانى غير منتن والعرب تقول أسن الماء اذا تغير ريحه وفى حديث مرفوع أورده ابن أبى حاتم غير آسن يعنى الصافى الذى لا كدر فيه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال قال عبد الله رضى الله عنه أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك وأنهار من لبن لم يتغير طعمه أى بل فى غاية البياض والحلاوة والدسومة وفى حديث مرفوع لم يخرج من ضروع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين أى ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل حسنة المنظر والطعم فى هذه والرائحة والفعل لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون لا يصدعون عنها ولا ينزفون بيضاء لذة للشاربين وفى حديث مرفوع لم يعصرها الرجال باقدامهم وأنهار من عسل مصفى أى وهو فى غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح وفى حديث مرفوع لم يخرج من بطون النحل وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار منها بعد ورواه الترمذى فى صفة

القاموس الروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح والريحان الرزق فى الجنة قاله مجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل وقال هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت أطلب ريحان الله أى رزقه وقال قتادة انه الجنة وقال الضحاك هو الرحمة وقال الحسن هو الريحان المعروف الذى يشم قال قتادة والربيع بن خثيم هذا عند الموت والجنة مخبوءة له الى ان يبعث وكذا قال أبو الجوزاء وأبو العالية (وجنت نعيم) يعنى انها ذات تنعم قال ابن عباس اى مغفرة ورحمة وترسم جنة هنا مجرورة التاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير والكسائى وغيرهما والباقون بالتاء على الرسم وهل الجواب لاما أو لان أو لهما أقوال ومعنى أما عند أبى اسحق الخروج من شئ الى شئ أى دع ما كنا فيه وخذ فى غيره وعلى هذا الجواب لان فقط لان أما ليست شرطا ورجح بعضهم ان الجواب لاما لان ان كثر حذف جوابها منفردة فادعاء ذلك مع شرط آخر أولى (وأما ان كان) ذلك المتوفى (من أصحاب اليمين) الذين يأخذون كتبهم بايمانهم وقد تقدم ذكرهم وتفصيل أحوالهم وما أعده الله لهم من الجزاء (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى لست ترى فيهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم بذلك فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اى أنت سالم من الاغتمام بهم وقيل المعنى انهم يدعون لك ويسلمون عليك وقيل انه صلى الله عليه وسلم يحيى بالسلام اكراما وقيل هو اخبار من الله سبحانه بتسليم بعضهم على بعض وقيل المعنى وسلام لك ياصاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين يعنى انه التفات بتقدير القول ومن للابتداء كما يقال سلام من فلان على فلان وفسر المحلى السلام بمعنى السلامة قال القارى وهذا تفسير غريب قال ابن عباس تأتيه الملائكة بالسلام من قبل الله يسلم عليه ويخبره انه من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) بالبعث (الضالين) عن الهدى وهم أصحاب الشمال المتقدم ذكرهم وتفصيل أحوالهم وانما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها واشعارا بما أوجب لهم هذا العذاب والا فمقتضى الظاهر ان يقال وأما ان كان من أصحاب الشمال لكن عدل عنه لما ذكر تأمل (فنزل) أى فله نزل يعد لنزوله (من حميم) وهو الماء الذى قد تناهت حرارته وذلك بعد ان يأكل من الزقوم كما تقدم بيانه قال الربيع ابن خثيم هذا عند الموت وهذا تحكم بهم (وتصلية جحيم) يقال أصلاه النار وصلاه اذا جعله فى النار وهو من اضافة المصدر الى المفعول أو الى المكان قال المبرد وجواب الشرط

الجنة عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن سعيد بن اياس الجريرى به وقال حسن صحيح وقال ابو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحرث بن عبيد الله بن قدامة الايادى حدثنا أبو عمران الجونى عن يزيد بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الانهار تشخب من جنة عدن فى جوبة ثم تصدع بعد أنهارا وفى الصحيح اذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا مصعب بن ابراهيم بن (٢١٩) حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصفر السكرى قالا حدثنا ابراهيم بن المنذر الخراسانى حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة حدثنى عبد الرحمن بن عياش عن دلهم بن الاسود قال دلهم وحدثنيه أيضا أبو الاسود عن عاصم بن لقيط قال ان لقيط بن عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله فعلى ما يطلع من الجنة قال صلى الله عليه وسلم على انهار عسل مصفى وانهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة وانهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لعمر الهك ما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة قلت يارسول الله أولنا فيها أزواج مصلحات قال الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذونكم غير أن لا توالد وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيد عن يزيد بن هرون أخبرنى الجريرى عن معاوية بن قرة عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لعلكم تظنون ان أنهار الجنة تجرى فى أخدود فى الارض والله انها لتجرى سائحة على وجه الارض حافاتها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الاذفر وقد رواه أبو بكر بن مردويه من حديث مهدى بن حكيم عن يزيد بن هرون به مرفوعا وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات كقوله عز وجل يدعون فيها بكل فاكهة آمنين وقوله تبارك وتعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقوله سبحانه ومغفرة من ربهم أى مع ذلك كله وقوله سبحانه وتعالى كمن هو خالد فى النار أى أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد فى النار ليس هؤلاء كهؤلاء وليس من هو فى الدرجات كمن هو فى الدركات وسقوا ماء حميما أى حارا شديد الحر لا يستطاع فقطع أمعاءهم أى قطع ما فى بطونهم من الامعاء والاحشاء عياذا بالله تعالى من ذلك (ومنهم من يستمع

فى هذه الثلاثة المواضع محذوف والتقدير مهما يكن من شئ فروح الخ وفى هذه الآيات اشارة الى ان الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) أى ان ما ذكر فى هذه السورة من أولها الى آخرها أو ان المذكور قريبا من أحوال المحتضرين وقصتهم (لهو حق اليقين) أى محضه وخالصه واضافة حق الى اليقين من باب اضافة الشئ الى نفسه قال المبرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين هذا عند الكوفيين وجوزوا ذلك أى اضافة الموصوف الى الصفة لاختلاف اللفظ وأما البصريون فيجعلون المضاف اليه محذوفا والتقدير حق الامر اليقين أو الخبر اليقين قال ابن عباس لهو حق اليقين ما قصصنا عليك فى هذه السورة (فسبح باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى نزهه عما لا يليق بشأنه فسبح متلبسا باسم ربك للتبرك به وقيل المعنى فصل بذكر ربك وقيل الباء زائدة وادعاء زيادتها خلاف الاصل والاسم بمعنى الذات وقيل هى للتعدية لان سبح يتعدى بنفسه تارة ويتعدى بالحرف أخرى والاول أولى عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم وصححه البيهقى

(سورة الحديد هى تسع وعشرون آية وهى مدنية)

قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعليه الجمهور وقال الزمخشرى انها مكية ويؤيده ما نقل فى سبب اسلام عمر بن الخطاب انه لما قرأ هذه الآيات الى قوله ان كنتم مؤمنين وكانت مكتوبة فى صحيفة عند أخته أسلم فهذا يقتضى ان هذه الآيات مكية فعلى هذا تستثنى على القول بان السورة مدنية تأمل وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت سورة الحديد يوم الثلاثاء وخلق الحديد يوم الثلاثاء وقتل ابن آدم أخاه يوم الثلاثاء ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء أخرجه الطبرانى وابن مردويه قال السيوطى بسند ضعيف وعن جابر مرفوعا لا تحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت على يوم الثلاثاء أخرجه الديلمى وعن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد وقال ان فيهن آية أفضل من ألف آية أخرجه أحمد

اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) يقول تعالى مخبرا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئا فاذا خرجوا من عنده قالوا للذين أوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم (٢٢٠) ماذا قال آنفا أي الساعة لا يعقلون ما يقال ولا يكترثون له قال الله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح ثم قال عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى أي والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم اليها وثبتهم عليها وزادهم منها وآتاهم تقواهم أي ألهمهم رشدهم وقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة أي وهم غافلون عنها فقد جاء اشراطها أي امارات اقترابها كقوله تبارك وتعالى هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة وكقوله جلت عظمته اقتربت الساعة وانشق القمر وقوله سبحانه وتعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقوله جل وعلا اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة لانه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين وقد اخبر صلى الله عليه وسلم بأمارات الساعة واشراطها وابان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله كما هو مبسوط في موضعه وقال الحسن البصري بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة وهو كما قال ولهذا جاء في اسمائه عن صلى الله عليه وسلم انه نبي التوبة ونبي الملحمة والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه والعاقب الذي ليس بعده نبي وقال البخاري حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا ابو حازم حدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تليها بعثت انا والساعة كهاتين ثم قال تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم اى فكيف للكافرين بالتذكر اذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى وقالوا

والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم وفي اسناده بقية بن الوليد وفيه مقال معروف وأخرجه النسائي عن خالد بن معدان قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يذكر العرباض بن سارية فهو مرسل وأخرجه ابن الضريس عن يحيي بن أبي كثير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات وكان يقول ان فيهن آية أفضل من ألف آية قال يحيي فنراها الآية التي في آخر الحشر وقال ابن كثير في تفسيره والآية المشار اليها والله أعلم هي قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن الآية والمسبحات هي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات والارض) أي نزهه ومجده قال المقاتلان يعني كل شيء من ذي روح وغيره وقد تقدم الكلام في تسبيح الجمادات عند تفسير قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم والمراد بالتسبيح المسند الى ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم والحيوانات والجمادات هو ما يعم التسبيح بلسان المقال كتسبيح الملائكة والانس والجن وبلسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل موجود يدل على الصانع وقد أنكر الزجاج ان يكون تسبيح غير العقلاء هو تسبيح الدلالة وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان هذا التسبيح من الجبال تسبيح دلالة لم تكن لتخصيص داود فائدة وفعل التسبيح قد يتعدى بنفسه تارة كما في قوله وسبحوه وباللام أخرى كهذه الآية وأصله ان يكون متعديا بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء فاذا استعمل باللام فهي اما زائدة للتأكيد كما في شكرته وشكرت له أو هي للتعليل أي افعل التسبيح لاجل الله سبحانه خالصا له وجاء هذا الفعل في بعض هذه الفواتح كالحشر والصف ماضيا كهذه الفاتحة وفي بعضها كالجمعة والتغابن مضارعا وفي بعضها كالاعلى أمرا وفي بني اسرائيل بلفظ المصدر استيعابا واستيفاء لهذه الكلمة من جميع جهاتها المشهورة وللاشارة الى ان هذه الاشياء مسبحة في كل الاوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هي مسبحة أبدا في الماضي وستكون مسبحة في المستقبل أبدا وبدأ بالمصدر في الاسراء لانه الاصل وأبلغ من حيث انه مشعر باطلاقه

آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقوله عزوجل فاعلم انه لا اله الا الله هذا اخبار بانه لا اله الا الله ولا يتأتى كونه آمرا بعلم ذلك ولهذا اعطف عليه بقوله عزوجل واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي وفي الصحيح انه كان يقول في آخر الصلاة اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما أسرفت وما انت اعلم به مني أنت الهي لا اله الا انت وفي الصحيح انه قال يا ايها الناس توبوا الى ربكم (٢٢١) فاني استغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم الاحول قال سمعت عبد الله بن سرخس قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلت معه من طعامه فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ولك فقلت استغفر لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولكم وقرأ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ثم نظرت الى بعض كتفه الايمن أو كتفه الايسر شعبة الذي شك فاذا هو كهيئة الجمع عليه الثآليل رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن ابي حاتم من طرق عن عاصم الاحول به وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو يعلى حدثنا محمد بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد الغفور عن أبي نصيرة عن أبي رجاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون انهم مهتدون وفي الاثر المروي قال ابليس وعزتك وجلالك لا ازال أغويهم ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الله عزوجل وعزتي وجلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروني والاحاديث في فضل الاستغفار كثيرة وقوله تبارك وتعالى والله يعلم متقلبكم ومثواكم اي يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم كقوله تبارك وتعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقوله سبحانه وتعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهذا القول ذهب اليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير وعن ابن عباس رضي الله عنهما

عن التعرض للفاعل والزمان ثم بالماضي لسبق زمنه ثم بالمضارع لشموله الحال والاستقبال ثم بالامر لخصوصه بالاستقبال مع تأخره في النطق به في قولهم فعل يفعل افعل (وهو العزيز) أي القادر الغالب الذي لا ينازعه منازع ولا يمانعه ممانع كائنا ما كان قرأ قالون وأبو عمرو بسكون الهاء والباقون بضمها (الحكيم) الذي يفعل أفعال الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) يتصرف فيه وحده ولا ينفذ فيهما غير تصرفه وأمره وقيل المراد خزائن المطر والنبات وسائر الارزاق ذكره مرتين وليس بتكرار لان الاول في الدنيا كما أشار له في التقرير والثاني في العقبى لقوله عقبه والى الله ترجع الامور والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (يحيي ويميت) الفعلان في محل رفع على انهما خبران لمبتدا محذوف أو كلام مستأنف لبيان بعض أحكام الملك أو حال من الضمير في له والعامل الاستقرار والمعنى انه يحيي بالانشاء في الدنيا ويميت بعده وقيل يحيي النطف وهي أموات ويميت الاحياء وقيل يحيي الاموات للبعث (وهو على كل شيء قدير) لا يعجزه شيء كائنا ما كان (هو الاول) قبل كل شيء بلا بداية أو السابق على جميع الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) بعد كل شيء بلا نهاية أو الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها والاول خارجا والآخر ذهنا أو الاول الذي تبتدأ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات (والظاهر) العالي الغالب على كل شيء أو الظاهر وجوده بالادلة الواضحة (والباطن) أي العالم بما بطن من قولهم فلان يبطن أمر فلان أي يعلم داخلة أمره أو المعنى المحتجب حقيقة ذاته عن ادراك الابصار والحواس والعقول فلا تكتنهها الالباب والاحلام لا في الدنيا ولا في الآخرة فاضمحل ما في الكشاف من ان فيه حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقد فسر هذه الاسماء الاربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعين المصير الى ذلك كما أخرج ابن أبي شيبة ومسلم والترمذي والبيهقي عن أبي هريرة قال جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال قولي اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم وربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا

متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة وقال السدي متقلبكم في الدنيا ومثواكم في قبوركم والاول أولى وأظهر والله أعلم

(ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين انهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه (٢٢٢) كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا وقال عز وجل ههنا ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي مشتملة على حكم القتال ولهذا قال فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الاعداء ثم قال مشجعا لهم فأولى لهم طاعة وقول معروف اي وكان الاولى بهم ان يسمعوا ويطيعوا اي في الحالة الراهنة فاذا عزم الامر اي جد الحال وحضر القتال فلو صدقوا الله أي أخلصوا له النية لكان خيرا لهم وقوله سبحانه وتعالى فهل عسيتم ان توليتم أي عن الجهاد ونكلتم عنه أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم اي تعودوا الى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الارحام ولهذا قال تعالى أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم وهذا نهي عن الافساد في الارض عموما وعن قطع الارحام خصوصا بل قد أمر الله تعالى بالاصلاح في الارض وصلة الارحام وهو الاحسان الى الاقارب في المقال والافعال وبذل الاموال وقد وردت الاحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق عديدة ووجوه كثيرة قال البخاري حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان حدثني معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي

من الفقر وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة من وجه آخر مرفوعا مثل هذا في الاربعة الاسماء المذكورة وتفسيرها وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شيء فماذا كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول قبل كل شيء والآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فوق كل شيء وهو الباطن دون كل شيء وهو بكل شيء عليم وأخرج أبو داود عن أبي زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شيء أجده في صدري قال ما هو قلت والله لا أتكلم به قال فقال لي أشيء من شك قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآية قال وقال لي اذا وجدت في نفسك شيئا فقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن (وهو بكل شيء عليم) لا يعزب عن علمه شيء من المعلومات عن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماء كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث انما أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه والعنان اسم للسحاب

الرحمن عزوجل فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى ألا ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك لك قال أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ثم رواه البخاري من طريقين آخرين عن معاوية بن أبي مزرد به قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبي مزرد به وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن ابيه عن أبي بكرة رضي الله عنه (٢٢٣) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أحرى ان يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع مايدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم ورواه ابوداود والترمذي وابن ماجه من حديث اسمعيل هو ابن علية به وقال الترمذي هذا حديث صحيح وقال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المرائي حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره النسأ في الاجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيح وقال أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لي ذوي أرحام أصل و يقطعون وأغفر و يظلمون وأحسن و يسيؤن أفأكافئهم قال صلى الله عليه وسلم لا اذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فانه لن يزال معك ظهير من الله عزوجل ما كنت على ذلك تفرد به أحمد من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر وقال الامام أحمد حدثنا يعلى حدثنا فطر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها رواه البخاري وقال أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال صلى الله عليه وسلم توضع الرحم يوم القيامة لها حجنة كحجنة المغزل تكلم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها وقال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الارض يرحمكم أهل السماء والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقد رواه أبوداود والترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن

للسحاب ومعنى روايا الارض الحوافل والرقيع اسم لسماء الدنيا (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) من أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة ولو أراد ان يجعلهما في طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة أصلا ليكون عليها المدار وهذا بيان لبعض ملكه للسموات والارض وقد تقدم تفسيره في سورة الاعراف وفي غيرها مستوفى (ثم استوى على العرش) أي الكرسي استواء يليق به قاله المحلي وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ امرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم هل تدرون كم ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة و بعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عزوجل فوق ذلك أخرجه الترمذي وأبوداود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شئ وقد تقدم الكلام على الاستواء مرارا في غير موضع وفي هذا الباب كتب ورسائل مستقلة وهي معروفة عند أهل العلم (يعلم ما يلج في الارض) أي يدخل فيها من المطر والقطر والبذر والكنوز والموتى وغيرها (وما يخرج منها) من نبات ومعادن وغيرها (وما ينزل من السماء) من الملائكة والرحمة والعذاب والمطر وغيرها (وما يعرج فيها) أي يصعد اليها من الملائكة وأعمال العباد والدعوات وقال المحلي كالاعمال الصالحة والسيئة واعترضه القاري بان الذي يرفع من الاعمال هو الصالح كما في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقد تقدم تفسير هذا في سورة سبا (وهو معكم أينما كنتم) بقدرته وسلطانه وعلمه عموما وبفضله ورحمته خصوصا فليس ينفك أحد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به أينما كان من أرض أو سماء بر أو بحر وقيل هو معكم بالحفظ والحراسة قال ابن عباس عالم بكم وهذا تمثيل للاحاطة بما يصدر منهم أينما داروا في الارض من بر وبحر (والله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه من أعمالكم شئ

عمرو بن دينار به وهذا هو الذي يروى بتسلسل الاولية وقال الترمذي حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن ابراهيم بن عبد الله بن قارض ان أباه حدثه انه دخل على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو مريض فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه وصلتك رحم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه فأبته أو قال من بتها أبته تفرد به أحمد من هذا الوجه ورواه احمد ايضا من حديث الزهري عن ابي سلمة (٢٢٤) عن المرداد أو ابي المرداد عن عبد الرحمن بن عوف به ورواه ابو داود والترمذي من رواية ابى سلمة عن ابيه والاحاديث في هذا كثيرة وقال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن يونس الحجاج بن القرافصة عن ابى عمر البصري عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الالسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله واصمهم واعمى ابصارهم والاحاديث في هذا كثيرة والله أعلم (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) يقول تعالى آمرا بتدبر القرآن وتفهمه وناهيا عن الاعراض عنه فقال أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها أي بل على قلوب أقفالها فهي اى مطبقة لا يخلص اليها شئ من معانيه قال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به ثم قال تعالى ان الذين ارتدوا على

(له ملك السموات والارض) هذا التكرير للتأكيد وذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابتداء لانه كالمقدمة (١) لهما (والى الله) لا الى غيره (ترجع الامور) الاخوان وابن عامر يقرؤن بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في جميع القرآن ذكره السمين (يولج الليل) أي يدخله (في النهار) بان ينقص من الليل ويزيد في النهار (ويولج النهار في الليل) بعكس ذلك وقد تقدم تفسير هذا في سورة آل عمران وفي مواضع (وهو عليم بذات الصدور) أي بضمائرها ومعتقداتها ومكنوناتها لا تخفى عليه من ذلك خافية (آمنوا بالله ورسوله) أي صدقوا بالتوحيد وصحة الرسالة وهذا خطاب لكفار العرب أو للجميع ويكون المراد بالامر بالايمان في حق المسلمين الاستمرار عليه أو الازدياد عليه ثم لما أمرهم بالايمان أمرهم بالانفاق في سبيل الله فقال (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة فان المال مال الله والعباد خلفاء الله في أمواله فعليهم ان يصرفوها فيما يرضيه وقيل جعلكم خلفاء من كان قبلكم ممن ترثونه وسينتقل الى غيركم ممن يرثكم فلا تبخلوا به كذا قال الحسن وغيره وفيه الترغيب الى الانفاق في سبل الخير وتهوين له على النفس قبل ان ينتقل عنهم ويصير الى غيرهم والظاهر ان معنى الآية الترغيب في الانفاق في الخير وما يرضاه الله على العموم وقيل هو خاص بالزكاة المفروضة ولا وجه لهذا التخصيص قال المحلي نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك ويشكل هذا على القول بان السورة مكية وكذا على القول بانها مدنية على استثناء هذه الآيات وكانت في السنة التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف وهي آخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل وقع الصلح على دفع الجزية وايضاح هذه القصة مذكور في سورة براءة فراجعها ان شئت ثم ذكر سبحانه ثواب من أنفق في سبيل الله فقال (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) أي الذين جمعوا بين الايمان بالله ورسوله وبين الانفاق في سبيل الله وفيه اشارة الى عثمان رضي الله تعالى عنه فانه جهز في غزوة العسرة ثلثمائة بعير باقتابها وأحلاسها وأحمالها وجاء بالف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لهم أجر كبير) وهو الجنة (ومالكم لا تؤمنون بالله) هذا الاستفهام للتوبيخ والتقريع والخطاب للكفار أي أي عذر لكم وأي مانع من الايمان وقد أزيحت عنكم العلل وقيل المعنى

---

(١) فان ما قبله حيث جعل كناية عن المجازاة اشارة الى الاعادة وكذا ما بعده كما ان قوله يحيي ويميت اشارة الى الابتداء اه سيد ذو الفقار أحمد

أي شيء لكم من الثواب في الآخرة اذا لم تؤمنوا (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) أي يدعوكم للايمان والمعنى أي عذر لكم في ترك الايمان والحال ان الرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (و) الحال ان (قد أخذ) الله (ميثاقكم) حين أخرجكم من ظهر أبيكم آدم في عالم الذر حين أشهدكم على أنفسكم كما في قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى أو بما نصب لكم من الادلة الدالة على التوحيد ووجوب الايمان وركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون وهو اختيار القاضي كالكشاف والاول أولى قرأ الجمهور قد أخذ مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه لتقدم ذكره وقرئ على البناء للمفعول وهما سبعيتان (ان كنتم مؤمنين) بما أخذ عليكم من الميثاق أو بالحجج والدلائل أو ان كنتم مؤمنين بسبب من الاسباب فهذا من أعظم أسبابه وأوضح موجباته لا مزيد عليه وقيل ان كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فان شريعتهما تقتضي الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل مريدين للايمان به فبادروا اليه وقيل ان بمعنى اذ (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات) أي واضحات ظاهرات وهي الآيات القرآنية وقيل المعجزات والقرآن أعظمها (ليخرجكم من الظلمات الى النور) أي ليخرجكم الله بتلك الآيات من ظلمات الشرك الى نور الايمان أو ليخرجكم الرسول بتلك الآيات أو بالدعوة منها اليه (وان الله بكم) في اخراجكم من الكفر الى الايمان (لرؤف رحيم) أي كثير الرأفة والرحمة بليغهما حيث أنزل كتبه وبعث رسله لهداية عباده ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية فلا رأفة ولا رحمة أبلغ من هذه (وما لكم أن لا) والاصل في ان لا (تنفقوا) فموضعه نصب أو جر وليست ان زائدة كما يرى أبو الحسن زيادتها بل هي مصدرية والمعنى في عدم الانفاق (في سبيل الله) أي في طاعته وما يكون قربة اليه فسبيله كل خير يوصلهم اليه فهو استعارة تصريحية والاستفهام للتوبيخ والتقريع وفي هذه الآية دليل على ان الانفاق المأمور به في قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه هو الانفاق في سبيل الله كما بينا ذلك والمعنى أي عذر لكم وأي شيء يمنعكم من ذلك (ولله ميراث السموات والارض) أي والحال ان كل ما فيهما راجع الى الله

أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى أي فارقوا الايمان ورجعوا الى الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم أي زين لهم ذلك وحسنه وأملى لهم أي غرهم وخدعهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر أي مالؤهم وناصحوهم في الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون ولهذا قال الله عز وجل والله يعلم اسرارهم أي ما يسرون وما يخفون الله مطلع عليه وعالم به كقوله تبارك وتعالى والله يكتب ما يبيتون ثم قال تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم أي كيف حالهم اذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الارواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال سبحانه وتعالى ولو ترى اذ يتوفى (٢٢٥) الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم الآية وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أي بالضرب أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولهذا قال ههنا ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم (أم حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) يقول تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم أي أيعتقد المنافقون ان الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر وقد انزل الله تعالى في ذلك سورة براءة فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الافعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى الفاضحة والاضغان جمع ضغن وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للاسلام وأهله والقائمين بنصره وقوله تعالى ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم يقول عز وجل ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترا منه على خلقه وحملا للامور على ظاهر السلامة ورد السرائر الى عالمها ولتعرفنهم في لحن القول أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه وفي الحديث

ما أسر أحد سريرة الا كساه الله تعالى جلبابها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد ذكرنا ما يستدل به على نفاق الرجل وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد في أول شرح البخاري بما أغنى عن اعادته ههنا وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سلمة عن عياض بن عياض عن أبيه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين رجلا (٢٢٦) ثم قال ان فيكم أو منكم منافقين فاتقوا الله قال فمر عمر رضي الله عنه برجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه فقال مالك فحدثه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعدا لك سائر اليوم وقوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين أي ولنختبرنكم بالاوامر والنواهي حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم وليس في تقدم علم الله تعالى بما هو كائن انه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما في مثل هذا الا لنعلم أي لنرى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الايمان من بعد ما تبين له الهدى انه لن يضر الله شيأ وانما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية كما ان الحسنات يذهبن السيئات وقد قال الامام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا أبو قدامة حدثنا وكيع حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فخافوا ان يبطل الذنب العمل ثم روى من طريق عبد الله

سبحانه بانقراض العالم كرجوع الميراث الى الوارث ولا يبقى لهم منه شيء وهذا أدخل في التوبيخ وأكمل في التقريع فان كون تلك الاموال تخرج عن أهلها وتصير لله سبحانه ولا يبقى أحد من مالكيها أقوى في ايجاب الانفاق عليهم من كونها لله في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها ثم بين سبحانه فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وتفاوت درجات المنفقين فقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي فتح مكة وبه قال أكثر المفسرين قال قتادة كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ونفقتان احداهما أفضل من الاخرى كان القتال والنفقة من قبل فتح مكة أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك وكذا قال مقاتل وغيره وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية وهو الراجح قاله الكرخي وذكر القتال للاستطراد وفي الكلام حذف والتقدير لا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل فحذف لظهوره ولدلالة ما سيأتي عليه فان الاستواء يكون بين الشيئين ولا يتم الا بذكرهما وانما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعده لان حاجة الناس كانت اذ ذاك أكثر وهم أقل وأضعف وتقديم الانفاق على القتال للايذان بفضيلة الانفاق لما كانوا عليه من الحاجة فانهم كانوا يجودون بأنفسهم ولا يجدون ما يجودون به من الاموال وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه أهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من أفضل العبادات والجود بالنفس أقصى غاية الجود * (أولئك) اشارة الى من باعتبار معناه وهو مبتدأ وخبره قوله (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) أي أرفع منزلة وأعلى رتبة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها قال الزجاج لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم وكانت بصائرهم أيضا أنفذ وقد أرشد صلى الله عليه وآله وسلم الى هذه الفضيلة بقوله فيما صح عنه لو أنفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهذا خطاب منه صلى الله عليه وآله وسلم للمتأخرين صحبة كما يرشد الى ذلك السبب الذي ورد فيه هذا الحديث وقد أخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم عن ابي سعيد الخدري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية حتى اذا كان بعسفان قال رسول الله صلى

ابن المبارك أخبرني بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى انه ليس شئ من الحسنات الا مقبول حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصبها ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا (٢٢٧) والآخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ولهذا قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم أي بالردة ولهذا قال بعدها ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم كقوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين فلا تهنوا أي تضعفوا عن الأعداء وتدعوا الى السلم أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم ولهذا قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون أي في حال علوكم على عدوكم فأما اذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة الى جميع المسلمين ورأى الامام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله ان يفعل ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه الى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم صلى الله عليه وسلم الى ذلك وقوله جلت عظمته والله معكم فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء وان يتركم أعمالكم أي ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم اياها بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيأ والله أعلم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يقول تعالى تحقيرا لأمر الدنيا وتهوينا لشأنها انما الحياة الدنيا لعب ولهو أي حاصلها ذلك الا ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم أي هو غني عنكم لا يطلب

الله عليه وآله وسلم يوشك ان يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم قلنا من هم يا رسول الله أقريش قال لا ولكنهم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا فقلنا أهم خير منا يا رسول الله قال لو كان لأحدهم جبل من ذهب ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه الا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وهذا الحديث قال ابن كثير غريب بهذا الاسناد وقد رواه ابن جرير ولم يذكر فيه الحديبية وأخرج أحمد عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد و بين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ لا تسبوا أصحابي فوالذي نفس محمد بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وفي لفظ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري وعن ابن عمر قال لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره أخرجه ابن أبي شيبة (وكلا) أي كل واحد من الفريقين (وعد الله) المثوبة (الحسنى) وهي الجنة مع تفاوت درجاتهم فيها قرأ الجمهور كلا على انه مفعول مقدم وقرئ بالرفع على الابتداء أو على انه خبر مبتدأ محذوف ومثل هذا قول الشاعر

قد أصبحت أم الخيار تدعي * على ذنبا كله لم أصنع

قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه من ذلك شئ ثم رغب سبحانه في الصدقة فقال (من ذا الذي يقرض الله) أي ينفق ماله في سبيل الله فانه كمن يقرضه والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد أقرض من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له أو بدل منه ويصح أن يكون من ذا مبتدأ أو الموصول خبره وهذا منه تعالى في غاية اللطف بنا والاحسان الينا حيث أعطانا الأموال من عنده وجعل رجوعها اليه منا قرضا مع انه المالك الحقيقي قال الكلبي (قرضا) أي صدقة (حسنا) أي محتسبا من قلبه بلا من ولا أذى وقال مقاتل حسنا

منكم شيأ انما فرض عليكم الصدقات من الاموال مواساة لاخوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم ويرجع ثوابه اليكم ثم قال جل جلاله ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اى يحرجكم تبخلوا ويخرج أضغانكم قال قتادة قد علم الله تعالى ان فى اخراج الاموال اخراج الاضغان وصدق قتادة فان المال محبوب ولا يصرف الا فيما هو أحب الى الشخص منه وقوله تعالى ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل اى لا يجيب الى ذلك ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اى انما نقص نفسه من الاجر وانما يعود وبال ذلك عليه والله الغنى (٢٨) اى عن كل ما سواه وكل شئ فقير اليه دائما ولهذا قال تعالى وانتم الفقراء اى بالذات اليه فوصفه بالغنى وصف لازم له ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكون عنه وقوله تعالى وان تتولوا اى عن طاعته واتباع شرعه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم اى ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولاوامره وقال ابن ابى حاتم وابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب اخبرنى مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسى رضى الله عنه ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس تفرد به مسلم بن خالد الزنجى ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الائمة رحمة الله عليهم والله اعلم آخر تفسير سورة القتال ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الفتح وهى مدنية)

قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا انى اكره ان يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته أخرجاه من حديث شعبة به *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية فى ذى القعدة من سنة ست من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول الى المسجد الحرام ليقضى

طيبة به نفسه واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الانفاق بالاقراض والجامع اعطاء شئ بعوض من حيث ان الله وعد به الجنة تشبيها بالقرض لان القرض اخراج المال لاسترداد البدل وقيل القرض الحسن هو النفقة على الاهل قاله زيد بن اسلم وقال الحسن هو التطوع بالعبادات وقيل انه العمل الخير والعرب تقول لى عند فلان قرض صدق وقرض سوء والاول اولى وقال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهى أن يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما أمكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائى به الناس وان تستحقر ما تعطى وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشر خصال اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا وقد تقدم تفسير الآية فى سورة البقرة (فيضاعفه له) اى يعطيه اجره على انفاقه أضعافا مضاعفة من فضله قرأ اهل الكوفة والبصرة بالالف وتخفيف العين وقرئ فيضعفه وعلى كل من القراءتين فالفعل اما مرفوع أو منصوب فالقراآت اربعة وكلها سبعية قال ابن عطية الرفع هنا على العطف او الاستئناف والنصب بالفاء على جواب الاستفهام (وله) مع المضاعفة (اجر كريم) وهو الجنة والمضاعفة هنا هى كون الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف على اختلاف الاحوال والاشخاص والاوقات (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) اى اذكر أو يؤجرون يوم ترى اويسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم هذا أصله والعامل فيه فيضاعفه قاله ابو البقاء والخطاب لكل من يصلح له (يسعى نورهم) اى نور التوحيد والطاعات والنور هو الضياء الذى يرى وقيل هو القرآن (بين ايديهم) ظرف ليسعى اوحال من نورهم (وبايمانهم) وذلك على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم الى الجنة قال قتادة ان المؤمن يضئ له نور كما بين عدن الى صنعاء حتى ان من المؤمنين من لا يضئ له نوره الا موضع قدميه وقال الضحاك ومقاتل وبايمانهم كتبهم التى أعطوها فكتبهم بأيمانهم ونورهم بين أيديهم وقال الضحاك ايضا نورهم هداهم وبايمانهم كتبهم واختار هذا ابن جرير الطبرى اى ليسعى ايمانهم وعملهم بين ايديهم وفى ايمانهم كتب أعمالهم قال ابن مسعود فى الآية

عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا الى المصالحة والمهادنة وان يرجع عامه هذا ثم يأتى من قابل فاجابهم الى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم كما سيأتى تفصيله فى موضعه من تفسير هذه السورة ان شاء الله تعالى فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع انزل الله عزوجل هذه السورة فيما كان من امره وامرهم وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الامر اليه كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه وغيره انه قال انكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية وقال الاعمش عن ابى سفيان عن جابر رضى الله عنه (٢٢٩) قال ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن ابى اسحق عن البراء رضى الله عنه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا وقال الامام احمد حدثنا ابو نوح حدثنا مالك بن انس عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قال فسألته عن شئ ثلاث مرات فلم يرد على قال فقلت لنفسى ثكلتك امك يا ابن الخطاب ألحت نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك قال فركبت راحلتى فحركت بعيرى فتقدمت مخافة ان يكون نزل فى شئ قال فاذا أنا بمناد يا عمر قال فرجعت وانا اظن انه نزل فى شئ قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم نزل على البارحة سورة هى احب الى من الدنيا وما فيها انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ورواه البخارى والترمذى والنسائى من طرق عن مالك رحمه الله وقال على بن المدينى هذا اسناد مدنى جيد لم نجده الا عندهم وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن انس بن مالك رضى الله عنه قال نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية قال النبى صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على آية أحب الى مما على الارض ثم قرأها عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيأ مريئا يا نبى الله بين

يؤتون نورهم على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نورا من نوره على ابهامه يطفأ مرة ويقد اخرى قال الفراء الباء بمعنى فى أى فى جهة أيمانهم وهذا على قراءة العامة اعنى بفتح الهمزة جمع يمين وقيل الباء بمعنى عن اى عن جميع جهاتهم وانما خص الايمان لانها اشرف الجهات وقرئ بكسرها على ان المراد بالايمان ضد الكفر وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله والباء سببية أى يسعى كائنا بين أيديهم وكائنا بايمانهم وقال أبو البقاء تقديره وبايمانهم استحقوه أو وبايمانهم يقال لهم أى تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم (بشراكم اليوم) أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم من الزمان (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) أى دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (ذلك هو الفوز العظيم) لا يقادر قدره حتى كأنه لا فوز غيره ولا اعتداد بما سواه والاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة هذا اذا كان قوله ذلك هو الفوز العظيم قول الله تعالى لا من جملة مقول الملائكة والا فالاشارة حينئذ الى الجنة بتأويل ما ذكر أو لكونها فوزا ذكره الكرخى (يوم) أى اذكر يوم (يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) واللام للتبليغ كنظائرها (انظرونا) أى انتظرونا يقولون ذلك لما رأوا المؤمنين يسرع بهم الى الجنة قرأ الجمهور انظرونا أمرا بوصل الهمزة وضم الظاء مشتق من النظر بمعنى الانتظار وقرئ من الانظار بقطع الهمزة أى امهلونا وأخرونا يقال أنظرته واستنظرته أى أمهلته واستمهلته قال الفراء تقول العرب انظرنى أى انتظرنى وقيل معناه انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئوا بنورهم وهذا أليق بقوله (نقتبس من نوركم) أى نستضئ منه الا ان الشيخ أبا حيان قال ان النظر بمعنى الابصار لا يتعدى بنفسه الا فى الشعر وانما يتعدى بالى والقبس الشعلة من النار والسراج فلما قالوا ذلك (قيل) أى قال لهم المؤمنون أو الملائكة الموكلون بهم زجرا وتهكما بهم (ارجعوا وراءكم) اى الى الموضع الذى أخذنا منه النور (فالتمسوا) أى اطلبوا هنالك (نورا) لانفسكم فانه من هنالك يقتبس وقيل المعنى ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا النور بما التمسناه به من الايمان والاعمال الصالحة وقيل أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة تهكما بهم وعن ابن

الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب قال سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن بن زيد الانصاري عن عمه مجمع بن حارثة الانصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرؤا القرآن قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها اذا الناس ينفرون الاباعر فقال الناس بعضهم لبعض ما للناس قالوا أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس (٢٣٠) نوجف فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رسول الله أوفتح هو قال صلى الله عليه وسلم اي والذي نفس محمد بيده انه لفتح قسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد الا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهما وكان الجيش ألفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فاعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما ورواه أبو داود في الجهاد عن محمد ابن عيسى عن مجمع بن يعقوب به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا أبو يحيى حدثنا شعبة حدثنا جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا فلم نستيقظ الا بالشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم قال فقلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افعلوا ما كنتم تفعلون وكذلك يفعل من نام أو نسي قال وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبناها فوجدناها مالا قد تعلق خطامها بشجرة فأتيته بها فركبها فبينا نحن نسير اذ أتاه الوحي قال وكان اذا أتاه الوحي اشتد عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد رواه احمد وأبو داود والنسائي من غير وجه عن جامع بن شداد به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبدا شكورا أخرجاه وبقية الجماعة

عباس قال بينما الناس في ظلمة اذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا لهم من الله الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا الى النور تبعوهم فاظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فانا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدعو الناس يوم القيامة بأمهاتهم سترا منه على عباده وأما عند الصراط فان الله يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا وفي الباب أحاديث وآثار (فضرب بينهم بسور) معطوف على ما قبله متفرع عليه فان المؤمنين أو الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بأنوار معارفهم وأعمالهم بقي المنافقون في ظلمة نفاقهم فصاروا بذلك كأنه ضرب بينهم وبين النور الذي يؤديهم الى الجنة سور فعلى هذا يكون قوله فضرب الخ من قبيل الاستعارة التمثيلية والسور هو الحاجز بين الشيئين والمراد به هنا الحاجز بين الجنة والنار أو بين أهل الجنة وأهل النار وقيل هو الحائط بينهما وقيل هو الاعراف قال الكسائي الباء في بسور زائدة ثم وصف سبحانه السور المذكور فقال (له) اى لذلك السور (باب باطنه) اى باطن ذلك السور وهو الجانب الذي يلي أهل الجنة (فيه الرحمة) وهي الجنة أو النور (وظاهره) وهو الجانب الذي يلي أهل النار (من قبله) اى من قبل ذلك الظاهر ومن عنده ومن جهته (العذاب) اى الظلمة أو نار جهنم وقيل ان المؤمنين يسبقونهم فيدخلون الجنة والمنافقون يحصلون في العذاب وبينهم السور وقيل ان الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين عن عبادة ابن الصامت انه كان على سور بيت المقدس فبكى فقيل ما يبكيك فقال ههنا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جهنم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان السور الذي ذكره الله في القرآن فضرب بينهم بسور هو الذي ببيت المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني وادي جهنم وما يليه ولا يخفاك ان تفسير السور المذكور في هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه من الاشكال

الآباد او من حديث زيادة وقال الامام احمد حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر عن ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عون الخزاز وكان ثقة بمكة حدثنا محمد بن بشر حدثنا مسعر عن قتادة عن أنس قال قام رسول الله (٢٣١) صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه أو قال

ما لا يدفعه مقال ولا سيما بعد زيادة قوله باطنه فيه الرحمة المسجد فان هذا غير ما سيقت له الآية وغير ما دلت عليه وأين يقع بيت المقدس أو سوره بالنسبة الى السور الحاجز بين فريقي المؤمنين والمنافقين وأي معنى لذكر مسجد بيت المقدس ههنا فان كان المراد أن الله سبحانه ينزع سور بيت المقدس ويجعله في الدار الآخرة سورا مضروبا بين المؤمنين والمنافقين فما معنى تفسير باطن السور وما فيه من الرحمة بالمسجد وان كان المراد أن الله يسوق فريقي المؤمنين والمنافقين الى بيت المقدس فيجعل المؤمنين داخل السور في المسجد ويجعل المنافقين خارجه فهم اذ ذاك على الصراط وفي طريق الجنة وليسوا ببيت المقدس فان كان مثل هذا التفسير ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه وآمنا به والا فلا كرامة ولا قبول ولعله أخذ ذلك من الاسرائيليات فقد قال شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب وكعب وكذا وهب كثير الرواية عن بني اسرائيل وليس عند أهل السنة الى قبوله سبيل ولما ضرب بالسور بين المؤمنين والمنافقين أخبر الله سبحانه عما قاله المنافقون اذ ذاك فقال (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة والجملة حالية من الضمير في بينهم أو استئناف وهو الظاهر (ألم نكن معكم) أي موافقين لكم في الظاهر نصلي بصلاتكم في مساجدكم ونعمل بأعمال الاسلام مثلكم ثم أخبر الله سبحانه عما أجابهم به المؤمنون فقال (قالوا بلى) أي كنتم معنا في الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) بالنفاق وابطان الكفر قال مجاهد أهلكتموها بالنفاق وقيل بالشهوات واللذات قاله ابن عباس وقيل استعملتموها في الفتنة وقيل بالمعاصي قاله أبو سنان (وتربصتم) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن معه من المؤمنين حوادث الدهر والدوائر وقيل تربصتم بالتوبة قاله ابن عباس والاول أولى (وارتبتم) أي شككتم في أمر الدين ولم تصدقوا ما أنزل الله من القرآن في التوحيد ولا بالمعجزات الظاهرة (وغرتكم الاماني) الباطلة التي من جملتها ما كنتم فيه من التربص وقيل هي طول الامل والطمع في امتداد الاعمار وقيل ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين وقال قتادة الاماني هنا غرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل هو طمعهم في المغفرة وكل هذه الاشياء تدخل في مسمى الاماني (حتى جاء أمر الله) وهو الموت قاله ابن عباس وقيل نصره

ساقاه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا غريب من هذا الوجه فقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا أي بينا ظاهرا والمراد به صلح الحديبية فانه حصل بسببه خير جزيل وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والايمان وقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب الاعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الاولين ولا من الآخرين وهو صلى الله عليه وسلم أكمل البشر على الاطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة ولما كان أطوع خلق الله تعالى لله وأشدهم تعظيما لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيأ يعظمون به حرمات الله الا أجبتهم اليها فلما أطاع الله في ذلك وأجاب الى الصلح قال الله تعالى له انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك أي في الدنيا والآخرة ويهديك صراطا مستقيما أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم وينصرك الله نصرا عزيزا أي بسبب خضوعك لامر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله عز وجل الا رفعه الله تعالى وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ما عاقبت أحدا عصى الله

تعالى فمن مثل ان نطبع الله تبارك وتعالى فيه (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما) يقول تعالى هو الذى أنزل السكينة أى جعل الطمأنينة (٢٣٢) قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعنه الرحمة وقال قتادة الوقار

فى قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضى الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم ايمانا مع ايمانهم وقد استدل بها البخارى وغيره من الائمة على تفاضل الايمان فى القلوب ثم ذكر تعالى انه لوشاء لانتصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى ولله جنود السموات والارض أى ولو أرسل عليهم ملكا واحدا لأباد خضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له فى ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة ولهذا قال جلت عظمته وكان الله عليما حكيما ثم قال عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها قد تقدم حديث أنس رضى الله عنه حين قالوا هنيأ لك يارسول الله هذا لك فمالنا فأنزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها اى ماكثين فيها أبدا ويكفر عنهم سيآتهم أى خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم ويشكر وكان ذلك عند الله فوزا عظيما كقوله جل وعلا فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز الآية وقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء أى يتهمون الله تعالى فى حكمه ويظنون بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ان يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم أى أبعدهم من رحمته وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ثم قال عز وجل مؤكدا لقدرته على الانتقام من الاعداء أعداء الاسلام من الكفرة

سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هو القاؤهم فى النار (وغركم بالله الغرور) بفتح الغين وهو صفة على فعول والمراد به الشيطان قاله ابن عباس أى خدعكم بحلم الله وامهاله الشيطان وقرئ بضمها وهو مصدر وقيل غركم بان الله عفو كريم لا يعذبكم وماذا عسى أن تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم وغفور رحيم فلا يزال بالانسان حتى يوقعه أو بانه لا بعث ولا حساب قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لا يؤخذ منكم) أيها المنافقون (فدية) تفدون بها أنفسكم من النار وقيل عوض وبدل وقيل ايمان وتوبة والاول أولى (ولا من الذين كفروا) بالله ظاهرا وباطنا وانما عطف الكافر على المنافق وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق بهذا الاعتبار فحسن عطفه على المنافق (مأواكم) أى منزلكم الذى تأوون اليه (النار هى مولاكم) أى هى أولى بكم والمولى فى الاصل من يتولى مصالح الانسان ثم استعمل فيمن يلازمه وقيل مولاكم مكانكم عن قرب من الولاء وهو القرب أو المعنى ذات ولايتكم وهذا على ان المولى مصدر قيل ان الله يركب فى النار الحياة والعقل فهى تميز غيظا على الكفار وقيل المعنى هى ناصركم على طريقة قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع * والمعنى لا ناصر لكم الا النار كما ان معنى البيت لا تحية لهم الا الضرب على التهكم والمراد نفى الناصر ونفى التحية (وبئس المصير) الذى تصيرون اليه النار (ألم يأن للذين آمنوا) يقال أنى لك يأنى اذا حان أى جاء اناه أى وقته قرأ الجمهور ألم يأن وقرئ ألما يأن (أن تخشع قلوبهم لذكر الله) أى ألم يحضر خشوع قلوبهم ولم يجئ وقته هذه الآية نزلت فى المؤمنين قال الحسن يستبطئهم وهم أحب خلقه اليه وقيل أن الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام دون محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج نزلت فى طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والخشوع فأما من وصفهم الله بالرقة والخشوع فطبقة فوق هؤلاء وقال السدى وغيره المعنى ألم يأن للذين آمنوا فى الظاهر وأسروا الكفر أن تخشع وتلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن قلوبهم لذكر الله وسيأتى ما يقوى قول من قال انها نزلت فى المسلمين والخشوع لين القلب ورقته والمعنى انه ينبغى ان يورثهم الذكر خشوعا ورقة ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه للذكر ولا يخشع له عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

استبطأ

والمنافقين ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما (انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك شاهدا أي على الخلق ومبشرا أي للمؤمنين ونذيرا أي للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الاحزاب لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد تعظموه وتوقروه من التوقير وهو الاحترام (٢٣٣) والاجلال والاعظام وتسبحوه أي تسبحون الله بكرة وأصيلا أي أول النهار وآخره ثم قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتعظيما وتكريما ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله كقوله جل وعلا من يطع الرسول فقد اطاع الله يد الله فوق أيديهم أي هو حاضر معهم يسمع اقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الفضل بن يحيى الانباري حدثنا علي بن بكار عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله وحدثنا ابي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله عز وجل يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ولهذا قال تعالى ههنا فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي انما يعود وبال ذلك على الناكث والله غني عنه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما أي ثوابا جزيلا وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية وكان

استبطأ الله قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن فانزل الله ألم يأن الآية أخرجه ابن مردويه وأخرج أيضا عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمرا وجهه فقال أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بانه قد غفر لكم ولقد أنزل علي في ضحككم آية ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قالوا يارسول الله فما كفارة ذلك قال تبكون بقدر ما ضحكتم وأخرج مسلم والنسائي وابن ماجه وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا و بين ان عاتبنا الله بهذه الآية ألم يأن الخ الا أربع سنين وعنه قال لما نزلت هذه الآية أقبل بعضنا على بعض أي شئ أحدثنا أي شئ صنعنا وعن ابن عباس قال ان الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن ألم يأن الآية وعن عبد العزيز بن أبي دواد ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت هذه الآية ألم يأن الخ (وما نزل من الحق) المراد به القرآن فيحمل الذكر المعطوف عليه على ماعداه مما فيه ذكر الله سبحانه باللسان أو خطور بالقلب وقيل المراد بالذكر هو القرآن فيكون هذا العطف من باب عطف التفسير أو باعتبار تغاير المفهومين قرأ الجمهور نزل مشددا مبنيا للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وقرئ مخففا مبنيا للفاعل وقرئ أنزل مبنيا للفاعل (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) قرأ الجمهور بالتحتية على الغيبة جريا على ما تقدم وقرئ على الخطاب التفاتا والمعنى النهي لهم ان يسلكوا سبيل اليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والانجيل من قبل نزول القرآن (فطال عليهم الامد) أي طال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم قرأ الجمهور الامد بتخفيف الدال وقرئ بتشديدها أي الزمن الطويل وقيل المراد به على الاولى الاجل والغاية يقال أمد فلان كذا أي غايته (فقست قلوبهم) بذلك السبب فلذلك حرفوا وبدلوا فنهى الله سبحانه أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يكونوا مثلهم وعن أبي بكر ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله لانهم تركوا العمل بما أنزل اليهم وحرفوا وبدلوا ولم يؤمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل هم الذين ابتدعوا الرهبانية وهم

الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قيل ألفا وثلثمائة وقيل وأربعمائة وقيل وخمسمائة الاوسط أصح * ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر رضي الله عنه قال وكنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وأخرجاه أيضا من حديث الاعمش عن سالم ابن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال كنا يومئذ ألفا وأربعمائة ووضع يده فى ذلك الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى رووا كلهم وهذا مختصر من سياق آخر حين (٢٣٤) ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاهم سهما من كنانته فوضعوه فى بئر الحديبية فجاشت بالماء حتى كفتهم فقيل لجابر رضي الله عنه كم كنتم يومئذ قال كنا ألفا وأربعمائة ولو كنا مائة ألف لكفانا وفى رواية فى الصحيحين عن جابر رضي الله عنه انهم كانوا خمس عشرة مائة وروى البخارى من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان قال خمس عشرة مائة قلت فان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله وهم هو حدثنى انهم كانوا خمس عشرة مائة قال البيهقى هذه الرواية تدل على انه كان فى القديم يقول خمس عشرة مائة ثم ذكر الوهم فقال أربع عشرة مائة وروى العوفى عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين والمشهور الذى رواه عنه غير واحد أربع عشرة مائة وهذا هو الذى رواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن العباس الدورى عن يحيى بن معين عن شبابة ابن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ألفا وأربعمائة وكذلك هو الذى فى رواية سلمة بن الاكوع ومعقل بن يسار والبراء بن عازب رضي الله عنهم وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازى والسير وقد أخرج صاحبا الصحيح من حديث شعبة عن (١) عروة بن مرة قال سمعت عبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنه يقول كان أصحاب الشجرة ألفا وأربعمائة وكانت أسلم يومئذ ثمن المهاجرين وروى محمد بن اسحق فى السيرة عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد

أصحاب الصوامع (اعلموا) خطاب للمؤمنين المذكورين وهم الصحابة الذين أكثروا المزاح فيكون فى الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب (أن الله يحيي الارض بعد موتها) وهذا تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة أو لاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة وهذا استعارة تمثيلية والمعنى من قدر على ذلك فهو قادر على ان يبعث الاجسام بعد موتها ويلين القلوب بعد قسوتها وانما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية بما قبلها (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) أى كى تعقلوا ما تضمنته من المواعظ وتعملوا بموجب ذلك أو لكى تكمل عقولكم (ان المصدقين والمصدقات) قرأ الجمهور بتشديد الصاد فى الموضعين من الصدقة والاصل المتصدقين والمتصدقات وقرئ على الاصل وقرئ بتخفيف الصاد فى الموضعين من التصديق أى صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به (وأقرضوا الله قرضا حسنا) معطوف على اسم الفاعل فى المصدقين والمصدقات لانه لما وقع صلة للالف واللام الموصولة حل محل الفعل فكأنه قال ان الذين تصدقوا وأقرضوا كذا قال أبو على الفارسى وغيره وقيل صلة لموصول محذوف أى والذين أقرضوا وقيل جملة معترضة بين اسم ان وخبرها والقرض الحسن عبارة عن التصدق والانفاق فى سبيل الله مع خلوص نية وصحة قصد واحتساب أجر (يضاعف لهم) قرأ الجمهور بفتح العين على البناء للمفعول والقائم مقام الفاعل اما الجار والمجرور أو ضمير يرجع الى المصدقين على حذف مضاف أى ثوابهم وقرئ يضاعفه بكسر العين وزيادة الهاء وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها والمضاعفة هنا ان الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف (ولهم أجر كريم) وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله) جميعا (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق قال المقاتلان هم الذين لم يشكوا فى الرسل حين أخبروهم ولم يكذبوهم وقال مجاهد هذه الآية للشهداء خاصة وهم الانبياء الذين يشهدون للامم وعليهم واختار هذا الفراء والزجاج وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وكذا قال ابن جرير وقيل هم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة لانبيائهم بالتبليغ والظاهر أن معنى الآية ان الذين آمنوا بالله ورسله جميعا بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الدرجة عند الله وقيل ان الصديقين هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا بالله وصدقوا جميع رسله

والقائمون

(١) قوله عن عروة بن مرة فى نسخة عمرو بن مرة وحرر اهـ

قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما بلغني عنه يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة كذا قال ابن اسحق وهو معدود من أوهامه فان المحفوظ في الصحيحين انهم كانوا بضع عشرة مائة كما سيأتي ان شاء الله تعالى بذكر سبب هذه البيعة العظيمة قال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه الى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني وقد عرفت (٢٣٥) قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان ابن عفان رضي الله عنه فبعثه الى ابي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وانه انما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل ان يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان رضي الله عنه قد قتل قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه ان عثمان قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول والله لكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قد صبا اليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل وذكر ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة عن ابن الزبير رضي الله عنهما

والقائمون لله سبحانه بالتوحيد أخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مؤمنو أمتي شهداء ثم تلا هذه الآية وقال ابن مسعود كل مؤمن صديق وشهيد وعنه قال ان الرجل ليموت على فراشه وهو شهيد ثم تلا هذه الآية وعن أبي هريرة نحوه وقال ابن عباس في الآية هذه مفصولة والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وأخرج ابن حبان عن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ان شهدت أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فمن أنا قال من الصديقين والشهداء ثم بين سبحانه ما لهم من الخير بسبب ما اتصفوا به من الايمان بالله ورسله فقال (لهم أجرهم ونورهم) الضمير الاول راجع الى الموصول والضميران الآخران راجعان الى الصديقين والشهداء أي لهم مثل أجرهم ونورهم وأما على قول من قال ان الذين آمنوا بالله ورسله هم نفس الصديقين والشهداء فالضمائر الثلاثة كلها راجعة الى شيء واحد والمعنى انهم الاجر والنور الموعودان لهم ثم لما ذكر حال المؤمنين وثوابهم ذكر حال الكافرين وعقابهم فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي جمعوا بين الكفر والتكذيب (أولئك أصحاب الجحيم) يعذبون بها ولا أجر لهم ولا نور بل عذاب مقيم وظلمة دائمة ولما ذكر سبحانه حال الفريق الثاني وما وقع منهم من الكفر والتكذيب وذلك بسبب ميلهم الى الدنيا وتأثيرها بين لهم حقارتها وأنها أحقر من ان تؤثر على الدار الآخرة فقال (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان واللعب هو الباطل واللهو كل شيء يتلهى به ثم يذهب قال قتادة لعب ولهو أكل وشرب قال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الآخرة وشغل عنها وقيل اللعب الاقتناء واللهو النساء وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الانعام (وزينة) كزينة النسوان والزينة التزين بمتاع الدنيا من اللباس والحلي ونحوهما من دون عمل للآخرة (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران قرأ الجمهور بتنوين تفاخر وقرئ بالاضافة أي يفتخر به بعضكم على بعض وقيل يتفاخرون بالخلقة والقوة وقيل بالأنساب والاحساب كما كانت عليه العرب (وتكاثر) كتكاثر الدهقان والتكاثر ادعاء الاستكثار (في الاموال والاولاد) أي يتكاثرون بأموالهم وأولادهم ويتطاولون بذلك على الفقراء والمعنى ان التشاغل وشغل البال بالحياة

قريبا من هذا السياق وزاد في سياقه ان قريشا بعثوا وعندهم عثمان رضي الله عنه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز ابن حفص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم عندهم اذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلاهما وارتهن كل من الفريقين من عنده من الرسل ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوا فسار المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه (٢٣٦) على ان لا يفروا أبدا فارعب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ودعوا الى الموادعة والصلح وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا تمام حدثنا الحسن بن بشير حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه خيرا من أيديهم لانفسهم قال ابن هشام وحدثني من أثق به عمن حدثه باسناده عن ابن ابي مليكة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بايع صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه فضرب باحدى يديه على الاخرى وقال عبد الملك بن هشام النحوي فذكر وكيع عن اسمعيل ابن أبي خالد عن الشعبي قال ان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الاسدي وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا ابن أبي خالد عن الشعبي قال لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة كان أول من انتهى اليه أبو سنان الاسدي فقال ابسط يدك أبايعك فقال النبي صلى الله عليه وسلم علام تبايعني فقال أبو سنان رضي الله عنه على ما في نفسك هذا أبو سنان بن وهب الاسدي رضي الله عنه وقال البخاري حدثنا شجاع بن الوليد أنه سمع النضر بن محمد يقول حدثنا صخر بن الربيع عن نافع رضي الله عنه قال ان الناس يتحدثون ان ابن عمر رضي الله عنهما أسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر رضي الله عنه

الدنيا دائر بين هذه الامور الخمسة اجتمعت أولا قال القشيري وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة وقال علي كرم الله وجهه لعمار بن ياسر لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة وأكثر شرابها الماء وهو يستوي فيه جميع الحيوان وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال وأما المنكوح فهو النساء وهن مبال في مبال ثم بين سبحانه لهذه الحياة شبها وضرب لها مثلا فقال (كمثل غيث) أي مطر (أعجب الكفار) أي الزراع لانهم يكفرون البذر أي يغطونه بالتراب كما يستر الكافر حقيقة أنوار الايمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان (نباته) الحاصل به (ثم يهيج) أي يجف بعد نضارته وخضرته قاله أبو السعود وقيل ييبس وفيه تسامح فان حقيقته ان يتحرك الى أقصى ما يتأتى له فالمعنى يطول جدا (فتراه مصفرا) أي متغيرا عما كان عليه من الخضرة والرونق الى لون الصفرة والذبول وقرئ مصفارا (ثم يكون حطاما) أي متفتتا هشيما متكسرا متحطما بعد يبسه شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوي وأعجب به الناظرون السه لخضرته وكثرة نضارته ثم لا يلبث ان يصير هشيما تبنا كأن لم يكن وقيل المعنى ان الحياة الدنيا كزرع أنبته الغيث وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقد تقدم تفسير هذا المثل في سورة يونس والكهف ثم لما ذكر سبحانه حقارة الدنيا وسرعة زوالها ذكر ما أعده للعصاة في الدار الآخرة وما أعده لاهل الطاعة فقال (وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان) أخبر بان في الآخرة عذابا شديدا ومغفرة منه ورضوانا وهذا معنى حسن وهو أنه قابل العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين والتنكير فيهما للتعظيم قال قتادة عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه وأهل طاعته قال الفراء التقدير في الآية اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد ثم ذكر سبحانه بعد الترهيب والترغيب حقارة الدنيا فقال (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)

يوم الحديبية أرسل عبد الله الى فرس له عند رجل من الانصار ان يأتى به ليقاتل عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة وعمر رضى الله عنه لا يدرى بذلك فبايعه عبد الله رضى الله عنه ثم ذهب الى الفرس فجاء به الى عمر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه يستلئم للقتال فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع تحت الشجرة فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى يتحدث الناس ان ابن عمر أسلم قبل عمر رضى الله عنهما ثم قال البخارى وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمرو بن محمد العمرى أخبرنى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما (٢٣٧) قال ان الناس كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر رضى الله عنه يا عبد الله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر رضى الله عنه فخرج فبايع وقد أسنده البيهقى عن أبى عمرو الاديب عن أبى بكر الاسماعيلى عن الحسن بن سفيان عن دحيم حدثنى الوليد بن مسلم فذكره وقال الليث عن ابى الزبير عن جابر رضى الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر رضى الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة وقال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت رواه مسلم عن قتيبة عنه وروى مسلم عن يحيى بن يحيى عن يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم ابن عبد الله الاعرج عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقال البخارى حدثنا المكى بن ابراهيم عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال يزيد قلت يا أبا مسلم على أى شئ كنتم تبايعون يومئذ قال على الموت وقال البخارى أيضا حدثنا أبو عاصم حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة رضى الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ثم تنحيت فقال صلى الله عليه وسلم يا سلمة ألا تبايع قلت قد بايعت قال صلى الله عليه وسلم أقبل فبايع فدنوت فبايعته قلت علام بايعته يا سلمة قال على الموت وأخرجه مسلم من وجه آخر عن يزيد بن أبى عبيد وكذا روى البخارى عن عباد بن تميم

الغرور) لمن اغتر بها وركن اليها واعتمد عليها وعمل لها ولم يعمل للآخرة أى هى فى نفسها غرور لا حقيقة له وهذا يقتضى ان الاضافة بيانية والمعنى وما التمتع بالدنيا الا متاع اى تمتع هو الغرور أى الاغترار قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ الى ما هو خير منه وهذه الجملة مقررة للمثل المتقدم ومؤكدة له قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل فى غيرها ثم ندب عباده الى المسابقة الى ما يوجب المغفرة من التوبة والعمل الصالح فان ذلك سبب الى الجنة فقال (سابقوا الى مغفرة من ربكم) أى سارعوا مسارعة السابقين بالاعمال الصالحة التى توجب لكم المغفرة من ربكم وتوبوا مما وقع منكم من المعاصى وقيل المراد بالآية التكبيرة الاولى مع الامام قاله مكحول وقيل المراد الصف الاول ولا وجه لتخصيص ما فى الآية بمثل هذا بل هو من جملة ما تصدق عليه صدقا شموليا أو بدليا وحاصل المعنى لتسكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ما أنتم عليه من أمور الدنيا بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أى كعرضهما واذا كان هذا قدر عرضها فما ظنك بطولها قال الحسن يعنى جميع السموات السبع والارضين السبع مبسوطات كل واحدة الى صاحبتها وقيل المراد بالجنة التى عرضها هذا العرض هى جنة كل واحد من أهل الجنة وقال ابن كيسان عنى به جنة واحدة من الجنات والعرض أقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشئ بعرضه دون طوله وقيل المراد بالعرض السعة لا ضد الطول كما فى قوله تعالى فذو دعاء عريض وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وافكارهم والاول أولى وقد مضى تفسير هذا فى سورة آل عمران ثم وصف سبحانه تلك الجنة بصفة أخرى فقال (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) هذه الجملة مستأنفة وفى هذا دليل على انها مخلوقة وعلى ان استحقاق الجنة يكون بمجرد الايمان بالله ورسله ولكن هذا مقيد بالادلة الدالة على انه لا يستحقها الا من عمل بما فرض الله عليه واجتنب ما نهاه الله عنه وهى أدلة كثيرة فى الكتاب والسنة (ذلك) أى ما وعد به سبحانه من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه) أى يعطيه (من يشاء) اعطاءه اياه تفضلا واحسانا وفيه دليل على انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله لا بعمله (والله ذو الفضل العظيم) فهو يتفضل على من

انهم بايعوه على الموت وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو الفضل بن ابراهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي عن اياس بن سلمة عن ابى سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها يعني الركى فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى البيعة فى أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع (٢٣٨) وبايع حتى اذا كان فى وسط الناس قال صلى الله عليه وسلم بايعنى

يا سلمة قال قلت يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس قال صلى الله عليه وسلم وأيضا قال ورآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلا فأعطانى حجفة أو درقة ثم بايع حتى اذا كان فى آخر الناس قال صلى الله عليه وسلم ألا تبايع يا سلمة قال قلت يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس وأوسطهم قال صلى الله عليه وسلم وأيضا فبايعته الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التى أعطيتك قال قلت يا رسول الله لقينى عامر عزلا فاعطيتها اياه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال انك كالذى قال الاول اللهم ابغنى حبيبا هو أحب الى من نفسى قال ثم ان المشركين من أهل مكة راسلونا فى الصلح حتى مشى بعضنا فى بعض فاصطلحنا قال وكنت خادما لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أسقى فرسه وأحسه وآكل من طعامه وتركت أهلى ومالى مهاجرا الى الله ورسوله فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا فى بعض أتيت شجرة فكسحت شوكها ثم اضطجعت فى أصلها فى ظلها فأتانى أربعة من مشركى أهل مكة فجعلوا يقعون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبغضتهم وتحولت الى شجرة أخرى فعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك اذ نادى منادى من أسفل الوادى يا آل المهاجرين قتل دهيم فاخترطت سيفى فشددت على أولئك الاربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثا فى يدى ثم قلت والذى كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يرفع أحد منكم رأسه الا ضربت الذى فيه عيناه قال ثم جئت بهم أسوقهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجاء عمى عامر برجل من العبلات يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشاء بما يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع والخير كله بيده وهو الكريم المطلق والجواد الذى لا يبخل فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ثم بين سبحانه ان ما يصاب به العباد من المصائب قد سبق بذلك قضاؤه وقدره وثبت فى أم الكتاب فقال (ما أصاب من مصيبة فى الارض) من زلزلة وقحط مطر وجدب وضعف نبات وقلته ونقص ثمار وعاهة زرع والمصيبة غلبت فى الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث من خير وشر وعلى الاول انما خصت بالذكر دون الخير لانها أهم على البشر (ولا فى أنفسكم) قال قتادة بالاوصاب والاسقام وقال مقاتل اقامة الحدود وقال ابن جريج ضيق المعاش وقيل موت الاولاد واللفظ أوسع من ذلك (الا فى كتاب) أى الا حال كونها مكتوبة فى كتاب وهو اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى نخلقها والضمير عائد الى المصيبة أو الى الانفس أو الى الارض أو الى جميع ذلك قاله المهدوى وهو حسن قال ابن عباس فى الآية هو شئ قد فرغ منه قبل ان تبرأ الانفس (ان ذلك) أى ان اثباتها فى الكتاب على كثرتها (على الله يسير) غير عسير (لكيلا تأسوا) أى أخبرناكم بأنا قد فرغنا من التقدير لكيلا تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) أى لا تبطروا بطر المختال الفخور (بما آتاكم) منها أى أعطاكم قرأ الجمهور بالمد وقرئ بالقصر أى جاءكم فان ذلك يزول عن قريب لا يستحق أن يفرح بحصوله ولا يحزن على فوته قيل والفرح والحزن المنهى عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز والا فليس من أحد الا وهو يحزن ويفرح ولكن ينبغى ان يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يلزم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر كما قال ابن عباس ليس أحد الا وهو يحزن ويفرح ولكن من أصابته مصيبة جعلها صبرا ومن أصابه خير جعله شكرا وعنه قال يريد مصائب المعاش ولا يريد مصائب الدين أمرهم أن يأسوا على السيئة ويفرحوا بالحسنة قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت (والله لا يحب كل مختال فخور) أى لا يحب من اتصف بهاتين الصفتين وهما الاختيال والافتخار قيل هو ذم للفرح الذى يختال فيه

صاحبه ويبطر وقيل ان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه والفخور الذي ينظر الى الناس بعين الاستحقار والاولى تفسير هاتين الصفتين بمعناهما الشرعي ثم اللغوي فمن حصلتا فيه فهو الذي لا يحبه الله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قرأ الجمهور بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتحتين وهي لغة الانصار وقرئ بفتح الباء واسكان الخاء وضمهما كلها لغات وهو كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله والخبر مقدر أي الذين يبخلون بما يجب عليهم من المال كزكاة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره واذاعة أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالله غني عنهم وقيل الموصول في محل جر بدل من مختال وهو بعيد فان هذا البخل بما في اليد وأمر الناس بالبخل ليس هو معنى المختال الفخور لا لغة ولا شرعا وقيل نعت له وهو أيضا بعيد ويدل على الاول قوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) أي ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه محمود عند خلقه لا يضره ذلك قرأ الجمهور باثبات ضمير الفصل وقرئ بحذفه قال سعيد بن جبير الذين يبخلون بالعلم ويأمرون الناس بالبخل لئلا يعلموا الناس شيأ وقال زيد بن أسلم انه البخل بأداء حق الله وقيل انه البخل بالصدقة وقال طاوس انه البخل بما في يديه وقيل اراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب مآكلهم قاله السدي والكلبي (لقد) لام قسم (أرسلنا رسلنا) أي الملائكة قاله الزمخشري والمحلي وفيه بعد وجمهور المفسرين على حمل الرسل على البشر (بالبينات) أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة (وأنزلنا معهم الكتاب) المراد الجنس فيدخل فيه كتاب كل رسول (والميزان ليقوم الناس بالقسط) قال قتادة ومقاتل بن حيان الميزان العدل والمعنى أمرناهم بالعدل كما في قوله والسماء رفعها ووضع الميزان وقوله الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وقال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل به والمعنى ليتبعوا ما أمروا به من العدل فيتعاملوا فيما بينهم بالنصفة والقسط العدل وهو يدل على ان المراد بالميزان العدل ومعنى انزاله انزال أسبابه وموجباته وعلى القول بان المراد به الآلة التي يوزن بها فيكون انزاله بمعنى ارشاد الناس اليه والهامهم الوزن به ويكون الكلام من باب علفتها تبنا وماء باردا * (وأنزلنا الحديد) أي خلقناه كما في قوله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهذا قول الحسن والمعنى انه

في سبعين من المشركين فنظر اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية وهكذا رواه مسلم عن اسحق بن ابراهيم بن راهويه بسنده نحوه أو قريبا منه وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد ابن المسيب قال كان أبي ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فانطلقنا من قابل حاجين فخفي علينا مكانها فان كان بينت لكم فأنتم أعلم وقال أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان (٢٣٩) حدثنا أبو الزبير حدثنا جابر رضي الله عنه قال لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وجدنا رجلا منا يقال له الجد بن قيس مختبئا تحت ابط بعيره رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به وقال الحميدي ايضا حدثنا سفيان عن عمرو انه سمع جابرا رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا واربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض اليوم قال جابر رضي الله عنه لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة قال سفيان انهم اختلفوا في موضعها اخرجاه من حديث سفيان وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن هرون الفلاس المخرمي حدثنا سعيد بن عمرو الاشعثي حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خداش بن عياش عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة الا صاحب الجمل الاحمر قال فانطلقنا نبتدره فاذا رجل قد أضل بعيره فقلنا تعال فبايع قال أصيب بعيري أحب الي من ان أبايع وقال عبد الله بن أحمد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يصعد الثنية ثنية المرار فانه يحط عنه ما حط عن بني اسرائيل فكان أول من صعد خيل من الخزرج ثم بادر الناس بعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر فقلنا تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجد ضالتي أحب الي من ان يستغفر لي صاحبكم فاذا هو

زجل ينشد ضالة ترواه مسلم عن عبيد الله به وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابرا رضي الله عنه يقول أخبرتني أم مبشر انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها لايدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد قالت بلى يارسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا رواه مسلم وفيه أيضا عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال ان عبدا لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبا فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت لايدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما كما قال عز وجل في الآية الاخرى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا (سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى مخبرا رسوله صلى الله عليه وسلم بما يعتذر به المخلفون من الاعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى ألا الله عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا ان يستغفر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة ولهذا قال تعالى يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا اى لايقدر أحد أن يرد ما اراده الله فيكم تعالى وتقدس وهو العليم بسرائركم وضمائركم وان صانعتمونا ونافقتمونا ولهذا قال تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم قال تعالى بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم ابدا اى لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص بل تخلف نفاق بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا اى اعتقدتم انهم

خلقه وأخرجه من المعادن وعلم الناس صنعته وقيل انه نزل مع آدم (فيه بأس شديد) لانه تتخذ منه آلات الحرب قال الزجاج يمتنع به ويحارب والمعنى انه تتخذ منه آلة للدفع وآلة للضرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح وقوة وشدة (ومنافع للناس) اى انهم ينتفعون به في كثير مما يحتاجون اليه مثل السكين والفأس والابرة وآلات الزراعة والتجارة والعمارة قال البيضاوي مامن صنعة الا والحديد آلتها أي له دخل في آلتها وهذا الحصر كلي كما هو مشاهد (وليعلم الله من ينصره ورسله) معطوف على قوله ليقوم أي لقد أرسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله علم مشاهدة أو معطوف على علة مقدرة كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله والاول أولى والمعنى ان الله أمر في الكتاب الذي أنزل بنصرة دينه ورسله فمن نصر دينه ورسله علمه ناصرا ومن عصى علمه بخلاف ذلك ومعنى (بالغيب) غائبا عنهم أو غائبين عنه (ان الله قوي عزيز) أي قادر على كل شيء غالب لكل شيء وليس له حاجة في ان ينصره أحد من عباده وينصر رسله بل كلفهم بذلك لينتفعوا به اذا امتثلوا ويحصل لهم ما وعد به عباده المطيعين قال ابو نصر العتبي وقد كان يختلج في صدري معنى هذه الآية لجمعها بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها في المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط وسألت عدة من أعيان العلماء المذكورين بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير فلم أحصل منهم على جواب حتى أعملت التفكر وأمعنت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرائض فيتضمن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود قد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وأمر بالتناصف والتعادل في أقسام الارزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الارض ليكون ما يصل منها الى أهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغالب والتوثب واحتاجوا في استدامة حياتهم باقواتهم مع الصفة المندوب اليها الى استعمال آلة للعدل يقع بها التعامل ويعم معها التساوي والتعادل فألهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيهلكوا اذ لم يكن ينتظم لهم العيش مع سوغ ظلم البعض منهم على البعض ويدل على هذا المعنى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان

يقتلون وتستأصل شأفتهم وتستباد خضراؤهم ولا يرجع منهم مخبر وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا أي هلكى قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال قتادة فاسدين وقيل هي لغة عمان ثم قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله أي من لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله فان الله تعالى سيعذبه في السعير وان أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الامر ثم بين تعالى انه الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما أي لمن تاب اليه وأناب وخضع لديه (سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى

مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون

ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء علة للارزاق والاقوات من أنواع الحبوب والنبات فكان ما يخرج منها من أغذية العباد ومرافق حياتهم مضطرا الى ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك الا بهذه الآلة المذكورة فنبه الله تعالى على موقع الفائدة والعائدة بها بتكرير ذكره فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالسوية انما يحفظ على اتباعهما ويضطر العالم الى التزام احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند ونزع من صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله تعالى بالبأس الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي والمقاطع فظهر بهذا التأويل معنى الآية وبان ان السلطان خليفة الله على خلقه وأمينه على رعاية حقه بما قلده من سيفه ومكن له في أرضه انتهى المقصود منه ولما ذكر ارسال الرسل اجمالا أشار هنا الى نوع تفصيل فذكر رسالته لنوح وابراهيم فقال (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) كرر القسم للتوكيد ولاظهار مزيد الاعتناء بالامر ونوح هو الاب الثاني لجميع البشر وابراهيم أبو العرب والروم وبني اسرائيل (وجعلنا في ذريتهما) أي نوح وابراهيم (النبوة والكتاب) أي الكتب الاربعة المنزلة على الانبياء منهم وقيل جعل بعضهم أنبياء وبعضهم يتلون الكتاب وقيل الكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابة وكتابا (فمنهم مهتد) أي فمن الذرية من اهتدى بهدي نوح وابراهيم وقيل المعنى فمن المرسل اليهم من قوم الانبياء مهتد بما جاء به الانبياء من الهدى والاول أولى لتقدم ذكرهم لفظا وأما الثاني فلدلالة أرسلنا والمرسلين عليه (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الطاعة وقيل المراد بالفاسق هنا الذي ارتكب الكبيرة سواء كان كافرا أو لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره وقيل المراد به هنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين (ثم قفينا على آثارهم) أي أتبعنا على آثار الذرية أو على آثار نوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل (برسلنا) الذين أرسلناهم الى الامم كموسى والياس وداود وسليمان وغيرهم (وقفينا بعيسى بن مريم) أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى بن

ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يقول تعالى مخبرا عن الاعراب الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية اذ ذهب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم الى خيبر يفتحونها انهم يسألون ان يخرجوا معهم الى المغنم وقد تخلفوا عن وقت محاربة الاعداء ومجادلتهم ومصابرتهم فامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يأذن لهم في ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم فان الله تعالى وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الاعراب المتخلفين فلا يقع غير ذلك شرعا وقدرا ولهذا قال تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله قال مجاهد وقتادة وجويبر هو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية واختاره ابن جرير وقال ابن زيد هو قوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود

أول مرة فاقعدوا مع الخالفين وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر لان هذه الآية التي في براءة نزلت في غزوة تبوك وهي متأخرة عن غزوة الحديبية وقال ابن جريج يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل أي وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم فسيقولون بل تحسدوننا أي ان نشرككم في المغانم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا أي ليس الامر كما زعموا ولكن لا فهم لهم (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً) اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون اليهم الذين هم أولوا بأس شديد على أقوال أحدها انهم هوازن رواه شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعاً ورواه هشيم عن أبي بشر عنهما وبه يقول قتادة في رواية عنه الثاني ثقيف قاله الضحاك الثالث بنو حنيفة قاله جويبر ورواه محمد بن اسحق عن الزهري وروى مثله عن سعيد وعكرمة الرابع هم أهل فارس رواه علي بن أبي (٢٤٢) طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه يقول عطاء ومجاهد وعكرمة في احدى الروايات عنه وقال كعب الاحبار هم الروم وعن ابن أبي ليلى وعطاء والحسن وقتادة هم فارس والروم وعن مجاهد هم أهل الاوثان وعنه أيضا هم رجال أولوا بأس شديد ولم يعين فرقة وبه يقول ابن جريج وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الاشج حدثنا عبد الرحمن بن الحسن القواريري عن معمر عن الزهري في قوله تعالى ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال لم يأت أولئك بعد وحدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن ابن أبي خالد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال هم البارزون قال وحدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الاعين ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة قال سفيان هم الترك قال ابن أبي عمر وجدت في مكان آخر حدثنا ابن أبي خالد عن أبيه قال نزل علينا أبو هريرة رضي الله عنه ففسر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتلون قوما نعالهم الشعر قال هم البارزون يعني الأكراد وقوله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولكم النصرة عليهم أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار ثم قال عز وجل فان تطيعوا أي تستجيبوا وتنفروا في الجهاد وتؤدوا الذي عليكم فيه يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعني زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم يعذبكم عذابا أليما ثم ذكر تعالى الاعذار في ترك الجهاد فمنها اللازم كالعمى والعرج المستمر وعارض كالمرض الذي يطرأ أياما ثم يزول فهو في

مريم وهو من ذرية ابراهيم من جهة أمه (وآتيناه الانجيل) وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه وقد تقدم ذكر اشتقاقه في سورة آل عمران قرأ الجمهور الانجيل بكسر الهمزة وقرئ بفتحها (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) على دينه وهم الحواريون وأتباعهم (رأفة) أي مودة فكان يود بعضهم بعضا (ورحمة) يتراحمون بها وقيل هذا اشارة الى أنهم أمروا في الانجيل بالصلح وترك ايذاء الناس فألان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه وأصل الرأفة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرأفة أشد الرحمة (ورهبانية ابتدعوها) أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها فالنصب على الاشتغال وليس بمعطوفة على ماقبلها وقيل معطوفة على ماقبلها أي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عند أنفسهم والاول أولى ورجحه أبو علي الفارسي والزمخشري وأبو البقاء وجماعة الا ان هؤلاء يقولون انه اعراب المعتزلة وذلك أنهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرأفة والرحمة لما كانتا من فعل الله نسب خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه والرهبانية بفتح الراء وضمها وقد قرئ بهما وهي بالفتح الخوف من الرهب وبالضم منسوبة الى الرهبان وذلك لانهم غلوا في العبادة وحملوا على أنفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح والملبس وتعلقوا بالكهوف والصوامع والغيران والديرة لان ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي منهم نفر قليل فترهبوا وتبتلوا ذكر معناه الضحاك وقتادة وغيرهما وانما خصت بذكر الابتداع لان الرأفة والرحمة في القلب أمر غريزي لا تكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من أفعال البدن وللانسان فيها تكسب (ما كتبناها عليهم) صفة ثانية لرهبانية أو مستأنفة مقررة لكونها مبتدعة من جهة أنفسهم والمعنى ما فرضناها عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) الاستثناء منقطع أي ما كتبناها نحن عليهم رأسا ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله والى هذا ذهب قتادة وجماعة وقيل متصل أي ما كتبناها عليهم لشيء من الاشياء الا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى وهذا قول مجاهد وقال الزجاج معناه لم نكتب عليهم شيأ البتة قال ويكون الا ابتغاء رضوان الله بدلا من الهاء والالف في كتبناها والمعنى ما كتبنا عليهم الا ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) أي لم يرعوا هذه الرهبانية التي ابتدعوها من جهة أنفسهم وما قاموا بها حق

القيام

خال مرضه ملحق بذوي الاعذار اللازمة حتى يبرأ ثم قال تبارك وتعالى مرغبا في الجهاد وطاعة الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول أي ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش يعذبه عذابا أليما في الدنيا بالمذلة وفي الآخرة بالنار والله تعالى أعلم (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما) يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقد تقدم ذكر عدتهم وانهم كانوا ألفا واربعمائة (٢٤٣) وان الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية قال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن طارق ان عبد الرحمن رضي الله عنه قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثني ابي انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها فقال سعيد ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة فأنزل الله السكينة وهي الطمأنينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والاقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا موسى يعني ابن عبيدة حدثني اياس بن سلمة عن أبيه قال بينما نحن قائلون اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس قال فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فذلك قول الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فبايع صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه باحدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيئا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله صلى

القيام بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى وضموا اليها التثليث ودخلوا في دين الملوك الذين غيروا وبدلوا وتركوا الترهب ولم يبق على دين عيسى الا قليل منهم وهم المرادون بقوله (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) الذي يستحقونه بالايمان وذلك لانهم آمنوا بعيسى وثبتوا على دينه حتى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الايمان بما أمروا أن يؤمنوا به ووجه الذم لهم على تقدير أن الاستثناء منقطع انهم قد كانوا ألزموا أنفسهم الرهبانية معتقدين انها طاعة وان الله يرضاها فكان تركها وعدم رعايتها حق الرعاية يدل على عدم مبالاتهم بما يعتقدونه دينا وأما على القول بان الاستثناء متصل وان التقدير ما كتبناها عليهم لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله بعد أن وفقناهم لابتداعها فوجه الذم ظاهر وعن ابن مسعود في الآية قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله قلت لبيك يا رسول الله ثلاث مرات قال هل تدري أي عرى الاسلام أوثق قلت الله ورسوله أعلم قال أفضل الناس أفضلهم عملا اذا فقهوا في دينهم يا عبد الله هل تدري أي الناس اعلم قلت الله ورسوله أعلم قال فان أعلم الناس أبصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا بالعمل وان كان يزحف على استه واختلف من كان قبلنا على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرها فرقة وازرت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى بن مريم وفرقة لم تكن لهم طاقة على موازرة الملوك فأقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم الى دين الله ودين عيسى فقتلهم الملوك ونشرتهم بالمناشير وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازرة الملوك ولا بالمقام معهم فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله ورهبانية ابتدعوها الى قوله فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم الذين آمنوا بي وصدقوني وكثير منهم فاسقون هم الذين جحدوني وكفروا بي أخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وغيرهم وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى بدلت التوراة والانجيل فكان منهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد شيأ أشد من شتم يشتمناه هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون مع ما يعيبونا به من أعمالنا في قراءتهم فادعوهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا

الله عليه وسلم لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) قال مجاهد فى قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها هى جميع المغانم الى اليوم فجعل لكم هذه يعنى فتح خيبر وروى العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فعجل لكم هذه يعنى صلح الحديبية وكف أيدى الناس عنكم أى لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال وكذلك كف أيدى الناس الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريمكم ولتكون آية للمؤمنين أى يعتبرون بذلك فان الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الاعداء مع قلة عددهم وليعلموا بصنيع الله هذا بهم انه العالم بعواقب الامور وأن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين وان كرهوه فى الظاهر كما قال عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ويهديكم صراطا مستقيما أى بسبب انقيادكم لامره واتباعكم طاعته وموافقتكم رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا أى وغنيمة أخرى وفتحا آخر معينا لم تكونوا تقدرون عليها قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم فانه تعالى يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون

وقد اختلف المفسرون فى هذه الغنيمة ما المراد بها فقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما هى خيبر وهذا وعلها على قوله فى قوله عز وجل فعجل لكم هذه انها صلح الحديبية وقال الضحاك وابن اسحق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال قتادة هى مكة واختاره ابن جبير وقال ابن أبى ليلى والحسن البصرى هى فارس والروم وقال مجاهد هى كل فتح وغنيمة الى يوم القيامة وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن سماك الحنفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها قال هذه الفتوح التى تفتح الى اليوم وقوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يقول عز وجل مبشرا

فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو ليتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منهما فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونأكل مما تأكل الوحوش ونشرب مما تشرب فان قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله رهبانية ابتدعوها الآية وقال الآخرون ممن تعبد من أهل الشرك وفنى من فنى منهم قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط صاحب الصومعة من صومعته وجاء السياح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الآية أخرجه النسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم وعن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله أخرجه أحمد وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب ثم أمر الله سبحانه المؤمنين بالرسل المتقدمين بالتقوى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك ما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين من رحمته) أى نصيبين ضخمين بسبب ايمانكم برسوله بعد ايمانكم بمن قبله من الرسل قال ابن عباس أى أجرين بايمانهم بعيسى عليه السلام ونصب انفسهم والتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره صلى الله عليه وسلم وأصل الكفل الحظ والنصيب وقد تقدم الكلام على تفسيره فى سورة النساء قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه كفلين ضعفين وهى بلسان الحبشة وقال ابن عمر الكفل ثلثمائة جزء وخمسون جزأ من رحمة الله وعن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذى أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها

لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولانهزم جيش الكفر فارا مدبرا لا يجدون وليا ولا نصيرا لانهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين ثم قال تبارك وتعالى سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ما تقابل الكفر والايمان في موطن فيصل الا نصر الله الايمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على اعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم وقوله سبحانه وتعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة (٢٤٥) من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل اليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة وقد تقدم في حديث سلمة بن الاكوع رضي الله عنه حين جاؤا باولئك السبعين الاسارى فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليهم فقال أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا قال عفان فعفا عنهم ونزلت هذه الآية وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من طرق عن حماد بن سلمة به وقال أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل المدني رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل بن عمرو بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فأخذ سهيل بيده وقال ما نعرف الرحمن الرحيم اكتب في قضيتنا

وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران أخرجه الشيخان (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني على الصراط كما قال نورهم يسعى بين أيديهم وقيل النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به (ويغفر لكم ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم) أي بليغ المغفرة والرحمة (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي التوراة واللام متعلقة بما تقدم من الامر بالايمان والتقوى أي اتقوا وآمنوا يؤتكم كذا وكذا ليعلم الذين لم يتقوا ولا آمنوا من أهل الكتاب ولا في لئلا زائدة قاله الفراء والاخفش وغيرهما (الا يقدرون على شيء) أي ليعلم أهل الكتاب انهم لا يقدرون على ان ينالوا شيأ (من فضل الله) الذي تفضل به على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يقدرون على دفع ذلك الفضل الذي تفضل الله به على المستحقين له ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به وقيل الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم ولا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما أوتوه والاول أولى (و) جملة (ان الفضل بيد الله) معطوفة على الجملة التي قبلها أي ليعلموا انهم لا يقدرون وليعلموا ان الفضل الخ (يؤتيه من يشاء) من عباده والظاهر أنه مستأنف وقيل هو خبر ثان عن الفضل (والله ذو الفضل العظيم) جملة مقررة لمضمون ما قبلها والمراد بالفضل هنا ما تفضل به على الذين اتقوا وآمنوا برسوله من الاجر المضاعف وقال الكلبي هو رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى وقيل هو الاسلام

(سورة المجادلة ثنتان وعشرون آية وهي مدنية)

قال القرطبي في قول الجميع الا رواية عن عطاء ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزلت جميعها بالمدينة غير قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله والمجادلة بكسر الدال كما ذكره السعد في حواشي الكشاف وفي الشهاب بفتح الدال وكسرها والثاني هو المعروف كما في الكشف وهذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور فهي الثامنة والخمسون منها وهي أول العشر الاخير من القرآن باعتبار عدد أجزائه وليس فيها

مانعرف فقال اكتب باسمك اللهم وكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة فامسك سهيل بن عمرو بيده وقال لقد ظلمناك ان كنت رسوله اكتب فى قضيتنا ما نعرف فقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله تعالى بأسماعهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم فى عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أمانا فقالوا لا فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة (٢٤٦) من بعد أن أظفركم عليهم الآية رواه النسائى من حديث حسين بن واقد به وقال ابن جرير حدثنا ابن أحمد حدثنا يعقوب العمى حدثنا جعفر عن ابن أبزى قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم بالهدى وانتهى الى ذى الحليفة قال له عمر رضى الله عنه يا نبى الله ندخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع قال فبعث صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا الا حمله فلما دنا من مكة منعوه ان يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينه ان عكرمة بن أبى جهل قد خرج عليك فى خمسمائة فقال لخالد بن الوليد رضى الله عنه يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك فى الخيل فقال خالد رضى الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمى سيف الله فقال يا رسول الله ابعثنى اين شئت فبعثه على خيل فلقى عكرمة فى الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد فى الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد فى الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة الى قوله تعالى عذابا أليما قال فكف الله عزوجل النبى صلى الله عليه وسلم عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبقوا فيها كراهية ان تطأهم الخيل ورواه ابن أبى حاتم عن ابن أبزى بنحوه وهذا السياق فيه نظر فانه لا يجوز أن يكون عام الحديبية لان خالدا رضى الله عنه لم يكن أسلم بل قد كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت فى الصحيح ولا يجوز أن يكون فى عمرة القضاء لانهم

آية الا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) أى تراجعك الكلام فى شأنه أى أجاب قولها ومطلوبها بان أنزل حكم الظهار على ما يوافق مطلوبها وعلى هذا فقد للتحقيق ومن قال انها للتقريب والتوقع فلم يلاق المعنى وقد سمع باظهار الدال وادغامها فى السين قراءتان سبعيتان (وتشتكى الى الله) أى تظهر ما بها من المكروه والفاقة والوحدة والمجادلة هذه الكائنة منها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان كلما قال لها قد حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا ثم تقول أشكو الى الله فاقتى ووحدتى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا (١) وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك فهذا معنى قوله وتشتكى الى الله قال الواحدى قال المفسرون نزلت هذه الآية فى خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت وكان به لمم فاشتد به لممه ذات يوم فظاهر منها ثم ندم على ذلك وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية وقيل هى خولة بنت حكيم وقيل اسمها جميلة والاول أصح وقيل هى بنت خويلد قال الماوردى انها نسبت تارة الى أبيها وتارة الى جدها وأحدهما أبوها والآخر جدها فهى خولة بنت ثعلبة بن خويلد روى ان عمر بن الخطاب مر بها فى زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته ووعظته فقيل له أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال أتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (والله يسمع تحاوركما) مستأنفة جارية مجرى التعليل لما قبلها أى والله يعلم تراجعكما فى الكلام من حاور اذا راجع أو حور اذا رجع أو جملة حالية وهو بعيد وقد أخرج ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى وغيرهم عن عائشة قالت تبارك الذى وسع سمعه كل شئ انى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تقول يا رسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى اذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى اللهم

(١) أى من عدم النفقة لفقرها ولعل نفقة الفروع لم تكن اذ ذاك واجبة على الاصول كما أشار اليه القارى ذكره الحفناوى اه ذو الفقار أحمد

قاضوه على ان يأتى فى العام القابل فيعتمر و يقيم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم صلى الله عليه وسلم لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه فان قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولا يجوز أن يكون يوم الفتح لانه لم يسق عام الفتح هديا وانما جاء محاربا مقاتلا فى جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شئ فليتأمل والله أعلم وقال ابن اسحق حدثنى من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنه قال ان قريشا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم ان يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من أصحابه أحدا أو يأخذوا أحدا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا الى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل قال ابن اسحق وفى ذلك أنزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا يقال له ابن زنيم اطلع على الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأتوه باثنى عشر فارسا من الكفار فقال لهم هل لكم على عهد هل لكم على ذمة قالوا لا فأرسلهم وأنزل الله تعالى فى ذلك وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما) يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركى العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين كفروا أى هم الكفار دون غيرهم وصدوكم عن المسجد الحرام أى وأنتم أحق به وأنتم أهله فى نفس الامر والهدى معكوفا ان يبلغ محله أى وصدوا الهدى ان يصل الى محله وهذا من بغيهم وعنادهم وكان الهدى سبعين بدنة كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وقوله عز وجل ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات أى بين أظهرهم ممن يكتم ايمانه و يخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكنا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين افنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة أى اثم وغرامة بغير علم

اللهم انى أشكو اليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وهو أوس بن الصامت (ان الله سميع بصير) يسمع كل مسموع و يبصر كل مبصر ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة أخرج أحمد وأبو داود وابن المنذر والطبرانى والبيهقى من طريق يوسف بن عبد الله قال حدثتنى خولة بنت ثعلبة قالت فى والله وفى أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه فدخل على يوما فراجعته بشئ فغضب فقال أنت على كظهر أمى ثم رجع فجلس فى نادى قومه ساعة ثم دخل على فاذا هو يريدنى عن نفسى قلت كلا والذى نفس خولة بيده لا تصل الى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فما برحت حتى نزل القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سرى عنه فقال لى يا خولة قد أنزل الله فيك وفى صاحبك ثم قرأ على قد سمع الى قوله عذاب أليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال فليصم شهرين متتابعين قلت والله انه لشيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر قلت والله ما ذاك عنده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا سأعينه بعرق من تمر فقلت وأنا يا رسول الله سأعينه بوسق آخر فقال قد أصبت وأحسنت فاذهبى وتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيرا قالت ففعلت وفى الباب أحاديث ثم بين سبحانه شأن الظهار فى نفسه وذكر حكمه بطريق الاستئناف فقال (الذين يظاهرون) بضم الياء وتخفيف الظاء وكسر الهاء وقرأ الجمهور يظهرون بالتشديد مع فتح حرف المضارعة وقرئ يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وزيادة ألف وقد تقدم مثل هذا فى سورة الاحزاب وقرئ يتظاهرون وكلها سبعيات ومعنى الظهار شرعا أن يقول لامرأته أنت على كظهر أمى وأنت منى أو معى أو عندى كظهر أمى ولا خلاف فى كون هذا ظهارا واختلفوا اذا قال أنت على كظهر ابنتى أو أختى أو غير ذلك من ذوات المحارم فذهب جماعة منهم أبو حنيفة ومالك الى انه ظهار وبه قال الحسن والنخعى والزهرى والاوزاعى والثورى وقال جماعة منهم قتادة والشعبى انه لا يكون ظهارا بل يختص الظهار بالأم وحدها واختلفت الرواية عن الشافعى فروى عنه كالقول الاول وكالقول الثانى وأصل الظهار مشتق من الظهر وهو لغة العلو وليس

ليدخل الله فى رحمته من يشاء اى يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين اظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم الى الاسلام ثم قال تبارك وتعالى لو تزيلوا أى لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما أى لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلا ذريعا قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبى عباد المكى حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد مولى بنى هاشم حدثنا حجر بن خلف قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت جنيد بن سبيع يقول قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكى به وقال فيه عن أبى جمعة جنيد بن سبيع فذكره والصواب أبو جعفر حبيب ابن سباع ورواه ابن أبى حاتم من حديث حجر بن خلف به وقال كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفينا نزلت ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن اسمعيل البخارى حدثنا عبد الله ابن عثمان بن جبلة عن أبى حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله تعالى عذابا أليما بقتلهم اياهم وقوله عز وجل اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وذلك حين أبوا ان يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا ان يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وهى قول لا اله الا الله كما قال ابن جرير وعبد الله بن الامام أحمد حدثنا الحسن ابن قزعة أبو على البصرى حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن ثوير عن أبيه عن الطفيل يعنى ابن أبى بن كعب عن أبيه رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وكذا رواه الترمذى عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه الا من هذا الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان أبا هريرة رضى الله

هو من ظهر الانسان واختلفوا اذا قال لامرأته أنت على كرأس أمى أو يدها أو رجلها أو نحو ذلك هل يكون ظهارا أم لا وهكذا اذا قال أنت على كأمى ولم يذكر الظهر والظاهر انه اذا قصد بذلك الظهار كان ظهارا وروى عن أبى حنيفة انه اذا شبهها بعضو من أمه يحل له النظر اليه لم يكن ظهارا وروى عن الشافعى انه لا يكون الظهار الا فى الظهر وحده واختلفوا اذا شبه امرأته بأجنبية فقيل يكون ظهارا وقيل لا والكلام فى هذا مبسوط فى كتب الفروع (منكم) أى حال كونهم منكم ايها العرب وهذا توبيخ لهم وتهجين لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب ومن أيمان جاهليتهم دون سائر الامم (من نسائهم) يعنى يحرمون زوجاتهم كتحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم يقولون لهن أنتن كظهور امهاتنا (ماهن أمهاتهم) أى ما نساؤهم بامهاتهم فذلك كذب بحت منهم وانه منكر وزور وفى هذا توبيخ للمظاهرين وتبكيت لهم قرأ الجمهور أمهاتهم بالنصب على اللغة الحجازية فى اعمال ما عمل ليس وقرئ بالرفع على عدم الاعمال وهى لغة نجد وبنى أسد ثم بين لهم سبحانه أمهاتهم على الحقيقة فقال (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) أى ما أمهاتهم الا النساء اللائى ولدنهم يريد أن الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن وأما الزوجات فابعد شئ من الامومة فلذا زاد سبحانه فى توبيخهم وتقريعهم فقال (وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أى وان المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكرا من القول ينكره الشرع والزور الكذب الباطل المنحرف عن الحق (وان الله لعفو غفور) أى بليغ العفو والمغفرة اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم عن هذا القول المنكر ولما ذكر سبحانه الظهار اجمالا ووبخ فاعليه شرع فى تفصيل أحكامه فقال (والذين يظاهرون من نسائهم) أى والذين يقولون ذلك القول المنكر الزور ويمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن (ثم يعودون لما قالوا) أى الى ما قالوا بالتدارك والتلافى كما فى قوله أن تعودوا لمثله أى الى مثله قال الاخفش لما قالوا والى ما قالوا يتعاقبان قال والحمد لله الذى هدانا لهذا وقال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال بان ربك أوحى لها وقال وأوحى الى نوح وقال الفراء اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء وقال الزجاج

عنه أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل وأنزل الله تعالى فى كتابه وذكر قوما فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال الله جل ثناؤه وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وهى لا اله الا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهرى والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهرى والله أعلم وقال

مجاهد كلمة التقوى الاخلاص وقال عطاء بن أبى رباح هى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال يونس ابن بكير عن ابن اسحق عن الزهرى عن عروة عن المسور وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال الثورى عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعى عن على رضى الله عنه وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله والله أكبر وكذا قال ابن عمر رضى الله عنهما وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى قال يقول شهادة ان لا اله الا الله وهى رأس كل تقوى وقال سعيد بن جبير وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله والجهاد فى سبيله وقال عطاء الخراسانى هى لا اله الا الله محمد رسول الله وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهرى وألزمهم كلمة التقوى قال بسم الله الرحمن الرحيم وقال قتادة وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وكانوا أحق بها وأهلها كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها وكان الله بكل شئ

عليما أى هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر وقد قال النسائى حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا شبابة بن سوار عن أبى رزين عن عبد الله بن العلاء بن زبر عن بشر بن عبد الله عن أبى ادريس عن أبى بن كعب رضى الله عنه انه كان يقرأ اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاغلظ له فقال انك لتعلم انى كنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمنى مما علمه الله تعالى فقال عمر رضى الله عنه بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم مما علمك الله تعالى ورسوله * وهذا ذكر الاحاديث الواردة فى قصة الحديبية وقصة الصلح قال

الزجاج المعنى ثم يعودون الى ارادة الجماع من أجل ما قالوا واختلف أهل العلم فى تفسير العود المذكور على أقوال الاول انه العزم على الوطء وبه قال العراقيون أبو حنيفة وأصحابه وروى عن مالك وقيل هو الوطء نفسه وبه قال الحسن وروى أيضا عن مالك وقيل هو أن يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق وبه قال الشافعى وقيل هو الكفارة والمعنى انه لا يستبيح وطأها الا بكفارة وبه قال الليث بن سعد وروى عن أبى حنيفة وقيل هو تكرير الظهار بلفظه وبه قال أهل الظاهر وروى عن بكير بن الاشج وأبى العالية والفراء والمعنى ثم يعودون الى قول ما قالوا وقيل المعنى يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين وقيل معنى العود السكوت عن الطلاق بعد الظهار وقيل العود الندم أى يندمون فيرجعون الى الألفة قال ابن عباس فى الآية هو الرجل يقول لامرأته أنت على كظهر أمى فاذا قال ذلك فليس يحل له ان يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر بعتق رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا والمس النكاح فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا وان هو قال لها أنت على كظهر أمى ان فعلت كذا فليس يقع فى ذلك ظهار حتى يحنث فان حنث فلا يقربها حتى يكفر ولا يقع فى الظهار طلاق (فتحرير رقبة) أى فالواجب عليهم اعتاق رقبة يقال حررته أى جعلته حرا والظاهر أنها تجزئ أى رقبة كانت وقيل يشترط ان تكون مؤمنة كالرقبة فى كفارة القتل وبالاول قال أبو حنيفة وأصحابه وبالثانى قال مالك والشافعى واشترطا أيضا سلامتها من كل عيب ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذى أدى شيأ قال الاخفش الآية فيها تقديم وتأخير والمعنى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما كانوا عليه من الجماع فتحرير رقبة لما قالوا أى فعليهم تحرير رقبة من أجل ما قالوا فالجار فى قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذى هو خبر المبتدا وهو فعليهم (من قبل ان يتماسا) المراد بالتماس هنا الجماع وبه قال الجمهور فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفر وقيل ان المراد به الاستمتاع بالجماع أو اللمس أو النظر الى الفرج بشهوة وبه قال مالك وهو أحد قولى الشافعى (ذلكم) أى الحكم المذكور (توعظون به) أى تؤمرون أو تنزجرون به عن ارتكاب الظهار فان الغرامات مزاجر عن تعاطى الجنايات وفيه بيان لما هو المقصود من شرع الكفارة قال الزجاج معنى الآية ذلكم التغليظ فى الكفارة توعظون به أى ان

الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن اسحق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل قد لبست جلود النمور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا (٢٥٠) وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموه الى كراع الغميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس فان أصابوني كان الذي أرادوا وان أظهرني الله تعالى دخلوا في الاسلام وهم وافرون وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش فوالله لا ازال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفة ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة قال فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا سلك ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة والله لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم قال صلى الله عليه وسلم للناس انزلوا قالوا يارسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فاخرج رسول الله صلى ولا الله عليه وسلم سهما من كنانته فاعطاه رجلا من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه فيه فجاش بالناس حتى ضرب الناس عنه بعطن فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقال يامعشر قريش انكم تعجلون على محمد صلى الله عليه وسلم ان محمدا لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحقه فاتهموهم قال محمد بن اسحق قال الزهري وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركها ومسلمها لا يخفون

غلاظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فهو مجازيكم عليها قال ابن عباس أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني ظاهرت من امرأتي فرأيت بياض خلخالها في ضوء القمر فوقعت عليها قبل ان أكفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله من قبل ان يتماسا قال قد فعلت يارسول الله قال أمسك عنها حتى تكفر وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن ابن عباس ان رجلا قال يارسول الله اني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها من قبل ان أكفر فقال وما حملك على ذلك قال رأيت خلخالها في ضوء القمر قال فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله ثم ذكر سبحانه حكم العاجز عن الكفارة فقال (فمن لم يجد) الرقبة في ملكه ولا تمكن من قيمتها (فصيام) أي فعليه صيام (شهرين متتابعين) متواليين لا يفطر فيهما فان أفطر استأنف ان كان الافطار لغير عذر وان كان لعذر من مرض أو سفر فقال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء ابن أبي رباح وعمرو بن دينار والشعبي والشافعي ومالك انه يبني ولا يستأنف وقال أبو حنيفة انه يستأنف وهو مروي عن الشافعي ومعنى (من قبل أن يتماسا) ما تقدم قريبا فلو وطئ ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ استأنف وبه قال أبو حنيفة ومالك وقال الشافعي لا يستأنف اذا وطئ ليلا لانه ليس محلا للصوم والاول أولى (فمن لم يستطع) صيام شهرين متتابعين (فاطعام ستين مسكينا) أي فعليه ان يطعم ستين مسكينا لكل مسكين مدان وهما نصف صاع وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وقال الشافعي وغيره لكل مسكين مد واحد من غالب قوت البلد والظاهر من الآية ان يطعمهم حتى يشبعوا مرة واحدة أو يدفع اليهم ما يشبعهم ولا يلزمه أن يجمعهم مرة واحدة بل يجوز له ان يطعم بعض الستين في يوم وبعضهم في يوم آخر عن أبي هريرة ثلاث فيهن مد كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة الصيام (ذلك) أي ما تقدم من البيان وتعليم الاحكام والتنبيه عليها واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وتصدقوا ان الله أمر بها أو لتطيعوا الله ورسوله في الاوامر والنواهي وتقفوا عند حدود الشرع

ولا تعودوها ولا تعودوا الى الظهار الذي هو منكر من القول و زور أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وغيرهم عن سلمة بن صخر الانصاري قال كنت رجلا قد أوتيت من جماع النساء مالم يؤت غيري فلما دخل رمضان ظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من ان أصيب منها في ليلي فأتتابع في ذلك ولا أستطيع ان أنزع حتى يدركني الصبح فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذا انكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فاخبرتهم خبري فقلت انطلقوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بامري فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف ان ينزل فينا القرآن أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ولكن اذهب أنت فاصنع مابدا لك قال فخرجت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبري فقال أنت بذاك قلت أنا بذاك قال أنت بذاك قلت أنا بذاك قال أنت بذاك قلت أنا بذاك وها أنا ذا فامض في حكم الله فاني صابر لذلك قال اعتق رقبة فضربت عنقي بيدي فقلت لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها قال فصم شهرين متتابعين فقلت هل أصابني ما أصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا مالنا عشاء قال اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها وسقا ستين مسكينا ثم استعن بسائرها عليك وعلى عيالك فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة أمر لي بصدقتكم فادفعوها الي فدفعوها اليه (وتلك) أي الاحكام المذكورة في الظهار والكفارة (حدود الله) فلا تجاوزوا حدوده التي حدها لكم فانه قد بين لكم ان الظهار معصية وان كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة (وللكافرين) الذين لا يقفون عند حدود الله ولا يعملون بما حده الله لعباده وسماه كفرا تغليظا وتشديدا (عذاب أليم) وهو عذاب جهنم يوم القيامة ولما ذكر سبحانه المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين فقال (ان الذين يحادون الله ورسوله) المحادة المشاقة والمعاداة والمخالفة ومثله قوله ان الذين يشاقون الله ورسوله قال الزجاج المحادة ان تكون في حد يخالف صاحبك فهي كناية عن المعاداة لكونها لازمة لها وأصلها الممانعة ومنه الحديد ومنه الحداد للبواب والمحادون هم أهل مكة فان هذه الآية وردت في غزوة الاحزاب وهي

على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ كان بمكة فقالوا وان كان انما جاء لذلك فوالله لايدخلها ابدا علينا عنوة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما تكلم به مع أصحابه ثم رجع الى قريش فاخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا اليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي فلما رأى الهدي يسيل عليه (٢٥١) من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ثم رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش لقد رأيت مالا يحل صده الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك فبعثوا اليه عروة بن مسعود الثقفي فقال يامعشر قريش اني قد رأيت مايلقى منكم من تبعثون الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم انكم الي والد وأنا ولد وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيكم بنفسي قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه فقال يامحمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لتفضها انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله تعالى ان لاتدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأن بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا قال وأبو بكر رضي الله عنه قاعد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه قال من هذا يامحمد قال صلى الله عليه وسلم هذا ابن أبي قحافة قال أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها ثم تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديد قال فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل والله لاتصل اليك قال ويحك ماأفظك وأغلظك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هذا يامحمد قال صلى الله عليه وسلم هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال أغدر وهل غسلت سوأتك الا بالأمس قال فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل

ما كلمته أصحابه وأخبره انه لم يأت يريد حربا قال فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوءا الا ابتدروه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه فرجع الى قريش فقال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما والله ما رأيت ملكا قط مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم قال وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي الى مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب فلما دخل مكة (٢٥٢) عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعتهم الاحابيش حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عمر رضي الله عنه ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وليس بها من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز مني بها عثمان بن عفان رضي الله عنه قال فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه يخبرهم انه لم يأت لحرب أحد وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى مكة فلقيه أبان بن سعيد ابن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردفه خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واحتبسته قريش عندها قال وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان رضي الله عنه قد قتل قال محمد فحدثني الزهري ان قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا ائت ان محمدا فصالحه ولا تكن في صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة أبدا فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلما وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فلما التأم الامر ولم يبق الا الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أولسنا بالمسلمين أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا فقال أبو

في السنة الرابعة وقيل في الخامسة والمقصود منها البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم (كبتوا) أي يكبتوا ويذلوا ويتفرق جمعهم وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه وقيل المعنى على المضي وذلك ما وقع للمشركين يوم بدر فان الله كبتهم بالقتل والاسر والقهر (كما كبت الذين من قبلهم) أي أذلوا وأخزوا يقال كبت الله فلانا اذا أذله والمردود بالذل يقال له مكبوت قال المقاتلان أخزوا كما أخزي الذين من قبلهم من أهل الشرك وكذا قال قتادة وقال أبو عبيدة والاخفش أهلكوا وقال ابن زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال الفراء أغيظوا يوم الخندق والمراد بمن قبلهم كفار الأمم الماضية المعادين لرسل الله (وقد أنزلنا آيات بينات) أي والحال انا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسله من الامم المتقدمة وقيل المراد الفرائض التي أنزلها الله سبحانه وقيل هي المعجزات الدالة على صدق الرسول (وللكافرين) بكل ما يجب الايمان به فتدخل الآيات المذكورة هنا دخولا أوليا (عذاب مهين) يهين صاحبه ويذله ويذهب بعزه (يوم يبعثهم الله جميعا) أي اذكر يوم يبعثهم مجتمعين في حالة واحدة أو يبعثهم كلهم لا يبقى منهم أحد غير مبعوث (فينبئهم) أي فيخبرهم (بما عملوا) في الدنيا من الاعمال القبيحة اما ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها في صورة قبيحة هائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا للعذاب (أحصاه الله) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف ينبئهم بذلك مع كثرته واختلاف أنواعه فقيل أحصاه الله جميعا ولم يفته منه شيء (و) الحال انهم قد (نسوه) ولم يحفظوه (والله على كل شيء شهيد) تذييل مقرر لاحصائه تعالى أي لا يخفى عليه شيء من الاشياء بل هو مطلع وناظر ثم أكد سبحانه بيان كونه عالما بكل شيء فقال (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) أي ألم تعلم ان علمه محيط بما فيهما بحيث لا يخفى عليه شيء مما فيهما (ما يكون من نجوى ثلاثة) مستأنفة لتقرير شمول علمه وسعته واحاطته بكل المعلومات قرأ الجمهور يكون بالتحتية وقرئ بالفوقية وكان على القراءتين تامة ومن مزيدة للتأكيد والنجوى السرار يقال قوم نجوى أي ذوو نجوى وهي مصدر والمعنى ما يوجد من تناجي ثلاثة أو من ذوي نجوى ويجوز

بكر رضى الله عنه الزم غرزه حيث كان فانى أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضى الله عنه وأنا أشهد ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أولسنا بالمسلمين أوليسوا بالمشركين قال صلى الله عليه وسلم بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا فقال صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى ثم قال عمر رضى الله عنه مازلت أصوم وأصلى وأتصدق وأعتق من الذى صنعت مخافة كلامى الذى تكلمت به يومئذ حتى رجوت ان يكون خيرا قال ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل ابن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بغير اذن وليه رده عليه ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وكان فى شرطهم حين كتبوا الكتاب انه من أحب ان يدخل فى عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها باصحابك وأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف فى القرب فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب اذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو فى الحديد قد انفلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا ان يهلكوا فلما رآى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وقال يا محمد قد تمت القضية بينى وبينك قبل ان يأتيك هذا قال صدقت فقام اليه فأخذ

ان تطلق النجوى على الاشخاص المتناجين قال الفراء ثلاثة نعت للنجوى فانخفضت وان شئت أضفت نجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز (الاهو رابعهم) أى بالعلم يعنى يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم كذا فى الخازن وأبى السعود والجمل التى بعد الا فى موضع نصب على الحال يعنى ما يوجد شئ من هذه الاشياء الا فى حال من هذه الاحوال فالاستثناء مفرغ من أعم الاحوال (ولا) نجوى (خمسة الاهو سادسهم) أى جاعلهم ستة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع على تلك النجوى وتخصيص العددين بالذكر لان أغلب عادات المتناجين ان يكونوا ثلاثة أو خمسة أو كانت الواقعة التى هى سبب النزول فى متناجين كانوا ثلاثة فى موضع وخمسة فى موضع أو لأن العدد الفرد أشرف من الزوج لان الله تعالى وتر يحب الوتر فخصهما بالذكر تنبيها على انه لابد من رعاية الامور الالهية فى جميع الامور قال الفراء والعدد غير مقصود لانه سبحانه مع كل عدد قل أو كثر يعلم السر والجهر لا تخفى عليه خافية (ولا أدنى من ذلك) أى ولا أقل من العدد المذكور كالواحد والاثنين (ولا أكثر) منه كالستة والسبعة (الاهو معهم) أى مصاحب لهم بعلمه يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه شئ منه قرأ الجمهور أكثر بالثاء وبالجر بالفتحة عطفا على لفظ نجوى وقرئ بالباء الموحدة وبالرفع عطفا على محل نجوى قال الواحدى قال المفسرون ان المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك فلما طال ذلك وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله هذه الآيات (أين ما كانوا) معناه احاطة علمه بكل تناج يكون معهم فى اى مكان من الامكنة ولو كانوا تحت الارض فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت بقرب الامكنة وبعدها (ثم ينبئهم) أى يخبرهم (بما عملوا يوم القيامة) توبيخا لهم وتبكيتا والزاما للحجة (ان الله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه شئ كائنا ما كان (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) هؤلاء هم من تقدم ذكرهم من المنافقين واليهود وصيغة المضارع للدلالة على تمكن عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال مقاتل كان بين النبى صلى الله

تلبيبه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معشر المسلمين أتردونني الى أهل الشرك فيفتنوني في ديني قال فزاد الناس شرا الى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وانا لن نغدر بهم قال فوثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل يمشي مع أبي جندل الى جنبه ويقال اصبر أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب قال ويدني قائم السيف منه قال يقول رجوت ان يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فضن الرجل بأبيه قال ونفذت القضية فلما فرغا من الكتاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انحروا واحلقوا قال فما قام أحد قال ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال يا أم سلمة ما شأن الناس قالت يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم انسانا واعمد الى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلم أحدا حتى اذا أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى اذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي اسحق بنحوه وقد رواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري بنحوه وخالفه في أشياء وفيه اغراب وقد رواه البخاري رحمه الله في صحيحه فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال في كتاب الشروط من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه عينه فقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك

عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وقال ابن زيد كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب أو بلية أو أمر مهم فيفزعون لذلك (ويتناجون بالاثم والعدوان) قرأ الجمهور يتناجون بوزن يتفاعلون لقوله فيما بعد اذا تناجيتم فلا تتناجوا وقرئ ينتجون بوزن يفتعلون وحكى سيبويه ان تفاعلوا وافتعلوا يأتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا وتقاتلوا واقتتلوا ومعنى الاثم ما هو اثم في نفسه كالكذب والظلم والعدوان ما فيه عدوان على المؤمنين (ومعصيت الرسول) أي مخالفته وقرئ معصيات بالجمع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل المعنى يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول رسمت معصية هذه والتي بعدها بالتاء المجرورة واذا وقف عليها أبو عمرو وابن كثير والكسائي يقفون بالهاء غير أن الكسائي يقف بالامالة على أصله والباقون يقفون بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) قال القرطبي ان المراد بها اليهود كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم وفي رواية وعليكم قال ابن عمر وفي الآية يريدون بذلك شتمه فنزلت هذه الآية أخرج أحمد والبخاري والترمذي وصححه عن أنس ان يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال هل تدرون ما قال هذا قالوا الله أعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه على فردوه قال قلت السام عليكم قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك قال عليك ما قلت وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة عليكم السام واللعنة فقال يا عائشة ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قلت ألا تسمعهم يقولون السام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما سمعتني أقول وعليكم فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس قال كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حيوه سام عليك فنزلت (ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم اذا خرجوا من عنده

(لولا

(لولا يعذبنا الله بما نقول) أي هلا يعذبنا بذلك ولو كان محمد نبيا لعذبنا بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به وقيل المعنى لو كان نبيا لاستجيب له فينا حيث يقول وعليكم ووقع علينا الموت عند ذلك (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) أي المرجع وهو جهنم (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) لما فرغ سبحانه عن نهي اليهود والمنافقين عن النجوى أرشد المؤمنين اذا تناجوا فيما بينهم ان لا يتناجوا بما فيه اثم وعدوان ومعصية لرسول الله كما يفعله اليهود والمنافقون وقيل الخطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا ظاهرا أو بزعمهم واختار هذا الزجاج وقيل الخطاب لليهود والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والاول أولى قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية وأغزاها التقى المنافقون فانغضوا رؤسهم الى المسلمين ويقولون قتل القوم واذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تناجوا وأظهروا الحزن فبلغ ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين فأنزل الله هذه الآية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث فان ذلك يحزنه وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد قال كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرقه أمر أو يأمر بشئ فكثر أهل النوب والمحتسبون ليلة حتى اذا كنا أنداء نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فقال ما هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى قلنا انا كنا يا رسول الله في ذكر المسيح فرقا منه فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل قال ابن كثير هذا اسناد غريب وفيه بعض الضعفاء ثم بين لهم ما يتناجون به في أنديتهم وخلواتهم فقال (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بالطاعة وترك المعصية ثم خوفهم سبحانه فقال (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) فيجزيكم بأعمالكم ثم بين سبحانه ان ما يفعله اليهود والمنافقون من التناجي هو من جهة الشيطان فقال (انما النجوى) يعني الاثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (من الشيطان) لا من غيره أي من تزيينه وتسويله (ليحزن الذين آمنوا) أي لاجل ان يوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من التوهم انها في

وصادوك ومانعوك فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا أيها الناس علي أترون ان نميل على عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون ان يصدونا عن البيت وفي لفظ أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فان يأتونا كان الله قد قطع عنقا من المشركين والا تركناهم محزونين وفي لفظ فان قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله عز وجل أم ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه وفي لفظ فقال أبو بكر رضي الله عنه الله ورسوله أعلم انما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فروحوا اذن وفي لفظ فامضوا على اسم الله تعالى حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته ثم أمرهم ان يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا

فوالذي نفسي بيده لا قاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره قال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذووا الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا آته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم له نحوا من قوله لبديل ابن ورقاء فقال عروة عند ذلك اى محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تك الاخرى فاني والله لأرى وجوها واني لأرى أشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر رضي الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر وندعه قال من ذا قالوا ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم اجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر وكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له صلى الله عليه وسلم فرجع عروة الى اصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على

مكيدة يكادون به قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن يقال حزنه وأحزنه بمعنى قال في القاموس وأحزنه جعله حزينا والقراءة الاولى أشد في المعنى (وليس بضارهم شيأ) أي وليس الشيطان أو التناجي الذي يزينه الشيطان أو الحزن بضار المؤمنين شيأ من الضرر (الا باذن الله) أي بمشيئته وقيل بعلمه (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أي يكلون أمرهم اليه ويفوضونه في جميع شؤنهم ويستعيذون بالله من الشيطان ولا يبالون بما يزينه من النجوى (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا) وقرئ تفاسحوا (في المجالس) قرئ على الجمع لان لكل واحد منهم مجلسا وقرئ على الافراد قال الواحدي والوجه التوحيد في المجلس لانه يعني به مجلس النبي صلى الله عليه وسلم والتفسح التوسع يقال فسح له يفسح فسحا أي وسع له ومنه قولهم بلد فسيح أمر الله سبحانه المؤمنين بحسن الادب بعضهم مع بعض بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه قال قتادة ومجاهد والضحاك كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس والحسن ويزيد بن أبي حبيب هو مجلس القتال اذا اصطفوا للحرب كانوا يتشاحون على الصف الاول ولا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال لتحصيل الشهادة وقال القرطبي الصحيح في الآية انها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو يوم جمعة وان كل واحد أحق بمكانه الذي يسبق اليه ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه ويؤيد هذا حديث ابن عمر عند مسلم والبخاري وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا (فافسحوا يفسح الله لكم) أي فوسعوا يوسع الله لكم في الجنة أو في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق وغيرهما عن مقاتل بن حيان قال أنزلت هذه الآية يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على

القيام

القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك عليه فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر قم أنت يافلان وانت يافلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه فنزلت هذه الآية (واذا قيل انشزوا فانشزوا) قرأ الجمهور بكسر الشين فيهما وقرئ بضمها فيهما وهما لغتان بمعنى واحد وقراءتان سبعيتان يقال نشز أي ارتفع ينشز وينشز كعكف يعكف ويعكف قال جمهور المفسرين أي انهضوا الى الصلاة والجهاد وعمل الخير وبه قال ابن عباس وقال عكرمة ومجاهد والضحاك كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فقيل لهم اذا نودي للصلاة فانهضوا وقال الحسن انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل انشزوا عن النبي فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا وقال قتادة المعنى أجيبوا اذا دعيتم الى أمر بمعروف والظاهر حمل الآية على العموم والمعنى اذا قيل لكم انهضوا الى أمر من الامور الدينية فانهضوا ولا تتثاقلوا ولا يمنع من حملها على العموم كون السبب خاصا فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو الحق ويندرج ما هو سبب النزول فيها اندراجا أوليا وهكذا يندرج ما فيه السياق وهو التفسح في المجالس اندراجا أوليا وقد قدمنا ان معنى نشز ينشز ارتفع وهكذا أنشز ينشز اذا تنحى عن موضعه ومنه امرأة ناشزة أي متنحية عن زوجها وأصله مأخوذ من النشز وهو ما ارتفع من الارض وتنحى ذكر معناه النحاس (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما (والذين أوتوا العلم) أي ويرفع العالمين منهم خاصة (درجات) عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة ومعنى الآية انه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات فمن جمع بين الايمان والعلم رفعه الله بايمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات وقيل المراد بالذين آمنوا من الصحابة وكذلك بالذين أوتوا العلم وقيل المراد بالذين أوتوا العلم الذين قرؤا القرآن والاولى حمل الآية على العموم في كل مؤمن وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع أهل هذه الملة ولا دليل يدل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض وقال ابن عباس في الآية يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين

كسرى وقيصر والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل منهم من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل تاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر أخبرني أيوب عن عكرمة انه قال لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم بالكاتب قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنه وقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل

والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل

ابن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شئ أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل يا معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله عز وجل قال عمر رضي الله عنه فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت (٢٥٨) ألست نبي الله حقا قال صلى الله عليه وسلم بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال صلى الله عليه وسلم بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال صلى الله عليه وسلم انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أوليس كنت تحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به قال صلى الله عليه وسلم بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام قلت لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى قال أفأخبرك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال الزهري قال عمر رضي الله عنه فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها حتى
مالقي من الناس قالت له ام سلمة رضي الله عنها يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معاوية

على الذين لم يؤمنوا درجات وقال ابن مسعود على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات وعنه قال ما خص الله العلماء في شئ من القرآن ما خصهم في هذه الآية وعنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم في العلم والاحاديث والاخبار والآيات في فضيلة العلم والعلماء كثيرة جدا قد ذكرنا طرفا منها في كتابنا الحطة في ذكر الصحاح الستة (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شئ من أعمالكم من خير وشر فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) المناجاة المسارة والمعنى اذا أردتم مسارة الرسول في أمر من أموركم (فقدموا بين يدي نجواكم) أي مسارتكم له (صدقة) في هذا الامر تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا والآخرة واختلف في انه للندب أو للوجوب قال الحسن نزلت بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن أسلم نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه أذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع أحدا من مناجاته وكان ذلك يشق على المؤمنين لان الشيطان كان يلقي في أنفسهم انهم ناجوه بان جموعا اجتمعت لقتاله فأنزل الله الآية الاولى فلم ينتهوا فأنزل الله هذه الآية فانتهى أهل الباطل لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على أهل الايمان وامتنعوا عن النجوى اضعف كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه وقال ابن عباس ان المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأراد الله ان يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك ضن كثير من الناس وكفوا عن المسئلة فأنزل الله بعد هذا أأشفقتم الآية فوسع الله عليهم ولم يضيق وعن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه الآية قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم الآية فبي خفف الله عن هذه الامة والمراد بالشعيرة هنا وزن شعيرة من ذهب وليس المراد الواحدة من حب الشعير أخرجه الترمذي وحسنه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم وعنه رضي الله تعالى عنه قال ما عمل بها أحد غيري

ابن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فارسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه الى رجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله اني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت منه ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر اليه فامكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله (٢٥٩) عليه وسلم قال قتل والله صاحبي واني لمقتول

فجاء أبو بصير فقال يا رسول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم نجاني الله تعالى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فارسل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وأنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه رسول الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت هكذا ساقه البخاري ههنا وقد أخرجه في التفسير وفي عمرة الحديبية وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهري به ووقع في بعض الاماكن عن الزهري عن عروة بن مروان والمسور عن رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وهذا أشبه والله أعلم ولم يسقه أبسط من ههنا وبينه وبين سياق ابن اسحق تباين في مواضع وهنالك فوائد ينبغي اضافتها الى ما هنا ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وقال البخاري في التفسير حدثنا أحمد بن اسحق السلمي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل ألم تر الى الذين يدعون الى كتاب الله فقال علي بن أبي طالب رضي الله

حتى نسخت وما كانت الا ساعة يعني آية النجوى وعنه رضي الله تعالى عنه قال ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت أأشفقتم الآية وعن سعد بن أبي وقاص قال نزلت آية النجوى فقدمت شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد فنزلت الآية الاخرى أأشفقتم الآية (ذلك) أي ما تقدم من تقديم الصدقة بين يدي النجوى (خير لكم) لما فيه من طاعة الله وتقييد الامر بكون امتثاله خيرا لهم من عدم الامتثال (وأطهر) لنفوسهم يدل على انه أمر ندب لا أمر وجوب قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) يعني من كان منكم لا يجد تلك الصدقة المأمور بها بين يدي النجوى فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم الفقر والعيلة لأن تقدموا ذلك والاشفاق الخوف من المكروه والاستفهام للتقرير وقيل المعنى أبخلتم وجمع الصدقات ههنا باعتبار المخاطبين قال مقاتل بن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان ذلك الا ليلة واحدة وقيل انه لم يبق الا يوما واحدا وقال قتادة ما كان الا ساعة من نهار (فاذ لم تفعلوا) ما امرتم به من الصدقة بين يدي النجوى وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به ولم يفعل وأما من لم يجد فقد تقدم الترخيص له بقوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم واذ على بابها في الدلالة على المضي وقيل هي بمعنى اذا وقيل بمعنى ان (وتاب الله عليكم) رجع بكم عنها بأن رخص لكم في الترك (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) المعنى اذا وقع منكم التثاقل عن امتثال الامر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على اقامة الصلاة المفروضة وايتاء الزكاة الواجبة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتنهون عنه (والله خبير بما تعملون) لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم وليس في الآية ما يدل على تقصير المؤمنين في الامتثال أما الفقراء منهم فالامر واضح وأما من عداهم من المؤمنين فانهم لم يكلفوا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة بل أمروا بالصدقة اذا أرادوا المناجاة فمن ترك المناجاة فلا يكون مقصرا في امتثال الامر بالصدقة على ان في الآية ما يدل على ان الامر للندب

عنه نعم فقال سهل بن حنيف اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر رضي الله عنه فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار فقال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا فنزلت سورة (٢٦٠) الفتح وقد رواه البخاري أيضا في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق أخر عن أبي وائل سفيان بن سلمة عن سهل بن حنيف به وفي بعض ألفاظه يا أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر على ان أرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددته وفي رواية فنزلت سورة الفتح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأها عليه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم سهيل بن عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فقال صلى الله عليه وسلم اكتب من محمد رسول الله قال لو نعلم انك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب من محمد بن عبد الله واشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقال يا رسول الله أنكتب هذا قال صلى الله عليه وسلم نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وقال أحمد رحمه الله أيضا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني سماك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقلت لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي رضي الله عنه اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله قالوا لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امح يا علي اللهم انك تعلم اني رسولك امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله والله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحاه

كما قدمنا وقد استدل بهذه الآية من قال بأنه يجوز النسخ قبل امكان الفعل وليس هذا الاستدلال بصحيح فان النسخ لم يقع الا بعد امكان الفعل وأيضا قد فعل ذلك البعض فتصدق بين يدي نجواه كما تقدم (ألم تر الى الذين تولوا قوما) اي والوهم قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود وقال السدي ومقاتل هم اليهود تولوا المنافقين ويدل على الاول قوله (غضب الله عليهم) فان المغضوب عليهم هم اليهود ويدل على الثاني قوله (ما هم منكم ولا منهم) فان هذا صفة المنافقين كما قال الله فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والجملة في محل نصب على الحال أو هي مستأنفة (ويحلفون على الكذب) أي انهم مسلمون أو يحلفون انهم ما نقلوا الاخبار الى اليهود والجملة عطف على تولوا داخلة في حكم التعجب من فعلهم (و) الحال ان (هم يعلمون) بطلان ما حلفوا عليه وانه كذب لا حقيقة له فيمينهم يمين غموس لا عذر لهم فيها (أعد الله لهم عذابا شديدا) بسبب هذا التولي والحلف على الباطل (انهم ساء ما كانوا يعملون) من الاعمال القبيحة في الزمان الماضي أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة (اتخذوا ايمانهم جنة) قرأ الجمهور أيمانهم جمع يمين وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم من المسلمين توقيا من القتل فجعلوا هذه الايمان وقاية وسترة دون دمائهم كما يجعل المقاتل الجنة وقاية له من ان يصاب بسهم أو سيف أو رمح وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة أي جعلوا تصديقهم جنة من القتل فآمنت ألسنتهم من خوف القتل ولم تؤمن قلوبهم (فصدوا عن سبيل الله) أي منعوا الناس عن الاسلام بسبب ما يصدر عنهم من التثبيط وتهوين أمر المسلمين وتضعيف شوكتهم وقيل المعنى فصدوا المسلمين عن قتالهم بسبب اظهارهم الاسلام (فلهم عذاب مهين) أي يهينهم ويخزيهم قيل هو تكرير لقوله أعد الله لهم عذابا شديدا للتأكيد وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ولا وجه للقول بالتكرير فان العذاب الموصوف بالشدة غير العذاب الموصوف بالاهانة (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أي من عذابه (شيأ) من الاغناء قال مقاتل قال المنافقون ان محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انه ينصر يوم القيامة لقد شقينا اذا فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا ان كانت قيامة فنزلت الآية (أولئك) الموصوفون بما ذكر (أصحاب النار) لا يفارقونها

من النبوة أخرجت من شدة قالوا نعم ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار اليمانى بنحوه وروى الامام أحمد عن يحيى بن آدم عن زهير عن محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن الحكم بن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبى جهل فلما صدت عن البيت حنت كما تحن الى أولادها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله (٢٦١) شهيدا) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى المنام انه دخل مكة وطاف بالبيت فاخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم ان هذه الرؤيا تتفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على ان يعودوا من قابل وقع فى نفس بعض الصحابة رضى الله عنهم من ذلك شئ حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا انا سنأتى البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه عامك هذا قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به وبهذا أجاب الصديق رضى الله عنه أيضا حذو القذة بالقذة ولهذا قال تبارك وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء فى شئ وقوله عز وجل آمنين أى فى حال دخولكم وقوله محلقين رؤسكم ومقصرين حال مقدرة لانهم فى حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وانما كان هذا فى ثانى الحال كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره وثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم والمقصرين فى الثالثة أو الرابعة وقوله سبحانه وتعالى لا تخافون حال مؤكدة فى المعنى فأثبت لهم الامن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم فى البلد لا يخافون من أحد وهذا كان فى عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع فان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية فى ذى القعدة رجع الى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم

(هم فيها خالدون) لا يخرجون منها (يوم) أى اذكر يوم (يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله يوم القيامة على انهم مؤمنون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع على قلوبهم فان يوم القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الامور معلومة بضرورة المشاهدة فكيف يجترؤن على ان يكذبوا فى ذلك الموقف ويحلفون على الكذب عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين شيطان فاذا جاءكم فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق فقال حين رآه علام تشتمنى أنت وأصحابك فقال ذرنى آتيك بهم فحلفوا واعتذروا فانزل الله هذه الآية والتى بعدها (ويحسبون) فى الآخرة (انهم) بتلك الايمان الكاذبة (على شئ) مما يجلب نفعا أو يدفع ضررا كما كانوا يحسبون ذلك فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) أى الكاملون فى الكذب المتهالكون عليه البالغون الى حد لم يبلغ اليه غيرهم باقدامهم عليه وعلى الأيمان الفاجرة فى موقف القيامة بين يدى الرحمن (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب عليهم واستعلى واستولى قال المبرد استحوذ على الشئ حواه وأحاط به وقيل قوى عليهم وقيل جمعهم يقال أحوذ الشئ أى جمعه وضم بعضه الى بعض والمعانى متقاربة لانه اذا جمعهم فقد قوى عليهم وغلبهم واستعلى عليهم واستولى وأحاط بهم (فأنساهم ذكر الله) اى أوامره والعمل بطاعاته فلم يذكروا شيأ من ذلك وقيل زواجره فى النهى عن معاصيه وقيل لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم والاشارة بقوله (أولئك) الى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات (حزب الشيطان) أى جنوده وأتباعه ورهطه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة الى خسرانهم ليس بخسران لانهم باعوا الجنة بالنار والهدى بالضلال وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا الأيمان الفاجرة فى الدنيا والآخرة وفوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد (ان الذين يحادون الله ورسوله) قد تقدم معنى المحادة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فى أول هذه السورة والجملة تعليل لما قبلها (أولئك فى الأذلين) أى أولئك المحادون لله ولرسوله المتصفون بتلك الصفات المتقدمة من جملة من أذله الله من الامم السابقة واللاحقة لاترى أحدا أذل منهم

وخرج فى صفر الى خيبر ففتحها الله تعالى عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا وهى اقليم عظيم كثير النخل والزروع فاستخدم من فيها من اليهود وعليها على الشطر وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ولم يشهدها أحد غيرهم الا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبى طالب وأصحابه وأبو موسى الاشعرى وأصحابه رضى الله عنهم ولم يغب منهم أحد قال ابن زيد الا أبا دجانة سماك بن خرشة كما هو مقرر فى موضعه ثم رجع الى المدينة فلما كان فى ذى القعدة من سنة سبع خرج صلى الله عليه وسلم الى مكة معتمرا هو وأهل الحديبية فاحرم من ذى الحليفة وساق معه الهدى قيل (٢٦٣) كان ستين بدنة فلبى وساروا أصحابه يلبون فلما كان صلى الله عليه وسلم مر قريبا من الظهران بعث محمد بن سلمة بالخيل والسلاح أمامه فلما رآه المشركون رعبوا رعبا شديدا وظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم وانه قد نكث العهد الذى بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين فذهبوا فاخبروا أهل مكة فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بمر الظهران حيث ينظر الى أنصاب الحرم بعث السلاح من القسى والنبل والرماح الى بطن يأجج وسار الى مكة بالسيوف مغمدة فى قربها كما شارطهم عليه فلما كان فى أثناء الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال يا محمد ما عرفناك تنقض العهد فقال صلى الله عليه وسلم وماذاك قال دخلت علينا بالسلاح القسى والرماح فقال صلى الله عليه وسلم لم ذلك وقد بعثنا به الى يأجج فقال بهذا عرفناك بالبر والوفاء وخرجت رؤس الكفار من مكة لئلا ينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أصحابه رضى الله عنهم غيظا وحنقا وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا فى الطرق وعلى البيوت ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اى فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون والهدى قد بعثه الى ذى طوى وهو راكب ناقته القصوى التى كان راكبها يوم الحديبية وعبد الله بن رواحة الانصارى آخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقودها وهو يقول

باسم الذى لا دين الا دينه * باسم الذى محمد رسوله
خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله * ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله * قد أنزل الرحمن فى تنزيله

(١) يقال للقطعة من الفرسان رعلة ولجماعة الخيل رعيل اه مجمع البحار

لانهم لما حادوا الله ورسوله صاروا من الذل بهذا المكان قال عطاء يريد الذل فى الدنيا والخزى فى الآخرة (كتب الله) مستأنفة لتقرير ما قبلها من كونهم فى الاذلين أى كتب فى اللوح المحفوظ وقضى فى سابق علمه وقال الفراء كتب بمعنى قال (لاغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو باحدهما قال الزجاج معنى غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب فى الحرب ومن بعث منهم بغير الحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوى) على نصر أوليائه (عزيز) غالب لاعدائه لا يغلبه أحد (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) اى يا صحيحا بحيث يتوافق فيه الظاهر مع الباطن (يوادون من حاد الله ورسوله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له أى يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما أى من الممتنع ان تجد قوما من المؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى التوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم عن عبد الله بن شوذب قال جعل والد أبى عبيدة بن الجراح يتصدى لابى عبيدة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله فنزلت هذه الآية أخرجه البيهقى فى سننه والحاكم والطبرانى وغيرهم ثم زاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) اى ولو كان المحادون لله ورسوله آباء الموادين الخ فان الايمان يزجر عن ذلك ويمنع منه ورعايته أقوى من رعاية الابوة والبنوة والاخوة والعشيرة وقدم أولا الآباء لانه يجب طاعتهم ثم ثنى بالابناء لانهم أعلق بالقلب ثم ثلث بالاخوان لانهم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد افاده السمين روى عن ابن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح أو أبناءهم يعنى أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال يا رسول الله دعنى أكن فى (١) الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك) يعنى الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله (كتب)

في صحف تتلى على رسوله * بان خير القتل في سبيله * يارب اني مؤمن بقيله

فهذا مجموع من روايات متفرقة قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء دخلها وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه آخذ بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * اني شهيد انه رسوله   خلوا فكل الخير في رسوله * يارب اني مؤمن بقيله

نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله (٢٦٣) ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

اى خلق وقيل أثبت وقيل جعل وقيل حكم والمعاني متقاربة (في قلوبهم الايمان) وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وأيدهم بروح منه) أي قواهم بنصر منه على عدوهم في الدنيا وسمى نصره لهم روحا لان به يحيي أمرهم وقيل هو نور القلب وقال الربيع بن أنس بالقرآن والحجة وقيل بجبريل وقيل بالايمان وقيل برحمة وقيل بكتاب أنزله فيه حياة لهم وقيل بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن رواد أنه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقيل هي في أهل البدع والاهواء (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) على الأبد (رضي الله عنهم) أي قبل اعمالهم وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة (ورضوا عنه) أي فرحوا بما أعطاهم عاجلا وآجلا (أولئك حزب الله) أي جنده الذين يمتثلون أوامره ويقاتلون أعداءه وينصرون أولياءه وفي اضافتهم الى الله سبحانه تشريف لهم وتعظيم وتكريم وتفخيم (ألا ان حزب الله هم المفلحون) اى الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة الكاملون في الفلاح الذين صار فلاحهم هو الفرد الكامل حتى كأن فلاح غيرهم بالنسبة الى فلاحهم كلا فلاح

(سورة الحشر أربع وعشرون آية)

وهي مدنية قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال سورة النضير يعني انها نزلت في بني النضير كما صرح بذلك في بعض الروايات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات وما في الارض) أي نزهه فاللام مزيدة وفي الاتيان بما تغليب للاكثر (وهو العزيز الحكيم) في ملكه وصنعه (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) اللام متعلقة بأخرج وهي لام التوقيت كقوله لدلوك الشمس أي عند أول الحشر قال الزمخشري وهي كاللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئت لوقت كذا والمراد من أهل الكتاب هم بنو النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم فغدروا

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يديه وفي رواية وابن رواحة آخذ بغرزه وهو رضي الله عنه يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله
قد نزل الرحمن في تنزيله
بأن خير القتل في سبيله
يارب اني مؤمن بقيله
نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله
اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن الصباح حدثنا اسمعيل يعني ابن زكريا عن عبد الله يعني ابن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مر الظهران في عمرته بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قريشا تقول ما يتباعثون من العجف فقال أصحابه لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة قال صلى الله عليه وسلم لا تفعلوا ولكن اجمعوا الي من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا وحشا كل واحد منهم في جرابه ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر فاضطبع صلى الله عليه وسلم بردائه ثم قال لا يرى القوم فيكم غميزة فاستلم الركن ثم رمل حتى اذا تغيب بالركن اليماني مشى الى الركن الاسود فقالت قريش ما ترضون بالمشي أما انكم لتنقرون نقر الظباء ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة قال أبو الطفيل فأخبرني ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك في حجة

وقاضاهم على ان يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا عليهم الا سيوفا ولا يقيم بها الا ما أحبوا فاعتمر صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما ان أقام بها ثلاثا أمروه ان يخرج فخرج صلى الله عليه وسلم وهو فى صحيح مسلم أيضا وقال البخارى أيضا حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء رضى الله عنه قال اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فأبى أهل مكة ان يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيموا بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لا نقر بهذا ولو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيأ ولكن اكتب محمد بن عبد الله قال صلى الله عليه

ونخيل واسعة وأهل عدد وعدة (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أى وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب و بين النظم الذى جاء عليه أن فى تقديم الخبر على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى مغارتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أى أتاهم أمر الله من حيث لم يخطر ببالهم انه يأتيهم أمره من تلك الجهة وهو أنه سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقيل هو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف قاله ابن جريج والسدى وأبو صالح فان قتله أضعف شوكتهم وقيل ان الضمير فى أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله من حيث لم يحتسبوا والاول أولى لقوله (وقذف فى قلوبهم الرعب) فان قذف الرعب كان فى قلوب بنى النضير لا فى قلوب المسلمين قال أهل اللغة الرعب الخوف الذى يرعب الصدر أى يملاه وقذفه اثباته فيه قيل وكان قذف الرعب فى قلوبهم بقتل سيدهم كعب بن الاشرف والاولى عدم تقييده بذلك وتفسيره به بل المراد بالرعب الذى قذفه الله فى قلوبهم هو الذى ثبت فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) وذلك انهم لما أيقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج قال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا به ما خرب من حصنهم قال الزجاج معنى تخريبها بأيدى المؤمنين انهم عرضوها لذلك قرأ الجمهور يخربون بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال أبو عمرو وانما اخترت القراءة بالتشديد لان الاخراب ترك الشئ خرابا وانما خربوها بالهدم وليس ما قاله بسلم فان التخريب والاخراب عند أهل اللغة بمعنى واحد قال سيبويه ان معنى فعلت وأفعلت يتعاقبان نحو أخربته وخربته وأفرحته وفرحته واختار الاولى أبو عبيد وأبو حاتم قال الزهرى وابن زيد وعروة بن الزبير لما صالحهم النبى صلى الله عليه وسلم على ان لهم ما أقلت الابل كانوا يستحسنون الخشبة أو العمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقال الزهرى أيضا يخربون بيوتهم بنقض المعاهدة وأيدى

وسلم أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه امح رسول الله قال رضى الله عنه لا والله لا أمحوك أبدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ان لا يدخل مكة بالسلاح الا السيف فى القراب وان لا يخرج من أهلها باحد أراد ان يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها فلما دخلها ومضى الاجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة رضى الله عنه تنادى يا عم يا عم فتناولها على رضى الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضى الله عنها دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر رضى الله عنهم فقال على رضى الله عنه انا أخذتها وهى ابنة عمى وقال جعفر رضى الله عنه ابنة عمى وخالتها تحتى وقال زيد رضى الله عنه ابنة أخى فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى رضى الله عنه أنت منى وأنا منك وقال لجعفر رضى الله عنه أشبهت خلقى وخلقى وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا قال على رضى الله عنه ألا تتزوج ابنة حمزة رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم انها ابنة أخى من الرضاعة انفرد به من هذا الوجه وقوله تعالى فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا أى فعلم الله عز وجل من الخيرة والمصلحة فى صرفكم عن مكة ودخولكم اليها عامكم ذلك مالم تعلموا أنتم فجعل من دون ذلك أى قبل دخولكم الذى وعدتم به فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فتحا قريبا وهو الصلح الذى كان بينكم و بين

اعدائكم من المشركين ثم قال تبارك وتعالى مبشرا المؤمنين بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم على عدوه وعلى سائر أهل الارض هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق أى بالعلم النافع والعمل الصالح فان الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعى صحيح والعمل الشرعى مقبول فاخبارها حق وانشاآتها عدل ليظهره على الدين كله أى على أهل جميع الاديان من سائر أهل الارض من عرب وعجم ومسلمين ومشركين وكفى بالله شهيدا أى انه رسوله وهو ناصره والله سبحانه وتعالى أعلم (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء (٢٦٦) بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) يخبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم انه رسوله حقا بلا شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على اصحابه رضى الله عنهم فقال والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال عز وجل فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهذه صفة المؤمنين ان يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار رحيما برا بالاخيار غضوبا عبوسا فى وجه الكافر ضحوكا بشوشا فى وجه اخيه المؤمن كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وقال النبى صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا من
وشبك صلى الله عليه وسلم بين اصابعه كلا الحديثين فى الصحيح وقوله سبحانه وتعالى تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الاعمال ووصفهم بالاخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الاولى كما قال جل وعلا ورضوان من الله أكبر وقوله جل جلاله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى

المؤمنين بالمقاتلة وقال أبو عمرو بايديهم فى تركهم لها وبايدى المؤمنين فى اجلائهم عنها والجملة مستأنفة لبيان مافعلوه أو فى محل نصب على الحال (فاعتبروا يا أولى الابصار) أى اتعظوا وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم يا أهل العقول والبصائر قال الواحدى ومعنى الاعتبار النظر فى الامور ليعرف بها شئ آخر من جنسها قال النسفى وهو دليل على جواز القياس انتهى والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شئ الى شئ ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمى علم التعبير لان صاحبه ينقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى من لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينقل بواسطة عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيرى الاعتبار هو النظر فى حقائق الاشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شئ آخر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه مع الاهل والولد وقضى به عليهم (لعذبهم) بالقتل والسبى (فى الدنيا) كما فعل ببنى قريظة والجلاء مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلاء وأجلاه غيره اجلاء والفرق بين الجلاء والاخراج وان كان معناهما فى الابعاد واحدا من جهتين احداهما أن الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد الثانى ان الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج يكون لجماعة ولواحد كذا قال الماوردى (ولهم فى الآخرة عذاب النار) مستأنفة غير متعلقة بجواب لولا متضمنة لبيان ما يحصل لهم فى الآخرة من العذاب وان نجوا من عذاب الدنيا (ذلك) أى ما تقدم ذكره من الجلاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (بانهم شاقوا الله ورسوله) أى بسبب المشاقة منهم لله ولرسوله لعدم الطاعة والميل مع الكفار ونقض العهد (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) اقتصر ههنا على مشاقة الله لان مشاقته مشاقة لرسوله قرأ الجمهور يشاق بالادغام وقرئ يشاقق بالفك (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) قال مجاهد ان بعض المهاجرين وقعوا فى قطع النخل فنهاهم بعضهم وقالوا انما هى مغانم المسلمين وقال الذين قطعوا بل هو غيظ للعدو فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطع النخل وتحليل من قطعه من الاثم فقال ما قطعتم من لينة قال قتادة والضحاك انهم قطعوا

الله عنهم ماسيماهم فى وجوههم يعنى السمت الحسن وقال مجاهد وغير واحد يعنى الخشوع والتواضع وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا حسين الجعفى عن زائدة عن منصور عن مجاهد سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال الخشوع قلت ما كنت أراه الا هذا الاثر فى الوجه فقال ربما كان بين عينى من هو أقسى قلبا من فرعون وقال السدى الصلاة تحسن وجوههم وقال بعض السلف من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقد أسنده ابن ماجه فى سننه عن اسمعيل بن محمد الطلحى عن ثابت بن موسى عن شريك عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر (٢٦٧) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار والصحيح انه موقوف وقال بعضهم ان للحسنة لنورا فى القلب وضياء فى الوجه وسعة فى الرزق ومحبة فى قلوب الناس وقال أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه والغرض ان الشئ الكامن فى النفس يظهر على صفحات الوجه فالمؤمن اذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمود بن محمد المروزى حدثنا حامد بن آدم المروزى حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عبد الله العزرمى عن سلمة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أسر أحد سريرة الا ألبسه الله تعالى رداءها ان خيرا فخير وان شرا فشر العزرمى متروك وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة يخرج عمله للناس كائنا ما كان وقال الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا زهير حدثنا قابوس بن أبى ظبيان ان أباه حدثه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزأ من النبوة ورواه أبو داود عن عبد الله بن محمد النفيلى عن زهير به فالصحابة رضى الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر اليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم وقال مالك رضى الله عنه بلغنى ان النصارى

من نخيلهم وأحرقوا ست نخلات وقال محمد بن اسحق انهم أحرقوا النخلة وقطعوا النخلة فقال بنو النضير وهم أهل الكتاب يا محمد ألست تزعم انك نبى تريد الصلاح أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر وهل وجدت فيما أنزل عليك اباحة الفساد فى الارض فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجد المسلمون فى أنفسهم فنزلت الآية ومعنى الآية أى شئ قطعتم من ذلك أو تركتم فباذن الله والضمير فى تركتموها عائد الى ما لتفسيرها باللينة وكذا فى قوله قائمة على أصولها ومعنى على أصولها انها باقية على ما هى عليه واختلاف المفسرون فى تفسير اللينة فقال الزهرى ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل انها النخل كله الا العجوة وقال مجاهد انها النخل كله ولم يستثن عجوة ولا غيرها وقال الثورى هى كرام النخل وقال أبو عبيدة انها جميع ألوان التمر سوى العجوة والبرنى وقال جعفر بن محمد انها العجوة خاصة وقيل هى ضرب من النخل يقال لثمره اللون تمره أجود التمر وقال الاصمعى هى الدقل وأصل اللينة لونة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وجمع اللينة لين وقيل ليان وقرأ ابن مسعود ولا تركتم قوما على أصولها أى قائمة على سوقها وقرئ على أصلها وقائما على أصوله وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان رضى الله تعالى عنه

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

فأنزل الله ما قطعتم الآية وأخرج الترمذى وحسنه والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى الآية قال اللينة النخلة قال استنزلوهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحك فى صدورهم فقال المسلمون قد قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر وهل علينا فيما تركنا من وزر فأنزل الله ما قطعتم من لينة الآية وفى الباب أحاديث والكلام فى صلح بنى النضير مبسوط فى كتب السير (وليخزى الفاسقين) أى ليذل الخارجين عن الطاعة وهم اليهود ويغيظهم فى قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى أموالهم كيف شاؤا من القطع والترك ازدادوا غيظا قال الزجاج وليخزى الفاسقين بأن يريهم أموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا من قطع وترك والتقدير وليخزى الفاسقين أذن فى ذلك يدل على المحذوف قوله فباذن الله وقد

كانوا اذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فى ذلك فان هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة واعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والاخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا ذلك مثلهم فى التوراة ثم قال ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه أى فراخه فآزره أى شده فاستغلظ أى شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع أى فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمة الله عليه فى رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضى الله عنهم قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك والاحاديث فى فضل الصحابة رضى الله عنهم والنهى عن التعرض بمساويهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم ثم قال تبارك وتعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم من هذه لبيان الجنس مغفرة أى لذنوبهم وأجرا عظيما أى ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل وكل من اقتفى أثر الصحابة رضى الله عنهم فهو فى حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لا يلحقهم فيه أحد من هذه الامة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل قال مسلم فى صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد احدهم ولا نصيفه آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحجرات وهى مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) هذه آداب أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول

استدل بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لا بأس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها وعلى جواز الاجتهاد وعلى تصويب المجتهدين والبحث مستوفى فى كتب الاصول (وما أفاء الله على رسوله منهم) أى ما رده عليه من أموال الكفار يقال فاء يفىء اذا رجع والضمير فى منهم راجع الى بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) يقال وجف الفرس والبعير يجف وجفا وهو سرعة السير وأوجفه صاحبه اذا حمله على السير السريع وما فى ما أوجفتم نافية والفاء جواب الشرط ان كانت ما فى ما أفاء الله شرطية وان كانت موصولة فالفاء زائدة ومن فى من خيل زائدة للتأكيد والركاب ما يركب من الابل خاصة قال الرازى العرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى ان ما رد الله على رسوله من أموال بنى النضير لم تركبوا لتحصيله خيلا ولا ابلا ولم تقطعوا اليها مسافة ولا تجشمتم لها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فجعل الله سبحانه أموال بنى النضير لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة لهذا السبب فانه افتتحها صلحا وأخذ أموالها وقد كان يسأله المسلمون ان يقسم لهم فنزلت الآية أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله وعن ابن عباس قال جعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها قال والايجاف ان يوضعوا السير وهى لرسول الله فكان من ذلك خيبر وفدك وقرى عرينة وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعمد لينبع فأتاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحتواها كلها فقال ناس هلا قسمها فأنزل الله عذره فقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية وفى الكرخى وهذا وان كان كالغنيمة لانهم خرجوا أياما وقاتلوا وصالحوا لكن لقلة تعبهم أجراه الله تعالى مجرى الفىء (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أى سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائه تسليطا غير معتاد من غير أن يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب وفى هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام فقال تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تسرعوا في الاشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الامور حتى يدخل في عموم هذا الادب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم فان لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم فان لم تجد قال رضي الله عنه أجتهد رأيي فضرب في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه فالغرض منه انه أخر رأيه ونظره واجتهاده الى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة وقال العوفي عنه نهوا ان يتكلموا بين يدي كلامه وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه وقال الضحاك لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم وقال سفيان الثوري لا تقدموا بين يدي الله ورسوله بقول ولا فعل وقال الحسن البصري لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال لا تدعوا قبل الامام وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا وكذا لوضع كذا فكره الله تعالى ذلك وتقدم فيه واتقوا الله أي فيما أمركم به ان الله سميع أي لأقوالكم عليم بنياتكم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين ان لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته وقد روي انها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن صفوان اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالاقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ما أردت الا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما عند ذلك فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا

صلى الله عليه وآله وسلم دون أصحابه لكونهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب بل مشوا اليها مشيا (والله على كل شيء قدير) يسلط من يشاء على من أراد ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه في الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان يقسمه (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) هذا بيان لمصارف الفيء بعد بيان انه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة والتكرير لقصد التقرير والتأكيد ووضع أهل القرى موضع منهم أي من بني النضير للاشعار بان هذا الحكم لا يختص ببني النضير وحدهم بل هو حكم على كل قرية يفتحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلحا ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب قيل والمراد بالقرى بنو النضير وقريظة وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع وقد تكلم أهل العلم في هذه الآية والتي قبلها هل معناهما متفق أو مختلف فقيل متفق كما ذكرنا وقيل مختلف وفي ذلك كلام طويل لأهل العلم قال ابن العربي لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث آيات أما الآية الاولى وهي قوله وما أفاء الله على رسوله منهم فهي خاصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالصة له وهي أموال بني النضير وما كان مثلها وأما الآية الثانية وهي ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فهذا كلام مبتدأ غير الاول لمستحق غير الاول وان اشتركت هي والاولى في ان كل واحدة منهما تضمنت شيئا أفاءه الله على رسوله واقتضت الآية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت آية الانفال وهي الآية الثالثة انه حاصل بقتال وعريت الآية الثانية وهي ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى عن ذكر حصوله بقتال أو بغير قتال فنشأ الخلاف من ههنا فطائفة قالت هي ملحقة بالاولى وهي مال الصلح وطائفة قالت هي ملحقة بالثالثة وهي آية الانفال والذين قالوا انها ملحقة بآية الانفال اختلفوا هل هي منسوخة أو محكمة هذا حاصل كلامه وقال مالك ان الآية الاولى من هذه السورة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم والآية الثانية هي في بني قريظة ويعني ان معناها يعود الى آية الانفال ومذهب الشافعي ان سبيل خمس الفيء سبيل خمس الغنيمة وان أربعة أخماسه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعده لمصالح المسلمين (فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) المراد بقوله لله انه يحكم فيه بما يشاء وللرسول يكون

يجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون قال ابن الزبير رضي الله عنهما فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر رضي الله عنه انفرد به دون مسلم ثم قال البخاري حدثنا حسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة ان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أخبره انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه أمر القعقاع بن معبد وقال عمر رضي الله عنه بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر رضي الله (٢٧٠) عنهما أردت الا خلافي فقال عمر رضي الله عنه ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت الآية ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم الآية وهكذا رواه ههنا منفردا به أيضا وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا اسحق بن منصور حدثنا حصين بن عمر عن مخارق عن طارق ابن شهاب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي قلت يا رسول الله والله لا أكلمك الا كأخي السرار حصين بن عمر هذا وان كان ضعيفا لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد اخبرنا ابن عون حدثنا أبو موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله فهو من أهل

ملكه ولذي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم قد منعوا من الصدقة فجعل لهم حقا في الفيء وقيل تكون القسمة في هذا المال على ان تكون أربعة أخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسه يقسم أخماسا للرسول خمس ولكل صنف من الاصناف الاربعة المذكورة خمس وقيل يقسم أسداسا السادس سهم الله سبحانه ويصرف الى وجوه القرب كعمارة المساجد ونحو ذلك وعن ابن عباس قال كان ما أفاء الله على رسوله من خيبر نصف لله ورسوله والنصف الآخر للمسلمين فكان الذي لله ورسوله من ذلك الكتيبة (١) والوطيح والسلالم ووحدوه وكان الذي للمسلمين الشق والشق ثلاثة عشر سهما ونطاة خمسة أسهم ولم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر لأحد من المسلمين الالمن شهد الحديبية ولم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين تخلف عنه عند مخرجه الحديبية ان يشهد معه خيبر الاجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري وأخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفايا في النضير وخيبر وفدك فأما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه وأما فدك فكان لابن السبيل وأما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء قسم منها جزأين بين المسلمين وحبس جزأ لنفسه ولنفقة أهله فما فضل عن نفقة أهله رده على فقراء المهاجرين قال البقاعي ومن زعم ان شيأ مما في هذه السورة نسخ بشيء مما في سورة الانفال فقد أخطأ لان الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة (كيلا يكون) الفيء (دولة بين الاغنياء منكم) دون الفقراء والدولة اسم لشيء يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة قال مقاتل المعنى انه يغلب الاغنياء الفقراء فيقسمونه بينهم قرأ الجمهور يكون بالتحتية ودولة بالنصب وقرئ بالفوقية ودولة بالرفع أي كيلا تقع أو توجد دولة وكان تامة وقرأ الجمهور دولة بضم الدال وقرئ بفتحها قال عيسى بن عمرو يونس والاصمعي هما لغتان بمعنى واحد وقال أبو عمرو بن العلاء الدولة بالفتح الذي يتداول من الاموال وبالضم الفعل وكذا قال أبو عبيدة وجمع المفتوح دول مثل قصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف وقيل بالضم في المال وبالفتح في الحرب ودالت الايام تدول مثل دارت الايام تدور وزنا ومعنى وقيل بالفتح من الملك بضم الميم وبالضم من الملك بكسر الميم قال عمر بن الخطاب ما على وجه الارض مسلم الا وله حق في هذا الفيء الا ما ملكت ايمانكم ثم لما بين سبحانه مصارف هذا المال

امرهم

(١) الكتيبة موضع والوطيح كشريف حصن بخيبر والسلالم كعلابط ايضا حصن والشق بكسر الشين المعجمة موضع بخيبر او واد به ويفتح أو الصواب الفتح في اللغة وزاد في منتهى الارب اوقلعة من قلاع خيبر ونطاة بفتح النون والطاء المهملة بلا لام خيبر أو عين بها او حصن بها اوجاها كذا في القاموس وأما وحدوه فلم اقف عليه وما في القاموس فهو وحدوداء موضع بلاد عذرة والوحيده من اعراض المدينة بينها وبين مكة والوحدان ارض اهـ سيد ذو الفقار أحمد

النار فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انه قال كذا وكذا فقال موسى فرجع اليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى قوله وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من اهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا (٢٧١) ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم اليه فقالوا له تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه بما قال فقال صلى الله عليه وسلم لا بل هو من أهل الجنة قال أنس رضي الله عنه فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم انه من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه فقال بئسما تعودون اقرانكم فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى آخر الآية جلس ثابت رضي الله عنه في بيته قال انا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى فقال سعد رضي الله عنه انه لجاري وما علمت له بشكوى قال فأتاه سعد رضي الله عنه فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت رضي الله عنه أنزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من اهل النار فذكر ذلك سعد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة ثم رواه مسلم عن احمد بن سعيد الدارمي عن حبان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به قال ولم يذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه بنحوه وقال ليس فيه ذكر سعد بن معاذ

أمرهم بالاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم فقال (وما آتاكم الرسول) أي ما أعطاكم من مال الغنيمة والفيء (فخذوه وما نهاكم عنه) أي عن أخذه (فانتهوا) عنه ولا تأخذوه قال الحسن والسدي ما أعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما أعطاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم من معصيتي فاجتنبوه والحق ان هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر أو نهي أو قول أو فعل وان كان السبب خاصا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا اياه وأوصله الينا وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها قال الماوردي انه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لا يأمر الا باصلاح ولا ينهى الا عن فساد قال المهدوي هذا يوجب ان كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى وان كانت الآية خاصة في الغنائم فجميع أوامره ونواهيه داخلة فيها ذكره القرطبي أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال لعن الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت اليه فقالت بلغني انك لعنت كيت وكيت قال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في كتاب الله قالت لقد قرأت ما بين الدفتين فما وجدت فيه شيئا من هذا قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه ثم لما أمرهم بأخذ ما أمرهم بأخذه الرسول وترك ما نهاهم عنه أمرهم بتقواه وخوفهم شدة عقوبته فقال (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فهو معاقب من لم يأخذ ما آتاه الرسول ولم يترك ما نهاه عنه عن أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن والاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو نحو ذلك وفي الباب أحاديث ثم بين من له الحق في الفيء فقال (للفقراء) قيل بدل من لذي القربى وما عطف عليه قاله أبو البقاء ومقتضاه اشتراط الفقر فيه وهو مذهب الامام أبي حنيفة ومن ثم جعله الزمخشري كذلك وأطال الكلام فيه ولا يصح أن يكون بدلا من الرسول وما بعده لئلا يستلزم وصف الرسول صلى الله عليه

رضي الله عنه حدثني هيثم بن عبد الاعلى الاسدى حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت ابي يذكر عن انس رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية فاقتص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه وزاد فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من أهل الجنة فهذه الطرق الثلاث معللة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه والصحيح ان حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ رضي الله عنه موجودا لانه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل سنة خمس وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم والوفود تواتروا في سنة تسع من الهجرة

والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو ثابت ابن ثابت بن قيس بن شماس حدثني عمي اسمعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول قال قعد ثابت بن قيس رضي الله عنه في الطريق يبكي قال فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف ان تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت قال فمضى عاصم بن عدي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن ابي ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربته بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأتى عاصم رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم رضي الله عنه الى المكان فلم يجده فجاء الى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرجا فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال رضي الله عنه أنا صيت وأتخوف ان تكون هذه الآية نزلت في لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى

وسلم بالفقراء وقيل التقدير لكيلا يكون دولة ولكن يكون للفقراء وقيل التقدير اعجبوا للفقراء وبه فسر الحلي وهو موافق لمذهب امامه الشافعي وأصحابه من الاستحقاق بالقرابة ولم يشترط الحاجة فاشتراطها وعدم اعتبار القرابة يضاده ويخالفه ولان الآية نص في ثبوت الاستحقاق تشريفا لهم فمن علله بالحاجة فوت هذا المعنى والذي يؤيد تقدير فعل التعجب كما ذكره أبو البقاء وتبعه الكواشي مجيء قوله ألم تر الى الذين نافقوا يقولون الآيات مصدرا بألم تر وهي كلمة تعجيب لكون ذكرهم جاء مقابلا لذكر أضدادهم وقيل التقدير والله شديد العقاب للفقراء أي للكفار بسبب الفقراء وقيل هو عطف على ما مضى بتقدير الواو كما تقول المال لزيد لعمرو لبكر (المهاجرين) أي الذين هاجروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة في الدين ونصرة له قال قتادة هؤلاء المهاجرون هم الذين تركوا الديار والاموال والاهلين كما قال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) أي حيث أخرجهم كفار مكة منها واضطروهم الى الخروج وكانوا مائة رجل قال النسفي وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لان الله سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار وأموال (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي حال كونهم يطلبون منه ان يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا وبالرضوان في الآخرة (وينصرون الله ورسوله) بالجهاد للكفار بانفسهم وأموالهم والمراد نصر دينه واعلاء كلمته وهذا حال مقدرة أي ناوين نصرتهما اذ وقت خروجهم لم تكن نصرتهما بالفعل (أولئك) المتصفون بتلك الصفات (هم الصادقون) أي الكاملون في الصدق الراسخون فيه قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها وعن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة يدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود ثم لما فرغ من مدحهم مدح الانصار بخصال حميدة فقال (والذين تبوؤا الدار والايمان) وهو كلام مستأنف والمراد بالدار المدينة وهي دار الهجرة ومعنى تبوئهم اياهما انهم اتخذوهما مباءة أي تمكنوا منهما تمكنا شديدا

الآية وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك فقد نهى الله عزوجل عن رفع الاصوات بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روينا عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال أتدريان أين أنتما ثم قال من أين أنتما قالا من أهل الطائف فقال لو كنتما من اهل المدينة لأوجعتكما ضربا وقال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لانه محترم حيا وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائما ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه (٢٧٣) ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ولهذا قال تبارك وتعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض كما قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقوله عزوجل ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون اى انما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية ان يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد ما بين السماء والارض ثم ندب الله تعالى الى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وارشد اليه ورغب فيه فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا لهم مغفرة وأجر عظيم وقد قال الامام أحمد في كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كتب الى عمر يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر رضي الله عنه ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) ثم انه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الاعراب فقال أكثرهم لا يعقلون ثم أرشد تعالى الى الادب

شديدا والتبوؤ في الاصل انما يكون للمكان ولكنه جعل الايمان مثله لتمكنهم فيه تنزيلا للحال منزلة المحل وقيل التقدير واعتقدوا الايمان أو أخلصوا الايمان كذا قال أبو علي الفارسي أو تبوؤا الدار وموضع الايمان ويجوز أن يكون تبوؤا ضمنا معنى لزموا أي لزموا الدار والايمان ومعنى (من قبلهم) أسلموا في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل هجرة المهاجرين وقبل قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنتين فلا بد من تقدير مضاف لان الانصار انما آمنوا بعد ايمان المهاجرين وقيل من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوئ الدار وقد أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالانصار الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (يحبون من هاجر اليهم) وذلك انهم أحسنوا الى المهاجرين وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم (ولا يجدون) أي لا يجد الانصار (في صدورهم حاجة) أي حسدا وغيظا وحزازة(١) فالمراد بالحاجة هذه المعاني واطلاق لفظ الحاجة عليها من اطلاق الملزوم على اللازم على سبيل الكناية لان هذه المعاني لا تنفك عن الحاجة غالبا وفي الكلام مضاف محذوف أي لا يجدون في صدورهم مس حاجة أو أثر حاجة وكل ما يجده الانسان في صدره مما يحتاج اليه فهو حاجة (مما أوتوا) أي مما أوتي المهاجرون دونهم من الفيء بل طابت أنفسهم بذلك وكان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في أموالهم ثم قال ان أحببتم قسمت ما أفاء الله علي من بني النضير بينكم وبين المهاجرين وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم والمشاركة لكم في أموالكم وان أحببتم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت أنفسهم (ويؤثرون على أنفسهم) أي في كل شيء من أسباب المعاش والايثار تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الآخرة وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة والصبر على المشقة يقال آثره بكذا أي خصصته به وفضلته والمعنى ويقدمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا (ولو كان بهم خصاصة) أي حاجة وفقر والخصاصة

(١) حزازة بفتح الحاء المهملة والزاءين المعجمتين بينهما ألف أصله مرض في القلب ويكنى به عما يضمره الانسان من الغيظ والعداوة وهو المراد هنا والحسد تمني زوال النعمة والغبطة تمني مثلها من غير ان تزول اه سيد ذو الفقار أحمد

في ذلك فقال عز وجل ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم الى التوبة والانابة والله غفور رحيم وقد ذكر انها نزلت في الاقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الاقرع بن حابس رضي الله عنه انه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله ان حمدي لزين وان ذمي لشين فقال ذاك الله عز وجل وقال ابن جرير حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن (٢٧٤) ابي اسحق عن البراء في قوله تبارك وتعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان حمدي زين وذمي شين فقال صلى الله عليه وسلم ذاك الله عز وجل وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلا وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت في قومك بني تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال أما انه لو علم بآخر الآية أجابه يمنون عليك ان أسلموا قالوا أسلمنا ولم يباطئك بنو أسد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي الباهلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود الطائي يحدث عن أبي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال اجتمع ناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يا محمد يا محمد فأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذني فمدها فجعل يقول لقد صدق الله تعالى قولك يا زيد لقد صدق الله قولك يا زيد ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله

مأخوذة من خصاص البيت وهي الفروج التي تكون فيه وقيل مأخوذة من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة الانفراد بالحاجة أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيأ فقال ألا رجل يضيفه هذه الليلة رحمه الله فقال رجل من الانصار وفي رواية فقال أبو طلحة الانصاري أنا يا رسول الله فذهب به الى أهله فقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تدخريه شيأ قالت والله ما عندي الا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت ثم غدا الضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله الليلة من فلان وفلانة وأنزل الله فيهما هذه الآية وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال اهدي الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس شاة فقال ان أخي فلان وعياله أحوج الى هذا فبعث به اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت الى الاول فنزلت فيهم هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) قرأ الجمهور يوق بسكون الواو وتخفيف القاف من الوقاية وقرئ بفتح الواو وتشديد القاف وقرؤا شح بضم الشين وقرئ بكسرها وهذا كلام عام ومن شرطية ويوق فعل الشرط والشح البخل مع الحرص كذا في الصحاح وقيل الشح أشد من البخل قال مقاتل شح نفسه حرص نفسه قال سعيد بن جبير شح النفس هو أخذ الحرام ومنع الزكاة قال ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عنه ولم يمنع شيأ أمره الله بادائه فقد وقي شح نفسه قال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح أن يشح بما في أيدي الناس يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحلال والحرام لا يقنع وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم (فأولئك هم المفلحون) جزاء الشرط المتقدم وفيه رعاية معنى من بعد رعاية لفظها والفلاح الفوز والظفر بكل مطلوب أي الفائزون بما أرادوا والظاهر من الآية ان الفلاح مترتب على عدم شح النفس بشئ من الاشياء التي يقبح الشح بها شرعا من زكاة أو صدقة أو صلة رحم أو نحو ذلك كما تفيده اضافة الشح الى النفس عن ابن مسعود ان رجلا قال اني أخاف ان أكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني سمعت الله يقول ومن يوق

عليم حكيم) يأمر تعالى بالتثبت فى خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون فى نفس الامر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عزوجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه فى نفس الامر وقبلها آخرون لانا انما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لانه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسئلة فى كتاب العلم من شرح البخارى ولله تعالى الحمد والمنة وقد ذكر كثير من المفسرين ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على (٢٧٥) صدقات بنى المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الامام أحمد فى مسنده من رواية مالك عن ابن المصطلق وهو الحرث بن ضرار ابن أبى ضرار والد جويرية بنت الحرث أم المؤمنين رضى الله عنها قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثنى أبى انه سمع الحرث بن ضرار الخزاعى رضى الله عنه يقول قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى الى الاسلام فدخلت فيه وأقررت به ودعانى الى الزكاة فاقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع فادعوهم الى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته وترسل الى يا رسول الله رسولا ابان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحرث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه احتبس عليه الرسول فلم يأته وظن الحرث انه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لى وقتا يرسل الى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ولا أرى حبس رسوله الا من سخطة فانطلقوا بنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى الحرث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما ان سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الحرث منعنى الزكاة وأراد قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث البعث الى الحرث رضى الله عنه وأقبل الحرث باصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحرث فقالوا هذا الحرث فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا

شح نفسه فاولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج منى شئ فقال له ابن مسعود ليس ذلك بالشح ولكنه البخل ولا خير فى البخل وان الشح الذى ذكره الله فى القرآن ان تأكل مال أخيك ظلما وعن ابن عمر فى الآية قال ليس الشح ان يمنع الرجل ماله ولكنه البخل وانه لشر انما الشح أن تطمح عين الرجل الى ما ليس له وعن على بن أبى طالب قال من أدى زكاة ماله فقد وقى شح نفسه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محق الاسلام محق الشح شئ قط أخرجه أبو يعلى وابن مردويه وأخرج أحمد والبخارى فى الادب ومسلم والبيهقى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد ابدا رواه النسائى وفى الجامع الصغير الشحيح لا يدخل الجنة رواه الخطيب فى كتاب البخلاء عن ابن عمر وقد وردت أحاديث فى ذم الشح كثيرة ثم لما فرغ سبحانه من الثناء على المهاجرين والانصار ذكر ما ينبغى ان يقوله من جاء بعدهم فقال (والذين جاؤا من بعدهم) وهم التابعون باحسان الى يوم القيامة وقيل هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام والظاهر شمول الآية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتأخر اسلامهم فى عصر النبوة ومن تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوة الى يوم القيامة لانه يصدق على الكل انهم جاؤا بعد المهاجرين الاولين والانصار عن سعد بن أبى وقاص قال الناس على ثلاث منازل قد مضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما أنتم كائنون عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التى بقيت ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم الآية

(يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) المراد بالاخوة هنا اخوة الدين أمرهم الله ان يستغفروا لانفسهم ولمن تقدمهم من المهاجرين والانصار قال فى المصباح الاخ لامه محذوفة وهى واو وترد فى التثنية على الاشهر فيقال اخوان وفى لغة يستعمل منقوصا فيقال اخان وجمعه اخوة واخوان بكسر الهمزة فيهما وضمها لغة وقيل جمعه بالواو والنون وعلى آخاء وزان آباء أقل والانثى أخت وجمعها اخوات وهو جمع مؤنث سالم

(ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى غشا وحقدا وبغضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله قال رضي الله عنه لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته ولا أتاني فلما دخل الحرث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منعت الزكاة وأردت قتل رسولي قال لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت الا حين احتبس على رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ الى قوله حكيم ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به (٢٧٦) ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير انه سماه الحرث بن سرار والصواب انه الحرث بن ضرار كما تقدم وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله قالت فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت الينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم انه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضي الله عنه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط الى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد انهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك غضبا شديدا فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم اذ أتاه الوفد فقالوا يا رسول الله انا حدثنا ان رسولك رجع من نصف

رحيم) أي كثير الرأفة والرحمة بليغهما لمن يستحق ذلك من عبادك أمر الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والانصار ان يطلبوا من الله سبحانه ان ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الاطلاق فيدخل في ذلك الصحابة دخولا أوليا لكونهم أشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية فان وجد في قلبه غلا لهم فقد أصابه نزغ الشيطان وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه صلى الله عليه وسلم وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم ان لم يتدارك نفسه باللجاء الى الله سبحانه والاستغاثة به بان ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون وأشرف هذه الامة فان جاوز ما يجده من الغل الى شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه وهذا الداء العضال انما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة أو صاحب من أعداء خير الامة الذين تلاعب بهم الشيطان وزين لهم الاكاذيب المختلقة والاقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنقولة الينا بروايات الائمة الاكابر في كل عصر من العصور فاشتروا الضلالة بالهدى واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة الى منزلة ومن رتبة الى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين وسعوا في كيد الاسلام وأهله كل السعي ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر والله من ورائهم محيط قالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الآية أمروا ان يستغفروا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وطلحة والزبير قال أقول ما قولنيه الله وتلا هذه الآية وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر انه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه للفقراء المهاجرين ثم قال هؤلاء المهاجرون أفمنهم أنت قال لا ثم قرأ عليه والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية ثم قال هؤلاء الانصار أفأنت منهم قال لا ثم قرأ عليه والذين جاؤا من بعدهم الآية ثم قال أفمن هؤلاء أنت قال أرجو قال ليس من هؤلاء من سب هؤلاء ولما فرغ سبحانه من ذكر الطبقات الثلاث من المؤمنين ذكر ما جرى بين المنافقين واليهود من المقاولة لتعجيب

المؤمنين

المؤمنين من حالهم فقال (ألم تر الى الذين نافقوا) هم عبد الله بن أبي وأصحابه وقال ابن عباس ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن نبتل وأوس بن قيظي واخوانهم بنو النضير والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له (يقولون لاخوانهم) اللام لام التبليغ (الذين كفروا من أهل الكتاب) مستأنفة لبيان المتعجب منه والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة أو للدلالة على الاستمرار وجعلهم اخوانا لهم لكون الكفر قد جمعهم وان اختلف نوع كفرهم فهم اخوان في الكفر وقيل هو من قول بني النضير لبني قريظة والاول أولى لان بني النضير وبني قريظة هم يهود والمنافقون غيرهم (لئن أخرجتم) اللام هي الموطئة للقسم وتسمى المؤذنة أيضا أي والله لئن أخرجتم من دياركم (لنخرجن معكم) من ديارنا في صحبتكم وهذا جواب القسم (ولا نطيع فيكم) أي في شأنكم ومن أجلكم (أحدا) ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم وان طال الزمان وهو معنى قوله (أبدا) وهو ظرف للنفي لا للمنفي ثم لما وعدوهم بالخروج معهم وعدوهم بالنصرة لهم فقالوا (وان قوتلتم) حذف منه اللام الموطئة وهو قليل في كلام العرب والكثير اثباتها (لننصرنكم) على عدوكم ثم كذبهم الله سبحانه فقال (والله يشهد انهم لكاذبون) فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصر لهم وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب ووقع كما أخبر وهذا مبني على تقدم نزول الآية على الواقعة وعليه يدل النظم فان كلمة ان للاستقبال واعجاز القرآن من حيث الاخبار عن الغيب عن ابن عباس قال ان رهطا من بني عوف بن الحرث منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة بن مالك وسويد وداعس بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لا نسلمكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل الا الحلقة ففعل فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام ثم لما أجمل سبحانه كذبهم فيما وعدوا به فصل ما كذبوا فيه فقال (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) هذا تكذيب للمقالة الاولى وقوله (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) تكذيب للمقالة الثالثة وأما الثانية فلم يذكر لها تكذيب في التفصيل وقد

الطريق وانا خشينا ان ما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله وان النبي صلى الله عليه وسلم استغشهم وهم بهم فانزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الى آخر الآية وقال مجاهد وقتادة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى بني المصطلق يتصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال ان بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة وانهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه اليهم وأمره ان يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاؤا أخبروا خالدا رضي الله عنه انهم مستمسكون بالاسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فانزل الله تعالى هذه الآية قال قتادة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التثبت من الله والعجلة من الشيطان وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل ابن حيان وغيرهم في هذه الآية انها نزلت في الوليد بن عقبة والله أعلم وقوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله أي اعلموا ان بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لامره فانه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لانفسكم كما قال تبارك وتعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة الى مراعاة مصالحهم فقال لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لادى ذلك الى عنتكم وحرجكم كما قال سبحانه وتعالى ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون وقوله عز وجل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم أي حببه الى نفوسكم وحسنه في قلوبكم قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا علي بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاسلام علانية والايمان في القلب قال ثم يشير بيده الى صدره ثلاث مرات ثم يقول التقوى ههنا ههنا وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أي وبغض اليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان وهي جميع المعاصي وهذا تدريج لكمال النعمة وقوله تعالى

أولئك هم الراشدون أى المتصفون بهذه الصفة هـم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم قال الامام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكى عن أبى رفاعة الزرقى عن أبيه قال لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استووا حتى أثنى على ربى عز وجل فصاروا خلفه صفوفا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم انى أسألك

النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول اللهم انى أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف اللهم انى عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب اله الحق ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان ابن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به وفى الحديث المرفوع من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ثم قال فضلا من الله ونعمة أى هذا العطاء الذى منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه والله عليم حكيم أى عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (وان طائفتان من

كان الامر كذلك فان المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود وهم بنو النضير ومن معهم ولم ينصروا من قوتل من اليهود وهم بنو قريظة وأهل خيبر (ولئن نصروهم) أى جاؤا (١) لنصرهم قاله المحلى أو لو قدر وجود نصرهم اياهم لان ما نفاه الله لا يجوز وجوده قال الزجاج معناه لو قصدوا نصر اليهود وهذا من تمام تكذيبهم فى المقالة الثالثة (ليولن (٢) الادبار) منهزمين (ثم لا ينصرون) يعنى اليهود ولا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم وهم المنافقون وقيل يعنى لا يصير المنافقون منصورين بعد ذلك بل يذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم وقيل معنى الآية لا ينصرونهم طائعين ولئن نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم والاول أولى ويكون من باب قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم) أى لانتم يا معاشر المسلمين أشد خوفا وخشية فى صدور المنافقين أو صدور اليهود أو صدور الجميع (من الله) أى من رهبة الله والرهبة هنا بمعنى المرهوبية لانها مصدر من المبنى للمفعول وفيه دلالة على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم منه (ذلك بانهم قوم لا يفقهون) أى ما ذكر من الرهبة الموصوفة بسبب عدم فقههم بشئ من الاشياء ولو كان لهم فقه لعلموا ان الله سبحانه هو الذى سلطكم عليهم فهو أحق بالرهبة منه دونكم ثم أخبر سبحانه بمزيد فشلهم وضعف نكايتهم فقال (لا يقاتلونكم جميعا) يعنى لا يبرز اليهود والمنافقون مجتمعين لقتالكم ولا يقدرون على ذلك (الا فى قرى محصنة) بالدروب (٣) والدور والخنادق (أو من وراء جدر) أى من خلف الحيطان التى يستترون بها لجبنهم ورهبتهم قرأ الجمهور جدر بالجمع وقرئ جدار بالافراد واختار الاولى أبو عبيد وأبو حاتم لانها موافقة لقوله قرى محصنة وهما سبعيتان وقرئ جدر بفتح الجيم واسكان الدال وهى لغة فى الجدار (بأسهم بينهم شديد) أى بعضهم فظ غليظ على بعض وقلوبهم مختلفة ونياتهم متباينة قال السدى المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد وقال مجاهد بأسهم بينهم شديد بالكلام والوعيد لنفعلن كذا والمعنى انهم اذا انفردوا نسبوا أنفسهم الى الشدة والبأس واذا لاقوا عدوا ذلوا وخضعوا وانهزموا وقيل المعنى ان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم بالنسبة اليكم لما قذف الله فى قلوبهم من الرعب والاول أولى

(١) أى خرجوا القصد نصرهم ولا يلزم من خروجهم لذلك نصرهم بالفعل فلا يرد كيف قال أولا وان قوتلوا لا ينصرونهم وقال ثانيا ولئن نصروهم فنفى النصرة أولا وأثبتها ثانيا ولا يرد أيضا كيف قال ولئن نصروهم وقال ليولن الادبار وكيف ينصرونهم ويولوا الادبار اذ مقتضى النصرة الثبات وعدم الهزيمة فأشار الجلال المحلى لدفع هذين الايرادين بقوله أى جاؤا لنصرهم وبعضهم أشار للدفع بقوله ولئن نصروهم أى على سبيل الفرض والتقدير كما هو مفاد قول المؤلف العلامة لو قدر وجود نصرهم اه سيدذو الفقار أحمد (٢) الضمير فى هذا الفعل لليهود كالضمير فى قوله ثم لا ينصرون هذا ما جرى عليه الجلال وقيل الضميران للمنافقين وقيل كل منهما لمجموع اليهود والمنافقين معا اه سيدذو الفقار أحمد (٣) جمع درب وهو الباب الكبير اه

المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) يقول تعالى آمرا بالاصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فسماهم مؤمنين مع الاقتتال وبهذا استدل البخاري وغيره على انه لا يخرج عن الايمان بالمعصية وان عظمت لا كما تقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكرة رضي الله (٢٧٩) عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فجعل ينظر اليه مرة والى الناس أخرى ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله تعالى ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قال صلى الله عليه وسلم أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والوقعات المهولة وقوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله أي حتى ترجع الى أمر الله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما قلت يارسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما قال صلى الله عليه وسلم تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه وقال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر قال سمعت أبي يحدث ان أنسا رضي الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك قال فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انه أنزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ورواه البخاري في الصلح عن مسدد ومسلم في المغازي عن محمد بن عبد الاعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه وذكر سعيد ابن جبير ان الاوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال فانزل الله تعالى هذه الآية فامر بالصلح بينهما وقال السدي كان

لقوله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) فانه يدل على ان اجتماعهم انما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن وهذا التخالف هو البأس الذي بينهم الموصوف بالشدة والجملة حالية أو مستأنفة للاخبار بذلك والعامة على أن شتى بلا تنوين لانها ألف تأنيث ومعنى شتى متفرقة قال مجاهد يعني اليهود والمنافقين تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى أي لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم وروى عنه أيضا انه قال المراد المنافقون وقال الثوري هم المشركون وأهل الكتاب قال قتادة تحسبهم جميعا أي مجتمعين على أمر ورأي وقلوبهم متفرقة فأهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة أهواؤهم وهم يجتمعون في عداوة أهل الحق وقرأ ابن مسعود وقلوبهم أشت أي أشد اختلافا قال ابن عباس في الآية هم المشركون وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك بانهم) أي ذلك الاختلاف والتشتت بسبب انهم (قوم لا يعقلون) شيأ مما فيه صلاحهم فان تشتيت القلوب يوهن قواهم ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه (كمثل) أي ان مثل المنافقين واليهود أي بني النضير كمثل (الذين من قبلهم) من كفار المشركين وأهل مكة (قريبا) يعني في زمان قريب وقيل يشبهونهم في زمن قريب وقيل العامل فيه (ذاقوا) أي ذاقوا في زمن قريب اي بين وقعة بدر ووقعة بني النضير نحو سنة ونصف لانها كانت في ربيع الاول من الرابعة وبدر كانت في رمضان من الثانية (وبال أمرهم) أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا بقتلهم يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر قاله مجاهد وغيره وقيل المراد بنو النضير حيث أمكن الله منهم قاله قتادة وقيل قتل بني قريظة قاله الضحاك وقيل هو عام في كل من انتقم الله منه بسبب كفره والاول أولى ولهم مع ذلك (عذاب أليم) في الآخرة ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلا آخر فقال (كمثل الشيطان) وقيل المثل الاول خاص باليهود والثاني بالمنافقين أي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال أو تخاذلهم وعدم تناصرهم كمثل الشيطان والمراد به حقيقته لا شيطان الانس وقيل الثاني بيان للاول ثم بين سبحانه وجه الشبه فقال (اذ قال للانسان اكفر) أي أغراه بالكفر وزينه له وحمله عليه والمراد بالانسان هنا جنس من أطاع الشيطان من نوع الانسان كما قال مجاهد المراد بالانسان هنا جميع الناس في غرور الشيطان اياهم وقيل هو أبو جهل وقيل هو عابد كان في بني اسرائيل

رجل من الانصار يقال له عمران كانت له امرأة تدعى أم زيد وان المرأة أرادت ان تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها فى علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها وان المرأة بعثت الى اهلها فجاء قومها وانزلوها لينطلقوا بها وان الرجل قد كان خرج فاستعان اهل الرجل فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين اهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم وفاؤا الى الله تعالى وقوله عز وجل فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين اى اعدلوا بينهما فيما كان اصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل ان الله يحب المقسطين قال ابن ابى حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد ابن أبى بكر المقدمى حدثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدى الرحمن عز وجل بما اقسطوا فى الدنيا ورواه النسائى عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى به وهذا اسناد جيد قوى رجاله على شرط الصحيح وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن اوس عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون فى حكمهم واهاليهم وما ولوا ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به وقوله تعالى انما المؤمنون اخوة اى الجميع اخوة فى الدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وفى الصحيح والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه وفى الصحيح ايضا اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله والاحاديث فى هذا كثيرة وفى الصحيح مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفى الصحيح ايضا المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وقال احمد حدثنا احمد بن الحجاج حدثنا عبد الله اخبرنا مصعب بن ثابت حدثنى ابو حازم قال سمعت سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن من اهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لاهل الايمان كما يألم الجسد لما فى الرأس تفرد به أحمد

تكنى

حمله الشيطان على الكفر فأطاعه وهو برصيصا والاول أولى عن على بن أبى طالب ان رجلا كان يتعبد فى صومعة وان امرأة كان لها اخوة فعرض لها شئ فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها فحملت فجاءه الشيطان فقال اقتلها فانهم ان ظهروا عليك افتضحت فقتلها ودفنها فجاؤه فأخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون اذ جاءه الشيطان فقال انى أنا الذى زينت لك فاسجد لى سجدة انجيك فسجد له فذلك قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآية اخرجه احمد فى الزهد والبخارى فى تاريخه والحاكم وصححه والبيهقى وغيرهم قلت وهذا لا يدل على ان هذا الانسان هو المقصود بالآية بل يدل على انه من جملة من تصدق عليه وقد اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عباس باطول من هذا وليس فيه ما يدل على انه المقصود بالآية واخرجه بنحوه ابن جرير عن ابن مسعود وعنه قال ضرب الله مثل الكفار والمنافقين الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر (فلما كفر) اى الانسان مطاوعة للشيطان وقبولا لتزيينه (قال) الشيطان (انى برئ منك) ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة يتبرأ منه مخافة ان يشاركه فى العذاب كما ينبئ عنه قوله (انى أخاف الله رب العالمين) وان أريد به أبو جهل فقوله اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برئ منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله الآية وهذا تعليل لبراءته من الانسان بعد كفره قيل وليس قول الشيطان انى اخاف الله على حقيقته انما هو على وجه التبرى من الانسان كذبا ورياء والا فهو لا يخاف الله فهو تأكيد لقوله انى برئ منك قرئ انى باسكان الياء وبفتحها (فكان عاقبتهما انهما فى النار) اى فكان عاقبة الشيطان وذلك الانسان الذى كفر انهما صائران الى النار (خالدين فيها) وقرئ خالدان على انه خبر أن (وذلك) اى الخلود فى النار (جزاء الظالمين) ويدخل هؤلاء فيهم دخولا اوليا ثم رجع سبحانه الى خطاب المؤمنين بالموعظة الحسنة لان الموعظة بعد المصيبة أوقع فى النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى اتقوا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى لتنظر أى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة والعرب

ولا بأس باسناده وقوله تعالى فأصلحوا بين أخويكم يعني الفئتين المقتتلتين واتقوا الله أي في جميع أموركم لعلكم ترحمون وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكبر بطر الحق وغمص الناس ويروى وغمط الناس والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم (٢٨١) وهذا حرام فانه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب اليه من الساخر منه المحتقر له ولهذا قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء وقوله تبارك وتعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا تلمزوا الناس والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى ويل لكل همزة لمزة والهمز بالفعل واللمز بالقول كما قال عز وجل هماز مشاء بنميم أي يحتقر الناس ويهمزهم طاغيا عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهو اللمز بالمقال ولهذا قال ههنا ولا تلمزوا أنفسكم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان ولا تلمزوا أنفسكم لا يطعن بعضكم على بعض وقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب أي لا تداعوا بالالقاب وهي التي يسوء الشخص سماعها قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا داود بن أبي هند عن

الشعبي قال حدثني أبو جبيرة بن الضحاك قال فينا نزلت في بني سلمة ولا تنابزوا بالالقاب قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فكان اذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يا رسول الله انه يغضب من هذا فنزلت ولا تنابزوا بالالقاب ورواه أبو داود عن موسى بن اسماعيل عن وهيب عن داود به وقوله جل وعلا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أي بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالالقاب كما كان أهل الجاهلية يتعاطون بعد ما دخلتم في الاسلام وعقلتموه ومن لم يتب أي من هذا فأولئك هم الظالمون (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله

تكنى عن الزمان المستقبل بالغد وهو في الاصل عبارة عن يوم بينك وبينه ليلة وانما أطلق اسم الغد على يوم القيامة تقريبا له كقوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر فكأنه لقربه شبه بما ليس بينك وبينه الا ليلة واحدة أو لان الدنيا أي زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما باحكام وأحوال متشابهة وتعقيب الثاني للاول فلفظ الغد حينئذ استعارة وفائدة تنكير النفس بيان ان الانفس الناظرة في معادها قليلة جدا كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك وأين تلك النفس وفائدة تنكير الغد تعظيمه وابهام أمره كأنه قيل لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله فالتنكير فيه للتعظيم وفي النفس للتقليل أو للتعريض بغفلة كلهم عن هذا النظر الواجب أفاده الكرخي (واتقوا الله) كرر الامر بالتقوى للتأكيد أو الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل فان ما قدمت لغد عبارة عن اعمال الخير والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله (ان الله خبير بما تعملون) ورجح هذا الوجه بفضل التأسيس على التأكيد وأنت خبير بان التقوى تشمل كليهما فانها على ما مر في أول البقرة هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك ولا وجه للتوزيع بل المقام مقام الاهتمام بامر التقوى فالتأكيد أولى وأقوى ذكره الكرخي والمعنى لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أي تركوا أمره وطاعته أو ما قدروه حق قدره أو لم يخافوه أو جميع ذلك (فأنساهم أنفسهم) أي جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له فلم يشتغلوا بالاعمال التي تنجيهم من عذاب الله ولم يكفوا عن المعاصي التي توقعهم فيه ففي الكلام مضاف محذوف أي أنساهم حظوظ أنفسهم أو تقديم خير لانفسهم قال سفيان نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم وقيل نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم ان يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة ونسب الله تعالى الفعل الى نفسه في أنساهم ايذانا بان ذلك بسبب أمره ونهيه كقوله أحمدت الرجل اذا وجدته محمودا وأصل نسوا نسيوا يقال نسي ينسى كرضي يرضى (أولئك هم الفاسقون) أي الكاملون في الخروج عن طاعة الله (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) في الفضل والرتبة

تواب رحيم) يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله لأن بعض ذلك يكون إثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها في الخير محملا وقال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر ابن محمد بن سليمان الحمصي حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي قيس النصري حدثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة (٢٨٢) ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه وقال مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن العتبي ثلاثتهم عن مالك به وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام رواه مسلم والترمذي وصححه من حديث سفيان بن عيينة به وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي العدوي حدثنا بكر بن عبد الوهاب المدني حدثنا إسماعيل ابن قيس الأنصاري حدثني عبد الله بن محمد بن أبي الرجال عن أبيه عن جده حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لازمات لأمتي الطيرة والحسد وسوء الظن فقال رجل وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه قال صلى الله عليه وسلم إذا حسدت فاستغفر الله وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض وقال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد رضي الله عنه قال أتي ابن مسعود رضي الله عنه برجل فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضي الله عنه إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به سماه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي

والمراد الفريقان على العموم فيدخل في فريق أهل النار من نسي الله منهم دخولا أوليا ويدخل في فريق أهل الجنة الذين اتقوا دخولا أوليا لأن السياق فيهم وقد تقدم الكلام في معنى مثل هذه الآية في سورة المائدة وفي سورة السجدة وفي سورة ص وفيه مزيد الترغيب فيما يزلفهم إلى الله ويدخلهم دار كرامته ويجعلهم من أصحابها ومن ثم دق ولطف استدلال الشافعية بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وحسن كلام القاضي حيث قال لا يستوي الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوا نفوسهم أي استعملوها في المهنة والشهوات فاستحقوا النار قاله الكرخي ثم أخبر سبحانه وتعالى عن أصحاب الجنة بعد نفي التساوي بينهم وبين أهل النار فقال (أصحاب الجنة هم الفائزون) أي الظافرون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه وفي الآية تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الأليم مع أصحاب النار فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه ولما فرغ سبحانه من ذكر أهل الجنة وأهل النار وبين عدم التساوي بينهم في شيء من الأشياء ذكر تعظيم كتابه الكريم وأخبر عن جلالته وأنه حقيق بأن تخشع له القلوب وترق له الأفئدة فقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) أي من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه وقوة مبانيه وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض وجعل فيه تمييز كالإنسان على قساوته ثم أنزلنا عليه القرآن (لرأيته) مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم (خاشعا متصدعا) أي متشققا (من خشية الله) سبحانه حذرا من عقابه وخوفا من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله وهذا تمثيل وتخييل يقتضي علو شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب قال ابن عباس في الآية يقول لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل وحملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع والخاشع الذليل المتواضع وعن علي وابن مسعود مرفوعا في الآية قال هي رقية الصداع ورواه الديلمي بإسنادين لا ندري كيف رجالهما وأخرج الخطيب في تاريخه بإسناده إلى إدريس بن عبد

الكريم

معيط وقال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا ليث عن ابراهيم بن نشيط الخولانى عن كعب بن علقمة عن أبى الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال قلت لعقبة ان لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم قال لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم قال ففعل فلم ينتهوا قال فجاءه دجين فقال انى نهيتهم فلم ينتهوا وانى داع لهم الشرط فتأخذهم فقال له عقبة ويحك لا تفعل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيى موؤدة من قبرها ورواه أبو داود والنسائى من حديث الليث بن سعد به نحوه وقال سفيان الثورى عن راشد بن سعد عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت (٢٨٣) النبى صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم فقال أبو الدرداء رضى الله عنه كلمة سمعها معاوية رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها ورواه أبو داود منفردا به من حديث الثورى به وقال أبو داود أيضا حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمى حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الاسود والمقدام بن معدى كرب وأبى امامة رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الامير اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم ولا تجسسوا أى على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق فى الشر ومنه الجاسوس واما التحسس فيكون غالبا فى الخير كما قال عز وجل اخبارا عن يعقوب انه قال يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله وقد يستعمل كل منهما فى الشر كما ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

الكريم الحداد مسلسلا الى ابن مسعود مرفوعا قال الذهبى هو باطل قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت ولتصدع من نزوله عليه وقد أنزلناه عليك وثبتناك له وقويناك عليه فيكون على هذا من باب الامتنان على النبى صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه ثبته لما لا تثبت له الجبال الرواسى وقيل الخطاب للأمة (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ وينزجروا بالزواجر وفيه توبيخ وتقريع للكفار حيث لم يخشعوا للقرآن ولا اتعظوا بمواعظه ولا انزجروا بزواجره ثم أخبر سبحانه بربوبيته وعظمته فقال (هو) أى الذى وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شئ يستحق الوصف بهو غيره لانه الموجود دائما أزلا وأبدا فهو حاضر فى كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشيته ولما عبر عنه بأخص أسمائه أخبر عنه لطفا بنا وتنزيلا لنا بأشهرها الذى هو مسمى الاسماء كلها بقوله (الله) أى المعبود الذى لا تنبغى العبادة والالوهية الا له (الذى لا اله الا هو) فانه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شئ (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ما غاب عن الاحساس وما حضر وقيل عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقيل الآخرة والدنيا وقيل المعدوم والموجود وقدم الغيب على الشهادة لكونه متقدما وجودا (هو الرحمن الرحيم) قد تقدم تفسير هذين الاسمين (هو الله الذى لا اله الا هو) كرره للتأكيد والتقرير لكون التوحيد حقيقا بذلك (الملك) الذى لا يزول ملكه المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى الطاهر من كل عيب المنزه عن كل نقص وقيل هو الذى كثرت بركته والقدس بالتحريك فى لغة أهل الحجاز (١) السطل لانه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الاوانى التى يستخرج بها الماء قرأ الجمهور القدوس بضم القاف وقرئ بفتحها وكان سيبويه يقول سبوح قدوس بفتح أولهما وحكى أبو حاتم عن يعقوب انه سمع عند الكسائى اعرابيا فصيحا يقرأ القدوس بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان (السلام) قال ابن العربى اتفق العلماء على ان معنى قولنا فى الله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا فى ترجمة النسبة على ثلاثة أقوال (٢) الاول معناه الذى سلم من كل عيب

(١) السطل والسيطل كحيدر طسيسة لها عروة ج سطول أو السيطل الطست وليس بالسطل المعروف اه قاموس

(٢) فان قلت على تفسير السلام بالسلامة من النقائص لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان كونه قدوسا اشارة الى براءته من جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما ذكره الخازن اه سيد ذو الفقار أحمد

قال لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال الاوزاعي التجسس البحث عن الشيء والتحسس الاستماع الى حديث القوم وهم له كارهون ان يستمع على أبوابهم والتدابر الصرم رواه ابن أبي حاتم عنه وقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ما الغيبة قال صلى الله عليه وسلم ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول قال صلى الله (٢٨٤) عليه وسلم ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة عن العلاء وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ومسروق وقتادة وأبو اسحق ومعاوية بن قرة وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني علي بن الاقمر عن أبي حذيفة عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال عن مسدد تعني قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال صلى الله عليه وسلم ما أحب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع ثلاثتهم عن سفيان الثوري عن علي بن الاقمر عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب الارحبي عن عائشة رضي الله عنها به وقال حسن صحيح وقال ابن جرير حدثني ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا حسان بن المخارق ان امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضي الله عنها بيدها الى النبي صلى الله عليه وسلم أي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها والغيبة محرمة بالاجماع ولا يستثنى من ذلك الا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله صلى الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر ائذنوا له بئس أخو العشيرة وكقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم أما معاوية فصعلوك وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وكذا ما جرى مجرى ذلك ثم بقيتها على التحريم الشديد

وبرئ من كل نقص الثاني معناه ذو السلام أي المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم الثالث ان معناه الذي سلم الخلق من ظلمه وهذا قول الخطابي وبه قال الاكثر وعليه والذي قبله يكون صفة فعل وعلى انه البرئ من العيوب والنقائص يكون صفة ذات وقيل السلام معناه المسلم لعباده وهو مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) أي الذي وهب لعباده الامن من عذابه وقيل المصدق لرسوله باظهار المعجزات وقيل المصدق للمؤمنين بما وعدهم به من الثواب والمصدق للكافرين بما أوعدهم به من العذاب وقيل المؤمن الذي يأمن أولياؤه من عذابه ويأمن عباده من ظلمه يقال آمنه من الامان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى وآمنهم من خوف فهو مؤمن وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقرأ الجمهور المؤمن بكسر الميم اسم فاعل من آمن بمعنى أمن وقرئ بفتحها بمعنى المؤمن به على الحذف كقوله واختار موسى قومه وقال أبو حاتم لا تجوز هذه القراءة لان معناه انه كان خائفا فأمنه غيره (المهيمن) من هيمن يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء أي الشهيد على عباده باعمالهم الرقيب عليهم كذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل قال الواحدي وذهب كثير من المفسرين الى ان أصله مؤيمن من آمن يؤمن فيكون بمعنى المؤمن والاول أولى وقيل القائم على خلقه برزقه وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو الامين والمؤتمن وقيل هو العلي وقيل اسم من أسماء الله وهو أعلم بتأويله وقد قدمنا الكلام على المهيمن في سورة المائدة (العزيز) الذي لا يوجد له نظير وقيل القاهر وقيل الغالب غير المغلوب وقيل القوي (الجبار) جبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات والعرب تسمي الملك الجبار ويجوز ان يكون من جبر اذا اغنى الفقير وأصلح الكسير وعلى هذا هو صفة فعل أو من جبره على كذا اذا أكرهه على ما أراده فهو الذي جبر خلقه على ما أراده منهم وبه قال السدي ومقاتل واختاره الزجاج والفراء قال هو من أجبره على الامر أي قهره قال ولم أسمع فعالا من أفعل الا في جبار من أجبر ودراك من أدرك قلت وانه يستعمل ثلاثيا أيضا وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته وقيل هو القهار الذي اذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبر في صفة الله مدح وفي صفة الناس ذم (المتكبر) أي الذي تكبر عن كل نقص وتعظم عما لا يليق به وأصل التكبر الامتناع وعدم الانقياد والكبر في

صفات

وقد وردفيها الزجر الأكيد ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الانسان الميت كما قال عزوجل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه أى كما تكرهون هذا فاكرهوا ذاك شرعا فان عقوبته أشد من هذا وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال صلى الله عليه وسلم فى العائد فى هبته كالكلب يقيء ثم يرجع فى قيئه وقد قال ليس لنا مثل السوء وثبت فى الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه انه صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة حجة الوداع ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا وقال أبوداود حدثنا (٢٨٥) واصل بن عبد الاعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ورواه الترمذى عن عبد الله بن أسباط بن محمد عن أبيه به وقال حسن غريب وحدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر ابن عياش عن الاعمش عن سعيد ابن عبد الله بن جريج عن أبى برزة البلوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته تفرد به أبو داود وقد روى من حديث البراء ابن عازب فقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا ابراهيم بن دينار حدثنا أصعب بن سلام عن حمزة ابن حبيب الزيات عن أبى اسحق السبيعى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى بيوتها أو قال فى خدورها فقال يامعشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته طريق أخرى عن ابن عمر قال أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلى حدثنا عبد الله بن ماجه حدثنا يحيى بن أكثم حدثنا الفضل بن موسى الشيبانى عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عورات المسلمين فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف

صفات الله مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة والعز والكبرياء فان أظهر ذلك كان ذلك ضم كمال الى كمال وفى صفات المخلوقين ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكذب كان كاذبا فى فعله فكان مذموما فى حق الناس قال قتادة هو الذى تكبر عن كل سوء قال ابن الانبارى المتكبر ذو الكبرياء وهو الملك وقيل هو الذى تكبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجلاله وجماله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده ثم نزه سبحانه نفسه الكريمة عن شرك المشركين فقال (سبحان الله عما يشركون) أى عما يشركونه أو عن اشراكهم به (هو الله الخالق) أصل الخلق التقدير يقال خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته له أى المقدر للاشياء ولما يوجده على مقتضى ارادته ومشيئته وهذا يرجع الى صفة الارادة وتعلقها التنجيزى القديم (البارئ) أى المنشئ المبدع المخترع للاشياء والاعيان الموجد لها والمبرز من العدم الى الوجود فيرجع لتأثير القدرة الحادث لكن فى خصوص الاعيان وقيل المميز لبعضها من بعض (المصور) أى الموجد للصور المركب لها على هيآت مختلفة فالتصوير آخرا والتقدير أولا والبرء بينهما أو تابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل وقرأ حاطب بن أبى بلتعة الصحابى المصور بفتح الواو ونصب الراء على انه مفعول به للبارى أى الذى برأ المصور أى ميزه (له الاسماء الحسنى) قد تقدم بيانها والكلام فيها عند تفسير قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والحسنى مؤنث الاحسن الذى هو أفعل تفضيل لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء ففى القاموس ولا تقل رجل أحسن فى مقابلة امرأة حسناء وعكسه غلام أمرد ولا يقال جارية مرداء وانما يقال هو الاحسن على ارادة أفعل التفضيل وجمعه أحاسن والحسنى بالضم ضد السوأى قال الزمخشرى ولله الاسماء الحسنى التى هى أحسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك ووصف الجمع الذى لا يعقل بما يوصف به الواحدة كقوله ولى فيها مآرب أخرى وهو فصيح ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب الحسن على وزن الأخر كقوله فعدة من أيام أخر لان جمع ما لا يعقل يخبر عنه ويوصف بجمع المؤنثات وان كان المفرد مذكرا (يسبح له ما فى السموات والارض) أى ينطق بتنزيهه بلسان الحال أو المقال كل ما فيهما (وهو العزيز الحكيم) أى الغالب لغيره الذى لا يغالبه

رحله قال ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك قال أبو داود حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية عن أبي ثوبان عن أبيه عن مكحول عن وقاص بن ربيعة عن المسور أنه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكل برجل مسلم أكلة فان الله يطعمه مثلها في جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثله في جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فان الله تعالى يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة تفرد به أبو داود وحدثنا ابن المصفى حدثنا بقية وأبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم تفرد به أبو داود وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة أخبرنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العمي أخبرنا أبو هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك قال ثم انطلق بي الى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون الى عرض جنب أحدهم فيأخذون منه الجذوة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدهم فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد وهو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة فيقال أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه هكذا أورد هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان ذكر ولله الحمد والمنة وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ان يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ظللت منذ اليوم صائما فأذن لي فأفطر فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول الله ان امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فأذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صامتا وكيف يصوم

مغالب الحكيم في كل الامور التي يقضي بها عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا اذا أوى الى فراشه ان يقرأ آخر سورة الحشر وقال ان مت مت شهيدا أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة وابن مردويه وعن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ثم قرأ آخر سورة الحشر بعث الله سبعين ملكا يطردون عنه شياطين الانس والجن ان كان ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي أخرجه ابن مردويه وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة أخرجه البيهقي والدارمي وأحمد والطبراني وابن الضريس والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته أوجب الله له الجنة أخرجه البيهقي في الشعب وابن عدي وابن مردويه والخطيب

(سورة الممتحنة هي ثلاث عشرة آية وهي مدنية)

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله والممتحنة بكسر الحاء اسم فاعل أي المختبرة أضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لكشفها عن عيوب المنافقين وعلى هذا فالاضافة بيانية أي السورة الممتحنة وقيل بفتح الحاء اسم مفعول اضافة الى المرأة التي نزلت فيها وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط لقوله سبحانه فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة ابراهيم بن عبد الرحمن وعلى هذا فليست الاضافة بيانية والمعنى سورة المرأة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) قال المفسرون نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وسيأتي

من ظل يأكل من لحوم الناس أذهب فرهما ان كانتا صائمتين ان يستقيا ففعلتا فقاءت كل واحدة منهما علقة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار اسناد ضعيف ومتن غريب وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هرون حدثنا سليمان التيمي قال سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ههنا امرأتين صامتا وانهما كادتا تموتان من العطش أراه قال بالهاجرة فأعرض عنه أو سكت عنه فقال يا نبي الله انهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان فقال ادعهما فجاءتا قال فجيء بقدح أو عس فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح ثم قال للأخرى قيئي فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما ودما عبيطا وغيره حتى ملأت القدح ثم قال ان هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس وهكذا قد رواه الامام أحمد عن يزيد بن هرون وابن أبي عدي كلاهما عن سليمان بن صوعان التيمي به مثله أو نحوه ثم رواه أيضا من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان ابن غياث حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم أمروا بصيام فجاء رجل في نصف النهار فقال يا رسول الله فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا ثم قال ادعهما فجاء بعس أو قدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت لحما ودما عبيطا وقيحا وقال للأخرى مثل ذلك ثم قال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما أتت احداهما للأخرى فلم يزالا يأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا قال البيهقي كذا قال عن سعد والأول وهو عبيد أصح وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عمرو ابن الضحاك بن مخلد حدثنا أبي أبو عاصم حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير عن عم لأبي هريرة ان ماعزا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد زنيت فأعرض عنه حتى قالها أربعا فلما كان في الخامسة قال زنيت قال نعم وتدري ما الزنا قال نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا قال ما تريد الى هذا القول قال أريد أن تطهرني قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والعصا في البئر قال نعم يا رسول الله قال فأمر برجمه فرجم فسمع النبي

ذكر القصة وأضاف سبحانه العدو الى نفسه تعظيما لجرمهم وتغليظا فيه والعدو وصف يطلق على الواحد والاثنين والجماعة والآية تدل على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان (تلقون اليهم بالمودة) أي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة أو هي سببية والمعنى تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وقال الزجاج تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم والجملة في محل نصب على الحال من ضمير تتخذوا ويجوز أن تكون مستأنفة لقصد الاخبار بما تضمنته أو لتفسير موالاتهم اياهم أو في محل نصب صفة لأولياء وجملة (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) في محل نصب على الحال من فاعل تلقون أو من فاعل لا تتخذوا ويجوز أن تكون مستأنفة لبيان حال الكفار قرأ الجمهور بما جاءكم بالموحدة وقرئ لما جاءكم باللام أي لأجل ما جاءكم من الحق على حذف المكفور به أي كفروا بالله والرسول لأجل ما جاءكم من الحق أي دين الاسلام والقرآن أو على جعل ما هو سبب للايمان سببا للكفر توبيخا لهم (يخرجون الرسول واياكم) مستأنفة لبيان كفرهم أو حالية وقدم الرسول عليهم تشريفا له وقد استدل به من يجوز انفصال الضمير مع القدرة على اتصاله اذ كان يجوز أن يقال يخرجونكم والرسول (ان تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للاخراج أي يخرجونكم لأجل ايمانكم أو كراهة ان تؤمنوا (ان كنتم خرجتم) من مكة (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) جواب الشرط محذوف أي ان كنتم كذلك فلا تلقوا اليهم بالمودة فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وانتصاب جهادا وابتغاء على العلة أي ان كنتم خرجتم للجهاد في سبيلي ولأجل ابتغاء مرضاتي أو حال كونكم مجاهدين ومبتغين (تسرون اليهم بالمودة) مستأنفة للتقريع والتوبيخ أي تسرون اليهم الأخبار بسبب المودة وقيل هي بدل من قوله تلقون ثم أخبر سبحانه بأنه لا يخفى عليه من أحوالهم شيء فقال (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي بما أضمرتم في صدوركم وما أظهرتم وأعلنتم بألسنتكم والجملة في محل نصب على الحال والباء في بما زائدة يقال علمت كذا وعلمت بكذا هذا على ان أعلم مضارع وقيل هو أفعل تفضيل أي أعلم من كل واحد بما تخفون وما تعلنون (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار فقال اين فلان وفلان انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار قالا غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا قال صلى الله عليه وسلم فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه والذي نفسي بيده انه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها. اسناد صحيح وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون الناس طريق أخرى قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا ابراهيم بن الاشعث حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان ابن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان نفرا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح وربما قال فلذلك هاجت هذه الريح وقال السدي في قوله تعالى أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا زعم ان سلمان الفارسي رضي الله عنه كان مع رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما وان سلمان رضي الله عنه لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان رضي الله عنه نائما لم يسر معهم فجعل صاحباه يكلمانه فلم يجداه فضربا الخباء فقالا ما يريد سلمان أو هذا العبد شيأ غير هذا ان يجيء الى طعام مقدور وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما اداما فانطلق فأتى رسول الله صلى الله عليه فاتوني-
وسلم ومعه قدح له فقال يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم ان كان عندك قال صلى الله عليه وسلم ما يصنع أصحابك بالادم قد ائتدموا فرجع سلمان رضي الله عنه يخبرهما بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا لا والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما قال ونزلت أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا انه كان نائما وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختار من طريق حسان بن

أي من يفعل ذلك الاتخاذ لعدوي وعدوكم أولياء ويلقي اليهم بالمودة فقد أخطأ طريق الحق والصواب وضل عن قصد السبيل (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء) أي ان يلقوكم ويصادفوكم يظهروا لكم ما في قلوبهم من العداوة ومنه المثاقفة وهي طلب مصادفة الغرة في المسابقة يقال ثقفت الشئ ثقفا من باب تعب أخذته وثقفت الرجل في الحرب أدركته وثقفته ظفرت به وثقفت الحديث فهمته بسرعة والفاعل ثقيف وقيل المعنى ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم والمعنيان متقاربان (ويبسطوا اليكم أيديهم) بالضرب ونحوه (وألسنتهم بالسوء) أي بالسب والشتم (وودوا لو تكفرون) معطوف على جواب الشرط أو على جملة الشرط والجزاء ورجحه أبو حيان على غيره من الاحتمالات والمعنى انهم تمنوا ارتدادكم وودوا رجوعكم الى الكفر (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) أي لا ينفعكم القرابات على عمومها ولا الاولاد وخصهم بالذكر مع دخولهم في الارحام لمزيد المحبة لهم والحنو عليهم والمعنى ان هؤلاء لا ينفعونكم شيأ يوم القيامة حتى توالوا الكفار لاجلهم كما وقع في قصة حاطب بن أبي بلتعة بل الذي ينفعكم ما أمركم الله به من معاداة الكفار وترك موالاتهم وجملة (يوم القيامة يفصل بينكم) مستأنفة لبيان عدم نفع الارحام والاولاد في ذلك اليوم والمعنى يفرق بينكم فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار وقيل المراد بالفصل بينهم انه يفر كل واحد منهم من الآخر من شدة الهول كما في قوله يوم يفر المرء من أخيه الآية ويجوز أن يتعلق يوم القيامة بما قبله أي لن ينفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة فيوقف على يوم القيامة ويبتدأ بقوله يفصل بينكم والاولى ان يتعلق يوم القيامة بما بعده كما ذكرنا قرأ الجمهور يفصل بالتخفيف وبضم الياء وفتح الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة أبو عبيد وقرئ بفتح الياء وكسر الصاد مبنيا للفاعل وقرئ بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة من التفصيل وقرئ بضم الياء وكسر الصاد مخففة وقرئ بالنون وكلها سبعية (والله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم فهو مجازيكم على ذلك وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن علي بن أبي طالب قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها

هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعاما فقالا ان هذا لنؤوم فايقظاه فقالا له ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يقرآنك السلام ويستأدمانك فقال صلى الله عليه وسلم انهما قد ائتدما فجاآ فقالا يا رسول الله بأي شيء ائتدمنا فقال صلى الله عليه وسلم بلحم أخيكما والذي نفسي بيده اني لأرى لحمه بين ثناياكما فقالا رضي الله عنهما استغفر لنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم مراه فليستغفر لكما وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا قال فيأكله ويكلح ويصيح غريب جدا وقوله عز وجل واتقوا الله أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه ان الله تواب رحيم أي تواب على من تاب اليه رحيم لمن رجع اليه واعتمد عليه قال الجمهور من العلماء طريق المغتاب للناس في توبته ان يقلع عن ذلك ويعزم على ان لا يعود وهل يشترط الندم على ما فات فيه نزاع وان يتحلل من الذي اغتابه وقال

آخرون لا يشترط ان يتحلله فانه اذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما اذا لم يعلم بما كان منه فطريقه اذن ان يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها وان يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته فتكون تلك بتلك كما قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا يحيى بن أيوب عن أيوب عن عبد الله بن سلمان ان اسمعيل بن يحيى المعافري اخبره ان سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله تعالى اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مؤمنا بشيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الله وهو ابن المبارك به بنحوه وقال أبو داود أيضا حدثنا اسحق بن الصباح حدثنا ابن أبي مريم اخبرنا الليث حدثني يحيى بن سليم انه سمع اسمعيل بن بشير يقول سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الانصاري رضي الله عنهما يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله تعالى في مواطن يحب فيها نصرته وما من امرئ ينصر امرأ مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله عز وجل في مواطن يحب فيها نصرته تفرد به أبو داود (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) يقول تعالى مخبرا للناس انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا وهي أعم من القبائل وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما ان الأسباط بطون بني اسرائيل وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب الاشباه لأبي عمر بن عبد البر ومن كتاب القصد والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء عليهما السلام سواء

فأتوني به فخرجنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجي الكتاب قالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا حاطب قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع اليهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر دعني أضرب عنقه فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ونزلت هذه الآية وفي الباب أحاديث مسندة ومرسلة متضمنة لبيان هذه القصة وان هذه الآيات الى قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم نازلة في ذلك ولما فرغ سبحانه من النهي عن موالاة المشركين والذم لمن وقع منه ذلك ضرب لهم ابراهيم مثلا حين تبرأ من قومه فقال

(قد كانت لكم أسوة حسنة) أي خصلة حميدة تقتدون بها يقال لي به اسوة في هذا الأمر أي اقتداء فارشدهم سبحانه الى الاقتداء بابراهيم في ذلك الا في استغفاره لأبيه قرأ الجمهور اسوة بكسر الهمزة وقرئ بضمها وهما لغتان وقراءتان سبعيتان وأصل الاسوة بالضم

وانما يتفاضلون بالامور الدينية وهى طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى بعد النهى عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضا منبها على تساويهم فى البشرية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أى ليحصل التعارف بينهم كل يرجع الى قبيلته وقال مجاهد فى قوله عز وجل لتعارفوا كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أى من قبيلة كذا وكذا وقال سفيان الثورى كانت حمير ينتسبون الى مخاليفها وكانت عرب الحجاز ينتسبون الى قبائلها وقد قال أبو عيسى الترمذى حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفى عن يزيد مولى المنبعث عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منسأة فى الاثر ثم قال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم أى انما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالاحساب وقد وردت الاحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخارى حدثنا محمد بن سلام حدثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبى سعيد رضى الله عنه عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم (٢٩٠) قال أكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبى الله بن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم قال فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا وقد رواه البخارى فى غير موضع من طرق عن عبدة ابن سليمان ورواه النسائى فى التفسير من حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمرى به حديث آخر قال مسلم رحمه الله حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم

والكسر القدوة ويقال هو أسوتك أى مثلك وأنت مثله (فى ابراهيم) أى فى أفعاله وأقواله وفى متعلقة باسوة ومنعه أبو البقاء أو بحسنة أو نعت ثان لاسوة أو حال من الضمير المستتر فى حسنة أو خبر لكان ولكم تبيين (والذين معه) هم أصحابه المؤمنون وقال ابن زيد هم الانبياء قال الفراء يقول أفلا تأسيت يا حاطب بابراهيم فتتبرأ من أهلك كما تبرأ ابراهيم من أبيه وقومه (اذ قالوا لقومهم) خبر كان أو متعلق بخبرها قالهما أبو البقاء ومن جوز فى كان ان تعمل فى الظرف علقه بها هذا ما فى السمين وقال الحفناوى الظرف بدل اشتمال من ابراهيم والذين معه وهذا أحسن الاعاريب المذكورة هنا والمعنى وقت قولهم لقومهم الكفار وقد كانوا أكثر من عدوكم وأقوى ولهم فيهم أرحام وقرابات ومع ذلك لم يبالوا بهم بل قالوا (انا برآء منكم) اى من دينكم جمع برىء مثل شريك جمع شركاء وظرفاء جمع ظريف قرأ الجمهور بضم الباء وفتح الراء وألف بين همزتين ككرماء فى كريم وقرئ بكسر الباء وفتح الراء ككرام فى كريم وبضم الباء وهمزة بعد ألف (ومما تعبدون من دون الله) وهى الاصنام (كفرنا بكم) أى بما آمنتم به من الاوثان أو بدينكم أو بافعالكم أى لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدا) أى هذا دأبنا معكم مادمتم على كفركم (حتى تؤمنوا بالله وحده)

ورواه ابن ماجه عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به حديث آخر وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن أبى هلال عن بكر عن أبى ذر رضى الله عنه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا ان تفضله بتقوى الله تفرد به أحمد رحمه الله حديث آخر وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن ابراهيم العسكرى حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة حدثنا عبيد بن حنين الطائى سمعت محمد بن حبيب بن خراش العنصرى يحدث عن أبيه رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلمون اخوة لا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى حديث آخر قال أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا أحمد بن يحيى الكوفى حدثنا الحسن بن الحسين حدثنا قيس يعنى ابن الربيع عن شبيب بن عرقدة عن المستظل بن حصين عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان ثم قال لا نعرفه عن حذيفة الا من هذا الوجه حديث آخر قال ابن أبى حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا القطان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الاركان

يجعن في يده فما وجد لها مناخا في المسجد حتى نزل صلى الله عليه وسلم على أيدي الرجال فخرج بها الى بطن المسيل فانيخت ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى واثنى عليه بما هو له اهل ثم قال يا أيها الناس ان الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله تعالى ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى ان الله عزوجل يقول يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال صلى الله عليه وسلم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وهكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك عن مخلد عن موسى بن عبيدة به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على ابن رباح عن عقبة ابن عامر رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان انسابكم هذه ليست بمنسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤه ليس لاحد على أحد فضل الا بدين وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة به ولفظه الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملؤه ان الله لا يسألكم عن احسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ان أكرمكم عند الله اتقاكم ليس هو في شيء من الكتب الستة من (٢٩١) هذا الوجه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة زوج درة بنت أبي لهب عن درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت قام رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يارسول الله أي الناس خير قال صلى الله عليه وسلم خير الناس اقراهم واتقاهم لله عزوجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الاسود عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط الا ذو تقى تفرد به أحمد وقوله تعالى ان الله عليم خبير أي عليم بكم خبير بأموركم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله وقد استدل بهذه الآية الكريمة وهذه الاحاديث الشريفة من ذهب من العلماء الى ان الكفاءة في النكاح لا تشترط ولا يشترط سوى الدين لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم وذهب الآخرون الى أدلة أخرى مذكورة في كتب الفقه وقد ذكرنا طرفا من ذلك في كتاب الاحكام ولله الحمد والمنة وقد روى الطبراني عن عبد الرحمن انه سمع رجلا من بني هاشم يقول انا أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال غيرك انا أولى به منك ولك منه نسبة

(قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) يقول تعالى منكرا على الاعراب الذين أول ما دخلوا في الاسلام ادعوا لانفسهم مقام الايمان ولم يتمكن الايمان في قلوبهم بعد قالت

وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فاذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة والبغضاء محبة (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) هو استثناء متصل من قوله في ابراهيم بتقدير مضاف محذوف ليصح الاستثناء أي قد كانت لكم أسوة حسنة في مقالات ابراهيم كلها الا قوله لابيه الخ أو من أسوة حسنة وصح ذلك لان القول من جملة الاسوة كأنه قيل قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم في جميع أقواله وأفعاله الا قوله لابيه وهذا عندي واضح غير محوج الى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء من الاتصال الذي هو أصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره أو من التبري والقطيعة التي ذكرت أي لم يواصله الا قوله ذكره هذا ابن عطية أو هو منقطع أي لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن فلا تأسوا به فتستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة وعدها اياه أو ان ذلك انما وقع منه لانه ظن انه قد أسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة براءة قال ابن عباس في الآية نهوا ان يتأسوا باستغفار ابراهيم لابيه وهو مشرك (وما أملك لك من الله من شيء) هذا من تمام القول المستثنى يعني ما أغنى عنك وما أدفع عنك من عذاب الله وثوابه شيأ والجملة في محل نصب على الحال من فاعل لاستغفرن فالاستثناء متوجه الى الاستغفار لا الى هذا القيد فانه اظهار للعجز وتفويض للامر الى الله وذلك من خصال الخير (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) هذا من دعاء ابراهيم واصحابه ومما فيه

الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقد استفيد من هذه الآية الكريمة ان الايمان أخص من الاسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان فترقى من الاعم الى الاخص ثم للاخص منه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهرى عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنه قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعط رجلا منهم شيأ فقال سعد رضى الله عنه يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيأ وهو مؤمن فقال النبى صلى الله عليه وسلم أو مسلم حتى أعادها سعد رضى الله عنه ثلاثا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول أو مسلم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لاعطى رجالا وأدع من هو أحب الى منهم فلم أعطه شيأ مخافة ان يكبوا فى النار على وجوههم أخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى به فقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم فدل على ان الايمان أخص من الاسلام وقد قررنا ذلك بادلته فى أول شرح كتاب الايمان من صحيح البخارى ولله الحمد والمنة ودل ذلك على ان ذلك الرجل كان مسلما ليس منافقا لانه تركه من العطاء ووكله الى ما هو فيه من الاسلام فدل هذا على ان هؤلاء الاعراب المذكورين فى هذه الآية ليسوا بمنافقين وانما هم مسلمون لم يستحكم الايمان فى

قلوبهم فادعوا لانفسهم مقاما أعلى مما وصلوا اليه فادبوا فى ذلك وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما وابراهيم النخعى وقتادة واختاره ابن جرير وانما قلنا هذا لان البخارى رحمه الله ذهب الى ان هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الايمان وليسوا كذلك وقد روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد انهم قالوا فى قوله تبارك وتعالى ولكن قولوا أسلمنا أى استسلمنا خوف القتل والسبى قال مجاهد نزلت فى بنى أسد بن خزيمة وقال قتادة نزلت فى قوم امتنوا بايمانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحيح الاول انهم قوم ادعوا لانفسهم مقام الايمان ولم يحصل لهم بعد فادبوا وأعلموا ان ذلك لم يصلوا اليه بعد ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون فى (ومن سورة براءة وانما قيل لهؤلاء تأديبا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم أى لم تصلوا الى حقيقة الايمان بعد ثم قال تعالى وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ أى لا ينقصكم من اجوركم شيأ كقوله عز وجل وما ألتناهم من عملهم من شئ وقوله تعالى ان الله غفور رحيم أى لمن تاب اليه وأناب وقوله تعالى انما المؤمنون أى انما المؤمنون الكمل الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا أى لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهى التصديق المحض وجاهدوا باموالهم

اسوة حسنة يقتدى به فيها وقيل هو تعليم للمؤمنين ان يقولوا هذا القول والتوكل هو تفويض الامور الى الله والانابة الرجوع والمصير المرجع وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) الظاهر انه دعاء متعدد لا ارتباط لكل بسابقه كالجمل المعدودة وليس هو ومابعده بدلا مما قبله كما قيل لعدم اتحاد المعنيين لا كلا ولا جزأ ولا ملابسة بينهما سوى الدعاء قال الزجاج لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنوا بذلك وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم ذلك وبه قال ابن عباس وقال أيضا لا تسلطهم علينا فيفتنونا (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز) أى الغالب الذى لا يغالب (الحكيم) ذو الحكمة البالغة فى ملكه وصنعه (لقد كان لكم فيهم) أى فى ابراهيم والذين معه فى التبرى من الكفار (اسوة) اى قدوة (حسنة) كرر هذا للمبالغة فى التحريض على الحكم والتأكيد على الائتساء بابراهيم وقومه ولهذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وقيل ان هذا نزل بعد الاولى بمدة قال ابن عباس اى فى صنيع ابراهيم كله الا فى الاستغفار لابيه وهو مشرك (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) اى ان هذه الاسوة انما تكون لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة او يطمع فى الخير من الله فى الدنيا والآخرة بدل اشتمال من كم باعادة الجار قال المحلى تبعا للكواشى وقال ابو حيان وغيره بدل (١) بعض من كل

---

(١) لان من اسم موصول يطلق على الذوات المتصفة بالرجاء من المخاطبين ولا شك ان ذلك لبعض المخاطبين لكنه لابد من ضمير فى بدل البعض وتقديره لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر منكم والذى هو منهم بعضهم وقد شرط فى بدل الاشتمال أن لا يكون بعضا فانهم جعلوا ضابط الاشتمال أن يكون بين البدل والمبدل منه ملابسة بغير الجزئية والكلية فحصل من ذلك التأكيد والتقريع مع الشمول والعموم ذكره الكرخى وقال أبو السعود بدل اشتمال من حيث ملاحظة صلة الموصول اما من حيث ملاحظته نفسه فهو بدل بعض كما قاله بعضهم وفائدة هذا البدل الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان كما ينبئ عنه قوله ومن يتول الخ فانه مما يتوعد بامثاله الكفرة اه سيد ذو الفقار أحمد

وأنفسهم فى سبيل الله اى وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم فى طاعة الله ورضوانه أولئك هم الصادقون أى فى قولهم اذا قالوا انهم مؤمنون لا كبعض الاعراب الذين ليس لهم من الايمان الا الكلمة الظاهرة وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثنا عمرو بن الحرث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذى يأمنه الناس على أموالهم وانفسهم والذى اذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل وقوله سبحانه وتعالى قل أتعلمون الله بدينكم أى أتخبرونه بما فى ضمائركم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض أى لا يخفى عليه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر والله بكل شئ عليم ثم قال تعالى يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم يعنى الاعراب الذين يمنون باسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ردا عليهم قل لا تمنوا على اسلامكم فان نفع ذلك انما يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين أى فى دعواكم ذلك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للانصار يوم حنين يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وكنتم عالة فأغناكم الله بى كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا يحيى بن سعيد الاموى عن محمد بن قيس عن أبى عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاءت بنو أسد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فقههم قليل وان الشيطان ينطق على ألسنتهم ونزلت هذه الآية يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ثم قال لا نعلمه يروى الا من هذا الوجه ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث ثم كرر الاخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره باعمال المخلوقات فقال ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون آخر تفسير سورة الحجرات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة ق وهى مكية) هذه السورة هى أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات وأما ما يقوله العوام انه من عم فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رضى الله عنهم المعتبرين فيما نعلم والدليل على ان هذه السورة هى اول المفصل ما رواه ابو داود فى سننه باب تحزيب القرآن ثم قال حدثنا مسدد حدثنا قران بن تمام ح وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال عبد الله بن سعيد حدثنيه أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف قال فنزلت الاحلاف على المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك فى قبة له قال مسدد وكان فى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقيف قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام فأكثر ما يحدثنا ما لقى من قومه قريش ثم يقول صلى الله عليه وسلم لا سواء كنا

(ومن يتول) أى يعرض عن التأسى بابراهيم وامته (فان الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) الى أوليائه لم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآية وتشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم فى تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله) وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك او اريد به اطماع المؤمنين (ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) وذلك بان يسلموا فيصيروا من اهل دينكم وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحسن اسلامهم ووقعت بينهم وبين من تقدمهم فى الاسلام مودة وجاهدوا وفعلوا الافعال المقربة الى الله وقيل المراد بالمودة هنا تزويج النبى صلى الله عليه وسلم بام حبيبة بنت ابى سفيان فصار معاوية خال المؤمنين قاله ابن عباس ولا وجه لهذا التخصيص وان كان من جملة ما صار سببا الى المودة فان ابا سفيان بعد ذلك ترك ما كان عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها لم تحصل المودة الا باسلامه يوم الفتح وما بعده وعن أبى هريرة قال أول من قاتل أهل الردة على اقامة دين الله ابو سفيان ابن حرب وفيه نزلت هذه الآية وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل ابا سفيان بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل فلقى ذا الخمار مرتدا فكان أول من قاتل فى الردة وجاهد عن الدين قال وهو فيمن قال الله فيه

مستضعفين مستذلين قال مسدد بمكة فلما خرجنا الى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا فلما كانت ليلة أبطأ عنا صلى الله عليه وسلم عن الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت علينا الليلة قال صلى الله عليه وسلم انه طرأ على حزبى من القرآن فكرهت ان أجئ حتى أتمه قال أوس سألت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى خالد الاحمر به ورواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفى به اذا علم هذا فاذا عددت ثمانيا وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق بيانه ثلاث البقرة وآل عمران والنساء وخمس المائدة والانعام والاعراف والانفال وبراءة وسبع يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل وتسع سبحان والكهف ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان وأحد عشرة الشعرا والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والاحزاب وسبأ وفاطر ويس وثلاث عشرة الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف والقتال والفتح والحجرات ثم بعد ذلك الحزب (٢٩٤) المفصل كما قاله الصحابة رضى الله عنهم فتعين ان أوله سورة ق وهو الذى قلنا ولله الحمد والمنة قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله ان عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيد قال بقاف واقتربت ورواه مسلم وأهل السنن الاربعة من حديث مالك به وفى رواية لمسلم عن مالك عن ضمرة عن عبيد الله عن أبى واقد قال سألنى عمر رضى الله عنه فذكره حديث آخر وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن أبى اسحق حدثنى عبد الله بن محمد بن ابى بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن اسعد ابن زرارة عن ام هشام بنت حارثة قالت لقد كانت تنورنا وتنور النبى صلى الله عليه وسلم واحدا سنتين أوسنة وبعض سنة وما أخذت ق والقرآن المجيد الا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنة الحرث بن النعمان قالت ماحفظت ق الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بها كل جمعة قال وكانت تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا وكذا رواه مسلم والنسائى وابن ماجه من حديث شعبة به والقصد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة فى المجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم * (بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج) ق حرف من حروف الهجاء المذكورة فى أوائل السور كقوله تعالى ص ون والم وحم وطس ونحو ذلك قاله مجاهد وغيره وقد اسلفنا الكلام عليها فى أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته وقد روى عن بعض السلف انهم قالوا ق جبل

عسى الله ان يجعل الآية وفى صحيح مسلم عن ابن عباس ان اباسفيان قال يارسول الله ثلاث اعطنيهن قال نعم قال تؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم قال وعندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان ازوجكها الحديث قال محمد بن ابراهيم الوزير فى التنقيح ما لفظه قال ابن حزم هذا موضوع لاشك فى وضعه والآفة فيه عن عكرمة بن عمار قلت قد رد الحفاظ على ابن حزم ما ذكره وجمع ابن كثير الحافظ جزأ مفردا فى بيان ضعف كلامه وفى الحديث غلط ووهم فى اسم المخطوب لها النبى صلى الله عليه وسلم وهى عزة أخت أم حبيبة خطب أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبته لها اختها أم حبيبة كما ثبت فى الصحيحين فاخبرهما النبى صلى الله عليه وسلم بتحريم الجمع بين الاختين وقد ذكر له تأويلات كثيرة هذا اقربها او الموجب للتأويل ما علم من تزويج النبى صلى الله عليه وسلم لام حبيبة قبل اسلام أبى سفيان (والله قدير) أى بليغ القدرة كثيرها على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل اسباب المودة (والله غفور رحيم) أى بليغهما كثيرهما لمن أسلم من المشركين ثم لما ذكر سبحانه ما ينبغى للمؤمنين من معاداة الكافرين وترك موادتهم فصل القول فيمن يجوز بره منهم ومن لا يجوز فقال (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن هؤلاء (ان تبروهم) وتكرموهم

محيط بجميع الارض يقال له جبل قاف وكان هذا والله أعلم من خرافات بنى اسرائيل التى أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب وعندى ان هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افترى فى هذه الامة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بنى اسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته وانما أباح الشارع الرواية عنهم فى قوله وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج فيما قد يجوزه العقل فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب فى تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج الى أخبارهم ولله الحمد والمنة حتى ان الامام أبا محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى رحمة الله عليه أورد ههنا أثرا غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال حدثنا أبى قال حدثت عن محمد بن اسمعيل المخزومى حدثنا ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الارض بحرا محيطا بها (٢٩٥) ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الارض سبع مرات ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات قال وذلك قوله تبارك وتعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر فاسناد هذا الاثر فيه انقطاع والذى رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل ق هو اسم من أسماء الله عز وجل والذى ثبت عن مجاهد انه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى ص ن طس الم ونحو ذلك فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما فقيل المراد قضى الامر والله وان قوله جل ثناؤه ق دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر * قلت لها قفى فقالت ق وفى هذا التفسير نظر لان الحذف فى الكلام انما يكون اذا دل دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف وقوله تعالى والقرآن المجيد أى الكريم العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد واختلفوا فى جواب القسم ما هو فحكى ابن جرير عن بعض النحاة انه قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وفى هذا نظر بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبات النبوة واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه وان لم يكن القسم يتلقى لفظا وهذا كثير فى اقسام القرآن كما تقدم فى قوله ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق وهكذا قال ههنا ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أى تعجبوا من ارسال رسول اليهم من البشر كقوله جل جلاله أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس

وتكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا وهذا بدل من الموصول بدل اشتمال عن عبد الله ابن الزبير قال قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها اسماء بنت أبى بكر بهدايا ضباب وأقط وسمن وهى مشركة فأبت اسماء ان تقبل هديتها أو تدخلها بيتها حتى أرسلت الى عائشة ان سلى عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله هذه الآية فأمرها ان تقبل هديتها وتدخلها بيتها أخرجه احمد والبزار وابو يعلى وغيرهم وزاد ابن ابى حاتم فى المدة التى كانت بين قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن اسماء بنت ابى بكر قالت أتتنى أمى راغبة وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت النبى صلى الله عليه وسلم أأصلها فأنزل الله لا ينهاكم الآية فقال نعم صلى أمك (١) (وتقسطوا اليهم) اى تفضوا اليهم بالقسط وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر يقال اقسطت الى الرجل اذا عاملته بالعدل قال الزجاج المعنى وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم فى حق المشرك فكيف فى حق المسلم (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين ومعنى الآية ان الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال وعلى ان لا يظاهروا الكفار عليهم ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل قال ابن زيد كان هذا فى اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخ بقوله فاقتلوا المشركين

(١) أى تعطوهم قسطا من أموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل ومن لم يقاتل قاله ابن العربى اه سيد ذو الفقار أحمد

أى وليس هـذا بعجيب فان الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ثم قال عز وجـل مخبرا عنهـم فى تعجبهم أيضا من المعاد واستبعادهم لوقوعه أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد أى يقولون أئذا متنا وبلينا وتقطعت الاوصال منا وصرنا ترابا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك الى هذه البنية والتركيب ذلك رجع بعيد أى بعيد الوقوع والمعنى انهـم يعتقدون استحالته وعدم امكانه قال الله تعالى رادا عليهـم قد علمنا ما تنقص الارض منهم أى ما تأكل من أجسادهم فى البلاء نعـلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الابدان وأين ذهبت والى أين صارت وعندنا كتاب حفيظ أى حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضا فيه كل الاشياء مضبوطة قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم أى ما تأكل من لحومهـم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهـم واستبعادهـم ما ليس ببعيد فقال بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أى وهـذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعـد ذلك فهو باطل والمريج المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله كقوله تعالى انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك (أفلم ينظروا الى السماء فوقهـم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة (٢٩٦) وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) يقول تعالى منبها العباد عـلى قـدرته العظيمة التى أظهر بها ما هو اعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها أى بالمصابيح وما لها من فروج قال مجاهـد يعنى من شقوق وقال غيره فتوق وقال غيره صـدوع والمعنى متقارب كقوله تبارك وتعالى الذى خلق سـبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير أى كليل عن ان ترى عيبا أو نقصا وقوله تبارك وتعالى والارض مددناها أى وسعناها وفرشناها وألقينا فيها رواسى وهى الجبال لئلا تميد باهلها وتضطرب فانها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج أى من جميع الزروع والثمار والنبات والانواع ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون وقوله بهيج أى حسـن المنظر تبصرة وذكرى لكل عبد منيب أى ومشاهـدة خلق السموات والارض وما جعل فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبـد منيب أى خاضع خائف وجل رجاع الى الله عز وجل وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا أى نافعا فأنبتنا به جنات أى حدائق من بساتين ونحوها وحب الحصيد وهو الزرع الذى يراد لحبه وادخاره والنخل باسقات أى طوالا شاهقات وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة والحسـن وقتادة والسدى وغيرهم الباسقات الطوال لها طلع نضـيد أى منضود رزقا للعباد أى للخلق وأحيينا به بلدة ميتا وهى الارض التى كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف فى حسنها وذلك بعدما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك كذلك يحيى الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عز وجل لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى على

حيث وجدتموهم وقيل هذا الحكم كان ثابتا فى الصلح بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وقيل هى خاصة فى حلفاء النبى صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد قاله الحسن وقال الكلبى هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وقال مجاهد هى خاصة فى الذين آمنوا ولم يهاجروا وقيل هى خاصة بالنساء والصبيان وحكى القرطبى عن أكثر اهل التأويل انها محكمة وهو الاولى لحـديث اسماء المتقـدم المتفق عليه ثم بين سبحانه من لا يحل بره ولا العـدل فى معاملته فقال (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم) وهم صناديد الكفار من قريش وعتاة اهل مكة (وظاهروا على اخراجكم) أى عاونوا الذين قاتلوكم واخرجوكم على ذلك وهم سائر اهل مكة ومن دخل معهم فى عهدهم (ان تولوهم) بدل اشتمال من الموصول كما سلف (ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) أى الكاملون فى الظلم لانهم تولوا من يستحق العداوة لكونه عدو الله ولرسوله ولكتابه وجعلوهـم أولياء لهم وفيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها ولما ذكر سـبحانه حكم فريقى الكافرين فى جواز البر والاقساط للفريق الاول دون الثانى ذكر حكم من يظهر الايمان فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة اولانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) من بين الكفار وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا يوم الحديبية

بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير وقال سبحانه وتعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير (كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله باشباههم ونظرائهم وامثالهم من المكذبين قبلهم من النقمات والعذاب الاليم فى الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الارض وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم فى سورة الفرقان وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وهم أمته الذين بعث اليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور وكيف خسف الله تعالى بهم الارض وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق واصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام وقوم تبع وهو اليمانى وقد ذكرنا من شأنه فى سورة الدخان ما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والشكر كل كذب الرسل أى كل من هذه الامم وهؤلاء القرون كذبت رسولها ومن كذب رسولا فكأنما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا كذبت قوم نوح المرسلين وانما جاءهم رسول واحد فهم فى نفس الامر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم فحق (٢٩٧) وعيد أى فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون ان يصيبهم ما أصابهم فانهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك وقوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول اى أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم فى شك من الاعادة بل هم فى لبس من خلق جديد والمعنى ان ابتداء الخلق لم يعجزنا والاعادة أسهل منه كما قال عز وجل وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقال الله جل جلاله وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم وقد تقدم فى الصحيح يقول الله تعالى يؤذينى ابن آدم يقول ان

على ان يرد عليهم من جاءهم من المسلمين فلما هاجر اليه النساء أبى الله ان يرددن الى المشركين وأمر بامتحانهن فقال (فامتحنوهن) أى فاختبروهن بالحلف أى هل هن مسلمات حقيقة أولا وقد أخرج البخارى عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء مسلمات فانزل الله يا أيها الذين آمنوا حتى بلغ ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك وأخرجه أيضا من حديثهما باطول من هذا وعنه وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عاتق فجاء اهلها يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم حتى أنزل الله فى المؤمنات ما أنزل وقد اختلف فيما كان يمتحنهن به فقيل كان يستحلفهن بالله ما خرجن من بغض زوج ولا رغبة من أرض الى أرض ولا لالتماس دنيا بل حبا لله ولرسوله ورغبة فى دينه فاذا حلفت كذلك أعطى النبى صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها اليه قال ابن عباس كان اذا جاءت المرأة النبى صلى الله عليه وسلم حلفها عمر بن الخطاب بالله ما خرجت رغبة بارض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا وبالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله أخرجه الطبرانى وغيره بسند حسن وقيل الامتحان هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا علموا ان ذلك حق منهن لم يرجعن الى الكفار وأعطى

يعيدنى كما بدأنى وليس اول الخلق باهون علىّ من اعادته (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) يخبر تعالى عن قدرته على الانسان بانه خالقه وعلمه محيط بجميع اموره حتى انه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بنى آدم من الخير والشر وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل وقوله عز وجل ونحن أقرب اليه من حبل الوريد يعنى ملائكته تعالى أقرب الى الانسان من حبل وريده اليه ومن تأوله على العلم فانما فر لئلا يلزم حلول واتحاد وهما منفيان بالاجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فانه لم يقل وأنا اقرب اليه من حبل الوريد وانما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد كما قال فى المحتضر ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون يعنى ملائكته وكما قال تبارك وتعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن باذن الله عز وجل وكذلك الملائكة اقرب الى الانسان من حبل وريده اليه باقتدار الله جل وعلا لهم على ذلك فللملك لمة من الانسان كما ان للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم كما اخبر بذلك الصادق المصدوق ولهذا قال تعالى

ههنا اذ يتلقى المتلقيان يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الانسان عن اليمين وعن الشمال قعيد أي مترصد ما يلفظ اي ابن آدم من قول اي ما يتكلم بكلمة الا لديه رقيب عتيد اي الا ولها من يرقبها معتد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام وهو قول الحسن وقتادة أو انما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما على قولين وظاهر الآية الاول لعموم قوله تبارك وتعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد قال الامام أحمد حدثنا ابن معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن أبيه عن جده علقمة عن بلال بن الحرث المزني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه الى يوم يلقاه قال فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح وله شاهد في الصحيح وقال الاحنف بن قيس صاحب اليمين يكتب الخير (٢٩٨) وهو أمين على صاحب الشمال فان اصاب العبد خطيئة قال له امسك فان استغفر الله تعالى نهاه ان يكتبها وان أبى كتبها رواه ابن ابي حاتم وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية عن اليمين وعن الشمال قعيد يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن يسارك فيحفظ سيآتك فاعمل ما شئت أقلل او أكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى انه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره وذلك قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وذكر عن الامام أحمد انه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاوس انه قال يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله وقوله تبارك وتعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد يقول عز وجل وجاءت أيها الانسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ذلك ما كنت منه تحيد أي هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد فالصحيح ان المخاطب بذلك الانسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل غير ذلك وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا ابراهيم بن أبي زياد سيلان أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال ان عائشة رضي الله عنها قالت حضرت أبي رضي الله عنه وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فاخذته غشية فتمثلت بيتا من الشعر

من لا يزال دمعه مقنعا * فانه لا بد مرة مدفوق قالت فرفع رضي الله عنه رأسه فقال يا بنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى

بعلها في الكفار الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقها الذي أصدقها وأحلهن للمؤمنين اذا آتوهن أجورهن قاله ابن عباس وقيل ما كان الامتحان الا بان يتلو عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وهي يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخرها واختلف أهل العلم هل دخل النساء في عهد الهدنة ام لا على قولين فعلى القول بالدخول تكون هذه الآية مخصصة لذلك العهد وبه قال الاكثر وعلى القول بعدمه لا نسخ ولا تخصيص (الله اعلم بايمانهن) معترضة لبيان ان حقيقة حالهن لا يعلمها الا الله سبحانه ولم يتعبدكم بذلك وانما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل على صدق دعوتهن في الرغب في الاسلام (فان علمتموهن مؤمنات) أي علمتم ذلك بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي أمرتم به وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم وقال الكرخي المراد بالعلم الظن وسمي علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به ففي الكلام استعارة تبعية (فلا ترجعوهن الى الكفار) اي الى أزواجهن الكافرين هذا ناسخ لشرط الرد بالنسبة للنساء على مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن وقال بعضهم ليس من قبيل النسخ وانما هو من قبيل التخصيص او تقييد المطلق لان العقد اطلق في رد من أسلم فكان ظاهرا في عموم الرجال مع النساء فبين الله خروجهن عن عمومه

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وحدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الخياط عن اسمعيل بن أبي خالد عن البهي قال لما ان ثقل أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وقد أوردت لهذا الاثر طرقا كثيرة في سيرة الصديق رضي الله عنه عند ذكر وفاته وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول سبحان الله ان للموت لسكرات وفي قوله ذلك ما كنت منه تحيد قولان أحدهما ان ما ههنا موصولة أي الذي كنت منه تحيد بمعنى تتبعد وتتنأى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك والقول الثاني ان ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه وقد قال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي حدثنا حفص بن عمر الحدي حدثنا معاذ بن محمد الهذلي عن يونس ابن عبيد عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الارض بدين فجاء يسعى حتى اذا أعيي وأسهر دخل جحره وقالت له الارض يا ثعلب ديني فخرج (٢٩٩) وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الارض كذلك الانسان لا محيد له عن الموت وقوله تبارك وتعالى ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور والفزع والصعق والبعث وذلك يوم القيامة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له قالوا يا رسول الله كيف نقول قال صلى الله عليه وسلم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل فقال القوم حسبنا الله ونعم الوكيل وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد أي ملك يسوقه الى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير ثم روى من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فقال سائق يسوقها الى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد وقال مطرف عن أبي جعفر مولى أشجع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدي وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما السائق من الملائكة والشهيد الانسان نفسه يشهد على نفسه وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضا وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد أحدها ان المراد بذلك الكافر رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان والثاني ان المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لان الآخرة بالنسبة الى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام وهذا اختيار ابن جرير ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والثالث ان المخاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وبه يقول زيد بن أسلم وابنه والمعنى على قولهما لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل ان يوحى اليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله اليك فبصرك اليوم حديد والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الانسان من حيث هو والمراد بقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا يعني من هذا اليوم

عمومه ويفرق بين الرجال والنساء بان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت وأكرهت لضعف قلبها وقلة هدايتها الى الخروج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان طمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته كذا في الخطيب (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) تعليل للنهي عن ارجاعهن والتكرير لتأكيد الحرمة والجملة الاولى لنفي الحل حالا والثانية لنفيه فيما يستقبل من الزمان وفيه دليل على ان المؤمنة لا تحل لكافر وان اسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها الا بمجرد هجرتها (وآتوهم) خطاب لولاة الامور والامر للوجوب فيكون منسوخا أو للندب كما هو مذهب الشافعي فليس منسوخا أي واعطوا الازواج هؤلاء اللاتي هاجرن وأسلمن (ما أنفقوا) أي مثل ما أنفقوا عليهن من المهور قال الشافعي واذا طلبها غير الزوج من قراباتها منع منها بلا عوض عن ابن عباس قال نزلت سورة الممتحنة بعد ذلك الصلح فكان من أسلم من نسائهم تسأل ما أخرجك فان كانت خرجت فرارا من زوجها ورغبة عنه ردت وان كانت خرجت رغبة في الاسلام أمسكت ورد على زوجها مثل ما أنفق ووجوب الايتاء أو ندبه انما هو في نساء أهل الذمة كما هو مورد الآية فانها وردت في شأن أهل مكة الذين هادنهم صلى الله عليه وسلم وأما نساء الحربيين الذين لم يعقد لهم عهد فلا يجب ولا يسن رد مهورهن

فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد أى قوى لان كل أحد يوم القيامة يكون مستبصرا حتى الكفار فى الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة لكن لا ينفعهم ذلك قال الله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وقال عز وجل ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون (وقال قرينه هذا مالدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله الها آخر فالقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم انه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل و يقول هذا مالدى عتيد أى معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان وقال مجاهد هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذى وكلتنى به قد أحضرته وقد اختار ابن جرير انه يعم السائق والشهيد وله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى فى الخليقة بالعدل فيقول ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد وقد اختلف النحاة فى قوله ألقيا فقال بعضهم هى لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية كما روى عن الحجاج انه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه ومما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر (٣٠٠) فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر * وان تتركانى أحم عرضا ممنعا وقيل بل هى نون التأكيد سهلت الى الالف وهذا بعيد لان هذا انما يكون فى الوقف والظاهر انها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره الى عرضه الحساب فلما ادى الشهيد عليه امرهما الله تعالى بالقائه فى نار جهنم وبئس المصير ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد اى كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك مناع للخير اى لا يؤدى ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة معتد أى فيما ينفقه و يصرفه يتجاوز فيه الحد وقال قتادة معتد فى منطقه وسيره وأمره مريب أى شاك فى أمره مريب لمن نظر فى أمره الذى جعل مع الله الها آخر أى أشرك بالله فعبد معه غيره فالقياه فى العذاب الشديد وقد تقدم فى الحديث ان عنقا من النار يبرز للخلائق فينادى بصوت يسمع الخلائق انى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله الها آخر و بالمصورين ثم تنطوى عليهم وقال الامام أحمد حدثنا معاوية هو ابن هشام حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله الها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتنطوى عليهم فتقذفهم فى غمرات جهنم قال قرينه قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم هو الشيطان الذى وكل به ربنا ما أطغيته أى يقول عن الانسان الذى قد وافى القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانه فيقول ربنا ما أطغيته أى ما أضللته ولكن كان فى ضلال بعيد أى بل كان هو فى نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى فى الآية الأخرى فى قوله وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم وقوله تبارك وتعالى قال لا تختصموا لدى يقول الرب عز وجل للانسى وقرينه من الجن وذلك انهما يختصمان بين يدى الحق تعالى فيقول الانسى يارب هذا أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى و يقول الشيطان ربنا ما أطغيته ولكن

اتفاقا و به قال قتادة والامر كما قال ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات فقال (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) بشرطه وهو انقضاء العدة فيما اذا كانت المسلمة مدخولا بها والولى والشاهدان و بقية شروط الصحة فى المدخول بها وغيرها لانهن قد صرن من أهل دينكم وان كان أزواجهن الكفار لم يطلقوهن لانفساخ العقد بالاسلام (اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن لان المهر أجر البضع وذلك بعد انقضاء عدتهن كما تدل عليه أدلة وجوب العدة وقال أبو حنيفة رحمه الله لا عدة على المهاجرة واستدل بهذه الآية والاول أولى و به قال الاوزاعى والليث والشافعى وأحمد والآية رد لما يتوهم من ان رد المهر الى أزواجهن الكفار يغنى عن تجديد مهر لهن اذا تزوجهن المسلمون فالمهر المدفوع للكفار لا يقوم مقام المهر الذى يجب على المسلم اذا تزوجهن والمراد بايتاء المهر التزامه وان لم يدفع بالفعل (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) قرأ الجمهور تمسكوا بالتخفيف من الامساك واختارها أبو عبيد لقوله فامسكوهن بمعروف وقرئ بالتشديد من التمسك وهما سبعيتان والعصم جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب والمراد هنا عصمة عقد النكاح والكوافر جمع كافرة وهى التى بقيت فى دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أى لا يكن بينكم و بينهن عصمة ولا علاقة زوجية والمعنى ان من كانت له امرأة كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين قال النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب

كان في ضلال بعيد أي عن منهج الحق فيقول الرب عز وجل لهما لا تختصموا لدي أي عندي وقد قدمت اليكم بالوعيد أي قد أعذرت اليكم على ألسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين ما يبدل القول لدي قال مجاهد يعني قد قضيت ما أنا قاض وما أنا بظلام للعبيد أي لست أعذب احدا بذنب أحد ولكن لا اعذب احدا الا بذنبه بعد قيام الحجة عليه (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) يخبر تعالى انه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت وذلك لانه تبارك وتعالى وعدها ان سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به اليها ويلقى وهي تقول هل من مزيد اي هل بقي شيء تزيدوني هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الاحاديث قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله بن أبي الاسود حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط وقال الامام احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه ورواه أبان العطار وسليمان التيمي عن قتادة بنحوه حديث آخر قال البخاري حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد ابن يحيى بن مهدي حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط ورواه أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به طريق أخرى قال البخاري وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا الضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا واما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها خلقا حديث آخر قال مسلم في صحيحه حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي صالح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت الجنة والنار فقالت النار فيّ الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى بينهما فقال للجنة انما أنت رحمتي ارحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم وقد رواه الامام احمد من طريق اخرى عن ابي سعيد رضي الله عنه بابسط من هذا السياق فقال حدثنا حسن وروح قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى

الحرب فتكفر وكان الكفار يزوجون المسلمات والمسلمون يزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الآية وهذه خاصة بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل الكتاب وقيل عامة في جميع الكوافر مخصصة باخراج الكتابيات منها وقد ذهب جمهور أهل العلم الى انه اذا أسلم وثني أو كتابي لا يفرق بينهما الا بعد انقضاء العدة وقال بعض أهل العلم يفرق بينهما بمجرد اسلام الزوج وهذا انما هو اذا كانت المرأة مدخولا بها وأما اذا كانت غير مدخول بها فلا خلاف بين أهل العلم في انقطاع العصمة بينهما بالاسلام اذ لا عدة عليها عن ابن عباس قال أسلم عمر بن الخطاب وتأخرت امرأته في المشركين فانزل الله ولا تمسكوا بعصم الكوافر (واسألوا ما أنفقتم) أي اطلبوا مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدة الى الكفار من أهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاءت امرأة من الكفار الى المسلمين وأسلمت ردوا مهرها على زوجها الكافر قال الخطيب وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين وأطال سليمان الجمل في بيان ذلك (ذلكم) المذكور من ارجاع المهور من الجهتين (حكم الله) وقوله (يحكم بينكم) مستأنفة أو حالية (والله عليم حكيم) أي بليغ العلم لا تخفى عليه خافية بليغ الحكمة في أقواله وأفعاله قال القرطبي وكان هذا مخصوصا بذلك الزمان في تلك

الله عليه وسلم قال افتخرت الجنة والنار فقالت النار يارب تدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والاشراف وقالت الجنة أي رب تدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء وقال للجنة انت رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكم ملؤها فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد قال ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يأتيها عز وجل فيضع قدمه عليها فتنزوي وتقول قدني قدني وأما الجنة فيبقى فيها ماشاء الله تعالى أن يبقى فينشئ الله سبحانه وتعالى لها خلقا مايشاء (حديث آخر) وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرفني الله تعالى نفسه يوم القيامة فأسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم تمر أمتي على الصراط مضروب بين ظهراني جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الاعمال وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فتنزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط وأنا على الحوض قيل وما الحوض يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم (٣٠٢) والذي نفسي بيده ان شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك وآنيته أكثر من عدد النجوم لايشرب منه انسان فيظمأ أبدا ولا يصرف فيروى أبدا وهذا القول هو اختيار ابن جرير وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو يحيى الحماني عن نصر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قال ما امتلأت قال تقول وهل في من مكان يزاد في وكذا رواه الحكم بن أبان عن عكرمة وتقول هل من مزيد وهل في مدخل واحد قد امتلأت قال الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي مريم انه سمع مجاهدا يقول لايزال يقذف فيها حتى تقول قد امتلأت فتقول هل في من مزيد وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هذا فعند هؤلاء ان قوله تعالى هل امتلأت انما هو بعد ما يضع عليها قدمه فتنزوي وتقول حينئذ هل بقي في من مزيد يسع شيأ قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك حين لايبقى فيها موضع يسع ابرة والله أعلم وقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قال قتادة وأبو مالك والسدي وأزلفت أدنيت وقربت من المتقين غير بعيد وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لانه واقع لامحالة وكل ماهو آت قريب هذا ماتوعدون لكل أواب أي رجاع تائب مقلع حفيظ اي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه وقال عبيد بن عمير الأواب الحفيظ الذي لايجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل من خشي الرحمن بالغيب اي من خاف الله في سره حيث لايراه احد الا الله عز وجل كقوله صلى الله عليه وسلم ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه وجاء بقلب منيب اي ولقي الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم اليه خاضع لديه ادخلوها اي الجنة بسلام قال قتادة سلموا من عذاب الله عز وجل وسلم عليهم ملائكة الله وقوله سبحانه وتعالى ذلك يوم الخلود أي يخلدون في الجنة فلا يموتون ابدا ولا يظعنون ابدا ولا يبغون عنها حولا وقوله جلت عظمته لهم مايشاؤن فيها اي مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا

النازلة خاصة باجماع المسلمين ولما نزلت الآية المتقدمة قال المسلمون رضينا بحكم الله وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله (وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار) مما دفعتم اليهم من مهور النساء المسلمات وقيل المعنى وان انفلت منكم أحد من نسائكم الى الكفار فارتدت المسلمة واليه نحا الزمخشري (فعاقبتم) أي فاصبتموهم في القتال بعقوبة قال الواحدي قال المفسرون أي فغنمتم قال الزجاج تأويله وكانت العقبى لكم أي كانت الغنيمة لكم حتى غنمتم وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر سواء كانت الردة قبل الدخول أو بعده فكان الحكم انه يجب للزوج من الغنيمة جميع المهر قال قتادة ومجاهد انما أمروا ان يعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من الفيء والغنيمة وهذه الآية منسوخة قد انقطع حكمها وارتفع بعد الفتح بشقيه فلا يجب دفع مهر من جاءت مسلمة للكفار ولا مهر من ارتدت لزوجها وبه قال عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما أنفقوا وحاصل معناها ان من أزواجكم يجوز ان يتعلق بفاتكم أي من جهة أزواجكم ويراد بالشيء المهر الذي غرمه الزوج لان التفسير ورد ان الرجل المسلم اذا فرت زوجته الى الكفار أمر الله المؤمنين ان يعطوا ما غرمه وفعله النبي صلى الله عليه وسلم مع جمع من الصحابة المذكورين في التفاسير ويجوز ان

يتعلق

أحضر لهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقية عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير ابن مرة قال من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون فامطره عليكم فلا يدعون بشئ الا أمطرتهم قال كثير لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن امطرينا جواري مزينات وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويا وقال الامام احمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثني ابي عن عامر الاحول عن ابي الصديق رضي الله عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة ورواه الترمذي وابن ماجه عن بندار عن معاذ بن هشام به وقال الترمذي حسن غريب وزاد كما اشتهى وقوله تعالى ولدينا مزيد كقوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي انها النظر الى وجه الله الكريم وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير ابي اليقظان عن انس بن مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل ولدينا مزيد قال يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة وقد رواه الامام أبو عبد الله الشافعي مرفوعا فقال (٣٠٢) في مسنده أخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحق بن طلحة عن عبد الله بن عمير انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد قال عليه السلام ان ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس واديا

يتعلق بمحذوف على انه صفة لشئ ثم يجوز في شئ أن يراد به المهر ولكن لابد على هذا من مضاف محذوف أي من مهر أزواجكم ليتطابق الموصوف وصفته ويجوز ان يراد بشئ النساء أي نوع وصنف منهن وهو ظاهر قوله من أزواجكم وقوله فآتوا الذين ذهبت أزواجهم والمعنى انهم يعطون من ذهبت زوجته الى المشركين فكفرت ولم يرد عليه المشركون مهرها كما حكم الله مثل ذلك المهر الذي أنفقه عليها من الغنيمة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) أي احذروا ان تتعرضوا الشئ مما يوجب العقوبة عليكم فان الايمان الذي أنتم متصفون به يوجب على صاحبه ذلك (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أي قاصدات لمبايعتك على الاسلام أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية الى قوله غفور رحيم فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما والله ما مست يده يد امرأة قط من المبايعات ما بايعهن الا بقوله قد بايعتك على ذلك وظاهر هذا التركيب ان النساء طلبن المبايعة مع ان المقرر في السير انه صلى الله عليه وسلم ابتدأهن بالمبايعة شارطا عليهن الشروط الآتية وبعد ان بايعهن التزمنها ويمكن على بعد أن يقال التقدير في الآية اذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن (على ان لا يشركن بالله شيأ) من الاشياء كائنا ما كان وهذا كان يوم فتح مكة فان نساء أهل

أفيح فيه كثب المسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة هكذا أورده الامام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الام وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضي الله عنه بابسط من هذا وذكر ههنا أثرا مطولا عن أنس ابن مالك رضي الله عنه موقوفا وفيه غرائب كثيرة وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل ان يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت فتقول أنا من المزيد وانه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره

حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وان عليها من التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن دراج به (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) يقول تعالى وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين من قرن هم أشد منهم بطشا أى كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال تعالى ههنا فنقبوا فى البلاد هل من محيص قال ابن عباس رضى الله عنهما أثروا فيها وقال مجاهد فنقبوا فى البلاد ضربوا فى الارض وقال قتادة فساروا فى البلاد أى ساروا فيها يبتغون الارزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم أنتم بها ويقال لمن طوف فى البلاد نقب فيها قال امرؤ القيس لقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب وقوله تعالى هل من محيص أى هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره وهل نفعهم ما جمعوه ورد عنهم عذاب الله اذ جاءهم لما كذبوا الرسل فانتم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص وقوله (٣٠٤) عز وجل ان فى ذلك لذكرى أى لعبرة لمن كان له قلب أى لب يعى به وقال مجاهد عقل أو ألقى السمع وهو شهيد أى استمع الكلام فوعاه وتعقله بقلبه وتفهمه بلبه وقال مجاهد أو ألقى السمع يعنى لا يحدث نفسه فى هذا بقلب وقال الضحاك العرب تقول ألقى فلان سمعه اذا استمع باذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب وهكذا قال الثورى وغير واحد وقوله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فيه تقرير المعاد لان من قدر على خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن قادر على ان يحيى الموتى بطريق الاولى والاحرى وقال قتادة قالت اليهود عليهم لعائن الله خلق الله السموات والارض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فانزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه وما مسنا من لغوب أى من اعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى فى الآية الاخرى أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير وكما قال عز وجل لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها وقوله عز وجل فاصبر على ما يقولون يعنى المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجرا جميلا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وكانت الصلاة المفروضة قبل الاسراء ثنتان قبل طلوع الشمس فى وقت الفجر وقبل الغروب فى وقت العصر وقيام الليل كان واجبا على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أمته حولا ثم نسخ فى حق الامة وجوبه ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الاسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسمعيل بن ابى خالد عن قيس بن ابى حازم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال أما انكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح

مكة أتين رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعنه فامره الله تعالى ان يأخذ عليهن ان لا يشركن به (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) هو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات أى دفنهن أحياء لخوف العار والفقر (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) أى لا يلحقن بازواجهن ولدا ليس منهم قال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فذلك البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن وذلك ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها وليس المراد هنا انها تنسب ولدها من الزنا الى زوجها لان ذلك قد دخل تحت النهى عن الزنا قال ابن عباس كانت الحرة تولد لها الجارية فتجعل مكانها غلاما وعنه قال فى الآية لا يلحقن بازواجهن غير أولادهم (ولا يعصينك فى معروف) أى فى كل أمر هو طاعة لله واحسان الى الناس وكل ما أمر به الشرع ونهى عنه والمعروف ما عرف حسنه من قبل الشرع قال عطاء فى كل بر وتقوى قال ابن عباس انما هو شرط شرطه الله النساء وقال المقاتلان عنى بالمعروف النهى على النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيوب وخمش الوجوه والدعاء بالويل وكذا قال قتادة وسعيد بن المسيب ومحمد بن السائب وزيد بن أسلم ومعنى القرآن أوسع مما قالوه مع دخول النوح فيه قيل ووجه التقييد بالمعروف مع كونه صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به التنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق أخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث اسماعيل به وقوله تعالى ومن الليل فسبحه اي فصل له كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وادبار السجود قال ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو التسبيح بعد الصلاة ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء فقراء المهاجرين فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال صلى الله عليه وسلم أفلا اعلمكم شيأ اذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون احد أفضل منكم الا من فعل مثل ما فعلتم تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين قال فقالوا يا رسول الله سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والقول الثاني ان المراد بقوله تعالى وادبار السجود هما الركعتان بعد المغرب روى ذلك عن عمر وعلي وابنه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وابي امامة رضي الله عنهم وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم قال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن ابي اسحق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على اثر كل صلاة مكتوبة ركعتين الا الفجر والعصر وقال عبد الرحمن دبر كل صلاة ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان الثوري به زاد النسائي ومطرف عن أبي اسحق به وقال ابن أبي حاتم حدثنا هرون بن اسحق الهمداني حدثنا ابن فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بت ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج الى الصلاة فقال يا ابن عباس ركعتين قبل صلاة الفجر ادبار النجوم وركعتين بعد المغرب ادبار السجود ورواه الترمذي

عن هشام الرفاعي عن محمد بن فضيل به وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وحديث ابن عباس رضي الله عنهما وانه بات في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف الا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه والله أعلم (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد) يقول تعالى واستمع يا محمد يوم يناد المناد من مكان قريب قال قتادة قال كعب الاحبار يأمر الله تعالى ملكا ان ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء يوم يسمعون الصيحة بالحق يعني النفخ في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون ذلك يوم الخروج أي من الاجداث انا نحن نحيي ونميت والينا المصير أي هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه واليه مصير الخلائق كلهم فيجازي كلا بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراعا وذلك ان الله عز وجل ينزل مطرا من السماء ينبت به اجساد الخلائق

وابن ماجه عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء لنبايعه فأخذ علينا ما في القرآن ان لا نشرك بالله شيأ حتى بلغ ولا يعصينك في معروف فقال فيما استطعتن وأطقتن فقلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا يا رسول الله ألا تصافحنا قال اني لا أصافح النساء انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة وفي الباب أحاديث وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ آية النساء فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ فستره الله فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وغيرهم عن أم سلمة الانصارية قالت قالت امرأة من النسوة ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا ان نعصيك فيه قال لا تنحن قلت يا رسول الله ان بني فلان أسعدوني على عمي لابد لي من قضائهن فأبى علي فعاودته مرارا فأذن لي بقضائهن فلم أنح بعد ولم يبق من النسوة امرأة الا وقد ناحت غيري وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لا نشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت يا رسول الله ان فلانة أسعدتني وأنا أريد ان أجزيها فلم يقل لها شيأ فذهبت ثم رجعت فقالت ما وفت منا امرأة الا أم سليم وأم العلاء وبنت أبي سبرة امرأة

كلها فى قبورها كما ينبت الحب فى الثرى بالماء فاذا تكاملت الاجساد أمر الله تعالى اسرافيل فينفخ فى الصور وقد أودعت الارواح فى ثقب فى الصور فاذا نفخ اسرافيل فيه خرجت الارواح تتوهج بين السماء والارض فيقول الله عزوجل وعزتى وجلالى لترجعن كل روح الى الجسد الذى كانت تعمره فترجع كل روح الى جسدها فتدب فيه كما يدب السم فى اللديغ وتنشق الارض عنهم فيقومون الى موقف الحساب سراعا مبادرين الى أمر الله عزوجل مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر وقال الله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض وقوله عزوجل ذلك حشر علينا يسير أى تلك اعادة سهلة علينا يسيرة لدينا كما قال جل جلاله وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال سبحانه وتعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير وقوله جل وعلا نحن أعلم بما يقولون أى نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولنك ذلك كقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقوله تبارك وتعالى وما أنت عليهم بجبار أى ولست بالذى تجبر هؤلاء على (٣٠٦) الهدى وليس ذلك مما كلفت به وقال مجاهد وقتادة والضحاك وما أنت عليهم بجبار أى لا تجبر عليهم والقول الاول اولى ولو أراد ما قالوه لقال ولا تكن جبارا عليهم وانما قال وما أنت عليهم بجبار بمعنى وما أنت بمجبرهم على الايمان انما أنت مبلغ قال الفراء سمعت العرب تقول جبر فلان فلانا على كذا بمعنى أجبره ثم قال عزوجل فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أى بلغ أنت رسالة ربك فانما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله جل جلاله فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ولهذا قال تعالى ههنا وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك يا بار يا رحيم آخر تفسير سورة ق والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل

(تفسير سورة الذاريات وهى مكية) *(بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون) قال شعبة بن الحجاج عن سماك عن خالد بن عرعرة انه سمع عليا رضى الله عنه وشعبة أيضا عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل أنه سمع عليا رضى الله عنه وثبت أيضا من غير وجه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه انه صعد منبر الكوفة فقال لا تسألونى عن آية فى كتاب الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبأتكم بذلك فقام اليه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى والذاريات ذروا قال رضى الله عنه الريح قال فالحاملات وقرا قال رضى الله عنه السحاب قال فالجاريات يسرا قال رضى الله عنه السفن قال فالمقسمات أمرا قال رضى الله عنه الملائكة وقد روى فى ذلك حديث مرفوع فقال الحافظ أبو بكر

معاذ أو بنت أبى سبرة وامرأة معاذ وقد وردت احاديث كثيرة فى النهى عن النوح (فبايعهن) هذا جواب اذا والمعنى اذا بايعنك على هذه الامور فبايعهن أى التزم لهن ما وعدناهن على ذلك من اعطاء الثواب فى مقابلة ما ألزمن أنفسهن به من الطاعات فهو بيع لغوى والبيع فى اللغة مقابلة شئ بشئ على وجه العوضية وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها كأن كل واحد منهم باع ما عنده بما عند الآخر ذكر الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فى صفة البيعة خصالا ستا صرح فيهن باركان النهى فى الدين ولم يذكر فى بيعتهن اركان الامر وهى ستة أيضا الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة لوضوح كون هذه الامور ونحوها من اركان الدين وشعائر الاسلام ولان النهى دائم فى كل الازمان وكل الاحوال فكان الاشتراط للتنبيه على الدائم آكد وقيل انما خص الامور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء ولا يحجزهن عنها شرف النسب قال ابن الجوزى وجملة من أحصى من المبايعات اذ ذاك أربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام بهذه الآية انتهى وعن أسماء بنت يزيد بن السكن انها قالت كنت فى النسوة المبايعات فقلت يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فقال انى لا اصافح النساء ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن رواه البخارى وقيل صافحهن بحائل اى ثوب وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا

بقدح

البزار حدثنا ابراهيم بن هانئ حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال جاء صبيغ التميمي الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذروا فقال رضي الله عنه هي الرياح ولولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته قال فاخبرني عن المقسمات أمرا قال رضي الله عنه هي الملائكة ولولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته قال فاخبرني عن الجاريات يسرا قال رضي الله عنه هي السفن ولولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت فلما برأ دعابه فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب الى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه امنع الناس من مجالسته فلم يزل كذلك حتى أتى أباموسى رضي الله عنه فحلف بالايمان المغلظة مايجد في نفسه مما كان يجد شيأ فكتب في ذلك الى عمر رضي الله عنه فكتب عمر ما اخاله الا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس قال أبو بكر البزار فأبو بكر بن أبي سبرة لين وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث قلت فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب مافيه انه موقوف على عمر رضي الله عنه فان قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضي الله عنه وانما ضربه لانه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا والله أعلم وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه (٣٠٧) القصة في ترجمة صبيغ مطولة وهكذا فسرها ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك وقد قيل ان المراد بالذاريات الريح كما تقدم وبالحاملات وقرا السحاب كما تقدم لانها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت نفسي لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا

فاما الجاريات يسرا فالمشهور عن الجمهور كما تقدم انها السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا وقال بعضهم هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها ليكون ذلك ترقيا من الادنى الى الاعلى الى ماهو أعلى منه فالرياح فوقها السحاب والنجوم فوق ذلك والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك تنزل باوامر الله الشرعية والكونية وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد ولهذا قال تعالى انما توعدون لصادق أي لخبر صدق وان الدين وهو الحساب لواقع أي لكائن لامحالة ثم قال تعالى والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضي الله عنهما ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما مثل تجعد الماء والرمل والزرع اذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق فذلك الحبك قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من ورائكم الكذاب المضل وان رأسه من ورائه حبكا حبكا يعني بالحبك الجعودة وعن أبي صالح ذات الحبك الشدة وقال خصيف ذات الحبك ذات الصفاقة وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ذات الحبك حبكت بالنجوم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما والسماء ذات الحبك يعني السماء السابعة وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع والله أعلم وكل هذه الاقوال ترجع الى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فانها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء

بقدح من ماء ثم غمس يده فيه فغمسن ايديهن فيه والاول أولى وأصح وهذا هو البيعة الثابتة بالسنة في دين الاسلام والتي احدثها الصوفية والمشايخ وجهلة المتصوفة فلا تثبت بدليل شرعي ولا اعتداد بها بل هي مصادمة لما ثبت بالكتاب والسنة كما ترى (واستغفر لهن الله) أي اطلب من الله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن منك عما سلف ومما يقع منهن (ان الله غفور رحيم) أي بليغ المغفرة بتمحيق ماسلف وكثير الرحمة لعباده بتوفيق ما ائتنف (يا أيها الذين آمنوا) لما افتتح السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء ختمها بمثل ذلك تأكيدا لعدم موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عنها قاله أبو حيان وهذا على منوال رد العجز على الصدر من حيث المعنى (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) هم جميع طوائف الكفر وقيل اليهود خاصة وقيل المنافقون خاصة وقال الحسن اليهود والنصارى والاول أولى لان جميع طوائف الكفر تتصف بان الله سبحانه غضب عليها قال ابن عباس في الآية كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحرث يوادان رجالا من اليهود فانزل الله هذه الآية (قد يئسوا من الآخرة) يرد على هذا انهم طامعون في ثواب الآخرة لانهم يعتقدون انهم على حق وان تمسكهم بشريعة موسى ينفعهم فلا يكونوا آيسين ويمكن ان يقال المراد باليأس الحرمان أي قد حرموا من ثواب الآخرة ومن لابتداء الغاية أي انهم لا يوقنون بالآخرة البتة بسبب كفرهم قال ابن مسعود أي لا يؤمنون بها ولا يرجونها (كما يئس

متسعة الارجاء أنيقة البهاء مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات وقوله تعالى انكم لفي قول مختلف أي انكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع وقال قتادة انكم لفي قول مختلف ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به يؤفك عنه من أفك أي انما يروج على من هو ضال في نفسه لانه قول باطل انما ينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غمر لا فهم له كما قال تعالى فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي يؤفك عنه من أفك يضل عنه من ضل وقال مجاهد يؤفك عنه من أفك يؤفن عنه من أفن وقال الحسن البصري يصرف عن هذا القرآن من كذب به وقوله تعالى قتل الخراصون قال مجاهد الكذابون قال وهي مثل التي في عبس قتل الانسان ما أكفره والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قتل الخراصون أي لعن المرتابون وهكذا كان معاذ رضي الله عنه يقول في خطبته هلك المرتابون وقال قتادة الخراصون أهل الغرة والظنون وقوله تبارك وتعالى الذين هم في غمرة ساهون قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد الكفر والشك غافلون لاهون يسألون أيان يوم الدين (٣٠٨) وانما يقولون هذا تكذيبا وعنادا وشكا واستبعادا قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يعذبون كما يفتن الذهب على النار وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضا وعكرمة وابراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري يفتنون يحرقون ذوقوا فتنتكم قال مجاهد حريقكم وقال غيره عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا والله أعلم (ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون) يقول تعالى مخبرا عن المتقين لله عز وجل انهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الاشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والاغلال وقوله تعالى آخذين ما آتاهم ربهم قال ابن جرير أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض انهم كانوا قبل ذلك محسنين أي قبل ان يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الاعمال أيضا ثم روى عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى آخذين ما آتاهم ربهم قال من الفرائض انهم كانوا قبل ذلك محسنين قبل الفرائض يعملون وهذا الاسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي عمر البزار عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره والذي فسر به ابن جرير فيه نظر لان قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي من النعيم والسرور والغبطة وقوله عز وجل انهم كانوا قبل ذلك أي في الدار الدنيا محسنين كقوله جل جلاله كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية ثم انه تعالى بين احسانهم في العمل فقال جل وعلا

الكفار من أصحاب القبور) أي كيأسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث وقيل كما يئس الكفار الذين قد ماتوا منهم من خير الآخرة لانهم قد وقفوا على الحقيقة وعلموا انه لا نصيب لهم في الآخرة فيكون من على الوجه الاول ابتدائية وعلى الثاني بيانية والاول أولى وقيل تبعيضية أي حال كونهم بعض أصحاب القبور اذ المقبورون فيهم المؤمن والكافر قال ابن مسعود كما يئس الكافر اذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وقال ابن عباس هم الكفار أصحاب القبور الذين يئسوا من الآخرة وعنه قال من مات من الذين كفروا فقد يئس الاحياء من الذين كفروا ان يرجعوا اليهم أو يبعثهم الله تعالى

(سورة الصف هي أربع عشرة آية وهي مدنية)

وهو المختار ونسب الى الجمهور وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس أيضا نزلت بمكة ولعل هذا لا يصح عنه وبه قال عكرمة والحسن وقتادة وجزم به الزمخشري ويؤيد كونها مدنية ما أخرجه أحمد عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أي الاعمال أحب الى الله فلم يقم أحد منا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها وأخرجه ابن أبي حاتم وقال في آخره فنزلت فيهم هذه السورة وأخرجه أيضا الترمذي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والبيهقي في الشعب والسنن

*(بسم

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اختلف المفسرون في ذلك على قولين أحدهما ان ما نافية تقديره كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه قال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن تمضي عليهم ليلة الا يأخذون منها ولو شيأ وقال قتادة عن مطرف بن عبد الله قل ليلة لا تأتي عليهم الا يصلون فيها لله عز وجل اما من أولها واما من أوسطها وقال مجاهد قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون وكذا قال قتادة وقال أنس بن مالك رضي الله عنه وأبو العالية كانوا يصلون بين المغرب والعشاء وقال أبو جعفر الباقر كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة والقول الثاني ان ما مصدرية تقديره كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم واختاره ابن جرير وقال الحسن البصري كانوا قليلا من الليل ما يهجعون كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل الا أقله ونشطوا فمدوا الى السحر حتى كان الاستغفار بسحر وقال قتادة قال الاحنف بن قيس كانوا قليلا من الليل ما يهجعون كانوا لا ينامون الا قليلا ثم يقول لست من أهل هذه الآية وقال الحسن البصري كان الاحنف بن قيس يقول عرضت عملي على عمل أهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا اذا قوم لا نبلغ أعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وعرضت عملي على عمل أهل النار فاذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله مكذبون بالبعث بعد الموت فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا (٣٠٩) عملا صالحا وآخر سيأ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رجل من بني تميم لابي يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوما فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبي رضي الله عنه طوبى لمن رقد اذا نعس واتقى الله اذا استيقظ وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس اليه فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت ان وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس أطعموا الطعام وصلوا الارحام وأفشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لمن هي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وبات لله قائما والناس نيام وقال معمر في قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون كان الزهري والحسن يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم النخعي كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ما ينامون وقال الضحاك انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا ثم ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وهذا القول فيه بعد وتعسف وقوله عز وجل وبالاسحار هم يستغفرون قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار الى الاسحار كما قال تبارك وتعالى والمستغفرين بالاسحار فان كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فيعطى سؤله حتى يطلع الفجر وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى اخبارا عن يعقوب انه قال لبنيه سوف أستغفر لكم ربي قالوا أخرهم الى وقت السحر وقوله تعالى وفي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات وما في الارض) قد تقدم الكلام على هذا وعلى وجه التعبير في بعض السور بلفظ الماضي كهذه السورة وفي بعضها بالمضارع وفي بعضها بلفظ الامر الارشاد الى مشروعية التسبيح في كل الاوقات ماضيها ومستقبلها وحالها وقد قدمناه وهذا في أول سورة الحديد وأعاد الموصول هنا وفي الحشر والجمعة والتغابن جريا على الاصل وأسقطه في الحديد موافقة لقوله فيها له ملك السموات والارض وقوله هو الذي خلق السموات والارض ولم يقل سبح لله السموات والارض وما فيهما فيكون أكثر مبالغة لان المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفل فيشمل الارض وما فيها (وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يغالب (الحكيم) في أفعاله وأقواله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) هذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ على جهة الانكار أي لم تقولون من الخير ما لا تفعلونه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية وحذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالها كما في نظائرها قال النسفي وهي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما وحرف الجر كشئ واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم محذوفة الالف وقد جاء استعمال الاصل قليلا كقول الشاعر

أموالهم حق للسائل والمحروم لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال وفي أموالهم حق أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعروف وهو الذي يبتدئ بالسؤال وله حق كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا وأما المحروم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هو المحارب الذي ليس له في الاسلام سهم يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذي لا يكون له مال الا ذهب قضى الله له تعالى ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وعطاء بن أبي رباح المحروم المحارف وقال قتادة والزهري المحروم الذي لا يسأل الناس شيأ (٣١٠) قال الزهري وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له وقال محمد بن اسحق حدثني بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضي الله عنه كتف شاة فرمى بها اليه وقال يقولون انه المحروم وقال الشعبي أعياني ان أعلم ما المحروم واختار ابن جرير ان المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا فجاء قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وهذا يقتضي ان هذه مدنية وليس كذلك بل هي مكية شاملة لما بعدها وقوله عز وجل وفي الارض آيات للموقنين أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والانهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج اليه فيه ولهذا قال عز وجل وفي أنفسكم أفلا تبصرون قال قتادة من تفكر في خلق نفسه عرف انه انما خلق ولينت مفاصله للعبادة ثم قال تعالى وفي السماء رزقكم يعني المطر وما توعدون يعني الجنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثوري قرأ واصل الاحدب هذه الآية وفي السماء رزقكم وما توعدون فقال ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيأ فلما أن كان في اليوم الثالث اذا هو بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت وقوله تعالى فورب السماء والارض انه

على ما قام يشتمني جرير عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون وددنا ان الله أخبرنا بأحب الاعمال فنعمل به فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان أحب الاعمال ايمان بالله لا شك فيه وجهاد أهل معصية الذين خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله لم تقولون ما لا تفعلون قال النخعي ثلاث آيات في كتاب الله منعتني ان أقضي على الناس أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وهذه الآية ثم ذمهم سبحانه على ذلك فقال (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) أي عظم ذلك في المقت وهو أشد البغض والمقت والمقاتة مصدران يقال مقت ومقوت اذا لم يحبه الناس قال الكسائي ان تقولوا في موضع رفع لان كبر فعل بمعنى بئس ومقتا منتصب على التمييز وعلى هذا فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالنكرة وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل انه قصد بقوله كبر التعجب وقد عده ابن عصفور من أفعال التعجب المبوب لها في النحو واليه نحا الزمخشري وقال هذا من أفصح الكلام وأبلغه ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره واشكاله قال السمين وهذه قاعدة مطردة وهي ان كل فعل يجوز التعجب منه يجوز أن يبنى على فعل بضم العين ويجرى مجرى نعم وبئس في جميع الاحكام وقيل انه ليس من أفعال الذم ولا من أفعال التعجب بل
هو

لحق مثل ما انكم تنطقون يقسم تعالى بنفسه الكريمة ان ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون وكان معاذ رضي الله عنه اذا حدث بالشيء يقول لصاحبه ان هذا لحق كما انك ههنا قال مسدد عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن البصري قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن فذكره مرسلا

(هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم) هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضا فقوله هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين أي الذين أرصد لهم الكرامة وقد ذهب الامام أحمد وطائفة من العلماء الى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل وقوله تعالى قالوا سلاما قال سلام الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها (٣١١) فالخليل اختار الافضل وقوله تعالى قوم منكرون وذلك ان الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال قوم منكرون وقوله عز وجل فراغ الى أهله أي انسل خفية في سرعة فجاء بعجل سمين أي من خيار ماله وفي الآية الاخرى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ أي مشوي على الرضف فقربه اليهم أي أدناه منهم فقال ألا تأكلون بلطف في العبارة وعرض حسن وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتي سمين مشوي فقربه اليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال ألا تأكلون على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم ان رأيت ان تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل وقوله تعالى فأوجس منهم خيفة هذا محال على ما تقدم في القصة في السورة الاخرى وهي قوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت أي استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله تعالى فعند ذلك بشرتها الملائكة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا وبشروه بغلام عليم فالبشارة له هي بشارة لها لان الولد منهما فكل منهما بشر به وقوله تعالى فأقبلت امرأته في صرة أي في صرخة عظيمة ورنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي وهي قولها يا ويلتا فصكت وجهها أي ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط وقال ابن عباس رضي الله عنهما لطمت أي تعجبا كما تتعجب النساء من الامر الغريب وقالت عجوز عقيم أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيما لا أحبل قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم أي

هو مسند الى ان تقولوا أو مقتا تمييز محول عن الفاعل قال ابن عباس هذه الآية في القتال وحده وهم قوم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الرجل قاتلت وضربت بسيفي ولم يفعل فنزلت (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) قال المفسرون ان المؤمنين قالوا وددنا ان الله يخبرنا بأحب الاعمال اليه حتى نعمله ولو ذهبت فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله هذه الآية وانتصاب صفا على المصدرية والمفعول محذوف أي يصفون أنفسهم صفا وقيل هو مصدر في موضع الحال أي صافين أو مصفوفين قرأ الجمهور يقاتلون على البناء للفاعل وقرأ زيد بن علي على البناء للمفعول وقرئ يقتلون بالتشديد وجملة (كأنهم بنيان مرصوص) في محل نصب على الحال من فاعل يقاتلون أو من الضمير في صفا على تقدير انه مؤول بصافين أو مصفوفين ومعنى مرصوص ملتزق بعضه ببعض يقال رصصت البناء أرصه رصا اذا ضممت بعضه الى بعض وقال الفراء مرصوص بالرصاص قال المبرد هو مأخوذ من رصصت البناء اذا لاءمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة وقيل هو من الرصيص وهو ضم الاشياء بعضها الى بعض والتراص التلاصق وقيل المتلائم الاجزاء المستويها وقال ابن عباس في الآية مثبت لا يزول ملصق بعضه على بعض وقيل أريد استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رص بعضه الى بعض والاول أولى ولما ذكر تعالى الجهاد المشتمل على

عليم بما تستحقونه من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله (قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) قال الله تعالى مخبرا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود وقال ههنا قال فما خطبكم أيها المرسلون أي ما شأنكم وفيم جئتم قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة أي معلمة عند ربك للمسرفين أي مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه فقال في سورة العنكبوت قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وقال تعالى ههنا فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين وهم لوط وأهل بيته الا امرأته فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين احتج بهذه من ذهب الى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الايمان والاسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال وقوله تعالى وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ففي ذلك عبرة للمؤمنين الذين يخافون العذاب الأليم (وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين) يقول تعالى وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين أي بدليل باهر وحجة قاطعة فتولى بركنه أي فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكبارا وعنادا وقال مجاهد تعزز بأصحابه وقال قتادة غلب عدو الله على قومه وقال ابن زيد فتولى بركنه أي بجموعه التي معه ثم قرأ أو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد والمعنى الأول قوي لقوله تعالى ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله أي معرض عن الحق مستكبر وقال ساحر أو مجنون أي لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحرا أو مجنونا قال الله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم أي ألقيناهم في اليم وهو البحر وهو مليم أي وهو ملوم كافر فاجر معاند ثم قال عز وجل وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم أي المفسدة التي لا تنتج شيئا قاله الضحاك وقتادة وغيرهما ولهذا قال تعالى ما تذر من شيء أتت عليه أي مما تفسده الريح الا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي عبد الله بن وهب حدثني عبد الله يعني ابن عياش الغساني حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الريح مسخرة من الثانية يعني من الأرض الثانية فلما أراد الله تعالى أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك

المشاق وانه يحب المقاتلين في سبيله ذكر قصتي موسى وعيسى تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى قومه وبين انهما أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحل العقاب بمن خالفهما مبتدئا بقصة موسى لتقدمه في الزمان فقال (واذ قال موسى لقومه) أي اذكر يا محمد لهؤلاء المعرضين وقت قول موسى ويجوز أن يكون وجه ذكر قصة موسى وعيسى بعد محبة المجاهدين في سبيل الله التحذير لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم موسى وعيسى معهما (يا قوم لم تؤذونني) هذا مقول القول أي لم تؤذونني بمخالفة ما آمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم أو بالشتم والانتقاص ومن ذلك رميه بالأدرة وقد تقدم بيان هذا في سورة الأحزاب وجملة (وقد تعلمون اني رسول الله اليكم) في محل نصب على الحال وقد لتحقيق العلم أو لتأكيده لا للتقريب ولا للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والمعنى كيف تؤذونني مع علمكم بذلك والرسول يحترم ويعظم ولم يبق معكم شك في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي وتفيدكم العلم بها علما يقينيا (فلما زاغوا) عن الايمان وأصروا على الزيغ واستمروا عليه (أزاغ الله قلوبهم) عن الهدى وصرفها عن قبول الحق وقيل صرفها عن الثواب قال مقاتل لما عدلوا عن الحق أي بايذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عنه جزاء بما ارتكبوا أو المعنى لما تركوا أوامره نزع نور الايمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزيغ

عادا قال أى رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور قال له الجبار تبارك وتعالى لا اذا تكفأ الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهى التى قال الله عز وجل فى كتابه ماتذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم هذا الحديث رفعه منكر والاقرب ان يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم قال سعيد بن المسيب وغيره فى قوله تعالى اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم قالوا هى الجنوب وقد ثبت فى الصحيح من رواية شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين قال ابن جرير يعنى الى وقت فناء آجالكم والظاهر ان هذه كقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون وهكذا قال ههنا وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون وذلك انهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم فى صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار فما استطاعوا من قيام أى من هرب ولا نهوض وما كانوا منتصرين أى ولا يقدرون على ان ينتصروا مما هم فيه وقوله عز وجل وقوم نوح من قبل أى وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء انهم كانوا قوما فاسقين وكل هذه القصص قد (٣١٣) تقدمت مبسوطة فى اماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوى والسفلى والسماء بنيناها أى جعلناها سقفا محفوظا رفيعا بأيد أى بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثورى وغير واحد وانا لموسعون أى قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هى والارض فرشناها أى جعلناها فراشا للمخلوقات فنعم الماهدون أى وجعلناها مهدا لاهلها ومن كل شئ خلقنا زوجين أى جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وايمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار حتى الحيوانات والنباتات ولهذا قال تعالى لعلكم تذكرون أى لتعلموا ان الخالق واحد لا شريك له ففروا الى الله أى الجئوا اليه واعتمدوا فى أموركم عليه انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اى ولا تشركوا به شيأ انى لكم منه نذير مبين (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم وكما قال هؤلاء المشركون قال المكذبون الاولون لرسلهم كذلك ما أتى الذين من قبلهم من

الزيغ ازاغ الله قلوبهم أى خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدى القوم الفاسقين) هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها قال الزجاج لا يهدى من سبق فى علمه انه فاسق والمعنى انه لا يهدى كل متصف بالفسق وهؤلاء من جملتهم (١) وان من أسلم منهم لم يكن كافرا فى علمه أى محتوما عليه بالكفر بحيث يموت عليه (واذ قال عيسى بن مريم) معطوف على واذ قال موسى معمول لعامله أو معمول لعامل مقدر معطوف على عامل الظرف الاول (يا بنى اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب ولا أب له فيهم فيكونوا قومه وأمه مريم من أشرفهم نسبا (انى رسول الله اليكم) أى أرسلت اليكم بالوصف الذى وصفت به فى التوراة حال كونى (مصدقا لما بين يدى من التوراة) لانى لم آتكم بشئ يخالف التوراة بل هى مشتملة على التبشير بى فكيف تنفرون عنى وتخالفوننى وذكر أشهر الكتب الذى حكم به النبيون وأشهر الرسل الذى هو خاتم المرسلين (ومبشرا برسول يأتى من بعدى) واذا كنت كذلك فى التصديق والتبشير فلا مقتضى لتكذيبى وقرئ بعدى بفتح الياء واسكانها (اسمه أحمد) هو نبينا صلى الله عليه وسلم وهو علم منقول من الصفة وهى تحتمل ان تكون مبالغة من الفاعل فيكون معناها انه أكثر حمدا من غيره أو من المفعول فيكون معناها انه يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر

(١) هذا جواب عما يقال انه تعالى هدى كثيرا من الكافرين بان وفقهم للاسلام فكيف قال لا يهدى فاجاب المؤلف العلامة مد ظله العالى وان من أسلم الخ سيد ذو الفقار أحمد

رسول الا قالوا ساحر أو مجنون قال الله عز وجل أتواصوا به أى أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة بل هم قوم طاغون أى لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم قال الله تعالى فتول عنهم أى فاعرض عنهم يا محمد فما أنت بملوم يعنى فما نلومك على ذلك وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين أى انما تنتفع بها القلوب المؤمنة ثم قال جل جلاله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى انما خلقتهم لامرهم بعبادتى الا لاحتياجى اليهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما الا ليعبدون أى الا ليقروا بعبادتى طوعا أو كرها وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن جريج الا ليعرفون وقال الربيع بن أنس الا ليعبدون أى الا للعبادة وقال السدى من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك وقال الضحاك المراد بذلك المؤمنون وقوله تعالى ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أنا الرزاق ذو القوة المتين ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث اسرائيل وقال (٣١٤) الترمذى حسن صحيح ومعنى الآية انه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لاشريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب وأخبر انه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه فى جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عمران يعنى ابن زائدة بن نشيط عن أبيه عن أبى خالد هو الوالبى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قال الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك والا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذى حسن غريب وقد روى الامام أحمد عن وكيع وأبى معاوية عن الاعمش عن سلام بن شرحبيل سمعت حبة وسواء ابنى خالد يقولان أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل عملا أو يبنى بناء وقال أبو معاوية يصلح شيأ فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال لا تيئسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه وقد ورد فى بعض الكتب الالهية يقول الله تعالى ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب واطلبنى تجدنى فان وجدتنى وجدت كل شئ وان فتك فاتك كل شئ وانا أحب اليك من كل شئ وقوله تعالى فان للذين ظلموا ذنوبا أى نصيبا من العذاب مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون أى فلا يستعجلون ذلك فانه واقع لا محالة فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون يعنى يوم القيامة آخر تفسير سورة الذاريات ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الطور وهى مكية) قال مالك عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه أخرجاه من طريق مالك وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة قالت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اشتكى فقال طوفى من وراء

مما يحمد غيره وبالاعتبار الاول قدم عيسى هذا الاسم على اسم محمد لان كونه حامدا لله سابق على حمد الخلق له لانهم لم يحمدوه الا بعد وجوده فى الخارج وحمده لربه كان قبل حمد الناس له وقال الكرخى انه انما خصه بالذكر لانه فى الانجيل مسمى بهذه الاسم ولانه فى السماء أحمد فذكر باسمه السماوى لانه أحمد الناس لربه لان حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لامته سابق على حمدهم له تعالى أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذى يحشر الله الناس على قدمى وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وفى بعض حواشى البيضاوى ان له أربعة آلاف اسم وان نحو سبعين منها من أسمائه تعالى انتهى والحق ان أسماء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم توقيفية لا يزاد عليها ولا يدعى ولا يسمى بغيرها وفى الخازن تحت هذه الآية عن أبى موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه ان يأتوا النجاشى وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشى يقول أشهد ان محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لاتيته حتى احمل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قال أبو داود المدنى قد بقى فى البيت موضع قبر أخرجه الترمذى

الناس وأنت راكبة فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور

*(بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون) يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة ان عذابه واقع باعدائه وانه لا دافع له عنهم فالطور هو الجبل الذى يكون فيه أشجار مثل الذى كلم الله عليه موسى وارسل منه عيسى ومالم يكن فيه شجر لا يسمى طورا انما يقال له جبل وكتاب مسطور قيل هو اللوح المحفوظ وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التى تقرأ على الانسان جهارا ولهذا قال فى رق منشور والبيت المعمور ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الاسراء بعد مجاوزته الى السماء السابعة ثم رفع بى الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون اليه آخر ما عليهم يعنى يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الارض بكعبتهم كذلك ذلك البيت المعمور هو كعبة أهل (٣١٥) السماء السابعة ولهذا وجد ابراهيم الخليل عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور لانه بانى الكعبة الارضية والجزاء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفى كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون اليه والذى فى السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام ابن عمار حدثنا الوليد حدثنا روح ابن جناح عن الزهرى عن سعيد ابن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة وفى السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلوا فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبدا ويولى عليهم أحدهم يؤمر ان يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه الى ان تقوم الساعة هذا حديث غريب جدا تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشى الاموى مولاهم أبو سعيد الدمشقى وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجانى والعقيلى والحاكم أبو عبد الله النيسابورى وغيرهم قال الحاكم لا أصل له من حديث أبى هريرة ولا سعيد ولا الزهرى وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قال لعلى ما البيت المعمور قال بيت فى السماء يقال له الصراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الارض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون فيه أبدا وكذا رواه شعبة وسفيان الثورى عن سماك وعندهما ان ابن الكواء هو السائل عن ذلك ثم رواه ابن جرير عن أبى كريب عن طلق بن غنام عن زائدة عن عاصم عن ابن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا عن البيت المعمور قال مسجد فى السماء يقال له الصراح يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا ورواه من حديث أبى الطفيل عن على بمثله وقال العوفى عن ابن عباس هو بيت حذاء العرش

الترمذى وعن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى يا رسول الله هل بعدنا من أمة قال نعم يأتى بعد كم أمة حكماء علماء ابرار أتقياء كأنهم فى الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل انتهى ومثله فى الخطيب وقال مكان قوله يأتى بعدكم أمة لفظ أمة أحمد وقال روى انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اسمى فى التوراة أحيد لانى أحيد أمتى عن النار واسمى فى الزبور الماحى محا الله بى عبدة الاوثان واسمى فى الانجيل أحمد وفى القرآن محمد لانى محمود فى أهل السماء والارض انتهى ولينظر فى سند هذا الحديث قال القرطبى واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه قبل ان يسمى به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته انتهى وذكره عيسى عليه السلام وقال اسمه أحمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلنى من أمة محمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل انتهى من الخطيب *(تنبيه)* قد راجعنا من التفاسير الموجودة عندنا الآن جلها كتفسير أبى السعود والمدارك للنسفى والبيضاوى وحاشيته من الخفاجى والجلالين وحاشية سليمان الجمل عليه والخطيب والخازن وأمثال ذلك فى هذا المقام تحت هذه الآية فلم نجد أحدا من هؤلاء الاعلام ذكر هذه الاشارة نقلا عن الانجيل ولعل السبب فى ذلك عدم رجوعهم الى الكتب العتيقة والجديدة وتراجمها

تعمره الملائكة يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه هل تدرون ما البيت المعمور قالوا الله ورسوله أعلم قال فانه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم وزعم الضحاك انه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة ابليس فالله أعلم وقوله تعالى والسقف المرفوع قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة عن علي والسقف المرفوع يعني السماء قال سفيان ثم تلا وجعلنا السماء سقفا محفوظا وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد واختاره ابن جرير وقال الربيع ابن أنس هو العرش يعني انه سقف لجميع المخلوقات وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور وقوله تعالى والبحر المسجور قال الربيع بن أنس هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحيا به الاجساد في قبورها يوم معادها وقال الجمهور هو هذا البحر واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم المراد انه يوقد يوم القيامة نارا كقوله واذا البحار سجرت أي أضرمت فتصير نارا تتأجج محيطة بأهل الموقف ورواه (٣١٦) سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب وروي عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله ابن عبيد بن عمير وغيرهم وقال العلاء بن بدر انما سمي البحر المسجور لانه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة كذا رواه عنه ابن أبي حاتم وعن سعيد بن جبير والبحر المسجور يعني المرسل وقال قتادة المسجور المملوء واختاره ابن جرير ووجهه بانه ليس موقدا اليوم فهو مملوء وقيل المراد به الفارغ قال الاصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء عن ذي الرمة عن ابن عباس في قوله تعالى والبحر المسجور قال الفارغ خرجت أمة تستقي فرجعت فقالت ان الحوض مسجور يعني فارغا رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء وقيل المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الارض لئلا يغمرها فيغرق أهلها قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه يقول السدي وغيره وعليه يدل الحديث الذي رواه الامام أحمد رحمه الله في مسنده فانه قال حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثني شيخ كان مرابطا بالساحل قال لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من ليلة الا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى ان ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل وقال الحافظ أبو بكر الاسماعيلي حدثنا الحسن بن سفيان عن اسحق بن راهويه عن يزيد وهو ابن هرون عن العوام بن حوشب حدثني شيخ مرابط قال خرجت ليلة لحرسي لم يخرج أحد من الحرس غيري فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل الي ان البحر يشرف يحاذي برؤس الجبال فعل ذلك مرارا وأنا مستيقظ فلقيت أبا صالح فقال حدثنا عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ليلة الا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل فيه رجل مبهم لم يسم وقوله تعالى ان عذاب ربك لواقع هذا هو المقسم عليه أي واقع بالكافرين كما قال في الآية الاخرى ماله من دافع أي ليس له دافع يدفعه عنهم اذا أراد الله بهم ذلك قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا

وقد

بالالسنة المختلفة أو عدم وجودها في تلك الازمنة أو لعدم الاعتماد عليها لما تطرق من التحريف اليها ولكنا أحببنا أن نذكر في هذا المقام من النصوص الانجيلية وغيرها بعضا من الادلة الدالة على بشارة عيسى عليه السلام باتيان رسول من بعده اسمه أحمد فان من من الله سبحانه على عباده المؤمنين ومن تمام حجته على أهل الكتاب ان الاخبارات والامثلة والبشارات الواردة في حق نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الناصة على ثبوت نبوته العامة ورسالته الشاملة للخليقة كلها توجد كثيرا في تلك الكتب الى هذا الآن مع ما وقع فيها من التحريفات اللفظية والمعنوية كما نطق به الاحاديث والقرآن ومن عرف طريق أخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر ونظر بعين الانصاف الى هذه البشارات وقابلها بالاخبارات التي نقلها النصارى في عيسى بن مريم عليهما السلام جزم بان هذه الاخبارات عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غاية من القوة ونهاية من الصحة والشهرة والقبول وهذه جملة صالحة منها نذكرها هنا ونتكلم عليها بما يكشف عن حالها والدلالة منها على هذا المقصود فأقول وبالله أجول وأصول فمن تلك البشارات ما في الباب السابع عشر من سفر التكوين وعلى اسمعيل استجيب لك هوذا أباركه وأكبره وأكثره جدا فسيلد اثني عشر رئيسا وأجعله لشعب كبير انتهى فقوله أجعله لشعب كبير مشير الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه لم يكن في ولد اسمعيل من كان لشعب كبير غيره

موسى بن داود عن صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي قال خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ والطور حتى بلغ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع قال قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حماره واستند الى حائط فمكث مليا ثم رجع الى منزله فمكث شهرا يعودونه الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه وقال الامام أبو عبيد في فضائل القرآن حدثنا محمد بن صالح حدثنا هشام بن حسان عن الحسن ان عمر قرأ ان عذاب ربك لواقع فربا لها ربوة أعيد منها عشرين يوما وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا قال ابن عباس وقتادة تتحرك تحريكا وعن ابن عباس هو تشققها وقال مجاهد تدور دورا وقال الضحاك استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض وهذا اختيار ابن جرير انه التحرك في استدارة قال وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى فقال

كأن مشيتها من بيت جارتها * مور السحابة لا ريث ولا عجل

وتسير الجبال سيرا أي تذهب فتصير هباء منبثا وتنسف نسفا فويل يومئذ للمكذبين أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم الذين هم في خوض يلعبون أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزوا ولعبا يوم يدعون (٣١٧) أي يدفعون ويساقون الى نار جهنم دعا قال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري يدفعون فيها دفعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أي تقول لهم الزبانية ذلك تقريعا وتوبيخا أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها أي ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم أي سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها انما تجزون ما كنتم تعملون أي ولا يظلم الله أحدا بل يجازي كلا بعمله (ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال ان المتقين في جنات ونعيم وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال فاكهين بما آتاهم ربهم أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك ووقاهم ربهم عذاب الجحيم أي وقد نجاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف اليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون كقوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية أي هذا بذاك تفضلا منه واحسانا وقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة قال الثوري عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس السرر في الحجال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمرو أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه وحدثنا أبي أخبرنا هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال بلغنا ان الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم فاذا حانت منه نظرة فاذا أزواج

وقد قال تعالى ناقلا دعاء ابراهيم واسمعيل عليهما السلام في كلامه المجيد ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم قال الرازي وفي الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا وأنا أطلب لكم الى أبي حتى يمنحكم ويعطيكم الفارقليط حتى يكون معكم الى الابد والفارقليط هو روح الحق اليقين هذا لفظ الانجيل المنقول الى العربي وذكر في الاصحاح الخامس عشر هذا اللفظ وأما الفارقليط روح القدس يرسله أبي باسمي ويعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء وهو يذكركم ما قلت لكم ثم ذكر بعد ذلك بقليل واني قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان ذلك تؤمنون وذكر في الاصحاح السادس عشر هكذا ولكن أقول لكم الآن حقا يقينا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى أبي لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء هو يفند أهل العالم ويدينهم ويمنحهم ويوقفهم على الخطيئة والبر والدين وذكر بعد ذلك بقليل هكذا فان لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ولكن لا تقدرون على قبوله والاحتفاظ له ولكن اذا جاء روح الحق اليكم يلهمكم ويؤيدكم بجميع الحق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه هذا ما في الانجيل انتهى كلام الرازي وفي الزبور المائة والتاسع والاربعين سبحوا الرب تسبيحا جديدا سبحوه في مجمع الابرار فليفرح اسرائيل بخالقه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم فليسبحوا

له لم يكن رآهن قبل ذلك فيقال قد آن لك ان تجعل لنا منك نصيبا ومعنى مصفوفة أى وجوه بعضهم الى بعض كقوله على سرر متقابلين وزوجناهم بحور عين أى وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسان من الحور العين وقال مجاهد وزوجناهم أنكحناهم بحور عين وقد تقدم وصفهن فى غير موضع بما أغنى عن اعادته ههنا (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم) يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه واحسانه ان المؤمنين اذا اتبعتهم ذرياتهم فى الايمان يلحقهم بآبائهم فى المنزلة وان لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالابناء عندهم فى منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بان يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوى بينه وبين ذاك ولهذا قال ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ قال الثورى عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل ليقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سفيان الثورى به وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة عن عمرو بن مرة به ورواه البزار عن سهل بن بحر عن الحسن بن حماد الوراق عن قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس مرفوعا فذكره ثم قال وقد رواه الثورى عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وقال ابن أبى حاتم حدثنا العباس ابن الوليد بن يزيد البيروتى أخبرنى محمد بن سعيد أخبرنى شيبان أخبرنى ليث بن حبيب بن أبى ثابت الاسدى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال هم ذرية المؤمن يموتون على الايمان فان كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التى عملوها شيأ وقال الحافظ الطبرانى حدثنا الحسين بن اسحق التسترى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان حدثنا شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أظنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك فيقول يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به وقرأ ابن عباس والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الآية وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية يقول والذين أدرك ذرياتهم الايمان فعملوا بطاعتى ألحقتهم بايمانهم الى الجنة وأولادهم الصغار تلحق بهم وهذا راجع الى التفسير الاول فان ذلك مفسر أصرح من هذا وهكذا يقول الشعبى وسعيد بن جبير وابراهيم وقتادة وأبو صالح والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد وهو اختيار ابن جرير وقد قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار فلما رأى الكراهة فى وجهها قال لو رأيت مكانهما

اسمه بالمصاف بالطبل والمزمار يرتلوا له لان الرب يسر بشعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص تفتخر الابرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم ترفيع الله فى حلوقهم وسيوف ذات فمين فى أياديهم ليصنعوا انتقاما فى الامم وتوبيخات فى الشعوب ليقيدوا ملوكهم بالقيود واشرافهم بالاغلال من حديد ليصنعوا بهم حكما مكتوبا هذا المجد يكون لجميع الابرار انتهى وهذا الزبور عبر عن المبشر به بالملك وعن مطيعه بالابرار وصدق جميع هذه الصفات على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ولا ينكر ذلك الا من عمى الله عين بصيرته وخذله عن سبيل هدايته ومنها ما فى انجيل يوحنا وترجمته بالعربية ان كنتم تحبونى فاحفظوا كلامى وأنا التمس الاب فيرسل اليكم فارقليطاء آخر ليمكث معكم الى ابد الآبدين انتهى وهذا من أعظم الدلائل الدالة على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وقد اعرض عنه النصارى اعراضا كليا والفارقليطاء عجمية يونانية معناه الشافع والواسطة والمسلى والمجد وهذه المعانى تدل على الممدوح بعضها بالمطابقة وبعضها بالتضمن وبعضها بالالتزام فان التمجيد مرادف للحمد والثلاثة الاخر مما توجب الحمد فهذا هو معنى قوله سبحانه مبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد والدليل على ذلك وصفه بالمكث الى الابد والدوام فانه لم يأت بعد عيسى عليه السلام احد يتصف بهذه الصفة غيره وفى التنكير دلالة على ان هذا الفارقليطاء الذى هو الآن معكم اى المسيح زمنى لا يبقى الى الابد

لا بغضتهما قالت يارسول الله فولدى منك قال فى الجنة قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية هذا فضله تعالى على الابناء ببركة عمل الآباء واما فضله على الآباء ببركة دعاء الابناء فقد قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول يارب انى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك اسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الامن ثلاث صدقة جارية اوعلم ينتفع به اوولد صالح يدعو له وقوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لما اخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية الى منزلة الآباء من غير عمل يقتضى ذلك اخبر عن مقام العدل وهو انه لا يؤاخذ احدا بذنب احد فقال تعالى كل امرئ بما كسب رهين اى مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أبا أو ابنا كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين وقوله وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اى والحقناهم بفواكه ولحوم (٣١٩) من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى وقوله يتنازعون فيها كأسا اى يتعاطون فيها كأسا أى من الخمر قاله الضحاك لا لغو فيها ولا تأثيم اى لا يتكلمون فيها بكلام لاغ اى هذيان ولا اثم اى فحش كما يتكلم به الشربة من اهل الدنيا قال ابن عباس اللغو الباطل والتأثيم الكذب وقال مجاهد لا يستبون ولا يؤثمون وقال قتادة كان ذلك فى الدنيا مع الشيطان فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا واذاها كما تقدم فنفى عنها صداع الراس و وجع البطن وازالة العقل بالكلية وأخبر انها لا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هذيانا وفحشا واخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون وقال ههنا يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم وقوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون اخبار عن خدمهم وحشمهم فى الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون فى حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم كما قال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى اقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن اعمالهم واحوالهم فى الدنيا وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم اذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين أى كنا فى الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اى فتصدق علينا واجارنا مما نخاف انا كنا من قبل ندعوه أى نتضرع اليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا انه هو البر الرحيم وقد ورد فى هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده فقال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا الى الاخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذى سرير هذا فيتحدثان فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيتحدثان بما كان فى الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه يافلان تدرى أى يوم غفر الله لنا يوم كنا فى موضع

الابد والذى يأتى بعده ابدى وان فسره النصارى بالروح القدس فهذا خطأ لان الروح القدس لم يبق معهم بعد يوم الدار ولا يوجد معهم فى زماننا هذا غير روح ابليس شئ فيكون عدولهم عن اتباع أمره هو محافظتهم عليه والا فان كان الفارقليطاء عبارة عن الروح القدس الذى نزل على الحواريين يوم الدار لاستطاع اساقفة النصارى وقسوسهم ان يفعلوا الخوارق التى فعل المسيح لكنهم لا يستطيعون على شئ من ذلك فالفارقليطاء ليس بعبارة عن الروح القدس الذى نزل عليهم يوم الدار أما المقدم فلان الحواريين كانوا يعملون الخوارق التى كان يفعلها المسيح وأما التالى فلانه لم ينقل عنهم لا فى الغابر ولا فى الحال واما قولنا ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم هو المتصف بالمكث الى الابد فلانه لم يأت بعد محمد صلى الله عليه وسلم من يدعى النبوة ويظهر المعجزة فانحصرت فيه حتى يأتى غيره ومعنى الدوام هو بقاء ملته على دعائمها الاصلية وعدم تحريف كتابه العزيز بل وسنته المطهرة وعدم اختلال شريعته الحقة الصادقة ولا ينقض ذلك باختلاف المذاهب لان هذا الاختلاف مما يتعلق بالفروع وفى رومية واشعياء ها انا واضع فى صهيون حجرة عثرة وصخرة شك وكل من يؤمن بها لا يخجل انتهى وتقييد عدم الخجالة بالايمان بها فيه دلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وأخذه النصارى واولوه على عادتهم واستدلوا به على ربوبية المسيح وليس بشئ وصهيون جبل فى أورشليم وقيل بل عقبة أسست عليها

كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا ثم قال البزار لا نعرفه يروى الا بهذا الاسناد قلت وسعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح قد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي حدثنا وكيع عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة انها قرأت هذه الآية فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فقالت اللهم من علينا وقنا عذاب السموم انك انت البر الرحيم قيل للاعمش في الصلاة قال نعم (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبلغ رسالته الى عباده وان يذكرهم بما أنزل الله عليه ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أي لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ولا مجنون وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم قال تعالى منكرا عليهم في (٣٢٠) قولهم في الرسول صلى الله عليه وسلم ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون أي قوارع الدهر والمنون الموت يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه قال الله تعالى قل تربصوا فاني معكم من المتربصين أي انتظروا فاني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة قال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كأحدهم فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ثم قال تعالى ام تأمرهم احلامهم بهذا أي عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم انها كذب وزور بل هم قوم طاغون أي ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك وقوله تعالى ام يقولون تقوله أي اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن قال الله تعالى بل لا يؤمنون أي كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين أي ان كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن فانهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الارض من الجن والانس ما جاؤا بمثله ولا بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله (ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون) هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الالهية فقال تعالى ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أي أوجدوا من غير موجد أم هم أوجدوا أنفسهم أي لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم

اورشليم والحجرة والصخرة والعثرة والشك من المترادفات وسياق الكلام في رومية ان بولوس كان يعظ بعيسى ويوبخ اليهود على عدم ايمانهم به وهو كلام طويل آخره وقوله واما اسرائيل فانه قد طلب شريعة العدل ولم يظفر بها ولم يظفر بها لانهم لم يطلبوها بالايمان بل بأعمال الشريعة وذلك لانهم عثروا بالحجرة كما جاء ها انذا واضع حجرة عثار وصخرة شك وكل من يؤمن بها لا يخجل يريد بذلك ان بني اسرائيل كانوا يطلبون الهدى فلم يصيبوه لانهم كانوا يطلبونه ببعض الاعمال لا بالايمان وهذا يدل على ان غاية شريعة عيسى لم تكن الا بالقوة النظرية وسبب عدم طلبهم اياه بالايمان لانهم عثروا بعيسى لانهم لم يعرفوه واستدل على عدم ايمانهم به بقول اشعياء وهذا لا يدل على ربوبيته بل ولا على نبوته وسياقه في أشعياء هو قوله الا لا تتكلموا على من تكلم عليه هذه الامة ولا تخشوا ما يخشونه ولا تخافوا وقدسوا رب الجنود وحده واخشوه وخافوا منه لانه هو المقدس وهو حجرة العثرة وصخرة الشك وهو لاهل بيت اسرائيل فخ ولسكنة اورشليم مصيدة ويعثرون ويسقطون وينكسرون ويقيدون ويؤسرون فاطووا الشهادة واختموا الصحف التي عند تلاميذي وانا انتظر الرب الذي يغطي وجهه عن اهل بيت اسرائيل وأترقبه وها أنا والاولاد الذين وهب لي ربي علامة عجيبة في اسرائيل لرب الجنود الذي يسكن في صهيون انتهى وهذا لا دلالة فيه على عيسى عليه السلام لان أول

صفاته

وانشأهم بعد أن لم يكونوا شيأ مذكورا قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال حدثوني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون كاد قلبي ان يطير وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الاسارى وكان اذ ذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الاسلام بعد ذلك ثم قال تعالى أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أي أهم خلقوا السموات والارض وهذا انكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون انه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم ايقانهم هو الذي يحملهم على ذلك أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أي أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن أم هم المسيطرون أي المحاسبون للخلائق ليس الامر كذلك بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد وقوله تعالى أم لهم سلم يستمعون فيه أي مرقاة الى الملا الاعلى فليأت مستمعهم بسلطان مبين أي فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال أي ليس لهم سبيل الى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل ثم قال منكرا عليهم فيما نسبوه اليه من البنات وجعلهم الملائكة اناثا واختيارهم لانفسهم الذكور على الاناث بحيث اذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال أم له البنات ولكم البنون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد أم تسألهم أجرا أي أجرة على ابلاغك اياهم رسالة الله أي لست تسألهم على ذلك شيأ فهم من مغرم مثقلون أي فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم أم عندهم الغيب فهم يكتبون أي ليس الامر كذلك فانه لا يعلم أحد من أهل السموات والارض الغيب الا الله أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون يقول تعالى أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه فكيدهم انما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وهذا انكار شديد على المشركين في عبادتهم الاصنام والانداد مع الله ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال سبحان الله عما يشركون (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) يقول تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس وان يروا كسفا من السماء ساقطا أي عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما ايقنوا بل يقولون هذا سحاب مركوم أي متراكم وهذه كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال الله تعالى فذرهم أي دعهم يا محمد حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وذلك يوم القيامة يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ أي لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا لا يجزى عنهم يوم القيامة شيأ ولا هم ينصرون ثم قال تعالى وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى

صفاته رب الجنود ولم يكن المسيح كذلك والصفة الثانية كونه حجرة عثرة ولا تقل انهم قد عثروا بالمسيح اي شكوا فيه لان مطلق الشك لا يكفي في صدقه عليه لقوله يعثرون ويسقطون الخ والصفة الثالثة كونه يغطي وجهه عن اسرائيل وابن مريم كان مختصا بدعوتهم كما صرح به في متى فلا يصدق عليه والصفة الرابعة كونه ناسخا لما قبله من الشرائع كلها لقوله اطووا الشهادة واختموا الصحف وعيسى بن مريم يقول كما في متى وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم عيسى وأمرهم وهو يقول لا تنطلقوا الى طريق العوام ولا تدخلوا في أحد أمصار السامريين بل اذهبوا الى غنم بيت اسرائيل الضالة ويقول كما في متى أيضا لكنك ان أردت ان تلج الحياة فحافظ على الاحكام الخ وهذه كلها صريحة في خصوصية نبوته وعدم نسخ ناموس موسى فلا يصدق عليه فلا دلالة له عليه واذا فهمت هذا فقد علمت ان غاية هذا الفصل التبشير ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتقدير كلام أشعياء لا تتكلموا على أي تسبوا وترفضوا من تتكلم عليه أي من تسبه وترفضه هذه الامة أي اليهود ولا تخشوا من يخشوه أي لا تتوالوا من يتولوه ولا تعادوا من يعادوه بل قدسوا استثناء منقطع من لا تتكلموا واخشوا رب الجنود وحده واخشوه وخافوا منه أي لا تحذروا سلاطين اليونانيين والفلسطينيين والرومانيين والمدينيين ولا تقدسوهم بل اجعلوا جميع اتكالكم على رب الجنود أي الملك العادل والنبي الامي

ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ولهذا قال تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون أى نعذبهم فى الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل اذا جلى عنهم مما كانوا فيه عادوا الى اسوأ ما كانوا عليه كما جاء فى بعض الاحاديث ان المنافق اذا مرض وعوفى مثله فى ذلك كمثل البعير لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه وفى الاثر الالهى كم اعصيك ولا تعاقبنى قال الله تعالى يا عبدى كم أعافيك وأنت لا تدرى وقوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا أى اصبر على أذاهم ولا تباليهم فانك بمرأى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس وقوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم قال الضحاك أى الى الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقد روى مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغيرهما وروى مسلم فى صحيحه عن عمر انه كان يقول هذا فى ابتداء الصلاة ورواه أحمد وأهل السنن عن أبى سعيد وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ذلك وقال أبو الجوزاء وسبح بحمد ربك حين تقوم أى من نومك من فراشك واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعى حدثنى عمير بن هانئ حدثنى جنادة بن أبى أمية حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال رب اغفر لى أو قال ثم دعا استجيب له فان عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته وأخرجه البخارى فى صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد وسبح بحمد ربك حين تقوم قال من كل مجلس وقال الثورى عن أبى اسحق عن أبى الاحوص وسبح بحمد ربك حين تقوم قال اذا أراد الرجل ان يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو النضر اسحق ابن ابراهيم الدمشقى حدثنا محمد بن شعيب أخبرنى طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن أبى رباح انه حدثه عن قول الله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم يقول حين تقوم من كل مجلس ان كنت أحسنت ازددت خيرا وان كنت غير ذلك كان هذا كفارة له وقد قال عبد الرزاق فى جامعه أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن أبى عثمان الفقير ان جبريل علم النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك قال معمر وسمعت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوى بعضها بعضا بذلك فمن ذلك حديث ابن جريج عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك الا غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك رواه الترمذى وهذا لفظه والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جريج وقال الترمذى حسن صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال اسناده على شرط مسلم الا ان البخارى علله قلت علله الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطنى وغيرهم ونسبوا الوهم فيه الى ابن جريج على ان أبا داود قد روى فى

الكامل لانه أى رب الجنود والرب بمعنى المربى والمولى يقال هو رب النعمة أى مفيضها ورب البيت أى مولاه واذا أضيف الى الضمير المتصل لا يكون الا بمعنى المعبود على الاصح هو المقدس فقط لا غيره لان تعريف الخبر يفيد الحصر وهو حجرة العثرة عطف على هو المقدس وخبر لان وصخرة الشك خبر ثالث لان أى رب الجنود هذا هو المنحصر فيه هذه الصفات ولجميع الناس أما التقديس فلانه لم يرتكب قبل نبوته ما يوجب الثلب وأما العثرة والشك فلانه من أولاد هاجر ولم يبعث منهم قبله نبى وأما أيوب فمن أعراب مدين وأما خالد بن سنان عند من يقول بنبوته فمن أعراب سامرة وهو لاهل بيت اسرائيل فخ وهذه صفة أخرى له صلى الله عليه وآله وسلم وهى أنه فخ يصيدهم ويأسرهم فكما فعل بهم الفلسطانيون هكذا يفعل بهم هو أيضا ولسكنة أورشليم مصيدة المصيدة هى الشبكة التى تصيد كل ما وقع عليها مرة واحدة بخلاف الفخ فانه لا يصيد شيئا وقع عليه الا ما يقع العثرة ولا يكون الا واحدا فكان مراد أشعياء عليه السلام أنه يتسلط على اليهود ويقهرهم واحدا بعد واحد لانهم مشتتون وأما البلد فانه يتسلط عليها مرة واحدة ويعثرون أى يشكون فيه ويسقطون اذا شكوا وينكسرون اذا سقطوا ويقيدون اذا انكسروا الا أنهم لا يستطيعون الفرار ويؤسرون اذا قيدوا واطووا الشهادة التى عندكم أيها الانبياء واختموا الصحف أى أسفار التوراة ونبوات الانبياء التى عند تلاميذى أى بنى اسرائيل

لانها

سننه من طريق غير ابن جريج الى ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ورواه أبو داود واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن أبي هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة الاسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بآخر عمره اذا اراد ان يقوم من المجلس سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك فقال رجل يارسول الله انك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال كفارة لما يكون في المجلس وقد روى مرسلا عن ابي العالية فالله اعلم وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء وروى مرسلا أيضا فالله أعلم وكذا رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو انه قال كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات الا كفر بهن عنه ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر الا ختم له بهن كما يختم بالخاتم سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه ومن رواية جبير بن مطعم ورواه أبو بكر الاسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أفردت لذلك جزأ على حدة بذكر طرقه وألفاظه وعلله وما يتعلق بها ولله الحمد والمنة وقوله تعالى ومن الليل فسبحه أي (٣٢٣) اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقوله تعالى وادبار النجوم قد تقدم في حديث ابن عباس انهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فانهما مشروعتان عند ادبار النجوم أي عند جنوحها للغيبوبة وقد روى ابن سيلان عن أبي هريرة مرفوعا لا تدعوهما وان طردتكم الخيل يعني ركعتي الفجر رواه أبو داود ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب الامام أحمد القول بوجوبهما وهو ضعيف لحديث خمس صلوات في اليوم والليلة قال هل علي غيرها قال لا الا أن تطوع وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر وفي لفظ لمسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها آخر تفسير سورة الطور ولله الحمد والمنة

لانها ستنسخ وتترك اذا ظهر رب الجنود صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحتاج اليها بعد وأنا سأنتظر الرب الذي يغطي وجهه عن اسرائيل وأترقبه يعني به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يقول اني لا أنتظر من يأتي قبله يعني عيسى الذين أشار اليه في غير هذا المكان لانه نبي لبني اسرائيل لكني انتظر الذي يغطي وجهه عنهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقال ان نبوته صلى الله عليه وآله وسلم عامة والعامة تلزم منها دعوة الكل فكيف يغطي وجهه عنهم لان المراد بتغطية الوجه عدم ظهوره منهم واستقامته في ملكهم ثم قال وها أنا والاولاد يعني الاتقياء من بني اسرائيل واضافة الرب الى الضمير المتصل اشارة الى المعبود جل اسمه الذين وهبهم لي ربي أي أعطاني اياهم ووفقهم لاتباع دعوتي علامة عجيبة في اسرائيل أي نكون نحن علامة لهم حتى يعرفوا ما ضلوا عنه ويندموا على ما فعلوه ولرب الجنود الذي يسكن في صهيون اشارة الى المهدي لانه وصف محمدا صلى الله عليه وآله وسلم برب الجنود الذي يغطي وجهه عن اسرائيل فاذا كان كذلك لا يمكن أن يسكن في صهيون والى هذا ذهب أكثر العلماء وصرحوا بان المهدي يستقر في أورشليم ويعمرها بأموال الهند وفي هذا البرهان اقناع كامل لليهود والنصارى والمسلمين جميعا والمراد بالسكون في صهيون سكون دينه واستقرار أهل ملته فيه وهذا أوضح مما قبله وفي سفر التكوين وأما أنت يا يهوذا فانك أنت الذي تمدحه اخوته وستكون يدك في عنق

(تفسير سورة النجم وهي مكية)

قال البخاري حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو احمد يعني الزبيدي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال أول سورة انزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رأيته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف وقد رواه البخاري أيضا في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي اسحق به وقوله في الممتنع انه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل فانه قد جاء من غير هذه الطريق انه عتبة بن ربيعة

*(بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) قال الشعبي وغيره الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا ينبغي له ان يقسم الا بالخالق رواه ابن أبي حاتم واختلف المفسرون في معنى قوله والنجم اذا هوى فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني بالنجم الثريا اذا سقطت مع الفجر وكذا روى عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير وزعم السدي انها الزهرة وقال الضحاك والنجم اذا هوى اذا رمى به الشياطين وهذا القول له اتجاه وروى الاعمش عن مجاهد في قوله تعالى والنجم اذا هوى يعني القرآن اذا نزل وهذه الآية كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه

لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بانه راشد تابع للحق ليس بضال وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم والغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصدا الى غيره فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود وعن علم الشئ وكتمانه والعمل بخلافه بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى وما ينطق عن الهوى أي ما يقول قولا عن هوى وغرض ان هو الا وحي يوحى اي انما يقول ما أمر به يبلغه الى الناس كاملا موفرا من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي امامة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله أوما ربيعة من مضر قال انما أقول ما أقول وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الاخنس أخبرنا الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله (٣٢٤) صلى الله عليه وسلم اريد حفظه فنهتني قريش فقالوا انك تكتب كل شئ تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب فامسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني الا الحق ورواه أبو داود عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن منصور حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أخبرتكم انه من عند الله فهو الذي لا شك فيه ثم قال لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد وقال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا أقول الا حقا قال بعض أصحابه فانك تداعبنا يا رسول الله قال اني لا أقول الا حقا

أعدائك وسيخبرونك أولاد أبيك الا فان القضيب لن ينصرف عن يهوذا ولا واضع الناموس من تحت قدميه حتى يأتي شيلوه وتصير اليه عوام الناس وابطأ الى الجفن جحشه والى منتخب الكرم ابن أتانه غاسلا بالخمر قميصه وبدم الكرم لباسه وسوف تكون عيناه أحمر من الخمر واسنانه أبيض من اللبن اهـ وهذا نص على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأوله النصارى وقالوا ان شيلوه هو المسيح بن مريم وقال اليهود بل هو في شأن المسيح المزمع بالاتيان وسياق دعوى النصارى هو ان هذا الفصل في سفر التكوين يتضمن دعاء يعقوب لبنيه وانه تنبأ للكل واحد منهم بما يناسب شأنه وتنبأ ليهوذا بان السلطنة ستستقر في أولاده حتى يخرج شيلوه ووصفه بهذه الصفات التي أشار اليها في غير هذا المكان والحق انه يجيز صحة النهوض وليس فيه ريبة الا ان غايته ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه قد زوال الملك والنبوة من بني اسرائيل بظهور عيسى ومن بعد ظهوره الى هذا الآن لم يستقل منهم ملك ولم يظهر فيهم نبي وانتقلت السلطنة والنبوة الى اسمعيل وقال اليهود ان شيلوه الذي هو عبارة عن المسيح المزمع بالاتيان وانه لم يأت بعد لعدم وقوع الشرط لان شرط ظهوره زوال السلطنة والنبوة منهم وقد زالت النبوة لكن السلطنة لم تزل لان بعض الممالك البعيدة عنا يوجد فيها منهم ملوك لم تبلغ الينا اخبارهم وأجيب بان الواو في قوله لا تزول السلطنة ولا واضع الناموس للجمعية فلا يمكن زوال احدهما وبقاء

الثاني

(علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم انه علمه الذي جاء به الى الناس شديد القوى وهو جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وقال ههنا ذو مرة أي ذو قوة قاله مجاهد والحسن وابن زيد وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقوة شديدة وقد ورد الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقوله تعالى فاستوى يعني جبريل عليه السلام قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وهو بالافق الاعلى يعني جبريل استوى في الافق الاعلى قاله عكرمة وغير واحد قال عكرمة والافق الاعلى الذي يأتي منه الصبح وقال مجاهد هو مطلع الشمس وقال قتادة هو الذي يأتي منه النهار وكذا قال ابن زيد وغيرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مصرف بن عمرو اليامي أبو القاسم

حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف حدثني أبي عن الوليد هو ابن قيس عن اسحق بن أبي الكهتلة أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين أما واحدة فانه سأله أن يراه في صورته فسد الافق وأما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله وهو بالافق الاعلى وقد قال ابن جرير ههنا قولا لم أره لغيره ولا حكاه هو عن أحد وحاصله انه ذهب الى ان المعنى فاستوى أي هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى أي استويا جميعا بالافق الاعلى وذلك ليلة الاسراء كذا قال ولم يوافقه أحد على ذلك ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية فقال وهو كقوله أئذا كنا ترابا وآباؤنا فعطف بالآباء على المكنى في كنا من غير اظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو وقال وذكر الفراء عن بعض العرب انه أنشده

ألم تر ان النبع يصلب عوده * ولا يستوي والخروع المتقصف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ولكن لا يساعده المعنى على ذلك فان هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى اليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الاسراء وكانت هذه الرؤية الاولى في (٣٢٥) أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى الله اليه صدر سورة اقرأ ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فيها مرارا ليتردى من رؤس الجبال فكلما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه وكلما طال عليه الامر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالابطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الافق فاقترب منه وأوحى اليه عن الله عز وجل ما أمره به فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه اليه فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحرث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا قاعد اذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها كوكري الطير فقعد في احدهما وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت ان أمس السماء لمسست فالتفت الى جبريل كأنه حلس لاط فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحى الى ما شاء الله ان يوحي ثم قال البزار لا يرويه الا الحرث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة قلت الحرث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الايادي أخرج له مسلم في صحيحه الا ان ابن معين ضعفه وقال ليس هو بشئ وقال الامام أحمد مضطرب الحديث وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن حبان كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به اذا انفرد فهذا الحديث من غرائب رواياته فان فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا ولعله منام والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله انه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت

الثاني وان الارض كلها محددة من مجاري ٦٥ درجة من الجنوب الى جزيرة مندوسة ومن ٨١ درجة من الشمال من جزيرة سلامة الى آخر ممالك الفرنج وليس فيها بقعة مجهولة وكذا الجزائر فالاعتراف بان فيها مملكة تكون فيها ملوك وأمم مجهولة محمولة على الجهالة وهو ممنوع فمن أين حصل لكم العلم بهذا المجهول فينتقض اعتراضهم واذا تحقق لك ذلك فاعلم انه عليه السلام قيد زوال السلطنة والنبوة بظهور شيلو وصيرورة عوام الناس اليه وقوله حتى يأتي شيلو يدل على انه لابد للملك والنبوة بعد ظهوره ان تزولا من اليهود وتنتقلا الى غيرهم وهم العرب وقال اليهود ان كان صحة ظهور شيلو التجأ عوام الناس اليه فلا يمكن ان يظهر شيلو ولا تلتجئ عوام الناس اليه لكن عيسى بن مريم قد خرج ولم تلتجئ عوام الناس اليه فعيسى بن مريم ليس بشيلو وأجيب عن ذلك بمنع الصغرى لان قوله وتصير عوام الناس اليه أي الى أمره وكلامه وقد اتبع عوام الناس أمره في تبشيره بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه اشارة الى ان الذين ينقادون الى شريعته صلى الله عليه وآله وسلم هم عوام الناس أي ليسوا يهودا كالعرب والفرس والروم والهنود والسنود وحبشة وبعض أهل الصين وأما اليهود فمنهم من يؤمن به ويصير الى كلامه ويتبع محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم من يمكث راكسا في بحيرة جهله وهواه لان اثبات الشئ لا ينفي ما عداه فخلاصة هذا ان موسى عليه السلام قد نقل عن يعقوب

ما الله به عليم انفرد به أحمد وقال احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابو بكر بن عياش عن ادريس بن منبه عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ان يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم صعق فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدقه تفرد به أحمد وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن اسحق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هناد بن الاسود قال كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا الى الشام فتجهزت معهما فقال ابنه عتبة والله لانطلقن الى محمد ولأوذينه في ربه سبحانه وتعالى فانطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هو يكفر بالذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابعث اليه كلبا من كلابك ثم انصرف عنه فرجع الى ابيه فقال يا بني ماقلت له فذكر له ما قاله فقال فما قال لك قال قال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك قال يابني والله ما آمن عليك دعاءه فسرنا حتى نزلنا أبراه وهي في سدة ونزلنا الى صومعة راهب فقال الراهب يامعشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد فانها يسرح الاسد فيها كما تسرح الغنم فقال لنا ابو لهب انكم قد عرفتم كبرسني وحقي وان هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه فاجمعوا امتاعكم الى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها ففعلنا فجاء الاسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة فاذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه فقال أبو لهب قد عرفت انه لا ينفلت عن دعوة محمد وقوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى أي فاقترب جبريل الى محمد لما هبط عليه الى الارض حتى كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أي بقدرهما اذا مدا قاله مجاهد وقتادة وقد قيل ان المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس الى كبدها وقوله تعالى أو أدنى قد تقدم ان هذه الصيغة تستعمل في اللغة لاثبات المخبر عنه ونفي مازاد عليه كقوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشد قسوة أي ماهي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون أي ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد فان هذا ممتنع ههنا وهكذا هذه الآية فكان قاب قوسين أو أدنى وهذا الذي قلناه من ان هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم انما هو جبريل عليه السلام هو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة كما سنورد أحاديثهم قريبا ان شاء الله تعالى وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس انه قال رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه احداهما وجاء في حديث شريك بن ابي نمر عن انس في حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة فان صح فهو محمول على وقت آخر وقصة اخرى لا انها تفسير لهذه الآية فان هذه كانت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض لا ليلة الاسراء ولهذا قال بعده ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى فهذه هي ليلة الاسراء والاولى كانت في الارض وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا زر بن حبيش قال

انه قال لاتزول السلطنة والنبوة عن اولاد يهودا حتى يخرج شيلو ويبشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويؤمن به عوام الناس ويستعبروا كلامه وبعد ذلك تستقر المملكة والنبوة المتباينتان في قبيلة أخرى وهي العرب لما مر في هذا البرهان وفي اجتماع كلتا الصفتين في ذاته صلى الله عليه وآله وسلم اشارة الى تجليه وفي نشيد الانشاد هذا صوت محبوبي فانه أتى يقفز على الجبال ويظفر على الاتلال ان محبوبي كالغزال أو كخشف الاوعال هذا هو واقف خلف جدار نايطل من الكوة ويظهر نفسه من الشباك فكلمني محبوبي وقالت لي قم يا محبوبي وجميلي وتعال فان الشتاء قد مضى والمطر قد انقضى وظهر الزهر على الارض وقرب زمان الترنم وقد سمع صوت اليمامة في أرضنا وأبدت الظمخة تينها والكرمة عنبها الغض فقم يا محبوبي وجميلي وتعال انتهى وهذا من عمدة الامثال التي تخص محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وتبشر به وقد غفل عنه اليهود والنصارى ولم يتوجهوا اليه ولا لما قبله وبعده من هذا السفر والحق أحق ان يعترف به فان جميع آياته تتعلق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكني اكتفيت منه بهذا المثال ونقلت لفظة محبوبي من الاصل الانكاري على ما كانت عليه وهو لفظ لو بفتح اللام وسكون الواو الانكارية الساكنة وهي تارة تطلق على العشق وتارة على المعشوق وكان الكانودكيون قد ترجموها بابن اخي وأجمعوا على ذلك امتثالا لامر البابا سركيس وهي في الاصل العبراني دوو كفاس

قال عبد الله بن مسعود فى هذه الآية فكان قاب قوسين أو أدنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل له ستمائة جناح وقال ابن وهب حدثنا ابن لهيعة عن ابى الاسود عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان أول شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى فى منامه جبريل بأجياد ثم انه خرج ليقضى حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا فلم يرشيأ ثلاثا ثم رفع راسه فاذا هو ثانى رجليه احدى رجليه مع الاخرى على أفق السماء فقال يا محمد جبريل جبريل يسكنه فهرب النبى صلى الله عليه وسلم حتى دخل فى الناس فنظر فلم يرشيأ ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل فى الناس فلم يرشيأ ثم خرج فنظر فرآه فذلك قول الله عزوجل والنجم اذا هوى الى قوله ثم دنا فتدلى يعنى جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام فكان قاب قوسين أو أدنى ويقولون القاب نصف اصبع وقال بعضهم ذراعين كان بينهما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن وهب به وفى حديث الزهرى عن أبى سلمة عن جابر شاهد لهذا وروى البخارى عن طلق بن غنام عن زائدة عن الشيبانى قال سألت زرا عن قوله فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى قال حدثنا عبد الله ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح وقال ابن جرير حدثنى ابن بزيع البغدادى حدثنا (٣٢٧) اسحق بن منصور حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ماكذب الفؤاد مارأى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والارض فعلى ماذكرناه يكون قوله فاوحى الى عبده ما أوحى معناه فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما أوحى أو فاوحى الله الى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح وقد ذكر عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى قال أوحى الله اليه ألم أجدك يتيما ورفعنا لك ذكرك وقال غيره أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك وقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى قال مسلم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن زياد بن حصين عن أبى العالية عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله وكذا قال أبو صالح والسدى وغيرهما انه رآه بفؤاده مرتين وقد خالفه ابن مسعود وغيره وفى رواية عنه انه أطلق الرؤية وهى محمولة على المقيدة بالفؤاد ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فانه لا يصح فى ذلك شئ عن الصحابة رضى الله عنهم وقول البغوى فى تفسيره وذهب جماعة الى انه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم وقال الترمذى حدثنا محمد بن عمرو بن منهال بن صفوان حدثنا يحيى بن كثير العنبرى عن مسلم بن جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين ثم قال حسن غريب وقال أيضا حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبى قال لقى ابن عباس كعبا فعرفه فسأله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس أخبرنا بنو هاشم فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال مسروق دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت

دووكفلس بامالة الواو ومعناها العم أخو الاب كما ورد فى اشمويل وبنو العم كما ورد فى الخروج وابن العم كما ورد فى ارميا ولم يفسرها احد من اليهود بابن الاخ فعلى ترجمة الانكاريين يكون محبوب سليمان عليه السلام محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لانه تنبئ عليه ولانه خاتم الرسل وعلى ترجمة البابا سركيس يكون ابن اخيه لان محمدا صلى الله عليه وسلم من أولاد اسمعيل وسليمان من أولاد اسحق وهما ابنا ابراهيم عليهم السلام فيكون كل واحد من محمد وسليمان عليهما السلام ابن أخ لصاحبه وعلى لغة اليهود فعلى الاول فيكون سليمان قد عبر بنفسه عن بنى اسرائيل وعن محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنفس اسمعيل فيكون عمه وعلى الثانى يكون قد عبر عن نفسه ببنى اسرائيل وعن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببنى اسمعيل فيكون قد عبر عنه باولاد عمه وعلى الثالث يكون قد عبر عن نفسه ببنى اسرائيل وعن محمد صلى الله عليه وآله وسلم بابن اسمعيل فيكون ابن عمه وتأنيث الضمير لانه عبر عن نفسه بالقبيلة والمعنى ان هذا صوت محبوبى يسمع فاسمعوه فانه أتى يقفز على الجبال لانه تولد فى الحجاز وهى أرض وعرة كثيرة الجبال ويظفر على الاتلال لانه ربى فى البريع بنى تميم ان محبوبى كالغزال جملة استئنافية تتضمن بعض صفاته صلى الله عليه وآله وسلم وذلك اشارة الى انه كان طويل العنق اسمر العينين أو كخشف الاوعال عطف على كالغزال وتأكيد لها هذا هو واقف خلف جدارنا هذا التحضيض فى الاصطفاء لكلامه

بني ثقيف لشعري فقلت رويداً ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى فقالت أين يذهب بك إنما هو جبريل من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في جياد وله ستمائة جناح قد سد الأفق وقال النسائي حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه وفي رواية رأيت نوراً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد ابن كعب قال قالوا يا رسول الله رأيت ربك قال رأيته بفؤادي مرتين ثم قرأ ما كذب الفؤاد ما رأى ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك قال لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين ثم تلا ثم دنى فتدلى ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري أخبرني عباد بن منصور قال سألت عكرمة عن قوله ما كذب الفؤاد ما رأى فقال عكرمة تريد أن أخبرك أنه قد رآه قلت نعم قال قد رآه ثم قد رآه قال فسألت عنه الحسن فقال قد رأى جلاله وعظمته ورداءه وحدثنا أبي حدثنا محمد بن مجاهد حدثنا أبو عامر العقدي أخبرنا أبو خلدة عن أبي العالية قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غير ذلك غريب جداً فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا اسود ابن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل فانه حديث اسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الامام أحمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني ربي الليلة في أحسن صورة أحسبه يعني في النوم فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى قال قلت لا فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات قال قلت المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام إلى الجماعات وابلاغ الوضوء في المكاره من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال قل يا محمد اذا صليت اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات بذل الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ نحوه وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال حدثني أحمد بن عيسى التميمي حدثني سليمان بن عمر بن سيار حدثني أبي عن سعيد بن زربي عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا يا رب

وخلف جدارنا اشارة إلى قرب زمانه أو إلى ضرورة اتيانه يطل من الكوة ويظهر نفسه من الشباك اشارة إلى علو مكانه وسمو مقامه وإلى أنه يأتي إلى بلدهم لكن لا يتوقف فيها بل يكون فيها كالذي ينظر من الشباك وفيه اشارة إلى المعراج الجسماني لان قوله يطل وينظر فيهما اشارة إلى غاية انتهاء النظر وهو يدل على التحديد الجسماني وعلى ارتفاع مكان الناظر وفيه رد على من ينكر معراجه بالجسم فتكلمت محبوبي وقالت اطراد من المتكلم إلى المخاطب والتأنيث باعتبار القبيلة أو البلد قم يا محبوبي وجميلي وتعال اظهار للرغبة في ظهوره صلى الله عليه وسلم فان الشتاء قد مضى يريد بالشتاء مدة ما بينهما من الزمان أو زمان الفترة بينه وبين عيسى عليه السلام والمطر قد انقضى يريد به الحاجب عن الظهور اما ما هو من جهة غلبة الجهل والفساد أو ما هو من جهة تغير احوال الخلق وانتقالهم من العفافة إلى السذاجة وذلك لان المطر يمنع الرجل من الخروج من كنه وظهر الزهر على الربى ترغيب له في الاتيان وبيان تهيء القوم لقبول دعوته وقرب زمان الترنم تأكيد لقوله ظهر الزهر الخ وفيه اشارة إلى بيان رغبة الناس في تلاوة المصحف وذلك مما لم يتفق لاحد من الانبياء فاني لم أر امة من الامم يتعاطون حفظ ناموسهم على الخاطر كما يفعل المسلمون من حفظ القرآن وقد سمع صوت اليمامة في أرضنا الخ هذا كله ماض بمعنى المستقبل الضروري الوقوع فقم يا محبوبي وجميلي وتعال هذا كله ظاهر الدلالة على

الطلب

فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض فقلت يارب في الدرجات والكفارات ونقل الاقدام الى الجمعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فقلت يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وفعلت وفعلت فقال ألم اشرح لك صدرك ألم اضع عنك وزرك ألم افعل بك ألم أفعل قال فافضى الى باشياء لم يؤذن لي ان أحدثكموها قال فذاك قوله في كتابه ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت اليه بفؤادي اسناده ضعيف وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده الى هبار بن الاسود رضي الله عنه ان عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة الى الشام قال لاهل مكة اعلموا اني كافر بالذي دنا فتدلى فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سيرسل الله عليه كلبا من كلابه قال هبار فكنت معهم فنزلنا بارض كثيرة الاسد قال فلقد رأيت الاسد جاء فجعل يشم رؤس القوم واحدا واحدا حتى تخطى الى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم وذكر ابن اسحق وغيره في السيرة ان ذلك كان بارض الزرقاء وقيل بالسراة وانه خاف ليلتئذ وانهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الاسد فجعل يزئر ثم تخطاهم اليه فضغم رأسه لعنه الله وقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى هذه هي المرة الثانية التي رأى (٣٢٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الاسراء وقد قدمنا الاحاديث الواردة في الاسراء بطرقها وألفاظها في اول سورة سبحان بما أغنى عن اعادته ههنا وتقدم ان ابن عباس رضي الله عنهما كان يثبت الرؤية ليلة الاسراء ويستشهد بهذه الآية وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود في هذه الآية ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت وهذا اسناد جيد قوي وقال أحمد أيضا حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم اسناده حسن أيضا وقال الامام أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني عاصم بن بهدلة قال سمعت شقيان بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح سألت عاصما عن الاجنحة فأبى أن يخبرني قال فأخبرني بعض أصحابه ان الجناح ما بين المشرق والمغرب وهذا أيضا اسناد جيد وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين حدثني حصين حدثني شقيق قال سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام في خضر معلق به الدر اسناده جيد أيضا وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن اسمعيل حدثنا عامر قال أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار

الطلب فان قلت يمكن أن لا يكون مطالب سلمان من هذا النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قلت فحينئذ اما أن يكون كلامه يخص نبيا آخر أو معشوقا مجازيا أو يكون مهملا ولا سبيل الى كل واحد منها أما الى الشق الاخير فلانه كلام الله أو كلام النبي والاهمال ممتنع عليهما أما على الاول فظاهر وأما على الثاني فلان النبي رجل يختصه الله بتبليغ كلامه من بين أهل عصره فيجب أن يكون عاقلا والعاقل لا يتكلم بالمهمل والا فاذا حصل الشك في صحة بعض انبائه يفسد اليقين بها في الكل ولان أكثر القوم ذهبوا الى عصمة الانبياء مما هو يخل بالعصمة وأما انه لا سبيل الى كونه معشوقا مجازيا فلانه لا يجوز للنبي ان يدخل سائر كلامه في الوحي وان فعله فقد عصى ولانه اما أن يكون ذكرا أو أنثى وعلى كلا الوجهين يلزم منه تفسيق النبي وهو باطل وأما انه لا سبيل الى كونه نبيا آخر فلوجود الاول ان النصوص المشتبهة قد أخذها القوم من اليهود والنصارى ولم يبق الا ما شبهة فيه والثاني انه لم يتنبأ الا على اثنين فقط وهما يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم والمثال لا يصدق على كل واحد منهما الان صفاته لا توجد فيهما فلا يكون الا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم جعلني الله واياك ممن يقتص آثاره و يتمسك باخباره وفي سفر الرؤيا ما ترجمته من كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكنائس اني سأطعم المظفر من شجرة الحياة التي هي في جنة الله وفيه من كانت له اذن سامعة فليستمع ما تقول

وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن أخبرك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الآية ومن أخبرك ان محمدا قد كتم فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبى عدى عن داود عن الشعبى عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال انما ذاك جبريل لم يره فى صورته التى خلق عليها الا مرتين رآه منهبطا من السماء الى الارض سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض أخرجاه فى الصحيحين من حديث الشعبى به (رواية أبى ذر) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لابى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته قال وما كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأى ربه عز وجل فقال انى قد سألته فقال قد رأيته نورا أنى أراه هكذا وقع فى رواية الامام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع عن يزيد بن أبى ابراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت (٣٣٠) ربك فقال نور أنى أراه وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبى عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لابى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال عن أى شئ كنت تسأله قال قلت كنت أسأله هل رأيت ربك قال أبو ذر قد سألته فقال رأيت نورا وقد حكى الخلال فى علله ان الامام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال ما زلت منكرا له وما أدرى ما وجهه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن عون الواسطى أخبرنا هشيم عن منصور عن الحكم عن ابراهيم عن أبيه عن أبى ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وحاول ابن خزيمة ان يدعى انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبى ذر وأما ابن الجوزى فتأوله على ان أبا ذر لعله سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء فأجابه بما أجابه به ولو سأله بعد الاسراء لاجابه بالاثبات وهذا ضعيف جدا فان عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الاسراء ولم يثبت لها الرؤية ومن قال انه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت اليه كابن خزيمة فى كتاب التوحيد فانه هو المخطئ والله أعلم وقال النسائى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم عن منصور عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبى ذر قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه ولم يره ببصره وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن على بن مسهر عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال فى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل عليه السلام وقال مجاهد فى قوله ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته مرتين وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قد تقدم فى أحاديث الاسراء انه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الرب وغشيها ألوان ما أدرى ما هى وقال الامام أحمد حدثنا مالك بن مغول حدثنا الزبير بن عدى عن طلحة عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة اليها ينتهى ما يعرج

الروح للكائس فان المظفر لا تظهره الموتة الثانية اه وفيه ايضا من كانت له اذن سامعة فليسمع ما تقول الروح للكائس انى سأطعم المظفر من المن المكنون وأعطيه جمرة بيضاء مكنوبا عليها اسم مرتجل لا يفهمه الا من يناله وفيه أيضا وسأعطى المظفر الذى يحفظ جميع افعالى سلطانا على الامم فيرعاهم بقضيب من حديد ويسحقهم كآنية الفخار كما أخذت أنا من أبى وأعطيه أيضا نجمة الصبح فمن كانت له أذن سامعة فليسمع ما تقول الروح للكائس وفيه المظفر يلبس ثيابا بيضاء ولا أمحوا اسمه من سفر الحياة وأعترف باسمه امام أبى وامام ملائكته فمن كانت له أذن سامعة فليسمع ما تقول الروح للكائس وفيه المظفر أجعله عمودا فى هيكل الالهى ولا يخرج خارجا وأكتب عليه اسم الهى واسم مدينة الهى أورشليم الجديدة التى نزلت من السماء من عند الهى وأكتب عليه اسمى الجديد فمن كانت له اذن سامعة فليسمع ما تقول الروح للكائس وفيه المظفر أهب له الجلوس معى على كرسى كما ظفرت أنا أيضا وجلست مع أبى على كرسيه فمن كانت له أذن سامعة فليسمع ما تقول الروح للكائس اه وهذه سبعة بشارات متواترة مترادفة فى الاصحاح الاولى والثانية من رؤيا يوحنا بن زبدى تدل دلالة صريحة على بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى نبوته العامة وقبلته الجديدة وعلو درجته تغافل النصارى عنها واولوها تأويلات سخيفة وتسويلات واهية لا تستقيم على شئ منها حجة ولا يثبت برهان وكان

الاحرى

به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيأ من أمته المقحمات انفرد به مسلم وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ يغشى السدرة ما يغشى قال كان اغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا فرآها محمد صلى الله عليه وسلم ورأى ربه بقلبه وقال ابن زيد قيل يا رسول الله أى شئ رأيت يغشى تلك السدرة قال رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عز وجل وقوله تعالى مازاغ البصر وما طغى قال ابن عباس ما ذهب يمينا ولا شمالا وما طغى ما جاوز ما أمر به وهذه صفة عظيمة فى الثبات والطاعة فانه ما فعل الا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطى وما أحسن ما قال الناظم رأى جنة المأوى وما فوقها ولو * رأى غيره ما قد رآه لتاها وقوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى كقوله لنريك من آياتنا الكبرى أى (٣٣١) الدالة على قدرتنا وعظمتنا وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة ان الرؤية تلك الليلة لم تقع لانه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولو كان رأى ربه لاخبر بذلك ولقال ذلك للناس وقد تقدم تقرير ذلك فى سورة سبحان وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن الوليد بن قيس عن اسحق بن أبي الكهتلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود انه قال ان محمدا لم ير جبريل فى صورته الا مرتين أما مرة فانه سأله ان يريه نفسه فى صورته فأراه صورته فسد الافق وأما الاخرى فانه صعد معه حين صعد به وقوله وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى فلما أخبر جبريل ربه عز وجل عاد فى صورته وسجد فقوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال خلق جبريل عليه السلام هكذا رواه الامام أحمد وهو غريب (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يقول تعالى مقرعا للمشركين فى عبادتهم الاصنام والانداد والاوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التى بناها خليل الرحمن عليه السلام أفرأيتم اللات وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى عن ابن عباس ومجاهد والربيع ابن أنس انهم قرأوا اللات بتشديد التاء وفسروه بانه كان رجلا يلت للحجيج فى الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه

الاخرى بها ان يكتب كل واحد منها على حدة لكنى اعرضت عن ذلك وكتبتها فى موضع واحد وما للاختصار واحلت تفصيلها على الكتب الكبار وقوله فمن كانت له اذن سامعة الخ مثل قوله سبحانه وتعالى فى سورة المرسلات ويل يومئذ للمكذبين حيث تكررت مرات وكان يوحنا فى جزيرة اطموس فى يوم الاحد فأتاه الوحى وحل عليه روح القدس وسمع صوتا عظيما يقول له انى أنا الالف والياء الاول والآخر فاكتب ما تراه وأرسله الى الكنائس السبع المشهورة أعنى كنيسة افسيس وكنيسة سمرنا و برغاموس وثياتيرا وساردیس دفيلا ولفية ولاذقية وفى آخر كل كتاب كتب الى الكنائس السبع قوله فمن كانت له أذن سامعة الخ وهذا ملخص الفصول المشتملة على الحجج وان أردت الاطلاع على العبارة جميعها فارجع الى سفر الرؤيا وهذه الرؤيا هى ما يعتقده النصارى رؤيا رآها يوحنا تشتمل على الاخبار التى حدثت فى العالم من ارتفاع المسيح الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بل من وفاته الى ظهور المهدى ومن وفاة المهدى الى قيام الساعة ولاشك انها تدل على ذلك وانها كلام الله لكنى لست بمطمئن من تحريفها ومع ذلك لاشك ان أماكن الاستدلال فيها قائمة على دعائمها الاصلية فمن جملة ذلك هذه الآيات الشريفة ولفظ المظفر فى الاصل اليونانى يدل على الغالب والغازى والقاهر فى الحرب والموتة الثانية عبارة عند النصارى عن موت الانسان فى الذنب أى انهم ماكثون فيه لا غير واما البعث فانهم يعترفون

وقال البخاري حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا أبو الاشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله اللات والعزى قال كان اللات رجلا يلت السويق سويق الحاج قال ابن جرير وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم احد لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا اله الا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت السنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية كما قال النسائي أخبرنا أحمد بن بكار حدثنا عبد الحميد بن محمد قال حدثنا مخلد حدثنا يونس عن أبيه حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال حلفت باللات والعزى فقال لي أصحابي بئس ماقلت قلت هجرا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال قل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وانفث عن شمالك ثلاثا وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والاوس والخزرج (٣٣٢) في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج الى الكعبة وروى البخاري عن عائشة نحوه وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز وانما أفرد هذه بالذكر لانها أشهر من غيرها قال ابن اسحق في السيرة وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لانها كانت قد عرفت انها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده فكانت لقريش ولبني كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم قلت بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد مكة ابن الوليد فهدمها وجعل يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك * اني رأيت الله قد أهانك وقال النسائي أخبرنا علي بن المنذر أخبرنا ابن فضيل حدثنا الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ارجع فانك لم تصنع شيأ فرجع خالد فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الجبل وهم يقولون يا عزى يا عزى فأتاها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال تلك العزى قال ابن اسحق وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني معتب قلت وقد بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب فهدماها وجعلا مكانها مسجدا بالطائف قال ابن اسحق وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال علي بن أبي طالب قال وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة قلت وكان يقال لها الكعبة اليمانية والكعبة التي بمكة الكعبة الشامية فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقيام جميع الناس عند ظهور المسيح وبخلود اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ولم يتعرضوا للبحث في هذا المقام وعند اليهود عبارة عن الموتة التي لا تكون بعدها موتة وأورشليم الجديدة عبارة عن مكة المعظمة على بادئ الرأي لقوله النازلة من السماء لان أهل الاسلام قد ذهبوا الى ان قوله أم القرى ومن حولها يفيد العموم وقالوا ان الحجر الاسود كان قد نزل من السماء أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم وقد رواه الترمذي وصححه فيكون قوله أورشليم الجديدة النازلة من السماء كناية عن مكة وهذا من قبيل اقامة الظرف مقام المظروف وهي في جزيرة العرب قريب من ساحل البحر الاحمر في مجاري طول ٤٠ درجة من الطول الجديد وعرض ٢٢ درجة من الشمال وفي سفر الرؤيا ورأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لان السماء الاولى والارض الاولى قد جازتا والبحر لن يوجد بعد وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء مهيئة كعروس مزينة لزوجها انتهى وهذا من أجل البشارات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لان جدة الارض والسماء تدل على تحول الاحوال وتبدل الامثال والا فلا معنى لزوالهما قبل يوم القيامة ولا معنى لوجود غيرهما وأما البحر فانه قد كني به عن الضلال الذي كان يعرض في ذلك الزمان من بعض كهنة اليهود فانهم لم يزالوا يدعون النبوة بالكذب وهم أول من خاض في ذلك البحر وقوله كالعروس الخ بيان لحسن انتظام

جرير بن عبد الله البجلي فهدمه قال وكانت قلس لطي ومن يليها بجبل طي بين سلمى وأجا قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه واصطفى منه سيفين الرسوب والمخذم فنفله إياهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما سيفا علي قال ابن إسحق وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له ريام وذكر أنه كان به كلب أسود وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت قال ابن إسحق وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام ولقد شددت على رضاء شدة * فتركتها قفراً بقاع أسحما قال ابن هشام يقال إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القائل ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا مائة حدتها بعدها مائتان لي * وعمرت من عدد الشهور سنينا هل ما بقي إلا كما قد فاتنا * يوم يمر وليلة تحدونا قال ابن إسحق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الكعبات في سنداد ولهذا قال تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ثم قال تعالى ألكم الذكر وله الأنثى أي أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى (٣٣٣) وتختارون لأنفسكم الذكور فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت قسمة ضيزى أي جوراً باطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً ثم قال تعالى منكراً عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة إن هي إلا أسماء سميتموها أي من تلقاء أنفسكم ما أنزل الله بها من سلطان أي من حجة إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس أي ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤهم به ولا انقادوا له ثم قال تعالى أم للإنسان ما تمنى أي ليس كل من تمنى خيراً حصل له ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئاً يحصل له قال الإمام أحمد حدثنا إسحق حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته تفرد به أحمد وقوله فلله الآخرة والأولى أي إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في الدنيا والآخرة فهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى كقوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى)

مكة شرفها الله وزوجها هو رب الجنود صلى الله عليه وسلم وفي أشعياء وستخرج من قنس الأسى عصى وينبت من عروقه غصن وستستقر عليه روح الرب أعني روح الحكمة والمعرفة والروح الشورى والعدل وروح العلم وخشية الله وتجعله ذا فكرة وقادة مستقيماً في خشية الرب فلا يقضي بمحابات الوجوه ولا يدين بمجرد السمع انتهى وهذه صفات رب الجنود صلى الله عليه وآله وسلم بأبي هو وأمي وفي سفر الرؤيا فأخذتني الروح إلى جبل عظيم شامخ وأرتني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله وفيها مجد الله وضوؤها كالحجر الكريم كحجر اليشم والبلور وكان لها سور عظيم عال واثنا عشر باباً وعلى الأبواب اثنا عشر ملكاً وكان قد كتب عليها أسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر انتهى ولا تأويل لهذا النص بحيث أن يدل على غير مكة شرفها الله تعالى والمراد بمجد الله بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه أيضاً ولسور المدينة اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الحمل الاثني عشر انتهى وهذا تأكيد صريح لما قبله والاثنا عشر الأساس لعلهم الخلفاء الاثنا عشر من قريش وفيه إشارة إلى انقياد جميع المذاهب العيسوية لشريعة خير البرية صلى الله عليه وسلم ولو بعد حين وبعد ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام وهذه الرؤيا طويلة جداً وفيها دلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحوال أمته المرحومة ولكل جملة منها تأويل حسن ومحمل صريح ومعنى صحيح

يقول تعالى منكرا على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الانثى وجعلهم لها انها بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ولهذا قال تعالى وما لهم به من علم أي ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيأ أى لا يجدي شيأ ولا يقوم أبدا مقام الحق وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا اى أعرض عن الذى اعرض عن الحق وهجره وقوله ولم يرد الا الحياة الدنيا اى وانما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا فذاك هو غاية ما لا خير فيه ولهذا قال تعالى ذلك مبلغهم من العلم أى طلب الدنيا والسعى لها هو غاية ما وصلوا اليه وقد روى الامام أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وفي الدعاء المأثور اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وقوله تعالى ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى اى هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده وهو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته وعلمه (٣٣٤) وحكمته وهو العادل الذى لا يجور أبدا لا في شرعه ولا في قدره (ولله ما في السموات وما في الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم أجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) يخبر تعالى انه مالك السموات والارض وانه الغنى عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى أي يجازى كلا بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم فسر المحسنين بانهم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش اى لا يتعاطون المحرمات الكبائر وان وقع منهم بعض الصغائر فانه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال في الآية الاخرى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال ههنا الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وهذا استثناء منقطع لان اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الاعمال قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذبه اخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى أخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الاعمش عن أبي الضحى ان ابن مسعود قال زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللمم وكذا قال مسروق والشعبى وقال عبد الرحمن بن نافع الذى يقال له ابن لبابة الطائفي قال سألت أبا هريرة عن قول الله الا اللمم قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس الا اللمم الا ما سلف وكذا قال زيد بن أسلم

بحيث لا تدل الا على هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم وقد أنزل بعضهم هذه الرؤيا على ما يوافق مذاهب الامامية ولا عبرة به لان التبشير انما وقع في الكتب القديمة ببعثة محمد النذير البشير صلى الله عليه وآله وسلم لا بغيره من عترته صلى الله عليه وآله وسلم الكائنة الى يوم القيامة الا ما ورد في القرآن الكريم من كون مثل أصحابه ع وما في التوراة والانجيل لا على الخصوص فلا دلالة لها على شيء من ذلك في تلك النصوص وقد بلغ بعض الناس هذه البشارات الى ثلاث وعشرين بشارة وفي بعضها نظر واضح وبعضهم الى ثمان عشرة بشارة منها ما تقدم في هذا المقام وفي غيره من هذا التفسير وجلها صحيحة ويظهر من الرجوع الى اصول الكتب نقادة الفاظ تراجمها فادة عظيمة لا ينبغي مثلها في الكتب الالهية المقدسة ولذلك لا ترى نسخة من نسخ التوراة والانجيل المطبوعة لهذا العهد او لما قبله من الزمان الكثير الا وهى مختلفة العبارة عربية كانت او افرنجية أو فارسية او هندية أو تركية وهذا التفاوت والاختلاف يقضى بالتحريف والتصحيف ويقضى منه العجب ولا عجب على الحقيقة فان الله سبحانه وتعالى قد اخبرنا بذلك من قبل ان نقف عليه وننظر فيه بعين الامعان وقد من الله سبحانه وتعالى في هذا الزمان على عباده المؤمنين حيث انتهض عصابة منهم للرد على النصارى باللسان والبيان والعمل بالاركان وأفحموهم افحاما يبقى عارا عليهم الى آخر الدهر ان شاء الله تعالى ومن البشارات أيضا ما في ترجمة القرآن المجيد

وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد انه قال فى هذه الآية الا اللمم قال الذى يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر   ان تغفر اللهم تغفر جما * واى عبد لك ما الما   وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قول الله تعالى الا اللمم قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان اهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك ما الما   وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثنى سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم   ان تغفر اللهم تغفر جما * واى عبد لك ما الما   وهكذا رواه الترمذى عن أحمد بن عثمان أبى عثمان البصرى عن أبى عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه الا من حديث زكريا بن اسحق وكذا قال البزار لا نعلمه يروى متصلا الا من هذا الوجه وساقه ابن أبى حاتم والبغوى من حديث أبى عاصم النبيل وانما ذكره البغوى فى سورة تنزيل وفى صحته مرفوعا نظر ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبى هريرة اراه رفعه الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمم من السرقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الالمام وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن ابى عدى عن عوف عن الحسن فى قول الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال اللمم من الزنا او السرقة او شرب الخمر ثم لا يعود وحدثنى يعقوب حدثنا ابن علية عن ابى رجاء عن الحسن فى قول الله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس الا اللمم يلم بها فى الحين قلت الزنا قال الزنا ثم يتوب وقال ابن جرير ايضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذى يلم المرة   وقال السدى قال ابو صالح سئلت عن اللمم فقلت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم حكاه البغوى   وروى ابن جرير من طريق المثنى ابن الصباح وهو ضعيف عن عمرو بن شعيب ان عبد الله بن عمرو قال اللمم ما دون الشرك وقال سفيان الثورى عن جابر الجعفى عن عطاء عن ابن الزبير الا اللمم قال ما بين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله الا اللمم كل شئ بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة يكفره الصلوات فهو اللمم وهو دون كل موجب   فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته فى الدنيا وأما حد الآخرة فكل شئ ختمه الله بالنار وأخر عقوبته الى الآخرة وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك   وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة أى رحمته وسعت كل شئ ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقوله تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض أى هو بصير بكم عليم باحوالكم وافعالكم واقوالكم التى ستصدر عنكم وتقع

المجيد للقسيس سيل نقله من انجيل برنابا ولفظه اعلم يا برنابا ان الذنب وان كان صغيرا يجزى الله عليه لان الله غير راض عن الذنب ولما احبتنى أمى وتلاميذى لاجل الدنيا اسخط الله لاجل هذا الامر وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم فى هذا العالم على هذه العقيدة الغير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ولا يكون لهم اذية هنالك وانى وان كنت بريئا لكن بعض الناس لما قالوا فى حقى انه الله وابن الله كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بان لا تضحك الشياطين يوم القيامة على ولا يستهزؤن بى فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته ان يكون الضحك والاستهزاء فى الدنيا بسبب موت يهوذا ويظن كل شخص انى صلبت لكن هذه الاهانة والاستهزاء تبقيان الى أن يجئ محمد رسول الله فاذا جاء فى الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس انتهى وهذه بشارة صريحة عظيمة وان قال النصارى ان هذا الانجيل رده مجالس علمائنا المتقدمين   وفى ترجمة كتاب اشعياء باللسان الارمنى سبحوا الله تسبيحا جديدا وأثر سلطنته على ظهره واسمه أحمد   وفى سفر الاستثناء قال جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه الوف الاطهار فى يمينه سنة من نار اه   وفاران جبل بمكة ومجيئه من سيناء اعطاؤه التوراة لموسى واشراقه من ساعير اعطاؤه الانجيل لعيسى واستعلانه من جبل فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيده ما فى سفر التكوين فى

منكم حين انشأ أباكم آدم من الارض واستخرج ذريته من صلبه امثال الذر ثم قسمهم فريقين فريقا للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله واذ انتم أجنة في بطون امهاتكم قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه واجله وعمله وشقي أم سعيد قال مكحول كنا أجنة في بطون امهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي ثم كنا مراضيع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا لا أبالك فماذا بعد هذا ننتظر رواه ابن أبي حاتم عنه وقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم اي تمدحوها وتشكروها وتمنوا باعمالكم هو اعلم بمن اتقى كما قال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا وقال مسلم في صحيحه حدثنا عمرو الناقد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن يزيد ابن أبي حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم وسميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم باهل البر منكم فقالوا بم نسميها قال سموها زينب وقد ثبت أيضا في الحديث الذي رواه الامام احمد حيث قال حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن ابيه قال مدح رجل رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك قطعت عنق صاحبك مرارا اذا كان احدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل احسب فلانا والله حسيبه ولا ازكي على الله احدا احسبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك ثم رواه عن غندر عن شعبة عن خالد الحذاء به وكذا رواه البخاري ومسلم وابو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به وقال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا اخبرنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن همام بن الحرث قال جاء رجل الى عثمان فاثنى عليه في وجهه قال فجعل المقداد بن الاسود يحثو في وجهه التراب ويقول أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقينا المداحين ان نحثوا في وجوههم التراب ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري عن منصور به (أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) يقول تعالى ذاما لمن تولى عن طاعة الله فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى واعطى قليلا وأكدى قال ابن عباس اطاع قليلا ثم قطعه وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد قال عكرمة وسعيد كمثل القوم اذا كانوا يحفرون بئرا فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل وقوله تعالى أعنده علم الغيب فهو يرى أي اعند هذا الذي قد امسك يده خشية الانفاق وقطع معروفه اعنده علم الغيب انه سينفد ما في يده حتى قد امسك عن معروفه فهو يرى ذلك عيانا اي ليس الامر كذلك وانما امسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحا وهلعا ولهذا جاء في الحديث أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقد قال الله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقوله تعالى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى قال سعيد بن جبير والثوري أي بلغ جميع ما امر به وقال ابن عباس وفى بينه

حال اسمعيل عليه السلام وسكن برية فاران واخذت له أمه امرأة من أرض مصر انتهى ولا شك ان اسمعيل كان ساكنا بمكة المكرمة زادها الله شرفا الى غير ذلك من الادلة الصريحة التي ينكرها النصارى ويؤولونها على غير محاملها وكل من اسلم من علماء اهل الكتاب اليهود والنصارى في القرون الاولى بل الى الآن شهد بوجود البشارات المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والتحية في كتب العهدين العتيق والجديد وهكذا اعترف بصحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وعموم رسالته من حمله الشقاء على عدم الاسلام وقبول الايمان كهرقل عظيم الروم ومقوقس صاحب مصر وابن صوريا وحيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب واضرابهم والله سبحانه وتعالى يتم نوره ولو كره الكافرون وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية (فلما جاءهم) عيسى (بالبينات) أي بالمعجزات والآيات (قالوا هذا) الذي جاءنا به (سحر مبين) أي واضح ظاهر وقيل المراد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما جاءهم بذلك قالوا هذه المقالة والاول أولى بل هو المتبادر من السياق وهما قولان حكاهما المفسرون قرأ الجمهور سحر وقرئ ساحر وهما سبعيتان (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي لا احد أكثر ظلما منه حيث يفتري على الله الكذب بنسبة الشريك والولد اليه ووصف آياته بالسحر (وهو يدعى الى الاسلام) أي والحال انه يدعى أي يدعوه ربه على لسان نبيه الى دين الاسلام الذي هو خير الاديان وأشرفها وفيه سعادة الدارين لان من كان كذلك فحقه

ان

بالبلاغ وقال سعيد بن جبير وفى ما أمر به وقال قتادة وفى طاعة الله وأدى رسالته الى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذى قبله ويشهد له قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما فقام بجميع الاوامر وترك جميع النواهى وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا ان يكون للناس اماما يقتدى به فى جميع أحواله وأقواله وافعاله قال الله تعالى ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا آدم بن أبى اياس العسقلانى حدثنا حماد بن سلمة حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى امامة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وابراهيم الذى وفى قال أتدرى ما وفى قلت الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه باربع ركعات من أول النهار ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف وقال الترمذى فى جامعه حدثنا أبو جعفر السمنانى حدثنا أبو مسهر حدثنا اسمعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبى الدرداء وأبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره قال ابن أبى حاتم رحمه الله وحدثنا أبى حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا (٣٣٧) زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا أخبركم لم سمى الله تعالى ابراهيم خليله الذى وفى انه كان يقول كل ما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الآية ورواه ابن جرير عن ابى كريب عن رشدين بن سعد عن زبان ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه فى صحف ابراهيم وموسى فقال ان لا تزر وازرة وزر أخرى أى كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شئ من الذنوب فانما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد كما قال وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى وان ليس للانسان الا ما سعى أى كما لا يحمل عليه وزر

غيره كذلك لا يحصل من الاجر الا ما كسب هو لنفسه ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى رحمه الله ومن اتبعه ان القراءة لا يصل اهداء ثوابها الى الموتى لانه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم اليه بنص ولا ايماء ولم ينقل ذلك عن احد من الصحابة رضى الله عنهم ولو كان خيرا لسبقونا اليه وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بانواع الاقيسة والآراء فاما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء فى الحديث ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه وقد قال تعالى انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم الآية والعلم الذى

أن لا يفترى على غيره الكذب فكيف يفترى به على ربه قرأ الجمهور يدعى من الدعاء مبنيا للمفعول وقرئ يدعى من الادعاء مبنيا للفاعل وانما عدى بالى لانه ضمن معنى الانتماء والانتساب (والله لا يهدى القوم الظالمين) جملة مقررة لمضمون ما قبلها والمعنى لا يهدى من اتصف بالظلم والمذكورون من جملتهم (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) الاطفاء (١) الاخماد وأصله فى النار واستعير لما يجرى مجراها من الظهور والمراد بالنور القرآن أى يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن زيد أو المراد الاسلام قاله السدى أو محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف قاله الضحاك أو الحجج والدلائل قاله ابن بحر فنور الله استعارة تصريحية والاطفاء ترشيح وقوله بافواههم فيه تورية وكذا قوله نوره ولكن قوله متم تجريد لا ترشيح أو المراد بالنور جميع ما ذكر ومعنى بأفواههم باقوالهم الخارجة من أفواههم التى لا منشأ لها غير الافواه دون الاعتقاد فى القلوب المتضمنة للطعن مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه تهكما بهم وسخرية قال ابن عطية اللام فى ليطفؤا لام مؤكدة مزيدة دخلت على المفعول لان التقدير يريدون ان يطفؤا وأكثر ما تلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم كقولك لزيد اضربت ولرؤيتك قصدت وقيل هى لام العلة والمفعول محذوف أى يريدون ابطال القرآن أو دفع الاسلام أو هلاك الرسول ليطفؤا وقيل انها بمعنى ان الناصبة وانها ناصبة بنفسها قال الفراء

(١) الاطفاء والاخماد يفترقان من وجه وهو ان الاطفاء يستعمل فى القليل فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج

٥١ سيد ذو الفقار أحمد

نشر في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا من سعيه وعمله وثبت في الصحيح من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعهم من غير ان ينقص من أجورهم شيأ وقوله تعالى وان سعيه سوف يرى اى يوم القيامة كقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون أي فيخبركم به ويجزيكم عليه اتم الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشرا وهكذا قال ههنا ثم يجزاه الجزاء الاوفى اى الاوفر (وان الى ربك المنتهى وانه هو أضحك وأبكى وانه هو امات واحيي وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى وانه هو أغنى وأقنى وانه هو رب الشعرى وانه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأي آلاء ربك تتمارى) يقول تعالى وان الى ربك المنتهى اى المعاد يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون الاودى قال قام فينا معاذ بن جبل فقال يا بني أود اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم تعلمون ان المعاد الى الله الى الجنة أو الى النار وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن (٣٣٨) النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب قال البغوي وهذا مثل ماروى عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة كذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ وانما الذي في الصحيح يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته وفي الحديث الآخر الذي في السنن تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فان الله تعالى خلق ملكا ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة أو كما قال وقوله تعالى وانه هو أضحك وأبكى أى خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان وانه هو أمات وأحيا كقوله الذي خلق الموت والحياة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى كقوله أيحسب الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقوله تعالى وان عليه النشأة الاخرى أي كما خلق البداءة هو قادر على الاعادة وهي النشأة الآخرة يوم القيامة وانه هو أغنى وأقنى أي ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيما عندهم لا يحتاجون الى بيعه فهذا اتمام النعمة عليهم وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين منهم أبو صالح وابن جرير وغيرهما وعن مجاهد أغنى مول واقنى اخدم وكذا قال قتادة وقال ابن عباس ومجاهد أيضا أغنى أعطى واقنى رضى وقيل معناه اغنى نفسه وافقر الخلائق اليه قاله الحضرمي بن لاحق وقيل اغنى من شاء من خلقه واقنى اى افقر من شاء منهم قاله ابن زيد حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من

العرب تجعل لام كي في موضع ان في أراد وأمر واليه ذهب الكسائي ومثل هذا قوله يريد الله ليبين لكم (والله متم نوره) باظهاره في الآفاق (١) وسائر البلاد من المشارق الى المغارب واعلائه على غيره ومتم الحق ومبلغه غايته قرئ متم نوره بالاضافة سبعية وبتنوين (ولو كره الكافرون) ذلك فانه كائن لا محالة (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي البيان الشافي بالقرآن أو المعجزات (ودين الحق) أي الملة الحقة وهي ملة الاسلام (ليظهره على الدين كله) أي ليجعله ظاهرا على جميع الاديان المخالفة لها عاليا عليها غالبا لها قال الخطيب فان قيل قال أولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة في ذلك أجيب بانه تعالى أرسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم في كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكافر اليق به وأما قوله ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وآله وسلم في ابتداء الدعوة أمر بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوا فلهذا قال (ولو كره المشركون) ذلك فانه كائن لا محالة ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وقال مجاهد ذلك اذا نزل عيسى لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام والدين مصدر يعبر به عن الاديان المتعددة وجواب لو في الموضعين محذوف أي

اتمه

(١) فلا يرد ان الاتمام لا يكون الا عند النقصان فما معنى نقصان هذا النور وايضاح الجواب ان اتمامه بحسب نقصان الاثر وهو الظهور في سائر البلاد من المشارق الى المغارب اذ الظهور لا يظهر الا بالاظهار وهو الاتمام ويؤيده قوله اليوم اكملت لكم دينكم اهـ سيد ذو الفقار احمد

حيث اللفظ وقوله وانه هو رب الشعرى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه وانه أهلك عادا الاولى وهم قوم هود ويقال لهم عاد بن ارم بن سام بن نوح كما قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فاهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي متتابعة وقوله تعالى وثمود فما أبقى أي دمرهم فلم يبق منهم أحدا وقوم نوح من قبل أي من قبل هؤلاء انهم كانوا هم أظلم وأطغى أي أشد تمردا من الذين من بعدهم والمؤتفكة أهوى يعني مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال فغشاها ما غشى يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قال قتادة كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف انسان فانضرم عليهم الوادي شيأ من نار ونفط وقطران كفم الاتون رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن وهب بن عطية عن الوليد بن مسلم عن خليد عنه به وهو غريب جدا فبأي آلاء ربك تتمارى أي ففي أي نعم الله عليك أيها الانسان تمترى قاله قتادة وقال ابن جريج فبأي آلاء ربك تتمارى يا محمد والاول أولى وهو اختيار (٣٣٩) ابن جرير (هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا) هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى أي من جنسهم أرسل كما ارسلوا كما قال تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل أزفت الآزفة أي اقتربت القريبة وهي القيامة ليس لها من دون الله كاشفة أي لا يدفعها اذا من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وفي الحديث أنا النذير العريان أي الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن ان يلبس عليه شيأ بل بادر الى انذار قومه قبل ذلك فجاءهم عريانا مسرعا وهو مناسب لقوله أزفت الآزفة أي اقتربت القريبة يعني يوم القيامة كما قال في أول السورة التي بعدها اقتربت الساعة وقال الامام أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه وقال أبو حازم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو نضرة لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال مثلي ومثل الساعة كهاتين وفرق بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام ثم قال مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان ثم قال مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي ان يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ذلك وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحسان ثم قال تعالى منكرا على المشركين في استماعهم القرآن واعراضهم عنه وتلهيهم تعجبون من ان يكون صحيحا وتضحكون منه استهزاء وسخرية ولا تبكون أي كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقوله تعالى وأنتم سامدون قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال الغناء هي يمانية اسمد لنا غن لنا وكذا قال عكرمة وفي

أتمه وأظهره والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم) الاستفهام ايجاب واخبار في المعنى وذكر بلفظه تشريفا لكونه أوقع في النفس وقيل المعنى سأدلكم وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل لاهل الكتاب (على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيه كما يربحون فيها وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار قرأ الجمهور تنجيكم من الانجاء وقرئ من التنجية وهما سبعيتان عن أبي هريرة قال قالوا لو كنا نعلم أي الاعمال أحب الى الله فنزلت هذه الآية فكرهوا فنزلت لم تقولون ما لا تفعلون الى قوله بنيان مرصوص أخرجه ابن مردويه قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال وددت يا نبي الله أعلم أي التجارات أحب الى الله فاتجر فيها ثم بين سبحانه هذه التجارة التي دل عليها فقال (تؤمنون بالله ورسوله) أي تدومون على الايمان لان الخطاب مع المؤمنين وتؤمنون خبر بمعنى الامر للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه وقرأ ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الامر وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر قال الاخفش تؤمنون عطف بيان لتجارة والاولى ان تكون الجملة مستأنفة مبينة لما قبلها (وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم) قدم ذكر الاموال على الانفس لانها هي التي يبدأ بها في الانفاق والتجهز الى الجهاد أو لعزتها في ذلك الوقت أو لانها قوام النفس وهذا بمنزلة الثمن الذي يدفعه المشتري (ذلكم)

روايةٌ عن ابن عباس سامدون معرضون وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال الحسن غافلون وهو رواية عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب وفى رواية عن ابن عباس يستكبرون وبه يقول السدى ثم قال تعالى آمرا لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم والتوحيد والاخلاص فاسجدوا لله واعبدوا أى فاخضعوا له واخلصوا ووحدوه قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال سجد النبى صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفرد به دون مسلم وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبى وداعة عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسى فأبيت ان اسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها الا سجد معه وقد رواه النسائى فى الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به آخر تفسير سورة النجم ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة اقتربت الساعة وهى مكية) قد تقدم فى حديث أبى واقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة فى الاضحى والفطر (٣٤٠) وكان يقرأ بهما فى المحافل الكبار لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق واعادته والتوحيد واثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر) يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون وقد وردت الاحاديث بذلك قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن على قالا حدثنا خلف بن موسى حدثنى أبى عن قتادة عن أنس ان رسول الله على صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس ان تغرب فلم يبق منها الا شف يسير فقال والذى نفسى بيده ما بقى من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس الا يسيرا قال هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العمى عن أبيه وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال ربما أخطأ حديث آخر يعضد الذى قبله ويفسره قال الامام أحمد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا شريك حدثنا سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم والشمس على قعيقعان بعد العصر فقال ما أعماركم فى أعمار من مضى الا كما بقى من النهار فيما مضى وقال الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا محمد بن مطرف عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعثت والساعة هكذا وأشار باصبعيه السبابة والوسطى أخرجاه من حديث أبى حازم سلمة بن دينار وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا الاعمش عن أبى خالد عن وهب السوائى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهذه من هذه ان كادت لتسبقنى وجمع الاعمش بين السبابة والوسطى وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا الاوزاعى حدثنى اسمعيل بن عبيد الله قال قدم

أى ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) أى هذا الفعل خير لكم من أموالكم وأنفسكم أو من كل شئ (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم ممن يعلم فانكم تعلمون انه خير لكم لا اذا كنتم من أهل الجهل فانكم لا تعلمون ذلك (يغفر لكم ذنوبكم) هذا بمنزلة المبيع الذى يأخذه المشترى من البائع فى مقابلة الثمن المدفوع له وهذا جواب الامر المدلول بلفظ الخبر ولهذا جزم وقال الزجاج والمبرد تؤمنون فى معنى آمنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما وقال الفراء هذا جواب الاستفهام فجعله مجزوما لكونه جوابه وقد غلطه بعض أهل العلم قال الزجاج ليس اذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا آمنوا وجاهدوا وقال الرازى فى توجيه قول الفراء ان هل أدلكم فى معنى الامر عنده يقال هل أنت ساكت أى اسكت وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام ثم يتدرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغراء والاغراء أمر وقيل يغفر لكم مجزوم بشرط مقدر أى ان تؤمنوا يغفر لكم وقرئ بالادغام فى يغفر لكم والاولى تركه لان الراء حرف متكرر فلا يحسن ادغامه فى اللام (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) قد تقدم بيان كيفية جرى الانهار من تحت الجنات مرارا والمعنى من تحت أشجارها وغرفها (ومساكن طيبة) أى قصورا من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا فى كل سرير سبعون فراشا من كل لون

أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به الساعة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنتم والساعة كهاتين تفرد به أحمد رحمه الله وشاهد ذلك أيضا فى الصحيح فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الحاشر الذى يحشر الناس على قدميه وقال الامام أحمد حدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان قال بهز وقال قبل هذه المرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما يحضرنكم فانه قد ذكر لنا ان الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما مايدرك لها قعرا والله لتملؤنه أفعجبتم والله لقد ذكر لنا ان مابين مصراعى الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم وقال أبو جعفر بن جرير حدثنى يعقوب حدثنى ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى قال نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبى وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال الا ان الله يقول اقتربت الساعة وانشق القمر الا وان الساعة قد اقتربت الا وان (٣٤١) القمر قد انشق الا وان الدنيا قد أذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق فقلت لأبى ايستبق الناس غدا فقال يابنى انك لجاهل انما هو السباق بالاعمال ثم جاءت الجمعة الاخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال الا ان الله عز وجل يقول اقتربت الساعة وانشق القمر الا وان الدنيا قد أذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق الا وان الغاية النار والسابق من سبق الى الجنة وقوله تعالى وانشق القمر قد كان هذا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك فى الاحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة وقد ثبت فى الصحيح عن ابن مسعود انه قال خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر وهذا أمر متفق عليه بين العلماء ان انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان أحد المعجزات الباهرات (ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك) رواية أنس بن مالك قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال البخارى حدثنى عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما وأخرجاه أيضا من حديث يونس بن محمد المؤدب عن شيبان عن قتادة ورواه مسلم أيضا من حديث أبى داود الطيالسى ويحيى القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به رواية جبير بن مطعم رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقى فى الدلائل من طريق محمد بن كثير عن أخيه

على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا أو وصيفة فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله رواه الحسن عن عمران بن حصين وأبى هريرة مرفوعا ذكره الخطيب ولينظر فى سنده وصحته (فى جنات عدن) أى فى جنات اقامة وخلود (ذلك) المذكور من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر هو (الفوز العظيم) الذى لا فوز بعده والظفر الذى لا ظفر يماثله (و) يؤتكم نعمة (أخرى تحبونها) وقال الاخفش والفراء معطوفة على تجارة فهى فى محل خفض أى وهل أدلكم على خصلة أخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وقيل هى فى محل رفع أى ولكم خصلة أخرى وقيل فى محل نصب أى ويعطيكم خصلة أخرى وفى تحبونها شىء من التعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل ففيه شىء من التوبيخ على محبة العاجل ثم بين سبحانه هذه الاخرى فقال (نصر) أى هى نصر (من الله) لكم (وفتح قريب) يفتحه عليكم وقيل نصر بدل من أخرى على تقدير كونها فى محل رفع وقيل التقدير ولكم نصر وفتح قريب قال الكلبى يعنى النصر على قريش وفتح مكة وقال عطاء يريد فتح فارس والروم (وبشر المؤمنين) معطوف على محذوف أى قل ياأيها الذين آمنوا وبشر أو على تؤمنون لانه فى معنى الامر والمعنى آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يامحمد بالنصر والفتح وهذا ماجرى عليه فى

سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به ورواه البيهقي أيضا من طريق ابراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره رواية عبد الله بن عباس قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك به مثله وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر قال قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا وقال الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو الرازي حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد بن شكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سحر القمر فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله مستمر رواية عبد الله بن عمر قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن (٣٤٢) الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح رواية عبد الله بن مسعود قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به واخرجاه من حديث الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود به وقال ابن جرير حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي حدثنا عمي يحيى بن عيسى عن الاعمش عن ابراهيم عن رجل عن عبد الله قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فانشق القمر فاخذت فرقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا قال البخاري وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم

الكشاف أو وبشرهم بالنصر في الدنيا والفتح وبالجنة في الآخرة أو وبشرهم بالجنة في الآخرة ووضع الاظهار موضع الاضمار للاشعار بان صفة الايمان هي التي تقتضي هذه البشارة ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أي دوموا على ما أنتم عليه من نصرة الدين قرئ أنصار الله بالتنوين وبالاضافة والرسم يحتمل القراءتين معا واختار أبو عبيد الاضافة لقوله نحن أنصار الله بالاضافة وهي سبعية واللام يحتمل أن تكون مزيدة في المفعول لزيادة التقوية أو غير مزيدة والاول أظهر قال قتادة قد كان ذلك بحمد الله جاءه سبعون رجلا فبايعوه عند العقبة وآووه ونصروه حتى أظهر الله دينه (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله) أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى من أنصاري الى الله فقالوا نحن أنصار الله والكاف في كما نعت مصدر محذوف أي كونوا كونا كما قال قاله مكي وفيه نظر اذ لا يؤمرون بان يكونوا كونا وقيل الكاف في محل نصب على اضمار القول أي قلنا لهم ذلك كما قال عيسى وقيل هو كلام محمول على معناه دون لفظه واليه نحا (١) الزمخشري والمعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري الى الله والى بمعنى مع أي مع الله وقيل التقدير من أنصاري فيما يقرب الى الله وقيل التقدير من أنصاري متوجها الى نصرة الله وقد تقدم الكلام على هذا في سورة آل عمران (قال

---

(١) فانه قال فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى بن مريم من أنصاري الى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله اه

سيد ذو الفقار احمد

به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشام حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وان كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا رأيناه ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد فأنزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال نبئت ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول لقد انشق القمر وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عمارة حدثنا عمرو بن حماد حدثنا اسباط عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله قال لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق ورواه الامام أحمد عن مؤمل عن اسرائيل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر وقال ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين (٣٤٣) فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر اشهد يا أبا بكر فقال المشركون سحر القمر حتى انشق وقوله تعالى وان يروا آية أي دليلا وحجة وبرهانا يعرضوا أي لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ويقولوا سحر مستمر أي ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به ومعنى مستمر أي ذاهب قاله مجاهد وقتادة وغيرهما أي باطل مضمحل لا دوام له وكذبوا واتبعوا أهواءهم أي كذبوا بالحق اذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم وقوله وكل أمر مستقر قال قتادة معناه ان الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر وقال ابن جريج مستقر بأهله وقال مجاهد وكل أمر مستقر أي يوم القيامة وقال السدي مستقر أي واقع وقوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء أي من الاخبار عن قصص الامم المكذبين بالرسل وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن ما فيه مزدجر أي ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب وقوله تعالى حكمة بالغة أي في هدايته تعالى لمن هداه واضلاله لمن أضله فما تغني النذر يعني أي شيء تغني النذر عن من كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه فمن الذي يهديه من بعد الله وهذه الآية كقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين وكذا قوله تعالى فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) يقول تعالى فتول يا محمد عن هؤلاء الذين اذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر أعرض عنهم وانتظرهم يوم يدع الداع الى شيء نكر أي الى شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء والزلازل والاهوال خشعا أبصارهم أي ذليلة أبصارهم يخرجون من الاجداث وهي القبور كأنهم جراد منتشر أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم الى موقف الحساب اجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق ولهذا قال مهطعين

(قال الحواريين) هم أنصار المسيح وخلص أصحابه وأول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها وفي المختار التحوير تبييض الثياب (نحن أنصار الله) من اضافة الوصف الى مفعوله أي نحن الذين ننصر الله أي ننصر دينه عن عبد الله بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للنفر الذين لقوه بالعقبة اخرجوا الى اثني عشر منكم يكونون كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون بعيسى بن مريم أخرجه ابن سعد وابن اسحق وعن محمود بن لبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للنقباء انكم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل قومي قالوا نعم أخرجه ابن سعد (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى عليه السلام (وكفرت طائفة) به وذلك لأنهم لما اختلفوا بعد رفعه تفرقوا وتقاتلوا فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أي قوينا المحقين منهم على المبطلين وقال ابن عباس أي أيدنا الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته على عدوهم

أي مسرعين الى الداعي لا يخالفون ولا يتأخرون يقول الكافرون هذا يوم عسر أي يوم شديد الهول عبوس قمطرير فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) يقول تعالى كذبت قبل قومك يا محمد قوم نوح فكذبوا عبدنا اى صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون وقالوا مجنون وازدجر قال مجاهد وازدجر اى استطير جنونا وقيل وازدجر اى انتهروه وزجروه وتوعدوه لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قاله ابن زيد وهذا متوجه حسن فدعا ربه انى مغلوب فانتصر اى انى ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر انت لدينك قال الله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر قال السدى وهو الكثير وفجرنا الارض عيونا أى نبعت جميع أرجاء الارض حتى التنانير التى هى محال النيران نبعت عيونا فالتقى الماء اى من السماء والارض على امر قد قدر اى امر مقدر قال ابن جريج عن ابن عباس ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده الا من السحاب فتحت ابواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماآن على امر قد قدر وروى ابن ابى حاتم ان ابن الكواء سأل عليا عن المجرة فقال هى شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر وحملناه على ذات الواح ودسر قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظى وقتادة وابن زيد هى المسامير واختاره ابن جرير قال وواحدها دسار ويقال دسير كما يقال حبيك وحباك والجمع حبك وقال مجاهد الدسر اضلاع السفينة وقال عكرمة والحسن هو صدرها الذى يضرب به الموج وقال الضحاك الدسر طرفاها واصلها وقال العوفى عن ابن عباس هو كلكلها اى صدرها وقوله تجرى باعيننا اى بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظها وكلاءتنا جزاء لمن كان كفر اى جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح عليه السلام وقوله تعالى ولقد تركناها آية قال قتادة ابقى الله سفينة نوح حتى ادركها اول هذه الامة والظاهر ان المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وقال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية ولهذا قال ههنا فهل من مدكر اى فهل من يتذكر ويتعظ قال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن الاسود عن ابن مسعود قال اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر وهكذا رواه البخارى حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن الاسود ابن يزيد عن عبد الله قال قرأت على النبى صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر وقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر وروى البخارى أيضا من حديث شعبة عن ابى اسحق عن الاسود عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فهل من مدكر وقال حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبى اسحق انه سمع رجلا سأل الاسود فهل من مدكر أو مذكر قال سمعت عبد الله يقرأ فهل من مدكر وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فهل من مدكر دالا وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن الا ابن

وقيل المعنى فايدنا الآن المسلمين على الفرقتين جميعا (فاصبحوا ظاهرين) أى صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل غالبين قاهرين فى أقوالهم وأفعالهم لا يخافون أحدا ولا يستخفون منه

(سورة الجمعة احدى عشرة آية بلا خلاف وهى مدنية)

قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وأخرج مسلم وأهل السنن عن أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى الجمعة سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون وأخرجوا عن ابن عباس نحوه وأخرج ابن حبان والبيهقى فى سننه عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض) أى ينزهه فاللام زائدة وفى ذكر ما تغليب للاكثر وهو ما لا يعقل وقال النسفى رحمه الله التسبيح اما أن يكون تسبيح خلقة يعنى اذا نظرت الى

ماجه من حديث أبي اسحق وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذري وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثار ولقد يسرنا القرآن للذكر أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس كما قال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وقال تعالى فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا قال مجاهد ولقد يسرنا القرآن للذكر يعني هونا قراءته وقال السدي يسرنا تلاوته على الالسن وقال الضحاك عن ابن عباس لولا ان الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق ان يتكلم بكلام الله عز وجل قلت ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقوله فهل من مدكر أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه وقال محمد بن كعب القرظي فهل من منزجر عن المعاصي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن رافع حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر هو الوراق في قوله تعالى فهل من مدكر هل من طالب علم فيعان عليه وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق ورواه ابن جرير وروى عن قتادة مثله (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) يقول تعالى مخبرا عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسولهم أيضا كما صنع قوم نوح وانه تعالى أرسل عليهم ريحا صرصرا وهي الباردة الشديدة البرد في يوم نحس أي عليهم قاله الضحاك وقتادة والسدي مستمر عليهم نحسه ودمارهم لانه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي وقوله تعالى تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر وذلك ان الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الابصار ثم تنكسه على أم رأسه

كل شيء دلالة خلقته على وحدانية الله وتنزيهه عن الاشياء أو تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى وينزهه ألا ترى الى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بان يجري الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (الملك القدوس العزيز الحكيم) قرأ الجمهور بالجر في هذه الصفات الاربع على انها نعت لله وقيل على البدل والاول أولى وقرئ بالرفع على اضمار مبتدا وقرؤا القدوس بضم القاف وقرئ بفتحها وقد تقدم تفسيره عن ميسرة ان هذه الآية يعني أول سورة الجمعة مكتوبة في التوراة بسبعمائة آية (هو الذي بعث) أرسل (في الاميين) أي اليهم والمراد بهم العرب من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها لانهم لم يكونوا أهل كتاب والامي في الاصل الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب وكان غالب العرب كذلك وقال النسفي الامي منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار انتهى وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما (رسولا منهم) أي من أنفسهم ومن جنسهم ومن جملتهم كما في قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم وما كان حي من أحياء العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد (١) ولدوه ووجه الامتنان بكونه

فيسقط الى الارض فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس ولهذا قال كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وهذا اخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحا فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر يقولون لقد خبنا وخسرنا ان سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا ثم تعجبوا من القاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا بل هو كذاب أشر أي متجاوز في حد الكذب قال الله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد ثم قال تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم أي اختبارا لهم أخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء طبق ما سألوا لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به ثم قال

(١) قال ابن اسحق الا بني تغلب فان الله طهره منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة لنصرانيتهم ذكره الخطيب اه سيد ذو الفقار احمد

تعالى آمرا لعبده ورسوله صالح فارتقبهم واصطبر أي انتظر ما يؤل اليه أمرهم واصبر عليهم فان العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة ونبئهم ان الماء قسمة بينهم اي يوم لهم ويوم للناقة كقوله قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقوله تعالى كل شرب محتضر قال مجاهد اذا غابت حضروا الماء واذا جاءت حضروا اللبن ثم قال تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر قال المفسرون هو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف وكان أشقى قومه كقوله اذ انبعث اشقاها فتعاطى اي جسر فعقر فكيف كان عذابي ونذر أي فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر أي فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات قاله غير واحد من المفسرين والمحتظر قال السدي هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح وقال ابن زيد كانت العرب يجعلون حظارا على الابل والمواشي من يبيس الشوك فهو المراد من قوله كهشيم المحتظر وقال سعيد بن جبير هشيم المحتظر هو التراب المتناثر من الحائط وهذا قول غريب والاول اقوى والله اعلم (كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد انذرهم (٣٤٦) بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) يقول تعالى مخبرا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من اتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها احد من العالمين ولهذا اهلكهم الله هلاكا لم يهلكه امة من الامم فانه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها الى عنان السماء ثم قلبها عليهم وارسلها وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ولهذا قال ههنا انا ارسلنا عليهم حاصبا وهي الحجارة الا آل لوط نجيناهم بسحر أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما اصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه احد ولا على رجل واحد حتى ولا امرأته أصابها ما اصاب قومها وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين اظهرهم سالما لم يمسسه سوء ولهذا قال تعالى كذلك نجزي من شكر ولقد انذرهم بطشتنا اي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا الى ذلك ولا اصغوا اليه بل شكوا فيه وتماروا به ولقد راودوه عن ضيفه وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل في صورة شباب مرد حسان محنة من الله بهم فأضافهم لوط عليه السلام وبعثت امرأته العجوز السوء الى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فاقبلوا يهرعون اليه من كل مكان فاغلق لوط دونهم الباب فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون اضيافه ويقول لهم هؤلاء بناتي يعني نساءهم ان كنتم فاعلين قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي ليس لنا فيهن أرب وانك لتعلم ما نريد فلما اشتد الحال وأبوا الا الدخول خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم يقال انها غارت من وجوههم وقيل انه لم يبق لهم عيون بالكلية فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطا عليه السلام الى الصباح قال الله تعالى ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر أي لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه فذوقوا

منهم ان ذلك أقرب الى الموافقة لان الجنس أميل الى جنسه وأقرب اليه وقيل أميا لهم وانما كان أميا لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب الى صدقه والاقتصار هنا في المبعوث اليهم على الأميين لا ينافي انه مرسل الى غيرهم لان ذلك مستفاد من دليل آخر كقوله وما أرسلناك الا كافة للناس (يتلو عليهم آياته) يعني القرآن مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا تعلم ذلك من أحد والجملة حال أو نعت لرسولا وكذا قوله (ويزكيهم) أي يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقيل من الشرك وخبائث الجاهلية وقال السدي يأخذ زكاة أموالهم وقيل يجعلهم أزكياء القلوب بالايمان وقال الكرخي يحملهم على ما يصيرون به أزكياء من حيث العقائد (ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجملة صفة ثالثة لرسولا والمراد بالكتاب القرآن وبالحكمة السنة كذا قال الحسن وقيل الكتاب الخط بالقلم والحكمة الفقه في الدين كذا قال مالك بن أنس وقيل المراد بالكتاب الفرائض (وان كانوا من قبل) أي من قبل بعثته فيهم ومجيئه اليهم (لفي ضلال مبين) أي في شرك وذهاب عن الحق وكفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال واضح لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين منهم) مجرور عطفا على الأميين أي بعثه في الأميين الذين

عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) يقول تعالى مخبرا عن فرعون وقومه انهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هرون بالبشارة ان آمنوا والنذارة ان كفروا وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر أي فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر ثم قال تعالى أكفاركم أي أيها المشركون من كفار قريش خير من أولئكم يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم بالرسل وكفرهم بالكتب أأنتم خير أم أولئكم أم لكم براءة في الزبر أي أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال ثم قال تعالى مخبرا عنهم أم يقولون نحن جميع منتصر أي يعتقدون انهم يتناصرون بعضهم بعضا وان جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء قال الله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر أي سيتفرق شملهم ويغلبون قال البخاري حدثنا اسحق حدثنا خالد عن خالد وقال أيضا حدثنا محمد حدثنا عفان عن وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان

شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال حسبك يارسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد وهو ابن مهران الحذاء به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر قال قال عمر أي جمع يهزم أي أي جمع يغلب قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها يومئذ وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج اخبرهم اخبرني يوسف بن ماهك قال اني عند عائشة أم المؤمنين فقالت نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر هكذا رواه ههنا مختصرا ورواه في فضائل القرآن مطولا ولم يخرجه مسلم (ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) يخبر تعالى عن المجرمين انهم في ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق ثم قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم اي كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار وكما كانوا ضلالا يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون اين يذهبون ويقال لهم تقريعا وتوبيخا ذوقوا مس سقر وقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر كقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا وكقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى أي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على اثبات قدر الله

على عهده وبعده في آخرين منهم أو منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم أي ويعلم آخرين وكل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم أو عطفا على مفعول يزكيهم أي يزكيهم ويزكي آخرين والمراد بالآخرين من جاء بعد الصحابة الى يوم القيامة وقيل المراد بهم من أسلم من غير العرب وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد الناس كلهم وكذا قال ابن زيد والسدي (لما يلحقوا بهم) ذلك الوقت وسيلحقون بهم من بعد وقيل في السبق الى الاسلام والشرف والدرجة وهذا النفي مستمر دائما لان الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في شأنهم أحد من التابعين ولا ممن بعدهم فالمنفي هنا غير متوقع الحصول ولذلك لما ورد عليه ان لما تنفي ما هو متوقع الحصول والمنفي هنا ليس كذلك فسرها المحلي بلم التي منفيها أعم من ان يكون متوقع الحصول أولا فلما هنا ليست على بابها والضمير في بهم ومنهم راجع الى الأميين وهذا يؤيد أن المراد بالآخرين هم من يأتي بعد الصحابة من العرب خاصة الى يوم القيامة وهو صلى الله عليه وسلم وان كان مرسلا الى جميع الثقلين فتخصيص العرب هنا لقصد الامتنان عليهم وذلك لا ينافي عموم الرسالة ويجوز أن يراد بالآخرين العجم لانهم وان لم يكونوا من العرب فقد صاروا بالاسلام مثلهم والمسلمون كلهم أمة واحدة وان اختلفت أجناسهم وعن أبي هريرة قال كنا جلوسا عند

السابق لخلقه وهو علمه الاشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها وردّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الاحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبعوا في أواخر عصر الصحابة وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وما ورد فيه من الاحاديث في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري رحمه الله ولنذكر ههنا الاحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة قال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن زياد بن اسمعيل السهمي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به وقال البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا يونس بن الحرث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال مانزلت هذه الآيات ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر الا في اهل القدر وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا سهل بن صالح الانطاكي حدثني قرة بن حبيب من كنانة حدثني جرير بن حازم عن سعد بن عمرو بن جعدة عن ابن زرارة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه (٣٤٨) الآية ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال نزلت في اناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج عن عطاء ابن أبي رباح قال أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت اسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر فقال أوفعلوها قلت نعم قال فوالله مانزلت هذه الآية الافيهم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر أولئك شرار هذه الامة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم ان رأيت احدا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين وقد رواه الامام احمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال حدثنا أبو المغيرة حدثنا الاوزاعي عن بعض اخوته عن محمد بن عبيد المكي عن عبد الله بن عباس قال قيل له ان رجلا قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلوني عليه وهو أعمى قالوا وما تصنع به يا أبا عباس قال والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن انفه حتى اقطعه ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق أليابهن مشركات هذا أول شرك هذه الامة والذي نفسي بيدي لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من ان يكون قدر خيرا كما اخرجوه من أن يكون قدر شرا ثم رواه احمد عن ابي المغيرة عن الاوزاعي عن العلاء بن الحجاج عن محمد بن عبيد فذكر مثله لم يخرجوه وقال الامام احمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد عن أبي ايوب حدثني ابو صخر عن نافع قال كان لابن عمر صديق من اهل الشام يكاتبه فكتب اليه عبد الله بن عمر انه بلغني انك تكلمت في شئ من القدر فاياك ان تكتب الي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في امتي اقوام يكذبون بالقدر رواه أبو داود عن احمد بن حنبل به وقال أحمد حدثنا انس بن عياض حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل امة مجوس ومجوس امتي الذين يقولون لا قدر ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا

النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فوضع يده على سلمان الفارسي وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء أخرجه البخاري وغيره وأخرجه أيضا مسلم من حديثه مرفوعا بلفظ لو كان الايمان عند الثريا لذهب به رجال من فارس أو قال من أبناء فارس وعن قيس بن سعد بن عبادة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لو كان الايمان بالثريا لناله ناس من أهل فارس أخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالا ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ثم قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم (وهو العزيز الحكيم) أي بليغ العزة والحكمة في تمكينه رجلا أميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) أي ما تقدم ذكره أو الاسلام قاله الكلبي أو الوحي والنبوة قاله قتادة أو الحاق العجم بالعرب أو الدين قاله ابن عباس أو الفضل الذي أعطاه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر قاله النسفي (فضل الله يؤتيه) أي يعطيه (من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم) الذي لا يساويه فضل ولا يدانيه ولما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله لهم

تشهدوهم لم يخرجه احد من اصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين عن ابى صخر حميد بن زياد عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة مسخ ألا وذلك فى المكذبين بالقدر والزنديقية ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن صخر حميد بن زياد به وقال الترمذى حسن صحيح غريب وقال الامام احمد حدثنا اسحق بن الطباع اخبرنى مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليمانى قال سمعت ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس ورواه مسلم منفردا به من حديث مالك وفى الحديث الصحيح استعن بالله ولا تعجز فان اصابك امر فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو أنى فعلت لكان كذا فان لو تفتح عمل الشيطان وفى حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشئ لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الاقلام وطويت الصحف وقال الامام احمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث عن معاوية عن ايوب بن زياد حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة حدثنى أبى قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا ابتاه اوصنى واجتهد لى فقال اجلسونى فلما أجلسوه قال يا بنى انك لم تطعم الايمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا أبتاه وكيف لى أن اعلم ما خير القدر وشره قال تعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك يا بنى انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة يا بنى ان مت ولست على ذلك دخلت النار ورواه الترمذى عن يحيى بن موسى البلخى عن ابى داود الطيالسى عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبى رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه به وقال حسن صحيح غريب وقال سفيان الثورى عن منصور عن ربعى بن حراش عن رجل عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره وكذا رواه الترمذى من حديث النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به ورواه من حديث ابى داود الطيالسى عن شعبة عن منصور عن ربعى عن على فذكره وقال هذا عندى أصح وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن ربعى عن على به وقد ثبت فى صحيح مسلم من رواية عبد الله ابن وهب وغيره عن ابى هانئ الخولانى عن ابى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة زاد ابن وهب وكان عرشه على الماء ورواه الترمذى

لهم مثلا فقال (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وقال الجرجانى حملوا من الحمالة بمعنى الكفالة لا من الحمل على الظهر والحميل هو الكفيل أى ضمنوا أحكام التوراة (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بموجبها ولا أطاعوا ما أمروا به فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار) الذى هو أبلد الحيوان نخص بالذكر لانه فى غاية الغباوة (يحمل أسفارا) (١) حال أو صفة للحمار اذ ليس المراد به حمارا معينا فهو فى حكم النكرة اذ المراد به الجنس وقرأ المأمون بن هرون الرشيد يحمل مشددا مبنيا للمفعول والاسفار جمع سفر وهو الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قرئ قال ابن عباس أسفارا كتبا أى كبارا من كتب العلم قال ميمون بن مهران الحمار لا يدرى أسفر على ظهره أم زبل فهكذا اليهود وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) على ان التميز محذوف والفاعل المفسر به مضمر ومثل القوم هو المخصوص بالذم أو مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بعده على حذف المضاف أى مثل الذين كذبوا ويجوز أن يكون الموصول صفة للقوم فيكون فى محل جر والمخصوص بالذم محذوف والتقدير بئس

(١) لطيفة ذكرها المؤلف فى كتابه اتحاف النبلاء المتقين بالفارسية وأنا أترجمها بالعربية ههنا مناسبة للمقام وتنشيطا للاعلام وهى هذه حكى الدماميني عن استاذه ابن عرفة انه كان يدرس بالاسكندرية فورد عبارة يعود فيها الضمير الى المضاف اليه فقال طالب من طلبة العلم الحاضرين فى الدرس ان النحاة يمنعون اعادة الضمير الى المضاف اليه فكيف تصح هذه العبارة فقال ابن عرفة فى الساعة قال تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وفيه من اللطافة ما لا يخفى اه سيد ذو الفقار أحمد

وقال حسن صحيح غريب وقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وهذا اخبار عن نفوذ مشيئته فى خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم فقال وما امرنا الا واحدة اى انما نأمر بالشىء مرة واحدة لا نحتاج الى تأكيد بثانية فيكون ذلك الذى نأمر به حاصلا موجودا كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين وما أحسن ما قال بعض الشعراء ۞ اذا ما اراد الله امرا فانما ۞ يقول له كن قولة فيكون ۞ وقوله تعالى ولقد أهلكنا أشياعكم يعنى امثالكم وسلفكم من الامم السالفة المكذبين بالرسل فهل من مدكر أى فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل وقوله تعالى وكل شىء فعلوه فى الزبر أى مكتوب عليهم فى الكتب التى بايدى الملائكة عليهم السلام وكل صغير وكبير أى من اعمالهم مستطر أى مجموع عليهم ومسطر فى صحائفهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقد قال الامام احمد حدثنا ابو عامر حدثنا سعيد بن مسلم بن ماهك سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير حدثنى عوف بن الحرث وهو ابن اخى عائشة لأمها عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا ورواه النسائى وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن ماهك المدنى وثقه احمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم وقد (٣٥٠) رواه الحافظ بن عساكر فى ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر ثم قال سعيد فحدثت بهذا الحديث عامر ابن هشام فقال لى ويحك يا سعيد ابن مسلم لقد حدثنى سليمان بن المغيرة انه عمل ذنبا فاستصغره فأتاه آت فى منامه فقال له يا سليمان

لا تحقرن من الذنوب صغيرا
ان الصغير غدا يعود كبيرا
ان الصغير ولو تقادم عهده
عند الاله مسطر تسطيرا
فازجر هواك عن البطالة لا تكن
صعب القياد وشمرن تشميرا
ان المحب اذا أحب الهه
طار الفؤاد وألهم التفكيرا
فاسأل هدايتك الاله فتتئد
فكفى بربك هاديا ونصيرا

وقوله تعالى ان المتقين فى جنات ونهر أى بعكس ما الاشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب فى النار على وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتهديد وقوله تعالى فى مقعد صدق أى فى دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده واحسانه عند مليك مقتدر أى عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا انفرد باخراجه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة باسناده مثله آخر تفسير سورة اقتربت ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

* (تفسير سورة الرحمن وهى مكية) *

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن زر أن رجلا قال كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو ياسن فقال كل القرآن قد قرأت قال انى لأقرأ المفصل فى ركعة واحدة فقال أهذا كهذ الشعر لا أبا لك قد علمت قرائن النبى صلى الله عليه وسلم التى كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل وكان أول مفصل ابن مسعود الرحمن وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد الرحمن واقد أبو مسلم السعدى حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا

مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء والمراد بالآيات محمد صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات القرآن وقيل المراد آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى الكافرين على العموم فيدخل فيهم اليهود دخولا أوليا والمراد بهم الذين سبق فى علمه انهم لا يؤمنون والا فقد هدى كثيرا من الكفار (قل يا أيها الذين هادوا) المراد بهم الذين تهودوا وتدينوا باليهودية وهى ملة موسى عليه السلام وذلك ان اليهود ادعوا الفضيلة على الناس وقالوا انهم أولياء الله من دونهم كما فى قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم لما ادعوا هذه الدعوى الباطلة (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) والولى يؤثر الآخرة ومبدأها وطريقها الموت (فتمنوا الموت) لتصيروا الى ما تصيرون اليه من الكرامة فى زعمكم قرأ الجمهور بضم الواو وقرئ بفتحها تخفيفا وحكى الكسائى ابدال الواو همزة (ان كنتم صادقين) فى هذا الزعم فان من علم انه من أهل الجنة أحب الخلوص من هذه الدار ثم أخبر سبحانه بما سيكون منهم فى المستقبل من انهم لا يفعلون ذلك ابدا بسبب ذنوبهم فقال (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) اى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار والتحريف والتبديل قال الزمخشرى ولا فرق بين لا ولن فى ان كل واحدة منهما نفى المستقبل الا ان فى لن تأكيدا

منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى عن الامام أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم وعن عبد الله بن أحمد بن شبويه عن هشام بن عمارة كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال لا نعرفه يروى الا من هذا الوجه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو ابن مالك البصري قالا حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال مالي أسمع الجن أحسن جوابا للرب منكم قالوا وماذاك يا رسول الله قال ما أتيت على قول الله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالت الجن لا بشيء من نعم ربنا نكذب ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه بهذا الاسناد * (بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل (٣٥١) ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان) يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه انه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان قال الحسن يعني النطق وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعني الخير والشر وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لان السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وانما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها وقوله تعالى والشمس والقمر بحسبان أي يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وعن عكرمة انه قال لو جعل الله نور جميع أبصار الانس والجن والدواب والطير في عيني عبد ثم كشف حجابا واحدا من سبعين حجابا دون الشمس لما استطاع ان ينظر اليها ونور الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسي ونور الكرسي جزء من سبعين جزأ من نور العرش ونور العرش جزء من سبعين جزأ من نور الستر فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر الى وجه ربه الكريم عيانا رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى والنجم والشجر يسجدان قال ابن جرير اختلف المفسرون في معنى قوله والنجم بعد اجماعهم على ان الشجر ما قام على ساق فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال النجم ما انبسط على وجه الارض يعني من النبات وكذا قال سعيد بن جبير والسدي وسفيان الثوري وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى وقال مجاهد النجم الذي في السماء وكذا قال الحسن وقتادة وهذا القول هو الاظهر والله أعلم لقوله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس الآية وقوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان يعني العدل كما قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا

تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد في ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه في ولا يتمنونه قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو أن لن تقتضي النفي على التأبيد الى مذهب الجماعة وهو أنها لا تقتضيه قلت ليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى آخر (والله عليم بالظالمين) يعني على العموم وهؤلاء اليهود داخلون فيهم دخولا أوليا ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم ان الفرار من الموت لا ينجيهم وانه نازل بهم فقال (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم) لا محالة ونازل بكم بلا شك والفاء في فانه داخلة لتضمن الاسم معنى الشرط قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزاء اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه وقيل انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور وقيل ان الكلام قد تم عند قوله تفرون منه ثم ابتدأ فقال فانه ملاقيكم ولما كان المقام في البرزخ أمرا مهولا لا بد منه نبه عليه وعلى طوله بأداة التراخي فقال (ثم تردون الى عالم الغيب) السر (والشهادة) العلانية وذلك يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الاعمال القبيحة ويجازيكم عليها وفيه وعيد وتهديد (يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة) اي وقع النداء لها والمراد به الاذان اذا جلس الخطيب على المنبر يوم الجمعة لانه لم يكن على عهد رسول الله صلى

بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وهكذا قال ههنا الا تطغوا في الميزان أي خلق السموات والارض بالحق والعدل لتكون الاشياء كلها بالحق والعدل ولهذا قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان أي لا تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم وقوله تعالى والارض وضعها للانام أي كما رفع السماء وضع الارض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات لتستقر لما على وجهها من الانام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد الانام الخلق فيها فاكهة أي مختلفة الالوان والطعوم والروائح والنخل ذات الاكمام أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطبا ويابسا والاكمام قال ابن جريج عن ابن عباس هي أوعية الطلع وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذي يطلع فيه العنقود ثم ينشق عن العنقود فيكون بسرا ثم رطبا ثم ينضج ويتناهى نفعه واستواؤه وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي حدثنا أبو قتيبة حدثنا يونس بن الحرث الطائفي عن الشعبي قال كتب قيصر الى عمر بن الخطاب أخبرك ان رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة بشيء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تشقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الاخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الاحمر ثم تينع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فان تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة الا من شجر الجنة فكتب اليه عمر بن الخطاب من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى قيصر ملك الروم ان رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى الها من دون الله فان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين وقيل الاكمام رفاتها وهو الليف الذي على عنق النخلة وهو قول الحسن وقتادة والحب ذو العصف والريحان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والحب ذو العصف يعني التبن وقال العوفي عن ابن عباس العصف ورق الزرع الاخضر الذي قطع رؤسه فهو يسمى العصف اذا يبس وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك عصفه تبنه وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد والريحان يعني الورق وقال الحسن هو ريحانكم هذا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والريحان خضر الزرع ومعنى هذا والله أعلم ان الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان وهو الورق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلا والريحان الورق يعني اذا أدجن وانعقد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة

وقوله من ينبت الحب في الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا ويخرج منه حبه في رؤسه * ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان أي فبأي الآلاء يا معشر الثقلين من الانس والجن تكذبان قاله مجاهد وغير واحد ويدل عليه السياق بعده أي النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون انكارها ولا جحودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وكان ابن عباس يقول لا بأيها يا رب أي لا نكذب بشيء منها قال الامام

الله عليه وسلم النداء سواه ثم كان ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانا آخر فأمر بالتأذين أولا على داره التي تسمى الزوراء فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه احد في ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي (من يوم الجمعة) بيان لاذا وتفسير لها قاله الزمخشري وقال ابو البقاء ان من بمعنى في كما في قوله أروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وجمع الكواشي بينهما اقرأ الجمهور الجمعة بضم الميم وقرئ باسكانها تخفيفا وهما لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء يقال الجمعة بسكون الميم وبفتحها وبضمها وهي صفة لليوم اي يوم يجمع الناس وقال الفراء ايضا وأبو عبيد التخفيف أخف وأقيس نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة عقيل وقيل انما سميت جمعة لان الله سبحانه جمع فيها خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمعت فيها جميع المخلوقات وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة وعن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله لاي شيء سمي يوم الجمعة قال لأن فيه جمعت طينة أبيكم آدم وفيه الصعقة والبعثة وفي آخره ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها بدعوة استجاب له اخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه وعن سلمان قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدري ما يوم الجمعة قلت الله ورسوله اعلم قالها ثلاث مرات ثم قال في الثالثة هو

اليوم

أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون فبأي آلاء ربكما تكذبان (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان) يذكر تعالى خلقه الانسان من صلصال كالفخار وخلقه الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفي عن ابن عباس من مارج من نار من لهب النار من أحسنها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن

عبد الرزاق به وقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان تقدم تفسيره رب المشرقين ورب المغربين يعني مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء وقال في الآية الاخرى فلا أقسم برب المشارق والمغارب وذلك في اختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه الى الناس وقال في الآية الاخرى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والانس قال فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مرج البحرين يلتقيان قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله يلتقيان قال ابن زيد أي منعهما ان يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما والمراد بقوله البحرين المالح والحلو فالحلو هذه الانهار السارحة بين الناس وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وقد اختار ابن جرير ههنا ان المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الارض وهو يروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبزى قال ابن جرير لان اللؤلؤ يتولد من ماء السماء واصداف بحر الارض وهذا وان كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ماذهب اليه فانه لا يساعده اللفظ فانه تعالى قد قال بينهما برزخ لا يبغيان أي وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من الارض لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه وما بين السماء والارض لا يسمى برزخا وحجرا محجورا وقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من مجموعهما فاذا وجد ذلك من أحدهما كفى كما قال تعالى يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم والرسل انما كانوا في الانس خاصة دون الجن وقد صح هذا الاطلاق واللؤلؤ معروف وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروى عن علي وقيل كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف ورواه ابن أبي حاتم عن

اليوم الذي جمع الله فيه اباكم آدم افلا احدثكم عن يوم الجمعة الحديث رواه احمد والنسائي وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن مردويه وفي الباب أحاديث مصرحة بانه خلق فيه آدم وورد في فضل يوم الجمعة أحاديث كثيرة وكذلك في فضل صلاة الجمعة وعظيم أجرها وفي الساعة التي فيها وانه يستجاب الدعاء فيها وقد أوضح شيخنا الشوكاني في شرحه المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار بني سالم بن عوف وذلك انه لما قدم المدينة نزل بقباء وأقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في تلك الدار والجمعة فريضة من فرائض الله بهذا النص من كتاب الله وبما صح من السنة المطهرة وهي الكثير الطيب وقد واظب عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الوقت الذي شرعها الله تعالى فيه الى ان قبضه وحكى ابن المنذر الاجماع على انها فرض عين وزاد ابن العربي ومن نازع في فرضية الجمعة فقد أخطأ ولم يصب وهي كسائر الصلوات لا يخالفها الا في مشروعية الخطبتين قبلها ومن تأمل فيما وقع في هذه العبادة الفاضلة من الاقوال الساقطة والمذاهب الزائغة والاجتهادات الداحضة قضى من ذلك العجب ولا يوجد في

الربيع بن أنس وحكاه عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس وروى مثله عن على ومجاهد أيضا ومرة الهمدانى وقيل هو نوع من الجواهر أحمر اللون قال السدى عن أبى مالك عن مسروق عن عبد الله قال المرجان الخرز الاحمر قال السدى وهو البسد بالفارسية وأما قوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها فاللحم من كل من الاجاج والعذب والحلية انما هى من المالح دون العذب قال ابن عباس ما سقطت قطرة من السماء فى البحر فوقعت فى صدفة الاصار منها اللؤلؤ وكذا قال عكرمة وزاد فاذا لم تقع فى صدفة نبتت بها عنبرة وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا امطرت السماء فتحت الاصداف فى البحر أفواهها فما وقع فيها يعنى من قطر فهو اللؤلؤ اسناده صحيح ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على اهل الارض امتن بها عليهم فقال فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى وله الجوار المنشآت يعنى السفن التى تجرى فى البحر قال مجاهد ما رفع قلعه من السفن فهى منشآت ومالم يرفع قلعه فليس بمنشآت وقال قتادة المنشآت يعنى المخلوقات وقال غيره المنشآت بكسر الشين يعنى البادئات كالاعلام أى كالجبال فى كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر الى قطر واقليم الى اقليم مما فيه صلاح للناس فى جلب مايحتاجون اليه من سائر أنواع البضائع ولهذا قال فبأى آلاء ربكما تكذبان وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا العيزار بن سويد عن عميرة بن سويد قال كنت مع على بن أبى طالب رضى الله عنه على شاطئ الفرات اذا أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عزوجل وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام والذى أنشأها تجرى فى بحوره ماقتلت عثمان ولا مالئت على قتله (كل من عليها فان ويبقى ذو الجلال والاكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان فبأى آلاء ربكما تكذبان) يخبر تعالى ان جميع أهل الارض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السموات الا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحى الذى لا يموت أبدا قال قتادة أنبأ بما خلق ثم أنبأ ان ذلك كله فان وفى الدعاء المأثور ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام لا اله الا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا الى أحد من خلقك وقال الشعبى اذا قرأت كل من عليها فان فلا تسكت حتى تقرأ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وهذه الآية كقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وقد نعت تعالى وجهه الكريم فى هذه الآية الكريمة بانه ذو الجلال والاكرام أى هو أهل ان يجل فلا يعصى وان يطاع فلا يخالف كقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وكقوله اخبارا عن المتصدقين انما نطعمكم لوجه الله قال ابن عباس ذو الجلال والاكرام ذو العظمة والكبرياء ولما أخبر تعالى عن تساوى أهل الارض كلهم فى الوفاة وانهم سيصيرون الى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والاكرام بحكمه

كتاب الله ولا فى سنة رسوله حرف واحد يدل على ما ادعوه من كون تلك الامور كالمصر الجامع والعدد المخصوص والامام الاعظم والحمام ونحوها شروطا لصحة الجمعة أو فرضا من فرائضها أو ركنا من اركانها فيالله العجب ما يفعل الرأى باهله ومن يخرج من رؤسهم هذه الخزعبلات الشبيهة بالقصص والاحاديث الملفقة وهى عن الشريعة المطهرة بمعزل وكل من ثبت قدمه ولم يتزلزل عن طريق الحق بالقيل والقال يعرف هذا أحسن المعرفة ومن جاء بالغلط فغلطه رد عليه مضروب به فى وجهه وتفصيل ذلك فى النيل والسيل للشوكانى هذا وقد قال الشيخ الرحمانى فى حاشيته على التحرير ان أفضل الليالى ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد وأفضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم يوم الجمعة والليل أفضل من النهار (فاسعوا الى ذكر الله) قال عطاء يعنى الذهاب والمشى الى الصلاة وقال الفراء المضى والسعى والذهاب فى معنى واحد ويدل على ذلك قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما فامضوا الى ذكر الله كما سيجىء وقيل المراد القصد قال الحسن والله ما هو سعى على الاقدام ولكنه قصد بالقلوب والنيات وقيل المراد به السعى على الاقدام وذلك فضله وليس بشرط والاول أولى وقيل هو العمل قال ابن عباس يعنى ليس المراد به السرعة فى المشى كقوله من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله ان سعيكم لشتى وقوله ان ليس للانسان الا ما سعى وقول الداعى واليك

نسعى

العدل قال فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان وهذا اخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق اليه في جميع الآنات فانهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم وانه كل يوم هو في شان قال الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير كل يوم هو في شان قال من شأنه ان يجيب داعيا او يعطى سائلا أو يفك عانيا أو يشفي سقيما وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعيا ويكشف كربا او يجيب مضطرا او يغفر ذنبا وقال قتادة لا تستغنى عنه أهل السموات والارض يحيي حيا ويميت ميتا ويربي صغيرا ويفك أسيرا وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان الحمصي حدثنا جرير بن عثمان عن سويد بن جبلة هو الفزاري قال ان ربكم كل يوم هو في شان فيعتق رقابا ويعطى رغابا ويقحم عقابا وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثني ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثني عمرو بن بكر السكسكي حدثنا الحرث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عن منيب بن عبد الله بن منيب الازدي عن أبيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية كل يوم هو في شان فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشان قال ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار وسليمان بن أحمد الواسطي قالا حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق لهشام قال سمعت يونس بن ميسرة بن حلبس يحدث عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كل يوم هو في شان قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة عن هشام بن عمار به ثم ساقه من حديث أبي الوليد بن شجاع عن الوزير بن صبيح قال ورد فيما علاه الوليد بن مسلم عن مطرف عن الشعبي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره قال والصحيح الاول يعني اسناده الاول قلت وقد روي موقوفا كما قد علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام أبي الدرداء فالله أعلم وقال البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن الحرث حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ثم قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء (سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان قال وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ وكذا قال الضحاك هذا وعيد وقال قتادة قد دنا من الله فراغ لخلقه وقال ابن جريج سنفرغ لكم أي سنقضي لكم وقال البخاري سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء وهو معروف في كلام العرب

(٣٥٥)

نسعى ونحفد قال القرطبي وهذا قول الجمهور أي فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا بأسبابه من الغسل والوضوء والتوجه اليه وعن خرشة بن الحر قال رأى معي عمر ابن الخطاب لوحا مكتوبا فيه فاسعوا الى ذكر الله فقال من أملى عليك هذا قلت أبي بن كعب قال ان أبيا اقرأنا للمنسوخ اقرأها فامضوا الى ذكر الله رواه ابن المنذر وابن الانباري وابن أبي شيبة وأبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وروى هؤلاء غير أبي عبيد عن ابن عمر قال لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما نقرأ هذه الآية التي هي في سورة الجمعة الا فامضوا الى ذكر الله وأخرجه عنه أيضا الشافعي في الام وعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم وأخرجوا كلهم أيضا عن ابن مسعود انه كان يقرأ فامضوا الى ذكر الله قال ولو كان فاسعوا السعيت حتى يسقط ردائي وعن أبي انه قرأ كذلك والمراد من ذكر الله هنا صلاة الجمعة وقيل موعظة الامام والاول أولى وقال الجمهور الخطبة وبه استدل أبو حنيفة على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا أخرجه البخاري ومسلم وهذا الحديث يعم كل صلاة ويدخل فيه صلاة الجمعة فهو كالتفسير للآية (وذروا البيع) أي اتركوا المعاملة به ويلحق به سائر المعاملات أو اتركوا عقده بتمامه فالخطاب لكل

يقال لاتفرغن لك وما به شغل يقول لآخذنك على غرتك وقوله تعالى أيها الثقلان الثقلان الانس والجن كما جاء في الصحيح يسمعه كل شيء الا الثقلين وفي رواية الا الجن والانس وفي حديث الصور الثقلان الانس والجن فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم قال تعالى يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان أي لاتستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لاتقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم وهذا في مقام الحشر الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب الا بسلطان أي الا بأمر الله يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر وقال تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ولهذا قال تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشواظ هو لهب النار وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس الشواظ الدخان وقال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع وقال أبو صالح الشواظ هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان وقال (٣٥٦) الضحاك شواظ من نار سيل من نار وقوله تعالى ونحاس قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونحاس دخان النار وروى مثله عن أبي صالح وسعيد بن جبير وأبي سنان وقال ابن جرير والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراءة مجمعة على الضم ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة بني جعدة

يضيء كضوء سراج السليـ ... ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعني دخانا هكذا قال وقد روى الطبراني من طريق جويبر عن الضحاك ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال هو اللهب الذي لادخان معه فسأله شاهدا على ذلك من اللغة فانشده بيت أمية بن ابي الصلت في حسان اليه

الا من مبلغ حسان عني * مغلغلة تدب الى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قينا * لدى القينات فسلا في الحفاظ
يمانيا يظل يشد كيرا * وينفخ دائبا لهب الشواظ

قال صدقت فما النحاس قال هو الدخان الذي لالهب له قال فهل تعرفه العرب قال نعم اما سمعت نابغة بني ذبيان يقول

يضيء كضوء سراج السليـ ... ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال مجاهد النحاس الصفر يذاب فيصب على رؤسهم وكذا قال قتادة وقال الضحاك ونحاس سيل من نحاس والمعنى على كل قول لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بارسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان) يقول تعالى فاذا انشقت السماء يوم القيامة كما دلت عليه هذه الآية مع ماشاكلها من الآيات الواردة

من البائع والمشتري قال الحسن اذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع عن محمد بن كعب ان رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانا يختلفان في تجارتهما الى الشام فربما قدما يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فيدعونه ويقومون فنزلت الآية وذروا البيع فحرم عليهم ما كان قبل ذلك أخرجه عبد بن حميد والمراد بالآية ترك مايذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لاشيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير (ذلكم) أي السعي الى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من البيع والتكسب في ذلك الوقت لما في الامتثال من الاجر والجزاء وفي عدمه من عدم ذلك اذا لم يكن موجبا للعقوبة وتمسك بهذا الشافعية في ان البيع وقت اذان الخطبة الى انقضاء الصلاة صحيح مع الحرمة قال في الكشاف عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب الفساد لان البيع لم يحرم لعينه بل لما فيه من التشاغل عن الصلاة فهو كالصلاة في الارض المغصوبة وقال مالك ماوقع في الوقت المذكور يفسخ وكذا سائر العقود (ان كنتم تعلمون) أي ان كنتم من أهل العلم فانه لايخفى عليكم ان ذلكم خير لكم من مصالح أنفسكم (فاذا قضيت الصلاة) أي اذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها (فانتشروا في الارض) للتجارة فيما تحتاجون

في معناها كقوله وانشقت السماء فهي يومئذ واهية وقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وقوله تعالى فكانت وردة كالدهان أى تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك وتتلون كما تتلون الاصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء وذلك من شدة الامر وهول يوم القيامة العظيم وقد قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء حدثنا نافع أبو غالب الباهلي حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم قال الجوهري الطش المطر الضعيف وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله وردة كالدهان قال هو الاديم الاحمر وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس فكانت وردة كالدهان كالفرس الورد وقال العوفي عن ابن عباس تغير لونها وقال أبو صالح كالبرذون الورد ثم كانت بعد كالدهان وحكى البغوي وغيره ان الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فاذا اشتد البرد غير لونها وقال الحسن البصري تكون الوانا وقال السدي تكون كلون البغلة الوردة وتكون كالمهل كدردي الزيت وقال مجاهد كالدهان كالوان الدهان وقال عطاء الخراساني كلون دهن الورد في الصفرة وقال قتادة هي اليوم خضراء ويومئذ لونها الى الحمرة يوم ذي الوان وقال أبو الجوزاء في صفاء الدهن وقال ابن جرير تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وهذه كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فهذا في حال وثم في حال يسئل الخلائق عن جميع اعمالهم قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ولهذا قال قتادة فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا فهذا قول ثان وقال مجاهد في هذه الآية لا تسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم وهذا قول ثالث وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم الى النار فذلك الوقت لا يسئلون عن ذنوبهم بل يقادون اليها ويلقون فيها كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم أى بعلامات تظهر عليهم وقال الحسن وقتادة يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون قلت وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء وقوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك وقال الاعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وقال السدي يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا

اليه من أمر معاشكم والامر للاباحة (وابتغوا) أى اطلبوا (من فضل الله) أى من رزقه الذي يتفضل به على عباده بما يحصل لهم من الارباح في المعاملات والمكاسب وقيل المراد به ابتغاء ما عند الله من الاجر بعمل الطاعات واجتناب ما لا يحل وقيل هو طلب العلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله أخرجه ابن جرير وعن ابن عباس قال لم يؤمروا بشئ من طلب الدنيا انما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله) ذكرا (كثيرا) بالشكر له على ما هداكم اليه من الخير الاخروي والدنيوي وكذا اذكروه بما يقربكم اليه من الاذكار كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ولا تقتصروا ذكره على حالة الصلاة (لعلكم تفلحون) أى لكي تفوزوا بخيري الدارين وتظفروا بهما (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) سبب نزول هذه الآية انه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة فاقبلت عير الشام وضرب لقدومها الطبل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا (1) عشر رجلا في المسجد كما سيجئ قال قتادة بلغنا انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم

(1) قال القرطبي وفي رواية ان الذين بقوا معه أربعون رجلا وفي أخرى انهم ثمانية وفي أخرى انهم احد عشر وفي أخرى انهم ثلاثة عشر وفي أخرى انهم أربعة عشر فهذا منشأ الخلاف بين الائمة في العدد الذي تنعقد به الجمعة اه سيد ذو الفقار أحمد

معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام انه سمع أبا سلام يعنى جده أخبرنى عبد الرحمن حدثنى رجل من كندة قال أتيت عائشة فدخلت عليها وبينى وبينها حجاب فقلت حدثك رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يأتى عليه ساعة لايملك فيها لاحد شفاعة قالت نعم لقد سألته عن هذا وأنا وهو فى شعار واحد قال نعم حين يوضع الصراط لاأملك لاحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بى و يوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بى أو قال يوحى وعند الجسر حين يستحد و يستحر فقالت وما يستحد وما يستحر قال يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف و يستحر حتى يكون مثل الجمرة فاما المؤمن فيجيزه لايضره وأما المنافق فيتعلق حتى اذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهوى بيديه الى قدميه قالت فهل رأيت من يسعى حافيا فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه فانها كذلك يهوى بيده ورأسه الى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف فى ناصيته وقدميه فتقذفه فى جهنم فيهوى فيها مقدار خمسين عاما قلت ما يثقل الرجل قالت ثقل عشر خلفات سمان فيومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام هذا حديث غريب وفيه ألفاظ منكر رفعها وفى الاسناد من لم يسم ومثله لايحتج به والله أعلم وقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون أى هذه النار التى كنتم تكذبون بوجودها ها هى حاضرة (٣٥٨) تشاهدونها عيانا يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتصغيرا وتحقيرا وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن أى تارة يعذبون فى الجحيم وتارة يسقون من الحميم وهو الشراب الذى هو كالنحاس المذاب يقطع الامعاء والاحشاء وهذه كقوله تعالى اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون وقوله تعالى آن أى حار قد بلغ الغاية فى الحرارة لايستطاع من شدة ذلك قال ابن عباس فى قوله يطوفون بينها وبين حميم آن أى قد انتهى غليه واشتد حره وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثورى والسدى وقال قتادة قد آن طبخه منذ خلق الله السموات والارض وقال محمد بن كعب القرظى يؤخذ العبد فيحرك بناصيته فى ذلك الحميم حتى يذوب اللحم و يبقى العظم والعينان فى الرأس وهى كالتى يقول الله تعالى فى الحميم ثم فى النار يسجرون والحميم الآن يعنى الحار وعن القرظى رواية أخرى حميم آن أى حاضر وهو قول ابن زيد أيضا والحاضر لاينافى ماروى عن القرظى أولا انه الحار كقوله تعالى تسقى من عين آنية أى حاضرة شديدة الحر لاتستطاع وكقوله غير ناظرين اناه يعنى استواءه ونضجه فقوله حميم آن أى حميم حار جدا ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه وكان انذاره لهم عن عذابه و بأسه مما يزجرهم عماهم فيه من الشرك والمعاصى وغير ذلك قال ممتنا بذلك على بريته فبأى آلاء ربكما تكذبان (ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال ابن شوذب وعطاء الخراسانى نزلت هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان فى أبى بكر الصديق وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقية عن أبى بكر بن أبى مريم عن عطية بن قيس فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان نزلت

سوغ

العير من الشام و يوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة وقيل ضرب به أهل المدينة على العادة فى انهم كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق أوضرب به أهل القادم بها أقوال ثلاثة حكاها الخطيب ومعنى انفضوا تفرقوا خارجين اليها وقال المبرد مالوا اليها والضمير للتجارة وخصت بارجاع الضمير اليها دون اللهو لانها كانت أهم عندهم وقيل التقدير واذا رأوا تجارة انفضوا اليها أولهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة (١) الاول عليه وقيل انه اقتصر على ضمير التجارة لان الانفضاض اليها اذا كان مذموما مع الحاجة اليها فكيف بالانفضاض الى اللهو وقيل غير ذلك (وتركوك) فى الخطبة (قائما) على المنبر أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال بينما النبى صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لم يبق منهم الا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وأبو بكر وعمر فانزل الله واذا رأوا تجارة الى آخر السورة وعن ابن عباس فى الآية قال جاءت عير عبد الرحمن بن عوف تحمل الطعام فخرجوا من الجمعة بعضهم يريد ان يشترى و بعضهم يريد ان ينظر الى دحية بن خليفة الكلبى وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما على المنبر وبقى فى المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نسوة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو خرج كلهم لاضطرم عليهم المسجد نارا أخرجه عبد بن حميد وفى الباب روايات متضمنة لهذا المعنى عن جماعة من الصحابة وغيرهم والذى

(١) كما فى قول الشاعر نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف اه سيد ذو الفقار أحمد

في الذي قال أحرقوني بالنار لعلي أضل الله قال تاب يوما وله بعد ان تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة والصحيح ان هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى ولمن خاف مقام ربه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ونهى النفس عن الهوى ولم يطغ ولا آثر الحياة الدنيا وعلم ان الآخرة خير وأبقى فادى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخاري رحمه الله حدثنا عبدالله بن أبي الاسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وأخرجه بقية الجماعة الا أبا داود من حديث عبد العزيز به وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه الا قد رفعه في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وفي قوله ومن دونهما جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لاصحاب اليمين وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر عن محمد بن حرملة عن عطاء بن يسار أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوما هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم أنف أبي الدرداء ورواه النسائي من حديث محمد بن حرملة به ورواه النسائي أيضا عن مؤمل بن هشام عن اسمعيل عن الجريري عن موسى عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبي الدرداء به وقد روى موقوفا على أبي الدرداء وروى عنه انه قال ان من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق وهذه الآية عامة في الانس والجن فهي من أدل دليل على ان الجن يدخلون الجنة اذا آمنوا واتقوا ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم نعت هاتين الجنتين فقال ذواتا أفنان أي أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة فبأي آلاء ربكما تكذبان هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة ان الافنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا مسلم بن قتيبة حدثنا عبد الله بن النعمان سمعت عكرمة يقول ذواتا أفنان يقول ظل الاغصان على الحيطان ألم تسمع قول الشاعر

ماهاج شوقك من هديل حمامة * تدعو على فنن الغصون حماما
تدعو أبا فرخين صادف طاويا * ذا مخلبين من الصقور قطاما

وحكى البغوي عن مجاهد وعكرمة والكلبي انه الغصن المستقيم وحدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبد السلام بن حرب حدثنا عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذواتا أفنان ذواتا ألوان قال وروى عن سعيد بن جبير والحسن والسدي وخصيف والنضر بن عدي وابن سنان مثل ذلك ومعنى هذا القول ان فيها فنونا من الملاذ واختاره ابن جرير وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة وقال الربيع بن أنس ذواتا أفنان واسعتا الفناء وكل هذه الاقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم وقال قتادة ذواتا أفنان يعني بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها وقال محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء

سوغ لهم الخروج وترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب انهم ظنوا ان الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لانه كان صلى الله عليه وآله وسلم أول الاسلام يصلي الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة وعن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما أخرجه الشيخان وفيه دليل على ان الخطيب ينبغي ان يخطب قائما واتفقوا على ان هذا القيام كان في الخطبة للجمعة ثم أمره الله سبحانه ان يخبرهم بان العمل للآخرة خير من العمل للدنيا فقال قل لهم تأديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا الفعل (ما عند الله) من الجزاء العظيم على الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الجنة (خير من اللهو ومن التجارة) الذين ذهبتم اليهما وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاجلهما وانما كان خيرا لانه محقق مخلد بخلاف ما توهمونه من نفع التجارة واللهو اذ نفع اللهو ليس بمحقق ونفع التجارة ليس بمخلد ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فان الاعدام تقدم على الملكات (والله خير الرازقين) فمنه اطلبوا الرزق واليه توسلوا بعمل الطاعة فان ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه وتعددهم انما هو على سبيل المجاز من حيث انه يقال كل انسان يرزق عائلته أي من رزق الله تعالى والا فالرازق بالحقيقة هو الله وحده

بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى فقال يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة أو قال يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال ورواه الترمذي من حديث يونس بن بكير به وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه الا قد رفعه في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وفي قوله ومن دونهما جنتان قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين فيهما عينان تجريان أي تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان فبأي آلاء ربكما تكذبان قال الحسن البصري احداهما يقال لها تسنيم والأخرى السلسبيل وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين ولهذا قال بعد هذا فيهما من كل فاكهة زوجان أي من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فبأي آلاء ربكما تكذبان قال ابراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل وقال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الآخرة الا الأسماء يعني ان بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا في التفضيل (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان فبأي آلاء (٣٦٠) ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان) يقول تعالى متكئين يعني أهل الجنة والمراد بالاتكاء ههنا الاضطجاع ويقال الجلوس على صفة التربيع على فرش بطائنها من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قاله عكرمة والضحاك وقتادة وقال أبو عمران الجوني هو الديباج المزين بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى قال أبو اسحق عن هبيرة بن مريم عن عبد الله بن مسعود قال هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر وقال مالك بن دينار بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال سفيان الثوري أو شريك بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال القاسم بن محمد بطائنها من استبرق وظواهرها من الرحمة وقال ابن شوذب عن أبي عبد الله الشامي ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر وعلى الظواهر المحاسن ولا يعلم ما تحت المحاسن الا الله تعالى ذكر ذلك كله الامام ابن أبي حاتم وجنا الجنتين دان أي ثمرهما قريب اليهم متى شاؤا تناولوه على أي صفة كانوا كما قال تعالى قطوفها دانية وقال ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا أي لا تمتنع من تناولها بل تنحط اليه من أغصانها فبأي آلاء ربكما تكذبان ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك فيهن أي في الفرش قاصرات الطرف أي غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيأ في الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد وقد ورد ان الواحدة منهن تقول لبعلها والله ما أرى في الجنة شيأ أحسن منك ولا في الجنة شيأ أحب الي منك فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان أي بل هن أبكار عرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الانس والجن وهذه أيضا من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة قال أرطاة بن المنذر سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة قال نعم وينكحون للجن جنيات وللانس انسيات وذلك قوله لم يطمثهن

(سورة المنافقون هي احدى عشرة آية بلا خلاف وهي مدنية)

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة فيحرض بها المؤمنين وفي الثانية بسورة المنافقين فيقرع بها المنافقين أخرجه سعيد بن منصور والطبراني في الأوسط قال السيوطي بسند حسن وأخرج البزار والطبراني عن أبي عنبة الخولاني مرفوعا نحوه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاءك المنافقون) أي اذا وصلوا اليك وحضروا مجلسك قال ابن عباس انما سماهم الله منافقين لأنهم كتموا الشرك وأظهروا الايمان والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه (قالوا) هذا جواب الشرط وقيل محذوف وقالوا حال أي جاؤك قائلين كيت وكيت فلا تقبل منهم وقيل الجواب اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد جدا كما لا يخفى (نشهد انك لرسول الله) أكدوا شهادتهم بان واللام للاشعار بانها صادرة من صميم قلوبهم مع خلوص اعتقادهم ومعنى نشهد نحلف فهو يجري مجرى القسم ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم وانما عبر عن الحلف بالشهادة لأن كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لأمر معين ويحتمل ان يكون

ذلك

انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم قال ينعتهن للخطاب كأنهن الياقوت والمرجان قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم فى صفاء الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيدة بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الاودى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة لترى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك قول الله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وهكذا رواه الترمذى من حديث عبيدة بن حميد وأبى الاحوص عن عطاء بن السائب به ورواه موقوفا ثم قال وهو اصح وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وقد روى مسلم حديث اسمعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء فقال أبو هريرة أولم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة (٣٦١) البدر والتى تليها على ضوء كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن حميد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملأت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ورواه البخارى من حديث أبى اسحق عن حميد عن أنس بنحوه وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان أى لا لمن أحسن العمل فى الدنيا الا الاحسان اليه فى الدار الآخرة كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال البغوى حدثنا أبو سعيد الشريحى حدثنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنى ابن منجويه حدثنا ابن شيبة حدثنا اسحق بن ابراهيم بن مهرام حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة ولما كان فى الذى ذكر نعمة عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله فبأى آلاء ربكما تكذبان ومما يتعلق بقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ما رواه الترمذى والبغوى من حديث أبى النضر هاشم بن القاسم عن أبى عقيل الثقفى عن أبى فروة يزيد بن سنان الرهاوى عن بكير بن فيروز عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة ثم قال الترمذى غريب لا نعرفه الا من حديث أبى النضر وروى البغوى من حديث على بن حجر عن اسمعيل بن جعفر عن محمد بن

ذلك محمولا على ظاهره نفيا للنفاق عن أنفسهم وهو الاشبه ومثل نشهد نعلم فانه أيضا يجرى مجرى القسم كما فى قول الشاعر

ولقد علمت لتأتين منيتى * ان المنايا لا تطيش سهامها

(والله يعلم انك لرسوله) جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها وهو ما أظهروه من الشهادة وان كانت بواطنهم على خلاف ذلك (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) أى فى شهادتهم التى زعموا أنها من صميم القلب وخلوص الاعتقاد لا فى منطوق كلامهم وهو الشهادة بالرسالة فانه حق يعنى انهم لكاذبون فيما تضمنه كلامهم من التأكيد الدال على ان شهادتهم بذلك صادرة عن خلوص اعتقاد وطمأنينة قلب وموافقة باطن لظاهر أو انهم كاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا أيمانهم جنة) أى جعلوا حلفهم الذى حلفوا لكم به انهم لمنكم وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقاية تقيهم منكم وسترة يستترون بها من القتل والاسر قال النسفى وفيه دليل على ان أشهد يمين قال ابن عباس اجتنوا بأيمانهم من القتل والحرب والجملة مستأنفة لبيان كذبهم وحلفهم عليه وقرأ الجمهور أيمانهم بفتح الهمزة وقرئ بكسرها وقد تقدم تفسير هذا فى سورة المجادلة والجنة الترس ونحوه وكل ما يقيك سوأ ومن كلام الفصحاء جبة البرد جنة البرد (فصدوا عن سبيل

أبي حرملة مولى حويطب بن عبد العزى عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم أنف أبي الدرداء (ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن قال الله تعالى ومن دونهما جنتان وقد تقدم في الحديث جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فالاوليان للمقربين والاخريان لاصحاب اليمين وقال أبو موسى جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لاصحاب اليمين وقال ابن عباس ومن دونهما جنتان من دونهما في الدرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل والدليل على أشرف الاوليين على الاخريين وجوه أحدها انه نعت الاوليين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال ومن دونهما جنتان وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك ذواتا أفنان وهي الاغصان والفنون في الملاذ وقال هنا مدهامتان أي سوداوان من شدة الري من الماء قال ابن عباس في قوله مدهامتان قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مدهامتان قال خضراوان وروى عن أبي أيوب الانصاري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في احدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك وقال محمد بن كعب مدهامتان ممتلئتان من الخضرة وقال قتادة خضراوان من الري ناعمتان ولا شك في نضارة الاغصان على الاشجار المشتبكة بعضها في بعض وقال هناك فيهما عينان تجريان وقال هنا فيهما عينان نضاختان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فياضتان والجري أقوى من النضخ وقال الضحاك نضاختان أي ممتلئتان ولا تنقطعان وقال هناك فيهما من كل فاكهة زوجان وقال هنا فيهما فاكهة ونخل ورمان ولا شك ان الاولى أعم وأكثر في الافراد والتنويع على فاكهة وهي نكرة في سياق الاثبات لا تعم ولهذا فسر قوله ونخل ورمان من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره وانما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما قال عبد بن حميد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا مخارق عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب قال جاء أناس من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أفي الجنة فاكهة قال نعم فيها فاكهة ونخل ورمان قالوا أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا قال نعم وأضعاف قالوا أفيقضون الحوائج قال لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله ما في

الله) أي منعوا الناس عن الايمان والجهاد وأعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح في النبوة هذا معنى الصد الذي بمعنى الصرف ويجوز أن يكون بمعنى الصدود أي أعرضوا عن الدخول في سبيل الله واقامة أحكامه (انهم ساء ما كانوا يعملون) من النفاق والصد وساء ههنا هي الجارية مجرى بئس في افادة الذم ومع ذلك ففيها معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) أي ما تقدم ذكره من الكذب والصد وقبح الاعمال (بأنهم) أي بسبب انهم (آمنوا) باللسان في الظاهر نفاقا (ثم كفروا) بالقلب في الباطن فثم للترتيب الاخباري لا الايجادي أو أظهروا الايمان للمؤمنين وأظهروا الكفر للكافرين وهذا صريح في كفر المنافقين وقيل نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا والاول أولى كما يفيده السياق (فطبع على قلوبهم) أي ختم عليها بسبب كفرهم قرأ الجمهور وطبع مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والفاعل ضمير يعود الى الله سبحانه ويدل عليه قراءة الاعمش فطبع الله على قلوبهم (فهم لا يفقهون) ما فيه صلاحهم ورشادهم وهو حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) أي هيآتهم ومناظرهم يعني ان لهم أجساما تعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق قال ابن عباس كان ابن أبي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وكان قوم من

بطونهم من أذى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة سعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكربها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم وحدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبي هرون عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب ثم قال فيهن خيرات حسان قيل المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة وقيل خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور وروى مرفوعا عن أم سلمة وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة ان شاء الله تعالى ان الحور العين يغنين نحن الخيرات الحسان خلقن لازواج كرام ولهذا قرأ بعضهم فيهن خيرات بالتشديد حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم قال حور مقصورات في الخيام وهناك قال فيهن قاصرات الطرف ولا شك ان التي قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وان كان الجميع مخدرات قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي حدثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال لكل مسلم خيرة ولكل خيرة (٣٦٣) خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم يكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون وقوله تعالى في الخيام قال البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد العزيز ابن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله ابن قيس عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون ورواه أيضا من حديث عمران به وقال ثلاثون ميلا وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أخبرني خليد العصري عن أبي الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابا من در وحدثنا أبي حدثنا عيسى بن أبي فاطمة حدثنا جرير عن هشام عن محمد بن المثنى عن ابن عباس في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام قال في خيام اللؤلؤ وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربع فراسخ في أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحرث به وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قد تقدم مثله سواء الا انه زاد في وصف الاوائل بقوله كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفرف المحابس وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم هي المحابس وقال العلاء بن زيد الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي وقال عاصم الجحدري متكئين على رفرف خضر يعني الوسائد وهو

المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكان يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويستندون فيه الى الجدر وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم (وان يقولوا) أي يتكلموا في مجلسك (تسمع لقولهم) أي تستمع وتصغي وقيل فلذلك عدي باللام والمعنى تحسب ان قولهم حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم قال الكلبي المراد عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لكل من يصلح له ويدل عليه قراءة يسمع على البناء للمفعول وجملة (كأنهم خشب مسندة) خبر مبتدأ مضمر أي هم كأنهم أو مستأنفة لتقرير ما تقدم من ان أجسامهم تعجب الرائي وتروق الناظر قاله ما الزمخشري أو في محل نصب على الحال وصاحب الحال الضمير في قولهم قاله أبو البقاء شبهوا في جلوسهم في مجالس النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستندين بها بالخشب المنصوبة المسندة الى الحائط التي لا تفهم ولا تعلم وهم كذلك لخلوهم عن الفهم النافع والعلم الذي ينتفع به صاحبه قال الزجاج وصفهم بتمام الصور ثم اعلم انهم في ترك الفهم والاستبصار وعظم الاجسام بمنزلة الخشب قرأ الجمهور خشب بضمتين وقرئ باسكان الشين لان واحدتها خشبة كبدنة وبدن وهما سبعيتان وقرئ بفتحتين ومعنى مسندة انها أسندت الى غيرها من قولهم أسندت كذا الى كذا والتشديد للتكثير قال ابن عباس في الآية كأنهم نخل قيام وقيل انهم أشباح بلا

قول الحسن البصري في رواية عنه وقال أبوداود الطيالسي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى متكئين على رفرف خضر قال الرفرف رياض الجنة وقوله تعالى وعبقري حسان قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي العبقري الزرابي وقال سعيد بن جبير هي عتاق الزرابي يعني جيادها وقال مجاهد العبقري الديباج وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى وعبقري حسان فقال هي بسط اهل الجنة لا أبالكم فاطلبوها وعن الحسن رواية انها المرافق وقال زيد بن أسلم العبقري أحمر وأصفر وأخضر وسئل العلاء بن زيد عن العبقري فقال البسط أسفل من ذلك وقال ابن حزرة يعقوب بن مجاهد العبقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد وقال أبو العالية العبقري الطنافس المخملة الى الرقة ماهي وقال القيسي كل ثوب موشى عند العرب عبقري وقال أبو عبيدة هو منسوب الى ارض يعمل بها الوشي وقال الخليل بن أحمد كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقريا يفري فريه وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الاولتين أرفع وأعلى من هذه الصفة فانه قد قال هناك متكئين على فرش بطائنها من استبرق فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الاولى والاحرى وتمام الخاتمة انه قال بعد الصفات المتقدمة هل جزاء الاحسان الا الاحسان فوصف أهلها بالاحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سأل عن الاسلام ثم الايمان ثم الاحسان فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الاولتين على هاتين الاخيرتين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهـــــل الاولتين ثم قال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام أي هو أهل أن يجل فلا يعصى وأن يكرم فيعبد ويشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى وقال ابن عباس ذي الجلال والاكرام ذي العظمة والكبرياء وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عمير بن هانئ عن أبي العذراء عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلوا الله يغفر لكم وفي الحديث الآخر ان من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم وذي السلطان وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو يوسف الحربي حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألظوا بياذا الجلال والاكرام وكذا رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن مؤمل بن اسمعيل عن حماد بن سلمة به ثم قال غلط المؤمل فيه وهو غريب وليس بمحفوظ وانما روى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحق حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان المقدسي عن ربيعة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألظوا بذي الجلال والاكرام ورواه النسائي من حديث عبد الله ابن المبارك به وقال الجوهري ألظ فلان بفلان اذا لزمه وقول ابن مسعود ألظوا بياذا الجلال والاكرام أي الزموا يقال الالظاظ هو الالحاح قلت وكلاهما قريب من الآخر والله أعلم وهو المداومة واللزوم والالحاح وفي صحيح مسلم والسنن الاربعة من حديث عبد الله بن الحرث عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة الا بقدر ما يقول اللهم أنت

أرواح وأجسام بلا أحلام وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فاصاب الناس شدة فقال عبد الله بن ابي لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى أنزل الله تصديقي في اذا جاءك المنافقون فدعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤسهم وهو قوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شيء وأخرجه عنه باطول من هذا ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي ثم عابهم الله سبحانه بالجبن فقال (يحسبون كل صيحة) يسمعونها واقعة (عليهم) نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم وفي المفعول الثاني للحسبان وجهان أولهما انه عليهم ويكون جملة (هم العدو) مستأنفة لبيان انهم الكاملون في العداوة لكونهم يظهرون غير ما يبطنون والوجه الثاني أن المفعول الثاني للحسبان هو قوله هم العدو ويكون قوله عليهم متعلقا بصيحة وانما جاء بضمير الجماعة باعتبار الخبر وكان حقه ان يقال هو العدو والوجه الاول أولى قال مقاتل والسدي أي اذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوا انهم

المرادون

السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام آخر تفسير سورة الرحمن ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الواقعة وهي مكية) قال أبو اسحق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت رواه الترمذي وقال حسن غريب قال الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده الى عمرو بن الربيع بن طارق المصري حدثنا السري بن يحيى الشيباني عن أبي شجاع عن أبي ظبية قال مرض عبد الله مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان فقال ماتشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضني قال ألا آمر لك بعطاء قال لا حاجة لي فيه قال يكون لبناتك من بعدك قال أتخشى على بناتي الفقر اني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا ثم قال ابن عساكر كذا قال والصواب عن شجاع كما رواه عبد الله بن وهب عن السري وقال عبد الله بن وهب أخبرني السري بن يحيى ان شجاعا حدثه عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا فكان أبو ظبية لايدعها وكذا (٣٦٥) رواه أبو يعلى عن اسحق بن ابراهيم عن محمد بن منيب عن السري بن يحيى عن شجاع عن أبي ظبية عن ابن مسعود به ثم رواه عن اسحق ابن أبي اسرائيل عن محمد بن المنيب العدني عن السري بن يحيى عن أبي ظبية عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا لم يذكر في سنده شجاعا قال وقد أمرت بناتي ان يقرأنها كل ليلة وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن أبي اليمان عن السري بن يحيى عن شجاع عن أبي فاطمة قال مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده فذكر الحديث بطوله قال عثمان بن اليمان كان أبو فاطمة هذا مولى لعلي بن أبي طالب وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا اسرائيل ويحيى بن آدم حدثنا اسرائيل عن سماك بن حرب انه سمع جابر بن سمرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور *(بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم)* الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها كما قال تعالى فيومئذ وقعت الواقعة وقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة أي ليس لوقوعها اذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله وقال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع وقال تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ومعنى كاذبة كما قال محمد بن كعب لابد ان تكون وقال قتادة ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة

المرادون لما في قلوبهم من الرعب وقيل كان المنافقون على وجل من ان ينزل فيهم مايهتك استارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يأخذ حذره منهم فقال (فاحذرهم) ان يتمكنوا من فرصة منك أو يطلعوا على شيء من اسرارك لانهم عيون لاعدائك من الكفار قال ابو السعود الفاء لترتيب الامر بالحذر على كونهم أعدى الاعداء وعلى هذا جعل قوله هم العدو مفعولا ثانيا مما لا يساعده النظم الكريم أصلا ثم دعا عليهم بقوله (قاتلهم الله) أي لعنهم الله وقد تقول العرب هذه الكلمة على طريق التعجب كقولهم قاتله الله من شاعر أو ما أشعره وليس بمراد هنا بل المراد ذمهم وتوبيخهم وهو طلب من الله سبحانه طلبه من ذاته عز وجل ان يلعنهم ويخزيهم أو هو تعليم للمؤمنين ان يقولوا ذلك وقيل معناه أهلكهم وهذا ما جرى عليه أبو عيسى ومعنى (انى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق ويميلون عنه الى الكفر بعد قيام البرهان على حقية الايمان قال قتادة يعدلون عن الحق وقال الحسن معناه يصرفون عن الرشد (واذا قيل لهم تعالوا) أي اذا قال لهم القائل من المؤمنين قد نزل فيكم ما نزل من القرآن فتوبوا الى الله ورسوله وتعالوا (يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أي حركوها استهزاء بذلك قال مقاتل عطفوا رؤسهم رغبة عن الاستغفار وقيل اعراضا عنه واستكبارا قرأ الجمهور لووا بالتشديد وقرئ بالتخفيف واختار الاولى أبو عبيد وهما سبعيتان (ورأيتهم يصدون) أي يعرضون

قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية وقوله تعالى خافضة رافعة أي تخفض أقواما الى أسفل سافلين الى الجحيم وان كانوا في الدنيا أعزاء وترفع آخرين الى أعلى عليين الى النعيم المقيم وان كانوا في الدنيا وضعاء هكذا قال الحسن وقتادة وغيرهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي عن أبيه عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس خافضة رافعة تخفض أناسا وترفع آخرين وقال عبيد الله العتكي عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب خافضة رافعة قال الساعة خفضت أعداء الله الى النار ورفعت أولياء الله الى الجنة وقال محمد بن كعب تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا في الدنيا مخفوضين وقال السدي خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين وقال العوفي عن ابن عباس خافضة رافعة أسمعت القريب والبعيد وقال عكرمة خفضت فأسمعت الادنى ورفعت فأسمعت الاقصى وكذا قال الضحاك وقتادة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا أي حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد في قوله تعالى اذا رجت الارض رجا أي زلزلت زلزالا وقال الربيع بن أنس ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه وهذا كقوله تعالى اذا (٣٦٦) زلزلت الارض زلزالها وقال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى وبست الجبال بسا أي فتتت فتا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال ابن زيد صارت الجبال كما قال الله تعالى كثيبا مهيلا وقوله تعالى فكانت هباء منبثا قال أبو اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه هباء منبثا كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء وقال عن ابن عباس في قوله فكانت هباء منبثا الهباء الذي يطير من النار اذا اضطرمت يطير منه الشرر فاذا وقع لم يكن شيأ وقال عكرمة المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته وقال قتادة هباء منبثا كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها أي بان قلعها وصيرورتها كالعهن المنفوش وقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أي ينقسم الناس يوم القيامة الى ثلاثة أصناف قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين قال السدي وهم جمهور أهل الجنة وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار عياذا بالله من صنيعهم وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين هم سادتهم فيهم الرسل والانبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عددا من أصحاب اليمين ولهذا قال تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وهكذا قسمهم الى هذه الانواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم وهكذا ذكرهم في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وكنتم أزواجا ثلاثة قال هي التي في سورة الملائكة ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد

عن قول من قال لهم تعالوا الخ أو يعرضون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجملة (وهم مستكبرون) في محل نصب على الحال من فاعل الحال الاولى وهي يصدون لان الرؤية بصرية فيصدون في محل نصب على الحال والمعنى رأيتهم صادين مستكبرين عن الاعتذار والاستغفار ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب صلاحهم وان يستغفر لهم وربما ندبه الى ذلك بعض أقاربهم قال تعالى منبها له على انهم ليسوا باهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أي الاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك لاصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر وهذا تيئيس له من ايمانهم (لن يغفر الله لهم) أي ما داموا على النفاق (ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) أي الكاملين في الخروج عن الطاعة والانهماك في معاصي الله ويدخل فيهم المنافقون دخولا أوليا ثم ذكر سبحانه بعض قبائحهم فقال (هم الذين يقولون) استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم هداية الله لهم والمعنى يقولون لاصحابهم من الانصار المخلصين في الايمان وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال (لا تنفقوا على من عند رسول الله) الظاهر انه حكاية ما قالوه بعينه لانهم منافقون مقرون برسالته ظاهرا ولا حاجة الى أنهم قالوه تهكما أو لغلبته عليه حتى صار كالعلم كما قيل ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله اجلالا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (حتى ينفضوا) أي لاجل أن يتفرقوا عنه

ومنهم سابق بالخيرات وقال ابن جريج عن ابن عباس فى هذه الازواج الثلاثة هم المذكورون فى آخر السورة وفى سورة الملائكة وقال يزيد الرقاشى سألت ابن عباس عن قوله وكنتم أزواجا ثلاثة قال أصنافا ثلاثة وقال مجاهد وكنتم أزواجا ثلاثة يعنى فرقا ثلاثة وقال ميمون بن مهران أفواجا ثلاثة وقال عبيد الله العتكى عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب وكنتم أزواجا ثلاثة اثنان فى الجنة وواحد فى النار وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبى ثور عن سماك عن النعمان ابن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال الضرباء قال كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بان الله يقول وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون قال هم الضرباء وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى حدثنا البراء الغنوى حدثنا الحسن عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فقبض بيديه قبضتين فقال هذه للجنة ولا أبالى وهذه للنار ولا أبالى وقال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا خالد بن أبى عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون من السابقون الى ظل الله يوم القيامة قالوا (٣٦٧) الله ورسوله أعلم قال الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم وقال محمد بن كعب وأبو حزرة يعقوب بن مجاهد والسابقون السابقون هم الانبياء عليهم السلام وقال السدى أهل عليين وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس والسابقون السابقون قال يوشع بن نون سبق الى موسى ومؤمن آل يس سبق الى عيسى وعلى بن أبى طالب سبق الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن أبى حاتم عن محمد بن هرون الفلاس عن عبد الله بن اسمعيل المدائنى البزار عن سفيان ابن الضحاك المدائنى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح به وقال ابن أبى حاتم وذكر عن محمد بن أبى حماد حدثنا مهران عن خارجة عن قرة عن ابن سيرين والسابقون السابقون الذين صلوا القبلتين ورواه ابن جرير من حديث خارجة به وقال الحسن وقتادة والسابقون السابقون اى من كل أمة وقال الاوزاعى عن عثمان بن ابى سودة أنه قرأ هذه الآية والسابقون السابقون أولئك المقربون ثم قال أولهم رواحا الى المسجد وأولهم خروجا فى سبيل الله وهذه الاقوال كلها صحيحة فان المراد بالسابقين هم المبادرون الى فعل الخيرات كما أمروا كما قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض فمن سابق فى هذه الدنيا وسبق الى الخير كان فى الآخرة من السابقين الى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان ولهذا قال تعالى أولئك المقربون فى جنات النعيم وقال ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا يحيى بن زكريا القزازى الرازى حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال قالت الملائكة يارب جعلت لبنى آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فاجعل لنا الآخرة فقال لا افعل فراجعوا ثلاثا فقال لا اجعل من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان ثم قرأ عبد الله والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم وقد روى هذا الاثر الامام عثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه الرد على

بان يذهب كل واحد منهم الى أهله وشغله الذى كان له قبل ذلك يعنون بذلك فقراء المهاجرين قرأ الجمهور ينفضوا من الانفضاض وهو التفرق وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم يقال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عسيف لعمر بن الخطاب وقرأ زيد بن أرقم وابن مسعود حتى ينفضوا من حوله ثم أخبر سبحانه بسعة ملكه فقال (ولله خزائن السموات والارض) أى انه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين وغيرهم لان خزائن الرزق له فيعطى من شاء ما شاء ويمنع من شاء ما شاء لا بايديهم وهذا ردوا بطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله والجملة حالية أى قالوا ما ذكروا والحال ان الرزق بيده تعالى لا يقدر أحد على منع شئ من ذلك لا مما فى يده ولا مما فى يد غيره (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك ولا يعلمون ان خزائن الارزاق بيد الله عز وجل وانه الباسط القابض المعطى المانع ثم ذكر سبحانه مقالة شنعاء قالوها فقال (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) القائل لهذه المقالة هو عبد الله بن أبى رأس المنافقين وعنى بالاعز نفسه ومن معه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه والمراد بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة وانما أسند القول الى المنافقين مع كون القائل فردا من أفرادهم وهو ابن أبى لكونه رئيسهم وصاحب أمرهم وهم راضون بما يقوله سامعون له مطيعون أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن

الجهمة والفظه فقال الله عز وجل لن أجعل صالح ذريه من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما) يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين انهم ثلة أي جماعة من الاولين وقليل من الآخرين وقد اختلفوا في المراد بقوله الاولين والآخرين فقيل المراد بالاولين الامم الماضية وبالآخرين هذه الامة هذا رواية عن مجاهد والحسن البصري رواه عنهما ابن أبي حاتم وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ولم يحك غيره ولا عزاه الى أحد ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الامام ابو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا شريك عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال لما نزلت ثلة من الاولين وقليل من الآخرين شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو أن تكونوا (٣٦٨) ربع أهل الجنة ثلث اهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني ورواه الامام أحمد عن أسود بن عامر عن شريك عن محمد بياع الملاء عن أبيه عن أبي هريرة فذكره وقد روي من حديث جابر نحو هذا ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمارة حدثنا عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت اذا وقعت الواقعة ذكر فيها ثلة من الاولين وقليل من الآخرين قال عمر يا رسول الله ثلة من الاولين وقليل منا قال فامسك آخر السورة سنة ثم نزل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ألا وان من آدم الى ثلة وأمتي ثلة وان نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الابل ممن شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له هكذا أورده في ترجمة عروة بن رويم اسنادا ومتنا ولكن في اسناده نظر وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع أهل الجنة الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة ولله الحمد والمنة وهذا الذي اختاره ابن جرير ههنا فيه نظر بل هو قول ضعيف لان هذه الامة هي خير الامم بنص القرآن فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها اللهم الا ان يقابل مجموع الامم بهذه الامة والظاهر ان المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الامم والله اعلم فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح وهو ان يكون المراد بقوله تعالى ثلة من الاولين اي من صدر هذه الامة وقليل من الآخرين أي من هذه الامة قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا عبد الله بن بكر المزني سمعت الحسن أتى على هذه الآية والسابقون السابقون أولئك

جابر بن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة قال سفيان يرون انها غزوة بني المصطلق فكسع (١) رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال المهاجري يا للمهاجرين وقال الانصاري يا للانصار فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما بال دعوة الجاهلية قالوا رجل من المهاجرين كسع رجلا من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوها فانها منتنة فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال أوقد فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام عمر فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه زاد الترمذي فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله العزيز ففعل وكانت تلك الغزوة في السنة الرابعة وقيل في السادسة ثم رد الله سبحانه على قائل تلك المقالة فقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) الجملة حالية أي قالوا ما ذكر والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان القوة والغلبة لله وحده ولمن افاضها عليه من رسله وصالحي عباده وعزة الله قهره وغلبته لاعدائه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم عن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي ان رجلا قال له ان الناس يزعمون

(١) الكسع ان تضرب دبر الانسان بيدك أو بصدر قدمك يقال اتبع فلان أدبارهم يكسعهم بالسيف مثل يكسؤهم اي يطردهم اه صحاح الجوهري

ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية اللهم كما جعلت العزة للمؤمنين على المنافقين فاجعل العزة للعادلين من عبادك وأنزل الذلة على الجائرين الظالمين (ولكن المنافقين لا يعلمون) بعاقبة النفع فيفعلونه وعاقبة الضر فيجتنبونه بل هم كالانعام لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لان الاول متصل بقوله ولله خزائن السموات والارض وفي معرفتها غموض يحتاج الى فطنة وفقه فناسب نفي الفقه عنهم والثاني متصل بقوله ولله العزة الخ وفي معرفتها غموض زائد يحتاج الى علم فناسب نفي العلم عنهم فالمعنى لا يعلمون ان الله معز اولياءه ومذل اعداءه قال الكرخي والحاصل انه لما أثبت المنافقون لفريقهم اخراج المؤمنين من المدينة أثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون وفي شرح جمع الجوامع ومن قوادح العلة القول بالموجب بفتح الجيم وهو تسليم الدليل مع بقاء النزاع بان يظهر المعترض عدم استلزام الدليل لمحل النزاع وشاهده ولله العزة ولرسوله في جواب ليخرجن الاعز منها الاذل ولما ذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع الى خطاب المؤمنين مرغبا لهم في ذكره فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) أي لا تشغلكم (أموالكم) بالتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج والاهتمام بها (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنتهم حذرهم عن

المقربون فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين ثم قال حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا السري ابن يحيى قال قرأ الحسن والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين قال ثلة ممن مضى من هذه الامة وحدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري حدثنا أبو هلال عن محمد بن سيرين انه قال في هذه الآية ثلة من الاولين وقليل من الآخرين قال كانوا يقولون أو يرجون ان يكونوا كلهم من هذه الامة فهذا قول الحسن وابن سيرين ان الجميع من هذه الامة ولا شك ان أول كل أمة خير من آخرها فيحتمل ان تعم الآية جميع الامم كل أمة بحسبها ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث بتمامه فاما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زياد أبو عمر عن الحسن عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره فهذا الحديث بعد الحكم بصحة اسناده محمول على ان الدين كما هو محتاج الى اول الامة في ابلاغه الى من بعدهم كذلك هو محتاج الى القائمين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها واظهارها والفضل للمتقدم وكذلك الزرع هو محتاج الى المطر الاول والى المطر الثاني ولكن العمدة الكبرى على الاول واحتياج الزرع اليه آكد فانه لولاه ما نبت في الارض ولا تعلق اساسه فيها ولهذا قال عليه السلام لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة وفي لفظ حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك والغرض ان هذه الامة أشرف من سائر الامم والمقربون فيها أكثر من غيرها واعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أخبر ان في هذه الامة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ مع كل ألف سبعون ألفا وفي آخر مع كل واحد سبعون ألفا وقد قال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا هشام بن مرثد الطبراني حدثنا محمد هو ابن اسمعيل بن عياش حدثني ابي حدثني ضمضم يعني ابن زرعة عن شريح هو ابن عبيد عن ابي مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الاسود زمرة جميعها يحيطون الارض تقول الملائكة لما جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما جاء مع الانبياء عليهم السلام وحسن ان يذكر ههنا عند قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة حيث قال اخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي حدثني ابو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرح الحراني حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة ابن ربعي عن ابي زمل الجهني رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح يقول وهو ثان رجليه سبحان الله وبحمده استغفر الله ان الله كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعين بسبعمائة لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا ثم يقول هل رأى أحد منكم شيأ قال أبو زمل فقلت أنا يا رسول الله فقال خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر على أعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص

رؤياك فقلت رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب والناس على الجادة منطلقين فبيناهم كذلك اذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم ترعيني مثله يرف رفيفا يقطر ماؤه فيه أنواع الكلا قال وكأني بالرعلة الاولى حين أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا قال فكأني انظر اليهم منطلقين ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم اضعافا فلما أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل كأني انظر اليهم يميلون يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى آتي المرج فاذا انا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا عن يمينك رجل آدم شثل اقنى اذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولا واذا عن يسارك رجل تار ربعة كثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء اذا هو تكلم أصغيتم اكراما له واذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها كلكم تأمونه تريدونه واذا امام ذلك ناقة عجفاء شارف واذا أنت يارسول الله كأنك تبعثها قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سرى عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب فذلك ما حملتكم (٣٧٠) عليه من الهدى وأنتم عليه وأما المرج الذي رأيت فالدنيا وغضارة عيشها مضيت أنا واصحابي لم نتعلق منها بشيء ولم تتعلق بنا ولم نردها ولم تردنا ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم اكثر منا اضعافا فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ونجوا على ذلك ثم جاء عظم الناس فمالوا في المرج يمينا وشمالا فانا لله وانا اليه راجعون وأما انت فمضيت على طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وانا في اعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشثل فذلك موسى عليه السلام اذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله اياه والذي رأيت عن يساري التار الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء فذاك عيسى بن أمه لمتى
مريم نكرمه لاكرام الله اياه وأما الشيخ الذي رأيت اشبه الناس بي خلقا ووجها فذاك أبونا ابراهيم كلنا نؤمه ونقتدي به وأما الناقة التي رأيت ورأيتني ابعثها فهي الساعة علينا تقوم لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي قال فما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رؤيا بعد هذا الا ان يجيء الرجل فيحدثه بها متبرعا وقوله تعالى على سرر موضونة قال ابن عباس أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن اسلم وقتادة والضحاك وغيره وقال السدي مرمولة بالذهب واللؤلؤ وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وقال ابن جرير ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لانه مظفور وكذلك السرر في الجنة مظفورة بالذهب واللآلئ وقوله تعالى متكئين عليها متقابلين أي وجوه بعضهم الى بعض ليس أحد وراء احد يطوف عليهم ولدان مخلدون أي مخلدون على صفة واحدة لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون بأكواب وأباريق وكأس من معين أما الاكواب فهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان والاباريق التي جمعت الوصفين والكؤس الهنابات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة وقوله تعالى لا يصدعون

التشبه بالمنافقين في الاغترار عن اخلاق الذين الهتهم أموالهم وأولادهم (عن ذكر الله) والمراد بالذكر فرائض الاسلام قاله الحسن وقال الضحاك الصلوات الخمس وقيل قراءة القرآن وقيل الحج والزكاة وقيل ادامة الذكر وقيل هو خطاب للمنافقين ووصفهم بالايمان لكونهم آمنوا ظاهرا والاول أولى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال هم عباد من أمتي الصالحون منهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلوات الخمس المفروضة أخرجه ابن مردويه (ومن يفعل ذلك) أي يلتهي بالدنيا عن الدين ويشتغل بها عما ذكر (فأولئك هم الخاسرون) أي الكاملون الخسران في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وهو عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم أخرجه الترمذي (وأنفقوا مما رزقناكم) الظاهر ان المراد الانفاق في الخير على عمومه وقيل المراد الزكاة المفروضة ومن للتبعيض اى انفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير وفي التبعيض باسناد الرزق منه تعالى الى نفسه زيادة ترغيب في الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه (من قبل ان يأتي أحدكم الموت) بان تنزل عليه مقدماته واسبابه وأماراته ويشاهد حضور علاماته ودلائله ويتعذر عليه الانفاق وقدم المفعول على الفاعل للاهتمام (فيقول رب لولا أخرتني) أي يقول عند نزول ما نزل به منادياً لربه هلا

عنها ولا ينزفون أى لا تصدع رؤسهم ولا تنزف عقولهم بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال فى الخمر أربع خصال السكر والصداع والقىء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدى لا يصدعون عنها يقول ليس لهم فيها صداع رأس وقالوا فى قوله ولا ينزفون أى لا تذهب بعقولهم وقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون أى ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذى رواه أبو يعلى الموصلى رحمه الله فى مسنده حدثنا العباس بن الوليد النرسى حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى سوية حدثنا عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال بعثنى مرة فى صدقات أموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت المدينة فاذا هو جالس بين المهاجرين والانصار وقدمت عليه بابل كأنها عروق الارطى قال من الرجل قلت عكراش بن ذؤيب قال ارفع فى النسب فانتسبت له الى مرة بن عبيد وهذه صدقة مرة بن عبيد فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه ابل قومى هذه صدقات قومى ثم أمر بها أن توسم بميسم ابل الصدقة وتضم اليها ثم أخذ بيدى فانطلقنا (٣٧١) الى منزل أم سلمة فقال هل من طعام فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدى فى جوانبها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى اليسرى على يده اليمنى فقال يا عكراش كل من موضع واحد فانه طعام واحد ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا فجعلت آكل من بين يدى وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق وقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد ثم أتينا بماء فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا ثم قال يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار وهكذا رواه الترمذى مطولا وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشار عن أبى الهذيل العلاء بن الفضل به وقال الترمذى غريب لا نعرفه الا من حديثه وقال الامام أحمد حدثنا بهز بن أسد وعفان وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا شيبان قالوا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه اذا لم يكن يعرفه فاذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يا رسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة فنظرت فاذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثنى عشر رجلا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم الى نهر البيدخ أو البيذخ قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسره ما شاؤا فما يقلبونها من وجه الا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم فجاء البشير من تلك السرية فقال ما كان رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فقال قصى رؤياك فقصتها وجعلت تقول فجىء بفلان وفلان كما قال هذا لفظ أبى يعلى قال الحافظ أيضا وهذا على شرط مسلم وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا معاذ بن

أمهلتنى وأخرت موتى فلولا بمعنى هلا التى معناها التحضيض وتختص بالفعل ماض وهو فى تأويل المضارع كما هنا اذ لا معنى لطلب التأخير فى الزمن الماضى أو لا زائدة ولو للتمنى وقضية كلام الكشاف ان لولا بمعنى هل الاستفهامية والاول أولى (الى أجل) أى زمن واحد (قريب) قصير قليل بقدر ما استدرك فيه ما فاتنى (فاصدق) أى فأتصدق بمالى أو بالزكاة قرأ الجمهور بادغام التاء فى الصاد وانتصابه على انه جواب التمنى وقيل ان لا فى لولا زائدة والاصل لو أخرتنى وقرئ فأتصدق بدون ادغام على الاصل (وأكن) قرأ الجمهور بالجزم على محل فاصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن قال الزجاج معناه هلا أخرتنى وجزم أكن على موضع فاصدق لانه على معنى ان أخرتنى أصدق وأكن وكذا قال أبو على الفارسى وابن عطية وغيرهم وقال سيبويه حاكيا عن الخليل انه جزم على توهم الشرط الذى يدل عليه التمنى وجعل سيبويه هذا نظير قول زهير

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى * ولا سابق شيأ اذا كان جائيا

فخفض ولا سابق عطفا على مدرك الذى هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه وقرئ وأكون بالنصب عطفا على فاصدق ووجهها واضح ولكن قال أبو عبيد رأيت فى مصحف عثمان وأكن بغير واو وقرئ بالرفع على الاستئناف أى وأنا أكون (من الصالحين) أى من المؤمنين قال ابن عباس أحج وقال الضحاك لا ينزل الموت بأحد لم يحج ولم يؤد زكاة

المثنى حدثنا على بن المدينى حدثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن ابى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى وقوله تعالى ولحم طير مما يشتهون وقال الامام احمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى حدثنا ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طير الجنة كامثال البخت ترعى فى شجر الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله ان هذه لطير ناعمة فقال آكلها أنعم منها قالها ثلاثا وانى لارجو ان تكون ممن يأكل منها انفرد به احمد من هذا الوجه وروى الحافظ ابو عبد الله المقرى فى كتابه صفة الجنة من حديث اسمعيل بن على الحفظى عن أحمد بن على الخيوطى عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال ذكرت عند النبى صلى الله عليه وسلم طوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى قال الله ورسوله أعلم قال طوبى شجرة فى الجنة ما يعلم طولها الا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كامثال البخت فقال أبو بكر يا رسول الله ان هناك لطيرا ناعما قال أنعم منه من يأكله وأنت منهم ان شاء الله تعالى وقال قتادة فى قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون وذكر لنا ان أبا بكر قال يا رسول الله انى أرى (٣٧٢) طيرها ناعمة كأهلها ناعمون قال من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وانها لامثال البخت وانى لاحتسب على الله ان تأكل منها يا أبا بكر وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنى مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال نهر اعطانيه ربى عز وجل فى الجنة أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعنى كاعناق الجزر فقال عمر انها الناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم منها وكذا رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن القعنبى عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن ابيه عن أنس وقال حسن وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله ابن الوليد الرصافى عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة يعنى لونا أبيض من اللبن وألين من الزبد وأعذب من الشهد ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير هذا حديث غريب جدا والرصافى وشيخه ضعيفان ثم قال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثنى الليث حدثنا خالد بن يزيد بن ابى هلال عن ابى حازم عن عطاء عن كعب قال ان طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من انهار الجنة فيصطففن له فاذا اشتهى منها شيأ أتى حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شئ صحيح الى كعب وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقوله تعالى وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون قرأ بعضهم بالرفع تقديره ولهم فيها حور عين وقراءة الجر تحتمل معنيين أحدهما ان يكون الاعراب على الاتباع بما قبله كقوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كما قال تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم

الا سأل الرجعة وقرأ هذه الآية وقال ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له مال يبلغه حج بيت الله أو تجب عليه فيه الزكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال له رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكافر فقال سأتلو عليكم بذلك قرآنا يا أيها الذين آمنوا الى آخر السورة أخرجه الترمذى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والحسن بن أبى الحسن فى كتاب منهاج الدين الى قوله الموت مرفوعا ثم أجاب الله عن هذا المتمنى فقال (ولن يؤخر الله نفسا) أية نفس كانت عن الموت (اذا جاء أجلها) أى آخر عمرها المكتوب فى اللوح المحفوظ ومن جملة النفوس التى شملها النفى نفس هذا القائل فلا يؤخر أيضا (والله خبير بما تعملون) قرئ بالتاء والياء ولكل وجه يعنى انه لو رد الى الدنيا وأجيب الى ما يسأل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير أو شر وهو الاولى واعلم انه قد وقع الخلاف بين اهل العلم وطالت ذيوله وتشعبت ابحاثه فى التعارض بين ما ورد من ان القضاء الازلى من الله عز وجل لا يتغير ولا يتبدل وهو المعبر عنه بام الكتاب وبقوله تعالى لا معقب لحكمه وقوله ما يبدل القول لدى وبين ما ورد من الارشاد الى الادعية وطلب الخير من الله عز وجل وسؤاله ان يدفع الشر ويرفع الضر وسائر المطالب التى يطلبها العباد من ربهم سبحانه كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر أخرجه الترمذى

من

وكما قال تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق والاحتمال الثاني ان يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضا بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين والله أعلم وقوله تعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات كأنهن بيض مكنون وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضا ولهذا قال جزاء بما كانوا يعملون أي هذا الذي اتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل ثم قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما أي لا يسمعون في الجنة كلاما لاغيا أي عبثا خاليا عن المعنى أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف كما قال لا تسمع فيها لاغية أي كلمة لاغية ولا تأثيما أي ولا كلاما فيه قبح الا قيلا سلاما سلاما أي الا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى تحيتهم فيها سلام وكلامهم أيضا سالم من اللغو والاثم (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الابرار كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين

منزلة دون المقربين فقال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين أي أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم ثم فسر ذلك فقال تعالى في سدر مخضود قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو الاحوص وقسامة بن زهير والسفر بن بشر والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدى وأبو حزرة وغيرهم هو الذي لا شوك فيه وعن ابن عباس هو الموقر بالثمر وهو رواية عن عكرمة ومجاهد وكذا قال قتادة أيضا كنا نحدث انه الموقر الذي لا شوك فيه والظاهر ان المراد هذا وهذا فان سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجار حدثنا عبد الله بن محمد هو البغوي حدثني حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله لينفعنا بالاعراب ومسائلهم قال أقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الله تعالى يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها لتنبت ثمرا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر طريق آخر قال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمد بن مصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثني يحيى بن حمزة حدثني ثور ابن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا اعلم شجرا أكثر شوكا منها يعني الطلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون الآخر وقوله وطلح منضود الطلح شجر عظام تكون بارض الحجاز من شجر العضاه واحده طلحة وهو شجر كثير الشوك وانشد ابن جرير لبعض الحداة

من حديث سلمان وحسنه وأبو حبان وصححه والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والضياء في المختارة ومثله حديث ثوبان مرفوعا بلفظ لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة أخرجه الحاكم في المستدرك والبزار والطبراني في الاوسط والخطيب قال الحاكم صحيح الاسناد من حديث عائشة مرفوعا وقال في مجمع الزوائد رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار والطبراني في الاوسط ورجال أحمد وأبي يعلى واحد اسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي وهو ثقة وقد ضعف هذا الحديث زكريا بن منصور كما ذكره الشوكاني في شرحه للعدة ومن ذلك ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا وأخرجه أيضا الحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد صحيح ثم رواه من حديث أنس مرفوعا ان ربكم رحيم حيي كريم يستحيي من عبده ان يرفع اليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا وأخرجه الطبراني وأبو يعلى ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تعجزوا في الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد أخرجه ابن حبان من حديث أنس والحاكم في

بشر هادلياها وقالا ٭ غدا تربن الطلح والجبالا قال مجاهد منضود أى متراكم الثمر يذكر بذلك قريشا لانهم كانوا يعجبون
من وج وظلاله من طلح وسدر وقال السدى منضود مصفوف قال ابن عباس يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل
قال الجوهرى الطلح لغة فى الطلع قلت وقد روى ابن أبى حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال سمعت عليا
يقول هذا الحرف فى طلح منضود قال طلع منضود فعلى هذا يكون هذا من صفة السدر فكانه وصفه بانه مخضود وهو الذى لا شوك
له وان طلعه منضود وهو كثرة ثمره والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو معاوية عن ادريس عن جعفر بن
اياس عن ابى نضرة عن أبى سعيد وطلح منضود قال الموز قال وروى عن ابن عباس وأبى هريرة والحسن وعكرمة وقسامة بن زهير
وقتادة وأبى حزرة مثل ذلك وبه قال مجاهد وابن زيد وزاد فقال أهل اليمن يسمون الموز الطلح ولم يحك ابن جرير غير هذا القول
وقوله تعالى وظل ممدود قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة يبلغ به
النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود ورواه مسلم
من حديث الاعرج به وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن على عن عبد الرحمن بن أبى عمرة
عن أبى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة
شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة
سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود
وكذا رواه البخارى عن محمد بن
شيبان عن فليح به وكذا رواه عبد
الرزاق عن معمر عن همام عن
ابى هريرة وكذا رواه حماد بن سلمة
عن محمد بن زياد عن ابى هريرة
والليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن
ابيه عن أبى هريرة وعوف عن ابن
سيرين عن ابى هريرة به وقال الامام
احمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج
قالا حدثنا شعبة سمعت ابا الضحاك
يحدث عن أبى هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان
فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين او مائة سنة هى شجرة الخلد وقال ابن ابى حاتم
حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى
الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود اسناد جيد ولم يخرجوه وهكذا رواه ابن جرير
عن أبى كريب عن عبدة وعبد الرحيم والمحاربى كلهم عن محمد بن عمرو به وقد رواه الترمذى من حديث عبد الرحيم بن سليمان
به وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا اسمعيل بن ابى خالد عن زياد مولى بنى مخزوم عن ابى هريرة قال ان فى الجنة
لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذى أنزل التوراة على موسى
والقرآن على محمد لو ان رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بها على تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ
فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى
حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى
قول الله تعالى وظل ممدود قال فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها وكذا رواه البخارى عن روح بن عبد

المستدرك وقال صحيح الاسناد والضياء فى المختارة وقد رده الشوكانى فى شرحه للعدة على
من ضعفه ومن ذلك ما اخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة والحاكم فى المستدرك وقال
صحيح الاسناد وأقره الذهبى وأخرجه أيضا من حديث سلمان وقال صحيح الاسناد ومن
ذلك ما أخرجه الحاكم فى المستدرك من حديث أبى هريرة وقال صحيح الاسناد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات
والارض وأخرجه ابو يعلى من حديث على قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الا ادلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدر لكم ارزاقكم تدعون الله فى ليلكم ونهاركم فان
الدعاء سلاح المؤمن واخرج احمد فى المسند من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ما من مسلم ينصب وجهه لله فى مسئلة الا اعطاه اياها اما ان يعجلها له
واما ان يدخرها له قال المنذرى فى الترغيب والترهيب لا باس باسناده وأخرجه البخارى فى
الادب المفرد والحاكم وشهد لمعناه ما اخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى قال المنذرى باسانيد
جيدة من حديث أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يدعو
بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث اما ان يعجل له دعوته
واما ان يدخرها له فى الآخرة واما ان يصرف عنه من السوء مثلها واخرج ابن ابى شيبة فى
مصنفه وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم

المؤمن عن يزيد ابن زريع وهكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمر بن داود القطان عن قتادة به وكذا رواه معمر وأبو هلال عن قتادة به وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل ابن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله وقد قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حصين قال كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني الضبي فحدث أبو صالح قال حدثني أبو هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما قال أبو صالح أتكذب أبا هريرة قال ما أكذب أبا هريرة ولكني أكذبك انت فشق ذلك على القراء يومئذ قلت فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الترمذي حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن جده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في الجنة شجرة الا ساقها من ذهب ثم قال حسن غريب وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا أبو عامر العقدي عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام قال فيخرج اليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا هذا أثر غريب واسناده جيد قوي حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن يمان حدثنا سفيان حدثنا أبو اسحق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى وظل ممدود قال سبعون ألف سنة وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن سفيان مثله ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا حصين بن نافع عن الحسن في قول الله تعالى وظل ممدود قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة ألف سنة لا يقطعها وقال عوف عن الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها رواه ابن جرير وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في الجنة شجر لا يحمل يستظل به رواه ابن أبي حاتم وقال الضحاك والسدي وأبو حرزة في قوله تعالى وظل ممدود لا ينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر وقال ابن مسعود الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقد تقدمت الآيات كقوله وندخلهم ظلا ظليلا وقوله أكلها دائم وظلها وقوله في ظلال وعيون الى غير ذلك من الآيات وقوله تعالى وماء مسكوب قال الثوري يجري في غير أخدود وقد تقدم الكلام على تفسير قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الالوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها أي يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم

وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي الآية وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة وأخرج الترمذي والحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وفي لفظ من لم يدع الله يغضب عليه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والحاكم في المستدرك وصححه ومن ذلك استعاذته صلى الله عليه وآله وسلم من سوء القضاء كما في صحيح مسلم وغيره ومن ذلك ما ثبت في قنوت الوتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فيه وقني شر ما قضيت وهو حديث صحيح وان لم يخرجه الشيخان وفيهما الاستعاذة من القضاء المشتمل على الشر والسوء ومن ذلك الاحاديث الواردة في صلة الرحم وانها تزيد في العمر وهي أحاديث صحيحة ومن ذلك الاحاديث الواردة في اجابة دعاء المظلوم على ظالمه والاحاديث الواردة في دعاء الوالدين لولدهما والاحاديث الواردة في دعوة الامام العادل والاحاديث الواردة في اجابة دعوة من دعا ربه باسمه الاعظم وغير ذلك كثير وجميع ذلك على اختلاف دلالته متواتر فليت شعري كيف ذهب جماعة من أهل العلم الى مخالفة ذلك كله وقالوا ان أحكام الله وقضاءه في سابق علمه لا تتغير أصلا فان استدلوا بمثل قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما ورد في اللوح المحفوظ وما كتب فيه وانه قد جف القضاء ونحو

غير الطعم وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر وفيهما أيضا من حديث مالك عن زيد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال فانخسفت الشمس فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه فذكر الصلاة وفيه قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيأ في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت قال اني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا ابن عقيل عن جابر قال بينا نحن في صلاة الظهر اذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا معه ثم تناول شيأ ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له ابي بن كعب يارسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيأ ما كنت تصنعه قال انه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والارض لا ينقص منه وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه وقال الامام أحمد حدثنا علي بن بحر حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن أبي يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي انه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الاعرابي فيها فاكهة قال نعم (٣٧٦) وفيها شجرة تدعى طوبى فذكر شيأ لا أدري ما هو قال أي شجر ارضنا تشبه قال ليست تشبه شيأ من شجر أرضك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتيت الشام قال لا قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها قال ما عظم العنقود قال مسيرة شهر للغراب الابقع ولا يفتر قال ما عظم أصلها قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما احاطت باصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما قال فيها عنب قال نعم قال فما عظم الحبة قال هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما قال نعم قال فسلخ اهابه فاعطاه أمك فقال اتخذي لنا منه دلوا قال نعم قال الاعرابي فان تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي قال نعم وعامة عشيرتك

وقوله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة أي لا تنقطع شتاء ولا صيفا بل أكلها دائم مستمر أبدا مهما طلبوا من وجدوا ولا يمتنع عليهم بقدرة الله شئ وقال قتادة لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد وقد تقدم في الحديث اذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى وقوله تعالى وفرش مرفوعة أي عالية وطيئة ناعمة قال النسائي وأبو عيسى الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل المعاني معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض هكذا قال انه لا يعرف هذا الا من رواية رشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير عن أبي كريب عن رشدين به ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث فذكره وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا عن نعيم بن حماد عن ابن وهب وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة عن ابن وهب به مثله ورواه الامام أحمد عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا دراج فذكره وقال ابن أبي حاتم أيضا

ذلك فاي فائدة في مثل قوله عز وجل ادعوني أستجب لكم فان هذا أمر منه عز وجل لعباده بدعائه وأي فائدة في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان يخبر عباده انه قريب مجيب يجيب دعوة الداعي اذا دعاه وأي فائدة في قوله عز وجل مخبرا لعباده بأنه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وعلمنا سبحانه كيف ندعو في نحو قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا الى آخر الآية وحكى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح ان الله عز وجل قال عند هذه الدعوات قد فعلت وكذلك سائر ما قصه الله علينا في كتابه من اجابته لدعوة انبيائه كما في قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وفي مثل ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وما شابه ذلك من الآيات وما شوهد من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من اجابة دعواته في مواطن يتعسر احصاؤها وما شوهد من صالحي هذه الامة في كل قرن من القرون من اجابة دعواتهم في الحال ومن جهل هذا او بعضه نظر في مثل حلية الاولياء ومثل رسالة القشيري ومثل صفوة الصفوة لابن الجوزي وغير ذلك مما يكثر تعداده بل ينظر في الدعوات المجابة من الصحابة رضي الله عنهم وكما وقع من جماعة كثيرة من السلف رحمهم الله تعالى انهم كانوا يقولون في ادعيتهم اللهم ان كنت قد كتبتني في ديوان الاشقياء فانقلني الى ديوان السعداء بعبارات مختلفة هذا احداها وبالجملة فالكتاب العزيز والسنة المتواترة ترد عليهم ردا أوضح

حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبي سهل يعني كثير بن زياد عن الحسن وفرش مرفوعة قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة وقوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين جرى الضمير الى غير مذكور لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب يعني الشمس على المشهور من قولي المفسرين قال الأخفش في قوله تعالى انا أنشأناهن أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك وقال أبو عبيدة ذكرن في قوله تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فقوله تعالى انا أنشأناهن أي أعدناهن في النشأة الأخرى بعدما كن عجائز رمصا صرن أبكارا أي بعد الثيوبة عدن أبكارا عربا أي متحببات الى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة وقال بعضهم عربا أي غنجات قال موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال نساء عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي غريب وموسى ويزيد ضعيفان وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي (٣٧٧) حدثنا آدم يعني ابن أبي اياس حدثنا شيبان عن جابر عن يزيد بن مرة عن سلمة ابن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا وقال عبد بن حميد حدثنا مصعب ابن المقدام حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا بكر بن سهل الدمياطي حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي أخبرنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى حور عين قال حور بيض عين ضخام العيون شعر الحوراء بمنزلة جناح النسر قلت أخبرني عن قوله تعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون قال صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي قلت أخبرني عن قوله فيهن خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه قلت أخبرني عن قوله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقئ قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله عربا أترابا قال هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محببات أترابا على ميلاد واحد قلت يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة قلت يا رسول الله وبم ذاك قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا قلت يا رسول الله المرأة منا

من شمس النهار وطائفة قالت ان الأقضية نوعان مطلقة ومقيدة فالمطلقة ما لم تكن مشروطة بشروط واقعة والا فلا وهذا القول وان كان مردودا مثل الأول الا انه أقل مفسدة منه وان كان رأيا بحتا ليس عليه دليل وبالجملة فالبحث يطول فلنقتصر على هذا المقدار والحمد لله أولا وآخرا واستنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن السورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبت بالتغابن اشارة لظهور التغابن بوفاته صلى الله عليه وآله وسلم ذكره الكرخي وليس هذا من تفسير الكتاب في شيء بل من لطائف الكلام وتفنن المرام

(سورة التغابن هي ثماني عشرة آية بالاتفاق وهي مدنية في قول الأكثر)

وبه قال الضحاك هي مكية وقال الكلبي هي مدنية ومكية وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس أيضا قال نزلت بمكة الا آيات من آخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جفاء أهله وولده فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الى آخر السورة وعن عطاء بن يسار نحوه أخرج البخاري في تاريخه عن عبد الله بن عمرو قال ما من مولود يولد الا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من أول سورة التغابن وأخرجه ابن حبان في الضعفاء والطبراني وابن مردويه وابن عساكر مرفوعا

تتزوج زوجين والثلاثة والاربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها قال يا أم سلمة انها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول يارب ان هذا كان أحسن خلقا معي فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الاولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس واستبرق وانه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر الى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر أحدكم الى السلك في قصبة الياقوت كبدها له مرآة يعني وكبده لها مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة الا وجدها عذراء ما ينتزعه ولا يشتكي قبلها الا انه لامني ولا منية فبينما هو كذلك اذ نودي انا قد عرفنا انك لا تمل ولا تمل الا ان لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة (٢٧٨) كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب الي منك وقال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال له أنطأ في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده دحما دحما فاذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبد الملك الدمشقي الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الاحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا عمران عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء قلت يارسول الله ويطيق ذلك قال يعطى قوة مائة ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال صحيح غريب وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قيل يارسول الله هل نصل الى نسائنا في الجنة قال ان الرجل ليصل في اليوم الى مائة عذراء قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم وقوله عربا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني متحببات الى أزواجهن ألم تر الى الناقة الضبعة هي كذلك وقال الضحاك عن ابن عباس العرب العواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقال ثور بن زيد عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله عربا قال هي الملقة لزوجها وقال شعبة عن سماك عن عكرمة وهي الغنجة وقال الاجلح بن عبد الله عن عكرمة هي الشكلة وقال صالح بن حسان عن عبد الله بن بريدة في قوله عربا قال الشكلة بلغة أهل مكة والغنجة بلغة أهل المدينة وقال تميم بن حدلم هي حسن التبعل وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن العرب حسنات الكلام وقال

عنه قال ابن كثير وهو غريب جدا بل منكر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض) أي ينزهه سبحانه جميع مخلوقاته التي في سمواته وأرضه عن كل نقص وعيب وكررت ما هنا وفي قوله وما تعلنون تأكيدا وتعميما وللاختلاف لان تسبيح ما في السموات مخالف لتسبيح ما في الارض كثرة وقلة وأسرارنا مخالفة لعلانيتنا ولم تكرر في قوله يعلم ما في السموات والارض لعدم اختلاف في علمه تعالى اذ علمه بما تحت الارض كعلمه بما فوقها وعلمه بما كان كعلمه بما يكون (له الملك وله الحمد) أي مختصان به ليس لغيره منهما شيء وما كان لعبده منهما فهو من فيضه وراجع اليه وتقديم الظرف يفيد الاختصاص به تعالى من حيث الحقيقة لانه مبدئ كل شيء ومبدعه فكان الملك له حقيقة دون غيره ولان أصول النعم وفروعها منه تعالى فالحمد له بالحقيقة وحمد غيره انما يقع من حيث ظاهر الحال وجريان النعم على يديه والملك هو الاستيلاء والتمكن من التصرف في كل شيء على حسب ما أراد في الازل قال الرازي الملك تمام القدرة واستحكامها يقال ملك بين الملك بالضم ومالك بين الملك بالكسر (وهو على كل شيء قدير) لا يعجزه شيء (هو الذي خلقكم) أي قدر خلقكم في الازل وكذا قوله

(فمنكم

ابن أبي حاتم ذكر عن سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عربا قال كلامهن عربي وقوله أترابا قال الضحاك عن ابن عباس يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد الأتراب المستويات وفي رواية عنه الأمثال وقال عطية الأقران وقال السدي أترابا أي في الأخلاق المتواخيات بينهن ليس بينهن تباغض ولا تحاسد يعني لا كما كن ضرائر متعاديات وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكريف عن الحسن ومحمد عربا أترابا قال المستويات الأسنان يأتلفن جميعا ويلعبن جميعا وقد روى أبو عيسى الترمذي عن أحمد بن منيع عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها قال يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له ثم قال هذا حديث غريب وقال الحافظ أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة حدثنا اسمعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن فلان بن عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحور العين ليغنين في الجنة يقلن نحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام قلت اسمعيل بن عمر هذا هو أبو المنذر الواسطي احد الثقات الأثبات وقد روى هذا الحديث الامام عبد الرحيم بن ابراهيم الملقب بدحيم عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب بن عبد الله ابن رافع عن ابن لأنس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحور العين يغنين في الجنة نحن الجوار الحسان خلقنا لأزواج كرام وقوله تعالى لأصحاب اليمين أي خلقن لأصحاب اليمين أو ادخرن لأصحاب اليمين أو زوجن لأصحاب اليمين والأظهر انه متعلق بقوله انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين فتقديره انشأناهن لأصحاب اليمين وهذا توجيه ابن جرير وروى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديدا فجعلت أدعو بيد واحدة فأخذتني عيني فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول يا أبا سليمان أتدعو بيد واحدة وأنا أغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة قلت ويحتمل أن يكون قوله لأصحاب اليمين متعلقا بما قبله وهو قوله أترابا لأصحاب اليمين أي في أسنانهم كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي

(فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي مقضي بكفره وايمانه أزلا وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفكم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الآية قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضيل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر الخ واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ذكره الخطيب قال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في السر وكافر في العلانية كعمار ابن ياسر ونحوه ممن أكره على الكفر وقال عطاء فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب قال الزجاج ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المؤمن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه لأن وجود خلاف المقدر عجز ووجود خلاف المعلوم جهل وهذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية قال القرطبي وهذا أحسن الأقوال وهو الذي عليه جمهور الأمة وقدم الكافر على المؤمن لأنه الأغلب عند نزول القرآن وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين (والله بما تعملون بصير) لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم بأعمالكم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله

عن عمران القطان عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين بنى ثلاث وثلاثين سنة ثم قال حسن غريب وقال ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحرث ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار ورواه الترمذى عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث به وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد ابن الجراح العسقلانى حدثنا الاوزاعى عن هرون بن رئاب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون وقال أبو بكر بن أبى داود حدثنا محمد بن خالد وعباس بن الوليد قالا حدثنا عمر عن الاوزاعى عن هرون بن رئاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين جردا مردا مكحلين ثم يذهب بهم الى شجرة فى الجنة (٣٨٠) فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين أى جماعة من الاولين وجماعة من الآخرين وقال ابن أبى حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن عبد الله ابن مسعود قال وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال أكرينا ذات ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غدونا عليه فقال عرضت على الانبياء وأتباعها بأممها فيمر على النبي والنبى فى العصابة والنبى فى الثلاثة والنبى وليس معه أحد وتلا قتادة هذه الآية أليس منكم رجل رشيد قال حتى مر على موسى ابن عمران كبكبة من بنى اسرائيل قال قلت ربى من هذا قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بنى اسرائيل قال قلت رب فاين أمتى قال انظر عن يمينك فى الضراب قال فاذا وجوه الرجال قال قال أرضيت قال قلت قد رضيت رب قال انظر الى الافق عن يسارك فاذا وجوه الرجال قال أرضيت قلت قد رضيت رب قال فان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قال وانشأ عكاشة بن محصن من بنى أسد قال سعد وكان بدريا قال يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال فقال اللهم اجعله منهم قال انشأ رجل آخر قال يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان استطعتم فدا كم أبى وأمى ان تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا والا فكونوا من أصحاب الضراب والا فكونوا من أصحاب الافق فانى قد رأيت أناسا كثيرا قد ناشبوا أحوالهم ثم قال انى لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال انى لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبرنا قال انى لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة قال فكبرنا قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال فقلنا بيننا من هؤلاء السبعون ألفا فقلنا هم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا قال فقال بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به

بياض بالأصل

كذا بالأصل

عليه وآله وسلم العبد يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا والعبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا وان العبد يعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقيا وان العبد يعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا أخرجه ابن مردويه ثم لما ذكر سبحانه خلق العالم الصغير أتبعه بخلق العالم الكبير فقال (خلق السموات والارض) خلقا متلبسا (بالحق) أى بالحكمة البالغة وقيل خلق ذلك خلقا يقينيا لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام أى خلق ذلك لاظهار الحق وهو ان يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته ثم رجع سبحانه الى خلق العالم الصغير فقال (وصوركم فاحسن صوركم) قيل المراد آدم خلقه بيده كرامة له كذا قال مقاتل وقيل المراد جميع الخلائق وهو الظاهر أى انه سبحانه خلقهم فى أكمل صورة وأحسن تقويم وأجمل شكل وابهاه لا يتمنى الانسان أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور قال بعض الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان والتصوير التخطيط والتشكيل قرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرئ بكسرها (واليه المصير) فى الدار الآخرة لا الى غيره عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مكث المنى فى الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به الى الرب فيقول يا رب أذكر أم أنثى فيقضى الله ما هو قاض فيقول أشقى أم سعيد فيكتب ما هو لاق وقرأ أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات الى قوله واليه المصير أخرجه عبد بن حميد

نحوه وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين) لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال أي أي شيء هم فيه أصحاب الشمال ثم فسر ذلك فقال في سموم وهو الهواء الحار وحميم وهو الماء الحار وظل من يحموم قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم وهذه كقوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين ولهذا قال ههنا وظل من يحموم وهو (٣٨١) الدخان الاسود لا بارد ولا كريم أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة ولا كريم أي ولا كريم المنظر وقال الضحاك كل شراب ليس بعذب وليس بكريم وقال ابن جرير العرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين أي كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل وكانوا يصرون على الحنث العظيم أي يقيمون ولا ينوون توبة على الحنث العظيم وهو الكفر بالله وجعل الاوثان والانداد أربابا من دون الله قال ابن عباس الحنث العظيم الشرك وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وقال الشعبي هو اليمين الغموس وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون يعني انهم يقولون مثل ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه قال الله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم أي أخبرهم يا محمد ان الاولين والآخرين من بني آدم سيجمعون الى عرصات القيامة لا يغادر منهم احد كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد ولهذا قال ههنا لمجموعون الى ميقات يوم معلوم اي هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون وذلك انهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملؤا منها بطونهم فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وهي الابل العطاش واحدها أهيم والانثى هيماء ويقال هائم وهائمة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة الهيم الابل العطاش الظماء وعن عكرمة انه قال الهيم الابل المراض تمص الماء مصا ولا تروى وقال السدي الهيم داء يأخذ الابل فلا تروى أبدا حتى تموت فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم ابدا وعن خالد بن

وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (يعلم ما في السموات والارض) لا تخفى عليه من ذلك خافية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما تخفونه وما تظهرونه والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لمزيد التأكيد في الوعد والوعيد (والله عليم بذات الصدور) جملة مقررة لما قبلها من شمول علمه لكل معلوم وهي تذييلية وقال الخطيب كل واحدة من هذه الثلاث أخص مما قبلها وجمع بينها اشارة الى ان علمه تعالى محيط بالجزئيات والكليات لا يعزب عنه شيء من الاشياء (ألم يأتكم) استفهام توبيخ أو تقرير (نبأ الذين كفروا من قبل) أي من قبلكم وهم كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود والخطاب لكفار العرب وقوله (فذاقوا وبال أمرهم) معطوف على كفروا وعطف المسبب على السبب وعبر عن العقوبة بالوبال اشارة الى انها كالشيء الثقيل المحسوس وذلك لان الوبال في الاصل الثقل والشدة ومنه الوبيل للطعام الذي يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطار والمراد بأمرهم هنا ما وقع منهم من الكفر والمعاصي وبالوبال ما أصيبوا به من عذاب الدنيا (ولهم عذاب أليم) في الآخرة وهو عذاب النار (ذلك) أي ما ذكر من العذاب في الدارين وهو مبتدأ وخبره (بأنه) أي بسبب انها (كانت تأتيهم رسلهم) أي الرسل المرسلة اليهم (بالبينات) أي بالحجج الباهرة والمعجزات الظاهرة (فقالوا أبشر يهدوننا) أي قال كل

معدان أنه كان يكره ان يشرب بشرب الهيم عبة واحدة من غير ان يتنفس ثلاثا ثم قال تعالى هذا نزلهم يوم الدين أي هذا الذي وصفناه هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال تعالى في حق المؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا أي ضيافة وكرامة (نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) يقول تعالى مقررا للمعاد ورادا على المكذبين به من اهل الزيغ والالحاد من الذين قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد فقال تعالى نحن خلقناكم أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيأ مذكورا أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الاعادة بطريق الاولى والاحرى ولهذا قال فلولا تصدقون أي فهلا تصدقون بالبعث ثم قال تعالى مستدلا عليهم بقوله أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون أي أنتم تقرونه في الارحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ثم قال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت أي صرفناه بينكم وقال الضحاك ساوى فيه بين أهل السماء والارض وما نحن بمسبوقين أي وما نحن بعاجزين على أن نبدل (٣٨٢) أمثالكم أي نغير خلقكم يوم القيامة وننشئكم فيما لا تعلمون أي من الصفات والاحوال ثم قال تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون أي قد علمتم ان الله انشأكم بعد أن لم تكونوا شيأ مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهلا تذكرون وتعرفون ان الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة قادر على النشأة الاخرى وهي الاعادة بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقال تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم وقال تعالى أيحسب الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) يقول تعالى أفرأيتم ما تحرثون وهو شق الارض واثارتها والبذر فيها أأنتم

قوم منهم لرسولهم هذا القول منكرين أن يكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه ومن غباوتهم انهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وسلموا واعتقدوا أن الاله يكون حجرا وأرادوا بالبشر الجنس ولهذا قال يهدوننا وقد أجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام كما أجمل الخطاب والامر في قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (فكفروا) بالرسل وبما جاؤا به وقيل كفروا بسبب هذا القول الذي قالوه للرسل فالفاء للسببية لا للتعقيب (وتولوا) أي أعرضوا عنهم ولم يتدبروا فيما جاؤا به (واستغنى الله) أي (١) أظهر غناه عن ايمانهم وعبادتهم حيث لم يلجئهم ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك وقال مقاتل استغنى الله بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه من المعجزات وقيل استغنى بسلطانه عن طاعة عباده وقال الزمخشري أي ظهر غناه فالسين ليست للطلب (والله غني حميد) أي غير محتاج الى العالم ولا الى عبادتهم له محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال (زعم الذين كفروا) الزعم هو القول بالظن وادعاء العلم ويطلق على الكذب قال شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا وهو يتعدى الى مفعولين وقوله (أن لن يبعثوا) ساد مسدهما والمعنى زعم كفار العرب وهم (٢) أهل مكة كما قاله أبو حيان ان الشأن لن يبعثوا أبدا عن ابن مسعود انه قيل له ما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في زعموا قال سمعته يقول

(١) جواب عن سؤال مقدر تقديره ان مقتضى عطف هذا على ما قبله أن يكون غناه تعالى متأخرا ومسببا عن مجيء الرسل اليهم مع ان غناه تعالى ازلي فأجاب المؤلف العلام ودام مجده عن هذا بأن يسلك التأويل في المعطوف فقال واستغنى الله أي أظهر الله غناه الخ اه سيد ذو الفقار أحمد

(٢) قال الحفناوي وهو ملائم للخطاب في قل بلى الخ ولا يناسب حمله على الذين كفروا من قبل كما قاله بعض محشي البيضاوي ولأنه لا يلائم الخطاب اه

تزرعونه اى تنبتونه فى الارض أم نحن الزارعون اى بل نحن الذى نقره قراره وننبته فى الارض قال ابن جرير وقد حدثنى احمد بن الوليد القرشى حدثنا مسلم بن ابى مسلم الجرمى حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن محمد عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت قال ابو هريرة الم تسمع الى قوله تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمى به وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا موسى ابن اسمعيل حدثنا حماد عن عطاء عن ابى عبد الرحمن لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا حرثنا وروى عن حجر المدرى انه كان اذا قرأ أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون وامثالها يقول بل انت يا رب وقوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما اى نحن انبتناه بلطفنا ورحمتنا وابقيناه لكم رحمة بكم ولو نشاء لجعلناه حطاما اى لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده فظلتم تفكهون ثم فسر ذلك بقوله انا لمغرمون بل نحن محرومون اى لو جعلناه حطاما لظلتم تفكهون فى المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة انا لمغرمون اى لملقون وقال مجاهد وعكرمة انا لمولع بنا وقال قتادة معذبون وتارة يقولون بل نحن محرومون وقال مجاهد أيضا انا لمغرمون ملقون للشر اى بل نحن محارفون قاله قتادة اى لا ينبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد بل نحن محرومون أى مجدودون يعنى لا حظ لنا قال ابن عباس ومجاهد فظلتم تفكهون تعجبون وقال مجاهد أيضا فظلتم تفكهون تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع الى الاول وهو التعجب من السبب الذى من أجله أصيبوا فى مالهم وهذا اختيار ابن جرير وقال عكرمة فظلتم تفكهون تلاومون وقال الحسن وقتادة والسدى فظلتم تفكهون تندمون ومعناه اما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال تفكه من الاضداد تقول العرب تفكهت بمعنى نعمت وتفكهت بمعنى حزنت ثم قال تعالى أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن يعنى السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد أم نحن المنزلون يقول بل نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا اى زعاقا مرا لا يصلح لشراب ولا زرع فلولا تشكرون أى فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى انزاله المطر عليكم عذبا زلالا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن جابر عن أبى جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا شرب الماء قال الحمد لله الذى سقاناه عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا ثم قال أفرأيتم النار التى تورون أى تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن أى بل نحن الذى جعلناها مودعة فى موضعها وللعرب شجرتان أحدهما المرخ والاخرى العفار اذا اخذ منهما غصنان أخضران فحك احدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة قال مجاهد وقتادة

بئس مطية الرجل أخرجه أحمد والبيهقى وغيرهما وعنه انه كره زعموا ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يرد عليهم ويبطل زعمهم فقال (قل (١) بلى) هى لايجاب النفى فالمعنى بلى تبعثون ثم اقسم على ذلك بقوله (وربى) وجواب القسم (لتبعثن) أى لتخرجن من قبوركم أكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شئ أنكروه قلت هو جائز لان التهدد به أعظم موقعا فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتخبرن بذلك اقامة للحجة عليكم ثم تجزون به (وذلك) البعث والجزاء (على الله يسير) اذ الاعادة أيسر من الابتداء (فآمنوا بالله ورسوله) الفاء هى الفصيحة الدالة على شرط مقدر اى اذا كان الامر هكذا فصدقوا يا كفار مكة بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل وباليوم الآخر على ما هو المناسب لقوله زعم الذين كفروا اكتفاء بقوله (والنور الذى أنزلنا) فانه مشتمل على البعث والحساب وهو القرآن لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلال (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شئ من أقوالكم وأفعالكم فهو مجازيكم على ذلك (يوم يجمعكم) العامل فى الظرف لتنبؤن قاله النحاس وقال غيره هو خبير وقيل محذوف هو اذكر وقال أبو البقاء هو ما دل عليه الكلام أى تتفاوتون يوم يجمعكم قرأ الجمهور بفتح الياء وضم العين

(١) من المعلوم ان بلى تنقض النفى وتثبت المنفى فالمعنى كما قاله المؤلف النحرير فقوله لتبعثن هو المفاد بهما وانما أعيد توصلا لتوكيده بالقسم ولعطفه هما بعده عليه اه سيد ذو الفقار أحمد

اى تذكر النار الكبرى قال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياقوم ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا يارسول الله ان كانت لكافية قال انها قد ضربت بالبحر ضربتين او مرتين حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنون منها وهذا الذى ارسله قتادة قد رواه الامام أحمد فى مسنده فقال حدثنا سفيان عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لاحد وقال الامام مالك عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم فقالوا يارسول الله ان كانت لكافية فقال انها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزأ رواه البخارى من حديث مالك ومسلم من حديث ابى الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابى هريرة به وفى لفظ والذى نفسى بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وقال ابو القاسم الطبرانى حدثنا احمد بن عمرو الخلال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه ابى سهيل عن أبيه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون مامثل ناركم هذه من نار جهنم لهى (٣٨٤) اشد سوادا من ناركم هذه سبعين ضعفا قال الضياء المقدسى وقد رواه ابو مصعب عن مالك ولم يرفعه وهو عندى على شرط الصحيح وقوله تعالى ومتاعا للمقوين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربى يعنى بالمقوين المسافرين واختاره ابن جرير وقال ومنه قولهم اقوت الدار اذا رحل اهلها وقال غيره القى والقوا القفر الخالى البعيد من العمران وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المقوى ههنا الجائع وقال ليث بن ابى سليم عن مجاهد ومتاعا للمقوين للحاضر والمسافر لكل طعام لايصلحه الا النار وكذا روى سفيان عن جابر الجعفى عن مجاهد وقال ابن ابى نجيح عن مجاهد قوله للمقوين يعنى المستمتعين من الناس أجمعين وكذا ذكر عن عكرمة وهذا التفسير اعم من غيره فان الحاضر والبادى من غنى وفقير الجميع محتاجون اليها للطبخ والاصطلاء والاضاءة وغير ذلك من المنافع ثم من لطف الله تعالى ان أودعها فى الاحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك فى متاعه وبين ثيابه فاذا احتاج الى ذلك فى منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى واشتوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا افرد المسافرون وان كان ذلك عاما فى حق الناس كلهم وقد استدل له بما رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث ابى حراش حنان بن زيد الشرعبى الشامى عن رجل من المهاجرين من قرن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلمون شركاء فى ثلاثة النار والكلأ والماء وروى ابن ماجه باسناد جيد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لايمنعن الماء والكلأ والنار وله من حديث ابن عباس مرفوعا مثل هذا وزيادة وثمنه ولكن فى اسناده عبد الله بن حراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم وقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم اى الذى بقدرته خلق هذه الاشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا اجاجا كالبحار المغرقة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم فى معاش دنياهم وزجرا لهم فى المعاد (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون

وروى اسكانها ولا وجه لذلك الا التخفيف وان لم يكن هذا موضعاله كما قرئ فى وما يشعركم بسكون الراء وقرئ نجمعكم بالنون ومعنى (ليوم الجمع) ليوم القيامة فانه يجمع فيه أهل المحشر للجزاء ويجمع فيه بين كل عامل وعمله وبين كل نبى وأمته وبين كل ظالم ومظلومه وبين الاولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء وأهل الارض (ذلك) يعنى ان يوم القيامة هو (يوم التغابن) وذلك انه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضا فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل ويغبن فيه أهل الايمان أهل الكفر وأهل الطاعة أهل المعصية ولاغبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار فتركوا منازلهم التى كانوا يستنزلونها لولم يفعلوا مايوجب النار فكان أهل النار استبدلوا الخير بالشر والجيد بالردىء والنعيم بالعذاب وأهل الجنة على العكس من ذلك يقال غبنت فلانا اذا بايعته أو شاركته فكان النقص عليه والغلبة والغبن فوت الحظ كذا قال المفسرون فالمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة فاطلاق التغابن على مايكون فيها انما هو بطريق الاستعارة وان التفاعل ليس من اثنين وكذا المغابنة على سبيل التجريد قال ابن عباس يوم التغابن من أسماء يوم القيامة وعنه قال غبن أهل الجنة أهل النار (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته) أى من وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيآته (ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) قرأ الجمهور يكفر ويدخله

عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) قال جويبر عن الضحاك ان الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه وهذا القول ضعيف والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته ثم قال بعض المفسرين لا ههنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه انه لقرآن كريم وقال آخرون ليست لا زائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم اذا كان مقسما به على منفي كقول عائشة رضي الله عنها لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط وهكذا ههنا تقدير الكلام لا اقسم بمواقع النجوم ليس الامر كما زعمتم في القرآن انه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم وقال ابن جرير وقال بعض أهل العربية معنى قوله فلا اقسم فليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد فقيل أقسم واختلفوا في معنى قوله بمواقع النجوم فقال حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا في السنين بعد ثم قرأ ابن عباس هذه الآية وقال الضحاك عن ابن عباس نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين (٣٨٥) في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فهو قوله فلا أقسم بمواقع النجوم نجوم القرآن وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حزرة وقال مجاهد أيضا مواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها ومشارقها وكذا قال الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها وعن الحسن أيضا ان المراد بذلك انتثارها يوم القيامة وقال الضحاك فلا أقسم بمواقع النجوم يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم أي وان هذا القسم الذي أقسمت به لقسم

(٤٩ — فتح البيان تاسع) عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه انه لقرآن كريم أي ان هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم في كتاب مكنون أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر وقال ابن جرير حدثني موسى بن اسمعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا يمسه الا المطهرون قال الكتاب الذي في السماء وقال العوفي عن ابن عباس لا يمسه الا المطهرون يعني الملائكة وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور حدثنا معمر عن قتادة لا يمسه الا المطهرون قال لا يمسه عند الله الا المطهرون فأما في الدنيا فانه يمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس قال وهي في قراءة ابن مسعود ما يمسه الا المطهرون وقال أبو العالية لا يمسه الا المطهرون ليس أنتم انتم أصحاب الذنوب وقال ابن زيد زعمت كفار قريش ان هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى انه لا يمسه الا المطهرون كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الاقوال التي قبله وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقال آخرون لا يمسه الا المطهرون أي من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا والمراد

ويدخله بالتحتية وقرئ بالنون وفيه التفات من الغيبة الى التكلم (خالدين فيها أبدا) حال مقدرة فيه مراعاة معنى من (ذلك) أي ما ذكر من التكفير والادخال (الفوز العظيم) اي الظفر الذي لا يساويه ظفر والعظيم أعلى حالا من الكبير الذي ذكر في سورة البروج لان ما فيها قد رتب على ادخال الجنات فقط وما هنا قد رتب على الامرين المذكورين فهو جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) المراد بالآيات اما التنزيلية او ما هو أعم منها ذكر سبحانه حال السعداء وحال الاشقياء هنا لبيان ما تقدم من التغابن وانه يكون بسبب التكفير وادخال الجنة للطائفة الاولى وبسبب ادخال الطائفة الثانية النار وخلودهم فيها (ما أصاب) كل أحد (من مصيبة) من المصائب (الا باذن الله) أي بقضائه وقدره قال الفراء أي بأمر الله وقيل بعلم الله وقيل وسبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا قال ابن مسعود في الآية هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم لها ويرضى (ومن يؤمن بالله) أي من يصدق ويعلم انه لا يصيبه الا ما قدره الله عليه (يهد قلبه) للصبر والرضا بالقضاء قال مقاتل بن حيان يهد قلبه عند المصيبة فيعلم انها من الله فيسلم لقضائه ويسترجع عند حلولها وقال

بالقرآن ههنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى أرض العدو مخافة ان يناله العدو واحتجوا فى ذلك بما رواه الامام مالك فى موطئه عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهر وروى أبو داود فى المراسيل من حديث الزهرى قال قرأت فى صحيفة عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا يمس القرآن الا طاهر وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهرى وغيره ومثل هذا ينبغى الاخذ به وقد أسنده الدارقطنى عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبى العاص وفى اسناد كل منهما نظر والله أعلم وقوله تعالى تنزيل من رب العالمين أى هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون انه سحر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذى لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع وقوله تعالى أفبهذا الحديث انتم مدهنون قال العوفى عن ابن عباس أى مكذبون غير مصدقين وكذا قال الضحاك وابو حزرة والسدى وقال مجاهد مدهنون اى تريدون ان تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال بعضهم يعنى وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم انكم تكذبون بدل الشكر وقد روى عن على وابن عباس (٣٨٦) انهما قرآها وتجعلون شكركم انكم تكذبون كما سيأتى وقال ابن جرير وقد ذكر عن الهيثم بن عدى ان من لغة ازدشنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر فلان وقال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا اسرائيل عن عبد الاعلى عن أبى عبد الرحمن عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم يقول شكركم انكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا وهكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن مخول بن ابراهيم النهدى وابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبيد الله بن موسى وعن يعقوب عن يحيى بن ابى بكير ثلاثتهم عن اسرائيل به مرفوعا وكذا رواه الترمذى عن أحمد بن منيع عن حسين بن محمد وهو المروزى به وقال حسن غريب وقد رواه سفيان الثورى عن عبد الاعلى ولم يرفعه

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما مطر قوم قط الا اصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس وتجعلون شكركم انكم تكذبون وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس وقال مالك فى الموطأ عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهنى انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب أخرجاه فى الصحيحين وأبو داود والنسائى كلهم من حديث مالك به وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادى وعمرو بن سواد حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث ان أبا يونس حدثه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا انفرد به مسلم من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثنى

سعيد بن جبير يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون وقال الكلبى هو اذا ابتلى صبر واذا أنعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقال ابن عباس فى الآية يعنى يهد قلبه لليقين فيعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قرأ الجمهور يهد بفتح الياء وكسر الدال أى يهده الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول ونهد بالنون ويهدأ بهمزة ساكنة ورفع قلبه أى يطمئن ويسكن (والله بكل شئ عليم) أى بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى هونوا على أنفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله فى جميع الاوقات والعمل بكتابه العزيز وسنة رسوله المطهرة (فان توليتم) أى أعرضتم عن الطاعة (فانما على رسولنا البلاغ المبين) وليس عليه غير ذلك وقد فعل وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا بأس أو فلا ضرر على الرسول وهذه الجملة تعليل للجواب المحذوف ثم أرشد الى التوحيد والتوكل فقال (الله لا اله الا هو) أى هو المستحق للعبودية دون غيره فوحدوه ولا تشركوا به (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فليفوضوا امورهم اليه ويعتمدوا عليه لا على غيره حث للرسول على التوكل على الله والتقوى به حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم) يدخل فيها الذكر والانثى (وأولادكم عدوا لكم) يعنى انهم يعادونكم ويشغلونكم عن الخير وعن طاعة الله أو يخاصمونكم فى أمر الدين والدنيا

يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله قائل ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال محمد هو ابن ابراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقى فلما استسقى التفت الى العباس فقال يا عباس يا عم رسول الله كم بقي من نوء الثريا فقال العلماء يزعمون انها تعترض في الافق بعد سقوطها سبعا قال فما مضت سابعة حتى مطروا وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بانزال المطر لا ان ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر فان هذا هو المنهي عن اعتقاده وقد تقدم شئ من هذه الاحاديث عند قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن اسمعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الاسد فقال كذبت بل هو رزق الله ثم قال ابن جرير حدثني أبو صالح الصراري حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مطر قوم من ليلة الا أصبح قوم بها كافرين ثم قال وتجعلون (٣٨٧) رزقكم انكم تكذبون يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا مطرنا بنوء المجدح وقال مجاهد وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال قولهم في الانواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه وهكذا قال الضحاك وغير واحد وقال قتادة أما الحسن فكان يقول بئس ما أخذ قوم لانفسهم لم يرزقوا من كتاب الله الا التكذيب فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله انكم تكذبون به ولهذا قال قبله أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) يقول تعالى فلولا اذا بلغت أي الروح الحلقوم أي الحلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق ولهذا قال ههنا وأنتم حينئذ تنظرون أي الى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ونحن أقرب اليه منكم أي بملائكتنا ولكن لا تبصرون أي ولكن لا ترونهم كما قال تعالى في الآية الاخرى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مكانها الاول ومقرها من الجسد ان كنتم غير مدينين قال ابن عباس يعني محاسبين وروى عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حزرة مثله وقال سعيد بن جبير والحسن البصري فلولا ان كنتم غير مدينين غير مصدقين انكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس وعن مجاهد غير مدينين غير موقنين وقال ميمون بن مهران غير معذبين مقهورين (فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب

والدنيا ويدخل في ذلك سبب النزول دخولا أوليا (فاحذروهم) ان تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فان سبب نزول الآية الاطاعة في ذلك والضمير يعود الى العدو وانما جاز جمع الضمير لان العدو يطلق على الواحد والاثنين والجماعة أو الى الازواج والاولاد ولكن لا على العموم بل الى المتصفين بالعداوة منهم قال مجاهد والله ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على ان اتخذوا لهم الحرام فأعطوهم اياه ثم أرشدهم الى التجاوز فقال (وان تعفوا) عن ذنوبهم التي ارتكبوها بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها وتستروها (فان الله غفور رحيم) بالغ المغفرة والرحمة لكم ولهم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم ان يدعوهم الى ان يأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ثم أخبر سبحانه بأن الاموال والاولاد فتنة فقال (انما اموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة ومحنة يحملونكم على كسب الحرام وتناوله ومنع حق الله والوقوع في العظائم وغصب مال الغير وأكل الباطل ونحو ذلك فلا تطيعوهم في معصية الله ولم يذكر من هنا كما

اليمين (وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم اما ان يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين واما ان يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بامر الله ولهذا قال تعالى فأما ان كان أي المحتضر من المقربين وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات فروح وريحان وجنة نعيم أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء ان ملائكة الرحمة تقول أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فروح يقول راحة وريحان يقول مستراحة وكذا قال مجاهد ان الروح الاستراحة وقال أبو حزرة الراحة من الدنيا وقال سعيد بن جبير والسدي الروح الفرح وعن مجاهد فروح وريحان جنة ورخاء وقال قتادة فروح فرحمة وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وريحان ورزق وكل هذه الاقوال متقاربة صحيحة فان من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن وجنة النعيم وقال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه

وقال محمد بن كعب لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة ابراهيم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ولو كتبت ههنا لكان حسنا ومن أجلها حديث تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لملك الموت انطلق الى فلان فأتني به فانه قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ائتني به فلأريحه قال فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية قال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا هرون عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فروح وريحان برفع الراء وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هرون وهو ابن موسى الأعور به وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديثه وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقون فقرأوا فروح وريحان بفتح الراء وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل انه سمع درة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتزاور اذا متنا ويرى بعضنا بعضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون النسم طيرا يعلق بالشجر حتى اذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ومعنى يعلق يأكل ويشهد له بالصحة ايضا ما رواه الامام احمد عن الامام محمد بن ادريس الشافعي عن الامام مالك بن انس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم

ذكر في ان من أزواجكم لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما وقدم الاموال على الاولاد لأن فتنة المال أكثر وترك ذكر الازواج في الفتنة قال البقاعي لان منهن من تكون صلاحا وعونا على الآخرة وعن ابي بريدة قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما واحدا من ذا الشق وواحدا من ذا الشق ثم صعد المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما نظرت الى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم اصبر أن قطعت كلامي ونزلت اليهما اخرجه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وابن مردويه وابن ابي شيبة (والله عنده اجر عظيم) اي الجنة وهي لمن آثر طاعة الله وترك معصيته في محبة ماله وولده ثم أمرهم سبحانه بالتقوى والطاعة فقال (فاتقوا الله ما استطعتم) اي ما اطقتم وبلغ اليه جهدكم وقد ذهب جماعة من اهل العلم منهم قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد الى ان هذه الآية ناسخة لقوله سبحانه اتقوا الله حق تقاته لان معناه ان يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر فخفف الله عنهم وانزل هذه الآية وقال ابن عباس هي محكمة ولا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وآبائهم وابنائهم وقد اوضحنا الكلام على هذا في قوله

فاتقوا

تبعثه وهذا اسناد عظيم ومتن قويم وفى الصحيح ان ارواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش الحديث وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا عطاء بن السائب قال كان اول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبى ليلى رأيت شيخا أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة فسمعته يقول حدثنى فلان بن فلان سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قال فأكب القوم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا انا نكره الموت قال ليس ذاك ولكنه اذا حضر فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل والله عز وجل للقائه أحب وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقائه أكره هكذا رواه الامام أحمد وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها شاهد لمعناه وقوله تعالى وأما ان كان من أصحاب اليمين أى وأما ان كان المحتضر من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين أى تبشرهم الملائكة بذلك تقول لاحدهم سلام لك أى لا بأس عليك انت الى سلامة أنت من أصحاب اليمين وقال قتادة وابن زيد سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره انه من أصحاب اليمين وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقول الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وقال البخارى فسلام لك اى مسلم لك انك من أصحاب اليمين والغيت ان وهو معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل اذا كان قد قال انى مسافر عن قليل وقد يكون كالدعاء له كقولك فسقيا من الرجال ان رفعت السلام فهو من الدعاء وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال اليه والله أعلم وقوله تعالى وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم أى وأما ان كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى فنزل أى ضيافة من حميم وهو الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود وتصلية جحيم أى وبعد نزله فى النار التى تغمره من جميع جهاته ثم قال تعالى ان هذا لهو حق اليقين أى ان هذا الخبر لهو حق اليقين الذى لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه فسبح باسم ربك العظيم قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أيوب الغافقى حدثنى عمى اياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به وقال روح بن عبادة حدثنا حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة هكذا رواه الترمذى من حديث روح ورواه هو والنسائى أيضا من حديث حماد بن سلمة عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم به وقال الترمذى حسن غريب لا نعرفه الا من حديث أبى الزبير وقال البخارى فى آخر كتابه

فاتقوا الله حق تقاته (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول لانه لا فائدة فى مجرد السماع (وأطيعوا) الاوامر قال مقاتل اسمعوا اى اصغوا الى ما ينزل عليكم وأطيعوا الرسول فيما يأمركم وينهاكم (وأنفقوا) من اموالكم التى رزقكم الله اياها فى وجوه الخير والطاعة ولا تبخلوا بها وقوله (خيرا لأنفسكم) منتصب بفعل مضمر دل عليه اتقوا كأنه قال ائتوا فى الانفاق خيرا لانفسكم أو قدموا خيرا لها كذا قال سيبويه وقال الكسائى والفراء هو نعت لمصدر محذوف أى انفاقا خيرا وقال أبو عبيد هو خبر لكان المقدرة أى يكن الانفاق خيرا لكم وقال أهل الكوفة نصبه على الحال وقيل هو مفعول به لانفقوا أى فانفقوا مالا خيرا والظاهر فى الآية الانفاق مطلقا من غير تقييد بالزكاة الواجبة وقيل المراد زكاة الفريضة وقيل النافلة وقيل النفقة فى الجهاد (ومن يوق شح نفسه) فيفعل فى ماله جميع ما أمر به من الانفاق موقنا به مطمئنا اليه ولم يمنعه ذلك منه (فأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بكل خير الفائزون بكل مطلوب وقد تقدم تفسير هذه الآية مرارا (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) فتصرفون أموالكم فى وجوه الخير باخلاص نية وطيب نفس وسماه قرضا من حيث التزام الله المجازاة عليه وفى ذكر القرض أيضا تلطف فى الاستدعاء وترغيب فى الصدقة حيث جعلها قرضا لله مع ان العبد انما يقرض نفسه لان النفع عائد عليه قال القشيرى ويتوجه الخطاب بهذا على الاغنياء فى بذل أموالهم

حدثنا أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ورواه بقية الجماعة الا أبا داود من حديث محمد بن فضيل باسناده مثله آخر تفسير سورة الواقعة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحديد وهي مدنية) قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية ابن الوليد حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبي بلال عن عرباض بن سارية انه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد وقال ان فيهن آية أفضل من ألف آية وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بقية به وقال الترمذي حسن غريب ورواه النسائي عن ابن أبي السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكره مرسلا لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرباض بن سارية والآية المشار اليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم كما سيأتي بيانه قريبا ان شاء الله تعالى وبه الثقة

(بسم الله الرحمن الرحيم) سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم) يخبر تعالى انه يسبح له ما في السموات والارض أي من الحيوانات والنبات كما قال في الآية الاخرى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وقوله تعالى وهو العزيز أي الذي قد خضع له كل شئ الحكيم في خلقه وأمره وشرعه له ملك السموات والارض يحيي ويميت أي هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء وهو على كل شئ قدير أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهذه الآية هي المشار اليها في حديث عرباض بن سارية انها أفضل من ألف آية وقال أبو داود حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة يعني ابن عمار حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شئ أجده في صدري قال ما هو قلت والله لا أتكلم به قال فقال لي أشئ من شك قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآية قال وقال لي اذا وجدت في نفسك شيأ فقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولا وقال البخاري قال يحيى الظاهر على كل شئ علما والباطن على كل شئ علما وقال شيخنا الحافظ المزي يحيى هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معاني القرآن وقد ورد في ذلك أحاديث فمن ذلك ما قال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى لا اله الا أنت أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك

وعلى الفقراء في عدم اخلائه أوقاتهم عن مراد الحق ومراقبته على مراد أنفسهم فالغني يقال له آثر حكمي على مرادك في مالك وغيره والفقير يقال له آثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك ذكره الخطيب (يضاعفه لكم) فيجعل الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة والحديد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله استقرضت عبدي فأبى أن يقرضني ويشتمني عبدي وهو لا يدري يقول وادهراه وادهراه وأنا الدهر ثم تلا أبو هريرة هذه الآية أخرجه ابن جرير والحاكم وصححه (ويغفر لكم) أي يضم الى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم (والله شكور حليم) يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) أي ما غاب وما حضر لا تخفى عليه منه خافية وقيل ما استتر من سرائر القلوب وما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز الحكيم) اى الغالب القاهر باظهار السيوب (١) ذو الحكمة الباهرة في الاخبار عن الغيوب وفي صنعه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء

(سورة الطلاق احدى أو ثنتا أو ثلاث عشرة آية)

وهي مدنية قال القرطبي في قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بالمدينة

*(بسم

(١) السيوب الركاز اه قاموس اه منه

شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن ليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر ورواه مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبة حدثنا يونس حدثنا السرى بن اسمعيل عن الشعبى عن مسروق عن عائشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة فاذا أوى اليه توسد كفه اليمنى ثم همس مايدرى مايقول فاذا كان فى آخر الليل رفع صوته فقال اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم اله كل شئ ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الاول (٣٩١) الذى ليس قبلك شئ وأنت الآخر الذى ليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر السرى بن اسمعيل هذا هو ابن عم الشعبى وهو ضعيف جدا والله أعلم وقال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد بن حميد وغير واحد المعنى واحد قالوا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبى هريرة قال بينما نبى الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض تسوقه الى قوم لايشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون مافوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون مافوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات مابين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون مافوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد مابين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذى تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلا الى الارض السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ثم قال الترمذى هذا حديث غريب من هذا الوجه ويروى عن أيوب ويونس يعنى ابن عبيد وعلى بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبى هريرة وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا انما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه انتهى كلامه وقد روى الامام أحمد هذا الحديث عن شريح عن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبى اذا طلقتم النساء) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الجمع تعظيما له أو خطاب له ولأمته والتقدير يا أيها النبى وأمته فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه أو خطاب لأمته فقط بعد ندائه عليه الصلاة والسلام وهو من تلوين الخطاب خاطب به أمته بعد أن خاطبه أو أنه على اضمار قول أى يا أيها النبى قل لأمتك أو خص النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا لتقدمه واظهارا لترؤسه بكلام حسن قاله الزمخشرى قال السمين وهذا هو معنى القول الثالث الذى تقدم وقال المحلى المراد أمته بقرينة ما بعده قال الحفناوى فكأنه قيل يا أيها الأمة اذا طلقتم الخ وهذا الاسلوب سلكه الكازرونى وفى نسخة من تفسير المحلى المراد وأمته بزيادة الواو يعنى ان فى الكلام اكتفاء على حد قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فعلى هذا لفظ النبى لاتجوز فيه بل هو منادى مع أمته وهذا الوجه قرره السمين كما تقدم والمعنى اذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه وانما احتيج لهذا التجوز ليصح قوله (فطلقوهن لعدتهن) لان الشئ لا يترتب على نفسه ولا يؤمر أحد بتحصيل الحاصل والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الاقراء أما غير المدخول بهن فلا عدة

الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وعنده بعد ما بين الارضين مسيرة سبعمائة عام وقال لو دليتم بحبل الى الارض السفلى السابعة لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ورواه ابن أبي حاتم والبزار من حديث أبي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة فذكر الحديث ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره وهو قوله لو دليتم بحبل وانما قال حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام ثم تلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وقال البزار لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا أبو هريرة ورواه ابن جرير عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة هو الاول والآخر والظاهر والباطن ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في أصحابه اذ مر عليهم سحاب فقال هل تدرون ما هذا وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء الا أنه مرسل من هذا الوجه ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد روى من حديث ابي ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه رواه البزار في مسنده والبيهقي في كتاب الاسماء والصفات (٣٩٢) ولكن في اسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال ابن جرير عند قوله تعالى ومن الارض مثلهن حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال التقى أربعة من الملائكة بين السماء والارض فقال بعضهم لبعض من أين جئت قال احدهم أرسلني ربي عز وجل من السماء السابعة وتركته ثم قال الآخر أرسلني ربي عز وجل من الارض السابعة وتركته ثم قال الآخر أرسلني ربي من المشرق وتركته ثم قال الآخر أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم وهذا غريب جدا وقد يكون الحديث الاول موقوفا على قتادة كما روى ههنا من قوله والله أعلم (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور) يخبر تعالى عن خلقه السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها في سورة الاعراف بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض أي يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله تعالى وما ينزل من السماء أي من الامطار والثلوج والبرد والاقدار والاحكام مع الملائكة الكرام وقد تقدم في سورة البقرة أنه ما ينزل من قطرة من السماء الا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى وقوله تعالى وما يعرج فيها أي من الملائكة والاعمال كما جاء في الصحيح يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل وقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما

الذهي

عليهن بالكلمة وأما ذوات الاشهر فسيأتي في قوله واللائي يئسن الخ ومعنى لعدتهن مستقبلات لعدتهن أو في قبل عدتهن أو لقبل عدتهن او لزمان عدتهن وهو الطهر وقال الجرجاني اللام بمعنى في اي في عدتهن وقال ابو حيان اي لاستقبال عدتهن على حذف مضاف واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر كذا والمراد أن يطلقوهن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن فاذا طلقتموهن هكذا فقد طلقتموهن لعدتهن وسيأتي بيان هذا من السنة عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في قبل عدتهن رواه عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر والحاكم وابن مردويه وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن وعن مجاهد أنه قرأ كذلك وعن ابن عباس مثله وقال في الآية أي طاهرا من غير جماع وعن ابن مسعود من أراد أن يطلق للسنة كما امره الله فليطلقها طاهرا في غير جماع وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفصة فأتت أهلها فانزل الله هذه الآية فقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من أزواجك في الجنة أخرجه ابن أبي حاتم واخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلا وعن ابن عمر انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتغيظ ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض وتطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وقرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وروى عن ابن عباس انها نزلت في قصة طلاق عبد يزيد وقد اخرجها ابن ابي حاتم اثرا طويلا قال

تعملون بصير أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار في البيوت أو في القفار الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وقال تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فلا اله غيره ولا رب سواه وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لما سأله عن الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وروى الحافظ أبو بكر الاسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة حدثني أبي عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبد الرحمن بن عامر قال قال عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال زودني حكمة أعيش بها فقال استحي الله كما تستحي رجلا من صالحي عشيرتك لا يفارقك هذا حديث غريب وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن علويه العامري مرفوعا ثلاث من فعلهن فقد طعم الايمان ان عبد الله وحده واعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ولم يعط الهرمة ولا الردية ولا الشرطة اللئيمة ولا المريضة ولكن من اوسط أموالكم وزكى نفسه وقال رجل يارسول الله ما تزكية المرء نفسه فقال يعلم ان الله معه حيث كان وقال نعيم بن حماد رحمه الله حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي عن محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أفضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيثما كنت غريب وكان الامام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وقوله تعالى له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور

الذهبي اسناده واه والخبر خطأ فان عبد بن يزيد لم يدرك الاسلام وفي الباب احاديث (وأحصوا العدة) اى احفظوها واحفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة وهي ثلاثة قروء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن والخطاب للازواج لغفلة النساء وقيل للزوجات وقيل للمسلمين على العموم والاول أولى لان الضمائر كلها لهم ولكن الزوجات داخلات في هذا الخطاب بالالحاق بالازواج لان الزوج يحصي ليراجع وينفق أو يقطع ويسكن أو يخرج ويلحق نسبه أو يقطع وهذه كلها أمور مشتركة بينه وبين المرأة وقيل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء (لا تخرجوهن من بيوتهن) أي التي كن فيها عند الطلاق ما دمن في العدة وأضاف البيوت اليهن وهي لازواجهن لتأكيد النهي وبيان كمال استحقاقهن للسكنى في مدة العدة ومثله قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقوله وقرن في بيوتكن ثم لما نهى الازواج عن اخراجهن عن البيوت التي وقع الطلاق وهن فيها نهى الزوجات عن الخروج أيضا فقال (ولا يخرجن) من تلك البيوت ما دمن في العدة الا لامر ضروري كما سيأتي بيان ذلك قال أبو السعود ولو باذن من الازواج فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقال الخطيب لان في العدة

أي هو المالك للدنيا والآخرة كما قال تعالى وان لنا للآخرة والاولى وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وقال تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير فجميع ما في السموات والارض ملك له وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ولهذا قال والى الله ترجع الامور أي اليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل ان يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها الى عشر أمثالها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وكما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعا ثم قيظا ثم خريفا وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه وهو عليم بذات الصدور أي يعلم السرائر وان دقت وان خفيت (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر

كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) أمر تبارك وتعالى بالايمان به وبرسوله على الوجه الاكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أي مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار اليكم فارشد تعالى الى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته وان لم يفعلوا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه وقوله تعالى مما جعلكم مستخلفين فيه اشارة الى انه سيكون مخلفا عنك فلعل وارثك ان يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصي الله فيه فتكون قد سعيت في معاونته على الاثم والعدوان قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٩٤) وهو يقول ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فامضيت ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس وقوله تعالى فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ترغيب في الايمان والانفاق في الطاعة ثم قال تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم أي وأي شيء يمنعكم من الايمان والرسول بين أظهركم يدعوكم الى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه أي المؤمنين أعجب اليكم ايمانا قالوا الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم قالوا فالانبياء قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم قالوا فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ولكن أعجب المؤمنين ايمانا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها وقد ذكرنا طرفا من هذه في أول سورة البقرة عند قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب وقوله تعالى وقد أخذ ميثاقكم كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا ويعني بذلك بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وزعم ابن جرير ان المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وهو مذهب مجاهد فالله أعلم وقوله تعالى هو الذي ينزل على عبده آيات بينات أي حججا واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات ليخرجكم من الظلمات الى النور أي من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة الى نور الهدى واليقين والايمان وان الله بكم لرؤف رحيم اي في انزاله الكتب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما امرهم أولا بالايمان والانفاق ثم حثهم على الايمان وبين انه قد أزال عنهم ما يمنعهم من ذلك حثهم أيضا على الانفاق فقال وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض أي أنفقوا ولا تخشوا فقرا واقلالا فان الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والارض وبيده مقاليدهما

حد الله تعالى فلا يسقط بتراضيهما وقيل المراد لا يخرجن من أنفسهن الا اذا أذن لهن الازواج فلا بأس والاول أولى وهذا كله عند عدم العذر أما اذا كان لعذر كشراء من ليس لها على المفارق نفقة فيجوز لها الخروج نهارا قاله الخطيب واذا خرجت من غير عذر فانها تعصي ولا تنقض عدتها قاله القرطبي (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) بفتح الياء وكسرها سبعيتان وهذا الاستثناء هو من الجملة الاولى قال الواحدي أكثر المفسرين على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا وبه قال ابن عباس وذلك ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال الشافعي وغيره هي البذاء في اللسان والاستطالة بها على من هو ساكن معها في ذلك البيت وعن ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو المرأة على أهل الرجل فاذا بذت عليهم بلسانها فقد حل لهم اخراجها لسوء خلقها ويؤيده هذا ما قال عكرمة ان في مصحف أبي الا ان يفحشن عليكم وقيل الاستثناء من الجملة الثانية للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة قال الشوكاني رحمه الله هو بعيد قال ابن عمر خروجها قبل انقضاء العدة من بيتها هي الفاحشة المبينة وقيل الفاحشة النشوز (وتلك) أي ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها (حدود الله) يعني ان هذه الاحكام التي بينها لعباده هي حدوده التي حدها لهم لا يحل لهم ان يتجاوزوها الى غيرها (ومن يتعد حدود الله) أي يتجاوزها

وعنده خزائنهما وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال ما عندكم ينفد وما عند الله باق فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذي العرش اقلالا وعلم ان الله سيخلفه عليه وقوله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أي لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك ان قبل فتح مكة كان الحال شديدا فلم يكن يؤمن حينئذ الا الصديقون وأما بعد الفتح فانه ظهر الاسلام ظهورا عظيما ودخل الناس في دين الله أفواجا ولهذا قال تعالى أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والجمهور على ان المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبي وغيره ان المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية وقد يستدل لهذا القول بما قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا ان ذلك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم ومعلوم ان اسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه (٣٩٥) وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فلم يحسنوا ان يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى اذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم فقلنا من هم يا رسول الله أقريش قال لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا فقلنا أهم خير منا يا رسول الله قال لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه الا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذي في الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ذكر الخوارج تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرني زيد بن أسلم عن أبي سعيد التمار عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم قلنا من هم يا رسول الله قريش قال لا هم أرق أفئدة وألين قلوبا وأشار بيده الى اليمن فقال هم أهل اليمن ألا ان الايمان يمان والحكمة يمانية فقلنا يا رسول الله هم خير منا قال والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال ألا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوي

يتجاوزها الى غيرها أو يخل بشيء منها (فقد ظلم نفسه) بايرادها موارد الهلاك وأوقعها في مواقع الضرر بعقوبة الله على مجاوزته لحدوده وتعديه لرسمه وقال البيضاوي أي بان عرضها للعقاب وقال أبو السعود تفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى والخطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر نفسه فانك لا تدري أيها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي أمرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ويتسنى تلافيه برجعة واستئناف نكاح قال القرطبي قال جميع المفسرين أراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة والمعنى التحريض على طلاق الواحدة أو الثنتين والنهي عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا أضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد الى المراجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك أي بعد طلقة أو طلقتين أمرا بالمراجعة قال

منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فان كان ذلك محفوظا كما تقدم فيحتمل انه أنزل قبل الفتح اخبارا عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل ما نزل وآخرون يقاتلون في سبيل الله الآية فهي اشارة عما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم وقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى يعني المنفقين قبل الفتح وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا وان كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما وهكذا الحديث الذي في الصحيح المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير وانما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الاول دون الآخر فيتوهم متوهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الاول عليه ولهذا قال تعالى والله بما تعملون خبير فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك وما ذاك الا لعلمه بقصد الاول واخلاصه التام وانفاقه في حال الجهد والقلة والضيق (٣٩٦) وفي الحديث سبق درهم مائة ألف ولا شك عند أهل الايمان ان الصديق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الاوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر أمم الانبياء فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لاحد عنده نعمة يجزيه بها وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن اسحق بن أيوب أخبرنا محمد بن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني حدثنا أبو اسحق الفزاري حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر رضي الله عنه اسخط على ربي عز وجل اني عن ربي راض هذا الحديث ضعيف الاسناد من هذا الوجه والله اعلم وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال عمر بن الخطاب هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال والصحيح انه اعم من ذلك فكل من انفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له كما قال في الآية الاخرى اضعافا كثيرة وله اجر كريم اي جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله ابن الحرث عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له قال ابو الدحداح الانصاري يا رسول الله وان الله ليريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال ارني يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال فاني قد

الواحدي الامر الذي يحدث ان يوقع في قلب الرجل المحبة لرجعتها بعد الطلقة والطلقتين قال الزجاج واذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا قالت فاطمة بنت قيس في الآية هي الرجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق أخرجه أبو داود مرسلا وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من أبغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق انتهى أقول اما حديث ابن عمر فقد رواه أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب موصولا وصححه الحاكم وغيره ورواه أبو داود أيضا والبيهقي مرسلا عن محارب ابن دثار وليس فيه ابن عمر ورجح أبو حاتم والدارقطني والبيهقي ارساله وقال الخطابي انه المشهور ورواه الدارقطني عن معاذ بلفظ ما خلق الله شيأ أبغض اليه من الطلاق قال الحافظ ابن حجر واسناده ضعيف ومنقطع انتهى وأما حديث علي فرواه ابن عدي في كتابه الكامل في معرفة الضعفاء عنه رضي الله عنه باسناد ضعيف بل قيل موضوع ورواه

الخطيب

أقرضت ربي حائطي وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل وفي رواية أنها قالت له ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح وفي لفظ رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبي الدحداح في الجنة (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير) يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة (٣٩٧) ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى ان من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه وقال سفيان الثوري عن حصين عن مجاهد عن جنادة ابن أبي أمية قال انكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم فاذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرأ يسعى نورهم بين أيديهم وقال الضحاك ليس أحد الا يعطى نورا يوم القيامة فاذا انتهوا الى الصراط طفئ نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين فقالوا ربنا أتمم لنا نورنا وقال الحسن يسعى نورهم بين أيديهم يعني على الصراط وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب أخبرنا عمي عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم فقال له رجل يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح الى أمتك فقال أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم وذريتهم وقوله وبأيمانهم قال الضحاك أي وبأيمانهم كتبهم كما قال فمن أوتي كتابه بيمينه وقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار أي يقال لهم بشراكم اليوم جنات أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أي ماكثين فيها أبدا ذلك هو الفوز العظيم وقوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم وهذا اخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة والأمور الفظيعة وانه لا ينجو يومئذ الا من آمن بالله

الخطيب عن علي أيضا مرفوعا وفي اسناده عمر بن جميع يروي الموضوعات عن الاثبات وأما حديث أبي موسى فقد رواه الطبراني عنه رضي الله عنه مرفوعا وكذا الدارقطني في الافراد ورواه الطبراني في الكبير أيضا عن عبادة بلفظ ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات وفي سنده راو لم يسم وبقية رجال اسناده ثقات وأما حديث أنس فرواه ابن عساكر في تاريخه عن أنس رضي الله عنه وسنده ضعيف جدا وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي (فاذا بلغن أجلهن) أي قاربن انقضاء أجل العدة وشارفن آخرها (فأمسكوهن بمعروف) أي راجعوهن بحسن معاشرة وانفاق مناسب ورغبة فيهن من غير قصد الى مضارة لهن بطلاق آخر لأجل ايجاب عدة أخرى وغير ذلك (أو فارقوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن نفوسهن مع ايفائهن بما هو لهن عليكم من الحقوق وترك المضارة لهن بالفعل والقول فقد تضمنت الآية بافصاحها الحث على فعل الخيرات وبافهامها اجتناب المنكرات (وأشهدوا ذوي عدل منكم) أي صاحبي عدالة فان العدل ضد الجور وهو يرجع الى معنى العدالة وهذه شهادة على الرجعة وقيل على الطلاق وقيل عليهما قطعا للتنازع وحسما لمادة الخصومة والأمر للندب لئلا يقع بينهما التجاحد كما في قوله وأشهدوا اذا تبايعتم وقيل انه للوجوب واليه

ورسوله وعمل بما امر الله به وترك ما عنه زجر. قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان ابن عمرو حدثني سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا ابو امامة الباهلي فلما صلى على الجنازة واخذوا في دفنها قال ابو امامة ايها الناس انكم قد اصبحتم وامسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات وتوشكون ان تظعنوا منه الى منزل آخر وهو هذا يشير الى القبر بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق الا ما وسع الله ثم تنتقلون منه الى مواطن يوم القيامة فانكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه ثم تنتقلون منه الى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيأ وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الاعمى ببصر البصير ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال يخادعون الله وهو خادعهم فيرجعون الى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الآية الا انه يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن ثم قال حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا أبو حيوة حدثنا ارطاة بن المنذر حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي امامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور الى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس بينما الناس في ظلمة اذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور راهم توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله مما الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فاظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فانا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور. وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسن بن عرفة بن علوية العطار حدثنا اسماعيل بن عيسى العطار حدثنا اسحق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترا منه على عباده وأما عند الصراط فان الله تعالى يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا. وقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الذي قال الله تعالى وبينهما حجاب وهكذا روي عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح باطنه فيه الرحمة أي الجنة وما فيها وظاهره من قبله العذاب أي النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما قال ابن جرير وقد قيل ان ذلك السور سور بيت

ذهب الشافعي قال الاشهاد واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة واليه ذهب أحمد بن حنبل وفي قول للشافعي ان الرجعة لا تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق وروي نحو هذا عن أبي حنيفة وأحمد وعن ابن سيرين ان رجلا سأل عمران ابن حصين عن رجل طلق ولم يشهد قال بئسما صنع طلق في بدعة وارتجع في غير سنة فيشهد على طلاقه وعلى مراجعته ويستغفر الله (وأقيموا الشهادة لله) هذا أمر للشهود بأن يأتوا بما شهدوا به تقربا الى الله وانما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لانه ربما يؤدي الى ان يترك الشاهد مهماته ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق وقيل الامر للازواج بان يقيموا الشهادة أي الشهود عند الرجعة فيكون قوله واشهدوا ذوي عدل منكم أمرا بنفس الاشهاد وقوله وأقيموا الشهادة أمرا بان تكون خالصة لله لا للمشهود وعليه وله ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) أي ما تقدم من الامر بالاشهاد واقامة الشهادة لله أو ما ذكر من أول السورة الى هنا (يوعظ به) أي يلين ويرق به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) خص المؤمن لانه المنتفع بذلك دون غيره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) مما وقع فيه من الشدائد والمحن والجملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا

المقدس عند وادي جهنم ثم قال حدثنا ابن البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول ان السور الذي ذكره الله في القرآن فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب هو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم ثم روى عن عبادة بن الصامت وكعب الاحبار وعلي بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك وهذا محمول منهم على انهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك لا أن الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم فان الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل السافلين وقول كعب الاحبار ان الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من اسرائيلياته وترهاته وانما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فاذا انتهى اليه المؤمنون دخلوه من بابه فاذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ينادونهم ألم نكن معكم أي ينادي المنافقون المؤمنين اما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات ونقف معكم بعرفات ونحضر معكم الغزوات ونؤدي (٣٩٩) معكم سائر الواجبات قالوا بلى أي فاجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني قال بعض السلف أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات وتربصتم أي أخرتم التوبة من وقت الى وقت وقال قتادة تربصتم بالحق وأهله وارتبتم أي بالبعث بعد الموت وغرتكم الاماني أي قلتم سيغفر لنا وقيل غرتكم الدنيا حتى جاء أمر الله أي مازلتم في هذا حتى جاء الموت وغركم بالله الغرور أي الشيطان قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله في النار ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين انكم كنتم معنا بابدان لا نية لها ولا قلوب معها وانما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراؤن الناس ولا تذكرون الله الا قليلا قال مجاهد كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم وكانوا معهم أمواتا ويعطون النور جميعا يوم القيامة ويطفأ النور من المنافقين اذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول وهو أصدق القائلين كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فهذا انما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ ثم قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين كما قال ههنا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الارض ذهبا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه وقوله تعالى مأواكم النار أي هي مصيركم واليها منقلبكم وقوله تعالى هي مولاكم أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات

مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص قال ابن مسعود مخرجه ان يعلم انه من قبل الله وان الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعافيه وهو يدفع عنه وقال ابن عباس ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وعن جابر قال نزلت هذه الآية في رجل من أشجع كان فقيرا خفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله فقال اتق الله واصبر فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء ابن له بغنم كان العدو اصابوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عنها وأخبره خبرها فقال كلها فنزلت ومن يتق الله الآية أخرجه الحاكم وصححه وضعفه الذهبي وعن ابن عباس قال جاء عوف بن مالك الاشجعي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله ان ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني قال آمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت المرأة نعم ما أمرك فجعلا يكثران منها فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى أبيه فنزلت هذه الآية أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه وفي الباب روايات تشهد لهذا وعن عائشة في الآية قالت يكفيه هم الدنيا وغمها وعن أبي ذر قال جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلو هذه الآية فجعل يرددها حتى نعست ثم قال يا أباذر لو ان الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم وفي الباب أحاديث وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا

لعلكم تعقلون) يقول تعالى اما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه قال عبد الله بن المبارك حدثنا صالح المرى عن قتادة عن ابن عباس انه قال ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الآية رواه ابن أبى حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن حسين المروزى عن ابن المبارك به ثم قال هو ومسلم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال يعنى الليثى عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الا أربع سنين كذا رواه مسلم فى آخر الكتاب وأخرجه النسائى عند تفسير هذه الآية عن هرون بن سعيد الايلى عن ابن وهب به وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعى عن أبى حازم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه مثله فجعله من مسند ابن الزبير لكن رواه البزار فى مسنده من طريق موسى بن يعقوب عن أبى حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود فذكره فقال سفيان الثورى عن المسعودى عن القاسم قال مل أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص قال ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فانزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فانزل الله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقال قتادة ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ذكر لنا ان شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أول ما يرفع من الناس الخشوع وقوله تعالى ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم نهى الله تعالى المؤمنين ان يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الامد بدلوا كتاب الله الذى حصل بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والاقوال المؤتفكة وقلدوا الرجال فى دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد وكثير منهم فاسقون أى فى الاعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به أى فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الاعمال التى أمروا بها وارتكبوا مانهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين ان يتشبهوا بهم فى شئ من الامور الاصلية والفرعية وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا شهاب بن خراش حدثنا حجاج بن دينار عن منصور بن المعتمر عن الربيع بن أبى عميلة الفزارى قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثا ما سمعت أعجب الى منه الا شيأ من كتاب الله أو شيأ قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال ان بنى اسرائيل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند انفسهم استهوته قلوبهم واستحلته السنتهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا تعالوا ندعوا بنى اسرائيل الى كتابنا هذا فمن تابعنا عليه

من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه قال أبو العالية مخرجا من كل شئ ضاق على الناس قال الشعبى والضحاك هذا فى الطلاق خاصة أى من طلق كما أمره الله يكن له مخرجا فى الرجعة فى العدة وانه يكون كأحد الخطاب بعد العدة (ويرزقه) فرجا وخلفا (من حيث لا يحتسب) قال ابن مسعود أى من حيث لا يدرى يعنى من وجه لا يخطر بباله ولا يكون فى حسابه وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله فى اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب أى يبارك له فيما آتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله فى اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة أهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل غير ذلك وظاهر الآية العموم ولا وجه للتخصيص بنوع خاص ويدخل فى ذلك ما فيه السياق دخولا اوليا فان قيل نرى كثيرا من الاتقياء مضيقا عليه فى الرزق اجيب بانه لا يخلو عن رزق والآية لم تدل على ان المتقى يوسع له فى الرزق بل دلت على انه يرزق من حيث لا يحتسب وهذا أمر مطرد فى الاتقياء افاده الكرخى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اى ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما اهمه قال ابن مسعود فى الآية ليس المتوكل الذى يقول تقضى حاجتى وليس كل من يتوكل على الله كفاه ما اهمه ودفع عنه ما يكره وقضى حاجته ولكن الله جعل فضل من توكل على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا (ان الله بالغ امره) فلا بد من كونه نافذا سواء

تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عمد الى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شئ لطيف ثم أدرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض يا هؤلاء انكم قد افشيتم القتل في بني اسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه ان تابعكم فسيتابعكم بقية الناس وان ابى فاقتلوه فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا اتؤمن بما في كتابنا هذا قال وما فيه اعرضوه على فعرضوه عليه الى آخره ثم قالوا أتؤمن بهذا قال نعم آمنت بما في هذا وأشار الى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه معلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وخير مللهم ملة أصحاب ذي القرن قال ابن مسعود أوشك بكم ان بقيتم أو بقي من بقي منكم ان تروا أمورا تنكرونها لا تستطيعون لها غيرا فحسب المرء منكم ان يعلم الله من قلبه أنه لها كاره وروى أبو جعفر الطبري حدثنا ابو حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن أبي معشر عن ابراهيم قال جاء عتريس بن عرقوب الى ابن مسعود فقال يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر قلبه منكرا ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا نعرض بني اسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين ثندوتيه فلما قيل له أتؤمن بهذا قال آمنت به ويومئ الى القرن بين ثندوتيه ومالي لا أومن بهذا الكتاب فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن وقوله تعالى اعلموا ان الله يحيي (٤٠١) الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون فيه اشارة الى ان الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد شدتها فكما يحيي الارض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ويولج اليها النور بعد ان كانت مقفلة لا يصل اليها الواصل فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال والمضل لمن أراد بعد الكمال الذي هو لما يشاء فعال وهو الحكيم العدل في جميع الفعال اللطيف الخبير الكبير المتعال (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة وأقرضوا الله قرضا حسنا أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا ولهذا قال يضاعف لهم أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك الى سبعمائة ضعف وفوق ذلك ولهم اجر كريم أي ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب حسن وقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون هذا تمام جملة وصف المؤمنين بالله ورسوله بانهم صديقون قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون هذه مفصولة والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وقال أبو الضحى أولئك هم الصديقون ثم استأنف الكلام فقال والشهداء عند ربهم وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم وقال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم قال هم ثلاثة أصناف يعني المصدقين والصديقين والشهداء كما قال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على انهما صنفان ولا شك ان الصديق أعلى مقاما من الشهيد كما رواه الامام مالك بن أنس رحمه الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن

حصل توكل اولا قال ابن مسعود قاضي أمره على من توكل وعلى من لم يتوكل ولكن المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا قرأ الجمهور بتنوين بالغ ونصب أمره وقرئ بالاضافة وهي سبعية وقرئ بتنوين بالغ ورفع أمره لانه فاعل بالغ أو على ان أمره مبتدأ مؤخر وبالغ خبر مقدم قال الفراء في توجيه هذه القراءة أي أمره بالغ وقرئ بالغا بالنصب على الحال ويكون خبر ان قوله قد جعل الله لكل الخ والمعنى على الاولى والثانية ان الله سبحانه بالغ ما يريده من الامر لا يفوته شئ ولا يعجزه مطلوب وعلى الثالثة ان الله نافذ أمره لا يرده شئ (قد جعل الله لكل شئ قدرا) أي تقديرا وتوقيتا أو مقدارا لا يتعداه وان اجتهد جميع الخلائق في أن يتعداه فقد جعل سبحانه للشدة أجلا تنتهي اليه وللرخاء أجلا ينتهي اليه وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل

عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين اتفق البخاري ومسلم على اخراجه من حديث مالك به وقال آخرون (١) بل المراد من قوله تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء حكاه ابن جرير عن مجاهد ثم قال ابن جرير حدثني صالح بن حرب أبو معمر حدثنا اسمعيل بن يحيى حدثنا ابن عجلان عن زيد ابن أسلم عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مؤمنو أمتي شهداء قال ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم هذا حديث غريب وقال أبو اسحق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم قال يجيئون يوم القيامة معا كالاصبعين وقوله تعالى والشهداء عند ربهم أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تريدون فقالوا نحب أن تردنا الى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا اول مرة فقال اني قد قضيت انهم اليها لا يرجعون وقوله تعالى لهم أجرهم ونورهم أي لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الاعمال كما قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن (٤٠٢) عطاء بن دينار عن أبي يزيد الخولاني قال سمعت فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذلك الذي ينظر الناس اليه هكذا ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنسوة عمر والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذلك في الدرجة الثانية والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه اسرافا كثيرا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة وهكذا رواه علي بن المديني عن أبي داود الطيالسي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة وقال هذا اسناد مصري صالح ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب وقوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم لما ذكر السعداء ومآلهم عطف بذكر الاشقياء وبين حالهم (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يقول تعالى موهنا امر الحياة الدنيا ومحقرا لها انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد أي انما حاصل امرها عند اهلها هذا كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال كمثل غيث وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقوله تعالى أعجب الكفار نباته أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فانهم أحرص شيء عليها وأميل الناس اليها ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون

شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل قال السدي هو قدر الحيض والعدة وقال ابن مسعود يعني أجلا ومنتهى ينتهي اليه وعن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وغيرهم (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) وهن الكبار اللاتي قد انقطع حيضهن وأيسن منه عن أبي بن كعب ان ناسا من أهل المدينة لما نزلت هذه الآية في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع حيضهن وذوات الحمل فانزل الله هذه الآية (ان ارتبتم) أي شككتم وجهلتم كيف عدتهن وما قدرها وقيل معناه ان تيقنتم ورجح ابن

(١) قوله بل المراد الخ كذا في النسخ وليس في العبارة تصريح بخبر المراد وهو ظاهر فتأمل اه

حطاما أي يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرا نضرا ثم يكون بعد ذلك كله حطاما أي يصير يبسا متحطما هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء والانسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضا طريا لين الاعطاف بهي المنظر ثم انه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وان الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور أي وليس في الآخرة الآتية القريبة الا اما هذا واما هذا اما عذاب شديد واما مغفرة من الله ورضوان وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور أي هي متاع فان غار لمن ركن اليه فانه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد انه لا دار سواها ولا معاد وراءها وهي حقيرة قليلة بالنسبة الى الدار الآخرة قال ابن جرير حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا المحاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤا وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك انفرد باخراجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري عن الاعمش به ففي هذا الحديث دليل على

اقتراب الخير والشر من الانسان واذا كان الامر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة الى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض والمراد جنس السماء والارض كما قال تعالى في الآية الاخرى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين وقال ههنا أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم أي هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم واحسانه اليهم كما قدمنا في الصحيح ان فقراء المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال أفلا أدلكم على شيء اذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين قال فرجعوا فقالوا سمع اخواننا أهل الاموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل ان يبرأ البرية فقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم أي في الآفاق وفي نفوسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها أي من قبل ان نخلق الخليقة ونبرأ النسمة وقال بعضهم من قبل ان نبرأها عائد على النفوس وقيل عائد على المصيبة والاحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها فسألته عنها فقال سبحان الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والارض ففي كتاب الله من قبل ان يبرأ النسمة وقال قتادة ما أصاب من مصيبة في الارض قال هي

ابن جرير انه بمعنى الشك وهو الظاهر وقال الكرخي صفة كاشفة لان عدتهن ذلك سواء وجد شك أم لا قال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن تحيض مثلها وقال مجاهد ان ارتبتم يعني لم تعلموا عدة الآيسة والتي لم تحض (فعدتهن ثلاثة أشهر) وقيل المعنى ان ارتبتم في الدم الذي يظهر منها هل هو حيض أم لا بل استحاضة فالعدة هذه وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة أو بخمس وخمسين فعدتهن هذه وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وقال عمر انها تتربص تسعة أشهر وقال الحسن سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر فاذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائي لم يحضن) لصغرهن وعدم بلوغهن سن المحيض أولانهن لا حيض لهن أصلا

السمون يعنى الجدب ولافى أنفسكم يقول الاوجاع والامراض قال وبلغنا انه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق الا بذنب ومايعفو الله عنه أكثر وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قال أخبرنا أبو هانئ الخولانى انه سمع اباعبد الرحمن الحبلى يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ورواه مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد ثلاثتهم عن أبى هانئ به وزاد ابن وهب وكان عرشه على الماء ورواه الترمذى وقال حسن صحيح وقوله تعالى ان ذلك على الله يسير اى ان علمه تعالى الاشياء قبل كونها وكتابته لها طبق مايوجد فى حينها سهل على الله عز وجل لانه يعلم ما كان ومايكون ومالم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم اى أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للاشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على مافاتكم لانه لو قدر شئ لكان ولا تفرحوا بما آتاكم أى جاءكم ويقرأ آتاكم اى أعطاكم وكلاهما متلازم أى لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فان ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وانما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله اشرا وبطرا تفخرون بها على الناس ولهذا قال تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اى مختال فى نفسه متكبر فخور اى على غيره وقال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا ثم

قال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل اى يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ومن يتول اى عن امر الله وطاعته فان الله هو الغنى الحميد كما قال موسى عليه السلام ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز) يقول تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اى بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات وانزلنا معهم الكتاب وهو النقل الصدق والميزان وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذى تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وقال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان ولهذا قال فى هذه الآية ليقوم الناس بالقسط أى بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما اخبروا به وطاعتهم فيما امروا به فان الذى جاؤا به هو الحق الذى ليس وراءه حق كما قال وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاوامر والنواهى ولهذا يقول المؤمنون اذا تبوؤا غرف الجنات والمنازل العاليات والسرر المصفوفات الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق وقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد أى وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى اليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وايضاح للتوحيد وبينات ودلالات فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وامرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده وقد روى الامام احمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبى المهلب الجرشى الشامى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف امرى ومن تشبه بقوم فهو منهم ولهذا قال تعالى فيه بأس شديد يعنى السلاح كالسيوف والحراب

وان كن بالغات قاله الخطيب أى فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا وحذف هذا لدلالة ماقبله عليه والاولى ان يقدر مفردا أى فكذلك أو مثلهن ولو قيل انه معطوف على اللائى يئسن عطف المفردات وأخبر عن الجميع بقوله فعدتهن لكان وجها حسنا وأكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدا وماعطف عليه وهذا ظاهر قول الشيخ أبى حيان (وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن) أى انتهاء عدتهن وضع الحمل وظاهر الآية أن عدة الحوامل بالوضع سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وعمومها باق فهى مخصصة لآية يتربصن بأنفسهن أى مالم يكن حوامل وانما لم يعكس لان المحافظة على عموم هذه الآية أولى من المحافظة على عموم تلك لان أزواجا فى آية البقرة عمومه بدلى لايصلح لجميع الافراد فى حال واحد لانه جمع منكر فى سياق الاثبات وأما أولات الاحمال فعمومه شمولى لان

الموصول

والسنان والنصال والدروع ونحوها ومنافع للناس اى فى معايشهم كالسكة والفاس والقدوم والمنشار والازميل والمجرفة والآلات التى يستعان بها فى الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لاقوام للناس بدونه وغير ذلك قال علباء بن احمد عن عكرمة عن ابن عباس قال ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والميقعة يعنى المطرقة رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب اى من نيته فى حمل السلاح نصرة الله ورسوله ان الله قوى عزيز اى هو قوى عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه الى الناس وانما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون) يخبر تعالى انه منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا الا من ذريته وكذلك ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا اوحى الى بشر من بعده الا وهو من سلالته كما قال تعالى فى الآية الاخرى وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب حتى كان آخر أنبياء بنى اسرائيل عيسى بن مريم الذى بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وهو الكتاب الذى أوحاه الله اليه وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه وهم الحواريون رأفة أى رقة وهى الخشية ورحمة بالخلق وقوله رهبانية ابتدعوها أى ابتدعها أمة النصارى ما كتبناها عليهم أى ماشرعناها لهم وانما هم التزموها (٤٠٥) من تلقاء أنفسهم وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله فيه قولان أحدهما انهم قصدوا بذلك رضوان الله قاله سعيد بن جبير وقتادة والآخر ما كتبنا عليهم ذلك انما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله وقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها اى فما قاموا بما التزموه حق القيام وهذا ذم لهم من وجهين أحدهما فى الابتداع فى دين الله مالم يأمر به الله والثانى فى عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا انه قربة يقربهم الى الله عز وجل وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا اسحق بن أبى حمزة أبو يعقوب الرازى حدثنا السرى بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده ابن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن مسعود قلت لبيك يا رسول الله قال هل علمت ان بنى اسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة لم ينج منها الا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت الى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا الى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال حدثنا يحيى بن أبى طالب حدثنا داود بن المحبر حدثنا الصعق ابن حزن حدثنا عقيل الجعدى عن أبى اسحق الهمدانى عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم وذكر نحو ما تقدم وفيه فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم هم الذين آمنوا بى وصدقونى وكثير منهم فاسقون وهم الذين كذبونى وخالفونى ولا يقدح فى هذه المتابعة بحال داود بن المحبر فانه أحد الوضاعين للحديث لكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن به مثل ذلك فقوى الحديث من هذا الوجه وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظ له أخبرنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن

الموصول من صيغ العموم وأيضا الحكم هناه علل بوصف الحملية بخلاف ماهنالك وأيضا هذه الآية متأخرة فى النزول عن آية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك فيما لو عمل بعمومها رفع لما فى الخاص من الحكم فهو نسخ والتخصيص أولى منه وقد تقدم الكلام على هذا فى سورة البقرة مستوفى وحققنا البحث فى هذه الآية وفى الآية الاخرى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا عن أبى بن كعب فى الآية قال قلت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أهى المطلقة ثلاثا أو المتوفى عنها قال هى المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وأبو يعلى وغيرهما وروى بوجه آخر مرفوعا عنه وعن ابن مسعود انه بلغه ان عليا قال تعتد آخر الاجلين فقال من شاء لاعنته ان الآية التى فى سورة النساء القصرى نزلت

سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والانجيل فكان منهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد شيأ أشد من شتم يشتمونناه هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون هذه الآيات مع ما يعيبوننا به من أعمالنا فى قراءتهم فادعهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها والآخرون قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط منهم رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين بايمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم قال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون (٤٠٦) بكم ان لا يقدرون على شئ من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم هذا السياق فيه غرابة وسيأتى تفسير هاتين الآيتين الاخيرتين على غير هذا والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب حدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء ان سهل بن أبى امامة حدثه انه دخل هو وأبوه على أنس ابن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير وهو يصلى صلاة خفيفة (١) رقعة كأنها صلاة مسافر او قريبا منها فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شئ تنفلته قال انها المكتوبة وانها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت الا شيأ سهوت عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر قال نعم فركبوا جميعا فاذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا أتعرف هذه الديار قال ما أعرفنى بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغى والحسد ان الحسد يطفئ نور الحسنات والبغى يصدق ذلك أو يكذبه والعين تزنى والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وقال الامام أحمد حدثنا معمر حدثنا عبد الله أخبرنا سفيان عن زيد العمى عن أبى اياس عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله عز وجل ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن اسماء عن عبد الله بن المبارك به ولفظه لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وقال الامام أحمد حدثنا حسين هو ابن محمد حدثنا عباس يعنى ابن عياش عن الحجاج بن مروان الكلاعى وعقيل بن مدرك السلمى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رجلا جاءه فقال أوصنى فقال سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شئ وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك فى السماء وذكرك فى الارض تفرد به أحمد والله تعالى أعلم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم

بعد سورة البقرة وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن بكذا او كذا أشهرا او كل مطلقة أو متوفى عنها زوجها فأجلها ان تضع حملها وروى عنه نحو هذا من طرق وبعضها فى صحيح البخارى وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث أم سلمة ان سبيعة الاسلمية توفى عنها زوجها وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى الباب أحاديث (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أى من يتقه فى امتثال أوامره واجتناب نواهيه يسهل عليه أمره فى الدنيا والآخرة وقال الضحاك من يتق الله فى اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسرا فى توفيقه للطاعة (ذلك) أى ما ذكر من الاحكام وتفاصيل العدة (أمر الله) أى حكمه الذى حكم به بين عباده وشرعه الذى شرعه لهم ومعنى (أنزله اليكم) أنزله فى كتابه على رسوله وبينه لكم وفصل أحكامه وأوضح

(١) قوله رقعة كذا فى النسخ وحرر اه مصححه

كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس انه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وانهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبيه أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق مولاه فله أجران ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران أخرجاه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير وقال سعيد بن جبير لما افتخر أهل الكتاب بانهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الامة ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين أي ضعفين من رحمته وزادهم ويجعل لكم نوراً تمشون به يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم ففضلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير عنه وهذه الآية كقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم وقال سعيد بن عبد العزيز سأل عمر بن الخطاب حبراً من أحبار يهود أفضل ما ضعف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على انه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل يؤتكم كفلين من رحمته قال سعيد والكفلان في الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير ومما يؤيد هذا القول ما رواه الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (٤٠٧) صلى الله عليه وسلم مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي من صلاة الصبح الى نصف النهار على قيراط قيراط ألا فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر الى صلاة العصر على قيراط قيراط ألا فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فأنتم الذين عملتم فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيئاً قالوا لا قال فانما هو فضلي أوتيه من أشاء قال أحمد وحدثناه مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفرد باخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع به وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله وقال البخاري حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو اسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلوا العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر قوما ان يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله أي ليتحققوا انهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا اعطاء ما منع الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال ابن جرير لئلا يعلم أهل الكتاب أي ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود انه قرأها لكي يعلم وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير قال ابن جرير لان العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله ما منعك ألا تسجد وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون (آخر تفسير سورة الحديد ولله الحمد والمنة)

وأوضح حلاله وحرامه (ومن يتق الله) بترك ما لا يرضاه (يكفر عنه سيآته) التي اقترفها لان التقوى من أسباب المغفرة للذنوب (ويعظم له أجراً) أي يعطيه من الاجر في الآخرة أجراً عظيماً وهو الجنة (أسكنوهن من حيث سكنتم) هذا كلام مبتدأ يتضمن بيان ما يجب للنساء المطلقات وغيرها من المفارقات من السكنى ومن للتبعيض أي بعض مكان سكناكم قاله الزمخشري وقال الكسائي والرازي من زائدة وقال الحوفي وأبو البقاء انها لابتداء الغاية (من وجدكم) أي من سعتكم وطاقتكم وقال ابن عباس من سعتكم والوجد بالحركات الثلاث والمشهور باتفاق القراء بالضم بمعنى المقدرة قال الفراء يقول على من يجد فان كان موسعاً وسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيراً فعلى قدر ذلك قال

(تفسير سورة المجادلة وهي مدنية) (بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة الى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال وقال الاعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الاعمش به وفي رواية لابن أبي حاتم عن الاعمش عن تميم بن سلمة عن عبدة عن عائشة انها قالت تبارك الذي أوعى سمعه كل شئ اني أسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يارسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني أشكو اليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها قال وزوجها أوس بن الصامت وقال ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة عن اوس بن الصامت وكان أوس امرأ به لمم فكان اذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته واذا ذهب لم يقل شيأ فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه في ذلك وتشتكي الى الله فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآية وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه ان رجلا كان به لمم فذكر مثله وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا موسى بن اسمعيل ابو سلمة حدثنا جرير يعني ابن حازم قال سمعت أبا يزيد يحدث قال لقيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت (٤٠٨) ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها واصغى اليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا امير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني الى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها الا ان تحضر صلاة فاصليها ثم ارجع اليها حتى تقضي حاجتها هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روي من غير هذا الوجه وقال ابن ابي حاتم ايضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت وأمها معاذة التي انزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم) قال الامام احمد حدثنا سعد بن ابراهيم ويعقوب قالا حدثنا ابي حدثنا محمد بن اسحق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي اوس بن الصامت انزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه قالت فدخل علي يوما فراجعته بشئ فغضب فقال انت علي كظهر امي قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فاذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت والذي نفس خويلة بيده لا تخلص الي وقد قلت ماقلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فالقيته عني قالت ثم خرجت الى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له مالقيت منه وجعلت اشكو اليه ما ألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

قتادة ان لم تجد الا ناحية بيتك فأسكنها فيه وقد اختلف أهل العلم في المطلقة ثلاثا هل لها سكنى ونفقة أم لا فذهب مالك والشافعي الى ان لها السكنى ولا نفقة لها وذهب أبو حنيفة وأصحابه الى أن لها النفقة والسكنى وذهب أحمد واسحق وأبو ثور الى انه لا نفقة لها ولا سكنى وهذا هو الحق وقد قرره الشوكاني في شرحه للمنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره وأوضحناه في الروضة الندية شرح الدرر البهية (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) نهى سبحانه عن مضارتهن بالتضييق عليهن في المسكن والنفقة وقال مجاهد في المسكن وبه قال ابن عباس وقال مقاتل في النفقة وقال أبو الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها (وان كن) أي المطلقات الرجعيات أو البائنات دون الحوامل المتوفى عنهن (أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أي الى غاية هي وضعهن للحمل ولا

يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه قالت فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي يا خويلة قد انزل الله فيك وفي صاحبك قرآن ثم قرأ علي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الى قوله تعالى وللكافرين عذاب أليم قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قالت فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال فليصم شهرين متتابعين قالت فقلت والله انه لشيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر قالت فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا سنعينه بفرق من تمر قالت فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر قال قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا قالت ففعلت ورواه ابو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن اسحق بن يسار به وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال فيها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذه الاقوال فالامر فيها قريب والله اعلم هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة فاما حديث سلمة بن صخر فليس فيه انه كان سبب النزول ولكن امر بما انزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام او الاطعام كما قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا محمد بن اسحق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الانصاري قال كنت امرأ قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من ان اصيب في ليلتي شيأ فأتتابع في ذلك الى ان يدركني النهار وأنا لا اقدر ان انزع فبينما هي تخدمني من الليل اذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما اصبحت غدوت على (٤٠٩) قومي فاخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بأمري فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ولكن اذهب انت فاصنع ما بدا لك قال فخرجت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبري فقال لي انت بذاك فقلت انا بذاك فقال انت بذاك فقلت أنا بذاك قال أنت بذاك قلت نعم ها أنا ذا فامض في حكم الله عز وجل فاني صابر له قال اعتق رقبة قال فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ما اصبحت أملك غيرها قال فصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله وهل اصابني ما اصابني الا في الصيام قال فتصدق فقلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا ما لنا عشاء قال اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك قال فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها الي فدفعوها الي وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه وظاهر السياق ان هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كما دل عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل قال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها خشيت ان يكون ذلك طلاقا فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أوسا ظاهر مني وانا ان افترقنا هلكنا وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبته وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الى قوله تعالى وللكافرين عذاب أليم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتقدر على رقبة تعتقها قال لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه ثم راجع أهله رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والاكثرون الى ما قلناه والله أعلم فقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم أصل

ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن أبي ليلى وسفيان وأصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر ابن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه لا ينفق عليها الا من نصيبها وهذا هو الحق للادلة الواردة في ذلك من السنة المطهرة قال ابن عباس في الآية فهذه في المرأة يطلقها زوجها وهي حامل فامره الله ان يسكنها وينفق عليها حتى تضع وان أرضعت حتى تفطم فان أبان طلاقها وليس لها حمل فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة لها (فان أرضعن لكم) أولادكم بعد ذلك (فآتوهن أجورهن) أي أجور ارضاعهن والمعنى ان المطلقات اذا أرضعن أولاد الازواج المطلقين لهن منهن فلهن أجورهن على

الظهار مشتق من الظهر وذلك ان الجاهلية كانوا اذا تظاهر أحدهم من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الاعضاء قياسا على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا فارخص الله لهذه الامة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل اذا قال لامرأته في الجاهلية أنت علي كظهر أمي حرمت عليه فكان أول من ظاهر في الاسلام أوس وكان تحته ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فاسقط في يديه وقال ما أراك الا قد حرمت علي وقالت له مثل ذلك قال فانطلقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال ياخويلة ما أمرنا في أمرك بشيء فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال ياخويلة أبشري قالت خيرا قال فقرأ عليها قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما الى قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا قالت وأي رقبة لنا والله ما نجد رقبة غيري قال فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قالت والله لولا انه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا قالت من أين ما هي الا اكلة الى مثلها قال فدعا بشطر وسق ثلاثين صاعا والوسق ستون صاعا فقال ليطعم ستين مسكينا وليراجعك وهذا اسناد جيد قوي وسياق غريب وقد روي عن أبي العالية نحو هذا وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قال كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الانصار وكان ضرير البصر فقيرا سيء الخلق وكان طلاق أهل الجاهلية اذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت علي كظهر أمي وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعته يوما في شيء فقال أنت علي كظهر امي فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عائشة وعائشة تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعها عيلها فقالت يارسول الله ان زوجي ضرير البصر فقير لاشيء له سيء الخلق واني نازعته في شيء فغضب فقال انت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق ولي منه عيل أو عيلان فقال ما أعلمك الا قد حرمت عليه فقالت أشكو الى الله ما نزل بي وأبا صبيتي قالت ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يارسول الله زوجي ضرير البصر فقير سيء الخلق وان لي منه عيلا أو عيلين واني نازعته في شيء فغضب وقال أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق قالت فرفع الى رأسه وقال ما أعلمك الا قد حرمت عليه فقالت أشكو الى الله ما نزل بي وأبا صبيتي قال ورأت عائشة وجه النبي صلى الله عليه وسلم تغير فقالت لها وراءك وراءك فتنحت فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غشيانه ذلك ما شاء الله فلما انقطع الوحي قال ياعائشة أين المرأة فدعتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهبي فائتيني بزوجك فانطلقت تسعى فجاءت به فاذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال النبي صلى الله عليه وسلم استعيذ بالله السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى قوله والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها قال لا قال افتستطيع ان تصوم شهرين متتابعين قال والذي بعثك بالحق اني اذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد ان يعشو بصري قال أفتستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا الا ان تعينني قال فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أطعم ستين مسكينا قال وحول الله الطلاق فجعله ظهارا ورواه ابن جرير عن ابن المثنى عن عبد الاعلى عن داود سمعت ابا العالية فذكر نحوه باخصر من هذا السياق وقال سعيد بن جبير كان الايلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الايلاء اربعة اشهر وجعل في الظهار الكفارة رواه ابن أبي حاتم بنحوه وقد استدل الامام مالك على ان الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين واجاب الجمهور بان هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له واستدل الجمهور عليه بقوله من نسائهم على ان الامة لاظهار

ذلك (وائتمروا بينكم بمعروف) هو خطاب للازواج والزوجات يعني تشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر وليقبل بعضكم من بعض من المعروف والجميل قال الكسائي ائتمروا وانشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك وأصل معناه ليأمر بعضكم بعضا بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم قال مقاتل المعنى ليتراض الاب والام على أجر مسمى قيل والمعروف الجميل من الزوج أن يوفر لها الاجر والمعروف الجميل منها ان لاتطلب ما يتعاسره الزوج من الاجر (وان تعاسرتم) في حق الولد وأجر الرضاع فابى الزوج أن يعطي الام الاجر وأبت الام ان ترضعه الا بما تريد من الاجر (فسترضع له أخرى) أي يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده ولا يجب عليه ان يسلم ما تطلبه الزوجة ولا يجوز له ان يكرهها على الارضاع بما يريد من الاجر وقال الضحاك ان أبت الام ان ترضع استأجر لولده

منها ولا تدخل فى هذا الخطاب وقوله تعالى ماهن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم اى لا تصير المراة بقول الرجل انت على كأمى او مثل امى او كظهر امى وما اشبه ذلك لا تصير امه بذلك انما امه التى ولدته ولهذا قال تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا اى كلاما فاحشا باطلا وان الله لعفو غفور اى عما كان منكم فى حال الجاهلية وهكذا ايضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد اليه المتكلم كما رواه أبو داود ⁂ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لامرأته يا أختى فقال أختك هى فهذا انكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لانه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لانه لا فرق على الصحيح بين الام وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اختلف السلف والائمة فى المراد بقوله تعالى ثم يعودون لما قالوا فقال بعض الناس العود هو ان يعود الى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود وحكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الاشج والفراء وفرقة من أهل الكلام وقال الشافعى هو ان يمسكها بعد المظاهرة زمانا يمكنه ان يطلق فيه فلا يطلق وقال أحمد بن حنبل هو ان يعود الى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة وقد حكى عن مالك انه العزم على الجماع أو الامساك وعنه انه الجماع وقال أبو حنيفة هو ان يعود الى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريما لا يرفعه الا الكفارة واليه ذهب الصحابة والليث بن سعد وقال ابن لهيعة حدثنى عطاء عن سعيد بن جبير ثم يعودون لما قالوا يعنى يريدون ان يعودوا فى الجماع الذى حرموه على أنفسهم وقال الحسن البصرى يعنى الغشيان فى الفرج وكان لا يرى (٤١١) بأسا ان يغشى فيما دون الفرج قبل ان يكفر

⁂ بياض بالاصل

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من قبل ان يتماسا والمس النكاح وكذا قال عطاء والزهرى وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الزهرى ليس له ان يقبلها ولا يمسها حتى يكفر وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس ان رجلا قال يا رسول الله انى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها قبل ان أكفر فقال ما حملك على ذلك يرحمك الله قال رأيت خلخالها فى ضوء القمر قال فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل وقال الترمذى حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائى من حديث عكرمة مرسلا قال النسائى وهو أولى بالصواب وقوله تعالى فتحرير رقبة أى فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا فههنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالايمان وفى كفارة القتل مقيدة بالايمان فحمل الشافعى رحمه الله ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد فى ذلك بما رواه عن مالك باسناده عن معاوية بن الحكم السلمى فى قصة الجارية السوداء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة وقد رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نمير عن اسمعيل بن مسلم عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال انى ظاهرت من امرأتى ثم وقعت عليها قبل ان أكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله تعالى من قبل أن يتماسا قال اعجبتنى قال امسك حتى تكفر ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس باحسن من هذا واسمعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقه انه لم يأمره الا بكفارة واحدة وقوله تعالى ذلكم توعظون به أى تزجرون به والله بما تعملون خبير أى خبير بما يصلحكم عليم باحوالكم وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا قد تقدمت الاحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت فى الصحيحين فى قصة الذى جامع امرأته فى رمضان ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله أى شرعناه هذا لهذا وقوله تعالى وتلك حدود الله أى محارمه فلا تنتهكوها وقوله تعالى وللكافرين عذاب أليم أى الذين لم يؤمنوا ولا التزموا

لولده أخرى فان لم تقبل أجبرت امه على الرضاع بالاجر وهو خبر بمعنى الامر والظاهر انه على بابه وفيه معاتبة للام على المعاسرة لان المبذول من جهتها اللبن وهو غير متمول ولا يضن به لا سيما على الولد بخلاف ما يبذل من الاب فانه مال يضن به عادة (لينفق ذو سعة من سعته) فيه الامر لاهل السعة بان يوسعوا على المرضعات من نسائهم على قدر سعتهم (ومن قدر عليه رزقه) أى كان رزقه بمقدار القوت أو مضيق ليس بموسع (فلينفق مما آتاه الله) أى مما أعطاه من الرزق ليس عليه غير ذلك وفى الخطيب يقدر القاضى النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعى محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتى فيها وتقديرها هو بحسب حال الزوج وحده من عسره ويسره ولا

باحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الامر كما زعموا بل لهم عذاب أليم أي في الدنيا والآخرة (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم) يخبر تعالى عمن شاق الله ورسوله وعاندوا شرعه كبتوا كما كبت الذين من قبلهم أي أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات أي واضحات لا يعاندها ولا يخالفها الا كافر فاجر مكابر وللكافرين عذاب مهين أي في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه ثم قال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا وذلك يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فينبئهم بما عملوا أي فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر أحصاه الله ونسوه أي ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا والله على كل شئ شهيد أي لا يغيب عنه شئ ولا يخفى ولا ينسى شيأ ثم قال تعالى مخبرا عن احاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة أي من سر ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب وقال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ولهذا حكى غير واحد الاجماع على ان المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في ارادة ذلك ولكن وسمعه أيضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شئ ثم قال تعالى ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم قال الامام أحمد افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيأ الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه قال اليهود وكذا قال مقاتل بن حيان وزاد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة وكانوا اذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن انهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فاذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا الى النجوى فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثني سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن وأبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا النجوى ألم تنهوا عن النجوى قلنا تبنا الى الله يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه قلنا بلى

اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارث فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في العسر واليسر ولان الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة انتهى والتقدير المذكور مسلم في نفقة الزوجة ونفقة المطلقة اذا كانت رجعية مطلقا أو بائنا حاملا بخلاف المرضعة قاله سليمان الجمل عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل انه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث اليه بألف دينار وقال للرسول انظر ماذا يصنع بها اذا أخذها فما لبث ان لبس ألين الثياب وأكل أطيب الطعام فجاء الرسول فأخبره فقال رحمه الله تأول هذه الآية لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر

يارسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل هذا اسناد غريب وفيه بعض الضعفاء وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو ما يختص بهم والعدوان وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها و يتواصون بها وقوله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن نمير عن الاعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة وعليكم السام قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قلت ألا تسمعهم يقولون السام عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما سمعت أقول وعليكم فانزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وفي رواية في الصحيح انها قالت لهم عليكم السام والذام واللعنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا وقال ابن جرير حدثنا ابن بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع اصحابه اذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا سلم يا رسول الله قال بل قال سام عليكم أي تسامون دينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوه فردوه عليه فقال نبي الله أقلت سام عليكم قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أي عليك ما قلت وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه وقوله تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول أي يفعلون هذا و يقولون ما يحرفون من الكلام وابهام السلام وانما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لان الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبيا حقا لاوشك ان يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى حسبهم جهنم أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة يصلونها و بئس المصير وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ان اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليك ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فنزلت هذه الآية واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله و يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير اسناد حسن ولم يخرجوه وقال العوفي عن ابن عباس واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله قال كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حيوه سام عليك قال الله تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ثم قال الله تعالى مؤدبا عباده المؤمنين ان لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون أي فيخبركم بجميع اعمالكم وأقوالكم التي قد احصاها عليكم وسيجزيكم بها قال الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال كنت آخذا بيد ابن عمر اذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه و يستره من الناس و يقرره بذنوبه و يقول له أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة ثم قال تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيأ الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي انما

قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أي ما أعطاها من الرزق فلا يكلف الفقير بان ينفق ما ليس في وسعه بل عليه ما يقدر عليه وتبلغ اليه طاقته مما اعطاه الله من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أي بعد ضيق وشدة سعة وغنى وهذا وعد لذي العسر باليسر وقد صدق الله وعده فمن كانوا موجودين عند نزول الآية ففتح عليهم جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى صاروا أغنى الناس وصدق الآية دائم غير انه في الصحابة أتم لان ايمانهم أقوى من غيرهم ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الاحكام حذر من مخالفتها وذكر عتو قوم خالفوا أوامره فحل بهم عذابه فقال (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) يعني وكم من أهل قرية عصوا أمر الله ورسله وأعرضوا عن أمرهما على

النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوأ من الشيطان ليحزن الذين آمنوا يعني انما يصدر هذا من المنافقين عن تسويل الشيطان وتزيينه ليحزن الذين آمنوا أي ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيأ الا باذن الله ومن أحس من ذلك شيأ فليستعذ بالله وليتوكل على الله فانه لا يضره شئ باذن الله وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا حدثنا الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه أخرجاه من حديث الاعمش وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه انفرد باخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وآمرا لهم ان يحسن بعضهم الى بعض في المجالس يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس وقرئ في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وذلك ان الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة وفي الحديث الآخر ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى فافسحوا يفسح الله لكم قال قتادة نزلت هذه الآية في مجالس الذكر وذلك انهم كانوا اذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والانصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون ألستم تزعمون ان صاحبكم هذا يعدل بين الناس والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء ان قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فتفسح القوم لاخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة رواه ابن أبي حاتم وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به وقال الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا على شرط السنن ولم يخرجوه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب عن عبد الرحمن بن صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم ورواه أيضا عن شريح بن يونس ويونس بن محمد المؤدب عن فليح به

تضمين عتت معنى أعرضت أو أخرجت وقد قدمنا الكلام في كأين في آل عمران وغيرها (فحاسبناها حسابا شديدا) أي شددنا على أهلها في الحساب بما عملوا ابالمناقشة والاستقصاء قال مقاتل حاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو معنى قوله (وعذبناها عذابا نكرا) أي عذبنا أهلها عذابا عظيما منكرا في الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي عذبنا أهلها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وحاسبناهم في الآخرة حسابا شديدا قال ابن عباس يقول لم ترحم والنكر المنكر قرئ نكرا بسكون الكاف وضمها وهما سبعيتان (فذاقت وبال أمرها) أي عاقبة كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي هلاكا في الدنيا وعذابا في الآخرة وجيء به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله

ولفظه لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم تفرد به أحمد وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد اذا جاء على أقوال فنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث قوموا الى سيدكم ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث من أحب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبي صلى الله عليه وسلم حاكما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين قوموا الى سيدكم وما ذاك الا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم فاما اتخاذه ديدنا فانه من شعار العجم وقد جاء في السنن انه لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك وفي الحديث المروي في السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضي الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره وبين يديه غالبا عثمان وعلي لانهما كانا ممن يكتب الوحي وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الاعمش عن عمارة بن عمير عن أبي معمر عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليليني منكم أولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وما ذاك الا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر اما لتقصير أولئك في حق البدريين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليما بتقديم الافاضل الى الامام وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن الاعمش عن عمارة بن عمير الليثي عن أبي معمر عن أبي مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح منا كبنا في الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني منكم أولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال أبو مسعود فانتم اليوم أشد اختلافا وكذا رواه مسلم وأهل السنن الا الترمذي من طرق عن الاعمش به واذا كان هذا أمره لهم في الصلاة ان يليه العقلاء ثم العلماء فبطريق الاولى ان يكون ذلك في غير الصلاة وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بايدي اخوانكم ولا تذروا فرجات الشيطان ومن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء اذا انتهى الى الصف الاول انتزع منه رجلا يكون من افناد الناس ويدخل هو في الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث ليليني منكم أولو الاحلام والنهى وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه ولنقتصر على هذا المقدار من الانموذج المتعلق بهذه الآية والا فبسطه يحتاج الى غير هذا الموضع وفي الحديث الصحيح بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ أقبل ثلاثة نفر فاما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها واما الآخر فجلس وراء الناس وأدبر الثالث ذاهبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخبر الثلاثة أما الاول فآوى الى الله فآواه الله واما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا اسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين الا باذنهما ورواه أبو داود والترمذي من حديث اسامة بن زيد الليثي به وحسنه الترمذي وقد روي عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما انهم قالوا في قوله تعالى اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يعني في مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله واذا قيل انشزوا فانشزوا أي انهضوا للقتال وقال قتادة واذا قيل انشزوا فانشزوا أي اذا دعيتم الى خير فاجيبوا وقال مقاتل اذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها وقال عبد الرحمن

وعد الله ووعيده ملق في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان (أعد الله لهم عذابا شديدا) في الآخرة وهو عذاب النار والتكرير للتأكيد (فاتقوا الله يا أولي الالباب) أي يا أصحاب العقول الراجحة وقوله (الذين آمنوا) في محل نصب بتقدير أعني بيانا للمنادى أو عطف بيان له أو نعت (قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا) فيه أوجه أحدها واليه ذهب الزجاج والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل بحرف مصدري وفعل كأنه قيل ان ذكر رسولا الثاني انه جعل نفس الذكر مبالغة فابدل منه الثالث انه بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره أنزل ذا ذكر رسولا الرابع كذلك الا ان رسولا نعت لذلك المحذوف الخامس انه بدل منه على حذف مضاف من الثاني أي ذكرا ذا رسول السادس

ابن زيد بن أسلم كانوا اذا كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم في بيته فارادوا الانصراف أحب كل منهم ان يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه عليه السلام وقد تكون له الحاجة فامروا انهم اذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير أي لا تعتقدوا انه اذا فسح أحد منكم لاخيه اذا أقبل أو اذا أمر بالخروج فخرج ان يكون ذلك نقصا في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة فان من تواضع لامر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ان نافع بن عبد الحرث لقي عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادي قال استخلفت عليهم ابن ابزى قال رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى فقال يا امير المؤمنين انه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص فقال عمر رضي الله عنه أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال ان الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم واهله وما ورد في ذلك من الاحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم (٤١٦) أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين اذا أراد أحدهم ان يناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لان يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى ذلك خير لكم واطهر ثم قال تعالى فان لم تجدوا أي الا من عجز عن ذلك لفقره فان الله غفور رحيم فما أمر بها الا من قدر عليها

أن يكون رسولا نعتا لذكرا على حذف مضاف أي ذكرا ذا رسول فذا رسول نعت لذكرا السابع ان يكون رسولا بمعنى رسالة فيكون رسولا بدلا صريحا من غير تأويل أو بيانا عند من يرى جريانه في النكرات كالفارسي الا ان هذا يبعده قوله الآتي يتلو عليكم لان الرسالة لا تتلو الا بمجاز الثامن أن يكون رسولا منصوبا بفعل مقدر أي أرسل رسولا قال الزجاج انزال الذكر دليل على اضمار ارسل التاسع أن يكون منصوبا على الاغراء أي اتبعوا والزموا رسولا ذكره السمين وقيل ان الذكر ههنا بمعنى الشرف كقوله لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله وانه لذكر لك ولقومك ثم بين هذا الشرف فقال رسولا واختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن نفسه أو جبريل فقد ذهب الاكثر ومنهم ابن عباس الى ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي

هو

ثم قال تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أي أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل انه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ابن ابي نجيح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب قدم دينارا صدقة تصدق به ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم انزلت الرخصة وقال ليث بن ابي سليم عن مجاهد قال علي رضي الله عنه آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت اذا جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة الآية وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن ابي الجعد عن علي بن علقمة الانماري عن علي رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قال لا يطيقون قال نصف دينار قال لا يطيقون قال ما ترى قال شعيرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لزهيد قال علي فبي خفف الله عن هذه الامة وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنزلت أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الاشجعي عن سفيان الثوري

عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الانصاري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ماترى دينار قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ثم قال هذا حديث حسن غريب انما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب ورواه ابو يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيي بن آدم به وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة الى فان الله غفور رحيم كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله فقدموا بين يدي نجواكم صدقة وذلك ان المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله ان يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسئلة فانزل الله بعد هذا أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى فقدموا بين يدي نجواكم صدقة نسختها الآية التي بعدها أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الى آخرها وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسئلة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل اذا كانت له الحاجة الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فلا يستطيع ان يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فانزل الله الرخصة بعد ذلك فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقال معمر عن قتادة اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم (٤١٧) صدقة انها منسوخة ما كانت الا ساعة من نهار وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال علي ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت الا ساعة (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله

هو جبريل وبه قال الزمخشري والمراد بالذكر القرآن ويختلف المعنى باختلاف وجوه الاعراب السابقة كما لا يخفى ثم نعت سبحانه الرسول المذكور بقوله (يتلو عليكم آيات الله مبينات) أي حال كونها واضحات ظاهرات قرأ الجمهور على صيغة اسم المفعول اي بينها الله واوضحها وقرئ على صيغة اسم الفاعل أي الآيات تبين للناس ما يحتاجون اليه من الاحكام ورجح الاول أبو حاتم وأبو عبيد لقوله قد بينا لكم الآيات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بعد مجيء الذكر والرسول (من الظلمات الى النور) اللام (١) متعلقة بيتلو اي ليخرج الرسول الذي يتلو الآيات اياهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية أو من الجهل الى العلم أو من الكفر الى الايمان أو متعلقة بأنزل فيكون المخرج هو الله سبحانه (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) أي يجمع بين التصديق والعمل بما فرضه الله عليه مع

 فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) يقول تعالى منكرا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الامر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا وقال ههنا ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن ثم قال تعالى ماهم منكم ولا منهم أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة لا منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى ويحلفون على الكذب وهم يعلمون يعني المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بانهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس ولاسيما في مثل حالهم اللعين عياذا بالله منه فانهم كانوا اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا جاؤا الرسول حلفوا له بالله انهم مؤمنون وهم في ذلك يعلموا انهم يكذبون فيما حلفوا به لانهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وان كان في نفس الامر مطابقا ولهذا اشهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك ثم قال تعالى أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون أي أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الاليم على اعمالهم السيئة وهي موالاة الكافرين ومعادات المؤمنين وغشهم ولهذا قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله أي أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالايمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس فلهم عذاب مهين أي في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم

(١) والمناسب لقول المؤلف بعد مجيء الذكر والرسول هو الوجه الثاني تأمل اه ذو الفقار أحمد

في الايمان الكاذبة الحانثة ثم قال تعالى لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أي لن يدفع ذلك عنهم بأسا اذا جاءهم أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ثم قال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء أي يحلفون لله عز وجل انهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لان من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون ان ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الاحكام الظاهرة ولهذا قال ويحسبون انهم على شيء أي حلفهم ذلك لربهم عز وجل ثم قال تعالى منكرا عليهم حسبانهم الا انهم هم الكاذبون فأكد الخبر عنهم بالكذب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا زهير عن سماك ابن حرب حدثني سعيد بن جبير ان ابن عباس حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال انه سيأتيكم انسان ينظر بعيني شيطان فاذا أتاكم فلا تكلموه فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال علام تشتمني انت وفلان وفلان نفر دعاهم باسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا اليه قال فأنزل الله عز وجل فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون وهكذا رواه الامام أحمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثوري عن سماك بنحوه اسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا (٤١٨) على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ثم قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى انساهم ان يذكروا الله عز وجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب ابن حبيش عن معدان ابن أبي طلحة اليعمري عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية قال زائدة قال قال السائب يعني الصلاة في الجماعة ثم قال تعالى أولئك حزب الشيطان يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ثم قال تعالى الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد أي مجانبون للحق مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية أولئك في الاذلين أي في الاشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الاذلين في الدنيا والآخرة كتب الله لاغلبن أنا ورسلي أي قد حكم وكتب في كتابه الاول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بان النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وان العاقبة للمتقين كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال ههنا كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز أي كتب القوي العزيز انه الغالب لاعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبرم ان العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الاقربين كما قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين

اجتناب ما نهاه عنه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) قرأ الجمهور يدخله بالتحتية وقرئ بالنون وهي سبعية وعليها ففي الكلام التفات من الغيبة الى التكلم وجمع الضمير في قوله (خالدين فيها أبدا) باعتبار معنى من ووحده في ندخله باعتبار لفظها (قد أحسن الله له (١) رزقا) أي وسع له رزقه في الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة وقال القشيري الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك أرزاق القلوب احسنها أن يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار عليها ذكره الخطيب (الله الذي خلق) أي أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع (سبع سموات) يعني بعضها فوق بعض

(١) فيه رجوع لمراعاة لفظ من ففي هذه العبارة مراعاة اللفظ أولا ثم المعنى ثانيا ثم اللفظ ثالثا اه سيد ذو الفقار احمد

أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه الآية وقال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره انزلت هذه الآية لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الى آخرها في ابي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل اباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الامر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته وقيل في قوله تعالى ولو كانوا آباءهم نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر أو أبناءهم في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن أو اخوانهم في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير أو عشيرتهم في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله اعلم قلت ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في اسارى بدر فاشار الصديق بان يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى ان يهديهم وقال عمر لا ارى ما رأى يا رسول الله هل تمكنني من فلان قريب لعمر فاقتله وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله انه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها وقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أي من اتصف بانه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الايمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الايمان في بصيرته قال السدي كتب في قلوبهم الايمان جعل في قلوبهم الايمان (٤١٩) وقال ابن عباس وأيدهم بروح منه أي قواهم وقوله تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه كل هذا تقدم تفسيره غير مرة وفي قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه سر بديع وهو انه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما اعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم وقوله تعالى أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بانهم حزب الشيطان ثم قال الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه يقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابي عن الذيال بن عباد قال كتب أبو حازم الاعرج الى الزهري اعلم ان الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لاوليائه وانهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الاخفياء الاتقياء الابرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وقال نعيم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فاني وجدت فيما أوحيته الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله قال سفيان يرون انها انزلت فيمن يخالط السلطان رواه ابو أحمد العسكري آخر تفسير سورة المجادلة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحشر وكان ابن عباس يقول سورة بني النضير وهي مدنية) قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن ابي بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال انزلت في بني النضير ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ورواه البخاري من حديث ابي عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال سورة بني النضير

(بسم الله الرحمن الرحيم) سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل

قال النسفي أجمع المفسرون على ان السموات سبع وقال الخطيب لا خلاف فيه لحديث الاسراء وغيره (ومن الارض مثلهن) في العدد يعني سبعا قرأ الجمهور مثلهن بالنصب على انه عطف على سبع سموات قاله الزمخشري أو على تقدير فعل أي وخلق من الارض مثلهن وقرئ بالرفع على الابتداء والجار والمجرور قبله خبره قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية واختلف الناس في المثلية وكيفية طبقات الارض على قولين أحدهما وهو قول الجمهور انها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك انها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه في البخاري والترمذي وغيرهما وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد

الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة
اوتركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين) يخبر تعالى ان جميع ما في السموات وما في الارض من شئ يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلي له ويوحده كقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله تعالى وهو العزيز اي منيع الجناب الحكيم في قدره وشرعه وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني يهود بني النضير قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على ان لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فاحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له وانزل عليهم قضاءه الذي لا يصد فاجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم واخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظنوا انها مانعتهم من بأس الله فما اغنى عنهم من الله شيأ وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم وسيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا الى اذرعات من اعالي الشام وهي ارض المحشر والمنشر ومنهم طائفة ذهبوا الى خيبر وكان قد انزلهم منها على ان لهم ما حملت ابلهم فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن ان تحمل معهم ولهذا قال تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا

يا اولي الابصار اي تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الاليم قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان كفار قريش كتبوا الى ابن أبي ومن كان معه يعبد الاوثان من الاوس والخزرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة قبل رجعة بدر انكم أدنيتم صاحبنا وانا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنكم أو لنسيرن اليكم باجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم فلما بلغ ذلك عبد الله ابن أبي ومن كان معه من عبدة الاوثان أجمعوا القتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم باكثر مما تريدان تكيدوا به انفسكم يريدون ان تقاتلوا ابناءكم واخوانكم فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر الى اليهود انكم أهل الحلقة والحصون وانكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شئ وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي صلى الله عليه وسلم أجمعت بنو النضير بالغدر فأرسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقي بمكان النصف وليسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ١ فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم فقال لهم انكم والله لا تأمنون عندي الا بعهد تعاهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم الى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم وغدا الى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الابل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها وكان نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله اياها وخصه بها فقال تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يقول

قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول من أخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين الى آخر كلامه وفي الحديث لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن الحديث وقد مضى في سورة البقرة قول الماوردي وعلى انها سبع أرضين تختص دعوة الاسلام بأهل الارض العليا ولا تلزم في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله خلق لهم ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وعن ابن عباس انها
سبع

١ هكذا بياض في بعض النسخ اه

بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها الرجلين من الانصاري وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الانصار غيرهما وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير انه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم وكانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في اثناء الطريق راجعا الى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد قتلت رجلين لأودينهما وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها قال محمد بن اسحق بن يسار في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر الذين قتل عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما فيما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال انا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة (٤٢١) كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا الى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة ففعل فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام وخلوا الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم يسلم من بني النضير الا رجلان يامين بن عمير بن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها قال ابن اسحق وقد حدثني بعض آل يامين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني فجعل يامين بن عمير لرجل جعلا على ان يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون قال ابن اسحق ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحق بنحو ما تقدم فقوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم

سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء حكاه الكلبي عن أبي صالح عنه فعلى هذا ان كان لقوم منهم وصول الى أرض أخرى احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم واحتمل ان لا تلزمهم لانه لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها مأمورا ذكره الخطيب في تفسيره وقال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السماء الثانية أرض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى السماء الثالثة أرض وكذا البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه أرض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع أرضين انتهى وعن ابن عباس انه قال له رجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الى آخر السورة فقال ابن عباس

لاول الحشر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال من شك في ان أرض المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر وحدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو اسامة عن عوف عن الحسن قال لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير قال هذا أول الحشر وأنا على الاثر ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به وقوله تعالى ما ظننتم أن يخرجوا أي في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ولهذا قال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا أي جاءهم من أمر الله مالم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الاخرى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أي الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه وقوله يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين قد تقدم تفسير ابن اسحق لذلك وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وتحملها على الابل وكذا قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلهم فاذا ظهر على درب أو دار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود اذا علوا مكانا أو علقوا على درب أو دار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودبروها يقول الله تعالى فاعتبروا يا أولي الابصار وقوله ولولا (٤٢٢) أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي لولا ان كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم فكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك قاله الزهري عن عروة والسدي وابو زيد لان الله قد كتب عليهم انه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا من الجلاء وان لهم ما أقلت الابل من الاموال والامتعة الا الحلقة وهي السلاح فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الشام قال والجلاء انه كتب عليهم في آي من التوراة وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم سبح لله ما في السموات وما في الارض الى قوله وليخزي الفاسقين وقال عكرمة الجلاء القتل وفي رواية عنه الفناء وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد الى البلد وقال الضحاك أجلاهم الى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيرا وسقاء فهذا الجلاء وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا ابو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن كامل القاضي حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي عن عمي حدثني أبي عن جدي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم وان يسيرهم الى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء والجلاء اخراجهم من أرضهم الى أرض أخرى وروى أيضا من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن ابراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني النضير وأمره ان يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال وقوله تعالى ولهم في الآخرة عذاب النار أي حتم لازم لابد لهم منه وقوله تعالى ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله أي انما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لانهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين

ما يؤمنك ان أخبرتك بها فتكفر أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير وعنه في قوله وفي الارض مثلهن قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الضحى قال البيهقي هذا اسناد صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لابي الضحى عليه متابعا وعنه قال في كل أرض مثل ابراهيم ونحو ما على الارض من الخلق أخرجه ابن جرير الطبري من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى قال الحافظ في الفتح هكذا أخرجه مختصرا واسناده صحيح وقال ابن كثير هذا وامثاله اذا لم يصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى وتصحيح الحاكم له ليس بذلك قال السيوطي ولم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم له حتى رأيت البيهقي قال اسناده صحيح لكن شاذ

في البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب وقوله تعالى ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين اللين نوع من التمر وهو جيد قال أبو عبيدة وهو ماخالف العجوة والبرني من التمر وقال كثيرون من المفسرين اللينة ألوان التمر سوى العجوة قال ابن جرير هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة أيضا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم اهانة لهم وارهابا وارعابا لقلوبهم فروى محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان انهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الاشجار فأنزل الله هذه الآية الكريمة أي ماقطعتم من لينة وماتركتم من الاشجار فالجميع باذنه ومشيئته وقدره ورضاه وفيه نكاية للعدو وخزي لهم وارغام لانوفهم وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا انما هي مغانم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وانما قطعه وتركه باذنه وقد روي نحو هذا مرفوعا فقال النسائي أخبرنا الحسن بن محمد عن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين قال ليستنزلوهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم فقال المسلمون قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر وهل علينا فيما تركنا من وزر فأنزل الله ماقطعتم من لينة وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر (٤٢٣) وعن أبي الزبير عن جابر قال رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله علينا اثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله عز وجل ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى ابن عقبة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير وحرق وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين الا بعضهم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة ولهما أيضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فأنزل الله عز وجل فيه ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين وللبخاري رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحرث يقول

أدام الله ذلك من صنيع * وحرق في نواحيها السعير
ستعلم أينا منها بنزه * وتعلم أي أرضينا نضير

كذا رواه البخاري ولم يذكره ابن اسحق وقال محمد بن اسحق وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضير وقتل ابن الاشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور * كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب * عظيم أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما * وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا * وآيات مبينة تنير

شاذ بمرة انتهى ولا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يصح الاسناد ويكون في المتن علة وشذوذ تقدح في صحته قاله القسطلاني وقال في البداية هذا محمول ان صح نقله على ان ابن عباس أخذه من الاسرائيليات ونحوه قال السخاوي في المقاصد الحسنة ومثله في تفسير روح البيان وزاد نقلا عن السيوطي انه قال يمكن أن يؤول على ان المراد بهم الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه انتهى ونحوه في ارشاد الساري والحاصل ان الاثر المذكور وان صح فهو موقوف شاذ والشاذ لايحتج به كما قال الطيبي في الخلاصة وغيره في غيرها ولفظها والموقوف هو مطلق ماروي عن الصحابي من قول أو فعل متصلا كان أو منقطعا وهو ليس بحجة على الصحيح وقال النووي في شرح مسلم الموقوف ليس بحجة على المختار عند الغزالي وهو الصحيح انتهى قال

فقالوا ما أتيت بأمر صدق * وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقا * يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد * ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشربوا غدرا وكفرا * وجد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق * وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم * وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته * بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا * إلى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر * ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء * أبادهم بما اجترموا المبير
غداة أتاهم في الزحف رهوا * رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه * على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكم فصدوا * وحالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غب أمرهم وبالا * لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع * وغودر منهم نخل ودور

قال وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن لقيم العبسي ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف قال ابن هشام الأشجعي

أهلي فداء لامرئ غير هالك * أجلى اليهود بالحسي المزنم
يقيلون في جمر الغضاة وبدلوا * أهيضب عودا بالودي المكمم
فإن يك ظني صادقا بمحمد * يروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم * عدو وما حي صديق كمجرم
عليهن أبطال مساعير في الوغى * يهزون أطراف الوشيج المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهند * تورث من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عني قريشا رسالة * فهل بعدهم (٤٢٤) في المجد من متكرم
بأن أخاكم فاعلمن محمدا * تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم * وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
نبي تلافته من الله رحمة * ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان في بدر لعمري عبرة * لكم يا قريش والقليب الملمم
غداة أتى في الخزرجية عامدا * إليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكي عدوه * رسولا من الرحمن حقا بعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه * فلما أنار الحق لم يتلعثم
أرى أمره يزداد في كل موطن * علوا لأمر حمه الله محكم

الخفاجي الذي نعتقده أن الأرض سبع ولها سكان من خلقه يعلمهم الله تعالى انتهى وهذا أعدل الأقوال وأحوطها وقال النيسابوري ذكر الثعالبي في تفسيره فصلا في خلق السموات والأرض وأشكالهم وأسمائهم أضربنا عن إيرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات انتهى وما جاء عن كعب ووهب وأمثالهما في هذا الباب فكله لا يعتد به لأنهم أخذوه من الإسرائيليات وعن جابر بن عبد الله في حديث طويل يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعني الأرض قال خلق قال فما تحت الأرض قال الماء قال فما تحت الماء قال ظلمة قال فما تحت الظلمة قال الهواء قال فما تحت الهواء فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال انقطع علم الخلائق أيها السائل فقال صدقت أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله

وقد أورد ابن إسحق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة تركنا باقيها اختصارا واكتفاء بما ذكرناه ولله الحمد والمنة قال ابن إسحق كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة أشهر (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) يقول تعالى مبينا ما الفيء وما صفته وما حكمه فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات فقال تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم من بني النضير فما أوجفتم عليه من خيل وركاب يعني الإبل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء ثم قال تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى أي جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إلى آخرها والتي بعدها فهذه

مصارف أموال الفيء ووجوهه قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته وقال مرة قوت سنته ومابقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصرا وقد أخرجه الجماعة في كتبهم الا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهري به وقد رويناه مطولا وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا حدثنا بشر ابن عمر الزهراني حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالسا على سرير مفضيا الى رماله فقال حين دخلت عليه يامال انه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم قلت لو أمرت غيري بذلك فقال خذه فجاءه يرفا فقال ياأمير المؤمنين هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص قال نعم فاذن لهم فدخلوا ثم جاءه يرفا فقال ياأمير المؤمنين هل لك في العباس وعلي قال نعم فاذن لهما فدخلا فقال العباس ياأمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني عليا فقال بعضهم أجل ياأمير المؤمنين اقض بينهما وارحهما قال مالك بن اوس خيل الي انهما قدما أولئك النفر لذلك فقال عمر رضي الله عنه اتئدا ثم أقبل على أولئك الرهط فقال أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة قالوا نعم ثم اقبل على علي والعباس فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم

السماء والارض هل تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة فقالا نعم فقال ان الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها احدا من الناس فقال تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير فكان الله تعالى افاء على رسوله بني النضير فوالله ما استأثر بها عليكم ولا احرزها دونكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة اهله سنة ويجعل مابقي اسوة المال ثم اقبل على أولئك الرهط فقال انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ذلك قالوا نعم ثم أقبل على علي والعباس فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمان ذلك قالا نعم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت انت وهذا الى أبي بكر تطلب انت ميراثك من ابن اخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من ابيها فقال أبو بكر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانورث ماتركنا صدقة والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر فلما توفي قلت انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي ابي بكر فوليتها ماشاء الله ان أليها فجئت انت وهذا وانتما جميع وأمركما واحد فسألتمانيها فقلت ان شئتما فانا ادفعها اليكما على ان عليكما عهد الله ان تلياها بالذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يليها فاخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لاقضي بينكما بغير ذلك والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فرداها الي أخرجوه من حديث الزهري به وقال الامام أحمد حدثنا عارم وعفان قالا أخبرنا معتمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك قال وان أهلي أمروني ان آتي النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله قال فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فاعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول كلا والله الذي لا اله الا هو لا يعطيكهن وقد اعطانيهن او كما قالت فقال نبي الله لك كذا وكذا

ورسوله أعلم قال هذا جبريل الحديث مختصرا أخرجه الحافظ ابن كثير بسنده وأخرجه ابن مردويه أيضا عنه بطوله وهذا الحديث يرد ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كان قد صح قوله وبسط الكلام على هذا لا يأتي بفائدة يعتد بها ويكفي الاعتقاد بكون السموات سبعا والارضين سبعا كما ورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة ولا ينبغي الخوض في خلقهما ومافيهما فانه شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه لا يحيط به أحد سواه ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض في أمثال هذه المسائل والتفكر فيها والكلام عليها وبالله التوفيق وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الارضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح

قال وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا قال وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا قال حتى اعطاها حسبت انه قال عشرة أمثاله او قال قريبا من عشرة امثاله اوكما قال رواه البخاري ومسلم من طرق عن معمر به وهذه المصارف المذكورة في هذه هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الانفال بما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد وقوله تعالى كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم اي جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الاغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيأ الى الفقراء وقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا اي مهما امركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فانه انما يأمر بخير وانما ينهى عن شر قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة الى ابن مسعود فقالت بلغني انك تنهى عن الواشمة والواصلة أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت الذي تقول قال فما وجدت فيه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة قالت فلعله في بعض أهلك قال فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود (٤٢٦) قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت اليه فقالت بلغني انك قلت كيت وكيت قال مالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله تعالى فقالت اني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته فقال ان كنت قرأتيه فقد وجدتيه اما قرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه قالت اني لاظن اهلك يفعلونه قال اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيأ فجاءت فقالت ما رأيت شيأ فقال لو كان كذا لم تجامعنا اخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري وقد ثبت في الصحيحين ايضا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وقال النسائي اخبرنا احمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حيان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر وابن عباس انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله تعالى واتقوا الله ان الله شديد العقاب أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء انهم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين ثم قال تعالى مادحا للانصار

والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم الحديث بطوله وتفصيله قال الذهبي متعقبا للحاكم هو حديث منكر قال بعض أهل العلم لا ينبغي لاحد ان يغتر بتصحيح الحاكم للاحاديث حتى ينظر في تعقبات الذهبي له أو كما قال وعن ابن عباس قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين الارض التي نحن فيها (يتنزل الامر بينهن) مستأنفة أو صفة لما قبلها قرأ الجمهور يتنزل من التنزل ورفع الامر على الفاعلية وقرئ ينزل من الانزال ونصب الامر على المفعولية والفاعل الله سبحانه والامر الوحي وقيل القضاء والقدر والضمير عائد على السموات والارضين عند الجمهور أو على السموات والارض عند من يقول انها أرض واحدة قاله السمين قال المحلي في تفسيره ينزل به جبريل من السماء السابعة الى الارض السابعة انتهى قال علي القاري لم نجد هذا القول لغيره من المفسرين

وبيّنا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وايثارهم مع الحاجة فقال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر وأوصى الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبل ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم رواه البخاري ههنا أيضا قوله تعالى يحبون من هاجر اليهم أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم باموالهم قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله قال لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم لم اره في الكتب من هذا الوجه وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه الى الوليد قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم الانصار ان يقطع لهم البحرين قالوا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم أثرة تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال البخاري حدثنا الحكم بن نافع اخبرنا شعيب حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قالت الانصار اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا واطعنا تفرد به دون مسلم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي ولا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة قال الحسن البصري ولا يجدون في صدورهم حاجة يعني الحسد مما أوتوا قال قتادة يعني فيما أعطى اخوانهم وكذا قال ابن زيد ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الاولى فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الاولى فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت أبي فاقسمت اني لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي فعلت قال نعم قال أنس فكان عبد الله يحدث انه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيأ غير انه اذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير اني لم أسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث الليالي وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت انت الثلاث المرات فأردت ان آوي اليك لانظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هو الا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رأيت غير اني لم أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه قال عبد الله فهذه التي بلغت بك وهي التي لا نطاق ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به وهذا اسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن انس فالله اعلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا يعني مما أوتي المهاجرون قال وتكلم في اموال بني النضير بعض من تكلم في الانصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال

المفسرين اذ غاية من فسر الامر بالوحي قال في تفسير قوله بينهن أي بين هذه الارض العليا التي هي أولاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها انتهى قال سليمان الجمل وهذا التوقف من القاري مبني على ان المراد بالوحي وحي التكليف بالاحكام وليس بلازم لامكان حمله على وحي التصرف في الكائنات وعبارة الخطيب والاكثرون على ان الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها فيجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن انتهى وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة أو جن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماءين أرض وأمر وقال قتادة في كل أرض

رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك قالوا وماذاك يا رسول الله قال هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر فقالوا نعم يا رسول الله وقوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة يعني حاجة اى يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤن بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصدقة جهد المقل وهذا المقام اعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه وقوله وآتى المال على حبه فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة اليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما انفقوه ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقال رضي الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة واصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه الى صاحبه وهو جريح مثقل احوج ما يكون الى الماء فرده الآخر الى الثالث فما وصل الى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل ابن غزوان حدثنا ابو حازم الاشجعي عن ابي هريرة قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اصابني الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال أنا يا رسول الله فذهب الى أهله فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيأ فقالت والله ما عندي الا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة وانزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به بنحوه وفي رواية لمسلم تسمية هذا الانصاري بابي طلحة رضي الله عنه

من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهيآتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت أمر الله وللريح والسحاب ونحوهما (لتعلموا) اللام متعلقة بخلق أو يتنزل أو بمقدر أي فعل ذلك لتعلموا (ان الله على كل شئ) من عمر هذا العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة (قدير) اى بالغ القدرة فيأتي بعالم آخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في

وقوله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم انفرد باخراجه مسلم فرواه عن القعنبي عن داود بن قيس به وقال الاعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحرث عن زهير بن الاقمر عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش واياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الاعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال قال جاء رجل الى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن اني أخاف ان أكون قد هلكت فقال له عبد الله وما ذاك قال سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا أكاد ان أخرج من يدي شيأ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن انما الشح الذي ذكر الله في القرآن ان تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشئ البخل وقال سفيان الثوري عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الاسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا

يقول اللهم قنى شح نفسى لايزيد على ذلك فقلت له فقال انى اذا وقيت شح نفسى لم اسرق ولم ازن ولم افعل واذا الرجل عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه رواه ابن جرير وقال ابن جرير حدثنى محمد بن اسحق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى حدثنا اسمعيل ابن عياش حدثنا مجمع بن جارية الانصارى عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة وقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفىء وهم المهاجرون ثم الانصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال فى آية براءة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة واوصافهم الجميلة الداعون لهم فى السر والعلانية ولهذا قال تعالى فى هذه الآية الكريمة والذين جاؤا من بعدهم يقولون أى قائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا أى بغضا وحسدا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وما أحسن ما استنبط الامام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة ان الرافضى الذى يسب الصحابة ليس له فى مال الفىء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء فى قولهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقال ابن أبى حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى حدثنا محمد بن بشر حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة انها قالت أمروا ان يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية والذين جاؤا من بعدهم (٤٢٩) يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية وقال اسمعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لاتذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها رواه البغوى وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن الزهرى قال قال عمر رضى الله عنه وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب قال الزهرى قال عمر رضى الله عنه هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عربية وكذا وكذا ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم والذين جاؤا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين الا له فيها حق قال أيوب أو قال حظ الا بعض من تملكون من أرقائكم كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع وقال ابن جرير حدثنا عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن اوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب انما الصدقات للفقراء والمساكين حتى بلغ عليم حكيم ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى الآية ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى حتى بلغ للفقراء والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم والذين جاؤا من بعدهم ثم قال استوعبت هذه للمسلمين عامة وليس أحد الا وله فيها حق ثم قال لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه

(ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدار بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب

فى ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقير ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت قاله الخطيب وفى حاشية سليمان الجمل هذا كله بالنظر للامكان العقلى وهذا لايخالف مانقل عن الغزالى من قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان لان معناه انه قد تعلق علم الله فى الازل بانه لايخلق عالما غير هذا العالم وان كان خلقه جائزا ممكنا فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن لانه لو وقع لخالف مقتضى العلم الازلى فيلزم انقلاب العلم جهلا فصار ايجاد عالم آخر محالا عرضيا وان كان ممكنا ذاتيا فهذا معنى قول الشيخ ليس فى الامكان ابدع مما كان اى لايمكن ان يخلق الله عالما غير هذا العالم ونفى الامكان هو الاستحالة فكأنه قال هو محال ان يخلق عالما غير هذا العالم وقد عرفت ان هذه الاستحالة عرضية لاذاتية وبهذا تعرف سقوط مانقل عن البقاعى هنا تأمل انتهى أقول وهذا كله ليس بالنظر للامكان العقلى

أليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا الى يهود بني النضير يعدونهم النصر من انفسهم فقال تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم قال الله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون فيما وعدوهم به اما لانهم قالوا لهم قولا ومن نيتهم ان لا يفوا لهم به واما لانهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى ولئن قوتلوا لا ينصرونهم اي لا يقاتلون معهم ولئن نصروهم اي قاتلوا معهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون وهذه بشارة مستقلة بنفسها ثم قال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله اي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ولهذا قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون ثم قال تعالى لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدار يعني انهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الاسلام بالمبارزة والمقابلة بل اما في حصون أو من وراء جدار محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة ثم قال تعالى بأسهم بينهم شديد أي عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى ويذيق بعضكم بأس بعض ولهذا قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال ابراهيم النخعي يعني أهل الكتاب والمنافقين ذلك بانهم قوم لا يعقلون ثم قال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان يعني كمثل ما اصاب كفار

قريش يوم بدر وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن اسحق وهذا القول أشبه بالصواب فان يهود بني قينقاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قبل هذا وقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة مثالهم في هذا كمثل الشيطان اذ سول للانسان والعياذ بالله الكفر فاذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل وقال اني أخاف الله رب العالمين وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عباد بني اسرائيل هي كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي اسحق سمعت عبد الله بن نهيك قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول ان راهبا تعبد ستين سنة وان الشيطان أراده فأعياه فعمد الى امرأة فأجنها ولها اخوة فقال لاخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاؤا بها اليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها اذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد اليها فقتلها فجاء اخوتها فقال الشيطان للراهب انا صاحبك انك أعييتني أنا صنعت هذا بك فاطعني أنجك مما صنعت بك فاسجد لي سجدة فسجد له فلما سجد له قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين وقال ابن جرير حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة اخوة وكانت تأوي بالليل الى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فانك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان اخوتها في المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر باختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها

فقط كما قال سليمان الجمل بل الكتاب العزيز والسنة المطهرة يدلان على عموم قدرته وكمال قوته على ايجاد كل شيء فمدخل فيه ايجاد مثل هذا العالم دخولا أوليا وان لم يوجد على مقتضى العلم الازلي وقول الغزالي عبارة ساقطة ونفس فلسفية لا يليق التفوه بمثلها وان كان معناه صحيحا بالتأويل البعيد الفاسد والتوجيه البارد الكاسد ونظم الكتاب العزيز العالي يغني عن مثل عبارة كلام الغزالي (وان الله قد أحاط بكل شيء علما) فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنا ما كان وانتصاب علما على المصدرية لان احاط بمعنى علم أو هو صفة لمصدر محذوف أي احاط احاطة علما ويجوز ان يكون تمييزا محولا عن الفاعل من غير لفظ الاول

(سورة التحريم وقال القرطبي وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم اثنتا عشرة آية) وهي

فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا فوالله ما هذا الا لشيء قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال انى أنا الذى أوقعتك فى هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل وكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك واشتهر ذلك عند كثير من الناس ان هذا العابد هو برصيصا فالله اعلم وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فان جريجا اتهمته امرأة بغى بنفسها وادعت ان حملها منه ورفعت أمره الى ولى الامر فامر به فانزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول مالكم مالكم قالوا يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جدا ثم قال يا غلام من أبوك قال أبى الراعى وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا وقالوا نعيد صومعتك من ذهب قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت وقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها أى فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما الى نار جهنم خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين أى جزاء كل ظالم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن ابى جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من (٤٣١) مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فامر بلالا فاذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الى آخر الآية وقرأ الآية التى فى الحشر ولتنظر نفس ما قدمت لغد تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من أوزارهم شئ انفرد باخراجه مسلم من حديث شعبة باسناده مثله فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر وقوله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد أى حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لانفسكم من الاعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم واتقوا الله تأكيد ثان ان الله خبير بما تعملون أى اعلموا انه عالم بجميع اعمالكم واحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أى لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح الذى ينفعكم فى معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى أولئك هم الفاسقون أى الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك الخاسرون وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نمحة قال كان فى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه أما تعلمون انكم تغدون وتروحون لاجل معلوم فمن استطاع أن ينقص الاجل وهو فى عمل الله عز وجل فليفعل ولن تنالوا ذلك الا بالله عز وجل ان قوما جعلوا آجالهم لغيرهم

وهى مدنية قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير نحوه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) المراد بالتحريم هنا الامتناع من الاستمتاع لا اعتقاد كونه حراما بعدما أحله الله له فان هذا الاعتقاد لا يصدر منه صلى الله عليه وآله وسلم لانه كفر قاله الخطيب (تبتغى مرضات أزواجك) استئناف أو تفسير لقوله تحرم أو حال والمرضاة اسم مصدر وهو الرضا وأصله مرضوة وهو مضاف الى المفعول أى ان ترضى أزواجك أو الى الفاعل أى ان يرضين هن والمعنى لا ينبغى منك ان تشتغل بما يرضى الخلق

فنها كم الله عز وجل أن تكونوا امثالهم ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أين من تعرفون من اخوانكم قدموا على ماقدموا فى أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة أين الجبارون الاولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط قد صاروا تحت الصخر والآبار هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة واتضوا بسنائه وبيانه ان الله تعالى اثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين لا خير فى قول لا يراد به وجه الله ولا خير فى مال لا ينفق فى سبيل الله ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ولا خير فيمن يخاف فى الله لومة لائم هذا اسناد جيد ورجاله ثقات وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفى ولا اثبات غير ان أبا داود السجستانى قد حكم بان شيوخ جرير كلهم ثقات وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر والله أعلم وقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أى لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون وقال تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار فى آيات أخر دالات على ان الله تعالى يكرم الابرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا اصحاب الجنة هم الفائزون أى الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن (٤٣٢) الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) يقول تعالى معظما لامر القرآن ومبينا علو قدره وانه ينبغى ان تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله أى فاذا كان الجبل فى غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا الى آخرها يقول لو انى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته اياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله فأمر الله الناس اذا نزل عليهم القرآن ان يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وكذا قال قتادة وابن جرير وقد ثبت فى الحديث المتواتر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف الى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليخطب فجاوز الجذع الى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كأنين الصبى الذى يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحى عنده ففى بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصرى بعد ايراده فانتم أحق ان تشتاقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة اذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم وقد قال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى الآية وقد تقدم ان معنى ذلك أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ثم قال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم أخبر تعالى انه الذى لا اله الا هو فلا رب غيره ولا اله

بل اللائق ان أزواجك وسائر الخلق تسعى فى رضاك وتتفرغ أنت لما يوحى اليك من ربك قال الخطيب وفيه تنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغى وقيل كان ذلك ذنبا من الصغائر فلذا عاتبه الله عليه وقيل انها معاتبة على ترك الاولى وقال النسفى كان هذا زلة منه (والله غفور رحيم) اى بليغ المغفرة ورحمة لما فرط منك من تحريم ما أحل الله لك واختلف فى سبب نزول هذه الآية على اقوال الاول قول اكثر المفسرين قال الواحدى قال المفسرون كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بيت حفصة فزارت أباها فلما رجعت أبصرت مارية القبطية فى بيتها مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت فلما رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وجه حفصة الغيرة والكآبة قال لها لا تخبرى عائشة ولك على أن لا أقربها أبدا فاخبرت حفصة عائشة وكانتا متصافيتين فغضبت

للوجود سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل وانه عالم الغيب والشهادة أي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات وقوله تعالى هو الرحمن الرحيم قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن اعادته ههنا والمراد انه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ثم قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك أي المالك لجميع الاشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة وقوله تعالى القدوس قال وهب بن منبه اى الطاهر وقال مجاهد وقتادة أي المبارك وقال ابن جريج تقدسه الملائكة الكرام أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وافعاله وقوله تعالى المؤمن قال الضحاك عن ابن عباس اى أمن خلقه من أن يظلمهم وقال قتادة أمن بقوله انه حق وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين في ايمانهم به وقوله تعالى المهيمن قال ابن عباس وغير واحد اى الشاهد على خلقه باعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله والله على كل شئ شهيد وقوله ثم الله شهيد على ما يفعلون وقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية وقوله تعالى العزيز اى الذي قد عز كل شئ فقهره وغلب الاشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى الجبار المتكبر أي الذي لا تليق الجبرية الا له ولا التكبر الا لعظمته كما تقدم في الصحيح العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته وقال قتادة الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء وقال ابن جرير الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم وقال قتادة المتكبر يعني عن كل سوء ثم قال تعالى سبحان الله عما يشركون وقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور الخالق التقدير والبرء هو الفري وهو التنفيذ وابراز ما قدره وقرره الى الوجود وليس كل من قدر شيأ ورتبه يقدر على تنفيذه وايجاده سوى الله عز وجل قال الشاعر يمدح آخر

ولانت تفري ما خلقت

وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

 أي انت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فانه لا يستطيع ما يريد فالخلق التقدير والفري التنفيذ ومنه يقال قدر الجلاد ثم فرى أي قطع على ما قدره بحسب ما يريده وقوله تعالى الخالق البارئ المصور أي الذي اذا أراد شيأ قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى في أي صورة ما شاء ركبك ولهذا قال المصور اى الذي ينفذ ما يريد ايجاده على الصفة التي يريدها وقوله تعالى له الاسماء الحسنى قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف وذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن ابي هريرة ايضا وزاد بعد قوله وهو وتر يحب الوتر واللفظ للترمذي هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المعطي المانع الضار النافع النور

فغضبت عائشة ولم تزل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى حلف ان لا يقرب مارية فانزل الله هذه السورة وبه قال المحلي وقال القرطبي أكثر المفسرين على ان الآية نزلت في حفصة وذكر القصة وقال أبو السعود والنسفي روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي على فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك ان أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصافيتين انتهى عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما فانزل الله هذه الآية أخرجه النسائي والحاكم وصححه وابن مردويه وعن ابن عباس قال قلت لعمر ابن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن

الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه والفاظه بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى يسبح له ما فى السموات والارض كقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وقوله تعالى وهو العزيز أى فلا يرام جنابه الحكيم فى شرعه وقدره وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا خالد يعنى ابن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة ورواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن ابى أحمد الزبيرى به وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه آخر تفسير سورة الحشر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الممتحنة وهى مدنية)

*(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبى (٤٣٤) بلتعة وذلك ان حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة اولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فامر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال اللهم عم عليهم خبرنا فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش الى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدا فاطلع الله تعالى على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعائه فبعث فى اثر المراة فاخذ الكتاب منها وهذا بين فى هذا الحديث المتفق على صحته قال الامام احمد حدثنا سفيان عن عمرو أخبرنى حسن بن محمد بن على أخبرنى عبد الله بن ابى رافع وقال مرة ان عبيد الله بن ابى رافع أخبره انه سمع عليا رضى الله عنه يقول بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجى الكتاب قالت ما معى كتاب قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب قال فاخرجت الكتاب من عقاصها فاخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وهكذا أخرجه الجماعة الا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به وزاد البخارى فى كتاب المغازى فانزل الله السورة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وقال فى كتاب التفسير قال عمرو ونزلت فيه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء قال لا أدرى الآية

مارية القبطية ام ابراهيم أصابها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بيت حفصة فى يومها فوجدت حفصة فقالت يا رسول الله لقد جئت الى بشئ ما جئته الى احد من أزواجك فى يومى وفى دورى على فراشى قال ألا ترضين ان احرمها فلا اقربها أبدا قالت بلى فحرمها وقال لا تذكرى ذلك لاحد فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فانزل الله يا أيها النبى لم تحرم الآيات كلها فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب مارية اخرجه البزار والطبرانى قال السيوطى بسند صحيح وأخرجه ابن سعد وابن مردويه عنه باطول من هذا وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عنه باخصر منه وأخرجه ابن المنذر والطبرانى وابن مردويه عنه مختصرا بلفظ قال حرم سريته وجعل ذلك سبب النزول فى جميع ما روى من هذه الطرق وعن ابن عمر قال قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لحفصة لا تحدثى

في الحديث أو قال عمرو قال البخاري قال على يعني ابن المديني قيل لسفيان في هذا نزلت لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء فقال سفيان هذا في حديث الناس حفظته من عمرو ماتركت منه حرفا وما أدرى أحدا حفظه غيرى وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن على قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فادركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا الكتاب فقالت مامعي كتاب فانخناها فالتمسنا فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت الى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على ماصنعت قال حاطب والله مابي الا ان اكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم اردت ان تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن اهلي ومالي وليس احد من اصحابك الا له هنالك من عشيرته من يدفع الله به عن اهله وماله فقال صدق ولاتقولوا له الا خيرا فقال عمر انه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه فقال أليس انه من اهل بدر فقال لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة او قد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر وقد روى من وجه آخر عن على قال ابن ابي حاتم حدثنا على بن الحسن الهسنجاني حدثنا عبيد ابن يعيش حدثنا اسحق بن سليمان الرازي عن أبي سنان هو سعيد بن سنان عن (٤٣٥) عمرو بن مرة الجملي عن أبي البختري الطائي عن الحرث عن على قال لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتي مكة أسر الى اناس من اصحابه انه يريد مكة منهم حاطب بن ابي بلتعة وأفشى في الناس انه يريد خيبر قال فكتب حاطب بن ابي بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا مرثد وليس منا رجل الا وعنده فرس فقال ائتوا روضة خاخ فانكم ستلقون بها امرأة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لها هاتي الكتاب فقالت مامعي كتاب فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده في متاعها فقال أبو مرثد لعله ان لايكون معها فقلت ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لنعرينك فقالت أماتتقون الله ألستم مسلمين فقلنا لتخرجنه أو لنعرينك قال عمرو بن مرة فاخرجته من حجزتها وقال حبيب ابن أبي ثابت أخرجته من قبلها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة فقام عمر فقال يارسول الله خان الله ورسوله فائذن لي فلاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد شهد بدرا قالوا بلى قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل الله اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم اني بما تعملون بصير ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فقال يا حاطب ما حملك على ماصنعت فقال يارسول الله اني كنت امرأ ملصقا في قريش وكان لي بها مال وأهل ولم يكن من اصحابك أحد الا وله بمكة من يمنع أهله وماله فكتبت بذلك اليهم ووالله يارسول الله اني لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب الا خيرا قال حبيب بن أبي ثابت فانزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبي سنان سعيد بن سنان باسناده مثله وقد ذكر ذلك اصحاب المغازي والسير فقال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله صلى الله عليه

لاتحدثي أحدا وان ام ابراهيم على حرام قالت أتحرم ماأحل الله لك قال فوالله لا أقربها
فلم يقربها حتى اخبرت عائشة فانزل الله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم أخرجه الهيثم
ابن كليب في مسنده والضياء المقدسي في المختارة من طريق نافع وعن أبي هريرة ان سبب
النزول تحريم مارية كما سلف اخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه وسنده ضعيف
الثاني قيل السبب انه كان صلى الله عليه وآله وسلم يشرب عسلا وهو الذي رواه الشيخان
والتي شرب عندها هي زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة ان يقولا له اذا دخل
عليهما انا نجد منك ريح مغافير فحرم العسل فنزلت هذه الآية أخرج البخاري وغيره
عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب
عندها البنا أو عسلا فتواصيت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وآله

وسلم السير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامر فى السير اليهم ثم اعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر انها من مزينة وزعم غيره انها سارة مولاة لبنى عبد المطلب وجعل لها جعلا على ان تبلغه لقريش فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال ادركا امرأة قد كتب معها حاطب كتابا الى قريش يحذرهم ما قد جمعنا لهم من أمرهم فخرجا حتى ادركاها بالخليفة خليفة بنى أبى أحمد فاستنزلاها بالخليفة فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيأ فقال لها على بن أبى طالب انى أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فاعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا حاطب ما حملك على هذا فقال يا رسول الله أما والله انى لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أهل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعنى فلاضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع الى اصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل فى حاطب يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده (٤٣٦) الى آخر القصة وروى معمر عن الزهرى عن عروة نحو ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان ان هذه الآيات نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة انه بعث سارة مولاة بنى هاشم وانه اعطاها عشرة دراهم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فى اثرها عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم وعن السدى قريبا منه وهكذا قال العوفى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد ان هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يعنى المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى ان يتخذوا اولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا وقال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر انه انما فعل ذلك مصانعة لقريش لاجل ما كان له عندهم من الاموال والاولاد ويذكر ههنا الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الاجلح عن قيس بن أبى مسلم عن ربعى بن حراش سمعت حذيفة يقول ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم امثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثلا وترك سائرها قال ان قوما كانوا اهل ضعف ومسكنة فقاتلهم أهل تجبر وعداء فاظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا الى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فاسخطوا الله عليهم الى يوم يلقونه وقوله تعالى يخرجون الرسول واياكم هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لانهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد

وسلم فلتقل انى اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود فنزلت يا أيها النبى الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ أسر النبى الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وقيل هى سودة كما روى عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من شراب عند سودة من العسل فدخل على عائشة فقالت انى اجد منك ريحا فدخل على حفصة فقالت انى اجد منك ريحا فقال أراه من شراب شربته عند سودة والله لا أشربه أبدا فانزل الله هذه الآية أخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه قال السيوطى بسند صحيح وقيل هى ام سلمة كما روى عن عبد الله بن رافع قال سألت أم سلمة عن هذه الآية يا أيها النبى لم تحرم قالت كانت عندى عكة من عسل أبيض فكان النبى صلى الله عليه

واخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم أى لم يكن لكم عندهم ذنب الا ايمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وكقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله وقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى أى ان كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى باغين لمرضاتى عنكم فلا توالوا أعدائى وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم اى تفعلون ذلك وانا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء أى لو قدروا عليكم لما أبقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال وودوا لو تكفرون أى ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء وهذا تهييج على عداوتهم أيضا وقوله تعالى لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير أى قراباتكم لا تنفعكم عند الله اذا أراد الله بكم سوأ ونفعهم لا يصل اليكم اذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا الى نبى من الانبياء قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال ان أبى وأباك فى النار ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة (٤٣٧) والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبرى منهم قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه أى واتباعه الذين آمنوا معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم أى تبرأنا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أى بدينكم وطريقكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا يعنى وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمتم على كفركم فنحن ابدا نتبرأ منكم ونبغضكم حتى تؤمنوا بالله وحده أى الى ان توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الاوثان والانداد وقوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك أى لكم فى ابراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها الا فى استغفار ابراهيم لابيه فانه انما كان عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وذلك ان بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون ان ابراهيم كان يستغفر لابيه فأنزل الله عز وجل ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم

عليه وآله وسلم يلعق منها وكان يحبه فقالت له عائشة نحلها تجرس (١) عرفطا فنزلت هذه الآية أخرجه ابن سعد وذكره الخطيب والخازن وقيل هى حفصة فواطأت عائشة وسودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت الآية قاله البيضاوى الثالث قيل السبب المرأة التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فالأولان سببان صحيحان لنزول الآية والجمع ممكن بوقوع القصتين قصة مارية وقصة العسل وان القرآن نزل فيهما جميعا وفى كل واحد منهما انه أسر الحديث الى بعض أزواجه وأما الثالث فقال شيخنا الشوكانى انه ليس فى ذلك الا ما روى ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية للمرأة التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم قال السيوطى وسنده ضعيف ويرده هذا أيضا ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يقبل

(١) الجرس الصوت الخفى ويقال سمعت جرس الطير اذا سمعت صوت مناقيرها على شئ تأكله وفى الحديث فيسمعون جرس طير الجنة قال الاصمعى كنت فى مجلس شعبة قال فيسمعون جرش طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر الى فقال خذوها عنه فانه أعلم بهذا منا .عن ابن السكيت وجرست النحل العرفط تجرس اذا أكلته ومنه قيل للنحل جوارس كذا فى الصحاح اه سيد ذو الفقار أحمد

والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم الى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ أى ليس لكم فى ذلك أسوة أى فى الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد ثم قال تعالى مخبرا عن قول ابراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرؤا منهم فلجؤا الى الله وتضرعوا اليه فقالوا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير أى توكلنا عليك فى جميع الامور وسلمنا أمورنا اليك وفوضناها اليك واليك المصير أى المعاد فى الدار الآخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا قال مجاهد معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا وكذا قال الضحاك وقال قتادة لا تظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك يرون انهم انما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا وقوله تعالى واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم أى واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك انك أنت العزيز أى الذى لا يضام من لاذ بجنابك الحكيم فى أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضا لان هذه الاسوة المثبتة ههنا هى الاولى بعينها وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر تهييج الى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد وقوله تعالى ومن يتول أى عما أمر الله به فان الله هو الغنى الحميد كقوله تعالى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الغنى الذى قد كمل فى غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغى الا له ليس له كفء وليس كمثله شئ سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد الى خلقه أى هو المحمود فى جميع أقواله وأفعاله لا اله غيره ولا رب سواه

(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة أى محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة والله قدير أى على ما يشاء من الجمع بين الاشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتنا على الانصار واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها الآية وكذا قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وقال الله تعالى هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وفى الحديث أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فعسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال الشاعر

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقوله تعالى والله غفور رحيم أى يغفر للكافرين كفرهم اذا تابوا منه وأنابوا الى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب اليه من أى ذنب كان وقد قال مقاتل بن حيان ان هذه الآية نزلت فى أبى سفيان صخر بن حرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه وفى هذا الذى قاله مقاتل نظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة بنت أبى سفيان قبل الفتح وأبو سفيان انما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف وأحسن من هذا ما رواه ابن أبى حاتم حيث قال قرئ على محمد بن عزيز حدثنى سلامة حدثنى عقيل حدثنى ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر

تلك الواهبة نفسها فكيف يصح ان يقال انه نزل فى شأنها فان من رد ما وهب له لم يصح أن يقال انه حرم على نفسه وأيضا لا ينطبق على هذا السبب قوله واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا الى آخر ما حكاه الله وأما ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما ان ابن عباس سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره انهما عائشة وحفصة ثم ذكر قصة الايلاء كما فى الحديث الطويل فليس فى هذا نفى كون السبب هو ما قدمنا من قصة العسل والسرية لانه انما أخبر بالمتظاهرتين وذكر فيه ان أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم يراجعنه وتهجره احداهن من اليوم الى الليل وان ذلك سبب الاعتزال لا سبب نزول يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ويؤيد هذا ما قدمنا عن ابن عباس انه قال لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان

تظاهرتا

ابن حرب على بعض الثمر فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل فلقى ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان أول من قاتل فى الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو ممن انزل الله فيه عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة الآية وفى صحيح مسلم عن ابن عباس ان أباسفيان قال يارسول الله ثلاث اعطنيهن قال نعم قال تأمرنى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم وقد تقدم الكلام عليه قال وعندى أحسن العرب واجمله ام حبيبة بنت ابى سفيان ازوجكها الحديث وقد تقدم الكلام عليه وقوله تعالى لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أى لاينهاكم عن الاحسان الى الكفرة الذين لايقاتلونكم فى الدين كالنساء والضعفة منهم ان تبروهم أى تحسنوا اليهم وتقسطوا اليهم أى تعدلوا ان الله يحب المقسطين قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت قدمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ان أمى قدمت وهى راغبة أفأصلها قال نعم صلى أمك أخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبى بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهى مشركة فأبت أسماء ان تقبل هديتها وتدخلها بيتها فسألت عائشة النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين الى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وان تدخلها بيتها وهكذا رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث مصعب بن ثابت به (٤٣٩) وفى رواية لاحمد وابن جرير قتيلة بنت العزى ابن أسعد من بنى مالك بن حسل وزاد ابن أبى حاتم فى المدة التى كانت بين قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا ابو قتادة العدوى عن ابن اخى الزهرى عن الزهرى عن عروة عن عائشة وأسماء انهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهى مشركة فى الهدنة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قريش فقلنا يارسول الله ان أمنا قدمت علينا المدينة وهى راغبة أفنصلها قال نعم فصلاها ثم قال وهذا الحديث لانعلمه يروى عن الزهرى عن عروة عن عائشة الا من هذا الوجه قلت وهو منكر بهذا السياق لان أم عائشة هى أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها فى هذه الاحاديث المتقدمة والله أعلم وقوله تعالى ان الله يحب المقسطين تقدم تفسير ذلك فى سورة الحجرات وأورد الحديث الصحيح المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون فى حكمهم وأهاليهم وماولوا وقوله تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم أى انما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على اخراجكم ينهاكم الله عزوجل عن موالاتهم و يأمركم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال تعالى ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ماأنفقوا ولاجناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولاتمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) تقدم فى سورة الفتح ذكر صلح الحديبية الذى وقع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

تظاهرتا فأخبره بأنهما حفصة وعائشة و بين له ان السبب قصة مارية هذا ماتيسر من تلخيص سبب نزول الآية ودفع الاختلاف فى شأنه فاشدد عليه يديك لتنجو به من الخبط والخلط الذى وقع للمفسرين (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى شرع لكم تحليل أيمانكم و بين لكم الخروج والخلاص منها بالكفارة وقال النسفى أو شرع لكم الاستثناء فى أيمانكم من قولك حلل فلان فى يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لايحنث وتحريم الحلال يمين عندنا انتهى وتحلة أصلها تحللة فأدغمت وهى من مصادر التفعيل كالتوصية والتسمية فكأن اليمين عقد والكفارة حل لانها تحل للحالف ماحرمه على نفسه قال مقاتل المعنى قد بين الله كفارة أيمانكم فى سورة المائدة أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يكفر يمينه و يراجع وليدته فأعتق رقبة

وبين كفار قريش فكان فيه على ان لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الارددته الينا وفي رواية على انه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الارددته الينا وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة فان الله عز وجل أمر عباده المؤمنين اذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فان علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم عن محمد بن يحيى الذهلي عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن مجمع بن يعقوب عن حسين بن أبي لبابة عن عبد الله بن أبي أحمد قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة فخرج اخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فيها ان يردها اليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة فمنعهن ان يردوهن الى المشركين وأنزل الله آية الامتحان قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر الاسدي قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء قال كان يمتحنهن بالله ماخرجت من بغض زوج وبالله ماخرجت رغبة عن أرض الى أرض وبالله ماخرجت التماس دنيا وبالله ماخرجت الاحبا لله ولرسوله ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه ان الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له عمر بن الخطاب وقال العوفي عن ابن (٤٤٠) عباس في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن كان امتحانهن ان يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا عبد الله ورسوله وقال مجاهد فامتحنوهن فاسألوهن عما جاء بهن فان كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن الى أزواجهن وقال عكرمة يقال لها ماجاء بك الاحب الله ورسوله وماجاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله فامتحنوهن وقال قتادة كانت محنتهن ان يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما قال أخرجكن الاحب الاسلام وأهله وحرص عليه فاذا قلن ذلك قبل ذلك منهن وقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار فيه دلالة على ان الايمان يمكن الاطلاع عليه يقينا وقوله تعالى لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا في ابتداء الاسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ولهذا كان أمر أبي العاص بن الربيع زوج ابنة النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع في الاسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لامها خديجة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها فافعلوا ففعلوا فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة رضي الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين الى ان أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الاول ولم يحدث لها صداقا كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا ابن اسحق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب على أبي العاص وكانت هجرتها قبل اسلامه بست سنين على النكاح الاول ولم يحدث شهادة ولا صداقا ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح لان اسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذي ليس باسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين وسمعت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هرون

وعن الحسن انه لم يكفر لانه صلى الله عليه وآله وسلم مغفور له ذكره المحلي والنسفي قال الزجاج وليس لاحد أن يحرم ما أحل الله وهذا هو الحق ان تحريم ما أحل الله لا ينعقد ولا يلزم صاحبه فالتحليل والتحريم هو الى الله سبحانه لا الى غيره ومعاتبته لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه السورة أبلغ دليل على ذلك والبحث طويل والمذاهب فيه كثيرة والمقالات فيه طويلة وقد حققه الشوكاني في مؤلفاته بما يشفي وذكر رضي الله عنه في شرحه للمنتقى خمسة عشر قولا واختلف العلماء هل مجرد التحريم يمين توجب الكفارة أم لا وفي ذلك خلاف وليس في الآية مايدل على انه يمين لان الله سبحانه عاتبه على تحريم ما أحله له ثم قال قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وقد ورد في القصة التي ذهب أكثر المفسرين الى انها هي سبب نزول الآية انه حرم أولا ثم حلف ثانيا كما قدمنا عن ابن عباس

يذكر عن ابن اسحق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود اسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الامام أحمد وغير واحد والله أعلم واجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بان ذلك كان قضية عين يحتمل انه لم تنقض عدتها منه لان الذي عليه الاكثرون انها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه وقال آخرون بل اذا انقضت العدة هي بالخيار ان شاءت اقامت على النكاح واستمرت وان شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم وقوله تعالى وآتوهم ما أنفقوا يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذي غرموه عليهن من الاصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وغير واحد وقوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن يعني اذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك وقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن وفي الصحيح عن الزهري عن عروة عن المسور بن مروان بن الحكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية وقال ابن ثور عن معمر عن الزهري (٤٤١) انزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باسفل الحديبية حين صالحهم على انه من اتاه منهم رده اليهم فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية وامره ان يرد الصداق الى ازواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك اذا جاءتهم امرأة من المسلمين ان يردوا الصداق الى ازواجهن وقال ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهكذا قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وقال وانما حكم

(٥٦ - فتح البيان تاسع) الله بينهم بذلك لاجل ما كان بينهم وبينهم من العهد وقال محمد بن اسحق عن الزهري طلق عمر يومئذ قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي أم عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص وقوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا أي وطالبوا بما انفقتم على ازواجكم اللاتي يذهبن الى الكفار ان ذهبن وليطالبوا بما انفقوا على ازواجهم اللاتي هاجرن الى المسلمين وقوله تعالى ذلكم حكم الله يحكم بينكم أي في الصلح واستثناء النساء منه والامر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه والله عليم حكيم أي عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك ثم قال تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما أنفقوا قال مجاهد وقتادة هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد اذا فرت اليهم امرأة ولم يدفعوا الى زوجها شيأ فاذا جاءت منهم امرأة لا يدفع الى زوجها شيء حتى يدفع الى زوج الذاهبة اليهم مثل نفقته عليها وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب اخبرني يونس عن الزهري قال أقر المؤمنون بحكم الله فادوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي انفقوا على نسائهم وأبى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من اداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فلو انها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من ازواج المؤمنين الى المشركين رد المؤمنون الى زوجها النفقة التي انفق عليها من العقب الذي بايديهم الذي امروا ان يردوه على المشركين من نفقاتهم التي انفقوا

قال في الحرام يكفر وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وعنه انه جاءه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا لم تحرم ما احل الله لك قال عليك اغلظ الكفارات عتق رقبة وعن عائشة قالت لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح فانزل الله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فاحل يمينه وانفق عليه أخرجه الحرث بن اسامة (والله مولاكم) أي وليكم وناصركم والمتولي لاموركم وقيل مولاكم أولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم انفسكم ذكره النسفي (وهو العليم) بما فيه صلاحكم وفلاحكم (الحكيم) في اقواله وافعاله (واذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا) قال أكثر المفسرين ومنهم النسفي والمحلي والخازن هي حفصة كما سبق والحديث هو تحريم مارية أو العسل أو تحريم التي وهبت

على ازواجهم اللاتي آمن وهاجرن ثم ردوا الى المشركين فضلي منزلهم ان كان بقي لهم والعقب ما كان بقي من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يعني ان لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يعطى مثل ما انفق من الغنيمة وهكذا قال مجاهد فعاقبتم أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني مهر مثلها وهكذا قال مسروق وابراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهري أيضا وهذا لا ينافي الاول لانه ان أمكن الاول فهو الاولى والا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من ايدي الكفار وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير ولله الحمد والمنة (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) قال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال أخبرني عروة ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما ولا والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط ما يبايعهن الا بقوله قد بايعتك على ذلك هذا لفظ البخاري وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن اميمة بنت رقيقة قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء لنبايعه فأخذ علينا ما في القرآن ان لا نشرك (٤٤٢) بالله شيئا الآية وقال فيما استطعتن واطقتن قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا قال اني لا اصافح النساء انما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة هذا اسناد صحيح وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والنسائي أيضا من حديث الثوري ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر به وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه الا من حديث محمد بن المنكدر وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن اسحق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد ولم يصافح منا امرأة وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي عن محمد بن المنكدر حدثتني اميمة بنت رقيقة وكانت اخت خديجة خالة فاطمة من فيها الى في فذكره وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحق حدثني سليط بن ايوب بن الحكم بن سليم عن امه سلمى بنت قيس وكانت احدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلت معه القبلتين وكانت احدى نساء بني عدي بن النجار قالت جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم نبايعه في نسوة من الانصار فلما شرط علينا ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين ايدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال ولا تغششن ازواجكن قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غش ازواجنا قال فسألته فقال تأخذ ماله فتحابي به غيره وقال الإمام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن ابراهيم بن محمد بن حاطب حدثني أبي عن أمه عائشة بنت قدامة يعني ابن مظعون قالت أنا مع أمي رايطة ابنة سفيان الخزاعية والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول أبايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وارجلكن ولا تعصينني في معروف قلنا نعم فيما استطعتن فكن يقلن وأقول معهن وأمي تقول لي أي بنية نعم فكنت أقول كما يقلن وقال البخاري حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا ايوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ولا تشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت اسعدتني فلانة أريد ان أجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت

نفسها الله والعامل في الظرف فعل مقدر أي واذكر اذ أسر وقال الكلبي اسر اليها ان أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على امتي من بعدي وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن عائشة في الآية قالت أسر اليها ان أبا بكر خليفتي من بعدي وأخرج ابن عدي وابو نعيم في الصحابة والعشاري في فضائل الصديق وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن علي وابن عباس قالا والله ان امارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب واذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال لحفصة ابوك وابو عائشة واليا الناس بعدي فاياك ان تخبري احدا بهذا قال الشوكاني رحمه الله وهذا ليس فيه انه سبب نزول قوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك بل فيه ان الحديث الذي اسره النبي هو هذا فعلى فرض ان له اسنادا يصلح للاعتبار هو معارض بما سبق من تلك الروايات الصحيحة وهي مقدمة عليه ومرجحة بالنسبة اليه (فلما نبأت به) أي

أخبرت

ورجعت فبايعها ورواه مسلم وفي رواية فما وفى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان وللبخاري عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة ان لا ننوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة ام سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد كما قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا هرون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج ان الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكأني أنظر اليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ أنتن على ذلك فقالت امرأة واحدة ثم لا يجيبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدري حسن من هي قال فتصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سليم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الاسلام فقال أبايعك على ان لا تشركي بالله شيأ ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تبرجي تبرج الجاهلية الاولى وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي ادريس الخولاني (٤٤٣) عن عبادة بن الصامت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم قرأ الآية التي أخذت على النساء اذا جاءك المؤمنات فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ فستره الله عليه فهو الى الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه أخرجاه في الصحيحين وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله المزني عن أبي عبد الله عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل ان يفرض الحرب على ان لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف وقال فان وفيتم فلكم الجنة رواه ابن أبي حاتم وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال قل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ وكانت هند ابنة عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء فقالت اني ان اتكلم يعرفني وان عرفني قتلني وانما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة كيف تقبل من النساء شيأ لم تقبله من الرجال فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر قل لهن ولا يسرقن قالت هند والله اني لاصيب من أبي سفيان الهنة ما ادري ايحلهن لي ام لا قال ابو سفيان ما اصبت من شيء مضى اوقد بقي فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعاذت به فقال أنت هند فقالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يزنين فقالت يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة قال لا والله ما تزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن قالت هند انت قتلتهم يوم بدر فانت وهم أبصر قال ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن قال ولا يعصينك في معروف قال منعهن ان ينحن وكان اهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ويدعون

أخبرت به غيرها ظنا منها ان لا حرج في ذلك فهو باجتهاد منها وهي مأجورة فيه وذلك لان الاجتهاد جائز في عصره صلى الله عليه وآله وسلم على الصحيح كما في جمع الجوامع واصل نبأ وأنبأ وخبر وأخبر وحدث أن تتعدى لاثنين الى الاول بنفسها والى الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول للدلالة عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاث في هذه الآية فقوله فلما نبأت به تعدى لاثنين حذف اولهما والثاني مجرور بالباء وقوله فلما نبأها به ذكرهما وقوله من انبأك هذا ذكرهما وحذف الجار (وأظهره الله عليه) اى أطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الاخبار لغيرها على لسان جبريل (عرف بعضه) أي بعض ما اخبرت به وهو تحريم مارية او العسل قرأ الجمهور عرف مشددا من التعريف ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان منها وقرئ بالتخفيف اى

بالويل والثبور هذا اثر غريب وفي بعضه نكارة والله اعلم فان اباسفيان وامرأته لما اسلما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفهما بل اظهر الصفاء والود لهما وكذلك كان الامر من جانبه عليه السلام لهما وقال مقاتل بن حيان انزلت هذه الآية يوم الفتح بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفا وعمر بايع النساء يحملها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقيته كما تقدم وزاد فلما قال ولا تقتلن اولادكن قالت هند ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا نصر بن علي حدثتني غبطة بنت سليمان حدثتني عمتي عن جدتي عن عائشة قالت جاءت هند بنت عتبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه فنظر الى يدها فقال اذهبي فغيري يدك فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال أبايعك على ان لا تشركي بالله شيأ فبايعته وفي يدها سواران من ذهب فقالت ما تقول في هذين السوارين فقال جمرتان من جمر جهنم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبوسعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال ولا تقتلن أولادكن فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصينا باولادهم قال وكان بعد ذلك اذا جاءه النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فاذا اقررن رجعن فقوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اى من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن اى اموال الناس الاجانب فاما اذا كان الزوج معسرا في نفقتها فلها ان تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة امثالها وان كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة انها قالت يارسول الله ان اباسفيان رجل شحيح لا يعطيني

من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل علي جناح ان اخذت من ماله بغير علمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا يزنين كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفي حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الاليم في نار الجحيم وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ عليها ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فاعجبه ما رأى منها فقالت عائشة اقري ايتها المرأة فوالله ما بايعنا الا على هذا قالت فنعم اذا فبايعها بالآية وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبوسعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال ولا تقتلن اولادكن فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصينا باولادهم قال وكان بعد ذلك اذا جاءت النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فاذا اقررن رجعن وقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان اهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الاملاق ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل اما لغرض فاسد أو ما أشبهه وقوله تعالى ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن قال ابن عباس لا يلحقن بازواجهن غير أولادهم وكذا قال مقاتل ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو يعني ابن الحرث عن ابن الهاد عن عبد الله بن يونس عن سعيد المقبري عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة ايما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شئ ولن يدخلها الله جنته وايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على الاولين والآخرين وقوله تعالى ولا يعصينك في معروف يعني فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب ابن جرير حدثنا أبي قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ولا يعصينك في معروف قال انما هو شرط شرطه

عرف بعض الذي فعلته حفصة واختار ابو عبيد وابو حاتم الاولى لقوله (وأعرض عن بعض) ولو كان مخففا لقال في ضده وانكر بعضا والمعنى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به تكرما منه وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام وقيل أعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة ان ينتشر في الناس وقيل الذي اعرض عنه هو حديث مارية وقيل هو ان أباها وأبابكر يكونان خليفتين بعده وللمفسرين ههنا خلط وخبط وكل جماعة منهم ذهبوا الى تفسير التعريف والاعراض بما يطابق بعض ما ورد في سبب النزول وقد أوضحنا ذلك من قبل (فلما نبأها به) أي اخبرها بما أفشت من الحديث (قالت من أنبأك هذا) أي من أخبرك به (قال نبأني العليم الخبير) أي

أخبرني

الله للنساء وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لنبيه الا في المعروف والمعروف طاعة وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي الجعد وأبو صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضا وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم اخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال الا رجلا منكن محرما فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ان لنا أضيافا وانا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس أولئك عنيت ليس أولئك عنيت وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى الفراء أخبرنا ابن أبي زائدة حدثني مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يحدثن الرجال الا أن يكون ذات محرم فان الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمذي بين فخذيه وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هرون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الانصارية قالت كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بايعناه ان لا ننوح فقالت امرأة من بني فلان ان بني فلان أسعدوني فلا حتى أجزيهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت فما وفى منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الانصارية رضي الله عنها وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا فقال حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ القتات حدثني مصعب بن نوح الانصاري قال أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فأتيته لأبايعه فأخذ علينا فيما أخذ ان لا ننحن (٤٤٥) فقالت عجوز يارسول الله ان ناسا قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني وانهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد اسعدهم قال فانطلقي فكافئيهم فانطلقت فكافأتهم ثم انها أتته فبايعته وقال هو المعروف الذي قال الله عز وجل ولا يعصينك في معروف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا العقبي حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبي أسيد البراد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نعصيه في معروف ان لا نخمش وجها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعو ويلا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا اسحق بن ادريس حدثنا اسحق بن عثمان بن يعقوب حدثني اسمعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نساء الانصار في بيت ثم أرسل الينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن قالت فقلنا مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله فقال تبايعن على ان لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين قالت فقلنا نعم قالت فمد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد قالت فأمرنا بالعيدين ان نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ونهانا عن اتباع الجنائز قال اسمعيل فسألت جدتي عن قوله تعالى ولا يعصينك في معروف قالت النياحة وفي الصحيحين من طريق الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وفي الصحيحين أيضا عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبي كثير ان زيدا حدثه ان أبا سلام حدثه ان أبا موسى الاشعري حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانسان والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ورواه مسلم

أخبرني الذي لا تخفى عليه خافية (ان تتوبا) الخطاب لعائشة وحفصة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وجواب الشرط محذوف أي ان تتوبا (الى الله) فهو الواجب ودل على المحذوف قوله (فقد صغت قلوبكما) أي زاغت وأثمت ومالت عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه ووجد منكما ما يوجب التوبة وهو انهما أحبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو افشاء الحديث وقيل المعنى فقد مالت قلوبكما الى التوبة وقال قلوبكما ولم يقل قلبا كما لان العرب تستكره الجمع بين تثنيتين في لفظ واحد ومجموع المضاف والمضاف اليه كالشئ الواحد من أجل تمام العلقة والنسبة بينهما (وان تظاهرا عليه) قرأ الجمهور بحذف

في صحيحه منفردا به من حديث أبان بن يزيد العطار به وعن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن النائحة والمستمعة رواه أبو داود وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى ولا يعصينك في معروف قال النوح ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد عن أبي نعيم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي حسن غريب (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والابعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل وقوله تعالى كما يئس الكفار من أصحاب القبور فيه قولان أحدهما كما يئس الكفار الاحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لانهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه قال العوفي عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم الى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد يئس الاحياء من الذين كفروا ان يرجعوا اليهم أو يبعثهم الله عز وجل وقال الحسن البصري كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال الكفار الاحياء قد يئسوا من الاموات وقال قتادة كما يئس الكفار ان يرجع اليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال

الضحاك رواهن ابن جرير والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير قال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال كما يئس هذا الكافر اذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد والمنة

احدى التاءين وقرئ على الاصل وقرئ تظهرا بتشديد الظاء والهاء بدون ألف وهي سبعية والمراد بالتظاهر التعاضد والتعاون والمعنى وان تعاضدا وتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره وقيل كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النفقة (فان الله هو) ضمير فصل (مولاه) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا يعدم ناصرا ولا معينا فان الله يتولى نصره بذاته (و) كذلك (جبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) أي من صلح من عباده المؤمنين وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ قال بريدة أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وعن ابن مسعود مثله وعن أبي امامة مرفوعا مثله أخرجه الحاكم وعن علي بسند ضعيف قال هو

على

(تفسير سورة الصف وهي مدنية)

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وعن عطاء بن يسار عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أي الاعمال أحب الى الله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا رجلا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها هكذا رواه الامام أحمد وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة قال أخبرني أبي سمعت الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني عبد الله بن سلام ان أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو أرسلنا الى رسول الله نسأله عن أحب الاعمال الى الله عز وجل فلم يذهب اليه أحد منا وهبنا ان نسأله عن ذلك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة سبح لله الصف قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها قال أبو سلمة وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها قال الاوزاعي وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها قال أبي وقرأها علينا الاوزاعي كلها وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملناه فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال

يحيى فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الاوزاعي قال عبد الله فقرأها علينا ابن كثير ثم قال الترمذي وقد خولف محمد ابن كثير في اسناد هذا الحديث عن الاوزاعي فروى ابن المبارك عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن ابي ميمونة عن عطاء ابن يسار عن عبد الله بن سلام اوعن ابي سلمة عن عبد الله بن سلام قلت وهكذا رواه الامام احمد عن معمر عن ابن المبارك به قال الترمذي وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الاوزاعي نحو رواية محمد بن كثير قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الاوزاعي كما رواه ابن كثير قلت وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا اسمع أخبرنا أبو المنجا عبد الله بن عمر بن اللتي أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب السجزي قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي أخبرنا أبو محمد عبد بن أحمد بن حمويه السرخسي أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندي أخبرنا الامام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعي فذكر باسناده مثله وتسلسل لنا قراءتها الى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لانه كان أميا وضاق الوقت عن تلقينها اياه ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الذهبي أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمرو أخبرنا أبو المنجا بن اللتي فذكره باسناده وتسلسل لي من طريقه وقرأها علي بكمالها ولله الحمد والمنة

(بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)

قد تقدم الكلام على قوله (٤٤٧) تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم غير مرة بما أغنى عن اعادته وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون انكار على من يعد وعدا أو يقول قولا لا يفي به ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف الى انه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه عزم الموعود أم لا واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا وعد أخلف واذا حدث كذب واذا ائتمن خان وفي الحديث الآخر في الصحيح أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها فذكر منهن اخلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الانكار عليهم بقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقد روى الامام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا صبي فذهبت لاخرج لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال أعطك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تمرا فقال أما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة وذهب الامام مالك رحمه الله الى انه اذا تعلق بالوعد عزم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك علي كل يوم كذا فتزوج وجب عليه ان يعطيه ما دام كذلك لانه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة وذهب الجمهور الى انه لا يجب مطلقا وحملوا الآية على انها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقال تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت الآية وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعن أسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب أخرجه ابن مردويه (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) أي بعد نصر الله والمذكورين (ظهير) أي أعوان يظاهرونه قال أبو علي الفارسي قد جاء فعيل للكثرة كقوله ولا يسأل حميم حميما قال الواحدي وهذا من الواحد الذي يؤدي عن معنى الجمع كقوله وحسن أولئك رفيقا وقد تقرر في علم النحو ان مثل جريح وصبور وظهير يوصف به الواحد والمثنى والجمع وانما عدل عن عطف المفرد الى عطف الجملة ليؤذن بالفرق فان نصرة الله هي النصرة في الحقيقة وانه تعالى انما ضم اليها المظاهرة بجبريل وبصالح المؤمنين وبالملائكة للتتميم تطييبا للقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول واظهارا للآيات البينات كما في يوم بدر وحنين قال تعالى

مالا تفعلون قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله عز وجل دلنا على أحب الاعمال اليه فنعمل به فأخبر الله نبيه ان احب الاعمال ايمان به لاشك فيه وجهاد اهل معصيته الذين خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم امره فقال الله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وهذا اختيار ابن جرير وقال مقاتل بن حيان قال المؤمنون لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الاعمال اليه فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وقال أحبكم الي من قاتل في سبيلي ومنهم من يقول أنزلت في شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقال مالك عن زيد بن أسلم لم تقولون مالا تفعلون قال الجهاد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لم تقولون مالا تفعلون الى قوله كأنهم بنيان مرصوص فما بين ذلك في نفر من الانصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم اى الاعمال احب الى الله لعملنا به حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبد الله بن رواحة لا ابرح حبيسا في سبيل الله حتى اموت فقتل شهيدا وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا فروة بن ابي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن ابي هند عن ابي حرب بن ابي الاسود الدئلي عن ابيه قال بعث أبو موسى الى قراء أهل البصرة فدخل عليه منهم ثلثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن فقال أنتم قراء اهل البصرة وخيارهم وقال كنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فأنسيناها غير أني قد حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة ولهذا قال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فهذا اخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين اذا اصطفوا مواجهين لاعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الاديان قال الامام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا هشيم قال مجالد أخبرنا عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يضحك الله اليهم الرجل يقوم من الليل والقوم اذا صفوا للصلاة والقوم اذا صفوا للقتال ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الاسود يعني ابن شيبان حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت اشتهي لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت اشتهي لقاءك فقال لله أبوك فقد لقيت فهات فقلت كان يبلغني عنك انك تزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم ان الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا اخالني أكذب على خليلي صلى الله عليه وسلم قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل قال رجل غزا في سبيل الله خرج محتسبا مجاهدا فلقي العدو فقتل وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وذكر الحديث هكذا أورده هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر بأبسط من هذا السياق وأتم وقد أوردناه في موضع آخر ولله الحمد وعن كعب الاحبار انه قال يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته

وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) بالتخفيف والتشديد سبعيتان أي يعطيه بدلكن (أزواجا خيرا) أي أفضل (منكن) وقد علم الله سبحانه انه لا يطلقهن ولكن أخبر عن قدرته على انه ان وقع منه الطلاق أبدله خيرا منهن تخويفا لهن وهو كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فانه اخبار عن القدرة وتخويف لهم والممتنع بمقتضى الآية انما هو تطليق الكل فلا ينافي انه طلق واحدة وانه لم يبدل لان التبديل انما هو للكل وانما هو مرتب على تطليق الكل وفي الخطيب قيل كل عسى في القرآن واجب الوقوع الا هذه الآية وقيل هي من الواجب أيضا ولكن الله علقه بشرطه وهو التطليق للكل ولم يطلقهن وفي الكرخي قال ابن عرفة عسى هنا للتخويف لا للوجوب ثم نعت سبحانه الازواج بقوله (مسلمات)

بطابة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفى كل منزلة لهم دوى كدوى النحل فى جو السماء بالسحر يرضون أطرافهم و يأتزرون على أنصافهم صفهم فى القتال مثل صفهم فى الصلاة ثم قرأ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث أدركتهم ولو على ظهر دابة رواه ابن أبى حاتم وقال سعيد بن جبير فى قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل العدو الا أن يصافهم وهذا تعليم من الله للمؤمنين قال وقوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص أى ملتصق بعضه فى بعض من الصف فى القتال وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضه الى بعض وقال ابن عباس كأنهم بنيان مرصوص مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض وقال قتادة كأنهم بنيان مرصوص ألم تر الى أصحاب البنيان كيف لا يحب ان يختلف بنيانه فكذلك الله عز وجل لا يحب ان يختلف امره وان الله صف المؤمنين فى قتالهم وصفهم فى صلاتهم فعليكم بامر الله فانه عصمة لمن أخذ به أورد ذلك كله ابن أبى حاتم وقال ابن جرير حدثنى سعيد بن عمرو السكونى حدثنا بقية بن الوليد عن أبى بكر بن أبى مريم عن يحيى بن جابر الطائى عن أبى بحرية قال كانوا يكرهون القتال على الخيل و يستحبون القتال على الارض لقول الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال وكان أبو بحرية يقول اذا رأيتمونى التفت فى الصف فجؤا فى لحيى

(واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات (٤٤٩) قالوا هذا سحر مبين)

(مسلمات) أى قائمات بفرائض الاسلام اما نعت أو حال أو منصوب على الاختصاص وقال سعيد بن جبير مسلمات أى مخلصات مقرات وقيل معناه مسلمات لامر الله ورسوله (مؤمنات) أى مصدقات بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره (قانتات) مطيعات لله والقنوت الطاعة وقيل مصليات بالليل وقيل داعيات وقيل طائعات (تائبات) يعنى كثيرات التوبة من الذنوب تاركات لها راجعات الى الله والى امر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الهفوات والزلات (عابدات) لله متذللات له قال الحسن وسعيد بن جبير كثيرات العبادة (سائحات) أى صائمات قاله ابن عباس وقال زيد بن أسلم والحسن مهاجرات وليس فى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سياحة الا الهجرة قال ابن

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام انه قال لقومه لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم أى لم توصلون الاذى الىّ وانتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به من الرسالة وفى هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال رحمة الله على موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا

من النبى صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا اذى كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم أى فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ولهذا قال تعالى فى هذه الآية والله لا يهدى القوم الفاسقين وقوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد يعنى التوراة قد بشرت بى وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدى وهو الرسول النبى الامى العربى المكى احمد فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بنى اسرائيل وقد أقام فى ملا بنى اسرائيل مبشرا بمحمد وهو احمد خاتم الانبياء والمرسلين الذى لا رسالة بعده ولا نبوة وما احسن ما اورد البخارى الحديث الذى قال فيه حدثنا ابو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى قال اخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لى اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب ورواه مسلم من حديث الزهرى به نحوه وقال أبو داود الطيالسى حدثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن أبى موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه اسماء منها ما حفظنا فقال انا محمد وانا أحمد والحاشر والمقفى ونبى الرحمة والتوبة والملحمة ورواه مسلم من حديث الاعمش عن عمرو بن مرة به وقد قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول

النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الآية وقال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه واخذ عليه ان يأخذ على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليتبعنه وينصرنه وقال محمد بن اسحق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي كأنه يخرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام وهذا اسناد جيد وروى له شواهد من وجوه أخر فقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم باول ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك امهات النبيين يرين وقال أحمد أيضا حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر قال سمعت أبا امامة قال قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك قال دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امي انه يخرج منها نور اضاءت له قصور الشام وقال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا اخا زهير بن معاوية عن أبي اسحق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة (٤٥٠) وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فاين هم قالا هم في أرضك فابعث اليهم فبعث اليهم فقال جعفر انا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك قال انا لا نسجد الا لله عز وجل قال وماذاك قال ان الله بعث الينا رسوله فأمرنا ان لا نسجد لاحد الا لله عز وجل وأمرنا مريم بالصلاة والزكاة قال عمرو بن العاص فانهم يخالفونك في عيسى بن مريم قال ما تقولون في عيسى بن مريم وامه قالوا نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها الى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يعرضها ولد قال فرفع عودا من الارض ثم قال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد انه رسول الله وانه الذي نجد في الانجيل وانه الذي بشر به عيسى بن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما انا فيه من الملك لاتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد ان الانبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على اممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته اذا بعث وكان ما اشتهر الامر في أهل الارض على لسان ابراهيم الخليل والد الانبياء بعده حين دعا لاهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الارض قال دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي التي رأت أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك والارهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه وقوله تعالى فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين قال ابن جريج وابن جرير فلما جاءهم أحمد اي المبشر به في الاعصار المتقادمة المنوه بذكره في القرون السالفة لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون هذا سحر مبين (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم

قتيبة والفراء وغيرهما وسمي الصيام سياحة لان السائح لازاد معه وقيل المعنى ذاهبات في طاعة الله من ساح الماء اذا ذهب واصل السياحة الجولان في الارض وقيل يسحن معه حيث ساح وقد مضى الكلام على السياحة في سورة براءة (ثيبات وأبكارا) أي بعضهن كذا وبعضهن كذا وسط بينهما العاطف لتنافيهما دون سائر الصفات والثيبات جمع ثيب لا ينقاس لانه اسم جنس مؤنث ووزنه فيعل من ثاب يثوب أي رجع وهي المرأة التي قد تزوجت ثم ثابت عن زوجها فعادت كما كانت غير ذات زوج وقيل لانها ثابت الى بيت أبويها وهذا أصح لانه ليس كل ثيب تعود الى زوجها والابكار جمع بكر وهي العذراء سميت بذلك لانها على اول حالها التي خلقت عليها عن بريدة في الآية قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية ان يزوجه بالثيب آسية امرأة فرعون وبالبكر

الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) يقول تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى لا احد اظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له اندادا وشركاء وهو يدعى الى التوحيد والاخلاص ولهذا قال تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين ثم قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم أى يحاولون ان يردوا الحق بالباطل ومثلهم فى ذلك كمثل من يريد ان يطفئ شعاع الشمس بفيه وكما ان هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركين وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين فى سورة براءة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة (يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) تقدم فى حديث عبد الله بن سلام ان الصحابة رضى الله عنهم أرادوا ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احب الاعمال الى الله عز وجل ليفعلوه فانزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ثم فسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور التى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اى من تجارة الدنيا والكد لها والتصدى (٤٥١) لها وحدها ثم قال تعالى يغفر لكم ذنوبكم اى ان فعلتم ما امرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وادخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ثم قال تعالى وأخرى تحبونها اى وازيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهى نصر من الله وفتح قريب أى اذا قاتلتم فى سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز وقوله تعالى وفتح قريب اى عاجل فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن اطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى وبشر المؤمنين (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين ان يكونوا انصار الله فى جميع أحوالهم باقوالهم وافعالهم وأنفسهم وأموالهم وان يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال من انصارى الى الله أى من معينى فى الدعوة الى الله عز وجل قال الحواريون وهم اتباع عيسى عليه السلام نحن انصار الله أى نحن انصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك ولهذا بعثهم دعاة الى الناس فى بلاد الشام فى الاسرائيليين واليونانيين وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى أيام الحج من رجل يؤوينى حتى أبلغ رسالة ربى فان قريشا قد منعونى ان أبلغ رسالة ربى حتى قيض الله عز وجل له الاوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه وشارطوه ان يمنعوه من الاسود والاحمر ان هو هاجر اليهم فلما هاجر اليهم بمن معه من اصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الانصار وصار ذلك علما عليهم رضى الله عنهم وارضاهم وقوله تعالى فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة اى لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه الى قومه ووازره من الحواريين اهتدت طائفة من بنى اسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة فخرجت

مريم بنت عمران ولا يقال اى مدح فى كونهن ثيبات لان الثيب قد تمدح من جهة انها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا غالبا والبكر تمدح من جهة انها اطهر واطيب وأكثر مداعبة وملاعبة غالبا (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم) بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه أى اجعلوا لها وقاية بالتأسى به صلى الله عليه وآله وسلم فى ترك المعاصى وفعل الطاعات (واهليكم) من النساء والولدان وكل من يدخل فى هذا الاسم بامرهم بطاعة الله ونهيهم عن معاصيه وبان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم نصحا وتأديبا (نارا وقودها الناس والحجارة) أى نارا عظيمة تتوقد بالناس الكفار والحجارة كالاصنام منها كما يتوقد غيرها بالحطب وقيل الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا وقد تقدم بيان هذا فى سورة

عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وامه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما اعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم انه ابن الله وقائل انه ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن قائل انه الله وكل هذه الاقوال مفصلة في سورة النساء وقوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم أى نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى فاصبحوا ظاهرين أى عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال يعني ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أراد الله عز وجل ان يرفع عيسى الى السماء خرج الى اصحابه وهم في البيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد ان آمن بي قال ثم قال أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب فقال انا فقال نعم انت ذاك قال فالقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة في البيت الى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فاخذوا الشبه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد ان آمنوا به فتفرقوا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ماشاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام (٤٥٢) طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة يعني الطائفة التي كفرت من بني اسرائيل في زمن عيسى والطائفة التي آمنت في زمن عيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين باظهار محمد صلى الله عليه وسلم دينهم على دين الكفار هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبي كريب عن محمد بن العلاء عن أبي معاوية بمثله سواء فأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الاحاديث الصحاح والله أعلم آخر تفسير سورة الصف ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الجمعة وهي مدنية) عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين رواه مسلم في صحيحه

(بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يخبر تعالى انه يسبح له ما في السموات وما في الارض أى من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ثم قال تعالى الملك القدوس أى هو مالك السموات والارض المتصرف فيهما بحكمه وهو المقدس أى المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال العزيز الحكيم تقدم تفسيرهما غير مرة وقوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاميون هم العرب كما قال تعالى وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد وتخصيص الاميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى في قوله وانه لذكر لك ولقومك وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وهذا وامثاله لا ينافي قوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقوله لانذركم به ومن بلغ وقوله تعالى اخبارا عن القرآن ومن يكفر به من الاحزاب

البقرة قال مقاتل بن سليمان قوا انفسكم واهليكم بالادب الصالح النار في الآخرة وقال قتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم قال ابن جرير فعلينا ان نعلم اولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الادب ومن هذا قوله وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وقوله وانذر عشيرتك الاقربين وعن علي بن أبي طالب في الآية قال علموا انفسكم وأهليكم الخير وادبوهم وعن ابن عباس قال اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار وعنه قال أدبوا اهليكم (عليها ملائكة) أى على النار خزنة من الملائكة يلون أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية (غلاظ) على أهل النار (شداد) عليهم لا يرحمونهم اذا استرحموهم لان الله سبحانه وتعالى خلقهم من غضبه وحبب اليهم تعذيب خلقه وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل الغلاظ ضخام الاجسام

فالنار موعده الى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه الى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الانعام بالآيات والاحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة وهذه الآية هي مصداق اجابة الله لخليله ابراهيم حين دعا لاهل مكة ان يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة اليه وقد مقت الله أهل الارض عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب أي نزرا يسيرا ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا اشياء لم يأذن بها الله وكذلك اهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها واولوها فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم الى ما يقربهم الى الجنة ورضا الله عنهم والنهي عما يقربهم الى النار وسخط الله تعالى حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الاصول والفروع وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله واعطاه ما لم يعط أحدا من الاولين ولا يعطيه أحدا من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين وقوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم قال الامام أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن (٤٥٣) بلال عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يا رسول الله فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان الفارسي ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هؤلاء ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ابي حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الديلي عن سالم ابي الغيث عن أبي هريرة ففي هذا الحديث دليل على ان هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم الى جميع الناس لانه فسر قوله تعالى وآخرين منهم بفارس ولهذا كتب كتبه الى فارس والروم وغيرهم من الامم يدعوهم الى الله عز وجل والى اتباع ما جاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال هم الاعاجم وكل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في اصلاب اصلاب اصلاب رجال ونساء من امتي يدخلون الجنة بغير حساب ثم قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم يعني بقية من بقي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وهو العزيز الحكيم اي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره وقوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يعني ما اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة وما خص به امته من بعثته صلى الله عليه وسلم اليهم (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل اسفارا أي كمثل الحمار اذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسيا ولا يدري

الاجسام والشداد الاقوياء وقيل المراد غلاظ القلوب شداد الابدان من غلظ القلب أي قسوته لا من غلظ الجسم ولا من غلظ القول عن أبي عمران الجوني قال بلغنا ان خزنة النار تسعة عشر ما بين منكب أحدهم مسيرة مائة خريف ليس في قلوبهم رحمة انما خلقوا للعذاب يضرب الملك منهم الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحنا من لدن قرنه الى قدمه أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (لا يعصون الله ما أمرهم) أي لا يخالفونه في أمره وما موصولة والعائد محذوف أي لا يعصون الله الذي أمرهم به أو مصدرية أي لا يعصون الله أمره على ان يكون ما امرهم بدل اشتمال من الاسم الشريف أو على تقدير نزع الخافض أي لا يعصون الله في أمره (ويفعلون ما يؤمرون) به أي يؤدونه في وقته من غير تراخ لا يؤخرونه عنه ولا يقدمونه وليست الجملتان في معنى واحد اذ معنى الاولى انهم

ى

ماعليه وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لان الحمار لافهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الاخرى أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون وقال تعالى ههنا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له انصت ليس له جمعة ثم قال تعالى قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ان كنتم تزعمون انكم على هدى وان محمدا واصحابه على ضلالة فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ان كنتم صادقين أي فيما تزعمونه قال الله تعالى ولا يتمنونه ابدا بما قدمت أيديهم أي بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور والله عليم بالظالمين وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون وقد أسلفنا الكلام هنالك وبينا ان المراد ان يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة على

الكاذبين ومباهلة المشركين في سورة مريم قل من كان في الضلال فليمدد له الرحمن مدا وقد قال الامام احمد حدثنا اسمعيل بن يزيد الرقي حدثنا ابو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابو جهل لعنه الله ان رأيت محمدا عند الكعبة لآتينه حتى اطأ على عنقه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فعل لاخذته الملائكة عيانا ولو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا ورواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر بن خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ورواه النسائي أيضا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبي عن عبيد الله بن عمرو الرقي به أتم وقوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون كقوله تعالى في سورة النساء اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وفي معجم الطبراني من حديث معاذ محمد بن محمد الهذلي عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعا مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الارض بدين فجاء يسعى حتى اذا أعيا وانبهر دخل جحره فقالت له الارض يا ثعلب ديني فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) انما سميت الجمعة جمعة لانها مشتقة من الجمع فان أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فانه اليوم السادس من الستة

يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل الثانية تأكيد للاولى وبه قال المحلي لان مفادها هو مفادها وقيل الاولى فيما مضى والثانية فيما يستقبل وصرح بهذا البيضاوي والآية تخويف (١) للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بالسنتهم دون قلوبهم (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) يقال لهم هذا القول عند ادخالهم النار تأييسا لهم وقطعا لاطماعهم لانه يوم الجزاء وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار (انما تجزون ما كنتم تعملون) من الاعمال في الدنيا ومثل هذا قوله فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) قرأ الجمهور بفتح النون على الوصف للتوبة اي توبة بالغة في النصح وقرئ بضمها اي توبة نصح لانفسكم ويجوز ان يكون جمع ناصح

وان

---

(١) جواب عن سؤال حاصله انه تعالى خاطب المشركين في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الخ فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبة المؤمنين بذلك وحاصل الجواب ان الآية أمر بالتوقي عن الارتداد المؤدي للنار المعدة للكافرين وانها أيضا خطاب للمنافقين وهم من جملة الكافرين اهـ سيد ذو الفقار أحمد

التى خلق الله فيها السموات والارض وفيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه كما ثبتت بذلك الاحاديث الصحاح وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن ابى معشر عن ابراهيم عن علقمة عن قرثع الضبى حدثنا سلمان قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يا سلمان ما يوم الجمعة قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواك أو أبوكم وقد روى عن أبى هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم وقد كان يقال له فى اللغة القديمة يوم العروبة وثبت ان الامم قبلنا أمروا به فضلوا عنه واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خلق واختار النصارى يوم الاحد الذى ابتدئ فيه الخلق واختار الله لهذه الامة يوم الجمعة الذى أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم ان هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد لفظ البخارى وفى لفظ لمسلم أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله أى اقصدوا واعمدوا واهتموا فى سيركم اليها وليس المراد

بالسعى ههنا المشى السريع وانما هو الاهتمام بها كقوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما يقرآنها فامضوا الى ذكر الله فأما المشى السريع الى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا لفظ البخارى وعن أبى قتادة قال بينما نحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال ما شأنكم قالوا استعجلنا الى الصلاة قال فلا تفعلوا اذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا أخرجاه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا رواه الترمذى من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد بن زريع عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة بمثله قال الحسن أما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة فى قوله فاسعوا الى ذكر الله يعنى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله تعالى فلما بلغ معه السعى أى المشى معه وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك ويستحب لمن جاء الى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه اليها لما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل ولهما عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق لله على كل محتلم ان يغتسل فى كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده رواه مسلم وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رجل مسلم فى كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة رواه أحمد والنسائى وابن حبان وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الاوزاعى

وان يكون مصدرا يقال نصح نصاحة ونصوحا وقال المبرد اراد توبة ذات نصح اى تنصح صاحبها بترك العود الى ما تاب عنه وصفت بذلك على الاسناد المجازى وهو فى الاصل وصف للتائبين أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم بالعزم على الترك للذنب وترك المعاودة له قال قتادة التوبة النصوح الصادقة وقيل الخالصة وقال الحسن التوبة النصوح ان يبغض الذنب الذى احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقال الكلبى التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاطمئنان على ان لا يعود وقال سعيد بن جبير هى التوبة المقبولة وعن النعمان بن بشير ان عمر بن الخطاب سئل عن التوبة النصوح قال ان يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود اليه أبدا وروى عن معاذ مرفوعا هى أن لا يحتاج بعدها الى توبة أخرى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

عن حسان بن عطية عن أبي الاشعث الصنعاني عن أوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة أجر صيامها وقيامها وهذا الحديث له طرق والفاظ وقد أخرجه أهل السنن الاربعة وحسنه الترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر أخرجاه ويستحب له ان يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفي حديث أبي سعيد المتقدم غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وان يمس من طيب أهله وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابراهيم التيمي عن عمران بن أبي يحيى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أيوب الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب اهله ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع ان بدا له ولم يؤذ أحدا ثم انصت اذا خرج امامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم

(٤٥٦)

ثياب النمار فقال ما على أحدكم ان وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته رواه ابن ماجه وقوله تعالى اذا نودي للصلاة المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فاما النداء الاول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فانما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال حدثنا آدم هو ابن أبي اياس حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا ابراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول ان النداء كان في الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الامام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع اذا نودي به فأمر عثمان رضي الله عنه ان ينادي قبل خروج الامام حتى يجتمع الناس وانما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الاحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الاعذار كما هو مقرر في كتب الفروع وقوله تعالى وذروا البيع أي اسعوا الى ذكر الله واتركوا البيع اذا نودي للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني واختلفوا هل يصح اذا تعاطاه متعاط أم لا على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم وقوله تعالى ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون أي تركم البيع واقبالكم الى ذكر الله والى الصلاة خير لكم أي في الدنيا والآخرة ان كنتم تعلمون وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة أي فرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الارض والابتغاء من

وسلم التوبة من الذنب ان يتوب منه ثم لا يعود اليه أبدا أخرجه أحمد وابن مردويه والبيهقي وفي اسناده ابراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والصحيح الموقوف كما أخرجه موقوفا عليه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي وابن المنذر وعن ابن مسعود قال التوبة النصوح تكفر كل سيئة وهو في القرآن ثم قرأ هذه الآية أخرجه الحاكم وصححه وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وفي كل الازمان واختلف في معناها وذكروا في تفسيرها ثلاثة وعشرين قولا متقاربة المعنى لا يسعها هذا الموضع وملاك الامر فيها أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وهي واجبة من كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور ولا يجوز تأخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب

من

فضل الله كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبي حاتم وروى أيضا عن بعض السلف انه قال من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم واعطائكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ولهذا جاء في الحديث من دخل سوقا من الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة الى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما أي على المنبر تخطب هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة وزعم مقاتل بن حيان ان التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر الا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الامام أحمد حدثنا ابن ادريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال قدمت عير مرة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير الى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا ونزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وقال في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي قوله تعالى وتركوك قائما دليل على ان الامام يخطب الجمعة قائما وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس لكن ههنا شيء ينبغي ان يعلم وهو ان هذه القصة قد قيل انها كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى اذا كان يوم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال ان دحية بن خليفة قد قدم بتجارة يعني فانفضوا ولم يبق معه الا نفر يسير وقوله تعالى قل ما عند الله أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته آخر تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة المنافقين وهي مدنية) (بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون

من بعضها صحت توبته عما تاب منه وبقي الذي لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة والجماعة وقد أخرج مسلم عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة أخرجه البخاري واخرجا عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض الفلاة الحديث وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله يقبل توبة

كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) يقول تعالى مخبرا عن المنافقين انهم انما يتفوهون بالاسلام اذا جاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فأما في باطن الامر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله أي اذا حضروا عندك واجهوك بذلك وأظهروا لك ذلك وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة انه رسول الله فقال والله يعلم انك لرسوله ثم قال تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أي فيما أخبروا به وان كان مطابقا للخارج لانهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة الى اعتقادهم وقوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله أي اتقوا الناس بالايمان الكاذبة والحلفانات الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقد انهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم انهم كانوا في الباطن لا يألون الاسلام وأهله خبالا فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ولهذا قال تعالى فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون وكان الضحاك ابن مزاحم يقرؤها اتخذوا ايمانهم جنة أي تصديقهم الظاهر جنة أي تقية يتقون به القتل والجمهور يقرؤها أيمانهم جمع يمين وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون أي انما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الايمان الى الكفر واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون أي فلا يصل الى قلوبهم هدى ولا يخلص اليها خير فلا تعي ولا تهتدي وقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم أي وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة اذا سمعهم السامع يصغي الى قولهم لبلاغتهم

وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم أي كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم انه نازل بهم كما قال تعالى أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا فهم جهامات وصور بلا معاني ولهذا قال تعالى هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون أي كيف يصرفون عن الهدى الى الضلالة وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي عن اسحق بن أبي بكير بن أبي الفرات عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد الا هجرا ولا يأتون الصلاة الا دبرا مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار وقال يزيد بن مرة سخب بالنهار (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) يقول تعالى مخبرا عن المنافقين عليهم لعائن الله انهم اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكبارا عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين كما قال في سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وايراد الاحاديث المروية هنالك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر العدني قال قال سفيان لووا رؤسهم قال ابن أبي عمر حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزرا ثم قال هو هذا وقد ذكر غير واحد من السلف

العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي وحسنه (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم) بسبب تلك التوبة (جنات تجري من تحتها الانهار) معطوف على يكفر منصوب بناصبه وبالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالجزم عطفا على محل عسى كأنه قال توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم وعسى وان كان أصلها للاطماع فهي من الله واجبة تفضلا وتكرما لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وليس واجبا عقلا (يوم) أي يدخلكم يوم (لا يخزي الله النبي) أو منصوب باذكر (والذين آمنوا معه) أي صاحبوه في وصف الايمان معطوف على النبي وقيل الموصول مبتدأ وخبره قوله (نورهم يسعى بين أيديهم و) يسعى (بأيمانهم) والاول أولى وفيه تعريض بمن أخزاهم الله

ان هذا السياق كله نزل فى عبد الله بن أبى ابن سلول كما سنورده قريبا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وقد قال محمد ابن اسحق فى السيرة ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعنى مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كما حدثنى ابن شهاب الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا اذا جلس النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع يعنى مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بجرا آن قمت أشدد أمره فلقيه رجال من الانصار بباب المسجد فقالوا ويلك مالك قال قمت أشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنفوننى لكأنما قلت بجرا الآن قمت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما ابتغى ان يستغفر لى وقال قتادة والسدى أنزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وذلك ان غلاما من قرابته انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك وأقبلت الانصار على ذلك الغلام فلاموه وعزروه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يلوى رأسه أى لست فاعلا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه ان عبد الله بن أبى ابن سلول قال ليخرجن الاعز منها الاذل فارتحل قبل ان ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبى ائت النبى صلى الله عليه وسلم حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون الى قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن جبير وقوله ان ذلك كان فى غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فان عبد الله بن أبى ابن سلول لم يكن ممن خرج فى غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وانما المشهور عند أصحاب المغازى والسير أن ذلك كان فى غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق قال يونس بن بكير عن ابن اسحق حدثنى محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة فى قصة بنى المصطلق فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى وكان أجيرا لعمر ابن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن يحيى بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الانصار وقال الجهجاه يا معشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الانصار عند عبد الله بن أبى فلما سمعها قال قد ثاورونا فى بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل على من عنده من قومه وقال هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم الى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضى الله عنه فذهب بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غليم وهو وعنده عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اذا تحدث الناس يا عمر ان محمدا يقتل أصحابه لا ولكن ناد يا عمر فى الرحيل فلما بلغ عبد الله بن أبى ان ذلك قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فاعتذر اليه وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يا رسول الله عسى ان يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجرا فى ساعة كان لا يروح

من أهل الكفر والجملة حالية أو مستأنفة لبيان حالهم وقد تقدم فى سورة الحديد ان النور يكون معهم حال مشيهم على الصراط والمراد بايمانهم جهاتهم كلها والتقييد بالأمام والأيمان لا ينفى ان لهم نورا على شمائلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم اما من السابقين فيمشون فيما هو أمامهم واما من أهل اليمين فيمشون فيما هو عن أيمانهم عن ابن عباس فى الآية قال ليس احد من الموحدين لا يعطى نورا يوم القيامة فاما المنافق فيطفئ نوره والمؤمن مشفق مما رأى من اطفاء نور المنافق قال ابن مسعود يمرون على الصراط على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نورا من نوره فى ابهامه ذكره السيوطى فى البدور السافرة (يقولون) خبر ثان أو حال (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) هذا دعاء المؤمنين حين اطفاء

فيها فلقيه اسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت في ساعة منكرة فما كنت تروح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي زعم انه اذا قدم المدينة انه يخرج الاعز منها الاذل قال فانت يا رسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وانا لننظم له الخرز لنتوجه فانه ليرى ان قد سلبته ملكا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس ان وجدوا مس الارض فناموا ونزلت سورة المنافقين وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن اسحق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال دعوى الجاهلية دعوها فانها منتنة وقال عبد الله بن أبي ابن سلول وقد فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال جابر وكان الانصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ورواه الامام أحمد عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة ورواه البخاري عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة (٤٦٠) عن الحكم عن محمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال فحلف عبد الله بن أبي انه لم يكن شيء من ذلك قال فلامني قومي وقالوا ما أردت الى هذا قال فانطلقت فنمت كئيبا حزينا قال فأرسل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد أنزل عذرك وصدقك قال فنزلت هذه الآية هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا حتى بلغ لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ورواه البخاري عند هذه الآية عن آدم بن أبي اياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبي زائدة عن الاعمش عن عمرو عن ابن أبي ليلى عن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضا من حديث شعبة به طريق أخرى عن زيد قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالا حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكير عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فأرسل الى عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي ما أردت الى ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك قال حتى أنزل الله اذا جاءك المنافقون قال فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ثم قال ان الله قد صدقك ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسين ابن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحق انه سمع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل الى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد

الله نار المنافقين كما تقدم بيانه وتفصيله (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والرمح (والمنافقين) بالحجة والوعظ البليغ وقد تقدم الكلام على هذه الآية في سورة براءة (واغلظ عليهم) بالانتهار والزجر والمقت والبغض أي شدد عليهم في الدعوة والخطاب والقتال والمحاجة باللسان واستعمل الخشونة في أمرهم بالشرائع ولا تعاملهم باللين وقال الحسن أي جاهدهم باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود (ومأواهم جهنم) أي مصير الكفار والمنافقين اليها (وبئس المصير) أي المرجع الذي يرجعون اليه (ضرب الله مثلا للذين كفروا) قد تقدم غير مرة ان المثل قد يراد به ارادة حالة غريبة تعرف بها حالة أخرى مماثلة لها في الغرابة أي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفار في انهم يعاقبون

يارسول الله فوقع فى نفسى مما قالوا حتى أنزل الله تصديقى اذا جاءك المنافقون قال ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤسهم وقوله تعالى كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شئ وقد رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث زهير ورواه البخارى أيضا والترمذى من حديث اسرائيل كلاهما عن أبى اسحق عمرو بن عبد الله السبيعى الهمدانى الكوفى عن زيد به طريق أخرى عن زيد قال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدى عن أبى سعد الازدى حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا اليه فسبق اعرابى أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجئ أصحابه قال فأتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع قباض الماء فرفع الاعرابى خشبته فضرب بها رأس الانصارى فشجه فاتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين فاخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبى ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعنى الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله لاصحابه اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فليأ كل هو ومن معه ثم قال لاصحابه لئن رجعتم الى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل قال زيد وأنا ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسمعت عبد الله بن أبى فأخبرت عمى فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى قال فجاء الى عمى فقال ما أردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمسلمون قال فوقع على من (٤٦١) الغم مالم يقع على أحد قط قال فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قد خفقت برأسى من الهم اذ أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذنى وضحك فى وجهى فما كان يسرنى ان لى بها الخلد فى الدنيا ثم ان أبا بكر لحقنى وقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال شيأ الا انه عرك اذنى وضحك فى وجهى فقال أبشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لابى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين انفرد باخراجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وهكذا رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن موسى به وزاد بعد قوله سورة المنافقين اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله حتى بلغ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا حتى بلغ ليخرجن الاعز منها الاذل وقد روى عبد الله ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة بن الزبير فى المغازى وكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ولكن جعلا الذى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبى ابن سلول انما هو أوس بن أقرم من بنى الحرث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم وقال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الايلى حدثنى سلام حدثنى عقيل أخبرت محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الانصارى أخبراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع وهى التى هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التى كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فكسر مناة فاقتتل رجلان فى غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز وهم حلفاء الانصار فاستعلى الرجل الذى من المهاجرين على البهزى فقال البهزى يا معشر الانصار فنصره رجال من الانصار وقال المهاجرى يا معشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الانصار شئ من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل فى قلبه مرض الى عبد الله بن أبى ابن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فاصبحت لا تضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبى عدو الله لئن رجعنا

يعاقبون لكفرهم وانه لا يغنى أحد عن أحد (امرأت نوح) واسمها واهلة وقيل والهة (وامرأت لوط) واسمها واعلة وقيل والعة وهذا هو المفعول الاول ومثلا المفعول الثانى حسبما قدمنا تحقيقه وانما أخر ليتصل به ما هو تفسير له وايضاح لمعناه وترسم امرأت فى هذه المواضع الثلاثة وابنت بالتاء المجرورة ويوقف عليهن بالهاء والتاء (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما السلام أى كانتا فى عصمة نكاحهما وهذه جملة مستأنفة كأنها مفسرة لضرب المثل ولم يؤت بضميرهما فيقال تحتهما لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة وفى ذلك مبالغة فى المعنى المقصود وهو ان الانسان لا ينفعه عادة الاصلاح نفسه لا صلاح غيره وان كان ذلك الغير فى أعلى مراتب الصلاح والقرب من الله تعالى (فخانتاهما) أى فوقعت منهما الخيانة لهما قال ابن عباس ما بغت

الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر أو قاتله أنت ان أمرتك بقتله قال عمر نعم والله لئن أمرتني بقتله لاضربن عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس فاقبل أسيد بن حضير وهو أحد الانصار ثم أحد بني عبد الاشهل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قاتله أنت ان أمرتك بقتله قال نعم والله لئن أمرتني بقتله لاضربن بالسيف تحت قرط اذنيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آذنوا بالرحيل فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها فصبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ارسل الى عمر فدعاه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عمر اكنت قاتله لو أمرتك بقتله قال عمر نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو قتلته يومئذ لارغمت انوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيتحدث الناس انى قد وقعت على أصحابي فاقتلهم صبرا وانزل الله عز وجل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الى قوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة الآية وهذا سياق غريب فيه أشياء نفيسة لا توجد الا فيه وقال محمد بن اسحق بن يسار حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان عبد الله (٤٦٢) بن عبد الله بن ابي يعني لما بلغه ما كان من أمر أبيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني اني أخشى ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان الناس لما قفلوا راجعين الى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء ابوه عبد الله ابن أبي قال له ابنه وراءك فقال مالك ويلك فقال والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه العزيز وأنت الذليل فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انما يسير ساقة فشكا اليه عبد الله بن أبي ابنه فقال ابنه عبد الله والله يارسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما اذ أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجز الآن وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هرون المدني قال قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لابيه والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنا الاذل قال وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه بلغني انك تريد ان تقتل أبي فو الذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت ان آتيك برأسه لاتيتك فاني أكره ان أرى قاتل أبي (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى اجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن ان تشغلهم الاموال والاولاد عن ذلك ومخبرا لهم بانه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون انفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق في طاعته فقال وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان

امرأة نبي قط ورواه ابن عساكر مرفوعا عنه قال ما زنتا أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس انه مجنون واما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خيانتهما وقال عكرمة والضحاك بالكفر وقد وقعت الادلة الاجماعية على انها ما زنت امرأة نبي قط وقيل كانت خيانتهما النفاق وقيل خانتاهما بالنميمة (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) أي فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما شيأ من النفع ولا دفعا عنهما من عذاب الله مع كرامتهما على الله ونبوتهما شيأ من الدفع وفيه تنبيه على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة (وقيل) أي ويقال لهما في الآخرة أو عند موتهما (ادخلا النار مع الداخلين) لها من أهل الكفر والمعاصي وقال يحيى بن سلام ضرب الله مثلا للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين تظاهرتا عليه وما أحسن

يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيأ يسيرا ليستعتب ويستدرك مافاته وهيهات كان ما كان وأتى ماهو آت وكل بحسب تفريطه أما الكفار فكما قال تعالى وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وقال تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ثم قال تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون أى لا ينظر أحدا بعد حلول أجله وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا فى قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد الى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى والله خبير بما تعملون وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبى عن الضحاك ابن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلو عليك بذلك قرآنا يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى أحدكم الموت فيقول ربى لولا أخرتنى الى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكاة قال اذا بلغ المال مائتين فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والبعير ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثورى عن يحيى بن أبى حية وهو ابن جناب الكلبى عن الضحاك عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم (٤٦٢) بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبى جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح وضعف أبو جناب الكلبى قلت ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهنى عن عمه يعنى أبا مشجعة ابن ربعى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة فى العمر فقال ان الله لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها وانما الزيادة فى العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم فى قبره آخر تفسير سورة المنافقين ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة التغابن وهى مدنية)

قال الطبرانى حدثنا محمد بن هرون بن محمد بن بكار الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا مكتوب فى تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن أورده ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر

(بسم الله الرحمن الرحيم) يسبح لله مافى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) هذه السورة هى آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها ولهذا قال تعالى له الملك وله الحمد أى هو المتصرف فى جميع الكائنات المحمود على جميع مايخلقه ويقدره وقوله تعالى وهو على كل شئ قدير اى مهما اراد كان بلا ممانع ولا مدافع ومالم يشأ لم يكن وقوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن اى هو الخالق لكم على هذه الصفة واراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى والله بما تعملون بصير ثم قال تعالى خلق السموات والارض بالحق أى بالعدل والحكمة وصوركم فاحسن صوركم أى أحسن أشكالكم

أحسن ما قال فان ذكر امرأتى النبيين بعد ذكرقصتهما ومظاهرتهما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرشد أتم ارشاد ويلوح أبلغ تلويح الى ان المراد تخويفهما مع سائر امهات المؤمنين وبيان انهما وان كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله فان ذلك لا يغنى عنهما من الله شيأ وقد عصمهما الله سبحانه عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هى آسية بنت مزاحم قيل انها اسرائيلية وانها عمة موسى وقيل انها ابنة عم فرعون وانها من العمالقة وكانت ذات فراسة صادقة آمنت بموسى عليه السلام فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة والكلام فى هذا كالكلام فى المثل الذى قبله أى جعل الله حال امرأة فرعون مثلا لحال المؤمنين ترغيبا لهم فى الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر فى الشدة وان وصلة

كقوله تعالى يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك وكقوله تعالى الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات الآية وقوله تعالى واليه المصير أى المرجع والمآب ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والارضية والنفسية فقال تعالى يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد) يقول تعالى مخبرا عن الامم الماضين وماحل بهم من العذاب والنكال فى مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل أى خبرهم وما كان من أمرهم فذاقوا وبال أمرهم أى وخيم تكذيبهم وردىء افعالهم وهو ماحل بهم فى الدنيا من العقوبة والخزى ولهم عذاب أليم أى فى الدار الآخرة مضاف الى هذا الدنيوى ثم علل ذلك فقال ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أى بالحجج والدلائل والبراهين فقالوا أبشر يهدوننا أى استبعدوا أن تكون الرسالة فى البشر وان يكون هداهم على يدى بشر مثلهم فكفروا وتولوا أى كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل واستغنى الله أى عنهم والله غنى حميد (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها

وبئس المصير) يقول تعالى مخبرا عن الكفار والمشركين والملحدين انهم يزعمون انهم لايبعثون قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم أى لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها وذلك على الله يسير أى بعثكم ومجازاتكم وهذه هى الآية الثالثة التى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالاولى فى سورة يونس ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين والثانية فى سورة سبا وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم الآية والثالثة هى هذه زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ثم قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا يعنى القرآن والله بما تعملون خبير أى فلا تخفى عليه من اعمالكم خافية وقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وهو يوم القيامة سمى بذلك لانه يجمع فيه الاولون والآخرون فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقال تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقوله تعالى ذلك يوم التغابن قال ابن عباس هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك ان أهل الجنة يغبنون أهل النار وكذا قال قتادة ومجاهد وقال مقاتل بن حيان لاغبن أعظم من ان يدخل هؤلاء الى الجنة ويذهب بأولئك الى النار قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول تعالى مخبرا بما أخبر به فى سورة الحديد ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها وهكذا قال ههنا ما أصاب من مصيبة الا باذن الله قال ابن عباس بامر الله يعنى عن

الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون وقد كانت تحت أكفر الكافرين وصارت بايمانها بالله فى جنات النعيم وفيه دليل على ان وصلة الكفرة لا تضر مع الايمان (اذ) ظرف لمثلا أو لضرب (قالت رب ابن لى عندك) حال من ضمير المتكلم أو من (بيتا) لتقدمه عليه وقوله (فى الجنة) بدل أو عطف بيان لقوله عندك أو متعلق بقوله ابن وقدم عندك هنا للاشارة الى قولهم الجار قبل الدار ومعناه بيتا قريبا من رحمتك أو فى اعلى درجات المقربين منك أو فى مكان لا يتصرف فيه الا باذنك وهو الجنة (ونجنى من فرعون وعمله) أى من ذاته الخبيثة وشركه ومايصدر عنه من اعمال الشر وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه وعن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة وعن أبى هريرة ان فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها

وجعل

قدره ومشيئته ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم أي ومن اصابته مصيبة فعلم انها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان اخذ منه أو خيرا منه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن يؤمن بالله يهد قلبه يعني يهد قلبه لليقين فيعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال الاعمش عن أبي ظبيان قال كنا عند علقمة فقرئ عنده هذه الآية ومن يؤمن بالله يهد قلبه فسئل عن ذلك فقال هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان ومن يؤمن بالله يهد قلبه يعني يسترجع يقول انا لله وانا اليه راجعون وفي الحديث المتفق عليه عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن علي بن رباح انه سمع جنادة بن أبي أمية يقول سمعت عبادة بن الصامت يقول ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي العمل افضل قال ايمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله قال أريد أهون من هذا يا رسول الله قال لا تتهم الله في شيء قضى لك به لم يخرجوه وقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه زجر ثم قال تعالى فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين أي ان نكلتم عن العمل فانما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم ثم قال تعالى مخبرا (٤٦٥) انه الاحد الصمد الذي لا اله غيره فقال تعالى الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون فالاول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أي وحدوا الالهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا (يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) يقول تعالى مخبرا عن الازواج والاولاد ان منهم من هو عدو الزوج والولد بمعنى انه يلتهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ولهذا قال تعالى ههنا فاحذروهم قال ابن زيد يعني على دينكم وقال مجاهد ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه الا أن يطيعه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا الفريابي حدثنا اسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فارادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم ان يدعوهم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الآية وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث اسرائيل به وروى من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة مولاه سواء وقوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم يقول تعالى انما الاموال والاولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه وقوله تعالى والله عنده

وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الى قوله (ونجني من القوم الظالمين) ففرج الله لها عن بيتها في الجنة فرأته وقبض الله روحها قال الكلبي هم أهل مصر وقال مقاتل هم القبط قال الحسن وابن كيسان نجاها الله أكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وديدن المؤمنين بيوم الدين (و) ضرب الله مثلا للذين آمنوا (مريم ابنت عمران) أي حالها وصفتها فتمثل حال المؤمنين بامرأتين كما مثل حال الكفار بامرأتين وقيل التقدير اذكر مريم والمقصود من ذكرها ان الله سبحانه جمع لها بين كرامتي الدنيا والآخرة واصطفاها على نساء العالمين مع كونها بين قوم كافرين (التي أحصنت) حفظت

أي يوم القيامة أجر عظيم كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب والتي بعدها وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله ورسوله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به وقال الترمذي حسن غريب انما نعرفه من حديثه وقال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي حدثنا الاشعث بن قيس قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقال لي هل لك من ولد قلت غلام ولد لي في مخرجي اليك من ابنة حمد ولوددت ان بمكانه سبع القوم فقال لا تقولن ذلك فان فيهم قرة عين وأجرا اذا قبضوا ثم قال ولئن قلت ذاك انهم لمجبنة محزنة انهم لمجبنة محزنة تفرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمود بن بكير حدثنا أبي عن عيسى عن ابن ابي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ثمرة القلوب وانهم مجبنة مبخلة محزنة ثم قال لا نعرفه الا بهذا الاسناد وقال الطبراني حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس عدوك الذي

ان قتلته كان نورا لك وان قتلك دخلت الجنة ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ثم اعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم ان هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الآية الاولى وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى واسمعوا وأطيعوا أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله لا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتم وقوله تعالى وأنفقوا خيرا لانفسكم أي وابذلوا مما رزقكم الله على الاقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات وأحسنوا الى خلق الله كما أحسن الله اليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والآخرة وان لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة وقوله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الاحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم أي مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين ان الله تعالى يقول من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة فيضاعفه له أضعافا كثيرة ويغفر لكم أي ويكفر عنكم السيآت ولهذا قال تعالى والله شكور أي يجزي على القليل بالكثير

(فرجها) عن الفواحش وعن الرجال فلم يصل اليها رجل لا بنكاح ولا بزنا والمحصنة العفيفة وقد تقدم تفسير هذا في سورة النساء قال المفسرون المراد بالفرج هنا الجيب لقوله (فنفخنا فيه من روحنا) المخلوقة لنا وذلك ان جبريل نفخ في جيب درعها أي طوق قميصها فحملت بعيسى عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة والاسناد في نفخنا مجازي أي فأسند الى الله من حيث انه الخالق والموجد وقيل المراد بالروح روح عيسى التي صار بها حيا فوصلت الى فرجها بواسطة نفخ جبريل واضافة الروح الى الله اضافة مخلوق لخالقه للتشريف (وصدقت بكلمات ربها) يعني بشرائعه التي شرعها الله لعباده وقيل المراد بالكلمات عيسى وقيل صحفه التي أنزلها على ادريس وغيره قرأ الجمهور وصدقت بالتشديد وقرئ بالتخفيف وقرؤا بكلمات بالجمع وقرئ بكلمة بالافراد

بالافراد (وكتبه) قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع والمراد على الاول الجنس فيكون في معنى الجمع وهي الكتب المنزلة على الانبياء كابراهيم وموسى وابنها عيسى (وكانت من القانتين) قال قتادة من القوم المطيعين لربهم وقال عطاء من المصلين كانت تصلي بين المغرب والعشاء ويجوزان يراد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت منهم وكانوا مطيعين أهل بيت صلاح وطاعة ولما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه وفيه اشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم ومن للتبعيض ويجوزأن تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ماقص الله علينا من خبرها في القرآن قالت رب ابن لي عندك الآية أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

(تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر اوله سورة الملك)

حليم أي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيآت عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم تقدم تفسيره غير مرة * آخر تفسير سورة التغابن ولله الحمد والمنة

(قال مصححه ولما وصلت درة هذا التفسير اليتيمة عالية المقدار غالية القيمة الى يد الاديب الفقيه واللبيب النبيه خائض بحار العلوم سحاب الفنون المركوم السيد محمد الكتبي الحنفي الخطيب الامام المدرس بالمسجد الحرام خصه الله بمزيد الانعام انطلق يقرظ حسنها البديع وينوه بعظمة مكانها الرفيع فقال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا من فتح ينابيع البيان بالاسرار القرآنية وفجر عيون التبيان بالأذكار الصمدانية وأظهر بدائع المعارف والحقائق وأشهر صنائع العوارف والدقائق وأضاء أنوار بدور العلوم وأشرق شموس الفهوم على كل صديق اختاره من عباده ونسب الحسن على التحقيق من عباده حتى أتاح له نشر ما انطوى من الفضل بين أعيان الأنام وأزاح عنه حجاب الجهل وأحيا به ما اندرس من مآثر الافاضل الأعلام لعلمائك الحمد الذى يوافى نعمك ويكافىء مزيدك ولكبريائك الشكر الذى يليق بوافر امتنانك ويقضى بان أستزيدك وأبتهل اليك فى أوقات الاستجابة وأتضرع اليك فى اماكن الاجابة ان توالى صلات الصلوات وموصولات التسليمات على سيد العجم والعرب صاحب السيف والقلم واشرف من قرأ وكتب المستفيد من مدرسة وعلمك ما لم تكن تعلم المنزل عليه فى الذكر الحكيم اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وعلى آله وأصحابه واتباعه وأحزابه وعلى من انتمى اليهم باحسان الى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين (أما بعد) فان العبد المأسوف الملتجئ الى حرم ربه الرؤف مغيث الملهوف المعروف بالمعروف لما نظر فى تفسير فتح البيان فى مقاصد القرآن) تأليف نخبة الافاضل خلاصة الأماثل

علامة العلماء والبحر الذى * لا ينتهى ولكل لج ساحل

العالم العلامة الكامل الفهامة أفضل المتبحرين اكمل المحررين صاحب المناصب العلية والمراتب السنية والمناقب المشهورة والفضائل المأثورة والاخلاق الزكية والسيرة المرضية الذى قرن بين الكمالات النفسية والرياضات الأنسية وجمع مع التوغل فى نظم المصالح الدنيوية مراعاة الدقائق الدينية باسمه السامى ولقبه النامى تتباهى الاحساب وبذاته الملكية استغنى المادح عن الاطراء والاطناب

له مناقب تسرى ما سرى قمر * وسيرة سار فيها أعدل السير

علم وحلم وعدل شامل وتقى * وعفة ونوال غير منحصر

خلائق فى العلا لما سمت وغت * فاحت ولاحت لنا كالزهر والزهر

يا كامل الأصل دانى الفضل وافره * بسط فضل العطايا غير منبتر

يا سيدا فى المعالى طال مطلبه * ملكتها عنوة بالحق فاقتصر

ان فهت بالعلم فقت الأقدمين ذكا * وصلت بالحق صول الصارم الذكر

وان تكلمت فى الاصلين فاعل وطل * وقل ولا فخر ما الرازى بمفتخر

وان تفسر تحقيق كل مشتبه * وسيف ذهنك شفاف على الطبرى
وليس يرفع رأسا سيبويه اذا * نصبت للنحو طرفا غير منكسر
ومن قديم زمان للحديث لقد * رقيت فى الحفظ والعليا الى الزهر

أعنى النواب عالى الجناب المفخم المهاب أبا الطيب (السيد محمد صديق بن حسن بن على القنوجى) اسبغ الله تعالى سجال محاسنه على العالمين وأدام افضال ميامنه على المسترشدين وهذا دعاء بالاجابة قرين فانه سبحانه لا يضيع اجر المحسنين

حاز الكمال صبيا منذ مولده * وقام بالفضل طفلا قبل ينفصل
يمد نحو العلا والمكرمات يدا * خطوطها للمنايا والمنى سبل
يدالى كل مصر من أناملها * ترى الايادى وفيها ينزل الامل
كأن خاتمه يوم النوال بها * قوس السحاب الغوادى حين ينهمل
نفس من القدس فى ذات مجردة * بالعرف جاز عليها يصدق الزجل

وحين سرح الطرف فى التأليف المذكور وتأمل فيما حواه من الجواهر التى تفوق جواهر النحور ودرر البحور وجده تفسيرا لم يسمح الدهر له بمثيل ولم يقدر مدع ان يأتى له بقبيل لو اطلع عليه ابو حيان لشهد بأنه الذى ظهر أوان فضله وحان ولو تأمل الزمخشرى فيما احتوى عليه لانعزل عن اعتزاله ورجع اليه ولو شاهده الغزالى لقال نعم هذا الغزل ولا يبالى ولو طالعه المفتى أبو السعود لقال يا لهذا الطالع المسعود ولو قرأ البغوى فرائده لشهد له بفائدة أى فائدة حتى انه لو فرض وقدر

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

ولو تخيلنا أمرا وسعا

لئن قاسه بالأذرعى مقايس * منعنا وقلنا لا اسلمه قطعا

اذ عباراته فى غاية الفصاحة وألفاظه فى نهاية الرشاقة والملاحة احتوت على افادة المعانى الوافرة وانطوت على مبانى التفاسير المتكاثرة منها تم لمعات على وجنات الطباع السليمة لمعات الدقائق وتلألأت على صفحات الاذهان المستقيمة أنوار الحقائق * محصل ما لخصه لسان التحقيق وملخص ما حرره بنان التدقيق فالله ينفع به أهل الاسلام ويبقى مؤلفه مقصد الخاص والعام بجاه سيد الانام من هو للرسل الكرام ختام
آمين آمين

